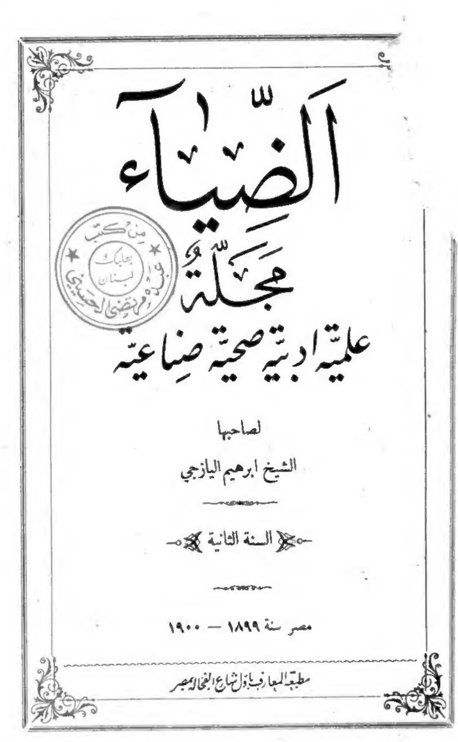


الضياء

مجلة

علمية ادبية صحية صناعية

لصاحبها

الشيخ ابرهيم اليازجي

السنة الثانية

مصر سنة ١٨٩٩ — ١٩٠٠

مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر

فهرست المواد

روايات الضياء

فهرست اسماء المكاتبين

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صوابهُ
٤	٨	مثور	منثور
٣٥	٩	السرقسطي	السرقوسي
٣٥	١٥	لسرقسطة	لسرقوس
١٣٣	٨	بوبخت	نوبخت
١٣٩	١٥	او في معناها	او ما في معناها
١٧٨	١٧	واذا لما بعدهُ	انقل «واذا» الى السطر التالي بعد لفظ السعادة
١٨٠	٢	الحلقة كانت	الحلقة التي كانت
١٨٥	١٢	سنان بن هرم	هرم بن سنان
٢٠٠	٢	اشير	اشير اليه
٢١٩	٧	اول في	في اول
٢٣٠	٧	اعرّبها	ان اعرّبها
٢٧٩	١٩	العبارات	العبارة
٣٢٠	١٠	من اقرن	من ان اقرن
٣٢٠	١٥	يسدعيه	يستدعيه
٣٢٦	٦	وميل	ومَثل
٥١٤	٥	وطالوت في جليات	وطالوت في شاول وجالوت في جليات
٥١٤	١١	الزهري	الزهراوي
٦١٧	٨	فانهم	فانهُ
٧٣١	٦	رشاقة	من رشاقة



مجلة علمية أدبية صحية صناعية

الشعر

عرّف العروضيون الشعر بانهُ الكلام الموزون المقفّى وقيل هو كلامٌ موزونٌ على قصد مرتبطٌ بمعنى وقافية . فخرج بالموزون النثر والاسجاع وبالقصد ما ورد في القرآن وغيرهِ من الفقر الموزونة نحو ان كيد الشيطان كان ضعيفاً وبالمرتبط بمعنى ما لا معنى لهُ من الموزون كقول القائل

كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوسٌ حولهم ماء

على ان هذا قد خرج بقولهم كلامٌ لان ما لا معنى لهُ لا يُعدّ كلاماً . وخرج بالقافية ما كان موزوناً بمعنًى دون قافية كقول الآخر

رُبَّ اخٍ كنتُ بهِ مغتبطاً اشدُّ كفّي بعرى صحبتهِ
تمسكاً مني بالودّ ولا احسبهُ يزهد في ذي املِ

وبيّنٌ ان هذا من التعريف الذي يستفاد منهُ تميز الشعر من النثر دون شرح

ماهية الشعر وبيان حقيقتهِ لان قولهم كلامٌ جنسٌ يدخل تحتهُ الشعر والنثر وباقي القيود المذكورة بعد مُخرِجٌ للنثر وغيرهِ مما ليس بموزون مقفًى وما ليس بكلامٍ اصلاً. وعليهِ فلو عمدنا الى اي كلامٍ شئنا من المنثور ووزنّاهُ وقفيناهُ لجاء شعراً والظاهر من مذهب المحققين بل من صنيع الشعراء من العرب وغيرهم ان حقيقة الشعر غير هذا ولكنهُ يختصّ باجناسٍ من المعاني وضروبٍ من الاساليب يتميز بها عن النثر كما يتميز عنهُ بما ذكر من الوزن والقافية

قال ابن خلدون في الكلام على صناعة الشعر ما نصهُ .. ولا يكفي فيهِ ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصهِ الى تاطفٍ ومحاولة في رعاية الاساليب التي اختصتهُ العرب بها واستعمالها . ثم ذكر معنى الاسلوب فقال انهُ عبارةٌ عن المنوال الذي تُنسج عليهِ التراكيب والقالب الذي تُفرَغ فيهِ وهو لا يرجع الى الكلام باعتبار افادتهِ اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادتهِ كمال المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجةٌ عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورةٍ ذهنية للتراكيب المنتظمة فان لكل فنٍّ من الكلام اساليب تختصّ بهِ وتوجد على انحاء مختلفة. وذلك كأن يكون سؤال الطلول بخطابها او باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال او باستبكاء الصحب على الطلل .. وكأن يكون التفجع على الميت باستدعاء البكاء او باستعظام الحادث او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقدهِ الى غير ذلك . قال واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعدهُ حدًّا او رسمًا للشعر بهِ تُفهم حقيقتهُ على صعوبة هذا الغرض فانا لم نقف عليهِ

لاحدٍ من المتقدمين فيما رأيناهُ وقول العروضيين في حدّهِ انهُ الكلام الموزون المقفى ليس بحدٍ لهذا الشعر الذي نحن بصددهِ ولا رسمٍ لهُ . . فلا بد من تعريفٍ يعطينا حقيقتهُ من هذه الحيثية فنقول . الشعر هو الكلام البليغ المبنيّ على الاستعارة والاوصاف المفصَّل باجزآء متفقة في الوزن والرويّ مستقلٍ كلّ جزء منها في غرضهِ ومقصدهِ عما قبلهُ وبعدهُ الجاري على اساليب العرب المخصوصة بهِ . انتهى المقصود منهُ باختصارٍ وتصرف. قلنا وهذا ايضاً غير وافٍ ببيان حدّ الشعر لان قولهُ هو الكلام البليغ جنسٌ يشترك فيهِ الشعر والنثر على السوآء وقولهُ المبنيّ على الاستعارة والاوصاف ليس ايضاً بالفصل الذي يميزهُ لان كلاً من الاستعارة والاوصاف يكون في النثر ايضاً وقولهُ المفصل باجزآء متفقة في الوزن والرويّ الى آخر الرسم كلهُ من القيود اللفظية وبقي الشعر على الحدّ الذي ذكرهُ العروضيون فيما نقل عنهم لم يزد عليهِ الا التقييد باسلوب العرب وهو امرٌ يتعلق بصناعة النظم لا بحقيقة الشعر كما لا يخفى

وجآء في المثل السائر ان الصابئ سئل عن الفرق بين الكتابة والشعر فقال ان طريق الاحسان في منثور الكلام يخالف طريق الاحسان في منظومهِ لان الترسل هو ما وضح معناهُ واعطاك سماعهُ في اول وهلة ما تضمنتهُ الفاظهُ وافخر الشعر ما غمض فلم يُعطِك غرضهُ الّا بعد مماطلة منهُ. ثم قال والفرق بين المترسلين والشعرآء أنّ الشعرآء انما اغراضهم التي يرمون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى الاهوآء والاوطار والتشبيب بالنسآء والطلب والاجتدآء والمديح والهجآء واما المترسلون فانما يترسلون

في امرٍ سداد ثغر واصلاح فساد او تحريضٍ على جهاد او احتجاجٍ على فئة او مجادلةٍ لمسئلة او دعاء الى أُلفة او نهيٍ عنٍ فرقة .. او ما شاكل ذلك . قال صاحب الكتاب ولقد عجبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف يصدر عنهُ مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذي هو في باب ونصيّ النظر في باب ثم اخذ في تفنيد كلامهِ في تفصيلٍ طويل محصلهُ نفي الاختصاص بين هذين الطرفين في الوضوح والغموض وصلاحية كلٍّ منهما للاغراض التي تؤدّى بالآخر وجعل الفرق بينهما في ثلاثة اوجه الاول ان احدهما منثور والآخر منظوم والثاني ان من الالفاظ ما يعاب استعمالهُ نثراً ولا يعاب نظماً والثالث ان الشاعر اذا احتاج الى الاطالة لم يُجد في كل نظمهِ والكاتب يطيل ما شآء ويجيد . وانت ترى ان كل ما ذُكر هنا غير داخل في شيء من حقيقة الشعر والنثر وانما هي اعراضٌ اضافية لا تقوّم فصلاً ولا تكمّل حدًّا

وقد طالعنا طائفةً من اقوال ادبآء الاعاجم في هذا المعنى بين مختصرها ومطولها وقديمها وحديثها فوجدنا ثمَّ اضطراباً شديداً بحيث لم نكد نقع على القول الفصل في حدّ الشعر عندهم وبيان ماهيتهِ وماهية النثر بما يقطع عرق اللبس بينهما . وقد اتفقوا على ان المرجع في تمييز الشعر من النثر هو ما يحدثهُ من التأثير في النفوس والتسلط على الوجدان ولكنهم اختلفوا في عامل هذا التأثير فمن قائلٍ انهُ ما يرد فيهِ من اصناف المجاز والكنايات لما فيها من الافتنان في التعبير وايراد المعنى على غير صورتهِ المألوفة في الخطاب ورُدّ بان هذه انما هي حلًى تزان بها المعاني الشعرية ولا تعلّق لها بجوهر تلك المعاني لجواز

ان يخلو الشعر عنها ولا يفقد من خاصيتهِ ولانها شائعةٌ بين الشعر والنثر فلو كان الاثر لها لكان في النثر ايضاً . وقيل انهُ ما يقع فيهِ من المعاني المستنبطة من توليد القريحة واختراع المخيلة مما تتجرد لهُ النفس عن طور الحسّ وتلحق بعالم الخيال وهذا ايضاً لم يسلَّم بكونهِ علةً ما ذُكر من التأثير لان القصص الموضوعة تكون كذلك وهي تكتب بالنثر على الغالب لا بالشعر . وقيل هو ما بُنِي عليهِ من الوزن الشبيه بالايقاع حتى يفعل في النفس فعل الغنآء ورُدَّ بان ذلك لا يخرج ايضاً عن كونهِ من الحلى التي تزيد في حسن الشعر وتكسبهُ طلاوةً ورونقاً ولكنهُ لا يكون العامل لذلك التأثير لان الشعر اذا خلا من المؤثرات المعنوية لم يكن مؤثراً بالوزن وحدهُ كما ان من النثر ما اذا توفرت فيهِ شروط الفصاحة وزُيّن بفنون المجاز فقد يعارض الشعر في ذلك مع خلوهِ من الوزن . والذي يظهر لنا والله اعلم ان التأثير في الشعر يعود الى اجتماع هذه المعاني كلها فان استنباط المعنى الجديد وابرازهُ في حلة من المجاز او الكناية مما يؤثر ولا شك على العقول ويأخذ بمجامع القلوب لما في المعنى الجديد من الغرابة التي يتنبه لها الذهن لخروجهِ عن طريق المألوف وصدورهِ على غير ترقب السامع ولان تمثيلهُ في قالب من المجاز يقضي باعمال الفكر لردّهِ الى حقيقتهِ فلهُ هناك حركةٌ ينطبع بها تأثيرهُ في الذهن باشدّ من انطباعهِ اذا افضى الى المدركة دفعةً واحدة . ولذلك ترى الشعر السهل المأخذ الواضح المغزى ولا سيما ما خلا عن المجاز او ما كان مجازهُ مطروقاً اضعف تأثيراً على السامع من الشعر الذي يحتاج الى بعض الغوص على مراد قائلهِ لما فيهِ من تشوق النفس الى الوقوف على معناهُ ثم ظهور ذلك المعنى

لها وهي متأهبة للانفعال بهِ فانها تجد في ادراكهِ من اللذة ما لا تجدهُ فيما يأتيها عفواً . وذلك اذا تفقدتهُ وجدتهُ في كل مطلوب من المعاني وغيرها فان الدرهم الذي يُنال على السهولة والدعة لا يكون لهُ من الوقع ما لغيرهِ مما لا يحصل الا بعد العناء وجهد الطلب . وكذلك امر الوزن فانهُ بلا ريب مما يزيد المعنى حسناً وتأثيراً لما فيهِ من التناسب بين اجزاء اللفظ مما يعلقهُ الطبع وتلهو بهِ النفس عن داعي سائر الحواس على حد ما يحصل بالتنم

على ان الظاهر ان الوزن ليس في شيء من اركان الشعر ولا دخل لهُ في ماهيتهِ وأصل وضعهِ لأنا اذا تفقدنا الشعر القديم كالوارد في بعض اسفار التوراة والنبوءات لم نجدهُ مبنيًّا على اوزانٍ مطّردة ولا مفصلاً الى ابياتٍ مقدّرة كما هو المتعارَف اليوم وانما كان يتميز الشعر عندهم بنباهة اغراضهِ وسموّ معانيهِ والاكثار فيهِ من الصور الخيالية والتفنن في اساليب المجاز مع توخي الالفاظ الفصيحة والتراكيب البليغة التي لم تألفها العامة ولم تُبتذل في استعمال غير الخاصة . واما القافية فلم يُصطلح عليها الا في الازمنة المتأخرة والظاهر من مباحث اهل التحقيق انها اول ما استعملت عند العرب وعنهم اخذ غيرهم من اصحاب سائر اللغات ولعل اول شعرٍ مقفًّى في العبرانية هو ما جاء في مقامات يهوذا بن سليمان الحريزي (براءٍ مهملة ثم زايٍ معجمة) التي تحدى بها مقامات الحريري فانهُ بناها على السجع واتى بشعرها موزوناً على بعض الابحر العربية كالوافر والسريع والرجز مع القوافي المطّردة . وهذا كلهُ مما يدلك على ان الفرق المعتبر بين الشعر والنثر انما هو معنويٌّ لا لفظيٌّ وان الوزن والتقفية لا يكفيان لصيروة الكلام شعراً ما لم يكن مستوفياً

للشرائط المعنوية حتى يكون شعراً بالمعنى قبل ان يكون شعراً باللفظ .
وسنعود الى تمة الكلام في حقيقة الشعر واغراضهِ في الاجزاء الآتية
ان شآء الله

معالجة الغرق

عثرنا في احدى المجلات العلمية على فصلٍ في هذا المعنى فأحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة قالت

ينبغي المبادرة الى تدارك الغريق في اسرع ما يمكن من الزمن ولا ينبغي ان يُستسلم فيهِ الى اليأس مهما رُؤي من ظاهر حالهِ ومهما طال امد العناية بهِ فقد شوهد من الغرقى من لم تثب اليهِ حواسهُ الا بعد خمس او ست ساعات من العلاج المتواصل

ثم ان من الناس من يظن ان الغريق يهلك لابتلاع مقدارٍ كبير من الماء ولذلك يبادرون الى تنكيسهِ بان يرفعوهُ من رجليهِ او يبطحوهُ على موضعٍ مرتفع وينكسوا رأسهُ وصدرهُ وكثيراً ما يكون ذلك سبباً للقضاء عليهِ بفوت العلاج الواجب لان ما يبتلعهُ من المآء لا يكون الا مقداراً تافهاً لا خطر منهُ على الحياة . ومنهم من يظن ان هلاكهُ يكون من تأثير البرد بان يحدث شللاً ويبساً في الاعضآء فيعالجونهُ بالتدفئة والفرك لتنبيه الحرارة الطبيعية

والصحيح ان السبب في هلاك الغريق انما هو احتباس الهوآء عن الرئتين بحيث يموت اختناقاً . والاختناق يتنوع بتنوُّع اسبابهِ فمنهُ ما يكون

شديد الخطر على الحياة ومنهُ ما يمكن ردّ التنفس بعدهُ ولو انقطع حيناً من الزمن

ولذلك فاول ما يجب صنعهُ عند اخراج الغريق من المآء ان يُفتح فمهُ ويُنزَع منهُ ما يكون فيهِ من الزَبَد او غيرهِ تسهيلاً لدخول الهوآء ثم يُنقَل في اسرع ما يستطاع الى احد المواضع المعدَّة لمعالجة الغرق ان وُجد ويُسرَع في مباشرة العلاج ما امكن اغتناماً للزمن فيوضع وضعاً افقياً مع امالتهِ بعض الشيء على الجانب الايمن ورفع رأسهِ قليلاً ثم يجرَّد من ثيابه بكل سرعة وان لم يمكن الاسراع في نزعها تُشقّ وبعد ان يجرَّد يلفّ بملآءةٍ جافةٍ ويوضع في فراشٍ مسخَّن تسخيناً معتدلاً ثم يباشر في احداث التنفس الصناعي

واحداث هذا التنفس انما يتمّ بمتابعة حركة التنفس الطبيعي وذلك بان يقلَّص الصدر ويمدَّد مرةً بعد اخرى على التعاقب . وطريقتهُ ان تؤخذ الذراعان على مؤازاة المرفقين وتُجذَبا الى ما فوق الرأس ثم تحطاًّ دفعةً واحدة وهما على الوضع نفسهِ حتى يلصق المرفقان بالبدن ثم تُستأنف الحركة الاولى ويُجعَل بين كل حركةٍ وضدّها مهلة ما يُعدّ واحد ويكرر العمل كذلك من ١٥ الى ٢٠ مرة في الدقيقة الى ان يشخص الصدر من تلقآء نفسهِ ويدخل اليهِ اول نفس وان وُجد اثنان يتعاونان على ذلك يجلس كلٌّ منهما على احد جانبيهِ ويجريان تلك الحركة معاً

ويمكن ان يُحدَث التنفس الصناعي ايضاً بان يجثو من يباشر ذلك على ركبتيهِ الى يمين الغريق مما يحاذي الورك ثم يضغط بشدّة بجُمعَي يديهِ على قاعدة الصدر اي على آخر الاضلاع السفُلى مع الميل قليلاً الى جهة الورآء

ثم يرفع يديهِ فجأةً ثم يعود الى الضغط كالاول ويجعل بين الضغط والارسال مهلة ما يعدّ واحداً ويكرر ذلك كما في الحركة المذكورة قبلاً نحو خمس عشرة مرةً في الدقيقة . ويمكن ان تُجرَى لهُ كلتا الطريقتين في الوقت الواحد بشرط ان تتوافقا توافقاً تاماً

وقد ارتأى الدكتور لابورد ان يعاد التنفس بواسطة جذب اللسان وذلك بان يُفتح فم الغريق حال خروج المآء من جوفهِ وبعد نزع ما يكون في فيهِ من المواد اللزجة يُمسك لسانهُ ويُجذَب الى الامام جذباً متواتراً الى ان يعود النَفَس وذلك انهُ بجذب اللسان يُوصَل ما بين الكَظَم اي مجرى النفَس والهوآء الخارجي وقد امتُحنت هذه الطريقة في كثيرين وقلما اخطأت النجاح . على ان هذه الطريقة لا تمنع من اجرآء التنفس الصناعي المذكور فيمكن ان يباشر الامران معاً

واول مرة تظهر علامة رجوع النفَس ويُعرَف ذلك بانتفاخ الصدر وحركات القلب واحياناً بحركة الاجفان او المقلة ينبغي ان يُترَك ترويح الرئتين ولكن يُواظَب على فرك الاطراف فركاً شديداً بخِرَق مسخَّنة وكمادات مبلولة بالخلّ او بروح الخمر (العرقي) مع الضغط الرفيق على اسفل البطن وعلى عظام الصدر لمساعدة حركات التنفس والاستيثاق من انطلاق حركة الرئتين . ولا ينبغي ان يُسقى الغريق شيئاً قبل ان يبدأ تنفسهُ لانهُ بدون ذلك لا يستطيع الابتلاع وحينئذٍ فيمكن ان ما يُصَبّ في فيهِ من السائلات يدخل مجرى النفَس ولا سيما في اول نفسٍ يحدث منهُ فلا يُؤمَن ان يردهُ الى الاختناق . ولكن متى عاد النفس الى مجراهُ يمكن لاجل التقوية ان يُسقى

بلمقةٍ ممدنية مع التأني شيئاً من الخمر المسخنة او الشاي او القهوة او الكنياك او الروم المخفف وقد يُعطى مقيئاً برأي الطبيب . واذا توقف تنفسهُ مرةً اخرى يعاد الى احداثهِ بمثل ما ذُكر

هذا كلهُ اذا كان بقرب مكان الغرق محلٌ من المحلات المعدّة لهذه المعالجة على ما ذُكر واما اذا لم يكن هناك محلٌ مخصوص لذلك وهو الغالب فينبغي ان ينقل الغريق الى اقرب موضعٍ جافٍ من الشاطئ ويجرَّد من ثيابهِ المبلولة تماماً وينشَّف بدنهُ بالتبن الجافّ او الخِرَق والثياب مع فرك صدرهِ وجميع اعضائهِ ثم يلقى على ظهرهِ ويعالج تنفسهُ بالضغط او غيرهِ مما ذكر وللمحافظة على الحرارة الحادثة بالفرك يغطى بثيابٍ جافة واذا كان وقت حرّ يؤثر ان يغطى بطبقة رقيقة من الرمل

اما الوقت اللازم لافاقة الغريق فان كان قد لبث تحت المآء ما لا يزيد على خمس دقائق فكثيراً ما يكفي ان يعرَّض للهوآء مع جذب اللسان على الوجه المذكور . واذا استمر تحت المآء اكثر من ذلك فلا بد من المصير الى ما ورآء ذلك من الذرائع المذكورة . على انهُ مهما يكن من امرهِ فلا ينبغي ان يُقنَط منهُ اذا لم يظهر النفع في اول الامتحان ولكن يجب ان يواظب على العمل من غير فتور مدة اربع او خمس الى ست ساعات واذا لم يظهر بعد ذلك فائدة من المعالجة تُترَك الجثة على فراشٍ دفيءٍ لانهُ قد يحدث في احوال الاختناق ان تذهب كل الذرائع المنبهة سدًى ثم تحدث الافاقة بعد ذلك عفواً . انتهى محصلاً ببعض اختصار

البحارة البرّية

تهتمّ روسيا في هذه الايام بعملٍ يُعدّ من اعظم اعمال الدول في هذا العصر وهو وصل البحر البلطيك بالبحر الاسود وكفى بالاقدام على هذا العمل دليلاً على قوّة هذه الدولة العظيمة بعد ما قامت بهِ من العمل السابق الذي لم تكد تفرغ منهُ بعد وهو مد السكة الحديدية السيبيرية التي قُدّرت نفقاتها باربعمئة مليون روبل وقد قُدّرت نفقات العمل الثاني الذي تنويهِ الآن بمئة وعشرين مليون روبل وسيستغرق مدة خمس سنوات

ومسافة الخطّ بين البحرين المذكورين تبلغ ٩٩٤ ميلاً يمرّ في اثنآئها على عدة انهر هي خلجانٌ طبيعية يمكن ركوب اكثرها بالسفن لكن يعترضهُ مما يلي جهة البحر الاسود عدة شلالات على مسافة نحو اربعين ميلاً وهي العقبة الوحيدة في سبيل هذا العمل العظيم . وسيُجعل عمق هذا الخليج ٢٨ قدماً انكليزية ويكون ابتدآؤهُ من عند دونامُند من خور ريغا وينتهي الى كاترينوسلاف فيمرّ على مواني ريغا ومنسك وكياف وما يلي تلك المواضع الى خرسون . ولا يجهل احدٌ ما يترتب على هذا الخليج العظيم من المنافع لانهُ يكون لهذه الدولة بمنزلة سكة حديدية تُنقل عليها الجنود برّاً فيفيد بلادها منعةً لا تُقهَر فضلاً عما فيهِ من الفوائد التجارية بتسهيل النقل ولاسيما وان المواني التي يمرّ فيها فُرَضٌ لأخصب اراضي الروسية واغناها تربةً وستعمر بسببهِ الاراضي الغامرة المهملة على ضفاف الخليج فتزداد بذلك مدن روسيا الآهلة وقوتها البحرية ومواصلاتها التجارية

وقد اخذت فرنسا منذ مدةٍ تبحث في فتح خليج تجعل بهِ مدينة باريز فُرضةً بحرية وهو امرٌ طالما تمثل لهذه الدولة لما تعلم فيهِ من المنافع الجليلة واول من تفطن لهُ الدوك دي سولّي مستشار الملك هنري الرابع في اواخر القرن السادس عشر الا انهُ لم يزل امنيةً لهم تتردّد في خواطرهم وكان من جملة اماني نابليون الاول واحلامهِ اذ كانت تحدثهُ نفسهُ ان يجعل الهڤر وروان وباريز مدينةً واحدة يكون السين طريقها الاعظم ولكن حيل بينهُ وبين هذه البغية بما شغل ذرعهُ من مناوأة الممالك واتصال المعارك . ولما كانت سنة ١٨٢٣ عادوا الى البحث فيهِ فقرروا وجوب مباشرتهِ فعلاً ولكن عرضت من دونهِ الثورة التي نجمت سنة ١٨٣٠ فتوقفوا عنهُ الى ان نبههم اليهِ ما رأوهُ في هذه الايام من تخلف تجارتهم بمزاحمة المانيا وصرفها الصادرات عن طريق الهڤر الى طريق انڤرس بسبب رخص أُجَر النقل فلم يجدوا بدًّا من العود اليهِ تداركاً لما لحق تجارتهم من الوهن والكساد . والخليج المذكور سيُمَدّ من باريز الى روان ويكون طولهُ ١٨٥ كيلو متراً وقد فرضوا لهُ ٧ امتار من العمق في ٣٥ متراً عرضاً وقُدّرت نفقتهُ بزهاء ١٥٠ مليون فرنك

على ان اتخاذ الخلجان لاجراء السفن مما اصطلح الناس عليهِ قديماً وقد سبق اليهِ الصينيون من عهدٍ بعيد ويقال انهم اول من احتفر الخلجان وحبس المياه بالسدود وتعاطى البحارة البرية فليس في بلادهم إيالةٌ الا وهي مخترقةٌ بخليج عظيم تتفرع منهُ تُرَعٌ صغيرة تتوزع في كل وجه حتى لا يُرى عندهم مدينة ولا دسكرة الا وفيها مجرًى للسفن يصل بينها وبين معظم المملكة وكل ما يتعاطونهُ من نقلٍ او سفر يكون في تلك الخلجان واعظمها

الخليج الملكيّ المتصل بمدينة باكين

ومثل الصينيين في ذلك المصريون الاولون فانهم فضلاً عما احتفروهُ من الترع التي يوزعون بها مآء النيل على الاراضي الزراعية وهي تبلغ لا اقلّ من ستة آلاف ترعة كان عندهم خلجانٌ عظيمة لاجرآء السفن اشهرها خليجان احدها خليج الاسكندرية وهو خليج واسع يبلغ عرضهُ في بعض الاماكن الى ٢٥٠ متراً كان يجري فيهِ النيل الى الاسكندرية عن طريق بحيرة مريوط . قال المسعودي وقد كان الاسكندر بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم النيل فكان يسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط في نهاية العمارة وكانت السفن تجري في النيل وتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلّط ارض خليجها في المدينة بالاحجار والمرمر . اه . واستمرّت السفن تجري فيهِ الى عهد ولاية الرومان ثم أُهمل بعدهم شيئاً فشيئاً حتى رُدِم بتراكم الرمال ولبث معطلاً الى زمن الحاكم بامر الله فامر بفتحهِ سنة ٤٠٤ للهجرة ورُدِم بعد ذلك مراراً ففتحهُ الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ ثم الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠ ثم الملك الاشرف برسباي سنة ٨٢٦ ثم انطمّ بالرمال ولبث كذلك الى ان اعاد فتحهُ نابليون الاول سنة ١٧٩٨ . والخليج الآخر خليج مصر وكان يصل بين مصر وبلاد العرب ممتدًّا من لدن بوبَسْت المعروفة اليوم بتلّ بسطة الى بركة التمساح عند البحر الاحمر على طول ١٢٥ ميلاً وكان الشروع في حفرهِ على عهد الملك نخو سنة ٦٣٠ قبل الميلاد وتمّ على عهد داريوس هستاسب احد ملوك الفرس الاولى نحو سنة ٥٠٠ من التاريخ المذكور .

ولبثت تجري فيهِ السفن الى زمن استيلاء الرومان على مصر ثم تغلبت عليهِ الرمال وردمتهُ فاعاد حفرهُ الملك طراجان والملك ادريانس من بعدهِ فعاد الى سابق حالهِ واستمرّ كذلك الى اوائل القرن السادس للميلاد ثم رُدِم . وفي القرن السابع افتتح المسلمون مصر فجدد حفرهُ عمرو بن العاص بامر الامام عمر بن الخطاب واوصلهُ الى مصر القديمة فاصبح طولهُ جملةً ٢٠٠ ميل واستمرّ على حالهِ تلك الى ان ردمهُ الخليفة ابو جعفر المنصور حين خرج عليهِ محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنهُ الطعام وذلك سنة ٧٧٥ للميلاد فسدَّ الى الآن وصار منتهاهُ الى المكان المعروف بذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم

وقد خلف هذا الخليج خليج السويس الحالي وكان حفرهُ على يد دليسبس المشهور في عهد المغفور لهُ سعيد باشا وهو يخترق ما بين بحر السويس والبحر الرومي مارًّا في بركة التمساح التي انتهى عندها الخليج الاول وكان الشروع فيهِ سنة ١٨٥٦ وطولهُ ١٦٠ كيلومتراً وعرضهُ ٧٥ متراً واجريت فيهِ السفن في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٦٩ .

واما في اوروبا فاشهر ما كان من ذلك الخليج الذي يصل بين البحر الاسود والبحر الشمالي ممتدًّا من مصبّ الدانوب الى مصبّ الرين وقد كان هذا الخليج مما تمثل للملك شرلمان سنة ٧٩٤ ثم لم يُفسح لهُ في الاجل لاتمامهِ فبقي امرهُ مهملاً ما ينيف على عشرة قرون من الزمن الى ان تهيأ اتمامهُ سنة ١٨٤٥ وهو الخليج المعروف بخليج لويس . ثم الخليج الذي بوشر حفرهُ على عهد لويس الرابع عشر وهو المسمى بخليج الجنوب وخليج

البحرين وهو يخترق جنوبي فرنسا من الطرف الى الطرف ويصل البحر المتوسط بالمحيط الاتلنتيك وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً وعرضهُ عشرون متراً وكان الشروع فيهِ سنة ١٦٦٦ وتم سنة ١٦٨٤ . ثم الخليج المسمى بخليج برغونيا وهو يصل بين نهري السين والرون وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً . ثم خليج نيفرناي وهو يصل بين السين واللوار وطولهُ ١٧٦ كيلومتراً . والخلجان في اوربا اكثر من ان تُحصَى حتى لا تخلو اليوم مملكةٌ عن شيء منها فنقتصر منها على ما ذكرناهُ حب الاختصار

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

وقع لي ان اطلعت بالامس على العدد السادس عشر من مجلة المشرق الكاثوليكية لحضرات الآباء اليسوعيين فوجدت فيها انتقاداً على مقالتي التي ظهرت مؤخراً في مجلة الضيآء الوضآءة تحت عنوان القوى العاقلة في الحيوان . وقبل الشروع في الرد على ما اخذهُ عليَّ حضرة المنتقد الفاضل الاب لويس شيخو اليسوعي اراني مدفوعاً بالواجب الادبي الى أداء الشكر لفضل حضرات الآباء اليسوعيين في نشر المعارف ولوقوفهم بالمرصاد لانتقاد كل ما يشتمون فيهِ رائحة المباينة للمبادئ الموكول اليهم تعضيدها فيخدمون بذلك الامة والعلم خدمةً تذكر فتشكر اذ لا يخفى ما يترتب على الانتقاد والمناظرات الادبية في العلم من الفوائد الكثيرة التي تنجم عن البحث واحتكاك القرائح فضلاً عن استلفات الجمهور للمطالعة والاستفادة . وحبذا كل انتقاد

مصدرهُ الاخلاص في تمحيص الحقائق ومؤدّاهُ الضالة المنشودة لا الثلب والتشفي بالطعن والتقريع كما هي عادة السواد الاعظم من كتابنا المنتقدين .
وقد لمحت من خلال الرد الذي اثبتهُ حضرة المنتقد في العدد المذكور انهُ لا ينكر عليَّ فقط صحة ما اوردتهُ من الحقائق العلمية وما استنتجتهُ منها بل يرى في نشرها ما يوجب النكير على حضرة العلامة الفاضل صاحب مجلة الضيآء وهو امرٌ لم نكن نتوقعهُ من حضرة المنتقد لان في نشر مثل تلك الحقائق خدمة للعلم والدين معاً ولان النتيجة التي استعاذ من ذكرها وهي « ان المبدأ العقلي عامٌ في جميع انواع الحيوان الخ » مستخرجة من مقدمات مثبتة بالادلة القاطعة المبنية على المشاهدة والاستقرآء لا الحدس والتخمين

ولعلمي بوجود كثيرين يتشوقون لمتابعتنا هذا البحث الجليل ولو مع التردد والوجل لتوهمهم انهُ مخالف لما يعتقدونهُ ارى من المفيد ازالة هذا الوهم بالادلة بحيث ندخل في البحث من وجهيهِ الدينيّ والعلميّ . ويكفينا في هذه المجالة ان نأتي على بعض نصوص الكتاب ونلمحها لمحة فاتٍ حتى اذا زاد حضرة المنتقد من الاعتراض علينا زدناهُ بياناً

يُعترَض علينا بما جآء في المزمور التاسع والاربعين وهو انسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي « لاعقل لها » كذا اشتهرت هذه العبارة لكن الذي في الترجمة الحديثة لمرسلي الاميركان البهائم التي « تُباد » وفي ترجمة الآبآء اليسوعيين كان الانسان في كرامةٍ فلم يفهم فماثل البهائم وتشبه بها فلم يذكروا شيئاً من المعنى الاول ولا الثاني . وفي الترجمة الكلدانية البهائم الخرس اي التي لا تفوه بألفاظ مقطعية كالانسان وهذا مسلَّم فيما قدمناهُ في مقالتنا .

وهب ان الكتاب المقدس يصرح بعدم اعطآء العقل للبهائم فيكون من حيثية عدم اقتدارها على ادراك الكليات لا الجزئيات بوجه نسبيّ وذلك لا ينفي كون المبدإ العقلي فيها وفي الانسان واحداً . وقد جآء في الاصحاح الثالث من سفر التكوين ما نصهُ « وكانت الحيّة أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تاكلا من كل شجر الجنة » الى آخر حديثها مع المرأة الاولى . فيتضح من هذا النص الإلهي جلياً ان الحيّة لم تكن شيطاناً كما يفسرهُ البعض مجازفةً وتحكماً لتعزيز مذاهبهم بل بهيمةً من ضمن الحيوانات البرية التي عملها الله تعالى وانها كانت تفضل غيرها من الحيوانات بالتعقل وشدة الادراك مما تقتضيهِ الحيلة حتى تمكنت بعدها آنها من اغراء حوآء بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر فاستوجب عملها هذا القآء التبعة عليها لما انهُ صار منها مباشرةً فلعنها الله وعاقبها بان مسخها مسخاً وقضى عليها بان تسعى على بطنها وتأكل التراب كل ايام حياتها . فيؤخذ من هذا ومن شواهد أخرى أوردها عند الاقتضآء للاسهاب ان المبدأ العقلي ثابت دينياً في العجماوات

اما بخصوص الوجه العلمي فانني قد سبقت فاوردت في مقالتي المشار اليها آنفاً امثلةً وشواهد عديدة تدل دلالةً صريحة على وجود التعقل في الحيوان والتدرج في الادراك الى حدٍّ يكفي للدلالة على كون المبدإ العقلي فيهِ وفي الانسان واحداً ولا يختلف عن تعقلنا الا في الكم والكيف ولو امكن حضرة المنتقد تعيين الحد الفاصل بين ما يدعوهُ القوة الوهمية او الغريزة او السليقة والعقل لأتيناهُ بشواهد تدل على ان العجماوات قد تتخطاهُ

الى الأعلى والحيوانات الناطقة قد تقصر عن ادراكهِ . اما وليس لدينا سوى المشاهدات فنحن مضطرّون بما فُطرنا عليهِ الى التسليم بان المسبّبات المتشابهة انما تنتج عن اسباب متشابهة وبالعكس . فاذا رأينا تشابه ظواهر ادراك العجماوات بظواهر ادراكنا حكمنا بمماثلة الاسباب وقلنا بوحدة المبدأ العقلي . ومن المقرر ايضاً في المشاهدات ان الولد اذا رُبِّيَ في مُعتَزَلٍ لا يسمع فيهِ لغةً الا ما يطرق سمعهُ من اصوات الحيوانات ولا يرى حولهُ ما يستفيد منهُ بالتقليد والتمثل الا حركات البهائم يشبُّ على همجيتهِ كالعجماوات يصوّت باصواتها ويقلد حركاتها فتتشابه ظواهر ادراكهِ بظواهر ادراكها وحينئذٍ لا يكون بينهُ وبين البهائم فرقٌ يذكر سوى كونهِ قد ورث عن والديهِ بعض الخصائص التي تؤهلهُ للارتقاء عن طريق الحواس بالتعلُّم والمشاهدة

بقي علينا ان نعترف بجلهنا الاسباب العديدة المتداخلة التي أخرت العجماوات عن مجاراة الانسان في مضمار التقدم ولكن هل يعاب علينا جهلنا اموراً هي فوق ادراكنا او يترتب على ذلك احجامنا عن التسليم بصحة ما يقع تحت ادراكنا والا فكيف يصح لنا الحكم بوحدة السليقة في الحلميات التي تعيش على نفقة غيرها مدة ثم تبيد بدون ادنى شيء يذكر في تاريخ حياتها سوى كونها وجدت ثم تلاشت وفي النمل الذي يأتي باعمال تحار عندها عقول الفلاسفة ولا يصح لنا نفس هذا الحكم في المبدإ العقلي في احطّ المتوحشين وأعلى القردة مع ان الفرق العقلي الكائن بين الفوجيين مثلاً وأرقى القردة اقل منهُ بين الحلميات والنمل بل اقل منهُ ايضاً بين احطّ الناس وأرقاهم

فسبحان من اوجد المبدأ العقلي في جميع خلائقهِ الحية وسن لهُ نواميس

يرتقي بموجبها كما ارتقى من فوجيّ لا يعرف ما يزيد على الاربعة من الاعداد الى نيوتن يقيس ابعاد الاجرام السماوية ويكشف عن نواميس الجاذبية

مطارحات

امتحان غريب في الترجمة ـ نظم بعض شعرآء الانكليز المستر لايرد بيتين من الشعر ودفعهما الى صديق لهُ فنقلهما الى اللاتينية ثم ارسل الصورة اللاتينية الى صديقٍ آخر فردّهما الى الانكليزية ثم تُرجما عن الصورة الانكليزية الثانية الى الفرنسوية ثم الى اليونانية فالانكليزية فالالمانية فالانكليزية فالفارسية واخيراً اعيدا الى الانكليزية بعد ان تُرجما احدى عشرة مرةً فجآءا على الصورة التي تراها معرَّبةً هنا قال الناظم الاول

نُبِّئتُ أنَّ فلان بعد منيّتي سيخطُّ ترجمتي جُعِلتُ لهُ فِدَى
فطربتُ حين سمعت ذاك تهلّلاً وهتفتُ واشوقي الى وِرد الرَّدَى

وهذه صورة الترجمة الاخيرة وقد جعل البيتان خطاباً وجواباً بين رجلٍ وامرأة

ـــ سأُعيدُ ذكركِ يا مُنَى نفسي اذًا ما متِّ حيّاً بالقريض مخلَّدا
ـــ لوكنتَ تفعل ذاك في يومي لمَا شوّقتَ نفسي يا حبيبُ الى الرَّدَى

ونحن نقترح على حضرات شعرآئنا المجيدين ان ينظموا في معنى هذه الابيات الاربعة لكن من غير هذا البحر لان تغيير البحر يقضي بتبديل اكثر الفاظها فيكون ذلك بمثابة ترجمةٍ اخرى لها . ونأمل ارسال ما تجود بهِ قرائحهم في العشر الأوّل من الشهر الآتي لننشرهُ في الجزء الثالث ان شآء الله

متفرقات

الحواضن الصناعية للاطفال - من الاطفال من يوضع قبل اوانهِ بشهرين او ثلاثة فيولد ضعيفاً دمياً حتى لا يزيد وزنهُ احياناً على كيلغرامين وفي هذه الحالة لا تكون قد توفرت فيهِ القوى الحيوية الكافية لأن تولّد فيهِ مقدار الحرارة الطبيعي الذي هو ٣٧ درجة فترى حرارة هؤلآء الاطفال لا تزيد في الغالب على ٣٥° وقد تهبط الى ٣٠ . وقد اخترع الدكتور ترنياي سنة ١٨٨١ جهازاً ينوب للطفل عن جوف والدتهِ فيقضي فيهِ المدّة التي فاتتهُ في البطن حتى يكون مولوداً وجنيناً معاً . وهذا الجهاز مؤلف من صندوق من الخشب غطآؤهُ من الزجاج وفيهِ سلةٌ من الخيزران مبطنة بحشيّة من القطن فيوضع الطفل فيهِ وتُجعل حرارتهُ على ٣٠ الى ٣٢° ويُطبق عليهِ الغطآء فلا يُخرَج منهُ الا عند ارادة تغذيتهِ وغذآؤهُ يكون من لبن بقرةٍ او أتان ممزوج بمآء محلًّى بالسكَّر . وقد بحثوا منذ مدةٍ في ذريعةٍ تزيد في تقوية الطفل ويمكن بها تعجيل اخراجهِ الى الهوآء فامتحنوا في ذلك ان يجعلوا الهوآء الذي يتنفسهُ مشبعاً بالاوزون وهو الاكسيجين المكهرب فصادفوا في هذه الطريقة نجاحاً كبيراً . وقد وُجد ان عدد الذين يمكن استحيآؤهم بهذه الحضانة هم ٧٧ في المئة ممن يولدون بين الشهر السابع والثامن و ٥٠ ممن يولدون في الشهر السابع و ٢٠ ممن يولدون في السادس

فكاهات

رواية

عواقب الغرور [1]

ذُكر ان رجلاً من اعيان الفرنسيس يقال لهُ اندريا كان ذا مالٍ وافر قد ورثهُ عن ذويهِ نخطر لهُ يوماً ان يتعاطى اعمال التجارة وكان من ذوي الخبرة بها والممارسين لها منذ صبوتهِ فشمر عن ساعد الجدّ وافرغ ما عندهُ من الحذق والاجتهاد غير ان الدهر ابى الا ان يعاكسهُ وتمنَّع الحظ عن مساعدتهِ فلم تكن تجارتهُ في نجاح بل تأخرت احوالهُ وتوالت عليهِ الخسائر من جهات عديدة حتى اصبح على شفا الخراب . فبينا كان ذات يومٍ جالساً كعادتهِ على باب مخزنهِ وهو يفكر فيما آلت اليهِ حالهُ ويتبصر في طريقةٍ تدرأ عنهُ ما يتوقعهُ من سوء المصير اذا بفتًى يناهز الثامنة عشرة من عمرهِ قد جاء توًّا فوقف امامهُ وابتدرهُ بالسلام فاجابهُ وانتظر ان يذكر لهُ غرضهُ فقال الفتى انني انسانٌ شقيٌّ يا سيدي قد حرمت اهلي ووالديَّ منذ حداثتي وقضيت كل حياتي في البؤس الى الآن فهل لك ان تمنَّ عليَّ بخدمةٍ عندك فترحم نفساً شقية وتنقذ روحاً ربما اشتد عليها الكرب وسوَّلت لي الانتحار. فتوقف اندريا هنيهةً يتأمل في الفتى وكلامهِ ويفكر في حالتهِ وما انتهى اليهِ

---

[1] معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فرأى انهُ ليس الوحيد الذي اخنى عليهِ الدهر ومع ما هو فيهِ من ضيق ذات اليد وعدم مقدرتهِ على مساعدة الفتى وجد من نفسهِ ميلاً الى الأخذ بيدهِ واغاثتهِ فقال لهُ ما اسمك ايها الفتى وما الذي تحسنهُ من المعارف . فقال اسمي اوغست واما معارفي فاني مع اخنآء الدهر عليَّ وحرمانهِ لي اعتناء الوالدين والاهل واسباب المعيشة لم اعدم شفقة رجلٍ من الافاضل ضمني الى نفسهِ وعني بتهذيبي وقد تلقيت دروسي في مدرسة السربون وحصلت على شهادات عديدة اطلعك عليها اذا شئت . قال اندريا وكيف تركك هذا المحسن الذي ذكرتهُ . قال انهُ لم يتركني ولكن الدهر لم يشأ ان يمتعني بكمال السعادة بعد ما اذاقني من مرارة الشقآء فاني ما اتممت دروسي حتى توفي ذلك المحسن فجآءةً والا لما تأخر عن جعلي في مركزٍ امين او قسم لي جزءًا يسيراً من ثروتهِ . قال اندريا لا بأس يا اوغست فادخل الى محلي هذا فأقبلك فيهِ تحت التجربة مدة شهر فاذا وجدت منك ما يرضيني ووجدت عندي ما يسرك بقيت فيهِ والا انصرفت من حيث اتيت . فقبل اوغست شاكراً ودخل مع اندريا الى المحل فافهمهُ قواعد اشغالهِ وفوض اليهِ العمل . وما ادرك كيفية الشغل حتى اخذ يدأب ويجد وهو يشتغل في ليلهِ اكثر من نهارهِ وكتب الله لهُ حظاً ووهبهُ حكمةً ودرايةً فتوفق في اعمالهِ وسرَّت العملاء من معاملتهِ فأخذت تتوارد عليهِ اسباب النجاح وما انتهى شهر التجربة حتى رأى اندريا تحسناً عظيماً في اشغالهِ وشعر بالارباح الناجمة فتعلق قلبهُ بأوغست ولم يعد يهمهُ سوى المحافظة عليهِ عندهُ فعينهُ مديراً لاشغالهِ بمرتبٍ وافٍ وقسمٍ من ارباح المحل . ولم تزل تجارتهُ في تقدم ونجاح واتساع

نطاق حتى بلغ في السنة الاولى غاية عظيمة وعدَّ اندريا بين أهم تجار فرنسا

اما اوغست فلم يكن يميل الى شيء في العالم ولا يشغلهُ سوى الانتباه الى عملهِ فكان ينفق على نفسهِ الاجرة التي يقبضها ويبقي قسمهُ من الارباح عند صاحب المحل امانةً لهُ . ولم يدرِ اندريا كيف يكافئ اوغست فاخذ يعاملهُ معاملتهُ لولدهِ وكان في كل اسبوع يدعوهُ مرتين او اكثر لتناول الطعام معهُ في بيتهِ . وكان لاندريا ابنةٌ في مقتبل الشباب يقال لها متيلدا جميلة الصورة تامة التهذيب كانت ترى اوغست على مائدة بيتهم وتسمع ثناء والدها عليهِ فتعلقت بهِ تعلقاً شديداً واحبها اوغست اولاً محبة ابنة رئيسهِ ثم محبة اختٍ لهُ ثم انتفض فيهِ عرق الحب الحقيقي فاحبها محبة فتًى لفتاةٍ ستكون شريكة حياتهِ . ولما قوي فيهِ هذا الميل جعل يكثر من التردُّد على بيت اندريا ويبالغ في اظهار ميلهِ واحترامهِ للفتاة لكنهما لم يفاتح احدهما الآخر بشيء من كلام الحب . وكان اوغست يثق انهُ مهما طرأ على متيلدا من الاحوال فهي لا تقبل سواهُ بعلاً لها كما وطد هو العزم ايضاً ان لا يتخذ غيرها عروساً لهُ

وفي ذات يومٍ استدعى اندريا اوغست فقال لهُ قد اتاني اليوم رجلٌ وبيدهِ هذه الحوالة عليك بمبلغ الف ليرة فما تقول فيها . فاخذ اوغست الحوالة باستغراب وتأملها ملياً ثم قال وهل عندي من المال ما يضاهي هذا المبلغ . قال اندريا ان قسمك من الارباح مفروز على حدة وارباحهُ تُضمّ اليهِ وهو يقابل اضعاف هذا . قال اذاً انا اقبل الحوالة وارجو ان لا تؤخر اداءها . فتعجب اندريا من ذلك لانهُ لم يكن يعلم ان لأوغست مداخلة مالية

مع احد واحب ان يستفهمهُ عن الامر لكنهُ سكت مخافة ان يكون ذلك نوعاً من الفضول . وفي اليوم الثاني عاد اليهِ الرجل فنقدهُ المبلغ متعجباً وقيدهُ على حساب اوغست . ثم لم يمضِ على ذلك اكثر من شهرٍ واحد حتى جاء الرجل ثانيةً بحوالة اخرى بنفس القيمة ولما سئل اوغست عن ذلك قطب حاجبيهِ قليلاً بدون ان يبدي اقل اعتراض ووقَّع على الحوالة ان تُدفع فزاد عجب اندريا من ذلك وقال لهُ انني كنت اجهل تماماً ان لك معاملة مالية مع احدٍ في العالم فهل لك ان تفيدني شيئاً عن هذا . قال اوغست اني ايام كنت في المدرسة كان لي صديقٌ من رصفائي التلامذة لم يكن اخٌ يحب اخاهُ كما كان احدنا يحب الآخر واسمهُ ادمون دي برزالك وهو من اسرةٍ غنيةٍ لا يجهلها احد في فرنسا ومهما ذكرت لك عن صفات ادمون فلا اظنني وافياً بما فُطر عليهِ من الكرم وعزة النفس وحسن السيرة والكمالات الانسانية ولكنهُ كان مسرفاً جدًّا في سخائهِ فكلما ارسل اليهِ والدهُ بمبلغٍ من المال اسرع في انفاقهِ وعاد يطلب سواهُ حتى سئم والدهُ منهُ فحرمهُ من ارثهِ وجحدهُ وبعد ما خرجنا من المدرسة لم اعد اسمع شيئاً عن ادمون حتى بلغني بعد بضع سنوات انهُ سافر الى الهند الغربية واثبت لي هذا الخبر الحوالتان اللتان وردتا عليَّ منهُ من هناك . وليس بيني وبين ادمون معاملات مالية وانما سلمت بدفع القيمة التي احال بها عليَّ لاني قدَّرت انهُ اما ان يكون في ضيق شديد وعلى الصديق اغاثة صديقهِ واما انهُ آخذٌ في تجارةٍ رابحة ولزمتهُ هذه المبالغ غير اني على كل الاحوال اتعجب من احالتهِ عليَّ بمثل هذا المقدار مع علمهِ حين سفرهِ انني لا املك شروى نقير فما ادري من

الذي اخبرهُ بحالتي الحاضرة. فتعجب اندريا من حسن نية اوغست وصمت

ومضى على ما ذكرناهُ عدة اشهر الى ان كان اندريا جالساً الى جانب مكتب اوغست يراقب شغلهُ ويعجب ببراعتهِ فدخل عليهما فتًى جميل الطلعة رشيق القوام حسن البزَّة لحياً ثم تفرَّس في اوغست وهجم عليهِ يقبلهُ بشوقٍ عظيم وكان هذا الفتى هو ادمون وقد عاد من سفرهِ. وبعد ان جلس هنيهةً قام اندريا لشأنهِ وترك الصديقين يتحادثان واخذ ادمون يقص على اوغست ما كان من حديثهِ فقال انني سافرت الى الهند مدفوعاً الى ذلك بما لاقيتهُ من الضيق في بلادي وقد بذلت كل ما بوسعي لأَجد لي شغلاً ارتزق منهُ ورأيت هناك سوق المقامرة رائجة وانت تعلم كراهتي لها ولكن الفقر والذل دفعاني الى تلك الهوة فسقطت فيها وكنت تارةً اربح المال الوافر وتارةً اخسر آخر درهم واخيراً ترتب عليَّ دينٌ عظيم وكان قد بلغني ما صارت اليهِ احوالك فأحلت عليك بالالف الاولى ورأى الناس هناك استقامتي فوثقوا بي مرةً ثانية فعدت وخسرت الفاً اخرى وقيمتها من مالك ايضاً. ثم عمدت الى اللعب علّني احصّل ما يفي ديني لك ان لم احصل زيادة عن ذلك ما يسد مطامعي غير انني لسوء الحظ خسرت ايضاً وهذه المرة كانت خسارتي جسيمة وانا اخجل ان اطلب تعويضها منك. فبهت اوغست مفكراً في ما آلت اليهِ حالة ادمون ورأى ادمون ترددهُ فقال لهُ انني قد عاهدت الله على ان لا اتعاطى المقامرة ما حييت فان شئت ان تنزع عني العار باقراضي هذا المبلغ اعاهدك مقسماً بالله وبما بيننا من الحب انني انظر لي باباً من ابواب المكاسب الشرعية لافيكهُ وان لم تمدد يدك

لمساعدتي فانا هالكٌ لا محالة . فقال اوغست وكم المبلغ الذي تحتاج اليهِ الآن قال اربعة آلاف جناي فيصير مجموع ما لك عليَّ ستة آلاف جناي اكتب لك بها صكاً شرعياً وافيكها كلما حصلت شيئاً . فذُعر اوغست ولكنهُ اظهر الرزانة والسكينة ثم قام الى دفاترهِ ليرى المبلغ الذي يخصهُ فوجد انهُ يزيد قليلاً جدًا عن المبلغ المطلوب . فتوقف حيناً ثم اخذ حوالةً بالقيمة فوقَّع عليها ودفعها الى ادمون فاخذها ادمون بعبرات الشكر وانصرف

وبعد ذلك اخذ اوغست ادمون الى بيت اندريا فعرفهم بهِ وكان ادمون كما ذكرنا طلق اللسان ثبت الجنان عليهِ ملامح الشرف والعظمة فخلب الجميع بكلامهِ حتى دهشت الام بجمالهِ واُخذت الابنة برقيق عباراتهِ وحسن هندامهِ وتولع بهِ الاب حتى لم يعد يلوم اوغست على تهورهِ في تسليمهِ كل تلك المبالغ بل صمَّم انهُ ان احب ادمون ان يقترن بابنتهِ متيلدا يتخذ على نفسهِ ان يفي عنهُ المال الذي عليهِ لاوغست فضلاً عن البائنة (الدوطة) التي يهبها لابنتهِ

ولحظ اوغست انشغاف اُسرة اندريا بادمون وخاف عواقب الامر فعزم ان يفاتح متيلدا بالزواج ويسرع فيهِ ما امكنهُ ولكنهُ عاد فتذكر انهُ قد اعطى جميع مالهِ لادمون ولم يبقَ عندهُ سوى النزر اليسير فأنَّ بتلهفٍ عظيم ولزم السكوت . اما ادمون فما زال حبهُ يتزايد عند القوم وخصوصاً اندريا الذي اصبح يعزهُ اكثر من ولدهِ وخاطبهُ ادمون في امر ابنتهِ فصرَّح لهُ بما يضمرهُ وانهُ في اي ساعةٍ شاء الاقتران بها يمدهُ بمالٍ وافر ليفي ما عليهِ ويعيش في سعة وسرور . فقال ادمون اني كنت اود الاقتران بها

من هذا اليوم لولا بعض اشغال مهمة احب قضآءها قبل الزواج فلا بأس من ارجآء الامر قليلاً . وكان ادمون يأتي كل يوم الى بيت اندريا ويجالس متيلدا ويخرجان معاً ويزوران اماكن النزهة واللهو وهي مع مزيد تعلقها باوغست لم تسمع منهُ شيئاً من حديث الحب فلبثت حيرى بين الاثنين . وفي ذات يوم جآءها اوغست يدعوها ان تصحبهُ لحضور حفلة غنآء عظيمة فقالت اشكرك ايها العزيز لكن قد دعاني اليها ادمون قبلك ووعدتهُ بالذهاب معهُ فسنلتقي بك هناك فعضّ اوغست شفتهُ حتى ادماها وخرج . ولما كان الموعد انطلق اوغست الى الملعب واذا عربةٌ تقل اندريا وزوجتهُ وابنتهُ وادمون فدخلوا الى غرفةٍ مخصوصة وجلس اوغست في زاويةٍ تقابلها يراقب حركاتهم . وكانت تلك الليلة من ابهج الليالي واجملها قامت في نهايتها فتاةٌ رشيقة القوام حسنة الصورة عليها هيئة الحزن فاندفعت تغني بلحنٍ شجيّ رقت لهُ قلوب الحاضرين ولما فرغت استعادوها ثانيةً وثالثةً حتى لم يبقَ في الملعب الامن بكى لشجو غنآئها واخذ الناس يتسآءلون عنها فعلموا ان اسمها مرغريت وانها مربية لاولاد الكنتة ديدي

وفيما كان اوغست خارجاً من الملعب صادف احد اصدقآئهِ فترافقا في الطريق وجرى بينهما حديث مرغريت فسألهُ اوغست عنها وهل يعرف شيئاً من امرها فقال نعم هي امرأةٌ تزوجت من بضع سنوات وكان زوجها سيئ البخت ولا مال لديهِ فتركها وسافر الى الهند فاضطرّت الى الدخول في خدمة الكنتة حيث لا تزال الى الآن وهي منذ سافر زوجها الى اليوم لم تكد تحصل منهُ على خبر ولم تعلم شيئاً من احوالهِ وما ينويهِ من الرجوع اليها

فتدلهت من الحزن والقلق وهذا هو السبب فيما سمعت من شجو غنآئها . ولبث الصاحبان متسايرين وهما يتنقلان في الاحاديث حتى وصل اوغست الى امام محلهِ فدخل ومضى الصديق في طريقهِ

اما اندريا فعاد الى بيتهِ وهو معجب بغناء مرغريت وصوتها الرخيم ورأى تأثيرها في زوجتهِ وابنتهِ لا يقل عن تأثيرها فيهِ فجعل يتكلم عنها وعن حركاتها واشاراتها وصمم اخيراً ان يدعوها الى بيتهِ يوماً للعشاء على امل ان يسمع صوتها ثانيةً . فقالت زوجتهُ نعم واني سأطلبها من الكنتة ديدي وانا على يقين بما بيني وبينها من الصداقة انها لا تتأخر عن اجابتي. قال اذاً سندعوها لتناول العشاء معنا مساء الاحد القادم فقالت زوجتهُ بل ندعوها مساء السبت وقالت الابنة يوم كذا فقال ادمون اذاً متى اتفقتم على يوم فاعلموني قبل الوقت مخافة ان يكون عندي اشغالٌ تمنعني من الحضور فقال الاب اذاً نفوض الامر اليك فمتى رأيت نفسك مستعدًّا فاعلمنا قبل بيوم لندعوها وهكذا اتفق الجميع

ولما كان بعد ايام وافى ادمون وقال لهم اني ساكون مستعدًّا للحضور مساء غدٍ فاذا شئتم ان تدعوا الفتاة فافعلوا فذهبت الام وزارت الكنتة وتواعدت مع مرغريت ان تأتيهم في مساء اليوم التالي . وفي مساء ذلك اليوم جلس ادمون كعادتهِ بقرب متبلدا ولكنهُ لم يكن يحادثها كعادتهِ واعتذر بانهُ مصابٌ بصرعٍ شديد ويحب ان يذهب باكراً لينام استعداداً لليلة القادمة ولما بلغت الساعة العاشرة استأذن وخرج

وكان اوغست لما رأى قلة احتفال آل اندريا بهِ اخذ يقلل من زياراتهِ

لهم وكان يقضي اكثر لياليهِ في نادٍ بالقرب من بيت اندريا ويرى ادمون راجعاً من سهرتهِ فيغص بريقهِ . ورأى ادمون في تلك الليلة المذكورة عائداً قبل الميعاد فتعجب من خروجهِ الباكر ودعتهُ نفسهُ لاستطلاع امرهِ فخرج يقتفي اثرهُ بدون ان يشعر بهِ حتى انتهى في اتباعهِ الى ساحةٍ صغيرة فيها بركةٌ جميلة يتفرَّع حولها اربعة طرق فلما وصل ادمون الى هناك وقف يراقب تلك الطرق كأنهُ ينتظر قدوم احد ثم توجه الى البركة فجلس الى حافتها . ولما رأى اوغست ذلك ظنهُ ينتظر صديقاً لهُ لموعدٍ بينهما فقفل راجعاً ولم يسر بضع خطوات حتى رأى الشرطي الموكل بحراسة تلك البقعة وكان من معارف اوغست فوقفا يتكلمان نحو نصف ساعة ثم افترقا وذهب كلٌّ الى محلهِ

ولما كان صباح الغد خرج اوغُست لينطلق الى شغلهِ وبينما هو في الطريق سمع باعة الجرائد وهم يجرون في ساحات المدينة ينادون بحادثة قتل فظيع . فلما سمع اوغست ذلك ابتاع جريدةً واخذ يتصفحها فاذا فيها ما يأتي . « في هذا الصباح وُجدت جثة مرغريت مربية اولاد الكنتة ديدي ملقاةً بجانب البركة في شارع . . . وقد طُعنت طعنةً في صدرها نفذت الى ظهرها وطعنةً اخرى في عنقها اخترقتهُ من الوريد الى الوريد والحكومة مهتمة بالقبض على الجاني » . فشعر اوغست بارتعاشٍ استولى على كل جسمهِ واخذ الجريدة وسار الى بيت اندريا فوجدهم وادمون مشتغلين بتزيين البيت استعداداً لمأدبة المسآء . فقال هل بلغكم ان مرغريت لا تأتي في هذه الليلة . قالوا لا وكيف ذلك . قال انها قد قُضي عليها في هذا الليل قتلاً ودفع اليهم

الجريدة فلما اطلعوا عليها ادهشهم ذلك الخبر الفجآئي واخذ منهم الاسف اشدّ مأخذ على شباب الفتاة وتلهفوا لموتها العاجل وقال اندريا انهُ يهب الف جناي لمن يصل الى معرفة القاتل . واهتمت الشرطة بالبحث في كل ناحية فلم يقفوا للقاتل على اثر وقرر الشرطي الحارس انهُ وقف هنيهةً يتكلم مع اوغست ثم ذهب الى البركة فطاف من حولها فلم يكن ثمت شيء ولكنهُ لما عاد ثانيةً وجد الجثة ملقاةً على الارض ولم يسمع اقلّ حركة في كل تلك الجهة

ودام بحث الحكومة ولهج الجرائد نحو شهرين بدون جدوى ثم اخذ القوم يتناسون تلك الحادثة الاَّ اوغست فانهُ كان قد تغلب عليهِ حب الاخذ بثأر تلك المسكينة فكان يسعى جهدهُ للوقوف على جلية الخبر

وبعد مضي اسبوع آخر من ذلك التاريخ صرَّح ادمون لاندريا بعزمهِ على الاقتران بمتيلدا فاستعد القوم لذلك وعُين يوم العرس فنقدهُ اندريا عشرة آلاف جناي وفى منها اوغست ما لهُ عليهِ واحتفظ بالباقي . وفي ذلك النهار ورد على متيلدا كتابٌ بطريق البريد ففتحتهُ بيدٍ مرتجفة واذا فيهِ

ايها الملَك الطاهر

لقد خُدعتِ وغرَّكِ جمال ادمون واسرافهُ وتزوُّقهُ وانما هو كما يقال عن القبور المكلسة فاياكِ والوقوع في شركهِ واني صديقٌ اخلصكِ النصح واشير عليكِ ان تمتنعي من الاقتران بهِ وان ابيتِ فلا اقلّ من ان تؤخري العقد ولو ثلاثة ايام لتري من الذي تسلمين اليهِ مالَكِ العفة وسلامة الضمير وتسبري غور الهوة التي ستسقطين فيها . استحلفكِ بالله ان تؤخري عرسكِ ثلاثة ايام فقط ان لم تشائي فسخهُ البتة والاَّ فستندمين على شقائكِ حين لا ينفع

الندم وتبكين حظكِ ما حييتِ كما ابكي انا حظَّ فتاةٍ لا يهمني في العالم الاَّ ان
اراها في سعادةٍ وسلام نصيح

فجعلت متيلدا تراجع تلاوة الكتاب مفكّرةً في الامر ولكنها اخيراً غلب عليها الافتتان بجمال ادمون فحملت كلام ذلك النصيح على الحسد واخفت الكتاب بين بعض اوراقها السرية ولم يطلع احدٌ على ما كان وفي ذلك المساء زُفَّت متيلدا الى ادمون في احتفالٍ شائق وفرح عظيم

وكان ادمون يودّ ان يرحل بعروسهِ الى بلادٍ اخرى فلم يوافقهُ والداها لانهُ صعب عليهما فرقتها في الحال وفي اليوم الثالث من زواجهما لم يعد يقوى ادمون على الصبر فصمم على الرحيل ونهض صباحاً فأعدَّ حوائجهُ وما انتصف النهار حتى جاءَت العربة الى باب البيت لتقلّهما الى محطة القطار فاستندت متيلدا على ذراع زوجها بعد ان ودَّعت والديها ونزلت. ولما استويا في العربة وامرا السائق بالمسير اذا بفارس من الشرطة قد تقدم الى ادمون وقال لهُ هل حضرتك ادمون ... قال نعم. قال باسم الحكومة الفرنسوية استوقفك فاتبعني. فلما سمعت متيلدا ذلك تذكرت للحال الكتاب الذي اتاها وسفرت لها الحقيقة من وراء حجب الخفاء ولم يبقَ عندها ريب ان الكتاب كان آتياً من اوغست فندمت على اهمالهِ وانهما كما بأدمون وتراكمت هذه الخواطر عليها دفعةً واحدة فسقطت مغشياً عليها فاسرع والداها وحملاها الى المنزل ولبث ادمون سائراً امام الشرطي حتى انتهى الى دار الحكومة وهناك أُلقي في السجن الى يوم المحاكمة

ولما كان اليوم المضروب لاصدار الحكم احتشدت الجماهير المؤلفة

وعقد المجلس فقام الخطيب واخذ يشرح قصة ادمون فجزم بانهُ هو قاتل مرغريت على ما شهدت بهِ الدلائل وقامت عليهِ البينات ثم ذكر من قصتهِ انهُ بعد خروجهِ من المدرسة وهو لا يملك شروى نقير اقترن بالفتاة مرغريت وكان لديها مبلغٌ من المال فبذَّرهُ كعادتهِ ثم لما اشتدَّ بهِ الضيق سافر الى الهند ودخلت هي في خدمة الكنتة ديدي . فلما عاد في المدة الاخيرة سوَّلت لهُ نفسهُ الاقتران بابنة المسيو اندريا طمعاً في غنى والدها ولكن لما كان وجود زوجتهِ الاولى يحول دون ذلك اخذ يفكر في طريقة يتخلص بها منها وفي آخر الامر اوصل اليها كتاباً سريًّا يخبرها فيهِ انهُ قد عاد من سفرهِ وانهُ يودُّ مواجهتها في تلك الليلة سرًّا لسببٍ يعلمها بهِ متى التقيا . ولم تكن المسكينة تستمد لمثل تلك البشارة المفرحة فما صدقت ان انتصف الليل حتى ذهبت الى محل الملتقى ولما رأت زوجها هجمت عليهِ تقبّلهُ فقابلها بطعنةٍ من خنجرهِ فسقطت ميتةً وعاد فارغ البال لاتمام مقاصدهِ الشريرة . وعليهِ فقد حكمتُ باسم الحكومة الفرنسوية ان يُحفظ ادمون في سجن الاشغال الشاقة الى ان يحصل على الاذن السامي في شنقهِ

وكان الحزن قد اثر شديداً في متيلدا حتى كانت تأخذها نوبٌ عصبية خشي الطبيب عليها منها وكانت لا تجد سلوةً وعزآء الا باوغست فلم يكن يفارق سريرها الى ان شفيت فبقي لها صديقاً صدوقاً ولابيها ابناً اميناً وقضى حياتهُ عزَبًا يفضل الظمأ الشديد على ورود الشراب المبتذَل كما قيل

وتجتنب الاسودُ ورود مآء اذا كان الكلاب ولغنَ فيهِ

مدرسة الاسكندرية

لهذه المدرسة ذكرٌ جليلٌ في التاريخ وشهرةٌ لا يجهلها احدٌ من المتأدبين وارباب المطالعة وقد كانت لعهدها مُنبثَق انوار العلم في العالم كله وخرج منها عددٌ كبيرٌ من الفلاسفة والكتّاب وواضعي العلوم ومكتشفي اسرار الطبيعة ممن لا تزال تصانيفهم الى اليوم مورداً تستمدّ منهُ الافهام والاقلام ونحن آتون من تأريخها على لُمعةٍ نذكر فيها اصل منشإِها وما نجم عنها من الفوائد الى ان اخنى عليها الدهر وطمس آثارها

وقد كان تأسيس هذه المدرسة لعهد بطلميوس الاول المعروف بسُوطر ابن لاغوس وهو احد القوّاد الاربعة الذين خلفوا الاسكندر الكبير على ملكهِ سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وانشأ هذه المدرسة سنة ٢٨٠ من التأريخ المذكور . قالوا وكان شديد الاعجاب بمولاهُ الاسكندر وكان يتقيَّلهُ في كل شيء حتى في حركاتهِ فاقتفى اثرهُ في رفع منار العلم وكان هو ايضاً من الكتاب المجيدين ولهُ مصنفٌ في تاريخ فتوح الاسكندر . فحشد اليهِ العلماء والفلاسفة وحملة الاقلام من جميع اطراف البلاد واخلى لهم جانباً من قصرهِ يأوون اليهِ ويجعلونهُ معهداً للتدريس والالقاء واجرى عليهم الارزاق الواسعة فلم تلبث الاسكندرية لعهدهِ ان خلفت اثينا بعد ان عفت مدارس بلاد اليونان فاصبحت محطّاً لرحال العلماء والدارسين من كل صوب ولبثت على ذلك مدة سبعة قرون وهي في اعلى مراقي الشهرة والفلاح

وكان في هذه المدرسة مكتبةٌ عظيمة لم يكن لها نظيرٌ في مكاتب الدنيا

جمع فيها نفائس الكتب ونوادرها من بلاد اليونان واطراف مصر وآسيا وبذل فيها ما لا يحصى من الاموال ولم يزل خلفآؤُهُ من بعدهِ يزيدون فيها حتى بلغت سبع مئة الف مجلد . وكان في جملة غُرَف المكتبة ردهةٌ للمطالعة والتأليف مباحةٌ لكل داخل ويستفاد من كلام فيلستراتس انهُ كان في حوزة المدرسة بستانٌ مخصوص لدرس اصناف النبات ومعرضٌ للحيوان وآخر للمعادن وكانت نفقات ذلك كلهِ من بيت مال الأُمة

وكان من مشاهير رجال هذه المدرسة واساتذتها الاولين اقليدس الرياضيّ المشهور فانهُ ادركها من اول تأسيسها فكان من اعظم دعائمها واسباب شهرتها ونمآئها . واقليدس هذا هو اول من جمع الرياضيات وبوّبها وقيّد كل فرعٍ منها باصولٍ وقواعد وقد دوّنها في خمسة عشر كتاباً سماها الاصول منها كتابهُ المشهور في الهندسة الذي لا يزال مرجع اهل هذا العلم الى اليوم. وممن وُجد فيها من مشاهير ذلك العصر فيليتاس الشاعر وديودور كرونس من علمآء المنطق وثاودورس الفيلسوف الذي كان يلقب بالجاحد لانهُ جحد آلهة الشرك عند اليونان وارسطرخوس الفلكيّ الرياضيّ من خرّيجي استراتون وهو احد الذين قالوا بدورتي الارض على محورها وحول الشمس ولهُ تأليف في حجم الشمس والقمر ومسافتها وهو باقٍ الى اليوم

وخلف بطلميوس المذكور ابنهُ بطلميوس الثاني الملقب بفيلادلفوس وهو من اعظم الملوك البطالسة وكان تلميذ استراتون فمضى على سنن والدهِ في توثيق اسباب العلم والاحتفآء باهلهِ وقرَّب اهل العلم من المصريين واليهود وهو الذي انشأ المعاهد المخصوصة للبحث في علم المواليد الثلاثة مما

تقدم ذكرهُ . ومن آثاره تدوين تاريخ مصر القديم باللغة اليونانية وضعهُ لهُ مناتون احد كهنة هليوبوليس (وهي المطرية اليوم) اخذاً عن السجلات المقدسة في هيكل المدينة المذكورة وبامرهِ نُقلت اسفار التوراة الى اليونانية لمنفعة اليهود لانهُ كان في مصر امةٌ كبيرة منهم قد نسي اكثرهم اللسان العبري لطول الاسر والاسترقاق فجمع لهذه الترجمة سبعين رجلاً من علمآئهم العارفين باللغتين ولذلك سميت هذه النسخة بالسبعينية

وممن نبغ لعهدهِ اراتُستان الفلكيّ الشهير وهو اول من راقب ميل دائرة البروج واول من قاس مساحة الدرجة من الارض على ما تقدم لنا شرحهُ في الجزء السابع عشر من البيان . ومنهم ارخميدس السَرَقسطي المشهور وهو احد الذين تلقوا عن اقليدس ولهُ عدّة تصانيف منها في الكرة والاسطوانة وفي الجسم الكرويّ والمخروط ومساحة الدائرة ومنها في اللولب ومركز الجذب وزنة الاجسام في السوائل وغير ذلك . وهو مخترع اللولب الغير المتناهي واللولب الاجوف المعروف بلولب ارخميدس الذي تُزح بهِ مستنقعات النيل ومخترع البكرة البسيطة والبكر المركبة ويقال انهُ احرق سفن مرشلس عند حصارهِ لسَرَقُسطة بواسطة المرآة المقعرة . ومنهم هبَرخوس وهو اعظم علمآء الهيئة لذلك العهد حدد طول السنة الشمسية واكتشف مبادرة الاعتدالين وطبّق الهندسة على الهيئة ووضع علم مساحة المثلثات واخترع طريقة رسم المجسمات وارشد الى تعيين مواقع البلدان بقياس الطول والعرض وقاس بُعد الشمس والقمر من الارض وعمل الزيج المشهور للثوابت ودلّ على حركات السيّارة والكسوف والخسوف لمدة ٦٠٠ سنة

وهو الذي صنع اول اسطرلاب وترك عدة تصانيف في الهيئة والهندسة . ومنهم ابولونيوس خطا على اثر اقليدس فتوصل الى قواعد قطع المخروط ولهُ كتابٌ فيهِ عُرّب في زمن المأمون وشرحهُ كثيرٌ من العلماء وهو كتابٌ جليل يشتمل على اختراعاتٍ ومسائل عجيبة . ومنهم ارازستراتوس وهيروفيلوس وهما واضعا علم التشريح لانهما اول من شرّح جسماً بشرياً

ثم انهُ بعد بطلميوس هذا قامت الفتن على ساقها وكثر الهرج بين الرعية وتوالت الثورات الى عهد بطلميوس السابع وكانت بينهُ وبين اخيهِ بطلميوس السادس المعروف بفيلوماتور مشاحاتٌ على الملك في حديثٍ ليس هنا موضعهُ فقتل جميع رهطهِ واكثر من التنكيل في اشياع اخيهِ فيلوماتور وكان لهُ حاميةٌ من الاجانب فاشتدت وطأتهم على اهل الاسكندرية فهاجروا منها وتشتتوا في كل وجه حتى ذكر احد المؤرخين ان هذه المدينة اصبحت خاويةً ولم يبقَ فيها الا بطلميوس ورجالهُ . فكان ذلك سبباً لانتشار العلم في بلاد اليونان وآسيا الصغرى لان كل من كان في الاسكندرية من العلماء لجأوا الى هاتين البلادين فتجددت فيهما معاهد العلم على حد ما حدث في ايطاليا بعد تشتت اليونان عند فتح القسطنطينية

وبعد ان أقوت هذه المدرسة حيناً من الدهر على يد هذا الملك عادت فعمرت معاهدها على يدهِ ايضاً وذلك بعد ان اقشعت عنهُ سحب المخاوف وخلا لهُ الجوّ فبثّ رسلهُ من اهل العلم في كل وجهٍ للبحث عن نفائس الكتب وجمع مكتبةً جليلة جعلها في هيكل سرابيس بالقرب من المدرسة . وقد كان لهذا الملك مشاركةٌ في العلوم الادبية والفلسفية ولهُ مصنفٌ في

التاريخ وشرحٌ على اشعار اوميروس . ومن آثارهِ توجيه بعثٍ للكشف عن الشواطئ الهندية سَيَّرهُ تحت قيادة رجلٍ من اخصاَّئهِ يقال لهُ هودشيش وكان ممن يحسنون الارصاد الفلكية وتخطيط الاراضي فطاف حول افريقيا وخطط ما في البحر الهندي من الجزُر والبلدان وهي اول بعثةٍ علمية مصرية

وفي تلك الأثناَء انشأ ملوك برغاما من آسيا الصغرى مدرسةً عارضوا بها مدرسة الاسكندرية وجمعوا فيها مكتبةً عظيمة لخظر بطليموس المذكور اخراج ورق البَرْديّ من الديار المصرية فكان ذلك سبباً في استنباط عمل الرقّ من جلد الحيوان وكان اول صنعهِ في برغاما فسمي بالورق البرغامي ومنهُ أُخذ اسم الرقّ (*Parchenin*) في اللغات الافرنجية

ومع بذل الملك غاية ما في طوقهِ للرجوع بالمدرسة الى مثل حالتها السابقة فان توالي الفتن والمشاغب حال دون تمام امنيتهِ فلم تزل المدرسة في تراجعٍ وانحطاط الى ان اشفت على الدمار . على انهُ خرج منها في تلك الاثناء عدةٌ من مشاهير العلماء منهم انطيوخوس الفيلسوف خرّيج فيلون وكان زعيم المجمع العلمي الذي انشئ اذ ذاك . ومنهم اودُكس الرحّالة الذي طاف حول شواطئ افريقيا وسوزيجانوس الفلكي الشهير الذي صحح الحساب السنوي بايعاز يوليوس قيصر واكتازيبيوس الرياضي احد الذين اشتغلوا بتصحيح الساعة المآئية على ما سبق لنا ذكرهُ في احد اجزاء السنة الماضية وقد كان من البارعين في علم الحِيَل (الميكانيك) وهو مخترع طلمبة الجذب والضغط المعروفة باسمهِ ومنهم هيرون الرياضي الطبيعي خرّيج اكتازيبيوس المذكور وقيل ابنهُ وهو اول من امتحن ضغط السوائل ومن مخترعاتهِ الآلة

المنسوبة اليهِ المعروفة بفوّارة هيرون وهي مركبةٌ من انابيب يرتفع بها الماء الى ما فوق موازاة سطحهِ بواسطة ضغط الهواء بالماء نفسهِ وكان عالماً كبيراً في الرياضيات ولهُ عدة تصانيف لا يزال بعضها الى اليوم

وكان في اعقاب ذلك ان ورد يوليوس قيصر على الديار المصرية في خطبٍ طويل لا محل لذكرهِ هنا ونشبت الفتنة بينهُ وبين بعض قواد الجيش المصري فحاصروهُ في الاسكندرية وكان اسطولهُ راسياً في مينائها فامر باحراقهِ لئلاَّ يستولي عليهِ الجيش فتطايرت نيرانهُ الى قصر البطالسة واحرقت دار الكتب وكان فيها ٤٠٠ الف مجلد فذهبت باسرها طعمةً للنار وذلك نحو سنة ٤٨ قبل الميلاد . على انهُ لم يلبث ان عُوّض جانبٌ من هذه المكتبة بالكتب التي وهبها مرقس انطونيوس لكليوبطرا بعد استيلائهِ على آسيا وبلاد اليونان سنة ٤٢ وهي الكتب التي جمعها ملوك برغاما على ما تقدم ذكرهُ وكان عددها مئتي الف مجلد فكانت بعد ذلك نصيباً للرومان

واما المدرسة فانهُ بعد ما بسط الرومان ايديهم على مصر سنة ٣٠ قبل الميلاد ازدادت انحطاطاً ولم يبقَ فيها من العلوم ما يُعتدّ بهِ سوى علمي الهيئة والجغرافية . واشهر من يُذكر من رجالها في ذلك العصر استرابون وبطلميوس وكان الاول من علماء الجغرافية ولهُ فيها مصنفٌ جمع فيهِ بين الجغرافية والتاريخ في ١٧ مجلداً اكثرهُ باقٍ . واما بطلميوس فكان اعظم شهرتهِ في علم الهيئة ولهُ فيهِ كتاب المجسطي المشهور جمع فيهِ ما تفرّق من علم السلف واضاف اليهِ ما ادركهُ بنفسهِ وقد عُرّب هذا الكتاب في زمن المأمون واشتغل بهِ كثيرٌ من العلماء ونُقّح وشُرح عدة مرار ونُقل بعد ذلك

الى لغات اوربا ولم يبرح المرجع الوحيد لاهل هذا العلم مدة اربعة عشر قرناً اي الى ان ظهر كوبرنيكس في اوائل القرن السادس عشر فقوّض قواعد مذهبهِ على ما هو مشهور . ولهُ غيرهُ عدة تصانيف منها كتابٌ في علم المناظر اي البصريات وآخر في الجغرافية وهو يُعدّ مع كتاب استرابون المقدّم ذكرهُ افضل ما ترك المتقدمون في هذا العلم . ولهُ ايضاً كتابٌ في الحِيَل وعدّة ازياج في الفلك وغير ذلك ولا يزال اكثر كتبهِ يُنتفع بهِ الى هذا العهد

وعلى اثر ذلك نشأ الخلاف بين اصحاب المذاهب الفلسفية في اوائل زمن النصرانية وتمادوا في المناقشة واللجاج فافضى ذلك الى ركود تيار العلم ثم لم يزل امرهُ آخذاً في التراجع والضعف الى ان دخل ملوك رومية في الدين المسيحي سنة ٣١٣ فانتسخ كل ما كان في تلك المدرسة من العلوم والآداب وانحصر العلم كلهُ في درس القواعد الجدلية . ومضى الامر على ذلك الى ان ارتقى البطرك تيوفيلوس كرسيّ الاسكندرية فاغرى الشعب بتخريب هيكل سرابيس لانهُ كان احد ملاجئ الدين الوثني فاجتاحوا الهيكل وانتهبوا كل ما كان فيهِ وفي جملتهِ الكتب التي جمعها بطلميوس السابع على ما سلف ذكرهُ وكان ذلك سنة ٣٩١

وانقطع التدريس بعد ذلك زمناً الى ان كانت سنة ٤١٦ وكان لتيون احد اساتذة المدرسة ابنةٌ يقال لها هيباتيا وكانت قد احكمت العلوم الرياضية والفلسفية فزُيّن لها ان تسعى في اعادة تدريس الفلسفة فوثب عليها رعاع الشعب وقتلوها شرَّ قتلة وكان ذلك آخر العهد بمدرسة الاسكندرية

اما المدرسة اليهودية التي احدثها فيلون في القرن الاول بين تلك

الاضطرابات المذهبية فلم تثبت الا زمناً قصيراً ثم اضمحلت فقامت بعدها المدرسة المسيحية واشتهرت بعدة رجال منهم القديس اثناسيوس والقديس غريغوريوس النزينزي ويوليوس الافريقي وغيرهم وبقيت الى زمن الفتح الاسلامي سنة ٦٤٠ ومن ذلك الحين عفت آثار العلم في مدينة الاسكندرية واستمرت على ذلك ما ينيف على مئتي سنة . ثم انهُ في سنة ٨٥٤ أنشأ فيها المتوكل العباسي مدرسةً اسلامية وجمع لها مكتبة حافلة ولم نقف على شيء من تاريخ هذه المدرسة واحوالها سوى ان الرحالة بنيامين التودالي اليهودي ذكر انها كانت باقيةً الى عهد سياحتهِ في الديار المصرية وذلك في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد والله اعلم

التماثيل المتحركة والناطقة

لا يخفى ان صنعة التماثيل من اقدم الاشياء عهداً في تاريخ الانسانية ولا يبعد انها وُجدت قبل التصوير لان فيها محاكاة الجسم بجسمٍ مثلهِ فهي اقرب الى البديهة التي تقتضيها الاوضاع الاولى . غير انهم ما زالوا يرون في التماثيل نقصاً عن بلوغ شَبَه الممثَّل حتى يتمّوها بالحركة والصوت وهذا ما طالما عُني بهِ اصحاب الحِيَل (الميكانيك) عصراً بعد عصر وقد ادركوا فيهِ بعض النجح . واقدم ما جاء من ذلك في التاريخ الحمامة التي صنعها ارخيتاس احد فلاسفة اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ذكرها غير واحدٍ من مؤرخيهم وهي حمامة من خشب كان يطيرها في الجوّ الا ان اكثر المحققين يذهبون الى ان هذه الرواية من جملة الاساطير اليونانية لصعوبة امر الطيران في

نفسهِ فضلاً عن صنع الجهاز المحرّك فيهِ مما لا يقدَّر الوصول اليهِ في ذلك العصر البعيد . وقد أُولع اصحاب الحِيَل في القرن الثالث عشر للميلاد بهذه المصنوعات وتفننوا فيها كثيراً واكثر ما كانت تُصنَع في استرَسبُور ولوبالك وبراغ ومن ذلك ما رُوي عن ألبرتوس الكبير من مشاهير علمآء الرياضيات في القرن المذكور انهُ صنع تمثال انسان نصبهُ على باب غرفتهِ كان يفتح للقارع ويستقبلهُ مسلّماً . وذكر الاب سكوت انهُ كان في معرض الاب كِرخَر المشهور تمثال رجلٍ من هذا النوع كان ينطق ببعض كلمات . وروى الاب كِرخَر المذكور وبورتا وغاسندي وغيرهم ان يوحنا مُلَر الرياضي الفلكي المعروف برَجيومنتانوس من اهل القرن الخامس عشر صنع نسراً يطير وذبابةً من حديد كان اذا اطلقها تطير في نواحي الغرفة ثم تعود الى يدهِ . واغرب ما رُوي من هذا القبيل ما ذُكر عن ڤوكنسون الفرنسويّ الحِيَليّ المشهور وكان من رجال المجمع العلمي في القرن الثامن عشر من انهُ صنع تمثال بطةٍ كانت تاكل وتشرب وتغمس رأسها في المآء وتصوّت كالبط الطبيعي وتنفض جناحيها وتنتصب على قائمتيها وتلوّي عنقها يمنةً ويسرة وتلتقط الحب من الارض وتبتلعهُ وبالغوا فيها الى غير ذلك . وصنع ايضاً تمثالي رجلين احدهما كان يعزف بالمزمار فيُجري اثنتي عشرة نغمةً في غاية الضبط وكان يحرك شفتيهِ ولسانهُ على المزمار لتكييف الصوت وينقل اصابعهُ على مقتضى النغم . والآخر كان يضرب على الطبل وفي احدى يديهِ مزمار وفي الاخرى مِضرَب فيُجري بالمزمار نغمةً من نغم الرقص ويقرع الطبل باليد الاخرى مع التوفيق بين نغم المزمار وتوقيع الطبل . وذكر

الكُنت دي ريفارول ان الاب ميكال صنع رأسين كبيرين من الصفر (النحاس الاصفر) كانا يتكلمان فيلفظان جُملاً كاملة لفظاً صريحاً . وذكر غيرهُ ان البارون كيلان صنع شخصاً يتحرك حركات الانسان بواسطة لوالب في جوفهِ وجعل فيهِ آلةً تتكلم وكتب في سرّ صناعتهِ هذه كتاباً طُبع في فينا سنة ١٧٩١ . ويُروَى ان الاب مارينوس مرسان صنع في اوائل القرن السابع عشر ارغوناً ينطق مع النغم بالكلمات . ثم انهُ من عهدٍ قريب توصل بعض علمآء الطبيعة ومنافع الاعضآء (الفسيولوجية) الى محاكاة صوت الانسان بحناجر صناعية يركبونها على آلاتٍ صوتية ومنهم من حاكى بذلك تغريد الطير وربما قلّد اصوات عدة طيور تتراسل في وقتٍ واحد

ومع ما في اكثر هذه المصنوعات من الغرابة التي قد يصعب تصديقها ـ ولسنا ندفع ان يكون في بعضها شيءٌ من المبالغة ـ فليست مما يستحيل على ذكآء الانسان وصبرهِ مع توغلهِ في اسرار الصناعة والعلم . وقد رأينا مرةً مثل ذلك رأي العين وهو علبةٌ لطيفة كانت معروضةً في احدى اسواق بيروت سنة ١٨٧٣ فيها آلةٌ تدار بمفتاح كما تدار الساعة فلما أُديرت انفتح بابٌ صغيرٌ في اعلاها وبرز منهُ طائرٌ صغير من ذهب لهُ ريشٌ ملون باجمل الالوان فوقف على غطآء العلبة وشرع يغرد تغريداً شجياً اشبه بتغريد الكناريّ وكان في اثنآء ذلك يحرّك حنكهُ ومنقارهُ ويلوي عنقهُ الى كل جهة ويموج بعض جسمهِ في بعض حتى كان كل ريشةٍ منهُ تنتفض وحدها ولبث على تغريدهِ مدة عشر دقائق ثم عاد الى جوف العلبة فانطبق الباب فوقهُ . على انا نرى كل يومٍ شيئاً من امثال هذه المصنوعات من

آلات الموسيقى المعروفة ذات الفصول المطربة والالعاب الصبيانية المتحركة وغير ذلك مما بني كلهُ على علم الحِيَل والله اعلم

القوى العاقلة في الحيوان

من قلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

لا شك ان من اجل واهم مباحث الانسان بحثهُ عن نفسهِ وعمّا حولهُ من الكائنات التي تشترك معهُ في صفاتهِ وقد وقفت في مجلة الضيآء المنيرة على كلامٍ في هذا البحث لجناب الكاتب الفاضل خليل بك سعد يُتوسم من خلالهِ الحكم بالمساواة بين الانسان المخلوق على صورة الله والبهيمة وهو من الآرآء التي احب ان انزّه حضرة الكاتب عن الذهاب اليها ولذلك ارجو ان يسمح لي ببيان ما اراهُ لا ينطبق على الصواب في مقالتهِ الاولى والثانية وان يحسن فيَّ الظن باخلاصي في البحث مع اقراري بفضلهِ في قضايا اثبتها هناك لا يسعني ذكرها في هذا المقام

ثم ارجو منهُ ان لا يتعرض في هذا البحث لذكر اقوال الكتاب تنزيهاً لهُ عن التأويل الزائغ ولعدم امكان استنتاج شيء منهُ ينطبق على مرادهِ ولذلك اقصر البحث معهُ على الوجوه المعقولة فاقول

استنتج حضرة الكاتب وجود مبدأ عقلي في الحيوان كلهِ استناداً على حوادث ذكرها هناك ترجع كلها الى مبدأ حساس من غير حاجةٍ الى تكلف القول بوجود مبدأ عقلي فان هذه النتيجة اي وجود المبدأ العقلي غير لازمة

بحسب اصول القياس اذ لا وجود لها في المقدمات التي بنى عليها هذا الحكم كما سأقررهُ

ولايضاح ذلك اذكر هنا ما يشترك فيهِ الانسان والبهيمة على قدر ما يسع المقام فاقول ان للبهيمة نفس الحواس الظاهرة التي للانسان يستخدمها كلٌّ منها لادراك ما يحيط بهِ من الاجسام الخارجة على وجه مخصوص في كلٍّ من السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهي وان كانت عامةً في كل انواعهِ فقد تتفاوت حتى تكون في بعض الانواعِ اتم منها في الانسان مثل بصر الخيل وسمع الخلد وغير ذلك مما لا يخفى

ومما يشترك فيهِ الانسان والبهيمة الحواس الباطنة وهي قوى يكمل بها الادراك الباطني وهي غير الحواس الظاهرة التي تكون بمنزلة جواسيس لها في الادراك وهذه القوى خمس ايضاً وهي الحس المشترك والخيال والقوة الوهمية والمتخيلة والحافظة

فاما الحس المشترك فهو القوة التي ترتسم بها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الظاهرة في الدماغ مركز الحس العام فتطالعها النفس هناك وتدركها وهي بمقام معرض عام جامع لكل الصور المحسوسة حيث تقابل وتضم منها المتشابهات وتبعد المتضادات ولولا هذه القوة لما امكننا الحكم على شيء لا سلباً ولا ايجاباً فان القاضي يتعذر عليهِ الحكم ما لم يكن الخصمان حاضرين لديهِ حتى يمكنهُ ملاحظة النسبة بين الاثنين وايقاع احد طرفيها على الآخر ولا غنى عنها بالعقل الذي من شأنهِ ادراك الكليات

واما الخيال فهو قوةٌ تُحفظ بها الصور المرتسمة في الحس المشترك اذا غابت

المحسوسات وهي بمقام خزانة لهُ وبها يُعرَف من يُرى ثم يغيب ثم يحضر ولولا هذه القوة لما امكننا معرفة احد وعدِم التمييز بين الضارّ والنافع والصديق والعدوّ ولولا وجود هذه القوة في البهيمة لما بنى الطير اعشاشهُ والنمل قراهُ على اسلوب عجيب غريب ولولم تحفظ اناث النحل اضرار ذكورها لما قامت عليها ولم تبقِ منها سوى ذكرٍ يحفظ نوعها في الكيان

واما القوة الوهمية فهي قوةٌ تدرك المعاني الجزئيّة المتعلقة بالصور المحسوسة كالمداوة التي تدركها الشاة من الذئب فتهرب منهُ والمحبة التي تدركها السخلة من امها فتلوذ بها والمنفعة التي يدركها الحمار من النبات الصالح لغذآئهِ فيأكلهُ والمضرة التي يدركها من السامّ فيتجنبهُ ما لم يشتبه عليهِ في ظاهرهِ

واما الحافظة فهي القوة التي تُحفظ بها المعاني الجزئيّة التي تدركها الوهمية كالخزانة لها ونسبتها الى الوهمية نسبة الخيال الى الحس المشترك ولولا هذه القوة في الحيوان لما قضى عملاً كاملاً في كل حياتهِ فلو لم يذكر الوحش سد جوعهِ لما طلب الصيد وخاطر على نفسهِ ولو لم يذكر الطير فراخهُ لما سعى نهارهُ في طلب القوت لها

واما المتخيلة فهي القوة التي تتصرف في المعاني الجزئيّة والصور المحسوسة بالتركيب او بالتفصيل واذا أُسندت الى الوهم في احكامها وافعالها كانت بديهة غريزية وان اسندت الى العقل كانت قوة مفكرة وهي قد تكون في بعض انواع الحيوان اتم منها في الانسان حتى يكاد يخرج عن رتبتهِ التي وُضع فيها والى هذه القوة ترجع كل افعال البهيمة التي تدل في ظاهرها على تعقل وهي لا تخلو من القياس بان تقاس صورة على صورة قياساً حسياً لا دخل

فيهِ للعقل

ومما تقدم يعلم جلياً ان المبدأ الحساس اتم في البهيمة منهُ في الانسان ولذلك نرى ان البهائم تولد كاملة حاصلة على كل قواها لا تحتاج الى شيء في كل اعمالها بخلاف الانسان فانهُ يولد ضعيفاً بالطبع لا يقوى على شيء بحيث انهُ لو تُرِك وشأنهُ على وجه الارض لما بقي يوماً من الدهر لما بهِ من الحاجة والضعف لكن بفضل عقلهِ وتعاون افرادهِ حصل على هذا الكمال من حيث اتقان الاعمال واكتساب المعارف والعلوم والجد في الكشف والاختراع ولن يزال جارياً في هذا السبيل الى ما شآء الله ولذلك لا تجوز نسبة تلك الافعال التي ذكرها حضرة الكاتب الفاضل الى مبدأ عقلي من شأنهِ ادراك الكليات وهو مما تقصر عنهُ بدائة البهائم بل يجب نسبتها الى مبدإٍ حساس واحد في الانسان وسائر الحيوان

اما كلامهُ عن اللغة فعلى ما ارى انهُ قد خلط بين الاصوات والالفاظ المنطقية التي امتاز بها الانسان على ان هذه الاصوات يأتيها الانسان والبهيمة على السوآء وتدل دلالةً طبعية لا وضعية فلا دخل لها في اللغة لان الدلالة الوضعية لا بد فيها من تواطؤ مما يستحيل على بدائة البهيمة ولا سيما ان اكثر معاني الذوات والاحداث من الكليات لا تحضر بالعيان ولا تقع تحت الحواس فضلاً عما يلزم للاسناد من الحكم العقلي والتصرف فيهِ ولاسيما اذا كانت اللغة ذات اعراب مما تتغير بهِ اواخر الالفاظ لاختلاف موقعها في التركيب من فاعل ومفعول الى كثير من الحالات في الاسمآء والافعال . وعليهِ فلا يخرج لفظ الببغآء مهما كان واضحاً عما ذكرنا من كونهِ صادراً عن

مبدإٍ حساس. وكذلك كلامهُ في القوى الادبية لايخرج عن المبدأ الحساس كما تقدمت الاشارة اليهِ مما لا يسمح ضيق المقام بالتفصيل في بيانهِ. اما اذا كان مرادهُ بهذه القوة الذمة والضمير فهو مردود لانهُ حكمٌ عقليٌّ مدارهُ على مبادئ الآداب وهي كلية لا يقدر ان يدركها المبدأ الحساس. على انهُ لو كانت الآداب تشمل كل انواع الحيوان وهي نسبية من حيث المعرفة فاين امانة الهرّ الذي يعض احياناً اليد التي تحسن اليه واين ذمة الفرس التي ترفس صاحبها او خادمها واين شرف الاسد الذي يفترس خادمهُ الذي يقدم لهُ غذاءهُ واين تعقل الحية التي تسطو احياناً على من لا يؤذيها الى غير ذلك من المسائل التي لا جواب عليها الا القول بان الطبع غلاب وانهُ لا يردهُ عن جماحهِ الا العقل الذي بهِ يميز بين الخطأ والصواب

العطش

اختلفوا في العطش هل هو وجدانٌ موضعي او عام فذهب بعضهم الى انهُ موضعيٌّ وجعل محلهُ مؤخر الحلق لانهُ وجد أن العطش كثيراً ما يكفي لنقعهِ التغرغر بالماء او ترطيب الحنجرة بقطراتٍ من حامض الليمون ونحوهِ لكن وُجد بعد الامتحان ان ذلك لا يدوم الا وقتاً قصيراً ثم لا يلبث العطش ان يعود. وقد عمد كلود برنار الى تحقيق هذه المسئلة فقطع مريء حصانٍ من وسط العنق وادخل هناك انبوباً من الزجاج جعل طرفهُ الى الاعلى بحيث اذا شرب الحصان يمرّ الماء في داخل الحنجرة ويخرج من الانبوب ثم امتحن سقيهُ فكان يشرب الى عشرين دلواً ولا يروى.

وامتحن ذلك غيرهُ بان قطع العصب المتشعب من مؤخر الحلق واللسان وما جاورهما فلم ينقطع العطش فثبت لهم من هذين الامتحانين ان العطش غير منحصر في موضع بعينهِ . ومما يُثبت ان العطش وجدانٌ عامٌ في الجسم انهُ يمكن قطعهُ بحقن المآء في الاوردة وانهُ في بعض احوال تمدد المعدة تُرسَل الاشربة من طريق المستقيم وذلك مع ما مشهور من حصول الريّ بالاستحمام حتى ان البحارة كثيراً ما اذا نفد ماؤهم يستغنون عنهُ بالانغماس في مآء البحر

ثم ان العطش عامٌ لجميع انواع الحيوان وان تفاوتت حاجتها الى المآء وما لا يشرب منها فانهُ يجتزئ عن الشرب بما في المآكل من الرطوبة لانها لا تخلو من المآء . وللعطش في الغالب اوقاتٌ يحتاج فيها الجسم الى المآء وذلك اولاً بعد الطعام عند تحول الغذآء الى كيموس لكثرة ما يحدث هناك من الافراز الغُدّيّ بانسكاب اللعاب والمفرز المعديّ والبنكرياسيّ في القناة الهضمية فتحتاج البنية الى استعاضة ما تحوّل عنها من هذه المفرزات . وثانياً بعد العرق المفرط فان الغدد العرقية تطلب عوض ما تحلّب منها . وثالثاً بعد حصول افرازٍ كثير من الكليتين كما يحدث بعد تناول الموادّ المدرّة كالديجيتال (كفّ الثعلب) ونترات البوتاس (ملح البارود) وغيرهما وكما يعرض لاصحاب المرض السكّري . ورابعاً بعد الفصد والرعاف وما اشبههُ والاعمال الجراحية لاحتياج الدم الى التعويض ومن ذلك ما يُرى من حال الجرحى في الحرب فانهُ يشتدّ عطشهم ويلحّون في طلب المآء . وخامساً عند حصول ارتشاحٍ في الموادّ المآئية كما في امراض الصفاق

(البريتون) والغشآء المستبطن للصدر (البليورة) . وسادساً في حال الارضاع لفقد المرضع المآء الذي يكون في اللبن

والعطش يكون عند آكلات العشب من الحيوان اكثر منهُ عند آكلات اللحم فان آكلات العشب تحتاج في هضم ما تاكلهُ الى مقدارٍ كثير من المآء لتوفير اللعاب والعصارة المَعدية اللذين يتمّ بهما الهضم وهي تحتاج الى ان تخزن في معدها مآءً كثيراً ولا سيما في الكرش والا جفَّت الموادّ النباتية في معدها ونشأت فيها موادّ حَصَوية . وبخلافها آكلة اللحوم فانها تكون اقل عطشاً فقد ذُكر ان هرّةً لبثت ثمانية عشر شهراً لم تشرب والاسود في اقفاصها قد تبقى مدة الشتآء كلهِ بدون شرب

اما مراتب العطش فانهُ يبدأ بخبث نفس وجفافٍ ويبس في الحلق والحنجرة لا يلبث ان يمتدّ الى الفم وغشآء النطع (سقف الحلق) ويشعر العطشان بتوهجٍ مُمضّ ويعصب ريقهُ ويتلزج ويشعر بعسرٍ في الازدراد وضيقٍ في الحلق . واذا لم يُطفأ العطش للحال يشعر باضطرابٍ عام وتهيجٍ شديد وتعرض لهُ حمّى وقلق وكربٌ مبرّح ويسرع النبض والنَفَس ويحدث لهُ بعد ذلك هذيان ثم يعقبهُ موتٌ شاقٌ . انتهى محصلاً عن بعض المجلات الطبية الاجنبية

فوائد

علاجٌ لتسمين المهزولين — اكتشف اثنان من مشاهير الاطبآء في تورين نوعاً من العلاج لتسمين المهزولين وهو ان يُحقن تحت الجلد بحقنةٍ

مخصوصة بشيء من زيت الزيتون ولهذا الزيت من الخواص المغذية ما لا يجهلهُ احد وقد علم بالاختبار انهُ اذا دخل الجسم من طريق الجلد كان اسهل امتصاصاً منهُ من طريق المعدة

وقد اجرى الطبيبان المذكوران هذا الامتحان في خمسة اشخاص مسنّين مختلفي الامزجة فتبين ان هؤلاء كلهم فضلاً عن زيادة الوزن في اجسامهم قد ظهر فيهم تحسنٌ عام في سائر احوال البنية

علاجٌ لأَبن الرجلين (المسامير) ـ يؤخذ ٣٠ قمحة من الحامض السليسيليك و ١٠ قمحات من القنَّب الهندي و ٤ دراهم من الكلوديون وتُمزَج معاً ويُدهن منها كل يوم صباحاً ومساءً

اسئلة واجوبتها

بني سويف ـ قرأت في كتاب مجاني الادب الذي جمعهُ وصححهُ حضرة الاب لويس شيخو مدرّس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت (جزء ٦ صفحة ٥٧) قصيدة لصفي الدين الحلي يقول منها

فقد يقال عثار الرِجْل ان عثرت ولا يقال عثار الرَجْل ان عثرا

وضبط الرجل الثاني بفتح الراء وسكون الجيم ولم اجد لهذه اللفظة معنى في كتب اللغة يوافق المقام . ثم رأيت المؤلف نفسهُ يقول في كتابهِ المسمى بعلم الادب (صفحة ٢٧٦) في الكلام على الجوازات الشعرية ما نصهُ ٧ً تسكين المتحرك كقول المعرّي وقد اسكن الجيم من العين رَجُل (كذا . . ؟)

ثم اورد البيت المذكور فمقتضاهُ ان المراد بالرَجل هنا هو الرَجُل بضم الجيم فجآء المعنى في غاية الاضطراب بل الفساد كما هو ظاهر لانهُ لا يمكن ان مثل الحلي او المعري (على احد قولي هذا المحقق) يقابل الرَجُل بالرِجل فضلاً عن اننا لم نجد فرقاً بين عثار الرجُل وعثار الرِجل لان الرجُل يعثر برِجلهِ فما صحة ذلك كله

ثم تأذنون لي ان انقل لكم هنا ابياتاً اخر من هذه القصيدة رواها في الموضع المذكور من مجاني الادب على صورةٍ لم افهمها واظن انها لا تخلو من تحريف وهي هذه وقد صدَّرت كل واحدٍ منها برقمٍ من العدد لتسهل الاشارة اليهِ في الجواب

٢ رأى القسيَّ اناتاً عن حقيقتها	فعافها واستشار الصارم الذكرا
٣ فجرَّد العزم من قبل الصفاح لها	مَلْكٌ عن البيض يستغني بما شُهرا
٤ يكاد يقرأ من عنوان همتهِ	ما في صحائف ظهر العتب قد سُطرا
٥ كالبحر والدهر في يومي ندًى وردًى	والليث والغيث في يومي رِعًى وقرى
٠٠٦ كانت عداك لها دستٌ فقد صدعت	حصاة وَجْدك ذاك الدست فانكسرا
٠٠٧ ولا تكدّرهمُ نفساً مطهرةً	فالبحر من يومهِ لا يعرف الكدرا
٨ ظنّوا تأنّيك عن عجزٍ وما علموا	ان التأيُّد فيهم يُعقبُ الظفرا
٩ احسنتهم فبنوا جهلاً وما اعتبروا	بقولكم ومن كفر النعمى فقد كفرا

وهذا البيت الاخير اغربها فانهُ مع كونهِ لا يُفهم لهُ معنى قد جاء مختل الوزن كثيراً بحيث لم يمكني ان اتكهن على اصلهِ فارجو من حضرتكم الاشارة الى صحة هذه الابيات ولكم الفضل مستفيد

الجواب ـ اما القصيدة فالصحيح انها لصفي الدين الحلي وما ورد في كتاب علم الادب من ان البيت للمعري سهوٌ . واما رواية الابيات فالصحيح في رواية عجز البيت الاول عثار « الرأي » قابلهُ بعثار الرجل من طريق الاستعارة المكنية طلباً للمشاكلة كما قال الآخر

فعثرتهُ من فيهِ ترمي لسانهُ وعثرتهُ بالرجل تبرا على مهلِ

والصواب في رواية البيت الثاني اناثاً « في » حقيقتها . وفي الثالث « البَيض » بفتح الباء جمع بيضة بمعنى الخوذة و« شَهَرا » بصيغة المعلوم والضمير للممدوح يعني بما شهرهُ السيف يقول انهُ يتقي سيوف الاقران بسيفهِ لا بخوذتهِ لانهُ يهزمهم بهِ ولا يمكنهم من الدنوّ اليهِ حتى تعلو سيوفهم راسهُ . وفي الرابع ظهر « الغيب » بغينٍ معجمة وبعدها مثناة تحتية وهو ظاهر . وفي الخامس في يومي « وغًى » وقرى والوغى الحرب وفي كلا شطري البيت لفٌّ ونشرٌ لا يخفى . وفي السادس حصاة « جَدّك » اي سمدك . وفي السابع ولا تكدّر « بهم » نفساً مطهرةً يعني نفس الممدوح وضمير الجماعة يعود على العدى المذكورين في قولهِ قبل

وارعب قلوب العدى تُنصر بخذلهم ان النبيّ بفضل الرعب قد نُصرا

وفي الثامن « التأني » عوض « التأيُّد » وهو ظاهر كما يدل عليهِ الشطر الاول . وصحة رواية البيت الاخير

« احسنتمُ » فبغوا جهلاً وما « اعترفوا لكم » ومن كفر النعمى فقد كفرا

آثار ادبيّة

الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ـ قد صدر المجلد الثاني والثالث من هذا المؤلَّف الخطير لمؤلفهِ الفاضل اللوذعي ميخائيل شاروبيم بك رئيس النيابة العمومية في محكمة المنصورة الاهلية سابقاً وأحد مفتشي نظارة المالية الجليلة حالاً وقد سبق لنا تقريظ المجلد الاول من هذا الكتاب الجليل في الجزء الثالث من السنة الماضية . والمجلد الثاني يشتمل على ٥٢٥ صفحة كبيرة ضمنّها اخبار العرب في الجاهلية وتاريخ ظهور الاسلام وما يليهِ من تواريخ الخلفآء في الحجاز والشأم والعراق ومصر وماتخالل ذلك من ظهور الدولة الطولونية والاخشيدية والفاطمية والجركسية من الدول التي تعاقبت على الديار المصرية . والثالث يشتمل على ٣١٥ صفحة ابتدأها بذكر الاتراك ونسبهم وما تفرع عنهم من الممالك ثم تاريخ دولة آل عثمان الى قدوم السلطان سليم الى مصر واستخلاصها من ايدي الجراكسة وما عقب ذلك من الشؤون الى دخول نابليون الاول مصر وجلآئهِ عنها ثم ما كان بعد هذه الحوادث الى ولاية محمد علي باشا . وكل ذلك بعبارةٍ رائقة جزلة الالفاظ حسنة السبك واضحة المغزى مطّردة الاسلوب كانها نسيجٌ واحد

ولا يخفى ان هذا المصنَّف وحيدٌ في بابهِ ولا سيما مع ما فيهِ من الاحاطة والتفصيل بحيث صار المطبوع منهُ الى الآن ما ينيف على ١٢٠٠ صفحة . وسيتلوهُ الجزء الرابع واولهُ ترجمة حال محمد علي باشا ثم اخبار ولايتهِ واخبار من تولى بعدهُ من ذريتهِ الى وفاة ساكن الجنان المرحوم محمد

توفيق باشا . فنسأَل الله ان يأْخذ بيدهِ الى تمام هذا التأليف ونحث المتأَدبين وارباب المطالعة على مقتنى هذه الذخيرة الثمينة

القواعد العمومية لتسهيل اللغة الانكليزية ــ اهديت لنا نسخةٌ من الجزء الاول من هذا الكتاب المفيد لحضرة مؤلفيهِ الاديبين مصطفى افندي توفيق من اساتذة المدارس التجهيزية ومحمد افندي صادق مدرّس اللغة الانكليزية في المدرسة العثمانية . وقد جمعا في هذا الجزء جميع الالفاظ الانكليزية التي يتشابه منطوقها ويختلف هجآؤُها ومعناها مرتبةً على حروف الهجآء وهي تبلغ ما يقرب من ثماني مئة لفظة مشفوعةً بتفسيرها باللغة الانكليزية ومقابلةً بمرادفها من اللغة العربية . ولا يخفى ما في هذا النسق من الفائدة لطلبة هذه اللغة مع ما فيهِ من الاعانة على استظهار هذه الالفاظ وسهولة الوقوف على ما بينها من الفروق فنثني على حضرة المؤلفين الاديبين طيب الثنآء ونتمنى لهذا التأليف المفيد اتم الرواج

تحفة الابنآء في دروس الاشيآء ــ هو مؤلف لطيف لحضرة الاديب منقريوس افندي جرجس احد الاساتذة في مدرسة الاميركان بالقاهرة اودعهُ فوائد جمة في الكلام على اشهر صنوف المواليد الثلاثة من الحيوان والنبات والجماد مع الالمام بذكر بعض المصنوعات مما يستفيد منهُ الناشئون ويقتبسون معرفتهُ على الطريقة العلمية فنحث ارباب المدارس على اقتنائهِ ونتمنى لهُ مزيد الرواج

فكاهات

رواية

الاختين [1]

لا يجهل القرآء ما كانت عليهِ الاسكندرية في نهاية شهر اوغسطس من سنة ١٨٨٣ من وقوف الاعمال واشتغال الافكار بحركة الدوارع الانكليزية من الخارج والجنود المصرية من الداخل وما كان ثمة من المذابح والمخاوف مما كاد يجعل تلك المدينة قاعاً صفصفاً . ومما زاد في وحشة المدينة مهاجرة الكثيرين من سكانها اذ كانوا يتدافعون الى البحر تباعاً هرباً من تيار ذلك البلآء الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

الا ان كثيرين لم يتسنَّ لهم الرحيل بسبب قلة ذات اليد او الانهماك في احوالٍ خاصة ولا سيما ارباب العيال ممن لا يتيسر سفرهم الا بعد استعداد طويل . وكان في شارع العطارين مسكنٌ يقطنهُ رجلٌ يدعى بطرس ... وزوجتهُ وطفلان لهُ وكان بطرس مناهزاً للخمسين من عمرهِ وهو رجل وقور الهيئة حسن الطلعة كريم الخصال كامل الصفات لم يستولِ على قلبهِ سلطان الهوى الا قُبَيل ذلك العمر فاقترن بفتاة تنتسب اليهِ ورزقهُ الله منها ابنتين توأمين قبل الحادثة العرابية بقليل من الزمن . فلما اخذ القوم في

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الرحيل حالت دون سفرهِ اقوى المثبطات واهمها بقآء زوجته على فراش نفاسها والطفلتان فلم يدرِ كيف يمكنهُ نقل الثلاث ولا سيما زوجتهُ وهي في مثل تلك الحالة ولما لم يجد بدًّا من البقآء سلّم امرهُ الى الله واقام يتوقع ما يجيءُ بهِ القدر . ولما اشتدت الفتنة وتفاقم الهياج في المدينة اخذت الكرات تتطاير فيسمع لها دويٌّ عظيم يتبعهُ اعظم منهُ من سقوط الابنية ودكّ القلاع فوقع على زوجة بطرس رعبٌ عظيم وخافت على زوجها وطفلتيها واخذت تسخط على نفسها لانها كانت هي السبب في تخلف زوجها عن السفر والتخلص من شر تلك النكبات فأثر ذلك في صحتها ولا سيما مع تواتر الرعب وارتفاع الصيحة في البلد ووجدت الحمى محلاً ضعيفاً في جسم تلك الوالدة المسكينة فتمكنت منها وقبل ان تهدأ الحال و يعود الأمن كانت قد غادرت دار الفنآء تاركةً زوجها والطفلتين . وكانت هذه الضربة الاخيرة اعظم مما يقوى بطرس على احتمالهِ فحنت ظهرهُ واذهبت رشدهُ ولبث حيران يقلب نظرهُ من جثة زوجتهِ الباردة الى طفلتيهِ ويذرف دمعاً مدراراً وهو لا يرى من يكلمهُ بكلمةٍ تدرأ عن قلبهِ الكسير ما يلقاهُ من اليم الاحزان

ولم يدرِ بطرس باي وسيلةٍ ينقل زوجتهُ الى المدفن ومن يقوم لهُ بهذا العمل فكان ذلك يزيد في حزنهِ وهمّهِ واخيراً ادخل جثة زوجتهِ الى احدى الغرف وتركها موسدة على السرير ثم اغلق الباب وخرج الى طفلتيهِ فاحتضنهما وجعل يبكي ولم يكفكف عبرتهُ حتى اخذت الطفلتان في البكآء ايضاً فدفعتهُ الغريزة الى استعمال ما يسكتهما بهِ وكان قد بقي في البيت قليلٌ من اللبن الذي كانتا ترضعان منهُ فوضعهُ في زجاجةٍ وجعل يجرعهما منهُ شيئاً فشيئاً

الى ان ارتوتا ونامتا فعاد الى بكآئهِ ومضت عليهِ ثلاثة ايام على هذه الحالة لقي فيها اشد العذاب والبلآء. ولما لم يعد يحتمل البقآء وكانت الرائحة الكريهة تنبعث من غرفة الميتة عزم على مغادرة البيت فحمل الطفلتين وخرج واسعدهُ الحظ ان رأى عربة الصحة تنقل بعض الجرحى الى المستشفى ويحرسها ضابط من الفرسان فجثا امامهُ وطلب اليهِ ان ينقلهُ معهم وادركت الشفقة قلب الضابط فوقف العربة وادخل الرجل وابنتيهِ ولما بلغ الجميع المستشفى وافت الراهبات يلاقين مرضاهم ومن جملتهم الطفلتان فاخذتهما الرئيسة مع والدهما الى غرفة على حدة و بعد ان علمت قصتهُ حزنت على مصابهِ ووعدتهُ خيراً ثم ارسلت من استدل على جثة الزوجة المائتة فدفنوها واقام بطرس في المستشفى مع الطفلتين وكانت الراهبة تعتني بهما اعتنآء الام باولادها

ولم تمضِ مدةٌ طويلة حتى هدأت الاحوال واستتبَّ الامن فخرج بطرس بابنتيهِ من المستشفى ولما كانت الراهبة عالمة بحالهِ نقدتهُ ما تيسر وزودتهُ بكتاب توصية الى احد تجار الانكليز واوصتهُ ان يأتيها بالابنتين كلما امكنهُ لتراهما وتطمئنَّ عن احوال معيشتهِ. فودعها وكلهُ ألسنة ناطقة بشكرها وكان قد اكترى لهُ بيتاً صغيراً قبل خروجهِ من المستشفى عند امرأة ارملة وعدتهُ ان تعتني بابنتيهِ فانطلق اليهِ . واخذ من ليلتهِ يسعى ورآء الشغل فقصد التاجر المذكور وقدم اليهِ كتاب الراهبة فتناولهُ وقرأهُ ووعد بطرس بالخير ثم عينهُ صرافاً في محلهِ فاقام في خدمتهِ . وكان بطرس لا يهمهُ الا الاعتنآء بابنتيهِ وقد رأى بهما سلوةً وعزآء فكان لا يصدق ان يعود من شغلهِ فيحتضنهما الى ان تناما . وكان لم ينسَ وعدهُ للراهبة بزيارتها في كل

اسبوع فلما نشأت الابنتان ادخلهما بواسطتها الى مدرسة يومية حيث كانتا تتلقيان في النهار علومهما المدرسية وفي الليل الفضائل الادبية عن والدهما

وفي سنة ١٨٩٨ بلغت الابنتان الخامسة عشرة من العمر وكانتا قد انهتا دروسهما وكان بطرس قد حسنت احوالهُ المالية فاتخذ لهُ بيتاً حسناً واقامت الفتاتان فيهِ ترتبانهِ وعادت الاصدقآء الى زيارتهم فجعل بطرس يعود شيئاً فشيئاً الى هنآئهِ الماضي لولا كسر قلبهِ الذي يصعب جبرهُ . اما الابنتان فكانتا تجتهدان في استعمال كل الوسائط لراحة والدهما ورفاهيتهِ وكان اسم الواحدة على اسم والدتها سلمى واسم الثانية وداد

وكان من جملة المترددين على بيت بطرس نسيبٌ لهُ يقال لهُ سليم ... وهو فتًى في الحادية والعشرين من عمرهِ حسن الهيئة جميل الخصال كان قد مال قلبهُ الى سلمى فاحبها شديداً واكثر من زيارتها وقد وطن نفسهُ على الاقتران بها ولم تجهل سلمى ما اضمرهُ سليم فاستبشرت من ذلك بمستقبل سعيد غيران الامر بقي ضميراً مكتوماً عند كلا الطرفين . اما وداد فانها منذ رأت سليماً في اول مرة شعرت بانعطاف قلبها اليهِ واشتداد محبتها لهُ الا انهُ كان معرضاً عنها لا يكاد يميرها طرفهُ ولكن ذلك لم يكن ليضعف من حبها لهُ بل كانت تزداد شغفاً بهِ وميلاً اليهِ

ولما طال الامر على ذلك وهي لا ترى منهُ الا اعراضاً عنها وميلاً الى سلمى حدثتها نفسها ذات يوم ان تصرح لهُ ببعض ما عندها فانتظرت قدومهُ في المسآء ولما جآء جلس بقرب سلمى يحادثها وقد تفرغ لها بكليتهِ ووقف عليها جميع حواسهِ فرأت وداد ان لا امل لها في محادثتهِ تلك الليلة

فلبثت حيناً تساورها الهموم ثم نهضت فاستأذنت معتذرةً بان بها صداعاً اليماً يلجئها الى الرقاد ودخلت الى غرفتها حيث انطرحت على سريرها تفكر فيما عسى ان يكون . ولما انتصف الليل انصرف الزائرون وذهب كلٌّ الى رقادهِ ودخلت سلمى الى غرفتها حيث تنام وداد ايضاً ولكنها عوض ان تنام جلست الى مائدة في الغرفة وجعلت تفكر وهي في حالةٍ قلقة . وبينا هي كذلك دعا انتباهها حركةٌ في سرير شقيقتها فنظرت ولما رأتها لا تزال مستيقظة قالت لها ألم تنامي بعد يا وداد . قالت لا ولا ارى انهُ يمكنني ذلك الآن . قالت اذا كان كذلك فهل لكِ ان تسمعي مني حادثة سرّية وتؤازريني برأيكِ ايتها الشقيقة . فاستوت وداد جالسة في سريرها وقالت هاتي ما لديكِ . فدنت سلمى وجلست الى جانبها ثم اخذت في الكلام فقالت

لا اخفي عنكِ يا شقيقتي ان سليماً كلما جاء يجالسني ويحادثني ولا ادري أمن معاشرتهِ اليومية ام من عوامل داخلية اراني قد ملت اليهِ و... واحببتهُ ولكن لم تكن محبتي لهُ الا كمحبتي لكِ غير اني كنت الاحظ انهُ يود مني غير ذلك مع انهُ لم يفه امامي بكلمةٍ في هذا الشأن . ولا اطيل الكلام على ما ذكرت بل اقول انهُ الآن بعد ان عزم على الانصراف وودع الجميع اتى فودعني ووضع في يدي هذه التذكرة وقبل ان يمهلني لانظر ما فيها اختفى فاتيت الى هنا وانا حيرى لا اعلم ماذا افعل أأعطي التذكرة لوالدي ام اقرأها ام اردها اليهِ . فقالت وداد لا ارى من الحكمة ارجاعها الى سليم بل يكون ضرباً من اساءة الادب ان تردّيها اليهِ قبل ان تعرفي ما فيها واما اطلاع والدي عليها فاظن ايضاً انهُ لا يليق الآن لانهُ لو شاء

سليم ان يطلعهُ على ما فيها لما سلمها اليكِ سرًّا وعلى كل حال ارى ان تفضي هذا الغلاف فنطلع على ما تتضمنهُ الرسالة ثم نفعل بحسبهِ . قالت سلمى اصبتِ ايتها الشقيقة ومع ذلك فلا اراني اقوى على تلاوة هذه التذكرة فخذيها واقرئيها انتِ . فتناولت وداد التذكرة بيدٍ مرتجفة وهي متشوقة ان تطلع على ما كتب محبوبها سليم وتخاف ان تجد في الرسالة ما يقطع حبل املها منهُ فتموت غمًّا . غير انها تجلَّدت وفضت الغلاف ثم اخذت تقرأ بصوت يرتجف وقلب يخفق فاذا في الرسالة ما يأتي

حبيبتي الوحيدة ومالكة فؤادي سلمى

لم اعد استطيع الكتمان فان حبكِ قد اضنى جسدي واضعف جلدي وغادرني ذا فكرٍ حائر وجفنٍ ساهر واحسب انهُ ان كان عندكِ عشر معشار ما عندي فهو كافٍ لان ترحمي شبابي الذابل وتنعشي حياتي المائتة بكلمةٍ من فيكِ اعلم بها انكِ تحبينني وانكِ لي . عديني ان تمني عليَّ بهذه النعمة وانكِ تستولين على عرش قلبي الذي وقفتهُ لملككِ بل وقفت كل دقيقةٍ من وجودي لكِ فهذا القلب لا يضرب الاَّ لقربكِ وهذا الدم لا يجري في عروقي الا على امل الحصول عليكِ . انتظر منكِ كلمةً او اشارةً واحدة تحقق املي وانا في موقفٍ بين السعادة ان منتِ والشقاء ان ابيتِ فانتِ مخيرةٌ في الروح التي في يديكِ يا مالكة فؤاد محبكِ　　　　سليم

وكانت سلمى منهمكة في استيعاب الكلام فلم تنتبه الى اضطراب وداد وتغيُّر احوالها وبعد ان صمتت الاختان ساعةً وكلٌّ منهما تتبع سير افكارها قالت سلمى وما رأيكِ يا وداد . قالت ماذا تشعرين انتِ هل تحبين سليماً

وهل تودين ان يكون بعلاً لكِ . قالت سلمى انا لا افضل عليهِ احداً بل الحق اقول انهُ قد تملك قلبي من زمان وانا اسيرة هواهُ . فصمتت وداد ايضاً وهي تفكر وكانت تحب اختها محبة لا مزيد عليها فصممت ان تضحي نفسها في سبيل حظها كما انها لفرط محبتها السليم لم تشأ ان تنغص عليهِ امنيتهُ فالتفتت الى اختها وقالت ارى الى تجيبيهِ الى طلبهِ وتوصيهِ ان يُعلِم والدي بالامر قبل كل شيء ثم ان يجري فيهِ على طريقةٍ رسمية . قالت ذاك اليكِ فاجيبيهِ بما ترين فكتبت وداد ما يأتي

حضرة الخواجا سليم

اخذت تذكرتك وكنت اودُّ انها وصلتني من يد والدي فها انا اردُّها اليك لترسلها ثانيةً على يدهِ واذ ذاك اجيبك خيراً ان شآء الله

ثم دفعتها الى سلمى فوقَّعت عليها وبعد ذلك اوت كلٌّ من الاختين الى فراشها فنامت سلمى نوماً هنيئاً واما وداد فلم تغمض اجفانها وفي صدرها ما يمزقهُ وفي القلب ما يسيل دمآءهُ

ولما كان اليوم الثاني مرَّ سليم امام بيت بطرس وكانت سلمى على نافذة غرفتها فحياها فرمت اليهِ رسالتها ودخلت . وكان بعد ذلك ان جآء سليم الى بطرس وخطب اليهِ ابنتهُ سلمى فلم يمانع الاب بعد سؤال ابنتهِ لما كان يعلمهُ من صفات سليم وسائر احوالهِ ولم يمضِ الكثير حتى اقترن سليم بسلمى وكان لهما فرحٌ عظيم اشترك فيهِ الجميع حتى وداد فانها كانت تضمد جراحات قلبها بما تضمرهُ من الحب الصحيح لاختها وحبيبها سليم

ثم انهُ في اواسط سنة ١٨٩٩ ظهر في الاسكندرية مرض الطاعون

وخشي الجميع امتدادهُ فاتخذت الحكومة كل الوسائط الفعالة للوقوف في طريقهِ ومنع انتشارهِ واجتهد رجال الصحة في تلافي اخطارهِ وتشديد الاوامر القاضية بحجز المصابين في المستشفى الاميري . وازداد حرص رجال الصحة وتيقظهم حتى تعدَّوا الى الخشونة والفظاظة فكانوا اذا بلغهم خبر مريض هجموا على بيتهِ قبل تحقق مرضهِ فحملوهُ قسراً عن اهلهِ وضربوا من اعترضهم وساقوهُ بالقوة الى المستشفى ولم يُعلم أكان ذلك منهم طمعاً في جزآء وعدتهم الحكومة بهِ ام لمجرد التهويل وتعظيم الامر

وكان قد مضى على اقتران سليم بسلمى تسعة اشهر وقرب وقت ولادها فشعرت ذات يوم بدنو الساعة فذهبت الى سريرها طلباً للراحة . واتفق ان طبيباً من اطبآء الصحة دخل البيت ولما رأى سلمى في سريرها زعم انها مطعونة فامر اهل البيت بالتيقظ وعدم الاقتراب منها الى ان ينهي امرها الى مجلس الصحة وتنقل المريضة الى المستشفى . فلما سمع اهل البيت ذلك هلعت قلوبهم لعلمهم بما اشتهر عن رجال الصحة من الغلظة في معاملة المرضى وكبر الامر على سلمى وخشيت ان هي نُقلت الى المستشفى في تلك الحالة ان يصيبها سوء . ولما خرج الطبيب من البيت جعل الجميع يبكون وقد ايقنوا بحلول مصاب كبير ولم يعلموا باي طريقة يتخلصون من تلك البلية . ولما رأت وداد ما احاق باختها وصهرها من الغم والخوف قالت عليَّ انقاذكما من هذه الورطة . انكم تعلمون مشابهتي لسلمى فسأنام محلها في سريرها حتى اذا جآء رجال الصحة يأخذونني انا عوضاً عنها وعند الفحص يجدون اني صحيحة الجسم فلا يتأخرون عن ارجاعي اليكم وبذا ينتهي الامر . فاستحسن الجميع

رأيها ونهضت سلمى من سريرها واضطجعت وداد في مكانها . وبعد نحو ساعة قُرِع الباب قرعاً عنيفاً وارتفعت الضوضاة من الخارج واذا بالطبيب داخل وبرفقتهِ اربعة رجال كانهم زبانية الجحيم فاندفعوا الى غرفة الفتاة وهمَّ اهل البيت ان يعترضوا عليهم فاسكتوهم بالشتائم والكلام القبيح وهجموا على السرير فاختطفوا الفتاة وساروا بها الى العربة فاقفلوها وذهبوا. ولما بلغت المستشفى نزعوا عنها ثيابها والقوها في سرير كبقية المرضى وارسلوا لها العلاج لتشربهُ فتمنعت قائلةً انني صحيحة الجسم لا اشكو الماً فافحصوني . فقال الطبيب كلاّ فانكِ مصابة بالطاعون فلا بدَّ من تجرعكِ الدوآء. وخافت وداد العاقبة فعزمت ان تصرح بما فعلت ولكنها خافت على شقيقتها فسكتت وكانت كلما صرحت لهم بانها صحيحة الجسم قام الطبيب يوبخها ويعنفها ويجبرها على اخذ الدوآء . وكانت وداد في اشد الخوف والضيق ولا سيما بعد انقضآء اليوم الاول والثاني وكانت لا تذوق قوتاً ولا يسمح لها بغير العلاج . ولما جآء اليوم الثالث سألت الطبيب عن يوم خروجها فقال ان بقيتِ حيةً فلا تخرجين قبل شهر . فلما تحققت ما وصلت اليهِ وادركت الهوة العقمية التي القت بنفسها اليها خارت قواها وايقنت بدنوّ الاجل . وكان قد اثر فيها الخوف وعدم القوت فضعفت صحتها وفقدت قوتها واخذت في التأخر يوماً عن يوم ولما شعرت باقتراب الساعة الاخيرة طلبت ورقاً فكتبت الى صهرها سليم ما يأتي

حبيبي سليم

كنت اود بل كنت اشتهي الموت قبل الآن ولكن الله ابقاني الى

هذا الوقت لاذهب فدًى عن شقيقتي سلمى ولا اقطع حبل سرورك ولكن لا بد قبل موتي من اطلاعك على امر طالما عذبني كتمانهُ . احببتك يا سليم محبة الروح للروح وعبدتك في ليلي ونهاري فانك سلبت فؤادي واسرتني ولم تطلق اسري يا قاسي . بل ما لي ولهذا الكلام المؤثر اني لم اكتم خبر حبي الا رغبةً في تمام سعادتك وسعادة شقيقتي فليهنكما الله وانما اعترفت لك بهِ الآن لأخفف بعض ما يثقل على قلبي غير اني اناشدك الله ان لا تطلع سلمى على شيء منهُ . والآن قد اقتربت النهاية فسأستريح في القبر الذي تدفعني اليهِ ايدي هؤلاء الاطباء الظلمة فهم ليسوا بمجلس صحة وانما هم قضاة الموت . الوداع ايها الحبيب . عزِّ والدي الشيخ وشقيقتي واذا عرفتم قبري فزُر ضريحي وان شئت ان تكافئ محبتي فامطر على ضريحي دمعةً واحدة فبها تنطفئ نار الحب المتأججة في صدري واستودعك الله　　　محبتك الشقية

وداد

ولما جاء الطبيب في اليوم الثاني رأى للحال على وجهها علامة الموت فاستحلفتهُ ان يوصل كتابها الى سليم ولما وعدها وحلف لها ان يقضي الامر تبسمت ثم شهقت وفاضت روحها

ولما وصل الكتاب الى يد سليم اسرع الى المستشفى واستخبر عن وداد فوجد انها قد دُفنت منذ الصباح فبلَّغ خبر الوفاة الى زوجتهِ ووالدها فندبها الاب وبكتها الاخت ولم يزل كتابها في يد سليم يطالعهُ كل يوم ويزور ضريحها حيناً بعد حين وهو يترحم على شهيدة الحب والوفاء .

الشعر

عودٌ على ما سبق

تقدم لنا في الجزء الاول من هذه السنة كلامٌ في حد الشعر وبيان الخصائص التي يمتاز بها عن النثر على قدر ما أدّى اليهِ البحث واعانت عليهِ البصيرة . وتقريراً لما ذكرناهُ هناك نقول ان النثر هو القالب الطبيعي للكلام الموضوع للابانة عن المعاني التي تمثل في النفس يخاطب بهِ العالم والجاهل والذكيّ والبليد والكاتب والأُميّ فوجب ان يكون بحيث تتفاهمهُ هذه الطبقات كلها ويعبر بهِ عن المقاصد بأبين الصور واوضحها وذلك يقضي ولا جرَم بان يُستعمل لكل معنًى اللفظ الموضوع لهُ بحيث يُنتقل من اللفظ الى المعنى من غير واسطة . وبخلافهِ الشعر فانهُ من الكلام الذي يُقصَد بهِ ما وراء مدلول اللفظ من مناغاة النفس ومناجاة الوجدان فتورَّى فيهِ المقاصد تحت الصور الخيالية وتبرَز المعاني تحت ثوبٍ من المجاز او الكناية ونحوهما ولذلك اختصّ بمخاطبات البلغاء وطبقات الكتّاب والمتأدبين ونُحي فيهِ منحى البلاغة في المعنى والتأنق في الالفاظ والاساليب وأُكثر فيهِ من التفنن بالانواع البديعية مما يجمع بعض اطراف المعنى الى بعض بما يربطها من تناسبٍ او تضادّ او غير ذلك بحيث تتألف منهُ صورٌ كاملة على حدّ ما يفعل المصور في تصوير الاشباح والمغني في تأليف النغم . والمقصود من كل ذلك الاستيلاء على قوى النفس وإلباس المعاني المتأدية اليها من طريق الحسّ او العقل ثوباً من الخياليات بعد تلوينهِ باللون الذي يريدهُ

الشاعر تبعاً لغرضهِ

والاغراض الشعرية ترجع في الغالب الى مقصدين احدهما تجسيم المعاني والمبالغة في اظهارها وتمثيلها مما تكون بهِ اشدّ انطباعاً في النفس واثبت اثراً في المدركة على ما تقدمت الاشارة اليهِ . والثاني التأثير في النفس بحدثٍ من الاحداث كالسرور والانقباض والاستئناس والاستيحاش والحب والبغض والخوف والرجاء وغير ذلك . ومن هذا الثاني اخذ المناطقة مايسمونهُ بالقياس الشعريّ وهو عندهم كل ما اثر في النفس بسطاً او قبضاً وذلك كما اذا وصفت الخمر فقلت هي ياقوتةٌ سيالة فان النفس تنبسط اليها وتجد لها ارتياحاً وسروراً وكما اذا وصفت العسل فقلت هو مِرّةٌ مهوّعة[1] فان النفس تنقبض عنهُ وتجد منهُ اشمئزازاً ونفوراً . وقد افصح عن هذا المعنى قول الشاعر

الشعر نارٌ بلا دخانٍ　　وللقوافي رُقًى لطيفه
كم من ثقيل المحلّ سامٍ　　هوت بهِ احرفٌ خفيفه
لو هُجي المسك وهو اهلٌ　　لكل مدحٍ لصار جيفه

واياهُ اراد الآخر في قولهِ

في زخرف القول تزيينٌ لباطلهِ　　والحق قد يعتريهِ سوء تعبيرِ
تقول هذا مُجاج النحل تمدحهُ　　وان ذممتَ تقل قيء الزنابيرِ
مدحٌ وذمٌّ وما غيرّتَ من صفةٍ　　حسن البيان يُرِي الظلماء كالنورِ

وبيّنٌ ان هذا الذي ذكرناهُ من تأثير الشعر غير خاصّ بالكلام المنظوم ولكن كل ما تضمن شيئاً من الاغراض المذكورة وأثر في النفس تأثيرها

(١) المراد بالمرة الخلط المعروف بالصفراء والمهوّعة المستفرغة بالقيء

عدَّ شعراً . وقد قدمنا ان غالب شعر الاقدمين لم يكن على وزنٍ ولا قافية وانما كان الشعر عندهم يمتاز عن النثر بشرف معانيهِ وجزالة الفاظهِ ونوع اسلوبهِ . على ان عندنا من الصيغ النثرية ما يُجزِئ عن الشعر وهو هذا السجع المفصَّل بما يشبه قوافي الشعر فان رنة الفاصلة يكون لها نفس تأثير القافية فلا يبقى ثمة فرقٌ الا بالوزن ولذلك ترى لغة السجع على الغالب تشبه لغة الشعر من حيث التأنق في الالفاظ والتراكيب والاغراب في المعاني وتوخي الصور المجازية وغيرها مما تقدم ذكرهُ . على ان السجع لا يعدم شبهاً من الوزن ونعني بهِ مُراعاة طول القرائن بحيث تكون كل قرينتين متساويتين او قريبتين من التساوي فان ذلك من المستحسنات في السجع بل قد يعاب عكسهُ اذا كان التفاوت بين الفقرتين كثيراً . وهناك نوعٌ آخر من السجع بُني على التوقيع وقُسّم الى اجزاءٍ عروضيةٍ قصيرة وان لم يكن لهُ وزنٌ مخصوص فكان لهُ من الشبَه بالموسيقى ما يقرب من شبَه الشعر . ولم نرَ من هذا النوع الا البنود الخمسة التي رصفها ابن معتوق وقد أُلحقت بآخر ديوانهِ نورد منها قولهُ في البند الاول

ايها الراقدُ في الظلمة نبّه طرْف الفكرة من رقدة الغفلة وانظر اثر القدرة واجلُ غلَس الحيرة في فجر سنى الخبرة وأرنُ الى الفلك الاطلس والعرش وما فيهِ من النقش وهذا الأُفق الادكن في ذا الصنع المتقن والسبع السماوات ففي ذلك آيات ، هدًى تكشف عن صحة اثبات الهٍ كشفت قدرتهُ عن غُرر الصبح وأرخت طرَر النُجح فغدا يفسل من مبسمهِ الاشنب في مضمضتَيْ نور سناهُ لعَس الغيهب واستبدلت

الظلمةُ من عنبرها الاسود بالاشهب　واعتاضت من مفرقها الحالك بالاشيب
وهكذا الى آخر البنود وهو فنٌّ لطيف

واكثر ما تجد السجع الشعريّ في الخُطَب لما تدعو اليهِ من التفنن في المعاني والاشتقاق في الاغراض وتصوير الموصوفات والحوادث بما يميل بالسامع الى غرض الخطيب ويستدرجهُ الى هواهُ. ومن اظهر امثلتهِ الخطب المتضمنة لنوع من انواع المناظرة لما يكون هناك من معترك البلاغة وتصادم الحجج وتهالك كلٍّ من المتناظرين على ادراك الفَلَج فيلوّن كلامهُ بكل صبغةٍ من المجاز ويصوّرهُ بكل صورةٍ من الخيال . وانظر في ذلك مناظرة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة فانهُ ابدع فيها كل الابداع واودعها من المعاني المتخيلة والاختراعات الغريبة ما يقصّر عنهُ كثيرٌ من الشعر المنظوم وما لو نُظِم لجاء من اعلى طبقات الشعر ولولا انها طويلةٌ لسردناها في هذا الموضع وهي مذكورة في خزانة الادب لابن حجة الحموي في الكلام على نوع التغاير فلتراجع هناك . وترى نموذجاً من هذا في البيان فيما صدَّرنا بهِ مقالة القمر وما جاء في صدر ترجمة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني وخاتمتها ومثل ذلك ما جاء في وصف الزُهَرة ومصير الارض في مجلد السنة الاولى من الضياء مما تراهُ في اماكنهِ . وقد اتفق لبعض شعرائنا المجيدين نظم شيء من المقالات المذكورة لما وجدوا فيها من شبه الشعر فنظم المرحوم المأسوف عليهِ نجيب الحداد ما جاء من ذلك في مقالة القمر وزاد عليهِ في قصيدةٍ بديعة نشرت في البيان . وانشدنا مرةً حضرة الفاضل الالمعي مصطفى بك نجيب وكيل ادارة الداخلية في الحكومة المصرية

ابياتاً المَّ فيها ببعض ما ورد في صدر ترجمة السيد جمال الدين وكان يوماً يقرأ هذه الترجمة فمرَّ بهِ ما لم يتمالك عن افراغهِ في قالب النظم وقد علق بالمحفوظ شيءٌ من تلك الابيات نستأذنهُ في ايرادهِ هنا قال حفظهُ الله

نعت النعاة يتيمة الدهرِ وخُلاصة الاحساب والفخرِ
امسى جمال الدين في جدثٍ ضمَّ العلآء ورفعة القدرِ
ليت المنية اخطأت رجلاً همدت بهِ نارٌ من الفكرِ
وعزيمةٌ لا تنتهي صعُدُاً حتى تفوت معارج النسرِ
« دبّت على مجرى فصاحتهِ وأتتهُ بين الفكّ والنحرِ »
« عجبٌ لما فعلت ولا عجبٌ ان يسكن السرطان في البحر »

ومن هذا القبيل ما نقلهُ في خزانة الادب من نظم ابن ابي الاصبع لاحدى خُطب الامام علي في مَدح الدنيا والرّد على من ذمها ولا بأس ان نروي هنا الخطبة والنظم جميعاً لقصرهما قال الامام (رضه)

ايها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها أتغترّ بالدنيا ثم تذمها أأنت المتجرم عليها ام هي المتجرمة عليك . متى استهوتك ام متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى . . قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها ودار عافيةٍ لمن فهم عنها ودار غنًى لمن تزود منها ودار موعظةٍ لمن اتعظ بها . مسجد احباء الله ومصلَّى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلاها البلى

وشوقتهم بسرورها الى السرور . راحت بعافيةٍ وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً فذمها رجالٌ غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا فتذكروا وحدّثتهم فصدّقوا ووعظتهم فاتعظوا . وهذه صورة النظم

من يذمّ الدنيا بظلمٍ فاني بطريق الانصاف أُثني عليها
نصحتنا فلم نرَ النصح نصحاً حين ابدت لاهلها ما لديها
اعلمتنا ان المآل يقيناً للبلى حين جدّدت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوماً اليها
يومُ بؤسٍ لها ويوم رخاءٍ فتزوّدْ ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا تسلُ عما تراهُ من حادثيها
دارُ زادٍ لمن تزوّد منها وغرورٍ لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلّى الذي كم عفّرت صورةٌ بهِ خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنة م منها واوردوا عينيها
رغّبت ثم رهّبت ليرى كل م لبيبٍ عقباهُ في حالتيها
واذا أُنصفتْ تعين ان يثني م عليها ذو البرّ من ولديها
(ستأتي البقية)

القهوة والقات

لحضرة الفاضل قاضي زاده احمد افندي رئيس الجمعية الاسلامية بالترنسوال

اطلعت على الرسالة التي نشرتموها في ضيائكم الزاهر بعنوان عمدة الصفوة في حلِ القهوة ولما كان كلٌّ من البنّ والقات الوارد ذكرهُ في الرسالة

من نبات بلادي احببت ان اذكر لكم شيئاً عنها تفكهةً للقرّآء فاقول

في اليمن من البنّ ثلاثة اصناف الصنف الاول يسميهِ اهل اليمن بالبُرعي وهذا الصنف قشرهُ حلوٌ جدًّا مثل الزبيب وحجمهُ صغير ويحمل شتآء وصيفاً لا ينقطع لكنهُ قليل الحمل وفي الغالب يكون في جوف القشرة حبةٌ واحدة. والصنف الثاني العُدَيني نسبة الى بلدةٍ تسمى العُدَين تابعة للوآء تعِزّ وهذا الصنف يحمل مرةً في السنة وحجمهُ كبير ويثمر كثيراً حتى ان الشجرة تنكسر من كثرة الحمل وارباب البساتين يدعمون الشجر بالخشب . والثالث الحرازي نسبةً الى حراز وحجم حبهِ كبير واكثرهُ يكون في باطن القشرة منهُ ثلاث حبات مثلثة الشكل لكن يتسلط على هذه الشجرة الدود فيتناثر قبل الجنى ولا يسلم من الدود الا القليل . والبنُّ لا يثمر الا في السنة السابعة ولا يصلح الا تحت اشجار كبيرة تظللهُ لانهُ لا يطيق حر الشمس واذا جُرحت الشجرة ماتت لوقتها . والبزر يُطلى قبل زرعهِ بالرماد والا فسد ولم يخرج من الارض وهو ينبت شبه شجرة القطن بلا فرق

وقد رأيت في القهوة عدة منظومات لاهل اليمن خصوصاً علمآء زبيد لم يبقَ في محفوظي منها الا ابياتٌ اورويها لكم فمنها قول بعضهم

هِمْ بابنة البُنّ فقد ودَّها للطفها ربُّ الحجى والدَّها
سودآء ان انصفتَ حبي لها لا تدعُني الا بيا عبدَها

والشطر الاخير ايداعٌ من قول الأوّل

لا تدعُني الا بيا عبدها فانهُ اشرفُ اسمآئي

وقال آخر

قالت لنا القهوة لما غلت مقال صبٍّ مولعٍ بالقيان
ما ادخلوني النارَ الا لكي احظى بلثمٍ من ثغور الحسان

وقال غيرهُ

اقول لمن قد ضاق بالهمّ صدرهُ واصبح من فرط الشواغل في فكرِ
عليك بشرب الصالحين فانهُ شرابٌ طهورٌ نابهُ الذكر والقدرِ
وخلِّ ابن عبد الحق يفتي برأيهِ وخذها بفتوى من ابي الحسن البكري

واما القات وهو الكفتة فهو ضربٌ من الشجر يأكلهُ اهل اليمن وهو اغلى من البن وتوجد شجرةٌ منهُ في حديقة الازبكية بالقاهرة اجتلبها المرحوم محمد علي باشا لما حارب الوهابية وقد رأيتها في الحديقة المذكورة سنة ١٣٠٥ لكنها ضعيفةٌ جدًّا. واخواننا اهل اليمن المجاورون في رواق اليمن بالازهر المنير يعرفونها ويأكلون منها واهل مصر يضحكون منا ويقولون اهل اليمن مثل الغنم يأكلون الحشيش الاخضر . وهذه الشجرة لا توجد الا في اليمن وفي بلدة هرَر من بلاد الحبشة وهي تبعد عن جيبوتي مسيرة ثلاثة ايام واهل هرَر يأكلونها مثل اهل اليمن. وقد وصلتُ الى هرر سنة ١٣١٢ وهي بلدةٌ فيها ما تشتهي الاعين وتلذّ الانفس وفيها علماء كثيرون وكلها بساتين وشجرة القهوة تحمل اكثر من بن اليمن وقد ملكتها الحبشة من زمنٍ قريب. هذا واني قد سافرت في بر الترك وجلت في الاناطول والروملي ورحلت الى بر الشام وسافرت في ارجائهِ مدة ثمانية اشهر ولم اعثر على شجرة القات وكذلك في هذا الاقليم راس الرجاء الصالح واظن انهُ يوجد في اميركا لان شجرتهُ توافق شجرة البنّ

اما فعل القات في الانسان فيقرب من فعل الخمر غير انهُ لا يغير العقل وصفتهُ صفة خمر الجنة غير أن الذي لا يعرفهُ ولم يا كل منهُ يستبعد ما قيل في فضلهِ حتى يجربهُ فاذا اكل منهُ لا يستطيع تركهُ . وقد وقع خلافٌ في حلّهِ بين علمآء اليمن والحرمين في زمن العلامة ابن حجر ولهُ فيهِ فتاوى مشبعة . ولاهل اليمن في القات شعرٌ كثيرٌ اروي منهُ قول بعضهم

القات يجلب للارواح افراحا ويورث القلب تنويراً واصلاحا
وهو المعين على الاعمال اجمعها وهو المفيد لليل الهمّ إصباحا
فهاتهِ يا اخا سعدٍ أدِرْهُ لنا حتى نرى الكسل الممقوت قد راحا

وللسيد الجليل القطب حاتم الاهدل الخاوي قصيدةٌ فيهِ اولها

يا رَوح رُوحي وريحاني وراحاتي يا قدس قلبي ومحرابي وميقاتي
أدر غصون يواقيتٍ من القاتِ زبرجديات اوراقٍ وَرِيقاتِ
يجلو تناولهُ قلبي ورؤيتهُ طرفي ويحلو بهِ حالي واوقاتي

ومنها

كل المرادات فيهِ جُمّعت فلذا توجهت نحوهُ كل الاراداتِ
لين القدود وتلوين الخدود وتنسيم الورود ولذّات المذاقاتِ
خصائصٌ فيهِ يرويها مشايخنا ال أثباتُ عن سادةٍ في الدين أثباتِ
اما ترى قلم الرحمن خطّ على الواح اغصانهِ رسم الجلالاتِ (١)
كلهُ لما شئت من دنيا وآخرةٍ وجلب نفعٍ ودفعٍ للبليّاتِ
فما اردتُ انتقالي في سما نظري في الكون الا جعلت القات مرقاتي

(١) يزعم اهل اليمن ان اسم الله مكتوب على ورقهِ والله اعلم

وهي قصيدةٌ طويلةٌ أكتفي منها بهذا القدر . وفي اليمن رسائل وكتب في القات والقهوة ما طُبِعت قطّ ولو كنت موجوداً في الوطن لخدمتكم بشيء منها ولكن « واين من المشتاق عنقآء مُغربُ » يسَّرنا الله لليُسرَى وختم لنا بخير ولا حول ولا قوة الا بالله

أَكَلة التراب

جآء في احدى المجلات الفرنسوية نقلاً عن احد مكاتبيها ان اهل التنكين والصين مولعون باكل صنفٍ من التراب يعدونهُ من فاخر المآكل ويتخذونهُ بمنزلة الحلوى والفاكهة وهو شائعٌ عندهم في المنازل والاسواق يصنعونهُ على هيئاتٍ شتى من الاقراص والرقاق ونحوها . قال وهو ترابٌ لزج من الصلصال الحديدي محمرّ اللون فيهِ طعمٌ حرّيف يحذي اللسان تخالطهُ آثارٌ من بقايا الموادّ الآليّة والاملاح النشادرية على حدّ سائر الاتربة الصلصالية مما اثبتهُ بعضهم بالفحص الكيماوي

على ان هذا التراب ليس فيهِ شيءٌ من الخواص المغذّية ولكنهم يتعللون بهِ من قبيل ولوع بعض الناس بامتصاص المعقودات السكَّرية ومضغ التنبول (١) والتبغ وغير ذلك مما هو شائعٌ بين كثير من الناس

وجآء في روايات بعض السياح ذكر اناسٍ غير اولئك يأكلون التراب

(١) هو نبات لهُ ورق كاصغر ما يكون من ورق الاترج طعمهُ طعم القرنفل وريحهُ طيبة اذا مُضغ طيَّب النكهة وشهّى الطعام واحدث في النفس طرباً واريحية واهل الهند يستعملونهُ بدلاً من الخمر وياخذونهُ بعد اطعمتهم . اه محصلاً عن مفردات ابن البيطار

منهم طائفةٌ بالاورينوك العليا يقال لهم الاوتوماك ومنهم في غينيا والمكسيك والبيرو وكاليدونيا وغيرها . ويُذكر عن اهل بولونيا وزروج انهم كانوا في ازمنة القحط يا كلون التراب النقاعي المعروف عندهم باسم الدقيق الجبلي او الدقيق المتحجر يشغلون بهِ مِعَدهم وان لم يفدهم غذآء . على انهُ قد رؤي من الناس من يا كل التراب لغير ضرورةٍ ولا لذة ولكن لداء يُعرَف بداء الوَحَم بهِ يفسد الذوق ويميل صاحبهُ الى اكل التراب فيحدث لهُ عن ذلك تمددٌ عظيم في الصفاق ويتهدل بطنهُ ويقبح منظرهُ وهذا الداء يكثر في اميركا الهندية

وهناك اصنافٌ من التراب تتخذ علاجاً في بعض الامراض كالصنف المعروف بتراب ارمينيا وقد كان لهذا التراب قديماً شهرةٌ عظيمة في باب الصيدلة ثم اجتزأوا عنهُ بما يسمونهُ تراب فرنسا وهو ترابٌ احمر اللون كانوا يحبونهُ وينسبون اليهِ من الخصائص التقوية والقبض والامتصاص ودرء السموم . وقد امتحنوا آخراً صنع اقراصٍ من التراب المعروف بالطرابلسي لمعالجة ضعف الهضم وتنقية الامعاء . ويطلقون على هذه الاقراص خبز الرمل . والظاهر انهُ لا غرابة في هذا العلاج الأخير لما يُرى من مثلهِ في الدجاج وغيرها من انواع الطير فانها تستعين على هضم طعامها بالحصى لتقوم في مَعدها مقام الاضراس الماضغة ولأن هذا التراب يتخذ من ضربٍ من الصوّان النقاعي المتناهي في الدقة وهو يُستعمل عادةً للجلاء فاذا مرّ في المعدة جلاها فكان لها بمنزلة الغسل الذي شاع استعمالهُ في هذه الايام . انتهى تحصيلاً

مكتبة الاسكندرية

كتب الينا بعض قرآء مجلتنا يقول انهُ لم يرَ فيما كتبناهُ عن مدرسة الاسكندرية ذكراً لما يقال عن احراق مكتبتها بامر الامام عمر لا اثباتاً ولا نفياً وان الذي يترجح بنآء على ما رويناهُ من امر تلك المكتبة ان الخبر لا صحة لهُ لان الجانب الاكبر منها احرق في زمن يوليوس قيصر عند احراقهِ لاسطولهِ وما بقي منها في هيكل سرابيس نُهب قبل الفتح الاسلامي بمدة ٢٥٠ سنة فلم يبقَ منها شيء الى زمن عمر

قلنا انا لم نتعرض لذكر هذه المسئلة لغموض امرها وخفآء دليلها وكثرة الخلاف فيها بين المؤرخين . على ان ما ذكرهُ حضرة المكاتب لا ريب فيهِ فان الكتب التي جمعها البطالسة ذهبت كلها في الحادثتين المذكورتين ولم يبقَ شيء منها لا في المدرسة ولا في الهيكل . لكن ذكرنا هناك انهُ بعد احراق المكتبة الكبرى على يد يوليوس قيصر نقل مرقس انطونيوس الكتب التي وجدها في مكتبة برغاما الى الاسكندرية وهي تبلغ نحواً من ٢٠٠ الف مجلد فاتُّخذت عوضاً من الكتب الهالكة . والظاهر ان المدرسة لم تحترق عند احراق المكتبة لان التدريس بقي متتابعاً فيها الى اواخر القرن الرابع للميلاد فلا بد ان يكون موضع المكتبة قد رُمّم بعد الحريق والاقرب على هذا ان تكون الكتب المذكورة قد جُعلت فيهِ في موضع تلك وحينئذٍ فان صح ما قيل عن عمر فيكون ما احرقهُ هو هذه البقية . على ان من المؤرخين من ذكر ان كتب برغاما وُضعت في هيكل سرابيس لا في المدرسة كما نقلهُ

جيرَند في مؤلفٍ لهُ كتبهُ سنة ١٨٤٠ فتكون قد نُهبت فيما نُهب من الهيكل المذكور والله اعلم

على ان اول مؤرخ ذكر احراق المكتبة بامر عمر هو عبد اللطيف البغدادي الطبيب المتوفى سنة ١٢٣١ م اي بعد فتح الاسكندرية بما يقرب من ست مئة سنة وذكر هذه الحادثة بعدهُ ابو الفرج المَلَطيّ اسقف حلب المتوفى سنة ١٢٨٦ ومحصل ما رواهُ ان يحيى النحوي من اهل الاسكندرية كان لهُ اتصالٌ بعمرو بن العاص وكان عمروٌ يجلُّهُ لعلمهِ فقال لهُ يوماً انكم قد استوليتم على كل ما في الاسكندرية واستأثرتم بجميع اموالها وذخائرها ولكن ثمَّ اشيآء ليست من حاجتكم فهل تدَعونها لنا قال وما تلك الاشيآء. قال كتب الفلسفة التي في خزائن الملوك فقال ليس لي ان افعل الا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكتب الى عمر في ذلك فكتب اليهِ عمر يقول اما الكتب التي استنزلت رأيي فيها فان كانت موافقةً لما في كتاب الله ففي كتاب الله غنًى عنها وان كانت مخالفةً لهُ فلا حاجة لنا بها فأتلفوها فوزعها عمرو بن العاص على حمامات الاسكندرية فلبثت توقد منها مدة ستة اشهر

ومما يجدر بالذكر هنا ان ما رواهُ ابو الفرج في احراق مكتبة الاسكندرية يشبه ما رواهُ ابن خلدون في احراق مكتبة فارس على ما نقلناهُ في احد اجزآء السنة الماضية قال لما فُتحت ارض فارس وجدوا فيها كتباً كثيرة فكتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنهُ في شأنها وتنفيلها للمسلمين فكتب اليهِ عمر أن اطرحوها في المآء. فان يكن ما فيها هدًى فقد هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفاناهُ الله فطرحوها

في الماء او في النار . اهـ . وقد وهم بعض مؤرخي الافرنج [١] فزعم ان رواية ابي الفرج في مكتبة الاسكندرية منقولة عن رواية ابن خلدون فيما ذكرهُ عن مكتبة فارس غير انهُ بدّل بلاد فارس بالاسكندرية وسعد بن ابي وقاص بعمرو بن العاص قال وذلك ان ابا الفرج كان في القرن الثالث عشر وابن خلدون في القرن الثامن فهو متأخر عن ابن خلدون بنحو ٦٠٠ سنة . وقد اختلط على هذا المؤرخ التأريخ الهجري بالتأريخ الميلادي فان ابن خلدون كان في القرن الثامن للهجرة لا للميلاد وكانت وفاتهُ سنة ١٤٠٦ للميلاد اي بعد وفاة ابي الفرج بمدة ٢٢٠ سنة وحينئذٍ فان كانت احدى الروايتين منقولةً عن الاخرى فأحرِ بالامر ان يكون على العكس اي ان تكون رواية ابن خلدون منقولةً عن رواية ابي الفرج ولكن ذلك مستبعدٌ جدًّا . على ان تشابه الروايتين لا يمنع ان تكونا كلتاهما واقعيتين لان من امر باحراق المكتبة الواحدة لسبب اوجب ذلك عندهُ لا يبعد ان يأمر باحراق الاخرى للسبب عينهِ . ولكن اعظم حجةٍ تذكر هنا ان هذه الحادثة مع جسامتها وشهرتها لم يذكرها احدٌ من المؤرخين الذين سبقوا عبد اللطيف البغدادي ومنهم سعيد بن البطريق وهو احد مشاهير مؤرخي العرب وكانت وفاتهُ سنة ٩٤٠ للميلاد اي قبل عبد اللطيف البغدادي بنحو ٣٠٠ سنة وهو مولود مصر وفيها قضى حياتهُ كلها الا ان يكون قد سكت عن هذه الحادثة لامرٍ ما والله اعلم

---

(١) Ludovic Lalanne

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

يعلم قرآء الضيآء الوضاء اني نشرت منذ بضعة اسابيع مقالةً في القوى العاقلة في الحيوان بينت فيها ان المبدأ العقلي في الانسان والعجماوات واحد فتعرض لانتقادها حضرة الاب لويس شيخو احد المنتمين الى الرهبانية اليسوعية الآخذين على انفسهم القيام بنصرة الادب وتهذيب طلبة العلم في مدارسهم وتقويم اود النفوس بارشادهم ومواعظهم . ولعلمي بما عند غالب هذه الطغمة الفاضلة من التأدب ولا سيما في فن المناظرة لم ابتئس من الدخول مع حضرة الاب في هذه المناقشة يقيناً مني بانهُ لا يتعدى حدودها الى ما أُلف عند الكثيرين منا من تلطيخ وجه الادب بالفاظ المهاترة والخروج الى ما لا يليق بمن اخذ على نفسهِ صيانة الآداب العمومية ولذا سررت بانتدابهِ للخوض معي في هذا المجال لاعتقادي بان مناقشتنا ستكون طبقاً لما ذكرتهُ هناك بقولي « وحبذا كل انتقادٍ مصدرهُ الاخلاص في تمحيص الحقائق ومؤداهُ الضالة المنشودة لا الثلب والتشفي بالطعن والتقريع كما هي عادة السواد الاعظم من كتابنا المنتقدين » . وقد افتتحت جوابي لحضرتهِ بالثناء على الرهبانية المشار اليها بما تستحقهُ من المدح والاعتراف لها بالفضل وظننت بعد ذلك اني قد تمنعت في حصن الكرامة واصبحت بمأمنٍ مما لعلهُ يسوق اليهِ طبع المناظر او يدفع اليهِ عجز الحجة من البذاءة والتطاول وكنت متشوقاً الى اطالة المناظرة في هذا البحث جلآء للحقيقة حتى صدر العدد الاخير من مجلة المشرق فاذا بحضرة الاب كما يقول بديع الزمان قد سقاني

الدُرديّ من اول دنّهِ وقابلني من اللفظ الخارج عن خطة الادب بما لم يكن صدورهُ من قلم هذا الفاضل اشد استغراباً عندي من صدورهِ من تلك المطبعة ودروجهِ الى عالم القرآء من بين كتب الدين واسفار الادب بل من بين اظهرِ قومٍ قد اشتهروا بالصلاح والورع والنزاهة والكمال . وانا لا اشك ان رؤساءهُ لو اطلعوا على ما خطهُ بتلك اليمين الطاهرة ولم يحجب بينهم وبين كلامهِ عجمة اللغة لقيدوا قلمهُ عن الجري بما يشوّه كرامتهم ويطلق الالسنة فيهم بما يسوءنا سماعهُ ولا يليق بما اشتهروا بهِ من النزاهة والفضل

وبما ان قلمي لم يعتد تدوين ما يلائم طباع هذا المهذب ولست ممن يرضى لنفسهِ الخوض في هذه الحمأة وان رضيها لنفسهِ ودعاني اليها فاني اترفع عن مناظرتهِ ضناً بآدابي ان تبتذل في عيون القرآء وصيانةً لقلمي من التلطخ باوضار البذاءة ومتى قيّض لي من يعرف قيمة المباحث العلمية ويلتزم دائرة الادب والنزاهة لم اتوقف عن بسط ما عندي من البينات على تأييد ما ذهبت اليهِ والسلام

***

بعد كتابة ما تقدم وقفت على ردّ لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م) لمحت من خلالهِ حنكةً في العلم وتادباً في القول فوددت لو ان الاخير في الردّ كان الاول في المناظرة كما هو اول في الادب والفضل . واني وان كنت قد اوصدت باب المناظرة في وجه من لا يفقه معناها فاني افتحهُ بيد الشكر لطارقٍ شمارهُ الادب وضالتهُ الحقيقة وموعدنا في ذلك الجزء الآتي ان شاء الله

مطارحات

وردتنا المنظومات الآتية جواباً على اقتراحنا في الجزء الاول من هذه السنة (صفحة ١٩) فاثبتناها بحسب تاريخ ورودها

شكوتُ لصاحبيَّ جماح دهرٍ بلغتُ بكبحهِ ما ابتغيهِ
فقالا سوف نكتب كل هذا حديثاً بعد موتك نقتفيهِ
فصحت لفرحتي بخلود ذكري « الا موتٌ يباع فاشتريهِ »

مصر احمد سعيد البغدادي
ناظر مدرسة السعادة الاسلامية

حبيبي سوف يملأ بعد موتي بترجمتي العجيبة كل طرسِ
لذلك صرت استحلي المنايا فيا شوقي الى ظلمات رمسي

***

- يا حبيبي اذا توُفيتَ ارّختُ م حياةً اسعدتَ فيها حياتي
- أرّخِ الآن لا اظنك تحيا يا متين الوداد بعد وفاتي

القرشية احمد الكاشف

اتوق الى المنية يا حبيبي وليس يهمني زهو الحياةِ
اذا حاكت يمينك ثوب عمري لقيتُ بلبسهِ عدم المماتِ

رومية بزردوس غصن
من تلامذة مدرسة اليونان

قيل لي يا حبيب انك تبغي بعدموتي احياءَ خامل ذكري
فتهللتُ بهجةً ثم ناديتُ م اشتياقاً الله يقصف عمري

*
**

ـ انني يا مناي من بعد طول ال عمر ابغي لكِ الخلود بشعري
ـ حبذا لو فعلتَ ذا اليوم حتى لا تشهي اليَّ ظلمة قبري

بيروت جبران النحاس

فوائد

تقديد الازهار ـ اعتاد المتماطون لهذا الفن اللطيف ان يجعلوا الزهرة وحدها او بورقها بين صحائف كتاب ويضغطوا عليها منعاً لتجعدها عند الجفاف وبعد ذلك يأخذونها ويلصقونها على قطعة من الورق فتشبه الزهر المصوَّر بالالوان . ولكن هذا يُضيع من شكل الزهر ويذهب بهيئتهِ الطبيعية ولذلك ارتأى بعضهم لحفظ الازهار على شكلها الطبيعي ان يؤخذ اناء في اسفلهِ شيء من الرمل ويُغرز فيهِ ساق الزهرة بورقها ثم يُذرّ الرمل عليها شيئاً فشيئاً حتى تتغطى باسرها وتُترك كذلك الى ان تجف وتيبس وهي على تلك الحالة ثم يفرَّغ الرمل عنها فتكون على نفس الهيئة التي كانت عليها وهي حيّة

شمع صناعي ـ وصف احد الكيماويين الفرنسويين لعمل الشمع الصناعي المزيج الآتي

يؤخذ ٥ اجزاء من الجلاتين النقي الذي لا لون لهُ وتذاب في ٢٠ جزءا

من المآء ويضاف اليها ٢٥ جزءا من الغليسرين وتُحمى الى ان يتم امتزاجها ويصفو لونها . ثم يضاف اليها جزآن من التنين مذابان باحمآئهما في ١٠ اجزآء من الغليسرين فيتعكر المزيج كلهُ ولكنهُ يعود الى صفآئهِ باغلآئهِ قليلاً ثم يترك على النار يغلي الى ان يتطاير منهُ المآء وحينئذٍ يُصَبّ في قوالب زجاجية فاذا أُخرج كان شمعاً صافياً كالمآء يحترق ببطء ولا رائحة لهُ

تبييض الفولاذ (الصلب) المزرق ـ اذا ازرقّ الفولاذ على اثر دخولهِ النار يبيَّض بقليلٍ من الحامض المرياتيك المركَّز مسحاً بشمرية (فرشاة) او قطعةٍ من الخشب . واما اذا كان قِطعاً دقيقة فتُغمس في السائل رأساً وبعد زوال الزُرقة تغمس القطع في الكحل (السبيرتو) او البنزين ثم في الزيت لمنع الصدأ

ولذلك صفةٌ اخرى وهي ان تُغمَس قطعة من خشب في الحامض الكبريتيك ثم يُفرَك بها الفولاذ المزرقّ فركاً لطيفاً حتى يبيضّ وينظف بعد ذلك بقطعةٍ من الجلد . وبهذه الطريقة يمكن ان يُرسَم بالبياض على اللون الازرق ما يراد من كتابةٍ او نقش او غير ذلك

لحام للحديد والفولاذ (الصلب) مع احمآئهما الى درجة الحمرة فقط ـ يؤخذ ٢٥ جزءا من دُقاق البورق و ٢٥ من برادة الفولاذ و ٧ من ملح الامونياك و٢٢من صمغ الكوباهي وتُطبخ هذه الاجزآء كلها على حرارةٍ لطيفة في انآء من حديد حتى تتصلب ثم تُسحق وتحفظ جافّةً الى حين الاستعمال

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية - اني من المولعين بمطالعة الكتب الادبية والتاريخية وقد جمعت عندي طائفةً كبيرة منها في جملتها كتاب مجاني الادب الذي جمعهُ وصححهُ حضرة الاب لويس شيخو « مدرّس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت » والحقّ يقال انهُ كتابٌ قد جمع فاوعى لان بين يدي حضرة الاب مكتبةً واسعة انتقى منها كل غريب لكن فلما كنت أُطالع فيهِ وانا اشعر بلذة ما اشتمل عليهِ من الانفاس الا اقف عند اباتٍ من الشعر او فقَرٍ من النثر قد تنكرت تحت ثوب من التصحيف والتحريف واخذتها عوامل البتر والصلم حتى يضيع معناها وتذهب لذتها . وقد رايت في الجزء الاخير من مجلتكم المنيرة تصحيحاً لبعض ابيات من مثل ما ذكرت فجئت اقرع باب كرمكم راجياً ان تظهروا لي صحة ما انا ذاكرهُ لكم من الابيات والفقَر ولكم الفضل والثواب

فمن ذلك ما جاء في الجزء الثالث صفحة ٢٦١ في الكلام على كسوف الشمس نقلاً عن القزويني وهو قولهُ « وسببهُ كون القمر حائلاً بين الشمس وبين ابصارنا لان جرم القمر « كمُدٍّ » فيحجب ما وراءهُ » فلم افهم ما المراد بتشبيه جرم القمر بالمُدّ ولا ما مدخل هذا التشبيه هنا

وفي صفحة ٢٦٤ في الكلام عن المجرَّة نقلاً عن القزويني ايضاً قال « وهي البياض الذي يُرى في السماء يقال لهُ « سُرُج السماء » ووجدت هذه اللفظة مكررة هكذا في موضعين آخرين من الكتاب وقد بحثت في

كتب اللغة فلم اجد « السُرُج » واردةً بهذا المعنى ولم يتبين لي وجه المناسبة في تسمية المجرة بهذا اللفظ

ووقفت في الجزء الرابع منهُ صفحة ٣٢ على رواية هذا البيت

كل نفسٍ ستقاسي　　كُرَب الموت فللموت كرَب

وقد فُرّقت كلمات الشطر الاول حتى صارت بحيث لو قست هذا الشطر بعودٍ ونحوهِ لوجدتهُ بطول الشطر الثاني اي حتى صار الشطران بطول واحد على الورق ولكني عند ما وزنت هذا البيت في كفة العروض وجدت الاول ناقصاً عن الثاني نحو الثلث فما كان اصل هذا الشطر

وفي الجزء الخامس صفحة ١٢٥ روى الابيات الآتية لابن التعاويذي

من كل رحب المعى اجوفهِ　　ناريّ الحشا لا يمسهُ الشبعُ

فاستأنفوا لي رسماً اعود بهِ　　على ضنك معاشي بهِ فيتسعُ

حاشا الرسمَ الكريمَ ينسخ من　　نسخ دواوينكم فينقطعُ

وهذه الابيات كلها مختلة الوزن الى ما لا يُهتدَى لتصحيحهِ ولا يكاد يُعرَف من اي بحرٍ هي

وفي صفحة ١٦٥ عن ابن الاثير في وصف فرس « وقد أغتدي عليهِ والطير في وكناتها فلا يفوتني الأَجِدالُ واذا اطلقتهُ لصيد الوحش رأيتني على منجردٍ قيد الاوائل هيكل » فما مدخل « الجدال » على ظهر الفرس وما معنى قولهِ « قيد الاوائل »

وفي صفحة ١٨٣ روى هذين البيتين

أُسدٌ كانما سكونها متحرّكٌ　　في النفس لو وجدت هناك مثيرا

وكأنما ألّلازوود محرّمٌ بالخطّ في ورق السمآء سطورا

والشطر الاول من هذين البيتين فاسد الوزن الا ان تصحيحهُ سهلٌ بان يقال عوض كانما « كأنّ » فيستقيم لكن الذي اشكل عليَّ قطع الهمزة من قولهِ « ألّلازورد » في البيت الثاني ولو وصلناها اختلّ الوزن فما صحة هذا الشطر احد المشتركين

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فمراد القزويني ان يقول لان جرم القمر « كمِدٌ » بفتح الكاف وكسر الميم وتخفيف الدال صفة من الكُمدة يعني بهِ خلاف الشفَّاف ولذلك « يحجب ما ورآءهُ »

واما تسمية المجرّة « بسُرُج السمآء » فقد تصحفت هذه الكلمة على المصحح وصوابها « شَرَج » بشين معجمة مفتوحة مع فتح الرآء

واما شطر البيت الناقص فاصل الرواية فيهِ « كل نفس ستقاسي مرةً » وبهذا يتأتى لكم التوفيق بين القياس بالعود والوزن بميزان العروض

واما رواية الابيات العينية لابن التعاويذي فينبغي ان تكون هكذا

من كل رحب المعى وأجوفَ نا ريّ الحشا لا يمسّهُ الشبعُ
فاستأنفوا لي رسماً اعود على ضنك معاشي بهِ فيتسعُ
حاشا لِرَسم الكريم يُنسخ في نسخ دواوينكم فينقطعُ

وحينئذٍ فتكون الابيات من بحر المنسرح

واما عبارة ابن الاثير في صفة الفرس فصحتها وقد أغتدي عليهِ . . فلا يفوتني « الأجدَل » . . وعلى منجردٍ قيد « الاوابد » هيكل . والأجدل الصقر يريد وصف فرسهِ بسرعة الجري حتى لو عمد بهِ الى صيد الصقر لم

يفته . وقولهُ قيد الاوابد يريد بالاوابد الوحوش اي انهُ يدركها فيكون لها بمنزلة القيد . والفقرتان حلٌّ لبيت امرئ القيس من معلقتهِ المشهورة

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجردٍ قيد الاوابد هيكل

واما المسئلة الاخيرة فمن غرائب المسائل بل من طرائف النكات لان الشاعر اراد « وكأنَّ مآء اللازورد » فوصل الناسخ لفظة مآء بكأنَّ فصارت « كأنما » ولما نقص الوزن بسقوط همزة مآء قطع المصحح همزة أل من « اللازورد » فماد الوزن واللفظ جميعاً وحينئذٍ فالبيت غلطٌ وصواب في آنٍ واحد اي غلطٌ في عين القارئ وصوابٌ في اذن السامع وهو لغزٌ لطيف . وقد اذكرتنا هذه المسئلة مسئلةً اتفقت لنا في كتابٍ كُلِّفنا تصحيحهُ وكأن المؤلف كان يملي على كاتبٍ بين يديهِ فاملى عليهِ قولهُ « يدَّعون كمال العلم » فكتب « كما » ثم كتب « للعلم » فجآءت العبارة « يدَّعون كما للعلم » واللفظ على كلا الهجآءين واحد كما ترى الا ان المسئلة الاولى تزيد ظرفاً على هذه بما ذُكر من حديث قطع الهمزة فسبحان موزع الذكآء

آثار ادبيّة

كتاب تهذيب الاخلاق ـ هو مؤلفٌ جليل وضعهُ ابن مسكويه العلامة المشهور من فلاسفة القرن الرابع للهجرة تكلم فيهِ على تعريف النفس ووصف قواها وملكاتها وافعالها وما لها من الاخلاق والاهوآء وما يتصل بذلك من وصف الفضائل والآداب المتنوعة وما ينبغي ان يلتزم منها في احوال التصرف والكسب والمعاشرة والمعاملة وغير ذلك مما احاط باحوال

الانسان الحسية والمعنوية وجمع كل ما يبلغ الى كمال النفس وطهارة الاخلاق وصلاح الافعال والارتياض على الخير ويُتوصل بهِ الى سعادة الفرد في خاصةَّ نفسهِ والامة في مجموعها • وكل ذلك بكلامٍ فلسفيٍ دلَّ بهِ على بُعد غورهِ وانفساح نظرهِ واحاطتهِ باحوال الكيان الانساني من الجوارح البدنية والقوى النفسية وما يتعلق بكلٍ منهما من الطبائع والاهوآء

وقد عني بطبع هذا الكتاب وتصحيحهِ حضرة الاصولي الفاضل عبد الحليم افندي صالح رغبةً في نشر فوائدهِ بعد ان بوّبهُ وصدّرهُ بمقدمةٍ انيقة اردفها بترجمة المؤلف عن اوثق الرواة • والكتاب حسن الطبع جيد الورق يشتمل على ما يقرب من ٢٠٠ صفحة متوسطة وثمنهُ ١٥ غرشاً اميرياً • فنثني على حضرة الافندي المشار اليهِ ثنآء طيباً ونتمنى لهُ تحقيق ما يرجو من تعميم نفع هذا الكتاب ونسأل لمؤلفهِ الرحمة ولهُ وللطابع جزيل الثواب

تاريخ آداب اللغة العربية ـ أُهدي لنا الجزء الاول من هذا الكتاب وهو من تأليف حضرة الاديب محمد بك دياب المفتش الثاني للغة العربية بنظارة المعارف المصرية كسرهُ على اربعة ابواب الاول في تاريخ اللغة والثاني في تاريخ الكتابة والثالث في تاريخ الشعر والرابع في تاريخ العروض • وقد اودع كلاً من هذه الابواب ما تحسن فائدتهُ وتروق مطالعتهُ وسيردفهُ بالجزء الثاني يبدأهُ بتاريخ النحو والصرف والاشتقاق فنثني على المؤلف بما هو اهلهُ ونتمنى لكتابهِ هذا مزيد الانتشار

فكاهات

رواية

الانتقام (١)

كانت بلاد النمسا ايالاتٍ يتولى عليها الحكام بامر امبراطورها ولكل ايالةٍ محاكم خصوصية مرجعها الى العرش الامبراطوري في ڤينا . وكان في احدى الايالات الجنوبية المسماة كرينيا فتًى في الثامنة عشرة من عمرهِ يُدعى ثيودور كان قد توفي والدهُ وربي في بيت عمهِ وكان عمهُ قسيساً عالماً فاعتنى بتهذيبهِ وتعليمهِ فما بلغ السن المذكورة حتى احرز حظاً صالحاً من العلم ونشأ على الآداب الحسنة . واتفق يوماً ان ثيودور خرج الى غابةٍ بقرب بلدتهِ للتنزه وبيدهِ كتاب يطالعهُ فبينا هو يتمشى في جوانب الغابة استدعى انتباههُ صوت فتاةٍ تستغيث فاسرع الى ناحية الصوت وقبل ان يدرك الطريق رأى عربةً يجرها فرسٌ قد جمح وجعل ينهب الارض ولم يكن في العربة سوى فتاةٍ تبلغ السابعة عشرة من سنيها لم تقوَ يداها الضعيفتان على كبح جماح الفرس الشارد فاستسلمت للقضاء . وكان صوت دواليب العربة يزيد الفرس نفوراً فيشتد ركضهُ . ولم يكن بعد ذلك الا لحظةٌ حتى صارت العربة بقرب ثيودور ورأى الفتاة فيها على تلك الحال فلم يسعهُ الا ان هجم

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

لتخليص تلك الفتاة المسكينة ولم يكن معهُ شيء يستطيع بهِ رد جماح الفرس سوى عصاهُ فرفعها وضرب بها رأس الجواد بمنتهى قوتهِ فوقف للحال واسرع ثيودور فقطع عنانهُ وربطهُ بهِ الى شجرةٍ قريبة ثم انزل الفتاة وكانت قد أُغمي عليها فوضعها على الارض وجعل يتأمل في وجهها فرأى من بديع التكوين وجمال الطلعة وبهاً ئها ما سلب رشدهُ وخلب فؤادهُ ولبث كذلك حيناً وقد اذهلهُ ذلك المنظر عما يجب صنعهُ في تلك الساعة . ثم انتبه فجأةً كمن افاق من نوم عميق وجعل يعدو في تلك الناحية حتى اصاب موضعاً فيهِ ماءٌ فاغترف منهُ في طاسٍ كان معهُ وعاد الى الفتاة فرشهُ على وجهها ثم اخذ يفك ما على صدرها من الازرار ليفرج عنها وبينما هو يتأمل في ذلك البياض الناصع واللون الفضي فتحت الفتاة عينيها وقالت اين انا . فقال لا تخافي ايتها السيدة فانتِ في سلام . ولم تطل مدة مكثها على تلك الحالة حتى نهضت ولما علمت بما جرى جعلت تثني على ثيودور وتشكر احسانهُ لانقاذها من الموت . وكان ثيودور كالمسحور بجمالها فلم يجب بكلمةٍ ثم جثا على ركبتيهِ امام تلك الفتاة واعترف لها بمحبتهِ وبعد ان جلسا حيناً يتحادثان وقد وقع من قلبها مثل موقعها من قلبهِ سأل عن اسمها فاخبرتهُ ان اسمها كاترين وان اباها من اشراف البلاد . ثم اخذا يتجاذبان حديث الحب ولما وثق بميلها اليهِ عرض لها بطلب الاقتران فسألتهُ عن اسرتهِ وشغلهِ ومقامهِ فاعلمها انهُ من اسرةٍ كريمة تعرف بآل كرتور قال واما شغلي ومقامي فاني لم اختم دروسي الآ من بضعة اسابيع ولكني مع ما حصلتهُ من العلم وما اعلم في نفسي من علوّ الهمة والاقدام على الامور اؤمل مستقبلاً حسناً . وبعد

حديثٍ طويل اجلى اجتماعهما عن تصميم ثيودور على دخول الجندية آملاً ان ينال ببسالتهِ واقدامهِ مقاماً سامياً وشرفاً رفيعاً يؤهلهُ للحصول على كاترين ووعدتهُ هي ان لا تميل الى سواهُ وانها ستحافظ على محبتهِ وولآئهِ وتنتظرهُ ما شآء الله الى ان يبلغ المقام المطلوب . وبعد ذلك نهضا فاركب ثيودور كاترين في عربتها وركب الى جانبها حتى اوصلها الى البيت خوفاً من تكرُّر ما حدث سابقاً ثم ودعها وسار وهي تشير اليهِ بمنديلها وترافقهُ بدعآئها

وعاد ثيودور الى عمهِ فاعلمهُ بتصميمهِ على دخول الجندية وطلب اليهِ ان يكلم القائد كروزكي في امرهِ فسرَّ عمهُ لهذا الامر ووعدهُ خيراً وكان ذلك في اثنآء المعارك العظيمة التي كانت قائمة بين دولة النمسا والدولة العثمانية . ولما كان الصباح التالي اخذ كرتور ابن اخيهِ ثيودور وتوجها الى مقام القائد كروزكي فلما وقف ذاك على رغبة الفتى اظهر سرورهُ وقبل حالاً انضمامهُ الى فرقتهِ . ولم يأتِ على ثيودور ايامٌ كثيرة حتى عُيّن في الجندية فارتدى الثوب العسكري وجعل يتمرّن مع العساكر واحبهُ القائد كروزكي كثيراً فكان يعاملهُ كولدهِ ويمهد لهُ سبل التقدم والنجاح . وكان الحب المتبادَل بين ثيودور وكاترين في ازدياد دائم وكانت تأْتي كل يوم الى محل عرض الجنود فتمتع نظرها بمرأى ثيودور وهو يتخطر كالغزال ويراها هو فينتعش فؤادهُ

وكان حاكم كريتيا ظالماً عاتياً سفاحاً قد اجتمعت فيهِ اقبح الصفات واردأ الخصال ولم يكن عليهِ آمرٌ في ايالتهِ فاستعمل ما شآء من المظالم والقسوة وكان اذا مرَّ في شارع اوجب على القوم جميعاً ان يخرجوا من محلاتهم

الى الطريق ويقفوا لاستقباله ورؤوسهم محنية . وحضر يوماً الى محل تمرين العساكر فرأى كاترين في عربتها فسأل عنها فقيل لهُ انها مخطوبة لجندي يدعى ثيودور . فاستآء من مجرد ذكر الامر امامهُ وقال هل بلغ من هؤلآء الجنود المحتقرين ان يفتكروا بامر الحب ايضاً لا شك ان ذلك من نقص تدريب القائد كروزكي فينبغي ان انبههُ الى مثل هذا الامر الذي لا اسمح بحدوثهِ . ثم اسرع بجوادهِ ليبلغ الامر الى القائد وبينما هو سائر بين الصفوف رأى جندياً لم يحنِ رأسهُ اجلالاً لهُ فسأل عنهُ فاخبروهُ ان هذا ثيودور خطيب الفتاة . فهاج غيظهُ الكامن وبلغت منهُ الحدة مبلغها فصاح بهِ احنِ رأسك ايها الغلام امام مولاك واحذر ان ترفع نظرك اليَّ بعد الآن . ولم يكن ثيودور معتاداً سماع مثل ذلك فهاج الدم في رأسهِ والقى نظراً حادًّا في وجه الحاكم ولم يجبهُ . فزاد ذلك في غيظ الحاكم فلكز جوادهُ حتى اقترب من ثيودور ثم رفع سوطهُ وضربهُ بهِ ثلاثاً قائلاً يظهر انك حديث الخدمة ايها الوغد فيجب ان ينالك شيء من التربية . ولكنهُ ما كاد يلفظ الكلمات الاخيرة حتى رمى ثيودور بندقيتهُ من يديهِ ووثب الى الحاكم فاقتلعهُ من السرج باسرع من لمح البصر وضرب بهِ الارض . وللحال هجم الحرس فامسكوا ثيودور وانهضوا الحاكم فرجع الى بيتهِ وهو يرغي ويزبد واصدر حكماً عاجلاً بقتل ثيودور في الصباح الثاني

وبات ثيودور تلك الليلة في سجنهِ يفكر فيما حدث لهُ في يومهِ وقد ايقن بحلول الاجل وانهُ لا بد من قتلهِ في صباح الغد . وانهُ لكذلك واذا بباب سجنهِ قد فُتح ودخل عليهِ القائد كروزكي ثم قال لهُ اني اعزك يا

ثيودور كولدي واني لفي غاية الاسف على ما حصل اليوم وقد احضرني اليك الآن اني سمعت من احد اخصاء الحاكم انهُ ندم على حكمهِ العاجل وهو يود خلاصك ان كان في الامكان لانهُ هو كان البادئ باهانتك وعليهِ فانا اشير عليك ان تطلب مواجهتهُ فتجثو على اقدامهِ وتسأله العفو فلا يبخل عليك بهِ . فقال ثيودور أأتنازل لهذا الوحش الضاري وانا لست مجرماً كلاً فاني افضل ان يقطع حبل حياتي عاجلاً على ان اركب مثل هذا الذل . قال كروزكي ولكنك فتىً في اوائل العمر يا ثيودور وامامك حياةٌ باسمة ومستقبل سعيد أفلا يستحق ذلك تنازلك القليل للحاكم مهما كانت صفاتهُ . فجعل ثيودور يفكر في حبيبتهِ كاترين وفي موتهِ العاجل بعد ان كان قد وطد الامل على احراز ما يؤهلهُ للاقتران بها والسعادة بقربها فلم يملك عينيهِ من البكاء . ثم نظر الى قائدهِ فقال انك بكلامك تكسر قلبي وتضرب على اشد الاوتار تأثيراً فيَّ فاتوسل اليك ان لا تسهل عليَّ هذا الامر فقد وطنت نفسي على لقاء المنية وهدم مستقبل حياتي دون الاذعان للتنازل الى هذا الاثيم فانهُ لن يراني جاثياً امامهُ وفيَّ من الحياة بقية

ولما رأى القائد ان لا امل في اقناع ثيودور ودعهُ معانقاً اياه والدموع تخنق كلماتهِ وخرج . وعاد ثيودور الى التفكر في امرهِ فغرق في بحر تأملاتهِ الى ما بعد منتصف الليل وحينئذٍ فُتح باب سجنهِ ثانيةً وكان الداخل في هذه المرة كاترين فوثب ثيودور لاستقبالها وقد اخذهُ اشد العجب من حضورها اليهِ في مثل تلك الساعة فاشارت اليهِ ان يصمت واخذت تقص عليهِ حديث مجيئها فقالت اني ذهبت الى بيت القائد كروزكي لاطلب منهُ جوازاً

يبيح لي المجيء اليك فقيل لي انهُ هنا فانتظرتهُ ريثما عاد وكان حزيناً جداً فلم يذق طعاماً ولم يواجه احداً من أسرتهِ واوصى الخدم ان لا يأذنوا لاحد في الدخول عليهِ. اما انا فالححت في طلب مقابلتهِ ولما علم اني انا خطيبتك اذن لي في ذلك وذكر لي ما دار بينكما من الحديث ثم اعطاني الجواز الذي بهِ تمكنت من الدخول اليك في سجنك . والآن وقد صممت على لقاء المنيَّة مفضلاً اياها على السقوط امام هذا الحاكم الجائر فليس لي ما اقولهُ في ذلك ولكن جئتك يا حبيبي ثيودور لأُسهل لك سبيل القرار فهلمَّ بنا واخرج من سجنك واهرب في هذا الليل الدامس الى حيث تأمن هذا الوغد وجدَّ هناك في تحسين احوالك حتى اذا قرّرت امر مستقبلك تستقدمني اليك فاوافيك ونقضي بقية ايامنا معاً . فكان ثيودور يسمعها بسرور ولكنهُ لم يلبث ان انتفض فجأةً وقال لا لا كيف اهرب واعرّض حياة البريء لتجرع كأس الموت مكاني فانني اذا فررت لا يتأخر الحاكم عن استدعاء السجان ومعاملتهِ بما كان معدًّا لي . قالت كاترين ولكني قد تداركت ذلك ورشوت السجان واقنعتهُ بالفرار معك الى ان تخرجا من البلدة فيذهب كلٌّ الى سبيلهِ . فتبسم ثيودور ثانيةً ثم قال ولكن ألا أُحسب جباناً اذا فررت من الموت . قالت ان الوقت اضيق من ان اجادلك في هذه الامور ولكن اسمع يا ثيودور انك قد وهبتني حياتك فلم يعد لك حق التصرف فيها وانا اريد ان تحافظ على هذه الحياة فاياك ان تعصيني واني قد جهزت لك كل شيء فهلمَّ بنا فالوقت ثمين . ثم وضعت في يدهِ كيساً من النقود وقالت خذ هذا فربما ساعدك في سفرك واذا خرجت من هنا ترى عند الباب الثاني جواداً فاركبهُ

وسر على بركات الله . فوقع ثيودور على عنق كاترين يقبلها ويودعها وهي تلحُّ عليهِ بالاسراع في الخروج حتى خرج فرأى السجان في انتظارهِ مع الجواد فركب الاثنان وسارا يخفيهما ستار الليل المدلهمّ . ولما خرجا من المدينة فصل السجان عنهُ وسار في طريقهِ وانطلق ثيودور بحصانهِ في وجه البر وهو لا يدري الى اين يذهب او ماذا يفعل

ولبث ثيودور يتردد مستخفياً في بعض قرى كريتيا وهو يتنسم اخبار الحاكم من حيث لا يُشعَر بهِ فبلغهُ يوماً انهُ طلبهُ في صباح اليوم الثاني من سجنهِ ولما علم بفرارهِ مع السجان بلغ منهُ الحنق ان صبّ كاس انتقامهِ على اسرة ثيودور فقتل عمهُ ونفى زوجة عمهِ وهدم بيتهُ الى اساسهِ ولم يكن ثيودور ينتظر مثل هذه القساوة البربرية فجعل يفكر في الانتقام من هذا الحاكم . وكان في تلك الاثناء ان ابتدأت المناوشات بين الجيوش التركية والنمساوية على الحدود الفاصلة بين المملكتين فعزم ثيودور ان ينضمّ الى الجيش التركي عسى ان تمكنهُ الفرص من الاخذ بثار عمهِ وشفاء حزازات صدرهِ فطفق يُجدّ السير ويصل ليلهُ بنهارهِ حتى بلغ الآستانة وهناك اجتهد حتى وُفق الى مواجهة وزير الحربية فاطلعهُ على بعض ما في نفسهِ وميلهِ الى الانتظام في سلك الجندية التركية ونال ثيودور حظوةً في عيني الوزير فقبلهُ في الجند وقلدهُ رتبة ضابط وفوض اليهِ قيادة فرقةٍ من عساكرهِ . وكان ذلك جل ما يتمنى ثيودور فطارت نفسهُ فرحاً وجعل يهتم في تدبير عساكرهِ وتدريبهم ورأى الوزير رغبتهُ واستقامتهُ فبعث بهِ مع الحملة السائرة الى حدود النمسا لمقابلة جيوشها وصدهم عن الدخول الى الحدود العثمانية . وكان ثيودور يسير

كن يسير الى مأدبةٍ حتى بلغت الجيوش الحدود وانتشبت المعارك بين المملكتين على ما هو معلوم في التاريخ . اما ثيودور فكان يزجُّ بنفسهِ الى اشد مواقع القتال خطراً ولا ينفك في طليعة جنودهِ يشجعهم ويحثهم على الاقدام وكانت رغبتهُ في الانتقام من الحاكم من جهةٍ والسعي في سبيل الارتقاء من جهةٍ اخرى يزيدانهِ جراةً وتفانياً في الحرب فلم يمرّ بجيشٍ الا اباده ولا ببرجٍ الا غادره دكّاً ولا قريةٍ الا تركها رماداً . وكانت اشهر مواقعهِ في كريتيا حيث اشتبك القتال ورأى الحاكم في مؤخر العسكر يراقب القتال فشق ثيودور بجنودهِ صفوف الاعداء حتى بلغ الحاكم وتقابل الاثنان . ولما رأى الحاكم ثيودور عرفهُ فاستلّ سيفهُ وهجم عليهِ وهو يقول اليك يا خائن الوطن والدين . فاطبق ثيودور عليهِ ولم يمهلهُ ريثما استل الحسام حتى طعنهُ في صدرهِ فارداهُ قتيلاً فصاحت الجنود العثمانية بالتهليل والتكبير وولت جنود النمسا الادبار فتبعهم ثيودور برجالهِ مسافة خمسة اميال

وكانت تصل الى الآستانة التقارير اليومية عن اعمال الجنود وبلغ السدة الشاهانية افعال ثيودور فاحسنت اليهِ بالاوسمة السنية والجوائز الطائلة ولم يزل يتقدم ومنزلتهُ ترتفع في العيون مدة خمس سنوات متوالية حتى انقضت الحرب وقد نال لقب باشا واصبح لديهِ من المال والجاه ما ليس بعدهُ من مزيد

ولما خلا بالهُ واستقامت احوالهُ ارسل في طلب كاترين فوافتهُ مع والديها الى الاستانة فعقد لهُ عليها وبعد ان اقام والداها عندهُ مدةً عادا الى بلادهما ولبث ثيودور بالاستانة محفوفاً بالاكرام والانعام وعاش مع زوجتهِ سعيداً مسروراً الى ان فرّق بينهما داعي الحِمام

انقراض العالم

ترتعد فرائص كثيرين في هذه الايام وتَنِي ضربات قلوبهم توقعاً لليوم العظيم الذي هو آخر ايام الانسان على الارض بل آخر ايام الارض في الوجود وقد ايقن كل حيٍّ بحلول اجلهِ واصبحت حياة البشر اياماً معدودات وستُعَدّ بعد حينٍ بالساعات ثم تُعَدّ بالدقائق والثواني ولم يبقَ الا ان يودّع كل حبيبٍ حبيبهُ ويقضي كل انسانٍ آخر اوطارهِ من الدنيا فعن قليلٍ ستقول الدنيا على الكون السلام

يوم تشكل الشمس احدى بناتها بل تُفجَع باجملهنّ صورةً واعدلهنّ خلقاً وانضرهنّ شباباً وابهاهنّ رونقاً ويوم ترتعد السيارات في افلاكهنّ فَرَقاً وقد شهدنَ ما نزل باحدى اخواتهنّ فلو استطعنَ وقفنَ عن مسيرهنّ حيرةً ودَهَشاً بل شردنَ في عُرض الفضآء شرود الغزال من وجه الصيّاد

ذلك هو النبأ المشؤوم بل نذير القدر المحتوم الذي انتشر منذ اشهرٍ في صحيفةٍ هي احقّ ان تسمى صحيفة القضآء وصكّ الحكم المبرَم الذي حُكم فيهِ على الانسان بل على الارض وما اشتملت عليهِ من برّ وبحر وممالك ومدن وحيوان ونبات فتصبح الارض قفراً مغموراً بجثث الاموات طافيةً على وجه البحار او تعود سديماً مشتعلاً يرسل اشعتهُ الى اخواتها من السيارة ثم يستحيل شمساً اخرى تضيء في سمآئهنّ فيصبحنَ في خلقٍ جديد

ورد ذلك النبأ في تقويمٍ سنويّ ينشرهُ المسيو فالب الالماني وهو فيما قيل رجلٌ ورّاق يتكسّب بطبع الكتب وبيعها وقد رأى اصحاب المعامل

وارباب التجارات يتفننون في طرق الاعلان لكسب الشهرة فسوّلت لهُ نفسهُ الخسيسة ان ينعق بهذا السوء العاجل والويل المستطير حتى لا تبقى في الارض زاوية الا تردد صدى قولهِ ويتناقل فيها ذكرهُ فزعم ان المذنب المعروف بمذنب تمبل المنتظر ظهورهُ في هذه السنة سيصدم الارض فيمحقها من عالم الوجود وذلك في الثالث عشر من شهر نوفمبر القابل بين الساعة الثانية والثالثة بعد منتصف الليل · فيا لهُ من نبإٍ رقصت لهُ القلوب في الصدور ويا لها من شهرةٍ طارت في آفاق الارض على اجنحة الرعب وعن قايلٍ ستعود الى مرسلها على اجنحة السخط والانتقام

وقد تقدم لنا الالماع الى هذا النبأ في حينهِ وأبنا غاية ما يمكن ان يُتوقع من مثل هذا الحادث لو صحّ الانبآء بهِ على ما اوضحنا من بُعد احتمالهِ وانهُ ان قُدّر حدوثهُ كان اكثر ما فيهِ امناً وسلاماً قياساً على ما ظُنّ من وقوع مثلهِ من عهدٍ غير بعيد · ولا بأس ان نعزز ما ذكرناهُ هنالك بايراد فصلٍ مختصر في الكلام على ماهية المذنبات وطبيعتها وافلاكها وان كان الكلام فيها يستغرق مجلداً برأسهِ على انا سنذكر فيها آخر ما انتهت اليهِ مباحث العلماء ثم نعقبهُ بما يمكن ان يكون من صحة هذا النبأ على أنّا قلما رأينا من العلماء من اهتمّ بهِ او تصدّى لتفنيدهِ الا تسكيناً لما ثار على اثرهِ من خواطر العامّة

واول ما نقول ان حقيقة المذنبات لا يزال اكثرها الى الآن مجهولاً لغرابة احوالها وبعدها عن مشابهة الاجرام المؤلف منها العالم الشمسي وقد تباينت اقوال اهل البحث في ماهيتها واصلها فمن قائلٍ انها بقايا من اطراف

السديم الاول الذي تكونت منهُ العوالم الشمسية ومن قائلٍ انها كائناتٌ من فضلات الخلق النجمي سابحةٌ بين العوالم المنبثّة في الفضآء تجاذبها الاجرام التي تمرّ بها فمنها ما تحوّل طريقها ومنها ما تجذبها اليها فتصير من توابعها كما هو الحال في المذنبات التابعة للعالم الشمسي واجرامها في غاية الخفة لانهُ لم يُرَ لها قطّ تأثيرٌ في حركات السيارات التي تمرّ بقربها وقد عبرت عدةٌ منها بالقرب من المشتري حتى ان مذنّب لكسال كاد يخالط اقمارهُ ولم يظهر في حركة هذه الاقمار على صغر اجرامها ادنى اضطراب . وفضلاً عن ذلك فقد دلت المراقبة على ان اذناب هذه النجوم ووفراتها [1] شفافةٌ تمام الشفوف حتى انهُ كثيراً ما كان يُرَى ما ورآءها من الكواكب الصغرى حتى ذوات القدر الحادي عشر وقد رُؤِي سنة ١٨٢٨ نجمٌ من القدر العشرين من خلال وفرة احد المذنبات وكان قطر المادّة السديمية التي اخترقها ضوء هذا النجم لا اقل من ثلاث مئة الف ميل . وقد قدّر بابيناي بنآءً على هذا الشفوف المتناهي ان كثافة هذا القسم من راس المذنب ينبغي ان تكون اقل من واحد من ٤٥ مليون مليار من كثافة الهوآء

الا ان هذا انما يصدق على الوفرة والذنب دون النواة التي هي انور جدًّا منهما على انهُ قد روقب غير مرةٍ عبور نجمٍ من القدر التاسع من ورآء النواة وبقآء النجم منظوراً ومن هنا يؤخذ ان نواة المذنب مؤلفةٌ من حصًى كونيّة شديدة التخلخل ان لم يكن بعضها ذرّاتٍ ملتهبة بدليل ما تحقق لها من النور الذاتي على ما ظهر بالتحليل الطيفي . على انهم تبينوا اخيراً ان الشهب

---

(١) الوفرة شعر الرأس والمراد بها هنا ما يحيط برؤوس هذه الانجم من المادة المنيرة

والمذنبات ترجع الى اصل واحد لما وجدوا بينها من الاتفاق في مواقيت ظهورها وسرعتها وميل افلاكها وان الشهب ليست الا مذنباتٍ استحالت نوياتها الى حلقاتٍ مستطيلة من الحصى السماوية. وقد طبّقوا اربع حلقاتٍ من هذه الشهب على مذنباتٍ معروفة المُدَد وهي شهب ١٠ اوغسطس وشهب ١٣ نوفمبر وهي التي يُنتظَر ظهورها في هذه السنة في الموعد الذي ذكرهُ فالب وشهب ٢٠ ابريل وشهب اوائل دسمبر. وعليهِ فغالب الظن ان نويات المذنبات مؤلفة من مثل هذه الحصى المتجمعة وعلى كل حالٍ فهي من الخفة وقلة الجرم بحيث لو صدمت الارض لا يُتوقع ان يحدث عنها تأثيرٌ في كيان الارض او تبديلٌ في طبيعة جوّها وانما جلّ ما هنالك ان تؤثر في محل الصدمة ليس غير. الا ان هذه المصادمة من ابعد ما يُتوقع حتى ان اراغو الفلكي الشهير قدّر ان مثل هذا الفرض لا يكون الا واحداً من ٢٨٠ مليون فرض

بقي أن الإنباء بالحوادث الفلكية لا يصدق الا فيما اطّرد منها على مواقيت محدودة وحركاتٍ قياسية بحيث تتكرر تلك الحوادث في آجالٍ معلومة وقد رأينا العلماء يحسبون مواقيت الكسوف والخسوف قبل مئاتٍ من السنين فلا يختلّ حسابهم ثانيةً من الزمن بل رأيناهم يحسبون من هنا خسوف اقمار المشتري وقرانات السيارة وما يكون من احتجاب الثوابت بها على دقة ما هنالك من الحسبانات وجميعها تصدق بلا تخلف وذلك لان هذه الاجرام كلها مضبوطة السير معروفة المقادير والقوى الجاذبة بحيث يمكن ان تُضبط جميع حركاتها بالتدقيق. وبخلاف ذلك حسابهم في رجوع المذنبات

فانهُ لا يكون الاحساباً تقريبياً لان حركاتها غير مضبوطة وافلاكها غير قياسية واكثرها يتجاوز العالم الشمسي فيتوغل بين الثوابت الى مسافاتٍ قد تبلغ مئات آلافٍ من السنين وطريقها يختلف بين اهليلجي وشلجمي وهذلولي[1] الا انها لا تستمرّ على طريقٍ مطّرد لانها لخفتها ونزارة مادتها تجاذبها الاجرام السماوية وكثيراً ما تحوّل وجهتها وتغير سرعتها ومواعيدها واشكال افلاكها. بل اشكال هذه النجوم نفسها ومقاديرها ومبلغ نورها قد تتغير حتى في المظهر الواحد وربما وقف بعضها في اثناء مسيرهِ ثم تقدم اورجع القهقرى الى غير ذلك مما لا يقع تحت ضابط. ومع ان بعضها من المذنبات المعروفة بالدورية اي التي تتم دوراتها في مددٍ قياسية فليس ذلك فيها الا قياساً تقريبياً لانهُ لا يمكن ان تُضبط مواقيتها ضبطاً مدققاً بسبب ما ذكرناهُ من خفتها وتأثير الاجرام السماوية على حركاتها . وجملة الامر ان الانباء في امر هذه النجوم لا يكاد يصدق واصدق انباء وقع لهم وهو انباء ڤيلرسو برجوع مذنَّب أرّست سنة ١٨٥٧ جاء متقدماً على موعد ظهور النجم باثنتي عشرة ساعة ومع وقوع هذا الخلل فيهِ عُدّ لهُ هذا الانباء فوزاً عظيماً

على ان ما نحن فيهِ ليس باول انباء من هذا القبيل استطار قلوب الناس خوفاً وجزعاً فقد رُوي عدة حوادث من مثلهِ كان لها من الروع ولا سيما عند العامة ما لا يقاس بهِ الروع الحالي . منها انهُ في سنة ١٧٧٣ نُقل عن لالند الفلكي المشهور ان في عزمهِ ان يتلو في مجمع العلم الفرنسوي

(١) الهليلجي ما كان دائرة الى الطول والشلجمي ما ذهب طرفا المنحني فيهِ في جهتين متآزيتين بحيث لا يلتقيان والهذلولي ما انفرجا فيه فذهب كل واحد منهما في جهة

مذكرةً عنوانها « بحثٌ في المذنبات التي يمكن ان تدنو من الارض » فتناقل العامة ان الفلكي المشار اليهِ انبأ بمذنبٍ سيصدم الارض في ٢٠ او ٢١ من شهر مايو من السنة المذكورة مع ان هـذا لم يكن في المذكرة ولا المذكرة تليت ايضاً وانتشر من ثم الهلع في القلوب وعم الخوف اكثر طبقات الناس حتى اضطُرّ الفلكي المذكور ان ينشر اعلاناً في احدى جرائد باريز المشهورة بتاريخ ٧ مايو كذّب فيهِ هذا الارجاف وتبرأ من معرفة الوقت الذي يمكن ان يقع فيهِ مثل هذا الحادث . الا ان هذا الاعلان لم يزد الناس الا خوفاً وقلقاً لانهم عدّوهُ ضرباً من المغالطة واتخذوهُ دليلاً على ان في تلك المذكرة انباءً مخيفة سترها عنهم بهذا التمويه

وقد كتب ڤولتير رسالةً في هذا الحادث بتاريخ ١٧ مايو جرى فيها على عادتهِ من التهكم فقال ما تعريبهُ

« ان اناساً من الباريزيين ليسوا من الفلاسفة ولن يكونوا منهم لما باغتهم من ضيق فسحة الاجل كتبوا اليَّ ان انقراض العالم قد دنا وانهُ سيكون بلا ريب في العشرين من شهر مايو الذي نحن فيهِ فانهُ يُتوقع في ذلك اليوم انقضاض مذنب على كرتنا الصغيرة يردها هباءً منثوراً وذلك بناءً على انباءٍ من المجمع العلمي لم يكن قطّ

» لا جرم انه لا احق من الثقة بصحة هذا النبأ لان جاك برنولي انبأ من قبل ان مذنَّب سنة ١٦٨٠ المشهور[1] سيعود بانفجار مخيف في السابع

---

(١) جاك برنولي احد علماء الفلك من اهل سويسرا وهذا المذنب الذي يشير اليه ڤولتير خطب طويل في التاريخ فقد قدّر انهُ هو الذي ظهر سنة ٤٣ ق م فانبأ بموت قيصر

عشر من شهر مايو سنة ١٧١٩. وقد حقق لنا ان وفرة هذا المذنب ستكون مسالمةً لنا ولكن ذنبهُ سيكون آيةً لا ريب فيها على غضب السماء . فان يكن جاك برنولي قد اخطأ في حسابهِ فان خطأهُ لا يزيد على اربع وخمسين سنةً وثلاثة ايام ومثل هذا الخطأ الفاحش لا يُعدّ شيئاً في جنب العصور المتطاولة وعليهِ فلا شيء اقرب الى الثقة من توقع انقضاء العالم في العشرين من شهر مايو من سنة ١٧٧٣ الحالية او من أيّ سنةٍ اخرى من السنين الآتية

» على انهُ ان اتفق ان مذنباً يصادف ارضنا في طريقهِ الشلجمي فماذا يكون اذ ذاك . فانهُ اما ان يكون هذا المذنب معادلاً للارض في القوّة او اعظم منها او دونها فان كان معادلاً لها فاننا نضرّهُ بمقدار ما يضرّنا لان ردّ الفعل يكون مكافئاً للفعل وان كان اعظم فانهُ يجرّنا ورآءهُ او اصغر جررناهُ نحن

» لكن ليطمئنّ اهل باريز ان مدينتهم لا تقفر منهم في ٢٠ مايو ولكنهم سينشدون الاغاني ويمثّلون رواية المذنّب وانقراض العالم في الاوبرا الهزلية » اهـ

وقد وقع مثل ذلك في القرن الحالي فأُرجِف بأنهُ في ١٨ يوليو من سنة ١٨١٦ ستلتقي الارض باحد المذنبات فهلع الناس لهذا النبأ واقاموا يترقبون ذلك اليوم بقلوب واجفة . وقد نشر هفمان احد كتّاب جريدة الديبا لذلك

وظهر قبل ذلك باثني عشر قرناً فجلب على الارض الطوفان الموسوي ثم ظهر سنة ٦١٩ ق م فكان سبباً في خراب نينوى . وانبأ جاك برنولي انهُ سيمر بالارض في التاريخ المذكور في الرسالة فيحرقها بذنبه ونشر هويستن احد علماء الانكليز سنة ١٦٩٦ رسالة زعم فيها انهُ سيحدث في الارض طوفاناً نارياً في تفصيل غريب لا محل لذكره هنا

المهد فصلاً اظهر فيهِ بطلان هذا الزعم في كلام طويل لا يسعنا نقلهُ في هذا الموضع . ثم تكرَّر ذلك سنة ١٨٣٢ بما انبأ بهِ دَموازو من عود مذنب بيالا في ٢٩ اكتوبر من السنة المذكورة قبل منتصف الليل وان مروره في العقدة سيكون على مسافة ثلاثين الف كيلومتر من الارض . ونشر اراغو اذ ذاك فصلاً قرَّر فيهِ انهُ مع توقع عبور هذا المذنب في فلك الارض فان الارض لا تصل الى النقطة التي يمرُّ فيها الاَّ في صباح الثلاثين من نوفمبر اي بعد شهر من الموعد الذي عينهُ دموازو وحينئذٍ يكون قد صار منها على بعد ٨٠٠٠٠٠٠٠ كيلومتر . ثم انهُ في سنة ١٨٥٧ انبأ بعض علماءِ الالمان بان المذنب المعروف بمذنب شرلكان سيقطع فلك الارض في ١٣ يونيو من تلك السنة بناءً على ما يستفاد من زيج لالند فتهلك الارض بالنار لكن مرَّت تلك السنة كما مرَّ غيرها من قبلها ولم يحدث شيءٌ مما انبأوا بهِ

غاية ما يقال ان ما يُنتظر حدوثهُ في الموعد الذي ذكرهُ فالب لا يتعدى ما اشرنا اليهِ من تساقط الشهب وهو امر معروف في مثل هذا الأوان فكل ما يمكن ان نتوقعهُ في تلك الليلة هو كما قال المسيو وليم فُرْستر قيّم مرصد برلين ان تمرّ الارض بحلقةٍ من الشهب المعروفة بالاسديّة[1] فنشاهد ابهج منظرٍ في العمر وهو المطر العرمرم الذي سيتساقط من تلك الشهب

---

(١) سميت بذلك لظهورها من حيال برج الاسد وهي تظهر في كل ٣٣ سنة وقد كان ظهورها الاخير سنة ١٨٦٦

الصل او الثعبان الناشر

لحضرة النطاسي الفاضل الدكتور محمد العشماوي الحكيم
مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

وقفت في عدد فبراير من مجلة المقتطف الاغر على رسالة لحضرة الكاتب الهندي الفاضل معرَّبةً عن جريدة العلم الانكليزية تحت عنوان نوادر الصل الهندي ذكر فيها نوادر غريبة لهذا الضاري واستطرد الى الكلام عن جهاز السم فيهِ فقال ان الانياب الكلاَّبية لهُ ليست مثقوبة كما هو المعلوم والمدوَّن في علم المواليد الثلاثة وانما بين الجراب وأصل الناب انبوب دقيق يحيط بهِ عضلة تقبض عليهِ فتخنقهُ وتمنع جري السم منهُ الاَّ اذا تهيأ الصل للَّسع فان هذه العضلة تنبسط فيجري السم من الجراب الى قاعدة الناب ومتى غرزت الناب في بدن الحيوان وخرقهُ انضغط الجراب فخرج بعض السم منهُ وانصبَّ على الجرح فامتزج بدمهِ وسرى في بدنهِ . واستدل على ذلك بأن الناب لو كان مثقوباً لنفث السم دواماً وهذا اسرافٌ لا داعي لهُ وما كانت الطبيعة لتجري عليهِ . الى ان قال ان جرح الناب في حدّ ذاتهِ ليس ساماً الاَّ اذا تهيج الحيوان قبل ذلك فانهُ ينفث السم من فيهِ ويدفعهُ من شدة هيجانهِ فيختلط بدم الجرح لكن ذلك نادرٌ والغالب ان السم يُنفَث بعد اللسع ولو بمدةٍ وجيزةٍ جدًّا لا تزيد عن نصف ثانية لكنها كافية لدفع الاذى اذا مُنع الصل من نفث سمهِ حينئذٍ وهو يحني رأسهُ يمنةً ويسرةً حالما يعض ملسوعهُ لكي يعصر السم من جرابهِ ويجري من فيهِ . قال وأوضح من ذلك انهُ اذا لسع الصل انساناً من فوق ثيابهِ منعت

الثياب وصول السم الى الجرح فلم يكن فيهِ ضرر ولا سيما اذا نُزعت الثياب حالاً حتى لا تمتص السم وتوصلهُ الى الجرح ولو كان الناب مثقوباً والسم ينفث منهُ ماكانت الثياب تمنع اذاهُ . اه

وبما ان ما هو مدوّن في كتب التاريخ الطبيعي وما هو معلوم من ابحاث العلماء في هذا الصدد مخالف لذلك اذ ان جهاز السم في الحيات واحد فاثباتاً للحقيقة وتأييداً للعلم نقرّر عن ذلك ما هو آت

قد اتفق لدينا وجود صلٍّ مصريٍ هو المسمى في مصر بالثعبان الناشر او ذي الدرقة وهو مشابه لحيَّة الهند المسماة بالثعبان ذي النظارة (لوجود خط اسود على شكل نظارة مرسوم على الجزء المستعرض من درقتهِ) وطول هذا الصل متر وسبعة وستون سنتيمتراً ومحيط غلظهِ اثنان وعشرون سنتيمترًا وهذا النوع مشابه تمام المشابهة للصل الهندي ولا يختلف عنهُ الاَّ بكبر درقتهِ وزيادة طولهِ وكان محفوظاً في الكحل (السبيرتو) من مدة خمسة اشهر تقريباً فعمدنا الى فحص هذا الثعبان لنتحقق صحة ما جاء في جريدة العلم المذكورة او اثبات ما هو مدوّن في كتب العلم فبعد ان استخرجناهُ من الكحل باعدنا بين فكيهِ فوجدنا النابين مختفيين في ثنيةٍ من اللثة اختفاء تاماً فأزحنا الاجزاء الرخوة عن الناب الايمن فوجدنا نابين متلاصقين الانسيّ منهما اطول من الوحشي وكلاهما ملتصقان بالفك العُلوي التصاقاً متيناً كانهما جزء منهُ فلما حاولنا جذبهما تفتتا ولم نستفد منهما شيئاً فعمدنا الى الناب الايسر وكان اعظم حجماً وبعد نشر جزء من قاعدتهِ امكن نزعهُ الاَّ انهُ انشطر الى قسمين فوجدنا باطنهُ مثقوباً ثقباً شاملاً لجميع امتدادهِ يُرى

بالعين العارية فضلاً عن العدسة المعظمة كما ان الثقب الموجود في مقدَّم اصلهِ ظاهر وهو الذي يتصل بالقناة القاذفة للسمّ. وحيث ذلك فلنذكر شرحاً وجيزاً عن تركيب اعضآء هذا الحيوان وعن جهاز السم فيهِ فنقول

يسمى الصل المصري بالثعبان الناشر لنشرهِ انتفاخاً قبيل العنق شبيهاً بالدرقة وقد يسمى بالثعبان الكايوبتري لانتحارها بهِ . وليس هذا الانتفاخ من انتفاخ وداجيهِ وانما هو من توجيه الاضلاعِ المقدَّمة الى الامام والجانبين حينما يتصب ويتهيج وهو مما يزيد منظرهُ هولاً مع اضافة جحوظ عينيهِ وبريقهما وفحيح فيهِ وحركات لسانهِ المنشقّ مما يفزع عدوّهُ او فريستهُ وهذه تُعدُّ اعضآء اضافية لاعضآء الدّفاع وهي الاسنان الكلاَّبية السامة فتكون بمنزلة المخالب والانياب والزئير للاسد المضافة لقوَّة عضلهِ وشدة بطشهِ وكالاطراف للانسان المضافة لفطنتهِ وفرط ذكآئهِ وكالهرير للكلب المضاف لحدَّة مخالبهِ وشكل انيابهِ وسرعة عدوهِ

وليس لهذا الحيوان خاصية المضغ بل يبتلع فريستهُ ابتلاعاً والاسنان فيهِ على الحالة الاثرية ويظهر انهُ في سابق وجودهِ كان بغير هذا الشكل المستدير الذي نوَّعهُ بهِ كرور الزمان كما ان المتأمل لاعضآئهِ يرى انهُ كان في اوّل امرهِ على غير ما هو عليهِ اليوم فان لسانهُ المشقوق يظهر انهُ كان اطول من ذلك وكان يستخدمهُ لتغذيتهِ فيجذب بهِ الحشرات السابحة في الهوآء كما هو شأن الحربآء مثلاً . وكذلك ما يُرى من شكل انيابهِ السمية الآن والمتعددة في كلٍّ من جهتي الفك العلوي ووجود اسنان أُخر على الحالة الاثرية مما يدلنا على انهُ كان من الحيوانات الماضغة الناهشة ووجود رئةٍ

واحدة لهُ والثانية على الحالة الاثرية مما يدلنا انهُ كان في سابق امرهِ من الحيوانات ذات الرئتين فلما اكتسب هذا الشكل المستدير ضمرت احداهما طوعاً لشكل جسمهِ

اما جهاز السم فيهِ فهو مكوَّن من غدتين اسفنجيتين موضوعةٍ كلٌّ منهما على احد جانبي الرأس خلف مقلة العين وأسفلها قليلاً امام العضلة الصدغية المقدمة وهي محاطة بالقاعدة المتمددة للمضلة الجناحية الوحشية التي تكوّن حولها غلافاً وترياً متيناً وهذه الغدّة تنتهي بقناةٍ ناقلة للسم المنفرز منها على الدوام متجهة من الخلف الى الامام اسطوانية الشكل تنتهي بتجويف صغير هو مستودع السم يخرج منهُ قناة قاذفة للسم تنفذ في اصل الكلاَّب من الأمام

اما فسيولوجية هذا الجهاز فهو كبقية الاجهزة الغدّية التي من شأنها ان تكون الغدة المفرزة دائمة الافراز وان ما يُفرَز منها يتجمع في مستودع السم بواسطة القناة الناقلة . ثم ان كل واحدة من هاتين الغدتين تحتوي من خمسة الى سبعة سنتغرامات من السم محفوظة في المستودع فكل حيوان يكون حاملاً من عشرة الى اربعة عشر سنتغرام من السم واما ما يكفي للقتل فهو من سنتغرامين الى اربعة

فعند تهيج الحيوان اذا غضب ينتصب ثلثهُ العلوي ويفتح فاهُ فتحاً زائدًا لان فكيهِ يتصلان باربطةٍ مرنة تسمح لهما بالتمدد الزائد وحينئذٍ تبرز الانياب من ثنيات اللثة وينقضّ على عدوهِ ويضربهُ بفكهِ العلوي فان صادف جزءًا من الجسم عارياً عن الملابس ونشبت الانياب في الجسم

وانسكب في الجرح المقدار الكافي من السم حصل التسمم بلا محالة

وفي الاحوال الخطيرة يعض الحيوان بفكيهِ على الجسم فيندفع السم من القناة القاذفة الى الكلاّبين وينسكب في الجرح بمقدار وافر ويتم التسمم وذلك يكون بحركة الضغط الواقعة على المستودع السمي ومساعدة العضلة الصدغية والجناحية الوحشية

اما ماذكر الكاتب من ان الناب لو كان مثقوباً لاستمر نفث السم وهذا اسراف لا تجري عليهِ الطبيعة فان الباحثين في هذا الامر تبينوا ان ما ينسكب من السم في فم الحيوان نافع لهضمهِ والقول بان الملابس تقي من التسمم ولو كان الناب مثقوباً لنفذ في الجرح فالظاهر انهُ اذا افضى الناب الى الجسم وجرحهُ نفذ السم اليهِ لا محالة فلا تقي الملابس من السم الا اذا كانت صفيقة بحيث لا يبلغ الناب الى الجسم وحينئذٍ فالسم الذي يندفع منهُ ينسكب في خلال نسيج الثوب فيتشرَّبهُ واما اذا كانت الملابس رقيقة حتى ينفذها الناب الى الجسم فالتسمم ضروري

اما تأثير السم في الملسوع وطرق مداواتهِ فسنذكرها في مقالة اخرى ان شآء الله

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

أنكر عليَّ حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا في احد اجزآء هذه المجلَّة صحة النتيجة التي اثبتها في مقالتي السابقة وهي « ان المبدأ

العقليّ عامٌّ في جميع انواع الحيوان » ورأى ان ما اوردتهُ من الادلّة المعزّزة لذلك يرجع كلهُ الى مبدإٍ حسّاس من غير حاجةٍ الى تكلّف القول بوجود مبدإٍ عقلي . ومن سياق كلام حضرتهِ على المبدأ الحساس لم أرَ فرقاً واضحاً بينهُ وبين المبدأ العقلي لتوقف كليهما على الحواس الظاهرة والباطنة التي أسهب حضرتهُ في شرحها . ولعلّهُ وهم في مآل ما اوردتهُ عن ظواهر التعقُّل وفي تسمية المبدأ المذكور بالمبدأ العقلي فحسب أني أُريد بذلك العقل الذي من شأنهِ ادراك الكليَّات وهذا الوهم يظهر من قول حضرتهِ في مقدمة كلامهِ « وقفتُ في مجلّة الضياء المنيرة على كلامٍ في هذا البحث لجناب الكاتب ... يُتوسم من خلالهِ الحكم بالمساواة بين الانسان المخلوق على صورة الله والبهيمة » ومن قولهِ ايضاً في موضع آخر « ولذلك لا تجوز نسبة تلك الافعال التي ذكرها حضرة الكاتب الفاضل الى مبدإٍ عقلي من شأنهِ ادراك الكليات » والحقيقة اني لم اساوِ بين الانسان والبهيمة كما يتضح من فاتحة مقالتي وهي « اذا نظرنا الى الانسان والحيوان بوجهٍ عامٍ نرى بينهما بوناً شاسعاً وبعداً سحيقاً ونجد ان احط المتوحشين الذين ليس عندهم من الكلمات ما يعبرون بهِ عن الاعداد التي تزيد على اربعة وتكاد لغتهم تكون عطلاً من اسماء المعاني يمتازون كثيراً بقواهم العقليّة والادبيّة على أرقى القِرَدة التي لها لغة تتفاهم بها وهيئة اجتماعيّة على جانبٍ من الانتظام » فيتضح من ذلك اني مسلّم بامتياز الانسان عقلياً على المجماوات التي لا يمكنها ادراك الكليّات مثلهُ . ولم اذكر ايضاً ان المبدأ العقليّ من شأنهِ ادراك الكليات كما استنتج حضرة المنتقد الفاضل بل بالعكس كما يظهر مما

قلتهُ في ردّي على محترم اليسوعيّة وهو بنصهِ « وهب ان الكتاب المقدس يصرّح بعدم اعطاء العقل للبهائم فيكون من حيثية عدم اقتدارها على ادراك الكليات لا الجزئيات بوجهٍ نسبيّ وذلك لا ينفي كون المبدأ العقليّ فيها وفي الانسان واحداً »

اما اعتراض حضرتهِ على تسميتي الاصوات التي تتفاهم بها العجماوات لغةً فيكفي لدحضهِ ان أذكّر حضرتهُ بان اللغة هي ما يعبَّر بهِ عن الاغراض فيدخل في ذلك اشارات الخُرس وأصوات الطير والحيوانات سواءٌ كانت دلالتها طبيعيةً او وضعيةً

والآن يسمح لي حضرة المنتقد الفاضل ان ازيدهُ ايضاحاً حتى اذا شاء استئناف الاعتراض يكون على بينةٍ تامة من المآخذ التي يرى فيها ما لا اراهُ فاقول

يذهب نصراء مذهب النشوء الذي نحن بصددهِ الى وحدة المبدأ العقلي في جميع مخلوقات الله الحيّة ولديهم ادلة كثيرة يقتنعون منها بنشوء بعض الحيوان بمساعدة الاحوال والبيئة نشوءاً تمكن فيهِ من حرّية استعمال اليد فاتسع بذلك نطاق اعمالهِ وحاجاتهِ . ولما كانت الحاجة ام الاختراع ترتب عليهِ ان يدأب ويُعمِل ما لهُ من الفكرة لسدّ حاجاتهِ فاتسعت بذلك دائرة ادراكهِ الى حدٍّ اقصاهُ عن باقي الحيوان وانتقل من طور شركائهِ في ادراك الجزئيات الى طور ادراك الكلّيات فسميت لذلك قواهُ المدركة « عقلاً » وبقي البعض الآخر مستمرًا في جهادهِ ولكنهُ لاسباب عديدة متداخلة لم يتخطَّ ادراك الجزئيات فسميت قواهُ العاقلة (ونحن مسموُّها) سليقةً او غريزة

او قوةً وهمية . وعليهِ فيكون اصل العقل سليقة وبالتالي يكون مبدأ الغريزة والعقل واحداً والنتيجة كما ذكرناهُ « وحدة المبدأ العقلي في جميع الاحياء »

اما اصحاب مذهب الخلق المستقل فيقولون ان الانسان خُلق على ما هو عليهِ من كمال القوى العاقلة المدركة للكلّيات كما خُلق باقي الحيوان على فطرتهِ الحاليّة ووضعوا تحكماً فاصلاً بين الانسان وباقي الحيوان وساووا بين جميع العجماوات والمخلوقات الاخرى الحية على مباينة غرائزها وتفاوت قواها واتساع المجال بينها وقالوا باختلاف القوى العاقلة في الانسان عنها في باقي الحيوان . فيتضح مما تقدم ان استبدال المبدأ العقلي بالمبدأ الحساس (على فرض عدم وحدتها) لا يصح ما لم تُقَم الادلة القاطعة على اختلاف جوهر عقل الانسان عن جوهر عقل الحيوان ولا يخفى ما دون ذلك من العقبات الوعرة المسلك ولا سيما اذا اعتبرنا اختلاف العلماء في تحديد العقل وتنازع آرآئهم في ماهيتهِ وماهية النفس و « مطالعتها » للصور الحسيّة

فهل لحضرة الاب الفاضل بعد الاطلاع على ما تقدم ان يقيم لنا الادلة « العلمية » على مخالفة الجوهر او المبدأ العقلي في الانسان وفي العجماوات او على صحة مذهب الخلق المستقل فنسلم لهُ ان الحق في جانبهِ والا فان شآء فاني اقدّم ما لديّ من البراهين المعززة لمذهب النشوء وحضرتهُ يأتي بما عندهُ من الادلة على عكسهِ فيحكم القرآء بيننا ويكون بذلك فصل الخطاب والله الموفق الى الصواب

التماثيل المتحركة والناطقة

جآءنا من احد افاضل العاصمة الرسالة الآتية

اشرتم في الجزء الثاني من ضيآء هذه السنة الى بعض غرائب المصنوعات التي صنعها الافرنج في محاكاة الاصوات والحركات البشرية ونقلتم بعض الشيء عنها فاذكرتني مقالتكم شيئاً كثيراً من هذا القبيل كنت قرأتهُ في بعض الكتب العربية لا يحضرني الساعة منهُ الا الحادثة الآتية ارويها لكم وانا ارجو من افاضل قومنا وارباب الاطلاع منهم ان يوافوا المجلات بما يعلمونهُ من الشواهد من هذا القبيل وغيرهِ احيآء لذكر السلف فقد اعتادت الجرائد والكتاب الاستشهاد بافاضل الافرنج واقوالهم واعمالهم لسهولة المأخذ والنقل واهملوا شأن اجدادهم العرب الكرام كانهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً . والحادثة التي اشرت اليها هي الآتية

ذكر العلامة ابن اياس في صفحة ٨٧ من الجزء الاول من تاريخهِ لدولة الشراكسة بمصر المسمى ببدائع الزهور في وقائع الدهور ما يأتي بالحرف الواحد

« وقال بعض المؤرخين ان ملوك اليمن اهدت الى الملك الكامل محمد (الايوبي) شمعداناً من نحاس يخرج منهُ عند طلوع الفجر شخصٌ من نحاس لطيف الخلقة يخاطب الملك قائلاً صبَّحك الله بالخير قد طلع الفجر او صفيراً هذا معناهُ . وكان هذا الشمعدان من صنعة الميقاتية فاقام في حواصل الملوك الى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون ثم فُقد » اه

قلنا لا جرم ان ما اشار اليهِ حضرة الكاتب الفاضل مما يجب التنبه لهُ والعمل بموجبهِ وقد علم مطالعو الضيآء والبيان والطبيب من قبلهِ انا لم

نأْلُ في التنقير عن آثار العرب في مناحي العلم والصناعة لما اشتهر عن علمآئهم من انهم كانوا مقصورين في غالب امرهم على علوم اللغة والشرع دون التبسط في العلوم الطبيعية والفنون الصناعية . وقد اثبتنا ما اعثرنا عليهِ الاتفاق من ذلك كالكرة الارضية التي صنعها ابو عبد الله محمد الادريسي وقد وصفناها في الطبيب (صفحة ٩٧) وكالساعة المآئية التي صُنِعت على عهد الرشيد وهذه كالتي قبلها اضطُررنا ان نأْخذ ما عثرنا عليهِ من صفتها عن كتب الافرنج وكذلك ما ذكرناهُ عن وضع موسوعات العلوم في الطبيب وهو عن اصل افرنجي ايضاً لانا لم نجد شيئاً من ذلك فيما بين ايدينا من كتب العرب . على أنّا قد نقلنا عن هذه عدة اشيآء لها المنزلة العالية بين اهل العلم مثل كلام ابن سينا في زيادة ثلاث حواس على الحواس الخمس وبحث القزويني في تكوُّن البرَد والعاملي في وصف منظر الارض من القمر وما جآء عن المأمون من قياس الدرجة من درج الارض وعن عباس بن فرناس من تطيير جثمان نفسهِ الى غير ذلك

على انهُ لا ينكر ان اكثر علمآئنا قلما كانوا يحفلون بغير ما ذكر من العلوم الشرعية واللسانية ولاسيما المشارقة منهم الا ما كان من امر الكيميآء والتنجيم لما هو معلوم من الغرض في مزاولتهما لذلك العهد كما ان اكثر كتَّابنا قلما كانوا يهتمّون بوصف المصنوعات والكشف عن اسرارها على ما سبق لنا الالماع اليهِ في غير هذا الموضع وذلك فضلاً عن ان اكثر المؤرخين عندنا لم يكونوا من اهل هذه الشؤون . وانظر ما وصف بهِ ابن جبَير الساعة المآئية التي كانت في دمشق ترَ العجب من ذلك البيان الذي دلّ على ان الرجل

كان من ابعد الناس عن المدارك الصناعية[1] وكذلك ما نقلهُ ابن اياس من وصف الشمعدان المذكور هنا فانهُ لم يحكِ فيهِ الا كلاماً مبتوراً لا يكاد يستفاد منهُ تصوُّر شيء من امرهِ ولا سيما مع غرابة الخبر وبعدهِ عن المدارك البديهية حتى يتخيل السامع انهُ اختلاق. وقابل هذا وذاك بما كتبهُ اراغو على رسمي ساعة اكتازيبيوس اللذين رسمها كلود پرُّو اخذاً عما وصفها بهِ فتروف الروماني[2] يتبين لك الفرق بين وصفٍ ووصف والسبب في ايثار الاخذ عن كتابات الافرنج والله اعلم

مُتَفَرِّقَاتٌ

يقظة بعد نوم خمسين قرناً — عُرِض في مدينة وِندسَر من انكلترا في اوائل شهر ستمبر الماضي نباتٌ من الحِمَّص قد أُخذت حبوبهُ من احد المدافن المصرية وكان ذلك النبات نحيف البنية وعليهِ زهرٌ كَمِد اللون وهي حالةٌ ضرورية لهذا النبت بعد ذلك السبات الطويل

سفينة من قبل التاريخ المسيحي — وُجد في مدينة بروج من البلجيك في أثنآء الاحتفار في مرفأ المدينة سفينةٌ من قبل عهد الميلاد كانت مدفونةً على عمق ٢٠ قدماً ويُظَنّ انها كانت قد جنحت في ذلك الموضع ايام كان

(١) راجع مجلد السنة الاولى من الضيآء صفحة ٧٢١ و ٧٢٢

(٢) راجع صفحة ٧١٩ و ٧٢٠ من المجلد نفسهِ

البحر غامراً للناحية القائمة عليها المدينة . وهي من خشب السنديان تبلغ فيما قيل ثلاثين قدماً طولاً في عرض سبع وقد وُجد صاريها محطماً الى ست قِصَد وكذلك باقيها اكثرهُ محطمٌ بما انهال عليها من الردم بحيث لا يمكن استخراجها الا بعد عنآء وصبرٍ عظيم

تعديل اعمار البشر ـ عدّل بعضهم حياة الانسان بثلاث وثلاثين سنة وان ربع الناس يموتون بين السنة الاولى والسابعة ومثل ذلك يموتون بين السابعة والسابعة عشرة ثم انهُ من كل الف نفس يصل واحد فقط الى سن المئة واثنان الى سن الثمانين وستة في المئة الى سن الخامسة والستين . وعدّل ايضاً انهُ يموت من الناس كل سنة ٥٠ مليوناً فيموت في اليوم ١٣٨ الفاً وفي الساعة ٦٠٠٠ وفي الدقيقة ٩٠

رمتني بدآئها وانسلّت

رأينا لحضرة الاب لويس شيخو كلاماً في الجزء الاخير من المشرق (ص ٩٥٧) يُفهم منهُ انهُ كان عارفاً بالاغلاط التي صححناها لهُ في رواية قصيدة الحلي لـكنهُ « لم يرضَ ان يأخذ على نفسهِ اصلاحها لئلا يتصرف بمعاني المؤلف » (كذا ....!) وهو عذرٌ ظريف . ثم صوّب تصحيح الضيآء لتلك الاغلاط الا اصلاحهُ « ظنوا تأنّيك » بقولهِ « ظنوا تأيّدك » (كذا ..) قال « فانهُ لا يوافق النسخة الباريسية ولا الطبعة الدمشقية وكلاهما يروي (اي كلتاهما تروي) كما روينا » انتهى كلامهُ لله درّهُ

ولسنا نزيد هنا على ان نقول لهُ راجع الجزء السادس من مجاني الادب صفحة ٥٩ سطر ٥ وديوان الحلي طبعة دمشق صفحة ٤٦ سطر ٢١ والجزء الثاني من الضيآء صفحة ٥١ رقم ٨ وصفحة ٥٢ سطر ١٦ . فاذا اطلع على ما هنالك وسفر لهُ وجه الحقيقة فلهُ في اعلان ما يبدو لهُ اوكتمهِ الرأي العالي

اسئلة واجوبتها

القاهرة — نرجو اجابتنا على السؤالين الآتيين

(١) لماذا تقدَّر قوَّة الآلات البخارية بالخيل وكيف تقدَّر قوة الحصان

(٢) من كان مخترع النقود وفي أيّ زمانٍ اختُرِعت

حنا الياس العريان

الجواب — اما المسئلة الاولى فانهُ قبل اختراع الآلة البخارية كانت آلات المعامل تديرها الخيل فلما استُبدلت الخيل بالآلات البخارية وذلك نحو سنة ١٧٨٢ كان كل صاحب معمل يطالب آلة تعادل قوة الخيل التي عندهُ فجُعلت قوة الفرس مقياساً تُعتبر بهِ قوى تلك الآلات . واما تقدير قوة الحصان فمن المعلوم ان الخيل تختلف كثيراً ولكن مخترع الآلة البخارية فرض للفرس من القوة مقدار ما ينبغي لرفع ٧٥ كيلغراماً الى علوّ متر في ثانية وهي اعظم من قوة الفرس الطبيعية ولكن هكذا جرى الاصطلاح وهو المتعارَف في جميع الممالك الى اليوم

واما المسئلة الثانية فسنفرد لها فصلاً مخصوصاً في الجزء الآتي ان شآء الله

آثار ادبيّة

كتاب الوجيز وسيرة صلاح الدين ـ اهدت لنا شركة طبع الكتب العربية بمصر نسخةً من كلٍّ من الكتابين المذكورين المطبوعين على نفقتها والاوّل من تأليف العالم العلاّمة حجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي المشهور في فقه الامام الشافعي وقد تضمن بيان مذهب الامام مالك وأبي حنيفة والمُزَنيّ مع الاقوال والاوجه البعيدة لاصحاب الامام الشافعي. ولا حاجة الى الاطناب في وصف هذا الكتاب الجليل ففي شهرة مؤلفهِ ما يغني عن تعديد فوائدهِ وبيان مكانهِ من طلاب هذا العلم الشريف

والثاني من تأليف العلامة الفاضل بهآء الدين المعروف بابن شداد اتى فيهِ على تاريخ السلطان يوسف صلاح الدين الايوبي الشهير وتعديد مآثرهِ وحروبهِ وفتوحاتهِ الكثيرة وما بين ذلك من الحوادث بالتفصيل. وبذيلهِ منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة فيما يتعلق بتاريخ السلطان صلاح الدين تأليف تاج الدين شاهنشاه بن ايوب

فنثني الثناء الطيب على همة رجال هذه الشركة الجليلة لما اخذوا على انفسهم من احياء آثار السلف ونحث جمهور الادباء والمطالعين على مقتنى هذين السفرين النفيسين

تنبيه * وقع سهوٌ في صفحة ٣٥ من الجزء الثاني في لفظتي سرقسطي وسرقسطة وصوابهما سَرَقوسي وسَرَقوسة

فكاهات

رواية

﴿ الفوز بعد اليأس[1] ﴾

كان في ضواحي مدينة كلرمون من فرنسا حديقة غنآء قام في وسطها قصر مشيد الاركان حسن البنيان يدل على العظمة والترف يقيم فيهِ رجلٌ من الاشراف يقال لهُ الكنت جيرلد وزوجتهُ وابنةٌ لهما صغيرة يقال لها ماري . وكان الكنت جيرلد من اصحاب الثروة الواسعة فلم يذخر وسعاً في جعل القصر والحديقة فردوساً بهياً فزيّن القصر بأنفس الرسوم وافخر الرياش ولم يدع صنفاً من اصناف الازهار والرياحين النادرة الا جمعهُ في الحديقة فضلاً عمّا ربّى عندهُ من الحيوانات الداجنة والاطيار الاليفة . وكان في أُخرَيات الحديقة بيت صغير للكنت ايضاً وهبهُ لارملةٍ مسكينة هي غسّالة لبيت الكنت كانت والدتها قد خدمت بيت والدهِ من قبلهِ ورزق الله تلك المرأة ولداً ذكراً ثم توفي زوجها فوهبها الكنت البيت المذكور لتقيم فيهِ مع ولدها الصغير ادوار ولهُ من العمر ثلاث سنوات . وكانت والدة ادوار تقضي ايامها في خدمة بيت الكنت وتُصحِب معها ادوار فيقضي ساعاتهِ في ملاعبة ابنة الكنت ماري والتسلي بلعبها

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولم تزل الحالة على ما ذكرنا الى ان ترعرعت الفتاة وحان ارسالها الى المدرسة الا ان والديها لم يكونا ليصبرا على فراقها فاحضرا لها استاذاً ماهراً يدرّسها في البيت وفوضا اليهِ امر تربيتها وتثقيفها . وكان ادوار يحضر درسها غالباً فكان يحفظ كل ما يسمعهُ في اثناء التعليم وربما اجاب عن بعض الاسئلة التي كان يلقيها الاستاذ على ماري ولما رأى الاستاذ ما عندهُ من قوة الذكاء وسرعة الحفظ أُعجب بهِ غاية الاعجاب وذكر ذلك مرةً للكنت فقال لهُ لا بأس ان تشركهُ في الدرس مع ابنتي حرصاً على مثل هذا الذكاء ان يذهب سدًى ومذ ذاك اخذ يدرّسهما معاً فوجد من كليهما ما سرّ بهِ غاية السرور

ولما طال الامر على ذلك وتمكنت الالفة بين الصغيرين نمت في قلبيهما جراثيم الحب الطاهر وكانا اذا فرغا من الدرس يخرجان الى الحديقة الفسيحة يتنزهان في ارجآئها وشب الاثنان على ذوقٍ واحد ورأيٍ واحد واخلاقٍ واحدة فكانت عواطفهما واهوآؤهما ونفساهما واحدةً في جسمين

ولما بلغ ادوار الثالثة عشرة من عمرهِ شعر في فؤادهِ بحركةٍ خفية لم يدرِ معناها حتى كان في ذات يومٍ جالساً بالقرب من ماري في الحديقة فكانت تكلمهُ وهو مشرّد الافكار يتأمل في صباحة وجهها وتسلسل شعرها وجمال مبسمها ولطافة تركيبها فعلم ان تلك الحركة التي شعر بها في فؤادهِ انما كانت ايدياً معنوية تمتد من جانب صدرهِ تلتمس الامساك بذلك الملك الطاهر وقد اصبح قبلة امانيهِ ووجهة آمالهِ . وجعل ادوار يراقب ماري فرأى ميلها اليهِ لا يقل عن ميلهِ اليها فاشتكى لها ما بهِ واجابتهُ بالمثل فتعاهد الاثنان

ان يحافظا على ما بينهما من الوداد ولا يخون احدهما الآخر الى الممات

ورأى الكنت جيرلد انهُ لا غنى عن ارسال ابنتهِ الى مدرسة عالية لاستيفاء الدروس التكميلية فارسلها الى احدى المدارس الكلية وارسل ادوار على نفقتهِ ايضاً الى مدرسةٍ اخرى وكان قد اعجبهُ تقدم الفتى وتوسم فيهِ خيراً . ولم يعلم الحبيبان بالفراق الا قبل حدوثهِ بدقائق قليلة فودع احدهما الآخر وداعاً مختصراً ختامهُ بتجديد عهد الثبات على الحب

وبعد ان مضت عليهما اربع سنوات عاد كلٌّ منهما الى مقرّهِ وهما في غاية الغبطة والسرور بعود الاجتماع وكانت الساعة الاولى التي قابل فيها ادوار ماري من اسعد ايام حياتهِ ولكنهُ ما عتَّم ان ظهر لهُ الامر على خلاف ما كان يعد بهِ نفسهُ لانهُ لما بلغ مبالغ الشبان لم يعد من اللائق ان يرافق ماري في تنزهها وباعتبار كونهِ ابن غسالة لم يعد يمكنهُ ان يذهب يومياً لزيارة بيت الكونت لنزول مقامهِ عن رتبتهم فصبر على بلواهُ واقتنع بالدقائق القليلة التي كان يصادفها فيها عن بعد . ولم يزل كذلك حتى تعاظم الحب في صدرهِ ولم يعد في امكانهِ الصبر فجلس ليلةً امام والدتهِ واخبرها بما يقاسيهِ من الوجد والهيام وتوسل اليها ان تذهب الى بيت الكنت وتطلب ماري عروساً لهُ . فضحكت والدتهُ منهُ وقالت لهُ اجدّاً تتكلم . قال ولمَ لا . قالت اياك يا ادوار ان يتخالج في صدرك مثل هذا الفكر واين نحن من مقام الكنت حتى نطلب مصاهرتهُ وبأي لسان اطلب ماري ان تكون زوجةً لك وهي اذا تزوّجت لا تأخذ الا اميراً عظيماً . وكان كلامها يزيد ادوار اصراراً والحاحاً واخيراً انتصب امامها بهيئة وحشية واخرج من جيبهِ مسدساً وقال

يجب يا اماه ان تذهبي الى الكنت جيرلد صباح غدٍ وتطلبي ماري عروساً لي وسأنتظركِ عند سلم القصر فاذا خرجتِ يجب ان تعلميني حالاً بما يكون فاذا علمت بقبولهم سُررت وسررتكِ واما اذا علمت انكِ استولى عليكِ الجبن ولم تعرضي طلبي عليهم اوكان جوابهم سلباً فاعلمي ان رصاصة واحدة من هذا المسدس تخمد انفاسي وتريحني من حياة لا اجد لي فيها لذةً ولا سروراً . ان هذا ما صممت عليهِ ولن احول عنهُ فلا تجتهدي باقناعي وموعدنا صباح الغد . ولما قال هذا دخل الى غرفتهِ واغلق الباب . اما والدتهُ فلبثت ذلك الليل لا تهدأ افكارها ولا يغمض جفناها فقضت ليلتها في البكاء اسفاً على ولدها لانها كانت على يقين من ان طلبتهُ لا يمكن ان تجاب وجعلت تبتهل الى الله ان يغير افكارهُ

وما اشرقت شمس الصباح حتى استيقظ ادوار فايقظ والدتهُ وهي متناومة والحَّ عليها فلبست وسارت الى القصر وهو يتبعها عن بعد حتى صعدت السلم وجعل هو ينتظرها والمسدس في يدهِ كما قال في الليلة السابقة . اما والدتهُ فدخلت القصر وهي ترتجف خوفاً ويأساً ورآها الكنت في حالة الارتباك فجعل يسألها عمَّا بها ولم يمكنها الكلام فتساقطت دموعها . فاحاط بها الكنت وزوجتهُ والزماها ان تخبرهما بما اصابها فقصَّت عليهما الامر وهي تبكي وتنتحب . فضحك الكنت قليلاً ثم فكَّر طويلاً وقال لها انني اميل الى ادوار واحبهُ كولدي فقد آنست فيهِ جميع الصفات التي احبها وانا اود ان يكون عروساً لماري لاني لا يهمني ان اجد لها زوجاً غنياً فهي ليست في حاجةٍ الى ذلك . لكن قبل ان اعدك وعداً باتاً يجب ان نعرض الامر على

ماري فان كانت هي تحبهُ ايضاً وتوافق على طلبهِ فليس عندي من ذلك مانع . ثم التفت الى زوجتهِ وقال وما رأيكِ يا عزيزتي . قالت انا على ما ترى ايها العزيز وكل ما وصفت بهِ ادوار فانا اعتقدهُ تمام الاعتقاد . فاستدعى الكنت ماري وقصَّ عليها الحديث فاجابهُ من احمرار وجنتيها وخفقان قلبها ما دلهُ صريحاً على ما في نفسها ثم جثت امام والديها وقالت أجل اني احب ادوار كثيراً ولكني احب رضا كما اكثر فاذا لم يكن عندكما مانعٌ من ذلك فليس احب اليَّ من ادوار بل لن اميل الى سواهُ . ولا تسل عن سرور الارملة المسكينة بما جرى حتى اوشك ان يغمى عليها من شدة السرور . فقال لها الكنت اذهبي اذاً وبشري ادوار وارسليهِ الى هنا فانا اودّ ان اقابلهُ . فما صدقت المسكينة ان سمعت هذا الكلام حتى اندفعت تقبّل يدي الكنت والكنتة وخرجت مسرعة لتبشر ولدها وهي لا تكاد تصدق ما جرى . ولما ابصرها ادوار من بعيد قرأ في وجهها علامات الفوز فاودع المسدس في جيبهِ وقابلها باسماً فاخبرتهُ بما كان فاسرع الى داخل القصر وحيّا بالاحترام والوقار وجعل الكنت يجاذبهُ اطراف الحديث ويعجب بحسن كلامهِ ودماثة اخلاقهِ وكمال آدابهِ ثم صرَّح لهُ برضاهُ عن خطبتهِ لماري . وكان ادوار قد استحضر خاتمين على كلٍّ منهما اسم احدهما فألبس ماري خاتماً ولبس الثاني ثم جثوَا امام والديها فاقسما على الامانة والاخلاص وباركهما الوالدان . وبعد ذلك استدعى الكنت ادوار الى غرفتهِ وقال لهُ لست انكر ايها العزيز ان لديَّ من الاموال ما يضمن لك ولماري عيشة هنآء وسرور الى ما شآء الله ولكن الانسان لا يدري ما خبأ لهُ القدر فاذا قُدّر

لا سمح الله ان عبثت باموالي يد الدهر تقعان في شدةٍ وضيق وعليهِ وبما انكما لا تزالان صغيري السن ولا بأس من انتظاركما مدةً بعد فانا ارى ان اعطيك مبلغاً من النقود فتسافر الى حيث تشاء وتتاجر بهِ مدة سنةٍ ثم تعود وتريني ما تكون قد فعلت وبهذا تكون قد ربحت لك مالاً بكدك وتعبك وتعلمت التجارة لتستعين بها اذا دعتك اليها الحاجة . وكان ادوار بعد خطبتهِ لماري لا يقدّر حساباً لشيء فقبل مشورة الكنت في الحال واستعد للسفر ولما جهز لوازمهُ اعطاهُ حموهُ الفين من الدنانير فودع الجميع وسافر على بركات الله . وقصد ادوار مدينة بردو فتاجر فيها بالخمور وما مضت عليهِ ستة اشهر حتى تضاعف رأس مالهِ ثم جدد اشغالهُ الى نهاية السنة فتضاعف ايضاً . ولما رأى تزايد ربحهِ عزم ان يوطد مستقبلاً لنفسهِ بيدهِ ولا يعتمد على ثروة حميهِ فكتب اليهِ يقول اني مرجعٌ لك ألفي الليرة التي استلفتنيها فقد رزقني الله اضعافها واني اود البقاء سنة اخرى لاني آسف على ضياع هذه الارباح التي امامي . ثم كتب لخطيبتهِ ماري ووالدتهِ بالواقع وصمم على البقاء.

وكان في ذات يوم ان زار الكنت في قصرهِ المركيز لامورلين وهو اذ ذاك وزير الخارجية وكان المركيز ارملاً قبيح الصورة قصير القامة كبير الانف صغير العينين ولهُ شدقٌ يمتد الى قرب اذنيهِ تحيط بهِ لحيةٌ بيضاء مسترسلة ولم يكن فيهِ من الحسنات سوى انهُ يملك اربعة ملايين من الليرات ولهُ اليد الطولى والكلمة النافذة في الحكومة . قلنا انهُ زار الكنت لقضاء بضعة ايام عندهُ فاكرم الكنت وفادتهُ وجعل يجهد نفسهُ في مسرّتهِ ورأى المركيز ماري فافتتن بجمالها واحبها وفي نفس الليلة كلم اباها في شأنها

ووعدهُ ان هو ازوجهُ منها ان يملأ صدرهُ بأوسمة الشرف ويجعلهُ مشيراً في المملكة • وخطر للكنت لأول وهلة ان يخبر المركيز بخطبة ماري ولكن حب الرفعة وخوف العار ان هو اخبرهُ انها مخطوبة لابن خادمتهِ حملاهُ على ان يكتم الامر وبهر نور الوسامات نظرهُ فوعد المركيز بابنتهِ • ولما علمت ماري ووالدتها بذلك قامت قيامتهما فأعولتا وبكتا وما كانت دموعهما وتوسلاتهما الا لتزيد حنق الوالد وشراستهُ حتى تهدد ابنتهُ بالقتل ان خالفتهُ • وفي المسآء اجبرها على الجلوس بجانب المركيز ومحادثتهِ فكانت كلما نظرت اليهِ وتصورت جمال ادوار تسود الدنيا في عينيها • ولحظ المركيز انقباضها منهُ فسأل والدها فقال لهُ انها مستحيية لانها لم تعتد بعدُ محادثة الرجال • وبعد ان صرف المركيز بضعة ايام برح القصر عائداً الى باريز وقد وعد ان يعود بعد اشهر قليلة للاقتران بماري • ثم اخذ يزفّ الى الكنت الوسام بعد الآخر ويكثر من الهدايا الثمينة والتحف للكنتة ولماري غير ان هذه ما كانت لتعبأ بهذه الهدايا وهي تفكر في كيف تتخلص من هذه الورطة وتطلب الموت ليريحها من الاقتران بالمركيز • كل ذلك وادوار لا يعلم بشيء مما جرى لانهُ لم يجسر احد ان يخبرهُ

ولما مضت الاشهر التي عينها المركيز قدم الى كلرمون مسآء ذات يوم وطلب ان يقترن بماري في الغد • ولما علمت ماري بذلك اصابتها حمّى شديدة فكانت لا تعي شيئاً ولما حان وقت الاكليل اقتادها والدها بيدها الى امام المذبح الى جانب المركيز فلم تفق الا والكاهن يسألها هل تقبل المركيز زوجاً لها • وتحققت اذ ذاك موقفها فصاحت كلا كلا لا اريدهُ بعلاً لي

ثم ارتعشت وسقطت على الارض فاذا هي جثةٌ باردة . فلما رأى الحضور ذلك
إصابتهم دهشة شديدة وجعلوا ينظرون لعناتهم على قلب ذلك الوالد القاسي
الذي اعمى بصيرتهُ حبّ الذهب وفهم المركيز الامر فركب عربتهُ توًّا عائداً
الى باريس وهو يلعن الكنت . اما جثة ماري فبقيت في الكنيسة بلباس العرس
حيث اجتمع حولها والدتها ووالدها وبعض الاصدقاء يبكونها ويتأسفون على
شبابها . وقبيل المساء حملت الجثة الى المدفن فواروها في التراب ثم انصرف
القوم عن قبرها وهم يستمطرون لها الرحمة بعد ما سقوها وابل الدموع

ولما خيم الظلام وساد السكون وقد ظهر القمر يبعث اشعتهُ الضعيفة
على تلك البقعة اذا بشخص قد تسلل بين الاشجار الكثيفة وجعل يسير
متمهلاً ويصغي بانتباه ولما تحقق خلوّ المكان اسرع الى اللحد الحديث وجثا مصلياً
ثم نهض وجعل يحفر التراب بيديهِ الى ان بان النعش ففتحهُ ووقع نور القمر
على وجه الميتة فوقف الشخص يتأمل فيها . ثم اندفع من صدرهِ انين عميق
وانطلق لسانهُ فقال يعزُّ عليَّ ان اراكِ ميتةً بعد ما كنت احاذر عليكِ محاذرتي
على روحي وكانكِ اردتِ تخفيف حزني فلم تموتي حتى حنثتِ بيمينكِ
وجرّعتني مرارة الخيانة قبل ان تجرّعيني مرارة فقدكِ . اني فتحت لحدكِ ليس
لاودعكِ فانكِ لا تستحقين الوداع ولكن لآخذ من يدكِ خاتماً عليهِ اسمي
فاني لا اسمح ان تلبسيهِ وانتِ قد حنثتِ بيمينكِ التي جعلتهِ شاهداً عليها

وكان المتكلم كما عرف القارئ هو ادوار فانهُ بعد ان اتم تجارتهُ وربح
الارباح العظيمة فوّض اشغال محلهِ الى وكيل وعاد الى كاره ون ورأى ان
لا يخبر بقدومهِ مفضلاً الوصول بغتةً فلما بلغ كاره ون رأى الجمع يدخلون

المقبرة فسأل بعض المارة فاعلموهُ بزواج ماري وموتها فتبعهم الى المدفن واختفى ريثما خرج الجميع ففعل ما ذكرنا ولما اتمَّ كلامهُ انحنى فاخذ يد الجثة اليمنى ليخرج منها خاتمهُ فتعذر عليهِ اخراجهُ وجعل يفكر هل يكسر الخاتم او يقطع الاصبع ثم قال لا ان خاتمي لا ينفصل فهو قطعة واحدة اما انتِ فقد اشركتِ في الحب ثم اخرج من جيبهِ سكيناً حادًّا وبدأ يحزّ الاصبع واذا بقطرات دم تسيل من الجرح فارتعش ادوار ولبث مبهوتاً كمن مسهُ الجنون وبعد هنيهةٍ عاد اليهِ رشدهُ فامسك الفتاة واخرجها من النعش فالقاها على الارض وكان الدم يزداد خروجاً من اصبعها ثم رأى صدرها ينخفض ويرتفع فأخذ يستعمل ما بوسعهِ لايقاظها حتى افاقت قليلاً فقالت أماه أين أنا • دعيني اموت ولا أرى وجه المركيز ثم عادت الى غيبوبتها. فاحتال ادوار على ان فتح باب المقبرة ثم حملها بين يديهِ حتى خرج بها الى الخارج وأغلق الباب ثم اكترى عربةً ونقلها الى نزل قريب واستدعى طبيباً لمعالجتها فلما فحصها الطبيب وجد ان ما أصابها نوبة عصبية شديدة على اثر انفعال عظيم فأخذ يعالجها حتى افاقت تماماً فكان اوّل كلمة قالتها آه ادوار

ولم تدرِ ماري محل وجودها ولا ما اوصلها الى ذلك المكان فستر عنها ادوار الامر في تلك الحال مخافة ان يؤثر الرعب فيها اذا تصوَّرت ما كانت فيهِ ثم اخذ يسألها عما كان في مدة غيبتهِ فأخبرتهُ بكل ما حدث ولما تعافت احضر كاهناً الى النزل فعقد لهُ عليها وأصبحت ماري زوجةً شرعية لادوار

كل ذلك ووالدا ماري في أشدّ الحزن على فقدها ووالدة ادوار تفكر ماذا يحدث بولدها متى رجع او بلغهُ الامر • وبعد بضعة ايام دخل ادوار على

والدته فعجبت من قدومه بدون سابق علم وبعد السلام قال يجب ان اذهب توًّا الى بيت حمي وأرى ماري . فجعلت والدتهُ تقنعهُ ان لا يفعل في ذلك اليوم فأصرَّ وذهب وأصحب ماري معهُ ولما بلغ القصر دخل وحدهُ وبقيت ماري خارجاً في العربة . ولما دخل رأى الكنت وزوجتهُ جالسين يبكيان نحياً وسألهما عن سبب حزنهما وأين ماري. فجثا الكنت امامهُ وقال عفواً يا عزيزي ادوار اصفح لي فقد قتلت ماري بيدي ثم اخذ يقص عليهِ الواقعة ويطلب منهُ الصفح . اما ادوار فقهقه ضاحكاً وقال ذلك ما كنت اظنهُ بكما فقد علمت ان الغنى لا يكفي لجعل الانسان صادقاً في وعدهِ ولذلك فاني قد تزوَّجتُ وستصل زوجتي عن قريب وتريانها وقد كفاني الله غدركما واما انتما فحسبكما جزاء اغترازكما بالمركيز وخيانتكما لي مما سيعقبكما حزناً دائماً يتبعكما الى القبر . واذ ذاك فُتح الباب فدخلت فتاة على وجهها نقاب فاستقبلها ادوار ثم عرَّفهم بها انها زوجتهُ وبعد ما حيَّت جلست تجاه والدتها ولم ترفع نقابها وأخذ الجميع يتحدثون وأدوار يؤنب الكنت والكنتة على عملهما ولما شفى صدرهُ منهما اشار الى ماري فرفعت نقابها وحالما وقع نظر والدتها عليها صاحت صيحة عظيمة وسقطت مغشياً عليها واما الوالد فوقف مبهوتاً وقد جحظت عيناهُ ولم يدرِ أفي حلمٍ هو ام في يقظة

وبعد ذلك اطلعهما ادوار على ما حدث وشاع الخبر في المدينة فتعجب الجميع من هذا التدبير الرباني الذي لم يحرم ادوار حبيبتهُ فجددوا الافراح وعاش ادوار وماري مع بقية الأسرة في اتمّ الخير واكمل السرور

العلوم عند العرب

لا يخفى ان العرب كانوا قوماً اهل باديةٍ وأنهم يقضون دهرهم في ارتياد مواقع الغيث وانتجاع منابت الكلأ فلا يزالون بين تطنيبٍ وتقويض وحلٍّ وترحال وهي حالةٌ منافية لطبيعة العلم وما يقتضيهِ من القرار والسكون والتوفر على البحث والاستدلال وذلك فضلاً عما كان بينهم من الغارات والمغازي المتواصلة وانقطاع كل قبيلٍ بنفسهِ بحيث لم تستتبّ بينهم الصلة الاجتماعية التي يكون عنها نماء المدارك واتساعها واثر هذا الانقطاع بادٍ في لغاتهم حتى تجد للمسمى الواحد عدة اسماء قد تبلغ الى المئات وتجد اللفظ الواحد يُطلق على عدة معانٍ متباينة وقد يُطلَق على معنيين متضادَّين وهي نهاية البعد والاختلاف . فلما جاء الاسلام وضمّ شتاتهم وجمع اطرافهم اشتغلوا بالفتوح وانصرفت عزائمهم الى توسيع نطاق ملكهم ولا سيما مع ما أُوتوا من الظفر والتغلب على الممالك فكانت تلك الحال ابعد عن الاشتغال باسباب العلم والتفرغ لمباحثهِ وما زال امرهم ذلك الى ان قضوا نهمتهم من الفتوح ورسخت قواعد دولتهم ورأوا في اكثر الممالك التي وطئوها من اسباب الحضارة والتبسط في انواع الفنون ما حبب اليهم معاناة العلوم والصنائع فانصرفوا الى طلبها ولم يقع لهم ذلك الا في اثناء المئة الثانية للهجرة بعد ما دوّخوا الآفاق وزال ما كان بينهم من المناهضات والمشاحّات على الخلافة وغيرها. على انهم لم يغفلوا في تلك الفترة عن العناية بتدوين لغتهم وتحرير احكام شريعتهم وهو امرٌ ضروريٌّ في مثل تلك الحال لتقرير قواعد دينهم وصيانة ألسنتهم من

الفساد ولا سيما بعد اختلاطهم بالاعاجم مما دعاهم الى تدوين الفاظ اللغة وضبط احكامها على ما هو مشهور من وضع التصانيف فيها مما لا حاجة الى بسطهِ هنا . قال ابو الفرج المَلَطيّ في تاريخهِ ونقلهُ صاحب كشف الظنون قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسيّ ان العرب في صدر الاسلام لم تعنَ بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطبّ فانها كانت موجودةً عند افرادٍ منهم غير منكورةٍ عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًّا اليها وذلك منهم صونًا لقواعد الاسلام وعقائد اهلهِ عن تطرُّق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والإحكام حتى يُروَى انهم احرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد . فهذه كانت حال العرب في الدولة الأُمَوية فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك اليهم ثاب الهمم من غفلتها وهبّت الفطن من ميتتها وكان اول من عُنِي منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعتهِ في الفقه كلفًا بعلم الفلسفة وخاصةً بعلم النجوم . ثم لما افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هرون الرشيد تمم ما بدأ بهِ جدّهُ فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ وداخل ملوك الروم وسألهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليهِ منها بما حضرهم فاستجاد لها مهرَة التراجمة فترجمت لهُ على غاية ما امكن ثم حرّض الناس على قراءَتها ورغّبهم في تعلمها . اه

هذه مبادئ النهضة العلمية عند العرب تقدمهم فيها الخلفاء واعزُّوا العلم واهلهُ فهبّت بهم ريحهُ وارتفع منارهُ ولم يمضِ حينٌ من الدهر حتى حفلت بغداد ونواحيها بالعلماء والمصنفين وزخرت خزائنها بالكتب النفيسة

وامتدت شعلة الطلب والتدريس الى سائر المدائن العربية حتى قيل ان الرشيد امر ان يُبَنى بجانب كل جامع مدرسة. ولم يكن الحال بالمغرب على دون ما كان عليهِ بالمشرق وكان البادئ بنشر العلم هناك والداعي اليهِ الخليفة عبد الرحمن الأمويّ الملقب بالناصر فجعل مدينة قُرطُبة التي هي مقرّ الخلافة داراً للعلم على نحو ما كانت بغداد في المشرق وحشد الكتب من افريقيا وبلاد فارس ومصر والآفاق العربية حتى جمع فيها يقال اربع مئة الف مجلد وقيل ست مئة الف وانتشرت هذه الرغبة في العامة حتى كانت الكتب من انفس ما يُتغالى بهِ واشتدّ حرص الناس على جمعها وانتساخها والمغالاة بأثمانها حتى يقال ان الاندلس كان فيها في اوائل القرن الخامس للهجرة سبعون مكتبة حافلة والناس على دين ملوكهم

وكان اول ما جنحوا اليهِ من العلوم الطبّ والتنجيم والفلسفة وذلك لما اشتهر عندهم من ان الانسان لا يكون طبيباً حتى يكون منجماً ولا يكون منجماً حتى يكون فيلسوفاً فامر ابو جعفر المنصور طبيبهُ جرجيس بن بختيشوع فعرَّب لهُ كتباً في الطب استخرجها من الفارسية وعرَّب لهُ محمد بن الفَزاويّ كتاباً من تآليف الهند في صناعة التنجيم يسمى بالسند هند وامر عبد الله بن المقفَّع المشهور معرّب كتاب كليلة ودمنة فعرَّب لهُ كتباً في المنطق عن اليونانية ثم تتابع الخلفاء على ذلك من بعدهِ واشهرهم هرون الرشيد وولدهُ عبد الله المأمون وكان الرشيد لما فتح انقرة وجد فيها كثيراً من كتب العلوم فامر بحملها الى بغداد وأمر طبيبهُ يوحنا بن ماسوَيه بتعريبها وقام بعدهُ المأمون وكان اعظم الخلفآء واعلمهم وكان عارفاً من اللغات اليونانية والعبرية

والهندية والفارسية فضلاً عن تبحرهِ في الفلسفة والهيئة فاكثر من نقل كتب اليونان الى العربية وكان عندهُ عدةٌ من المترجمين منهم طبيبهُ حُنين بن اسحق العباديّ وهو الذي عرّب كتاب اقليدس وكتاب المجسطي لبطلميوس وكتاب ابولونيوس في المخروطات وكثيراً من كتب الحكمة والطب من تآليف ابقراط وجالينوس وغيرهما . وورد في بعض كتب الافرنج ان المأمون عقد عهد صلح مع ميخائيل الثالث[١] ملك الروم على ان يستنسخ لهُ جميع المصنفات اليونانية ووجه بعثاً يحمل اليهِ من جزيرة قبرس كل ما وُجد هناك من الذخائر العلمية وكانت الجزيرة قد دخلت من عهدٍ قريب في حوزة الاسلام

ومن مشاهير المترجمين في الدولة العباسية خلا من ذكر اسحق بن حُنين المذكور وكان يعرّب كتب الحكمة والطب وثابت بن قُرّة وكان يعرّب كتب الحكمة وتوفي في ايام المقتدر ويعقوب بن اسحق الكندي وكان في ايام المتعصم ويوحنا بن البطريق وكان اميناً على ترجمة الكتب الحكمية وحُبَيش بن الأعسم وكان ينقل عن الكتب اليونانية والسريانية وقسطا بن لوقا البعلبكي الفيلسوف الرياضيّ وغيرهم . واشهر الكتب التي ترجموها عن فلاسفة اليونان مؤلفات فيثاغورس في الحساب والموسيقى وغيرهما من العلوم الرياضية ومؤلفات افلاطون في النفس والسياسة المدنية وكتب ارسطو في المنطق والحكمة والعلم الطبيعي والحيوان والنبات وكتب ابقراط وجالينوس في الطب ودسقوريدس في الادوية واقليدس في الهندسة

---

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب مع تيوفيلوس ابيه لان ميخائيل ملك بعد موت المأمون

وبطلميوس في الهيئة وغير ذلك

وكان عند المأمون جماعةٌ كبيرة من المنجمين منهم حبش الحاسب المَرْوَزيّ صاحب الزيج الممتحَن واحمد بن كثير الفرغاني صاحب المدخل الى علم هيئة الافلاك ومنهم عبد الله بن سهل بن بوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي وكان قيّم خزانة كتب المأمون ولهُ مصنفٌ في الجبر والمقابلة ألّفهُ بامر المأمون وهو اول كتابٍ كتب في العربية في هذا الفنّ ومنهم ما شآء الله اليهودي وكان في زمن المنصور وعاش الى ايام المأمون ومنهم يحيي بن ابي منصور وعباس بن سعيد الجوهري وكانا كبيرَي المنجمين عند المأمون . قال في كشف الظنون قال القاضي ابو القاسم صاعد الاندلسي في كتاب التعريف بطبقات الامم لما افضت الخلافة الى عبد الله المأمون وطمحت نفسهُ الفاضلة الى درك الحكمة ووقف العلمآء في وقتهِ على كتاب المجسطي وفهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيهِ جمع علمآء عصرهِ وامرهم ان يصنعوا مثل تلك الآلات وان يقيسوا بها الكواكب ويتعرفوا احوالها بها كما صنعهُ بطلميوس ومن كان قبلهُ ففعلوا ذلك وتولوا الرصد بها بمدينة الشمّاسية وبلاد دمشق[1] من ارض الشأم سنة ٢١٤ فوقفوا على زمان سنة الشمس الرصدية ومقدار ميلها وخروج مراكزها ومواضع اوجها وعرفوا مع ذلك بعض احوال الكواكب من السيارة والثابتة ثم قطعهم عن استيفآء عملهم موت الخليفة المأمون سنة ٢١٨ فقيدوا ما انتهوا اليهِ وسموهُ الرصد المأموني . وكان الذي تولى ذلك يحيي بن ابي منصور كبير المنجمين في عصرهِ وخالد بن عبد الملك المروزي

---

(١) عبارة ابي الفرج « بالشماسية ببغداد وجبل قاسيون بدمشق »

وسند بن عليّ والعباس بن سعيد الجوهري والف كلٌّ منهم في ذلك زيجاً منسوباً اليهِ وكان ذلك اول رصدٍ في مملكة الاسلام. انتهى بتصرفٍ يسير

ورصد المأمون ميل دائرة البروج رصدين احدهما في بغداد تولاهُ يحيي بن ابي منصور وسند بن علي وعباس بن سعيد فوجدوا ميل دائرة البروج ٢٣° ٣٥َ وقيل ٢٣° ٣٣َ . والثاني في دمشق تولاهُ خالد بن عبد الملك وسند بن عليّ وابو الطيّب وعليّ بن عيسى الملقب بالاسطرلابي فوجدوا الميل المذكور ٢٣° ٣٣َ ٥٢ً

ومن اعمال المأمون المخلدة في كتب العلم والتاريخ قياسهُ للدرجة من خط نصف النهار على ما بسطنا الكلام فيهِ في الجزء السابع عشر من البيان (صفحة ٦١٠ وما يليها) تولى ذلك لهُ ابناء شاكر محمد واحمد والحسن وكانوا من مشاهير علماء الهيئة . ولهؤلاء عدا ذلك رصدٌ لميل دائرة البروج وحركة نقطتي الاعتدال وكان لهم مرصدٌ على جسر بغداد فظهر لهم بالرصد هنالك ان تكبد الشمس في المنقلب الشتوي سنة ٢٣٧ ليزدجرد وهي سنة ٢٤٨ للهجرة كان على ٣٣° ٥َ ورصدوا في السنة التالية تكبدها في المنقلب الصيفي فكان على ٨٠° ١٥َ فاستخرجوا ان عرض بغداد عند مرصد الجسر يكون ٣٣° ٢٥َ وان ميل دائرة البروج يكون ٢٣° ٣٥َ . ولتحقيق مبادرة الاعتدالين رصدوا قلب الاسد سنة ٢٢٦ وسنة ٢٣٣ فتبين لهم انهُ في هذه الفترة تقدمت المبادرة ٦َ ١٥ً فتكون كميتها ٥٣ً ٣٤ًً في السنة وهي اكثر من الحقيقة بثلاث ثوانٍ ونصف ثانية على التقريب

وجاء بعد هؤلاء ثابت بن قرّة وهو خريج محمد بن موسى بن شاكر

احد الثلاثة المذكورين ولهُ مصنفٌ طبَّق فيهِ الجبر على الهندسة وهو اول من تفطن للتغير في ميل دائرة البروج وكان هبرخس و بطلميوس قد وجدا ان ميل دائرة البروج ٢٣° ٥٢َ فلما اعاد الرصد وجدهُ ٢٣° ٣٣َ ٣٠ً اي اقل بمقدار ١/٢ ١٨َ . ثم رصد نقطتي الاعتدال فوجد ان لهما حركتين احداهما مستقيمة والاخرى متقهقرة بحيث وجد انهُ لا يمكن ضبط طول السنة برجوع الشمس الى احدى هاتين النقطتين فعاد الى طريقة الكلدان من رصد الشمس بالقياس الى الثوابت فخرج معهُ لطول السنة ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و ٩ دقائق و١١ ثانية وهو يقرب مما حققهُ المتأخرون على فرق ٥ ثوانٍ (ستأتي البقية)

علاج الملسوع

لحضرة النطاسي الفاضل الدكتور محمد العشماوي الحكيم
مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

وعدنا في الجزء الماضي من الضيآء المنير ان نأتي على بيان تأثير السم في الملسوع وطرق مداواتهِ وانجازاً لوعدنا نذكر ذلك بطريق الايجاز فنقول

اما تأثير السم في الحيوانات ذات الدم الحارّ فهو فضلاً عن اتلافهِ للكرات الحمرآء للدم يؤثر تأثيراً شديداً على المراكز العصبية ويكون منهُ حصول القيء المتواتر والتشنجات العصبية المتكررة . ولنذكر هنا طرفاً من اعراض نهش الافاعي عند الانسان والادوية التي وُصِفت لها وافضل الطرق لمداواتها

والافاعي انواعٌ عديدةٌ اشدّها خطراً هو الثعبان ذو الجرس او الثعبان الجلجلي وهو يسكن اميركا وافظعها ما كان منهُ يسكن اميركا الجنوبية وليس لهذا الحيوان وجود في مصر الاَّ اني أتذكر اننا حينما كنا نتلق هذا الفصل على المرحوم علي بك رياض استاذ علم المواليد الثلاثة في المدرسة الطبية ذكر لنا انهُ رأى هذا الثعبان في نيل الروضة بمصر وشاهد الحراشيف الرنانة التي في ذنبهِ وسمع منهُ الصوت الرملي حال مشيهِ

والمشهور انهُ لا يوجد في مصر من الثعابين السامّة سوى الثعبان الناشر مع انهُ يوجد فيها حيةٌ بتراء شديدة الخطر تأوي محاجر الجبل المقطم وهي لا تمهل ملسوعها اكثر من بضع دقائق كما انها ذات جراةٍ عظيمة وقد لدغت شاباً فلم تمهلهُ اكثر من عشرين دقيقة

اما الثعبان الناشر الكثير الانتشار في مصر فهو يخشى شرّ الانسان كما يخشى الانسان شرّهُ ولذا فانهُ يفرُّ منهُ الا اذا بادرهُ الانسان بالشر او داسهُ سهواً

اما اعراض نهش هذه الحيوانات السامة عند الانسان فهي تختلف بحسب نوعها وشدة تهيجها وموضع اللدغ اذ اللدغ اذا كان في الوجه فالموت قريب للغاية . وعلى العموم فالاعراض المشاهدة عند الملسوع هي اولاً الجراح الحاصلة من اللدغ ولها هيئةٌ مخصوصة تعرف بها وهي وجود وخزين متقاربين شكلهما ينطبق على شكل الكلاَّبين ثم الاحساس بألم في الجزء المجروح قد لا يكون ثقيلاً في المبدأ ثم يأخذ هذا الألم في الامتداد الى الاجزاء المجاورة حتى يصل الى الاحشاء البطنية وياخذ العضو في الانتفاخ

وتغير اللون الذي يكون كدمياً ثم رصاصياً ثم تظهر عليهِ الفقاعات التقرينية ويحصل للشخص اغمآء ويصير النبض دقيقاً متواتراً غير منظَّم ويحصل قيء صفراوي وعسر في التنفس وعرق بارد بمقدار وافر واضطراب في الإبصار وفي القوى العقلية وتحدث تشنجات عصبية متواترة ويرقان عام واحياناً يشعر الملسوع بآلام شديدة في القسم الشراسيفي ثم ان الدم الذي يسيل من الجرح الوخزي يكون مسوداً واحياناً يستحيل الى مادة قيحية سائلة مصلية منتنة ويعقب ذلك ثقل الاعراض ثم الموت

ثم ان تحمُّل الانسان للدغ الحيات يختلف بحسب السن وقوة البنية فالاطفال سريعو الموت بهِ وكذا ضعاف البنية والسقمآء

اما معالجة هذه الآفة فقد تحيرت الاطبآء في طرق الشفآء منها كما ان الادوية العديدة والترياقات المركبة التي اخترعت لمعالجتها ومنها ما أُدخل فيهِ من اجزآء الحية نفسها ذهبت كلها بدون فائدة مما يدلنا على عجز صناعة الطب عن شفآئها . غير ان المعالجة المتفق عليها نهآئياً تختلف بحسب تهيج الحية وقوتها وقوة المصاب وموضع اللدغ ومدَّتهِ

فاذا كانت الحية قوية شديدة التهيج والغضب والسم المنسكب منها بمقدارٍ وافر في الجرح وموضع اللدغ سريع الامتصاص كالوجه مثلاً فالنجاة مستحيلة

واما اذا لُدغ الانسان في احد الاطراف مثلاً وهو الغالب فيتَّبع في معالجتهِ ثلاثة اطوار

(الاوَّل) اذا لم يُحدث السم الأَظواهر موضعية يُبتدأُ بربط المحل

من اعلى الجرح حالاً من غير ان يكون الضغط قوياً لئلا يعوق الدورة الغائرة للطرف ولا بدّ ان يكون الرباط عريضاً وبعد ذلك يوسّع الوخز توسيعاً كافياً بجملة شقوق غائرة حتى ينتهي الى غور الجرح ويغسل بماء كثير غسلاً متتابعاً ثم يُدلك بعصارة الليمون بشبه فرشة كفرش الاسنان ويوضع على الجرح محجم ذو طلمبة ماصّة او يُمَصّ الجرح بالفم اذا كان الفم خالياً من الجروح والقروح والتسلخات ويكوى بكاوٍ كيماوي شديد كالحامض الكبريتيك المركز مثلاً او يكوى بالحديد المحمى الى البياض ويكون الكي غائراً على قدر الامكان وفي الآن الواحد تعطى مشروبات منبهة كالنبيذ الحار او النعناع ويحفظ المريض في فراشه مغطّى تغطيةً جيدةً ليسخن جسمهُ ويُلف العضو الملسوع بقطن

(الثاني) اذا امتُصّ السم وسرى في الاوعية فتى جاء دور ردّ الفعل تمنع المشروبات المنبهة وتعوّض بمنقوعات حارّة مضادة للتشنج تعين على حصول العرق واذا وُجد برد وعرق لزج فلا بأس من اعطاء خلاصة الكنكينا من ٤ الى ٥ جرامات في ١٥٠ جراماً من النبيذ

(الثالث) تقاوَم الخراجات والخشكريشات من العوارض الثانوية بالشق كما يفعل في الفلغمونيات المنتشرة ولا بدّ مع ذلك من تغذية مقوّية للمريض مع المعالجة المقوّية ايضاً

ثم ان بعض الاطباء استعمل الحقن بيرمنجنات البوتاسا ضد نهش هذه الحيوانات السامّة في البلاد الحارّة لكن لم يتحقق الى الآن نجاح هذا العمل

اما طرق الوقاية منها فعلى الانسان ان يتخذ كل الطرق الممكنة لعدم اعتراضها في طريقها او مبادرتها بالشرّ او مفاجأَتها في اجحارها واذا اضطرَّ الى مقاومتها فليس لهُ الا ان يقابلها بسلاحه ويعتمد على عقلهِ وذكائهِ وان تمكن من القبض عليها فيكون بالقرب من رأسها او من ذنبها ثم يرجّها رجًّا حتى لا تتحوّل عليهِ وتلدغهُ ويضرب بها الارض ليحل فقراتها

ولا ينبغي للانسان ان يأْمن شيئاً منها على العموم حتى الموجودة في أيدي الحواة والمشعوذين الذين يدَّعون نزع انيابها لما هو معلوم من ان انيابها ملتصقة التصاقاً متيناً بفكها الملوي لا يتيسر نزعها منهُ ولكن جل ما يفعلهُ هؤلاء ان يقصفوا انيابها فقط وهي سريعة العود الى ما كانت عليهِ لسرعة نموها او ينبت لها ما يحل محلها وعلى كل حال فلا يكون الدنوّ منها الا تعرُّضاً للخطر والله الواقي

السكة

المراد بالسكة النقود المسكوكة اي المضروبة من الذهب والفضة وغيرهما وأصل السكة الحديدة المنقوشة التي تُضرَب عليها النقود ثم سميت بها النقود انفسها من باب المجاز المرسل . واستعمال السكة او في معناها قديمٌ جدًّا يرجع الى اوائل عهد المجتمع للاحتياج اليها في التعامل الا انها لم تكن في اول امرها تتخذ من المعادن المضروبة على ما هو الحال لعهدنا الحاضر ولكنهم كانوا يصطلحون على اصنافٍ من الموادّ التي تصلح لذلك كما لا نزال نراهُ الى اليوم في بعض الانحاء البعيدة عن مواطن المدنية فان الحبش مثلاً يستعملون الملح

يتخذونهُ في شكل قُضُبٍ مربعة وفي بعض جهات اميركا الشمالية يستعملون الجلد الذي تتخذ منهُ القرآء وفي المكسيك يستعملون حبّ الكاكاو وفي بعض انحاء روسيا يستعملون قراضات من الجلد وفي بعض البلاد الافريقية يستعملون الصدف الى غير ذلك . الا انهُ لما كان غالب هذه الاصناف معرّضاً للتلف مع صعوبة التحرير في قيمها تنبه الناس لاستعمال المعادن المطروقة لانها اجمع للصفات المطلوبة وكانوا يتخذونها بهيئة محلول او سبائك يتعاملون بها بالوزن وهو ما كانت عليهِ المعاملة عند المصريين الاولين والعبرانيين ولا يزال يُتعامل بها كذلك في المملكة الصينية الى اليوم . ثم انهم لزيادة التسهيل في التعاطي جعلوها قِطعاً مقدَّرة من الذهب والفضة يحررون اوزانها وقيمها ويُرصِدونها للمعاملة ولاتقاء الغش فيها وسموها بختم صاحب البلاد ومن هنا ابتدأ عمل السكة الحقيقية

اما اختراع السكة فالذي ظهر من مباحثهم انها اول ما استُعملت عند اليونان لان كل ما وُجد من آثار الامم الاولى من المصريين والفرس والمادَ وبين والأشوريين والبابليين لم يُرَ فيهِ شيءٌ من النقود المضروبة واقدم سكةٍ وُجدت في العاديَات لا تتعدى الى ما وراء القرن السادس ق م وكل ما وُجد منها في ذلك التاريخ من ضرب اليونان . والظاهر ان اول من ضُربت السكة على عهدهِ هو الملك اسكندر الاول ما بين سنة ٤٩٩ و ٤٥٤ . وكانت قاعدة مسكوكاتهم الدرهم وتحتهُ الاوبول وهو سدس الدرهم وفوقهُ الاستاتير وهو من الذهب وقيمتهُ عشرون درهماً وكانوا يضعون السكة على وجهٍ واحد من النقود منقوشاً عليها اشكالٌ هندسية تختلف باختلاف مصطلح البلدان

واشهرها الشكل المربع ومنها ما كان يُنقَش عليها صورة الاله الذي تنتسب اليهِ كل مدينة وربما نقشوا فيها احرفاً تُنتزَع من اسم المدينة او رموزاً تمثيلية تدل على معنًى من المعاني . وقد رؤيت قِطعٌ من اقدمها عهداً عليها صورة ثور واخرى عليها صورة بومة او دلفين ومنها ما كان عليها صورة باخوس اله الخمر وبجانبهِ عنقود عنب وكأس الى غير ذلك . وكان اسكندر الاول يضرب حروف اسمهِ وتبعهُ في ذلك خلفآؤهُ ثم صاروا يضربون صورة رأسٍ من رؤوس الآلهة واستمرّ ذلك الى زمن اسكندر الكبير المعروف بذي القرنين فضرب صورة نفسهِ وهو اول من فعل ذلك وكانهُ على جهة التأله وتابع ملوك اليونان من بعدهِ على مثالهِ واقتفاهم في ذلك ملوك الرومان وكانوا يضعون صور اسلافهم الى زمن قيصر وهو اول من وضع صورة نفسهِ ثم لم يلبث غيرهُ ان تبعهُ ايضاً

اما العرب فكانوا في اوائل فتوحهم يقلدون المسكوكات القديمة من البيزنطيّة والساسانية ثم عدلوا عن ذلك الى الكتابة . قال ابن خلدون في كلامهِ على السكة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهدها او تمثيل حصن او حيوان او مصنوع او غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر امرهم ولما جآء الاسلام اغفل ذلك لسذاجة الدين وبداوة العرب . وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين ايديهم يردّونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى ان تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك فامر عبد الملك الحجاجَ بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من

الخالص وذلك سنة اربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد . وقيل اول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب ابن الزبير بالعراق سنة سبعين بامر اخيهِ عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في احد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج .. وكان الدينار والدرهم على شكلين مدوَّرين والكتابة عليها في دوائر متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تهليلاً وتحميداً وصلاةً على النبي وآلهِ وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا ايام العباسيين والعُبَيديين والامويين .. ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سنّ لهم المهديّ اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وان يُرسَم في دائرة الدينار شكلٌ مربع في وسطهِ ويُملأ من احد الجانبين تهليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمهِ واسم الخلفاء من بعدهِ . واما اهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدَّرة وانما يتعاملون بالدنانير والدارهم وزناً بالصنجات المقدَّرة بعدةٍ منها ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان كما يفعلهُ اهل المغرب . انتهى باختصار

وجاء في بعض المؤلفات الافرنجية ان الاتراك لما استولوا على القسطنطينية ضربوا النقود وعليها اسم السلطان بالحرف اليوناني وقد بقيت منها قطعٌ باسم السلطان محمد الثاني ثم لم يلبثوا ان استبدلوا الحرف اليوناني بالعربي على ما هو الحال اليوم . ويُروى عن السلطان صلاح الدين الايوبي انهُ نقش على مسكوكاتهِ ازهاراً من الزنبق واستمرَّ على ذلك مدةً ثم اهملهُ وعاد الى الكتابة والله اعلم

استنبات الشعر

جآء في احدى المجلات العلمية عن مكاتبٍ لها في الآستانة ان طبيباً من اهلها اذاع انهُ يُنبت الشعر في ايّ موضع شآء من الجسم حتى في راحة اليد . قال ولقد يترآءى لبعض المطالعين ان هذا ضربٌ من الخرافة او ان لمدَّعيهِ غرضاً ما ولكني احقق لهُ انهُ متسرّع في هذا الظن وان الامر حقٌّ لا شك فيهِ والطبيب المذكور يفعل ذلك مجاناً لا يسأل عليهِ اجراً . بلى لا يُنكَر ان ذلك ليس من الاعمال التي في استطاعة كل انسانٍ ان يجريها ولكن لا بدّ لهُ من براعةٍ فائقةٍ على حدّ ما يقتضيهِ سائر اعمال الجراحة اذ هو غير خارج عنها . وفيما يزعم هذا الطبيب انهُ عن قليل يمكن استبدال الشعر الذاهب كما يمكن استبدال السنّ مثلاً بسنٍ صناعية غير ان الشعر الذي يغرسهُ في الجلد يعيش فيهِ ويتأصل وينمي ويكون متصلاً بأصل الخلقة على حدّ الشعر الذي يخلق مع الانسان لا كالسنّ التي تستعار وتبقى اجنبية عن الجسم

وهذا مع ما يظهر فيهِ من الغرابة وشبه الغلوّ فانهُ قد ثبت بتعدُّد التجارب وتكرر الامتحان وقد عقد الطبيب المشار اليهِ محاضرةً علمية جمع اليها طائفةً من اكابر اطبآء الآستانة وعرض امامهم هذا الاستنباط مع شرح الطريقة التي جرى عليها فيهِ وهي انهُ يغرس الشعر في الجلد كما يُغرَس الفسيل في الارض ثم اراهم شيئاً من الشعر كان قد غرسهُ في رأس انسان اقرع بأن احتزّ قطعةً من جلدهِ الذي عليهِ شعر فالصقها بالمواضع التي

ذهب شعرها فعاد الشعر الجديد ينمي كالشعر الطبيعي

ولا يخفى ان هذه الطريقة ليس فيها ما يُستغرب عند من شهد التطعيم الحيواني الذي اصبح اليوم من الامور المتعارَفة حتى عند عامة الناس فمن المشهور ان الجرَّاحين كثيراً ما ينقلون قطعةً من الجلد السليم فيلحمونها بموضع الجرح او القرحة فينشأ على ظاهر ذلك الموضع جلدٌ جديد يسدّ مكان الجلد الذاهب بالجرح او بتشوُّه احد الاعضاء او غير ذلك من الآفات وربما طعَّموا العظم بمثل ذلك وليس في شيء من هذه الاعمال عجب وامر تعويض الشعر يتم على الطريقة نفسها

وما ننكر ان هذا الاستنباط لم يبلغ الى الآن تمام نجحهِ اذ لا يصدق في كل مرة بيد ان ذلك منوط بالحالة التي يُجرَى فيها العمل وبلباقة العامل ولا بدّ لتحقيق نجحهِ واطّرادهِ من تكرار التجارب حتى يُهتدى الى انجحها واصدقها

على ان كل ما اجراهُ الطبيب المذكور الى الآن لم يكن الا غرس عناصي من الشعر في مثل ما ذُكر من مواضع القَرَع ولكنهُ يرجو بل يتيقن انهُ يمكن ان يُتوصل بهذه الطريقة الى ردّ شعر الاصلع بتمامهِ الا ان ذلك لا يستغني عن استنباط طريقةٍ يُضمَن فيها نجاح العمل بحيث ان الجلد المطعَّم يكون على عمقٍ كافٍ واتجاهٍ موافق والا فلا يلبث الشعر الجديد ان يتناثر ويسقط . انتهى تحصيلاً

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

اطلعت في الجزء الرابع من الضيآء على رد حضرة مناظري الفاضل على ما كتبت في الجزء الثاني واول ما ذكر فيه انهُ « لم يرَ من سياق كلامي على المبدأ الحساس فرقاً واضحاً بينهُ وبين المبدأ العقلي » وغاية ما طلبهُ مني « ان اقيم الادلة العلمية على مخالفة المبدأ العقلي في الانسان والعجماوات » وهآءنذا ألبّي طلبهُ ولا اخاف على نفسي في هذا السبيل من « وعورة المسلك وعقباتهِ ولا من اختلاف العلمآء وتنازع الآرآء » وقبل ذلك ارجو منهُ ان يسمح لي بالتنبيه الى ثلاثة امور (الاول) ان في كلامهِ ما يشبه التناقض بين « عدم اقتدار البهيمة على ادراك الكليات مثل الانسان » وقولهِ « ان ذلك لا ينفي كون المبدأ العقلي فيها وفي الانسان واحداً » لانهُ كيف يكون المبدأ العقلي واحداً في الاثنين اذا كان يختلف في الكمّ والكيف كما صرح بهِ من قبل

(والثاني) انهُ ادخل المسألة في طورٍ جديد وارتقى بها الى مذهب النشوء مما لا تسمح لنا اصول المناظرة بالبحث فيهِ قبل اتمام بحثنا في هذه المسألة وان تكن داخلة فيهِ فان الخروج عن موضوع البحث داعٍ للتشويش فيهِ وللملل القرآء الكرام

(والثالث) ان اطلاق لفظة اللغة بمعناها العام لا يصحّ ان يتخذ دليلاً قاطعاً على وجود العقل في صاحبها اذ يدخل في معناها اصوات الطير والحيوانات كما ذكر واصوات الآلات الناطقة كالتماثيل والتلغراف والفونوغراف وآلات

الموسيقى وما يسمى بلغة الازهار وغير ذلك مما تدل اصواتها واشاراتها والوانها على معنى فيها دون وجود العقل ويطلق عليها اسم اللغة كما يقال لغة الجرائد ولغة النبات وغير ذلك

* * *

لا ينكر حضرة مناظري الفاضل انا نرى بوناً شاسعاً بين الانسان والحيوان ولم يكن هذا البون الشاسع الا لوجود حدٍ فاصل بين نوعٍ ونوع ولا ريب ان فصل الانسان الذي يميزهُ عن العجماوات هو عقلهُ او نطقهُ

ولا يخفى ان المبدأ الحساس او نفس البهيمة جوهر غير تام لا قيام لهُ ولا حياة ولا فعل الا في حالة التركيب اذ لا بد لهُ ان يكون متحداً بجسم مخصوص ملازمٍ لهُ لا يفارقهُ يولد ويعيش ويموت معهُ فلا ادراك لهُ الا بهِ على وجه مناسب لكل حاسةٍ فيهِ مما لا ارى موجباً للاسهاب في بيانهِ . اما المبدأ العاقل او نفس الانسان فهو جوهرٌ تام مستقلٌ بذاتهِ لا يحتاج ان يشاركهُ آخر في قيامهِ وافعالهِ وان يكن ملازماً للجسم ويحتاج اليهِ في بعض افعالهِ الا انهُ يستغني عنهُ لان ماهيتهُ البسيطة لا تحتاج الى الجسم الذي لا نسبة لهُ معها لانهُ روح ليس فيهِ شيءٌ من صفات الجسم وخواص المادة اذ لا يُنسب لهُ كم ولا لهُ طول ولا عرض ولا جزء ولا حيز ومن صفاتهِ التي خُصَّ بها الفكر وادراك الكليات وحرية الاختيار والخلود او البقاء كما اقررهُ جرياً على هذا المبدأ « ان المسببات المتشابهة تنتج من اسباب متشابهة وبالعكس »

* * *

ترجع الافعال النفسانية الى ثلاثة اضرب او انواع وهي الحس والفكر والارادة ولا بد ان يكون لها ثلاث قوى تناسبها في الفعل الذي ينشأ عنها وقد تقدم بيان الحواس الظاهرة والباطنة التي يكمل بها ادراكنا المحسوسات مما يقتضي ثلاثة امور وجود سبب مؤثر في الخارج وآلة او حاسة خارجة في الجسم تنقل هذا التأثير وقوة باطنة تدركهُ اي تشعر بهذا التأثير الخارج. وبناء عليهِ لا يتم فعل الحس الا في حالة التركيب بانتقال صورة المحسوس مفرداً معيَّناً بصفاتهِ المشخصة لهُ في حال التأثير من المكان والزمان والمقدار والصوت والنور والطعم والرائحة والحركة والسكون مما يؤثر في الحواس وهذه الصورة بسيطة لا شيء فيها من الجسم وسميت حسية لان النفس لا تحتاج في ادراكها الاّ الى الحواس

على انهُ مهما اتسعت دائرة ادراك المبدأ الحساس فهي جزئية سطحية لا تتناول سوى الظواهر مفرداً مفرداً فلا يدرك في الكون سرًّا ولا معنًى لطيفاً ولا حقيقةً كلية اذ تمنعهُ كثافة الجسم والحواس عن الترقي الى عالم العقول ولا تدع لهُ سبيلاً للتقدم الى ما بعدها من اسرار الكون

* * *

يسلم حضرة مناظري ان الانسان يدرك الكليات وان « لهُ فكرةً يستعملها لسدّ حاجاتهِ وبذلك اتسعت دائرة ادراكهِ الى حدٍّ اقصاهُ عن باقي الحيوان وانتقل من طور شركائهِ في ادراك الجزئيات الى طور ادراك الكليات وسميت لذلك قواهُ المدركة عقلاً » . ومعلوم ان ادراك الكليات لا يتم الا بالتعقل اي العلم الحقيقي بالشيء اي ان نعرف الشيء بماهيتهِ وخواصهِ الذاتية

التي يقوم بها وهو ادراك عقلي لصورة معنوية في الذهن مجردة عن الصفات المشخصة التي تقيدها بموضوع جزءي مفرد ويقال لتلك الصورة فكر وهو صورة حاصلة في الذهن او العقل مطلقة كلية غير مقيدة ولا معينة اذ ليس لها حد سوى الصورة النوعية او الحقيقة التي تشمل افراداً كثيرين ولهذا يقال لهذه الصورة العقلية كلية فالكلي المعقول يختلف كل الاختلاف عن المفرد المحسوس والادراك العقلي او الفكر يختلف كل الاختلاف عن الادراك الحسي فلا بد اذاً ان يختلف المبدأ العقلي عن الحساس

(ستأتي البقية)

الاب لويس شيخو والقمر

اثبت لنا حضرة الاب لويس شيخو في الجزء الاخير من مشرقه المنير ان « القمر كمُدٍّ » (بتشديد الدال) « اي على شكل مُـدّ » وبرهانهُ على ذلك انهُ رأى هذه اللفظة في نسخة القزويني المطبوعة في لبسك مضبوطة « بتشديد الدال » (كذا ...) . ونحن نزيدهُ على ذلك برهاناً آخر وهو أن بعض الذين لجأوا ليلة امس (١٣ نوفمبر) الى ساحة الهرمين هرباً من مذنَّب قالب اخبروا انهم رأوا ملَكاً عظيماً ضخم الجثة قد ظهر من الافق الغربيّ ملتحفاً بالغمام فتناول ذلك المدّ بيدهِ وشرع يطوف في نواحي السمآء فيكيل بهِ النجوم ويقذفها في عُرض الفضآء .....

فبقي على حضرة الاب الفاضل ان يبرهن لنا كيف يحدث كسوف الشمس « عند إبدار القمر » (كذا) اي في وقت كون القمر بدراً كما افادنا

ذلك في مشرقهِ الباهر (ص ٩٩٩) فانا الى ظهور الجزء الاخير منهُ كنا نظن ان حضرة الاب امامٌ في اللغة فقط فاذا هو من العلمآء المتبحرين في الفلك ايضاً والفضل بيد الله يؤتيهِ من يشآء

اسئلة واجوبتها

قنا ـ نرجو الاجابة على هذين السؤالين

(١) ما معنى « ليت شعري » وكيف تُعرَب

(٢) ما اصل استعمال لفظة « الديوان » من دواوين الحكومة ومن اي تاريخ بدأ استعمال هذه اللفظة وهل تدل على معنًى آخر

رياض يوسف حنا

الكاتب بقنا

الجواب ـ معنى ليت شعري ليتني اشعر وخبر ليت محذوف اغنى عنهُ مفعول شعري والتقدير ليت شعري حاصلٌ. واما الديوان فهو لفظٌ اعجميٌّ واصل هذه التسمية أنَّ كسرى نظر يوماً الى كتَّاب ديوانهِ وهم يحسبون على انفسهم كانهم يحادثون فقال «ديوانه» اي مجانين بلغة الفرس فسمي موضعهم بذلك وحُذفت الهآء لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل ديوان ثم نُقل هذا الاسم الى كِتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسبانات اه . قالهُ ابن خلدون . قال في لسان العرب واول من دوَّن الديوان (اي عند العرب) هو عمر رضي الله عنهُ وهو فارسيٌّ معرَّب . وفي التاج وقال الماوردي في الاحكام السلطانية ان الديوان موضوع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال

وقال غير اني قبل ذهابي اسألك نعمةً واحدةً يا ابي فهل تسمح لي بها . قال سلني ما تشآء يا عزيزي ولو رمت ان تجعل فؤادي كرةً تلعب بها لما منعتكهُ . قال انت تعرف جورج ابن الغسالة رفيقي في اللعب فهو يتيمٌ فقير لا معين لهُ ولا مجير سوى والدتهِ المسكينة التي لا تكاد تتمكن من اشباعهِ الخبز وقد علمت انهُ ميالٌ للعلم فانهُ كثيراً ما قال لي والدموع في عينيهِ انهُ يفضل الموت على ان يبقى جاهلاً وانت يا والدي لديك من المال ما يمكنك من مساعدة الايتام والمساكين فهلاً حسبت جورج اخاً لي وارسلتهُ واياي لنتعلم معاً

فلم يملك الوالد عبرتهُ عند هذا الكلام فمسح دموعهُ ثم رفع ولدهُ الى صدرهِ وقبَّلهُ وقال لك ما تحب يا فيليب فاذهب وقل لجورج انك ستأخذهُ معك وعلى نفقتك واستعدّ الآن لتسافرا في اول الاسبوع القادم . فانحنى الولد على يدي والدهِ يقبلها ويغسلها بدموع الشكر ثم اسرع الى صديقهِ المسكين يبشرهُ ويتشاطران السرور

وفي الاجل المعين سافر اللرد لنكستر بالولدين بعد ان جهزهما بكل ما يحتاجان اليهِ فاوصلهما الى المدرسة واوصاها بهما ثم ودعهما ورجع الى زوجتهِ واقاما يتشاكيان مرارة فراق الغلام ويحسبان الايام لرجوعهِ

وبعد ثماني سنوات اكمل الولدان دروسهما وحصَّلا الشهادات والامتيازات التي استحقاها باجتهادهما وعادا الى الوطن يطفح وجهاهما بالسرور والبشر . وبعد ان اقاما مدةً دعا اللرد ولدهُ فيليب وقال لهُ تعلم اني قد صرت رجلاً مسنّاً وعن قليل سيقعدني الهَرَم عن الاشغال فلا بدّ لك ان تترشح

لان تنوب عني في تولي مهامنا وقد رأيت ان اجهزك بألفي ليرة تتعاطى بها اعمال التجارة مدةً من الزمن وقصدي بذلك ان تختبر اخلاق الناس ومعاملاتهم حتى تعرف كيف تتصرف بينهم في مستقبل ايامك فهل تميل الى ذلك . قال اني اتعاطى ذلك بكل سرور ولا سيما وان فيهِ مرضاة والدي وسرورهُ ومنفعتي في المستقبل لكن يسمح لي والدي ان اذكر لهُ امراً واحداً . قال قل يا عزيزي ما بدا لك . قال انك قد انممت على صديقي جورج بادخالهِ معي في المدرسة حتى احرز من العلم مثل ما احرزتهُ انا واضحى بمنزلة ولدٍ لك واخٍ حقيقيٍ لي وقد اصبح الآن في سنٍ وحالٍ هو فيهما احوج الى المساعدة فهل تسمح ان اشاطرهُ المبلغ الذي عينتهُ لي ليكون لهُ رأس مالٍ يستعين بهِ على معيشتهِ . قال أفعل بكل نفسٍ طيبة وازيدك الفاً اخرى عوض الالف التي ستُقسم لصاحبك جورج ثم دخل مكتبتهُ وقطع لهُ حوالةً بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة فاعطى جورج منها نصيبهُ. فلم يدرِ جورج باي عبارةٍ يشكرهُ على ذلك ثم جاء الى والدهِ اللرد فحيا بتأدُّب ثم وقع على قدميهِ يقبلهما وقال اني قد حرمني الدهر والدي واسباب المعيشة ولكن الله عوَّضني اباً شفيقاً اقدر منهُ على تسهيل سعادتي ورزقني صديقاً هو ابرّ بي من الاخ الشقيق فقد جعلتماني من العدم شيئاً ورفعتماني من الفقر المدقع الى السعادة والرخاء . فانا اشكركما ما حييت ولا اقول انني يوماً ما أفي ببعض جميلكما لانني وما لي عبدكما ولكما

ثم استقل جورج بتجارةٍ تعاطاها وخدمهُ التوفيق فنجح وابدى فيليب فيما تعاطاهُ من الاشغال مهارةً وحذقاً عجيبين حتى انشرح صدر والدهِ

وتيقن حسن مستقبل ولدهِ واحيآء مجدهِ ومجد أسرتهِ ومن هنـاك اخذ يفوّض اليهِ الشيء بعد الشيء من مهماتهِ واشغالهِ فقام بها احسن قيام

وكان فيليب كلما سمحت لهُ الفرص يركب عربةً ويجول في انحـآء المدينة للنزهة وترويح النفس من مشاقّ الاشغال وبينا كان كذلك في بعض الايام اذ وقعت عينهُ على نافذة دارٍ لاحد الكبرآء فرأى فيهـا فتاةً بديعة المحاسن اخذت بمجامع قلبهِ فلم يلبث ان أُخذ بشرك هواها ولبث بعد ذلك كلمـا خرج للنزهة يمرّ بذلك الموضع فيرى فاتنتهُ كانها بانتظارهِ وكانت بالحقيقة قد اصابها مثل ما اصابهُ من الوله والهيام فلم تعد تستمرئ طعاماً ولا تسرّ بشراب بل تنتظر كل يوم موعد مرورهِ فيكتفيان بتصعيد الزفرات وارسال سهام الاعين لشق الصدور

وما كان عبق هذا المسك ليختفي عن ذكآء اللرد لنكستر بعد ما رأى من ضعف ولدهِ وهزالهِ فاخذ يستدرجهُ بمـا طُبع عليهِ من الرقة والتلطف والحنكة الممزوجة بالحنو الوالدي الى ان اعترف لهُ بالحقيقة وقال لا اكتمك يا ابي انني رأيت فتاةً طرحتهـا التقادير في طريقي والصقتها بفؤادي وعلمت انهـا تحبني كما احبها فاذا جعلها الله نصيبي عشت سعيداً واذا حرمنيها الدهر قلت على الحياة السلام . فقال اللرد ان غاية ما اتمناهُ يا فيليب انا ووالدتك ان نرى لك شريكةً في حياتك تشاطرك احوالها وتكفل لك السعادة والهنآء بشرط ان تكون من الفتيات الشريفات اللواتي لا يضيع بهنَّ دم لنكستر فمن هي فاتنتك يا ترى فان كانت ممن احبهنَّ لك بذلت وسعي في تسهيل زواجك بها وايقنت اني انحدر الى قبري بسلام .

قال اني قد بحثت عنها يا والدي وهي مريم ابنة اللرد يُرك ووارثتهُ الوحيدة. فلما سمع والدهُ ذلك قطب حاجبيهِ فقال فيليب ما لي اراك قد استأت. عفواً يا والدي العزيز فاني لا اشتري كل نسآء العالم بأن تستآء ولو طرفة عين . فقال اني لم استأ يا عزيزي بل اعجب من مهارتك في الانتخاب فليس في كل انكلترا من اتمناها لك اكثر منها . غير اني تذكرت اطوار والدها وحقدهُ عليَّ لاسبابٍ قديمة فعسى ان تكون حادثتكما هذه سبباً لابطال الضغائن وتجديد علاقات المصافاة

ثم انهُ في نفس الاسبوع احيا اللرد يُرك ليلةً احتفل فيها بعقد خطبة فيليب لمريم بمشهد الانسباء والاصدقاء. واخذ الخطيبان يتزاوران ويوثقان علائق الوداد الا ان ذلك لم يكن ليغير اطوار الوالدين فابثا على ما كانا عليهِ من المقاطعة والتدابر

وبعد مدةٍ استدعى اللرد يُرك صهرهُ وقال لهُ انني احبك جدًّا يا عزيزي فيليب ولا اجهل مقدار ثروتك واقتدارك على ان تعيش في اسعد حال ولكن اعلم يا ولدي ان لا حالة تدوم وربما لا سمح الله انقلبت بك احوال الدهر وذهبت اموالك فهلاَّ تعلمت صناعةً او فنًّا يقيك من الفاقة ويكون سلاحاً لك في وجه النوازل وعوناً على المقادير . فاذا قبلت نصيحتي فاني اشير عليك بتعلم الطب فانهُ صناعة شريفة اذا احتجت اليها تكفل لك مستقبلاً سعيداً . قال انهُ رأيٌ حسن ونصيحة مقبولة ولكن .... قال ولكن يصعب عليك فراق مريم ... أفلست رجلاً اولا يمكنك ان تملك ارادتك اربع سنوات مدة تغيبك وانا اتيقن ان هذا الغياب يوثق اسباب

في ماذا قال فيما اشتغلت بهِ سنةً كاملة فانني من حين وقوع نظري على مريم احببتها وعزمت على استخلاصها من فيليب بأية حيلةٍ استطعتها وقد وجدت صعوبةً عظيمة في اوَّل الامر لكن طول غياب خطيبها خفف من حبها لهُ حتى امكنني اجتذاب قلبها وفي هذا النهار حصلت على وعدها بالاقتران بي . اما اظهاري الحب لكِ فلم يكن الاَّ لمساعدتي في دخولي وخروجي بدون نكير فها انا اودّعكِ واتمنى لكِ الخير . وقبل ان اتمكن من مجاوبتهِ تركني وذهب وفي الصباح تأكدت ما سمعت فان مريم نفسها اخبرتني انها احبت جورج وستقترن بهِ في آخر يوم من الشهر الحالي

وكان فيليب لمن يسمع الحكم عليهِ بالاعدام وكانت حرارة الحمَّى تزيد اضطراب دماغهِ غير انهُ تجلَّد وقال لها اذًا تركت خطيبها الاوَّل وستتزوَّج ومتى سيكون عقد القران . قالت ميعاد اكليلها مسآء غدٍ الساعة التاسعة في كنيسة القديس بولس

ولم يقوَ فيليب على الكلام بعد فسقط في غيبوبةٍ من الحمى المحرقة التي جددها عليهِ هذا النبأ وظنتهُ الخادمة قد نام فخرجت واغلقت الباب . ولما كان المسآء استيقظ فيليب فجمع قواهُ المتضعضعة وجهَّز امتعتهُ وكتب الى رئيسهِ كتاباً يقول فيه « ان اسباباً مهمة تستدعي ذهابي الى بيتنا حالاً ولو استأذنتك في الذهاب لما سمحت لي خوفاً على صحتي ولذلك اضطررت ان افرّ فاعذرني على خرق القانون هذه المرة الوحيدة . » ثم وضع الرسالة على سريرهِ وانتظر الى ان انتصف الليل فانسلَّ في الدهليز الخارجي الى حديقة المدرسة ووثب منها الى الشارع واخذ يجري مدفوعاً بالعوامل الفعالة

في دماغهِ وحرارة الحمى وهو لا يبالي بهزيم الرعد وانسكاب المطر وما زال يعدو حتى بلغ محطة السكة الحديدية فوجد القطار قد سافر وهو يسمع صفيرهُ فمضَّ على يديهِ تلهفاً وجرى في اثر القطار لعلهُ يدركهُ ولما رأى عدم امكان ذلك عزم ان يتابع سيرهُ فاما ان يصل المدينة في الميعاد او يموت في الطريق. فكان يقع تارةً ويقوم اخرى في ذلك الليل المزعج حتى وصل الى الكنيسة قبل ميعاد الصلاة بثلاثين دقيقة وكانت مفتوحةً ومزينةً بالازهار والانوار فانسلَّ بدون ان يُرى واختفى بين ازهار المذبح منتظراً قدوم العروسين . فلما حضرا وباشر الكاهن رسوم الاكليل خُيِّل للعروس انها رأت شبح خطيبها الاوَّل فارتعدت فرائصها ولما سألها الكاهن عن قبولها جورج بعلاً لها واجابت نعم تحقق لها ان الشبح الذي رأتهُ هو نفس فيليب فصاحت صيحةً عظيمةً وسقطت مغشياً عليها. واغتنم فيليب فرصة انهماك الحضور فخرج مستتراً وتوجه الى بيتهِ وكان والداهُ خارج البيت فاوصى الخادم ان يعرّفهما بمجيئهِ حال رجوعهما . ولما دخل غرفتهُ شعر بانحطاط قواهُ فاسرع الى مكتبتهِ وكتب رسالتين في غاية الاختصار الاولى الى مريم يقول فيها « اني لم ازل الى دقيقة موتي مقيماً على حبكِ اميناً على عهودي ولو كان عندك ذرةٌ من الوفآء لما تركتِني وانشغفتِ بجورج الخائن الذي لم يرَ ان يكافئ احساني باحسن من هذا. فكفاني انتقاماً منكِ ان تكوني زوجة خائنٍ جاحد للجميل وكفاني انتقاماً منهُ ان لهُ زوجةً متقلبة الاطوار لا تدري معنى الحبّ . وجل ما اطلب منكما يا قاتليَّ ان تمرّا على قبري وتقولا رحمهُ الله لقد احسن الينا وكان اميناً . واما الرسالة الثانية

فكانت الى والديه يخبرهما بتفاصيل قصته ويتمنى ان يراهما قبل وفاتهِ ويصبّرهما ويعزّيهما على فقدهِ . ثم وضع الرسالتين على مائدتهِ ولما لم يعد قادراً على الحركة انطرح بقرب سريرهِ واستعدَّ للموت وهو يتضرَّع الى الله من قلب كسير ان يمهلهُ ريثما ينظر والديهِ نظرة الوداع

ولمّا جآء والداهُ وعلما برجوعهِ اسرعا الى غرفتهِ ولما بلغا الباب امسك اللورد بذراع زوجتهِ وقال لها لا تقطعي صلاتهُ ولننتظر هنيهةً اما فيليب فكان يسمع كلامهما وهو غير قادر ان يبدي اقل اشارة ولما طال الوقت ورأت والدتهُ الحالة التي كان فيها لم تستطع صبراً فدخلت والقت نفسها على ولدها ففتح فاهُ كمن يحاول الكلام ثم فاضت روحهُ بين ايدي والديهِ

. . . .

وبينما كانت كؤوس الافراح دائرة في بيت جورج وصلت رسالة فيليب فقرأتها مريم وهي غائبة الرشد ثم صرخت نعم انا الخائنة انا القاتلة فقد قتلتهُ بيدي . كلا يا جورج لن اكون عروساً لك فانني قاتلة وانك خائن وقاتل . فاسرع جورج واختطف الرسالة من يدها ولما قرأها فقد عقلهُ من تبكيت الضمير فتناول مسدَّساً وقبل ان يتمكن احدٌ من امساكهِ الهب برصاصهِ دماغهُ . وفي اليوم الثاني خرجت مريم الى دير لاخوات الرحمة فاقامت بهِ وبعد ان مضت عليها عشرة ايام دخلت الراهبات غرفتها فوجدنها ملقاةً على سريرها جثةً بلا روح وبجانبها وصاتها الاخيرة تناشدهنَّ فيها ان يدفنَّها في قبر فيليب وان يُنقش على ضريحها « لم تجمعنا الحياة فجمعنا الموت »

الشعر

(تابع لما في الجزء الثالث)

ثم المعاني الشعرية قد تكون مخترعةً من مخيّلة الشاعر بان يتصور ما لا وجود لهُ في الخارج فيمثل منهُ صورةً مبتدَعة يحتذي فيها شَبَه الصور الحقيقية وقد يعمد الى المعنى الواقعيّ فيكسوهُ ثوباً من عندهِ يبرز بهِ في صورة المخترَع على ما سنذكرهُ . والاختراع قد يكون في المعنى الواحد بان يتمثل لهُ صورةً غير حقيقية فيبرزهُ فيها على وجهٍ يكون بهِ ماثلاً للحسّ وقد يكون في سلسلة معانٍ يؤلف منها واقعةً تمثل الغرض الذي يقصدهُ على صورةٍ اوضح واشدّ تأثيراً في النفس . والامثلة من الاول عزيزةٌ لضيق مجال الفكر فيهِ واكثر ما تجدهُ في شعر المولدين لشدّة غوصهم على المعاني وايغالهم في استنباط الغريب كقول ابي الطيب المتنبيّ

اذا نُكبت كنانتهُ استبنَّا ... لأنصلها بأنصلها ندوبا

يصيب ببعضها افواق بعضٍ ... فلولا الكسر لاتّصلت قضيبا

الكنائن جعاب السهام ونُكبت اي قلبت لينُثَر ما فيها والندوب الآثار واصلها آثار الجراح بعد البرء والأفواق جمع فُوق بالضمّ وهو موضع الوتر من السهم . يقول اذا أُفرغت سهامهُ من كنائنها رأينا اثر بعضها في اطراف بعض لانهُ لسرعة رميهِ ومتابعتهِ اياها يقع نصل المتأخر على فُوق المتقدم فلولا ان ينكسر النصل بالفُوق لاتصل بعضها ببعض وصارت كالقضيب . والمعنى كلهُ مخترعٌ من عندهِ اذ لا يُتصوّر شيءٌ منهُ في الحقيقة . ومثلهُ قولهُ يصف نسوةً

حسان التثني ينقش الوشيُ مثلهُ   اذا مسنَ في اجسامهنَّ النواعمِ

الضمير في مثلهُ للوشي وقولهُ في اجسامهنَّ صلة ينقش . يقول انهنَّ لبضاضة جلودهنَّ اذا تثنينَ في مشيهنَّ وعليهنَّ الثياب الموشاة اثَّر الوشي في اجسامهنَّ فانتقش فيها مثل صورتهِ . ومن ذلك قول الآخر

حجبوها عن الرياح لاني   قلت يا ريحُ بلّغيها السلاما

اراد المبالغة في تشديد الحجاب على المحبوبة وحرص قومها على منع كل صلةٍ بينها وبين العاشق فاستعار لذلك حديث الريح والسلام ثم ادعى انهم حجبوها عن الرياح مخافة ان تفضي اليها وتبلغها سلامهُ . ومثلهُ ما اجاز بهِ الآخر هذا البيت حيث قال

فتنفستُ ثم قلت لطيفي   وَيك ان زرت طيفها[1] إلماما

حيّها بالسلام سرًّا والا   منعوها لشقوتي ان تناما

تمثل طيفهُ بمنزلة الرسول منهُ اليها فامرهُ ان يسلم عليها سرًّا عن اهلها لئلا يشعروا بهِ فيمنعوها عن النوم ايضاً . وكل ذلك من الخيال المحض كما ترى

واما الثاني وهو ما كان المخترَع فيهِ واقعةً تمثل الغرض المقصود من المتكلم فاكثر ما يجيء في الاقاصيص الموضوعة من الامثال والاساطير ونحوها وهو غير خاصٍ بالشعر بل هو في النثر اكثر ومنهُ امثال لقمان واقاصيص كليلة ودمنة وفاكهة الخلفاء وبستان الازهار وغير ذلك وهو يكثر في الخُطَب والمناظرات وما جرى في طريقها على ما سبقت الاشارة

---

(١) كذا المشهور في رواية هذا البيت ولعل الاولى ان يقول زرت جفنها ونحوه اذ لا دخل لطيفها هنا كما لا يخفى

اليهِ وقد يكون في الشعر والنثر معاً كما في كتب المقامات وبعض المناظرات الفكاهية وصفات بعض المخلوقات والحوادث الطبيعية كما فعلهُ السيوطيّ في مقاماتهِ وابن حبيب في كتابهِ نسيم الصبا وغيرهما . واما في الشعر فاشهر ما جآء منهُ كتاب الصادح والباغم للهبّاري ومما كتب في ايامنا كتاب العيون اليواقظ للمرحوم محمد بك عثمان جلال المصري ولعلّ اقدم ما سُمع منهُ عند العرب ما رُوي في ديوان مجنون ليلى منسوباً اليهِ وهو قولهُ من قصيدة

وكنتِ كذئب السوء اذ قال مرةً لبَهْمٍ رعت والذئب غرثان مُرمِلُ
ألستِ التي من غير شيء شتمتِني فقالت متى ذا قال ذا عامَ اولُ
فقالت وُلدتُ العامَ بل رمتَ كذبةً فهاكَ فكلني لا يهنئك مأكلُ

ثم زاد عليهِ فقال

وكنتِ كذبّاح العصافير دائباً وعيناهُ من وجدٍ عليهنَّ تهملُ
فلا تنظري ليلى الى العين وانظري الى الكف ماذا بالعصافير تفعلُ

وقد جآء شيء من ذلك في شعر المتنبي وهو قولهُ

يقول بشعب بوّان حصاني أعن هذا يُسارُ الى الطعانِ
ابوكم آدمٌ سنّ المعاصي وعلّمكم مفارقة الجنانِ

ومن هذا اكثر القصائد الطَردية وكثيرٌ من الخمريات ولا سيما الموشحات منها وابلغ ما جآء في الطرديات ارجوزة الشيخ جمال الدين بن نباتة التي امتدح بها الملك الافضل فانهُ اتى فيها على الغاية التي لا تُدرَك وهي مؤلفة من نحو مئة وستين بيتاً ذا قافيتين ولولا ضيق المقام لاوردنا شيئاً من بدائعهِ

فيها واختراعاتهِ وقد رواها باسرها صاحب خزانة الادب في نوع الانسجام فمن احب الوقوف عليها فلينظرها هناك

واما سائر المعاني الشعرية فغالب ما فيهـا ان يعمد الشاعر الى المعنى الواقعيّ فيفرغهُ في قالبٍ من المجاز من استعارة ونحوها او يقرنهُ بشيءٍ من محاسن التشبيه او يضمّ اليـهِ معنًى آخر يناسبهُ او يضادّهُ بحيث تتمّ هناك صورةٌ كاملة على نحو ما تقدم الكلام فيهِ او يتفنن بغير ما ذُكر من تعداد وصفٍ يجري فيهِ على طباقٍ او مراعاة نظير او غير ذلك من الانواع البديعية فيُلقي عليهِ في كل ذلك شبهاً من الاختراع . ولا بأس ان نمثل على بعض هذه الاطراف بما يحضرنا من شواهدها على قدر ما يسمح بهِ المقام فمن ذلك البيت المشهور للوأواء الدمشقي

وامطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت　　　ورداً وعضّت على العنّاب بالبَرَدِ

فان المعنى في هذا البيت انها بكت فاجرت دمعها على خدّيها وعضت على اناملها جزعاً وهو معنًى عاميٌّ لا شيء فيهِ من الشعر ولكنهُ عدل عن ذلك الى تصويرهِ بالاستعارات التي رأيتها فجآء بالبيت كلهِ مجازاً وبذلك خرج المعنى الى الخيال وصار يُعدّ من عزيز الاختراع . واغرب منهُ وابعد في مذهب الخيال قول ابن سنآء الملك

تلهّبَ مآءُ الخدّ او سال جمرهُ　　　فيا مآء ما أذكى ويا جمر ما أندى

اراد هنا ان يصف الخدّ بالبياض والحمرة فشبه بياضهُ بما فيهِ من الصفآء والبريق بالمآء وشبه حمرتهُ بالجمر ولكنهُ عكس فجعل التلهب للمآء والسيلان للجمر لما بينهما من التداخل أو لتوهم انعكاس لون الحمرة على البياض حتى

يُتخيل انهُ متلهب فاتى بالابداع الذي لم يُسبق اليهِ . ومن ذلك قول ابن ناجية الدمشقيّ في صفة الخمر

وحمرآء قبل المزج صفرآء بعدهُ اتت بين ثوبي نرجسٍ وشقائقِ
حكت وجنة المعشوق صِرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشقِ

فانهُ شبهها اولاً بالنرجس والشقائق فجمع بين لونيها مع مراعاة النظير في المشبه بهما اذ كلاهما من الزهر وعبّر عن اللون بالثوب استعارةً لها وللنرجس والشقيق فخرج بالمعنى عن الحقيقة الى الخيال . ثم شبهها وهي صِرف بلون وجنة المعشوق وبعد المزج بلون وجنة العاشق فزاد في الابداع بقلبها من لون احدهما الى لون الآخر وحسن هذا الطباق هنا ما لهُ نهاية . ومن ذلك قول ابن ابي حفصة

ولما التقينا للوداع ودمعها ودمعي يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤًا رطباً وفاضت مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقدا

ذكر اولاً بكآءهما عند الوداع ثم جعل دمعها كاللؤلؤ ودمعهُ كالعقيق وهما من التشبيه المطروق . ولما جعل دمعها ودمعهُ لؤلؤًا وعقيقاً جعلها عقداً في نحرها لانهما اجتمعا هناك وبهذا استولى المعنى على تمامهِ وبرز في شكلٍ مبتكر . ومن ذلك قول ابن ابي الحديد وقد ذكر اللؤلؤ والعقيق عرضاً واتمّ المعنى من جانبٍ آخر

ولما برزنا لتوديعهم بكوا لؤلؤًا وبكينا عقيقا
تولّوا فأتبعتهم ادمعي فصاحوا الغريقَ وصحت الحريقا

فان ما في الاشطر الثلاثة الاول من الكلام المألوف ولكنهُ لما جآء بالشطر

الاخير اخرج المعنى الى صورة الاختراع بحيث كان ما تقدمهُ كالتوطئة لهُ . ومرجع الحسن فيهِ الى الطباق بين الغريق والحريق لانهُ لو وقف على ذكر الغريق وهو مقتضى الكلام السابق كان المعنى تافهاً مبتذلاً اذ ليس فيهِ الا المبالغة في كثرة الدمع ولكنهُ لما ذكر بعدهُ الحريق يعني بحرّ انفاسهِ تم المعنى و برز في هذه الصورة المعجبة . ومما ينتظم في هذا السلك نحو قول المتنبي في سيف الدولة وقد اصابهُ المطر في بعض اسفارهِ

ولما تلقَّاك الغمام بصوبهِ تلقَّاهُ اعلى منهُ كعباً واكرمُ
فباشرَ وجهاً طالما باشر القنا وبلّ ثياباً طالما بلها الدمُ

فان مفاد البيت الثاني ان المطر باشر وجه سيف الدولة وبلّ ثيابهُ ولو عبَّر بهذا فقط لم يكن في شيء من الشعر ولكنهُ لما ضمّ الى مباشرة المطر لوجههِ ان وجههُ طالما باشر القنا اي كافح الرماح والى بلهِ لثيابهِ انها طالما بلتها دماء الفرسان ظهر المعنى في ثوبٍ آخر مع زيادة وصف الممدوح بالشجاعة والثبات

(ستأتي البقية)

الرجال المراضع

لا شك ان المطالع يقف عند قرآءة هذا العنوان موقف الاستغراب لبعدهِ في بادي الرأي عن الاحتمال اذ الإرضاع ليس من الاعمال التي يمكن ان ينوب فيها الرجل عن المرأة لتوقفهِ على عضوٍ مخصوص لم يُخلَق في الرجل وقد سُمِع في النوادر ان في العجائز والابكار من تُرضِع اذا دعاها داعي الحنوّ ولكن هذا مع غرابتهِ ليس من الامور المستحيلة لوجود

عضو الارضاع في كلٍ منهما بخلاف الرجل . ومع ذلك فقد وقفنا في احدى المجلات العلمية على فصلٍ في هذا المعنى احببنا ان نطرف بهِ القرآء لغرابتهِ مع عدم خلوهِ من الفائدة قالت .

كثيراً ما نرى مخلوقاتٍ غريبة التكوين فنعدّها من فلتات الطبيعة وشواذّ الخلق ولكن الحقيقة ان الطبيعة ليس فيها شذوذ حتى ان العجل الذي يولد برأسين لا يكون خلقهُ كذلك الا مطابقاً لقواعد الطبيعة بالقياس الى المعدّات التي خُلق بمقتضاها. فاذا رأينا من الرجال من ظهرت فيهِ الخصائص الانثوية فليس ثمت شيءٌ مخالفٌ للطبيعة وان كان حدوثهُ نادراً في الوجود

وامر الارضاع في الرجال معروفٌ قديماً ولهُ ذكرٌ في كتب العلمآء والمؤرخين. فمن ذلك ما اوردهُ ارسطو في تاريخ الحيوان قال من المعروف عادةً ان الذكران من جميع انواع الحيوان وفيها الانسان لا لبن لها ولكن الامر لا يخلو من شذوذ فقد وُجد في لمنوس (احدى جزائر الارخبيل الرومي) تيسٌ من المعز لهُ ضرعان يدرّان مقداراً وافياً من اللبن حتى كان يُصنع من لبنهِ جبن وكذلك كانت الذكران المولودة منهُ على الصفة نفسها. قال ومن الرجال من يوجد فيهم بعد سن الحلم شيءٌ من اللبن اذا عُصرت ثناديهم (جمع ثندوة وهي من الرجل بمنزلة الثدي من المرأة) وربما وُجد فيهم مقدارٌ يُعتبر اذا أُرضع منهم طفل .

ومما شوهد من ذلك في زماننا التيس الذي كان في حديقة النبات بباريز وقد رفع فيهِ ايزيدور جفروا سنتيلار تقريراً الى المجمع العلمي

سنة ١٨٤٥ وكان من الصنف الاجمّ اي الذي لا قرون لهُ ذا بنية قوية تفوح منهُ الرائحة المختصة بذكران هذا النوع وكان لهُ ضرعان متدليان كضرعي الانثى في وقت الارضاع محيط الايمن منهما ٢٥ سنتيمتراً وطولهُ ١٦ سنتيمتراً ومحيط الايسر ١٩ سنتيمتراً وطولهُ ١٣ . اما مقدار اللبن الذي كان يُستخرج منهُ فيختلف من نصف لتر الى عشرَي اللتر لكن كان ثلثا المقدار الذي يُحلَب منهُ من الثدي الايمن ومات هذا التيس سنة ١٨٥٠

وذكر بوفون في الكلام على الرجل في فصل البلوغ ان ثَنْدُوَتي الرجل يمكن ان تُدِرّا لبناً كثديي المرأة ولا سيما عند بلوغ الحلم قال وقد رأيت رجلاً في سن الخامسة عشرة يخرج من احدى ثندوتيهِ ما يزيد على ملعقة من سائل لبنيّ او هو لبنٌ بالحقيقة . وذكر الدكتور سينايي ان الرجل وكذا غيرهُ من ذكران سائر الحيوان قد يفرز سائلاً لبنياً وقد ظهر من تحليل هذا السائل انهُ يشبه لبن الانثى في جميع خصائصهِ . والروايات في ذلك كثيرة منها ما ذكرهُ الدكتور رنولدين من ان رجلاً من قوّاد العَجَل في الجيش يبلغ الرابعة والعشرين من العمر دخل مستشفى وَلْدَغراس ليتعالج من خُرَاجٍ كان بهِ وكانت ثندوتاهُ شبيهتين تمام الشبه بثديي الانثى مستديرتي الشكل ومجسُّهما الى الرخاوة وبجسهما يشعر بالشكل الغُدّي المكوّنين منهُ . وكان صدرهُ ضيقاً وكتفاهُ شاخصتين وصوتهُ مؤنثاً ووجههُ اشبه بوجوه الغلمان لا شعر عليهِ اما سائر جسمهِ فكان مستوفي الرجولية . وذكر الدكتور بادور في غازتة باريز الطبية ان ثلاثة من الرجال من مثل من ذكر رُفضوا من الجيش لان الملابس العسكرية كانت تضايقهم اذا ارادوا تزريرها على الصدر

وروى هرتلوب ان رجلاً في سن التاسعة والسبعين قويّ البنية دخل المستشفى سنة ١٨٥٥ لكسرٍ في خاصرتهِ اصابهُ بسبب سقطةٍ فوجد عند الكشف على ذلك الموضعِ ان ثندوتهُ اليُسرَى كانت بحجم ثدي المرأة وعند الجسّ شعر ان فيها سائلاً فبزلها فخرج منها ملء كأسين من سائلٍ مبيضّ خاثر وُجدت فيهِ جميع خصائص اللبن الطبيعية والكيماوية والمجهرية

واما الذين ارضعوا بالفعل من الرجال فقد وُجد في بعض السجلّات الانكليزية القديمة صورة كتابةٍ لاسقف كُرْك بعث بها الى احد اصدقائهِ الامرآء سنة ١٧٣٣ يقول فيها ما محصَّلهُ انهُ رأى رجلاً في اينيشانان فرنسويّ المولد لهُ من العمر نحو سبعين سنة ورأى لهُ ثدياً اخبرهُ انهُ ارضع منهُ واحداً من اولادهِ وقصّ عليهِ من امرهِ ان زوجتهُ توفيت بعد شهرين من مولد الطفل وانهُ بينا كان في احدى الليالي نائماً والطفل بجانبهِ اذ استيقظ فصرخ صراخاً مزعجاً ولما لم يكن لهُ ما يسكّتهُ بهِ ضمهُ الى ثندوتهِ على امل ان يعللهُ بذلك فوجد ان الطفل بتكرار الامتصاص امكنهُ جذب شيء من اللبن ثم اخذ اللبن يتزايد حتى كان يدرّ منهُ ما يكفي لارضاعهِ. قال فنظرت الى ثندوتيهِ فاذا هما اضخم جدًّا من ثندوتي الرجل بل كانتا اعظم من كل ثدي انثى رأيتهُ وقد كنت اسمع بشيء من مثل هذا او اقرأ عنهُ حتى رأيتهُ هذه المرة عياناً

وكتب الدكتور يوحنا كستلر فصلاً تُلي في مدرسة مدريد الطبية سنة ١٧٩٧ عن رجلٍ من الفلاحين يقال لهُ لوزانو وضعت امرأتهُ توأمين ذكراً وانثى وكان لبن المرأة بكيئاً اي قليلاً فلم يكن فيهِ ما يشبع الطفلين

فكانا اذا اكثرا من البكآء يعمد الى تسكيتهما فيضعهما على ثندوتيهِ الواحد بعد الآخر فلم يمضِ على ذلك الا قليل حتى ادرّت ثندوتاهُ فاخذ الغلام اليهِ وترك الجارية لأمها ولبث يرضعهُ مدة خمسة اشهر . وقد ذكر هذا الرجل الرحّالة همبلد في احدى رحلاتهِ بين سنة ١٧٩٩ و ١٨٠٤ قال رأيت الرجل والولد وكان الولد حين رأيتهُ في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من سنيهِ وقد فحص المسيو بونپلان ثدي الاب فوجدهُ مغضناً مثل ثدي المرأة التي قد ارضعت

وجآء عن تقرير للمستر هرفي والمستر لانوي ان شاباً من الهنود الاميركان خرج في احدى السنين لصيد الحوت المعروف بكاب المآء وهو يكثر في انهار تلك البلاد وكانت معهُ امرأتهُ فولدت في الصحرآء ثم ماتت على اثر النفاس . فلفّ الرجل الطفل بجلدٍ حشاهُ بناعم الطحلب وعلقهُ على منكبيهِ كما تفعل نسآؤهم وكان يطبخ لهُ مرقاً ويغذوهُ بهِ . فلما كان في بعض الايام اعوزهُ ما يتخذ منهُ المرق ولما اشتد صراخ الطفل من الجوع وضعهُ على ثندوتهِ فلم يلبث ان درّ لهُ اللبن وعاش الطفل على لبن والدهِ وشبّ قويّ الجسم وكان مشاركاً لابيهِ في صيد الحيتان . وقد اثبت هذا الخبر الدكتور ريكردسون احد رفقآء فرنكلين في رحلتهِ القطبية ووُجدت لهذا الرجل صورةٌ بين اوراق بولس كان المصور الكنديّ وكان يصحبهُ في النزهة والصيد على بحيرة وينيباغ من اميركا الانكليزية . وهناك حكاياتٌ أُخر من مثل ما ذكر اجتزأنا عن ذكرها حب الاختصار فسبحان من وسعت قدرتهُ كل شيءٍ وهو الخلاق الحكيم

الحرب

بقلم حضرة الكاتبة السيدة لبيبة هاشم

ما الحرب الا ساحةٌ تقاد اليها النفوس قود الحملان لتُسفَك فيها دمآء الرجال والفرسان ومعتركٌ تضحى فيهِ الانفس البريئة على مذابح الاطماع وموتٌ زؤامٌ يفغر فاهُ ليبتلع الابطال والجبابرة اي ابتلاع فيقتحم الشاب سوق المنية مضطرًا او مختاراً طمعاً في دُريهمات قليلة ينالها او وعودٍ وهمية يغترُّ بها ومن دونها اشراك الهلكة واهوالها فيلقي بنفسهِ في ساحة الحرب بين بروق المرهفات ورعود المدافع القاصفات مخاطراً بالعمر النفيس والنفس الغالية ظامئاً الى شرب دمآء اخيهِ وابن نوعهِ مما تنفر منهُ السباع الضارية وذلك بدعوى حب الوطن كما يزعمون وما كان اغنى الوطن عن حبٍ يثكلهُ اعزّ ابنآئهِ لو يفطنون او طمعاً في نيل وسامٍ هو في الحقيقة وسم العار على البشرية او رتبةٍ هي عنوان القساوة والهمجية وما يدرأ الوسام عنهُ للموت خطراً ولا تردّ الرتبة لأطفالهِ عنهُ بدلاً

انظر الى الامة الانكليزية كم يسحُّ من عيون افرادها من العبرات وكم يتصاعد من صدورهم من الزفرات وكم يُسمع لاحزانهم من صدى انين وحسرات فمن والدةٍ جرَّت عليها حرب الترنسفال ثكل ولدها وانشبت المنية سهمها في فلذة كبدها فبكت ولداً حبلت بهِ جنيناً وارضعتهُ طفلاً صغيراً وربتهُ يافعاً نشيطاً وقضت الليالي الطوال ساهرةً عليهِ متألمةً لآلامهِ مضطربةً لاحلامهِ فانقضَّ عليهِ البين وقصفهُ غصناً رطيباً

وحرمها مشاهدتهُ في الحياة فرافقها الحزن والاسى حتى الممات ومن والدٍ حزينٍ سلبهُ الدهر سند شيخوختهِ وذخيرة ايامهِ وتركهُ غائصاً في بحار شجونهِ متجرعاً مرارة آلامهِ ومن زوجةٍ فقدت عضدها وشريك احوالها وخطيبةٍ هُدمت مباني سعادتها وصروح آمالها وطفلٍ ايتمهُ سيف القضآء وتركهُ عرضةً للفقر والشقآء وهدفاً للعنآء والبلآء

وانظر الى ما ورآء ذلك ترَ الضرر العام الناشئ عن الحروب لا يقل عن الضرر الخاص اللاحق بالافراد واعتبر من ذلك النفقات الطائلة التي تنفقها الحكومات على التجهيزات الحربية من المؤن والذخائر والاسلحة ومرتبات الجنود والقواد واقامة الحصون وجرّ الاساطيل وغير ذلك من الامور التي تزيد اهميةً على ما ذكر الا وهي تعطيل الالوف الكثيرة من الجنود وحرمان الوطن ثمرات ما وهبتهم الطبيعة من قوى الابدان وذكآء الاذهان

فاين العدل في اجبار رجل كامل الصحة والعقل وهو في قوة الشباب وزهرة العمر على ان يقف نفسهُ لحمل السيف وخدمة مآرب رؤسائهِ ومطامعهم يأتيهِ القوت والراتب مصبوغين بقطرات العرق المتحلبة من جبين اخيهِ العامل الذي يدأب نهارهُ بطولهِ ليحصل بعض دريهماتٍ يقاسمهُ اياها بل اين المجد لذلك الجندي الذي خضّب يديهِ بدمآء اخوانهِ من بني البشر وجعل نفسهُ آلةً للانتقام والاضرار بالخلائق وربما دارت عليهِ وعلى وطنهِ دائرة التقهقر والانهزام

بل اين الانصاف في اضرام نار الحرب على امةٍ اوجدها الله في بقعةٍ

من الارض تستدرّ غلاتها وتمتع بحاصلاتها آمنة كوارث الحدثان وشر الانسان متنعمةً بالخيرات التي رُزقتها من فضل الله وجدّها وهل اظلم ممن رأى اخاهُ في نعمةٍ فطمحت نفسهُ الى تجريدهِ منها او قتلهِ ليسولي عليها من بعدهِ بدعوى انهُ قد نال هذا الاختصاص بحد الحسام .. ومتى كان الحسام الاّ من قضاة الظلم والاغتصاب وعمّال التدمير والخراب بل متى كان الا آلةً للافتراس يفعل ما لا يفعلهُ الظفر والناب فالحرب ولاجرم ضربٌ من الجنون البشري يجعل الانسان ادنى رتبةً من الحيوان ورحم الله شيخنا اليازجي حيث قال

ولقد رأيت الأُسد احسن خلةً من جنس هذا الناطق المتمردِ
الناس تقتل كل يومٍ بعضها والأُسد تقتل غيرها اذ تعتدي

ولقد طالما عني محبّو السلام والمحافظون على روابط الالفة والاخآء بين الانام فاجتهدوا بمقاومة هذا الشر الوبيل وكف يد الاعتدآء بكل ما استطاعوا اليهِ السبيل محافظةً على الحقوق وحقناً للدمآء وتخفيفاً على الانسان من وطأة البلآء فألفوا لذلك اللجان المديدة كالاتحاد الافكتيوني عند اليونان والاتحاد السلمي الذي انشأتهُ الكنيسة في القرون المتوسطة وجمعية الكويكريين عند الانكليز التي تمنع حدوث كل حرب وفتنة وتحرّم على الاعضآء التداخل فيها ومؤتمر نزع السلاح الذي عقدهُ من عهدٍ قريب جلالة قيصر الروس وجمع اليهِ نواب الممالك في مدينة لاهاي للبحث في هذا المقصد الجليل فاخفقت مساعيهِ اذ على اثرهِ ظهرت الحرب الاميركية في جزائر فيلبين وتلتها الحرب الانكليزية في الترنسفال

على ان ارباب الفطر السليمة ما زالوا يسعون الى تأييد السلام وتوثيق صلات الاتحاد والوئام ونحن على يقين انهُ لا بد ان يأتي يومٌ تبطل فيهِ الحروب لان الانسان قد نال من حرية الافكار وخروجها من ربقة الاوهام ما يصدّ به الحكومات عن سوق العامة الى الانخراط في الجندية قسراً واغتصاباً كما كانت تفعل قبلاً ويفعل بعضها الآن وان عمدت الى تطويع الجنود بارادتهم واختيارهم فالهيئة الاجتماعية تمنع ذلك حفظاً لجامعتها وضناً ببني نوعها ورحمةً بعباد الله

وفضلاً عن ذلك فان الله سبحانهُ وتعالى قد علم خلائقهُ ابتغاء السلام ووعدهم بهِ فلذلك سيأتي يومٌ فيهِ يطرح النوع الانساني كل ما لديهِ من الاسلحة والذخائر التي يحصلها بعرق الجبين وسفك الدماء ويتعلق باهداب السلام والامل معقود بما يظهرهُ الناس من الاهتمام بتدارك هذا البلاء والبحث في الطرق اللازمة لابطال الحروب وتوطيد السلام منادين بذلك على صفحات الجرائد ومنابر الخطابة وفي المدارس والاجتماعات الادبية والدينية والمنتديات السياسية كل ذلك مما يبعث الامل في حفظ السلام والتحكيم في الخصام والعدول عن الحروب واراحة العباد من هذه الخطوب

والمجتمع البشري الذي نراهُ كل يوم يتقدم شوطاً عظيماً في الحضارة والمدنية لا ينفك عن التذرع بالوسائط الفعالة لانقاذها من هذا المصاب العميم ونشر لواء السلام في جميع الاقطار والامصار لانهُ لا يجدر بالنفس التي دفعت صاحبها الى استخدام الطبيعة لمنفعة النوع الانساني ومحو آثار المسكنة والشقاء وبناء المستشفيات لمعالجتهِ من اسقامهِ واوجاعهِ وانشاء

المدارس العديدة يُرَدّ فيها على الصُمّ السمع وعلى العمي النظر وعلى البكم النطق واختطاف البروق من سمآئها واستخدامها رسلاً بين امة وامة ومملكة ومملكة في جميع انحآء المسكونة وهداية الناس الى مرضاة الخالق واتباع ما يأمر بهِ من الاتفاق والوئام والمحبة والسلام ونشر الوية الوحدة والاخآء مسطراً عليها بيد الرحمن ابوية الله واخوية الانسان لا يجدر بهذه النفس التي بذلت وسعها لاطالة حياة الانسان متمتماً بجميع انواع الراحة والرفاهية ان تسلم بتضحيتهِ على مذابح الطمع والفخر الباطل بل تذود عنها وتبالغ في صيانتها حتى تنال الفوز والنصر

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

(تابع لما قبل)

لا يخفى ان الخالق ابدع الكائنات ورتبها على احسن تقويم اذ صنع كل شيء بعدد ووزن وقياس شأن الصانع الحكيم ولا يُعقل انهُ تعالى قصر في ترتيب ذلك او تركهُ للزمان يفعل بهِ ما اراد او يكمل خلقهُ عنهُ ولكنهُ هو الذي اتم نظامهُ واحكم قوامهُ اذ جمع بين الافراد بصلةٍ جنسية ينضم اليها انواع كثيرة او صلةٍ نوعية ينضم اليها افراد كثيرة تمتاز عن باقي الانواع بصفات لا يشترك فيها غير افراد ذلك النوع بحيث تكون حدًّا فاصلاً بين نوع ونوع يمنع الاشتراك بغير الصلة الجنسية العامة وتجعل بينهما بعداً شاسعاً بحيث لا يقدر ان يتصل المتقدم منها بالمتأخر . ولا تخلو الكائنات في حالة

التركيب من ان تكون اما جوهراً ثابتاً او عرضاً لاحقاً بهِ ولا بد فيها من كم وكيف وزمان ومكان وفعل وانفعال ونسبة اضافية بين كل فرد منها وآخر . وهي اسباب كلية داخلة في تكوين الكائنات يدركها الانسان بالبديهة ويعرفها قبل ان يعرف اللفظ الموضوع لها وكذلك يعرف الفرق بين العلة والمعلول والكل والجزء والخير والشر والنفع والضر الى غير ذلك والعلاقة اللازمة بين كلٍ منها وضدهِ ويصوغ منها احكاماً كلية يعبر عنها حالما يقف على الالفاظ الموضوعة لها . وهذه المبادئ الكلية وغيرها هي ركن معارف الانسان الاولية وعليها مدار عقلهِ وهي قياس برهانهِ ودليل بحثهِ والعامل الاول في كل افعالهِ

ولما كان مفهوم الكلي صورة فكرية مطلقة كما تقدم كانت كل الصور العقلية كلية وان لم يكن لها في الخارج سوى فرد لان هذه الصورة العقلية تتناول كل الافراد المشاكلة لهُ فان مفهوم الانسان مثلاً هو حقيقتهُ المطلقة التي يشترك فيها افرادهُ لا كونهُ هذا الرجل المعين

ومعلوم ان الاعيان الخارجة جزئية مركبة ولذلك لا ندركها الا بطريق الحواس اولاً ولا بد ان يكون فينا قوة مفكرة عقلية غير الحواس تتصرف في هذه الاعيان المفردة وتجعلها مطلقة كلية بحيث يصير المحسوس الجزئي معقولاً كلياً وهذه القوة المتصرفة يقال لها عقل ويسمى فعلها المذكور تجريداً . وهي على ما لا يخفى تختلف عن المبدأ الحساس كما ان فعلها بتجريد المعاني الكلية من الاعيان يختلف كل الاختلاف عن الادراك الحسي كاختلاف الصور الفكرية عن الصور الحسية لا ننا بالصور الحسية الجزئية

لا ندرك سوى الظاهر الذي يؤثر في حواسنا في الحال المناسبة لكل منها واما بالصور الفكرية فندرك الخواص الذاتية المقومة اي اننا نعرف الاشيآء بعللها اذ نعلم الحال التي كانت عليها وما تكون عليهِ والغاية التي تصير اليها والعامل فيها وغير ذلك . فاننا مثلاً ندرك بالعقل ماهية البيت المطلقة كيفما كان شكلهُ وموقعهُ قبل ان يتم بناؤهُ وبعد ان تذهب بهِ الايام واما بالحواس فلا يتم لنا ادراكهُ الا ان نراهُ رأي العين بشكلهِ من طولهِ وعرضهِ وعلوهِ وموقعهِ وغير ذلك مما لهُ من الظواهر التي تؤثر في حواسنا . وقصارى الكلام ان ادراك الكليات الاولية والثانوية المكتسبة بالتجريد خاصٌّ بالانسان متعذر طبعاً على غيرهِ من الحيوان لسببين الاول كون المبدأ الحساس اونفس البهيمة جوهراً غير تام يحتاج في قيامهِ وافعالهِ الى جسمٍ ليتحد بهِ ويشاركهُ في اعمالهِ فلا يخرج عن ادراك الحسيات اذ ليس بوسعهِ ان يستغني عن الحواس ولا تستطيع البهيمة ان تتجاوز الجزئيات التي هي الحد الذي تقف عندهُ قواها الحساسة والا لما كانت دائرة ادراكها محصورة الى الآن في الجزئيات . والثاني كون افعالها ترجع كلها بالاستقرآء الى المبدأ الحساس ولا تدل على شيء من التعقل او ادراك الكليات كما تقدم

* * *

معلوم ان لكل موجود غاية يصير اليها وهي الغرض الذي يسعى اليهِ بقواهُ وافعالهِ حتى يصل اليهِ فيقف عندهُ ومتى بلغ غايتهُ تمت افعالهُ . ومعلوم ان الحيوان عامل بالذات متحرك طبعاً لا يحتاج الى محرك خارج او عامل اجنبي يدفعهُ الى عملهِ فلا بد ان يكون فيهِ قوة داخلة تحركهُ الى

افعالهِ وهي الارادة . وهذه القوة مختلفة في الانسان عن باقي الحيوان كاختلاف المبدأ العاقل عن المبدأ الحساس اوكاختلاف الكلي المطلق عن الجزئي المفرد. على انهُ قد تقدم ان الانسان يدرك الكليات بعقلهِ والجزئيات بحواسهِ فلا بد أن يكون فيهِ ارادة عقلية تميل بهِ الى طلب الخير الكلي المطلق وارادة حسية تميل بهِ الى طلب الخير الجزئي الظاهر في المركب

ومقرر ان الانسان يكره الشيء او يحبهُ عن رضى خاص واختيار وحرية مطلقة لا سلطان عليهِ في ذلك ويجد في نفسهِ انهُ ربّ افكارهِ واشواقهِ واعمالهِ كلها . فهذه الارادة اي الحرية المطلقة يمتاز بها الانسان وحدهُ عن باقي الحيوان وهي دليل صريح على اختلاف المبدأ العاقل في الانسان عن البهيمة . و بيان ذلك ان فعل الحرية او الاختيار يقتضي لا محالة امرين الاول ان يدرك المبدأ العاقل الخير الكلي المطلق والثاني ان تقصدهُ الارادة وتميل اليهِ اذ لا يُطلب الشيء قبل عرفانهِ . فالعلم بالخير او النفع سابق لرغبة الارادة فيهِ لان الارادة قوة عمياء لا تعقل ولا تدرك بذاتها شيئاً وانما العقل دليلها الى الخير الذي تسعى اليهِ فاذا ظهر لها الخير الكامل تميل اليهِ كل الميل لانهُ غرضها الذي تبتغيهِ والحدّ الذي تقف قواها عندهُ واذا ظهر لها الخير الجزئي لا تميل اليهِ هذا الميل واذا مالت فلا تقصد فيهِ كمال غايتها وانما تتخذهُ سبيلاً واذا لما بعدهُ وواسطة لنيل ما فوقهُ وتبقى حرة في امرهِ وفي وسعها ان تميل الى سواهُ ولذلك نرى الانسان لا يتوقف عن السعي في طلب السعادة جاءتهُ لا يتردد في قبولها واما اذا جاءتهُ حسنة يتردد في قبولها بل يرفضها اذا عرف ان غيرها افضل منها او انها لا ترضيهِ بما فيها على علو نفسهِ وعزتها

ولا شك ان ليس للبهيمة هذه الحرية فيما تريد لانها حالما تدرك خيراً جزئياً تميل اليهِ بكل قواها لانها لا تدرك سوى الجزئيات التي تؤثر ظواهرها في المبدأ الحساس ولذلك تميل اليها طبعاً لانها غايتها في اعمالها والحد الذي تقف عندهُ رغبتها وليس بوسعها ان تتجاوز الى غيرهِ في الطلب ولذلك متى ظهر لها شيءٌ فيهِ نفع لها او ضرر اثر فيها مباشرةً ومالت اليهِ او نفرت منهُ حالاً بكل قواها. فاذا نظرت الشاة الذئب ولو ميتاً نفرت منهُ وفرَّت حالاً ولا تصبر على ذلك طرفة عين واذا نظرت السخلة امها اقبلت عليها بكل قواها بلا تردد لانها مدفوعة الى ذلك بالطبع مضطرة اليهِ لا مختارة فلو كان بوسع البهيمة ادراك الخير الكلي لسمت اليهِ ونالتهُ بقواها التي رُكّبت فيها وسبقت الانسان بمراحل وكان اول ما قامت بهِ ان تجتمع انواعها العاقلة وتكون يداً واحدةً على الانسان وتخلع عنها سلطانهُ وتتخلص من ظلمهِ بل لو كان لها عقل لاستفاد منها الانسان وارتفعت منزلتها عندهُ وانما

لولا العقول لكان ادنى ضيغمٍ　　ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

(ستأتي البقية)

ليلة ١٣ نوفمبر

مضت تلك الليلة الى صباحها ولم يسقط شيءٌ من الشهب كما انهُ لم يُرَ منها في مثل هذا الموعد من السنة الماضية والتي قبلها ما تميز بهِ ليالي هذا الشهر عن سائر ليالي السنة لكن علمنا من المرصد الفلكي هنا انهُ رؤي سقوط شهبٍ قليلة في ليلتي ١٤ و ١٥ من هذا الشهر لكن لا بالمقدار الذي

كان يتوقع بالقياس الى ما حدث من مثلهِ في المواعد السالفة من سنة ١٨٦٦ و ١٨٣٣ وحينئذٍ فاما ان تكون الحلقة كانت تتساقط منها هذه الشهب قد خفّت مادّتها كثيراً بتجاذب السيارات لها او تكون قد غيرت شيئاً من طريقها حول الشمس فخرجت عن حدود جاذبية الارض الا ما تطرّف منها . اما المذنَّب الذي كان منتظراً ظهورهُ في الليالي المذكورة فقد علمنا انهُ رُوقب في المرصد المشار اليهِ فلم يُرَ لهُ اثر فلا يبعد ان صح الانباء بهِ ان يكون قد عبر من امامنا نهاراً . ومهما يكن فانا نهنئ القرآء بان اجل الارض الذي أُنذِرنا بقرب حلولهِ قد أُرجئ الى حينٍ آخر والحمد لله

تمثال دليسبس

لا يجهل احدٌ ما نشأ عن فتح خليج السويس من المنافع التجارية للعالم القديم باسرهِ بما قرَّب من المسافة الشاسعة بين الشرق والغرب وهو العمل الذي طالما تطالّت اليهِ امانيّ الملوك واحجمت هممها عنهُ لما يقتضيهِ من التكاليف الشاقة والنفقات الطائلة . وقد تنبه لهُ قبل دليسبس البارون دي لبنتز في اواخر القرن السابع عشر وعرض ما تمثل لهُ من امرهِ على الملك لويس الرابع عشر فلم يوافق منهُ اذناً صاغية ثم طُوي امرهُ الى ان ورد نابوليون الاول على مصر سنة ١٧٩٨ فكان اول ما حدّثتهُ نفسهُ بهِ فتح هذا الخليج وقد ذهب بنفسهِ فتفقد تلك البقعة ثم استشار المهندس لوپير فكان من رأيهِ ان هذا العمل يذهب سُدًى لزعمهِ ان البحر الاحمر اعلى من البحر الرومي فاذا جرى الماء من الاول لم يلبث ان ينصبّ في الثاني

ويرجع الخليج جافًا فلا يُنتفع منهُ بطائل . وهو وهمٌ قديم ذكرهُ استرابون المؤرخ ونبّه على بطلانهِ ثم تصدّى لنفيهِ لابلاس وفورياي عند ما انتشرت مقالة لو بير واشتغل نابوليون بعد ذلك عن معاودة الاهتمام بهِ بما كان فيهِ من المناهضات فأُهمل ايضاً الى ان تصدى لهُ المرحوم دليسبس سنة ١٨٥٤ وهي سنة ارتقاء المغفور لهُ محمد سعيد باشا الاريكة المصرية فخاطبهُ في امر الخليج ووصف لهُ ما يكون عنهُ من الفوائد فوافقهُ على الشروع فيهِ وبوشر العمل سنة ١٨٥٦ وكان تمامهُ على عهد المغفور لهُ اسمعيل باشا سنة ١٨٦٩ ففُتح في احتفال باهر دعا اليهِ اعاظم رجال اوربا وممن شهدهُ امبراطور النمسا الحالي والامبراطورة اوجينيا زوجة الامبراطور نابوليون الثالث ووليا عهد هولندا وبروسيا والمرحوم الامير عبد القادر الحسيني المشهور ومن الكبراء والسراة عددٌ كبير فكان لهُ مهرجانٌ عظيم لم يُرَ مثلهُ في الشرق

وقد مضى على فتح هذا الخليج الى اليوم ثلاثون سنةً ظهرت لهُ فيها فوائد لا تقدَّر ولم تبرح منافعهُ تزداد كل يوم بازدياد الصلات بين الشرق والغرب فلا جرم ان من تولى هذا العمل الخطير في الارض لجديرٌ بأن يخلَّد ذكرهُ فيها بما لا يمحوهُ كرور الاعصار ولا ينسيهِ توالي الليل والنهار. وقد قامت لهُ بذلك شركة أسهم الخليج التي يرأسها اليوم البرنس دارنبرج فصنعت لهُ تمثالاً بديعاً نصبتهُ في بور سعيد امام فوّهة الخليج مرفوعاً على قاعدة متينة مشرفة بنتها في وسط الماء وقد بلغت نفقات هذ التمثال فيما يقال مليونين من الفرنكات

وقد احتفلت الشركة المذكورة باماطة الستار عن وجه هذا التمثال في اليوم

السابع عشر من هذا الشهر وهو مثل اليوم الذي احتُفل فيهِ بفتح الخليج ودعت لهذا الاحتفال جماً غفيراً من وجوه الاجانب والوطنيين وأرباب المناصب والخطط وفي مقدمتهم سموّ الامير المعظم فكان يوماً مشهوداً حضرهُ ما يزيد على خمسة آلاف نفس ثم انصرف الجمع من ذلك المشهد وفي مخيلة كلٍّ منهم رسم ذلك التمثال وهو ينشدهم عن صاحبهِ بلسان الحال

ان آثارنا تدل علينا　　فانظروا بعدنا الى الآثارِ

أين الشرق من الغرب

من اغرب ما قرأنا في الجرائد الانكليزية الصادرة في هذه الايام ان الكاتب الانكليزي الشهير رُدْيَرد كِپلِن نظم قصيدةً من نوع الموشح مؤلفة من اربعة ادوار وصف فيها حالة الجندي وما يقاسيهِ من المشقات والاخطار دفاعاً عن وطنهِ واستنهض غيرة قومهِ الى الاكتتاب لاعانة عيال الجنود المحاربين في الترنسفال فلما اشتهر امر القصيدة ابتاعت ادارة جريدة الدايلي مايل حق طبعها من الناظم بمبلغ مئتين وخمسين جنيهاً الا انهُ ابى ان يقبض المبلغ وسألها ان تبقيهُ عندها وتضمّ اليهِ ما يردها من قيم الاكتتاب ليوزع على عيال الجنود المحاربين

فانشأت ادارة الجريدة المذكورة مستودعاً خاصاً لجمع المال وعرضت على ارباب الجرائد ابتياع حق نشر القصيدة في صحفهم ومجلاتهم فلبى الدعوة ثلاثون منهم بمقابل خمسة جنيهات عن كل جريدة

ثم عمدت الدايلي مايل الى القصيدة المذكورة فطبعتها على حدة بصورة

خط الناظم نقلاً بالفوتغرافية مع صورة الناظم وعرضتها للبيع كل نسخة بشلين واحد فباعت منها في يومين عشرين الف نسخة

ثم عرضت نسخة الخط الاصلية للبيع بالمزاد فبلغ ثمنها الى الآن مئتي جنيه وبلغ مجموع دخل القصيدة في الاسبوعين الاولين من نشرها نحو ثمانية آلاف جنيه ولا يزال البيع جارياً والدخل مستمراً

ولعل القارئ الشرقي يعجب من هذا الخبر ولكن بلاداً يتهالك سكانها على حب وطنهم ومعاضدة بعضهم بعضاً ورفع شأن علمآئهم وكبرآئهم حرية بان يصدر فيها مثل هذا واعظم منهُ وان يقال فيها هنالك امةٌ تسطيع ان تقول لانها تسطيع ان تفعل

نجيب المشعلاني

اسئلة واجوبتها

تكاثرت علينا الاسئلة في هذه المدة عن بعض مشتملات الكتب التي تولى ضبطها وتصحيحها الاب لويس شيخو « مدرس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت » مما دلنا على شيوع هذه الكتب واقبال القرآء على مطالعتها والاقتباس منها. ولما كنا نود ان يكون موردها سائغاً للطلاب وهو ولا شك ما يقصده حضرة الاب لم نجد بأساً من نشر ما يأتينا من الاسئلة والاجابة عليه بما يحضرنا خدمةً للغة غير اننا نأمل من حضرات السائلين ان يمهلونا في ايراد أسئلتهم الشيء بعد الشيء اذ لا يسعنا ان نفرغ المجلة لجنس واحد من المباحث كما نأمل منهم ان يلطفوا العبارة في السؤال فان حضرة الاب طبع هذه الكتب منذ خمس عشرة سنة كما أومأ الى ذلك في مشرقه الاغر (صفحة ٩٩٨) ومع أنه كان في ذلك الحين « مدرس البيان » كما هو اليوم فانه لم يكن متضلعاً من اللغة والادب الى الحد الذي بلغهُ في هذا الاوان كما يحققه من يطالع المشرق وعلى الخصوص مواضع المناقشة منه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

بيروت — ورد في الجزء الثالث من مجاني الادب (ص ٦٤) ذكر قولهم

في المثل « اعزّ من الابلق المقوق » وقد التمست تفسير هذا المثل في شرح المجاني فوجدتهُ يقول في صفحة ٣٩٢ نقلاً عن ياقوت ان الابلق حصن السموأل بن عادياء اليهودي المعروف بالابلق الفرد ووصفهُ وصفاً طويلاً ولكنهُ لم يفسر معنى المقوق وقد راجعت هذه اللفظة في كتب اللغة فلم اجد لها معنى يوافق وصف الحصن فهل لكم ان تعرّفونا المراد منها

ورأيت في الجزء الثاني من الكتاب المذكور (ص ١٦١) في قصة وعد عرقوب ما حرفيتهُ « فلما اثمرت (اي النخلة) عدا عليها البلاء فجدّها » فما المراد « بالبلاء » هنا . وفي الجزء الرابع (ص٥٤) روى لابن عبد ربه

يا من يفيد من البكاء مولّهاً ما كان يسمع في البكا تفنيدا

ما معنى هذا البيت . وفي الرابع ايضاً (ص١٨٨) روى البيتين الآتيين لبهاء الدين زُهير يمدح هرِم بن سنان

وابيض فياضٍ يداهُ غمامةٌ كانك تعطيهِ الذي انت سائلهُ

تراهُ اذا ما جئتهُ متهللاً على معتفيهِ ما تغبُّ فواضلهُ

فلم افهم شيئاً من هذا الكلام وقد راجعت ديوان البهاء زهير فلم اجد القصيدة التي منها هذان البيتان فما صحة ذلك كلهِ افيدوا ولكم الفضل والثواب

ج * ي * ن

الجواب ـ اما تفسير قولهم « اعزّ من الابلق المقوق » فقد جاء فيه في جمهرة الامثال لابن هلال العسكري ما نصهُ بعد ايراد المثل « العقوق الفرس الحامل والابلق صفةٌ للذكر والذكر لا يجوز ان يكون حاملاً فجعلوا ما لا يكون مثلاً في العزّة والعزّة ههنا القلة يقال شيءٌ عزيز اي قليل وهو

كقولك اعزُّ من الفحل الحامل » اه . وقال الميداني في مجمع الامثال بعد ايرادهِ هذا المثل « يُضرَب لما يعزّ وجوده ُ وذلك لان العَقوق في الاناث ولا تكون في الذكور » . انتهى المقصود منهُ . واما ما نقلهُ عن ياقوت فليس في شيءٍ من المثل ولكن شُبّه عليهِ بين ابلق وابلق فظن هذا من ذاك

واما « البلآء » في قصة عرقوب فصوابهُ « ليلاً » فتصحف عليهِ بالبلآء والعياذ بالله

واما بيت ابن عبد ربهِ فأصل صدرهِ « يا من يفنّد في البكآء مولّها » فتصحف عليهِ « يفنّد » بيفيد وحينئذ نقص الوزن فابدل لفظ « في » بلفظ « من » على حدّ ما فعلهُ في بيت « اللازورد » المشهور (راجع الضيآء ص ٨٦ و ٨٧ والمشرق ص ٩٩٨)

واما البيتان اللذان رواهما لبهآء الدين زهير فالصواب انهما لزُهَير بن ابي سلمى المُزَني شاعر سنان بن هرم فاختلط عليهِ الصواب بين زُهير وزُهير كما اختلط عليهِ هناك بين ابلق وابلق . وقد وقع لهُ في هذين البيتين نادرةٌ غريبة وما ندري كيف يقع مثل ذلك وهي انهُ بدّل كل واحد من عجزَي البيتين بالآخر وأصل البيتين هكذا

وابيض فياضٍ يداهُ غمامةٌ على معتفيهِ ما تغبُّ فواضلُه

تراهُ اذا ما جئتهُ متهـلّلاً كانك تعطيهِ الذي انت سائلُه

و « تغبّ » بالغين لا بالقاف والإغباب ان تأتي القوم يوماً وتترك يوماً والفواضل النعم يريد ان عطاياهُ لا تنقطع ولا تكون في يومٍ دون يوم

آثار ادبيّة

آيات العبَر ـ هو عنوان روايةٍ ادبية من تأليف حضرة الفاضل احمد افندي فهمي مكاتب جريدة المؤيد الغرآء ببني سويف توخى فيها بيان آفات القمار وما يجلب على الأُسَر الكريمة من العار والدمار ناسقاً ما اودعها من العبرة والموعظة في اسلوب روايةٍ رائقة القَصَص فكاهية الحديث حكمية المغزى ابان فيها عن براعةٍ وابداع وحسن وذوق في تصوير الوقائع وترتيبها فجآءت جامعةً بين الفكاهة والارشاد حريةً بان يطالعها الادبآء ويتدارسها الشبان ولا سيما في هذا العهد الذي انتشرت فيهِ هذه الآفة التي عمَّ بها البلآء وطمى الشقآء وعلى الخصوص بين طبقات الموسرين من ذوي الاحساب القديمة والاعراق الكريمة فنثني على مؤلفها الفاضل اطيب ما يستحقهُ على مثل هذه الخدمة من الثنآء ونسأل الله ان يحقق ما يرجوهُ من نفعها وان يجزيهُ لاجلها خير الجزآء

مئة مسئلة ومسئلة ـ وردتنا رسالتان بهذا العنوان من تأليف حضرة الاديب رشدي افندي كمال احد متوظفي ديوان السكة الحديدية بمصر تتضمن كلٌّ منهما مئة مسئلة ومسئلة في ابوابٍ مختلفة من الحساب وضعها برسم طلبة المدارس اعانةً لهم على احراز الشهادة الابتدائية وقفَى كل مسئلةٍ بحلها تقريباً لمنال فائدتها فنحضّ الطالبين على مقتناهما ونثني على مؤلفهما جميل الثنآء

فكاهات

ما برحت تتواتر الينا رسائل الادباء من مشتركينا الكرام ان نطرفهم الحين بعد الحين بما يتصل بنا من الشعر المصريّ رغبةً في طلاوة الجديد واعادةً لشباب الشعر العربيّ بعد ان استولى عليهِ الهرم وأُنكرت محاسنهُ لما تدثر بهِ من ملابس القِدَم . واجابةً لمقترحهم رأينا ان نستبدل الرواية هذه المرة بالموشح الآتي من نظم حضرة صديقنا الفاضل قسطاكي افندي الحمصي في معنى ميلاد الربيع سلك فيهِ طريقة الشعر الافرنجي في وصف الشؤون الطبيعية واودعهُ من الاشارات اللطيفة والتخيلات المبتكرة ما لم تجرِ عليهِ قافيةٌ عربية وفي مأمولنا ان يكون منبهاً لخواطر شعرآئنا الألبآء الى احتذآء مثالهِ وابراز الشعر العربيّ في حلةٍ من الحضارة المصرية تتجلى صُوَر الحسن بين رونقها وجمالهِ

وفي هذا المقام نذكّر حضراتهم بما سبق اقتراحهُ لاحد افاضل القرآء من نظم ابياتٍ للامرتين الشاعر الفرنسويّ نشرنا تعريبها في الجزء الاول من السنة الماضية (ص ٢٠) وقد تبين لنا ان تقاعد كثيرين من الشعرآء عن تلبيتهِ انما كان لما سبق الى ظنهم من ان المطلوب نظم الصورة المعرَّبة بحرفها كما دلنا على ذلك ما وردنا من بعضهم وهو غير مقصودٍ اصلاً فضلاً عما فيهِ من تقييد الخاطر والوقوف في طريق الاجادة ولكن جلّ الغرض ان تُبرَز هذه المعاني في ثوبٍ عربي وللشاعر ان يستهلّ كلامهُ بابياتٍ غزلية او زهرية او خمرية او غيرها يستطرد منها الى المعاني المذكورة او الى ما

وافق غرضهُ منها من غير ان يلتزم لفظها ولا ترتيبها . ولذلك رأينا ان نعيد الاقتراح نفسهُ ونحن نخيّر الناظم بين الجائزة المذكورة هناك او اشتراك سنةٍ كاملة في الضيآء . والمهلة الى اوائل العشر الاخيرة من شهر دسمبر القادم . وهذه صورة الموشح المشار اليهِ قال حفظهُ الله

انت من يا من على تلك الدِمَن يذرف الدمع ويستبكي الطلول
كم تناديها ولو اصغت لمن جآءها مستنطقاً كانت تقول

عدِّ عن جهلك يا هذا الغبي

كن سواراً او قريطاً او جرير او زهيراً او اياساً او هلال
اوابا النشناش والجمعَ الغفير من ملوك الشعر ارباب المقال

كلكم يفعل افعال صبي

تندبون الربع او بيت الشَعَر او خيالاً زار ليلاً ورحل
او حصاناً او بعيراً قد نفر تضعون الدُرَّ في عنق الجمل

وخسيس الترب فوق الذهبِ

منذ الفي سنةٍ بل ضعفها دأبكم ترديد هذا النغمِ
تلك حالٌ حَسْبُنا في وصفها حال قومٍ سلكوا في الظُلَمِ

واضاعوا وقتهم في اللعِب

ذاك او يقرب منهُ ما رواه عنكم التأريخ في فن القريض
قد جريتم كل شوطٍ في مداه ولكم في نظمهِ جاهٌ عريض

من نسيبٍ اومديحٍ كَذِب

وعن التنقيب اعرضتم سوى ما اتى من مثلٍ او قافيه
وعظيم الكون مع ما قد حوى من اعاجيب شؤونٍ خافيه
لم يكن فيه لكم من سبَبِ

فكفى التشبيب والفخر المملّ ودعاوٍ عابها اهل الحلوم
واسمحوا ان يقتدي هذا المقلّ ببني الافرنج ارباب العلوم
واسمعوا ما قالهُ في حلبِ

***

عزّ بين الارض والجوّ الوئام لاختلاف الرأي في وضع الربيع
حين رامت أُمُّهُ قبل التمام وضعَهُ اذ جآءها الطلق السريع
فبدا في الجوّ فرط الصخبِ

زعم الوالد ان الامّ قد مسّها العجز على مر السنين
ولفقد الصبر منها والرَشَد قد سعت عمداً لاسقاط الجنين
فقضى حالاً بشجب المذنبِ

قال هذا الطلق زورٌ ولذا ارشق الحبلى بثلجٍ وبَرَد
فيعوق الوضعَ منها واذا ما اصرّت هلكت قبل الولد
قتلُ مَن يقتلُ شرع الكتبِ

***

قالت الأُمُّ الى كم تفتري ايها الظالم والحقُّ صريح
وبدت تروي صحيح الخبرِ بلسانٍ ينطق القول الفصيح
معربٍ عن اصل هذا اللجبِ

حدّثت قد كنتُ من عهدٍ عهيد　طفلةً اسرح حول الوالده
ظاهري كالقلب في وقدٍ شديد　جذوةٌ من قبلِ ألفى جامده

كرةٌ تسبح بين الشهبِ

فتصباني ذا الجوُّ الكنود　وباحكام الهوى جار عليّ
فهو طوراً نافرٌ عني شرود　وهو طوراً هائمٌ يصبو اليّ

وهو احياناً شديد الغضبِ

منهُ لي بعلٌ كثير النزقِ　سيّئُ الخلق شديد الفرعنه
ولهُ منيَ ذاتُ الملقِ　تلد القُرآنَ في كلّ سنه

مرضعٌ لم تشكُ مضَّ النصبِ

والصبي ما زال لي نعم الرفيق　وجمالي زائدٌ عاماً فعام
وعفافي منهُ بالحبّ خليق　لو على عهد الوفا حقاً اقام

او وعى ما سنّ شرع الأدبِ

وفؤادي ما لهُ غير الانين　كلما اومض برقٌ من بعيد
وعيوني يطلق الدمع السخين　بعضها والبعض يجري كالجليد

لدواعي حَزَنٍ او طربِ

وانا احملُ منهُ ذي الفعال　برضًى شأن كرام الأنفسِ
ولئن خالفَ في هذا الدلال　ما قضى شرعُ الغرام الاقدسِ

باحتكام الغيد عند النُجُبِ

لم ابح يوماً بتبريح هواه　لا ولم اشكُ الضنى الاّ اليه

وهو ما زال مجدًّا في جفاه حاسباً انَّ حياتي في يديه
ساء ما ظنَّ وربّ الغلبِ

ثم صاحت بلغ السيلُ الزُبى وغدت ترجف من زلزالها
وبدت ثمراً على تلك الربى تقذف النيرانَ من اجبالها
فهي تجري مثل سيل السحبِ

****

عند هذا نهضت اترابها والدجى تخبر عن اسرارها
سبعةٌ قد شوهدت اسرابها من بنات الشمس مع اقمارها
وفريقٌ من ذوات الذنبِ

دُرنَ حول الامّ لكن بانكسار قلنَ يا اماهُ ما هذا المصاب
اخننا الارضُ عليها الجوّ جار فانصحيهِ وانذريهِ بالعقاب
واسعفيها ببلوغ الاربِ

****

فاستوت ذات الجمال المسفرِ فوق عرش النور في برج الحمل
ثم خطّت بالشعاع الانورِ للتي قد سئمت طول الجبل
أن ضحي الطفلَ قُبيل المطبِ

واعلمي انّ التردّي بالسخَط صفةٌ يُرغب عنها في الحسان
وهي عند الكلّ عيبٌ وشطط ليس في الطاعة للبعل هوان
وهي زينٌ لذوات الحسبِ

ثمّ قالت ايها الجوّ الجهول انت بالهجران ايضاً مسرفُ

فقويُّ النوع مطواعٌ حمول　　للنسا اذ هنَّ طبعاً اضعفُ
ذاك فضلاً عن حقوق النسبِ

قم فعانق عرسك المكتئبه　　فلقد اودى بها طول الشجن
وتدارك مهجةً ملتهبه　　منك ذاقت كل انواع المحن
واسعدنْها بانفراج الكُرَبِ

***

فحباها بنُسيمات الصَبا　　واتاها نادماً عمّا مضى
وتدنّى خاشعاً منتحبا　　يستميح العفو منها والرضى
بمجاري دمعهِ المنسكبِ

***

عند هذا برز المولودُ في　　حللٍ تزري بابهى سندسِ
وبِبدعٍ سرُّهُ لم يختفِ　　صُبغت حتى بدت كالاطلسِ
بضياء الشمس أُمّ العجبِ

وغدا يبسمُ عن نورٍ بدا　　مثل درّ فُتّ فيهِ الذهبُ
مذ رآهُ بابل الحيّ شدا　　بأغانٍ ما شداها مطرِبُ
فجلا من غمّة المكتئبِ

والهنا عمّ جميع الكائنات　　فدعت للشمس بالعمر المديد
بمعانٍ وأغنٍ مختلفات　　لا يفيها وصفَها الاّ مُجيد
ينظم الشعرَ بلفظٍ عربي

النوم والسرير

قُضي على الانسان ان يصرف معظم حياتهِ في غير المهمّ من معنى الحياة لان اكثر اوقاتهِ ينقضي في تدبير كيانهِ واقامة بنيتهِ ما بين طعامٍ ومنام وراحةٍ ورياضة فلا يبقى منها لاعمالهِ الاجتماعية واهتماماتهِ العقلية الا شطرٌ يسير. على ان ذلك كلهُ مما لا يستقيم الوجود بدونهِ ولا تتوفر الاعمال الا بهِ فهو مسوقٌ اليهِ بالضرورة لا يجد من نفسهِ بدًّا منهُ ولا غنًى عنهُ. واذا اعتبرت جملة حياتهِ ووزّعت اوقاتهُ على احوالهِ في جميع اطوار الحياة ما بين سن الطفولية والشيخوخة وحالتي الصحة والمرض وجدت ان ما يقضيهِ منها في سريرهِ لا يقلّ عما يقضيهِ في خارجهِ ولهذا كان امر المنام من اهمّ ما ينبغي الاعتناء بهِ لحصول الغاية المقصودة منهُ وهي صحة البدن التي لا يتمّ بدونها عيش ولا يستتبّ عمل

على ان من الناس من يعدّ النوم ضرباً من الموت ويرى ان الساعات التي يقضيها في غفلة الرقاد كانها ليست من حياتهِ حتى لقد تجد ممن سالمتهم الدنيا وخدمهم النعيم من يغالب النوم ما استطاع ضنًّا بلذة اليقظة وتذرعاً الى اطالة الحياة . وهو ولا جرم ضربٌ من الخُرق والمبالغة في الحرص حتى ينقلب الى التفريط لان لذة اليقظة واعتدال الحواس وقوة الجسم على اغتنام الملذات ومدافعة الامراض كل ذلك لا يتم بدون النوم بل النوم للجسم بمنزلة غذاءٍ آخر اذ بهِ يُستوقف هلاك ما يهلك من جواهر الاعضاء بالعمل ويكون بهِ تمثيل الاغذية اتمّ والتعويض عما تحلل من دقائق البنية

اسرع واوفى بحيث ان اعمال الحياة في النائم تكون اقوى منها في المستيقظ لِما تقرّر عند اربابهِ من ان قوّة التمثيل تزداد في الجسم كلما ازداد قرباً من الحيوانات الدنيا التي تقرب اعمال الحياة الحيوانية فيها من اعمال الحياة النباتية

ومعلومٌ ان النوم انما يستوقف الاعمال العضوية التي لها شركةٌ مع الخارج واما القوى الحيوية والتمثيلية فتبقى على عملها لا تنقطع بهذا السبب لحظةً من الزمن . وهو فضلاً عن كونهِ راحةً طبيعيةً للانسان على حدّ ما هو لسائر الحيوان فان فيهِ معدّلاً لبنيتهِ وصاقلاً لذهنهِ يعيد افكارهُ الى تنبهها ويردّ على النفس جمامها ويجدد قواهُ لمزاولة ما يستقبلهُ من الاعمال والمهمات

ولا بأس ان نذكر هنا شيئاً في كيفية حدوث النوم في الجسم ودبيبهِ في الاعضاء فقد دلَّت المراقبة ان الجسم لا ينام بأسرهِ دفعةً واحدةً ولكن الحواس تفتر بالتدريج وتبطل افعالها شيئاً فشيئاً الى ان يتكامل النوم في الجسم كلهِ . واول ما يبطل منها الافعال العضلية المطاوعة لفعل الارادة فيشعر الجسم بخدرٍ عام بحيث اذا كان الانسان قائماً ضعفت ركبتاهُ عن حملهِ ومال رأسهُ وجنحت الاعضاء كلها الى التوقف عن اعمالها واستشعر انهُ عن قليل لا يكون لهُ حاملٌ يعتمد عليهِ من اعضائهِ فيلقي بنفسهِ على السرير او على الارض او على حجرٍ او غيرهِ يسلّم اليهِ ثقلهُ مدة انقطاع العضل عن عملها

واول ما يعرض لهُ في هذه الحال ان يظلم بصرهُ وتنطبق اجفانهُ ويمتنع عليهِ ادراك الاشباح ثم يتخدر حس الذوق ثم حس الشم والسمع واخيراً يتخدر حس اللمس فيتمّ النوم في عامّة الجسم . اما الجهاز التنفسي والجهاز

الدموي والعضل القابض فانها لا تشارك الجسم فيما يعتريهِ من الخدر فيبقى الهضم والافراز على ما كانا عليهِ حال اليقظة . واما الدماغ فلانقطاع تأثير الحواس الظاهرة عليـهِ يكون في حالةٍ متوسطة بين العمل والراحة كما يدل عليهِ ما يتمثل لهُ من الاحلام التي تشبه ما كان يمرّ بهِ في حال السهر . وعلى نحو ما ذُكر يكون الحال عند الانتباه فان خدر النوم يخفّ تدريجاً كما بدأ والحواس تستيقظ على التوالي وترتيب انتباهها يكون على عكس ما تقدم من ترتيب سنتها فاول ما يستيقظ الافعال العقلية وهي اقرب ما يمكن تنبيههُ في النائم وبعد ذلك تنتبه حاسة اللمس ثم السمع والشمّ ثم الذوق ثم البصر والافعال العضلية واخيراً تعود الارادة الى مجراها وتستأنف سلطانهـا على سائر الاعضاء . وبذلك يتم الانتباه

اما مدّة النوم فتختلف باختلاف السنّ والجنس والبنية والمزاج والاقليم فان الطفل والمرأة يحتاجان من النوم الى اكثر مما يحتاج اليهِ الرجل واصحاب البنية القوية والمزاج الدموي ينامون اكثر مما ينام النحفاء . واصحـاب المزاج العصبيّ الشديد الانفعال وسكان البلاد الحارّة يحتاجون من النوم الى اكثر مما يحتاج اليهِ سكان البلاد الباردة وكذلك الحال في البلاد الواحدة بين فصلٍ وفصلٍ من السنة ولذلك غلب في الاقاليم الحـارّة وفي فصل القيظ اعتياد القائلة وهي نوم نصف النهار

وللعادة ونوع الشغل تأثير في مقدار النوم فان الرجل العامل الحـادّ التصور لا يكون الا قليل النوم وتعب الجسم ادعى الى النوم من تعب الفكر لما يلزم الحالة الثانية من تنبه الدماغ ولذلك ترى العلماء والشعراء وسائر اصحاب

الاعمال الفكرية من اقل الناس نوماً ومثلهم الذين يدمنون تعاطي المنبهات من المشروبات الروحية والمفرطون من شرب القهوة والدخان حتى ان من هؤلآء من قد ينام في فترات قصيرة وهو جالسٌ او متكئٌ . ولذلك ترى اكثر هذه الطبقة نحفاء الاجسام متنبهي الاعصاب وتكون اعمارهم على الغالب قصيرة وما اشتهر من ان العلماء يكونون اطول اعماراً من غيرهم فالاظهر ان ذلك ناشئٌ عن تحفظهم في احوال المعيشة وجريهم على القوانين الصحية لا أن هناك سرًّا يخرجون بهِ عن مقتضى الاوضاع الطبيعية

وقد تقدم ان النوم من أعوَن الذرائع على تمثيل الاغذية وتوفير الجواهر العضوية لما فيهِ من تعليق الاعضآء عن العمل فينبغي ان تقدَّر مدتهُ على قدر حاجة الجسم من تلك الجواهر . ومعلومٌ انهُ ليس لنا ميزان نزن بهِ مقدار الهالك من دقائق البنية ولكن يقال على الجملة ان النوم لا ينبغي ان يكون اقل من ست ساعات ولا اكثر من عشر وذلك تبعاً لما يكون عليهِ الجسم من الجهد او الضعف وتبعاً لما ذُكر من حالة السن والمزاج وغيرهما وكل احدٍ يستطيع ان يعلم بالاختبار مقدار حاجتهِ من النوم فينبغي ان يجري بحسب ذلك ولا يقسر طبعهُ على الزيادة من النوم او السهر . على ان الاقلال من النوم افضل من نقيضهِ فان من نام اقلّ من عادتهِ يجد في نفسهِ بعض الانزعاج ولكن ذلك لا تُخشَى منهُ عاقبةٌ سيئة وبخلافهِ ما اذا زاد نومهُ عن كسل وتثاقل فان الاعمال الهضمية تضطرب فيهِ ويجد من نفسهِ اختلالاً في صحتهِ وفتوراً في اعضائهِ

اما اوقات النوم فافضلها الليل وهو الوقت الطبيعيّ لهُ لان الجسم

حينئذٍ يكون قد اعيا من حركة النهار وصار في حاجةٍ الى تعويض ما تحلل منهُ والاصوات في الليل تكون خافتةً والهوآء يكون ساكناً خالياً من التموجات التي تثور سحابة النهار بجلبة الناس والبهائم والآلات وغيرها ويكون ضوء الشمس غائباً فلا يرد على مقلتي النائم ما يؤثر في عصب العين ويمنع اكتمال راحتها . ولذلك فان الذين يعتادون اطالة السهر ويؤخرون نومهم كثيراً قلما ينتفعون بالمقدار الذي ينامونهُ ولا يغنيهم نوم الضحى عن نوم الليل ولو اطالوهُ لانهُ لا يعيد على الجسم النشاط الذي يعيدهُ نوم الليل للاسباب التي ذكرناها فترى اصحاب هذه العادة صفر الالوان منقوفي الوجوه وترى عيونهم محمرَّةً مثقلةً بالنعاس وجفونهم متورمة وآماقهم دامعة وابدانهم ذابلة يشكون زكاماً مستمرًّا وحرافةً في الحلق وعسراً في الهضم مما لا سبب لهُ الا السهر ولا دوآء لهُ الا النوم

اما السرير فلا بد ان يكون مرفوعاً عن الارض لا اقلّ من متر لان رئتي النائم تفرزان الحامض الكربونيك وهو من المفرزات السامّة الا انهُ لثقلهِ يرسب سفلاً فيجب ان يكون النائم على ارتفاعٍ لا يبلغهُ الحامض المذكور بعد رسوبهِ . واما مقدار هذا الحامض فان الانسان البالغ يتنفس نحو ١٨ مرة في الدقيقة وقد حسبوا ان كل نَفَسٍ ينبعث عنهُ من الحامض الكربونيك ما يعدل ٥٠٠ سنتيمتر مكعب فاذا نام سبع ساعات مثلاً وهي ٤٢٠ دقيقة تنفس فيها نحو ٧٥٠٠ مرة وبضرب هذا العدد في ٥٠٠ يكون الحاصل ٣,٧٥٠,٠٠٠ سنتيمتر مكعب وهي عبارة عن ٣ امتار مكعبة و٧٥٠ دسيمتراً مكعباً اي ما يقرب من اربعة امتار مكعبة . وبهذا يُعلم ما في النوم

على الارض من التعرض للضرر ولا سيما اذا كانت الغرفة ضيقةً مسدودة المنافذ فان النائم يكون غارقاً في بحرٍ من هذا السائل القتال ينضح رئتيهِ بامواجهِ فلا يزداد بهِ الدم الا سمًّا وفساداً . وما يُرى من عدم تأثيرهِ في بعض الناس فانما ذلك بسبب العادة على حدّ من يعتاد سائر السموم شرباً

ويُستحبّ في الفراش ان يكون أميل الى الصلابة منهُ الى الهشاشة وافضل ما يُتَّخذ منهُ الصوف النقي يُخلَط بشيء من الشعر وينبغي ان يُجتنَب استعمال الريش او الزَّغَب لما فيهما من القبول لاختزان الحرارة كما ينبغي ان يُجتنب الاستكثار من الدُّثُر المتراكمة الشديدة الضبط للحرارة لان كل افرازٍ حتى الليلي يكون سبباً للضعف . وكذلك المخادّ فان استعمال الشعر فيها افضل من الريش ولا سيما مخادّ الاطفال لما في الريش من الحرارة البالغة المؤذية للرأس

واما غرفة النوم فأول شروطها ولا سيما اذا كانت لاثنين ان تكون فسيحةً معرَّضةً للنور والهوآء لتطهرَ من افرازات الجسم مع فتح نوافذها كل صباح ويحسن ان يُفتَح في اعلاها نوافذ صغيرة تصل بين هوآئها والهوآء الخارجي فيتبدل هوآؤها من غير ان يضرَّ بالنائم . ولا ينبغي ان يكثر فيها من التأنق بمضاعفة الانسجة التي تغطَّى بها الاسرَّة للزينة مما يمنع تخلل الهوآء فضلاً عن انهُ يكون ذريعةً لتكاثر البق بحيث يعسر استئصالهُ . ولا بأس بوضع الستائر على النوافذ لكن لا ينبغي ان تكون مضاعفةً ولا كثيرة الأثناء والمغابن لئلا تكون مجمعاً للغبار ومستقرًّا للجراثيم المنتشرة فيهِ . واما سائر اثاث الغرفة فكلما قلّت الامتعة فيها كانت ادنى الى الشروط الصحية

ولا سيما ما كان منها صعب النقل لان غرفة المنام ينبغي ان تكون سهلة التنظيف معرضةً لمرور الهوآء والنور في جميع اجزآئها طرداً لكل ما يحتمل وجودهُ فيها من جراثيم الفساد

ومما ينبغي التنبه لهُ ان لا يكون في غرفة المنام شيءٌ من الروائح القوية لما لها من التأثير المضرّ في الجهاز العصبي وان لا يوضع فيها شيءٌ من النبات والازهار التي توضع عادةً في البيوت للزينة فان النبات للنائم بئس الجار لان جميع انواع النبات تطلق الحامض الكربونيك في الليل ومنها ما يطلق اكسيد الكربون وهو اشدّ سميةً من الحامض الكربونيك فضلاً عما يفوح منها من الروائح العطرية ذات التأثير على العصب فيكون ضررها مضاعفاً

تدبير المنزل

وعدنا في بعض اجزآء السنة الماضية ان ننشر نموذجاً من كلام المتقدمين في هذا الفن نقلاً عن كتابٍ قديم وقع الينا منذ سنوات معرّبٍ فيما نظن عن اليونانية الا انهُ قد سقط منهُ اسم المعرّب وذُكر اسم المؤلف بما يقرب من شبه الصورة التي تراها في صدر النقل وقد رُسم عارياً عن الاعجام بحيث لم يتأتَّ لنا تحقيق لفظهِ

ومن عنوان الكتاب ترى ان الكلام فيهِ مقصورٌ على تدبير الرجل لمنزلهِ وهو ما لم يكد متقدمو المؤلفين يتعدونهُ فضلاً عن ان البحث فيهِ لا يتجاوز اصول الفن ومبادئهُ على ما هو شأن كل علمٍ في حدثان وضعهِ ٠ ومع كون ما عندنا من الكتاب لا يزيد على خمس وعشرين صفحة متوسطة

على ما قدّمناهُ هناك فالذي نظنهُ ان الساقط منهُ ليس الا شيئاً يسيراً لانهُ يبدأ بامر المال وينتهي بذكر الولد وهو آخر ما أُشير في صدر التأليف . وقد رأينا ان نقتصر منهُ على نقل البحثين الاولين وهما بحث المال وبحث الخدم لان في الثالث ما لا يحمل نقلهُ والرابع لا ينتهي الى حدّ يوقف منهُ على فائدة وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ في الغرض منهُ وهذا نصّ ما اشرنا اليهِ

كتاب روسس في تدبير الرجل لمنزلهِ

قال ان أمر المنزل يتمّ بأربع خصال أوّلها المال والثاني الخدم والثالث المرأة والرابع الولد . اما المال فلأن الخالق تبارك وتعالى وان كان جعل في الانسان القوى التي يحتاج اليها لقوام بدنهِ وصلاح أمرهِ فانهُ قد جعلهُ مع ذلك متقضاً مستحيلاً متقضياً ولذلك صار الانسان محتاجاً الى ان يستمدّ ويستردّ مكان ما يتحلل منهُ . أعني بقولي القوى القوّة التي ينتزع بها كل واحد من اعضآئهِ ما يشاكلهُ من الغذآء بالمقدار الذي يحتاج اليهِ والقوّة التي تحيل ذلك الغذآء وتقلبهُ حتى يصير شبيهاً بالعضو الذي يغتذي منهُ فان كان المغتذَى بهِ لحماً صار لحماً وان كان عظماً صار عظماً وان كان عصباً صار عصباً والقوّة التي تحفظ على العضو ما اجتُذِب اليهِ ما دام سيّالاً حتى يجمد ويتصل بهِ والقوّة التي تنفي عن كل واحد من الاعضآء ما يبقى من ذلك الغذآء من الفضل مما يبعد من طبعهِ فلا يقوى على قلبهِ واحالتهِ الى طبيعتهِ والقوّة التي تنميهِ وتمدّدهُ حتى يزيد في طولهِ وعرضهِ وعمقهِ على مقادير اجزآئهِ فأقول

انهُ وان كان قد جعل في الانسان هذه القوى كلها وقوًى اخرى كثيرة معها بها يكون تدبير بدنهِ فانهُ قد جعل فيهِ شيئين هما قوامهُ وأحدهما يفني الآخر ويحللهُ وذلك ان قوامهُ بالحرارة والرطوبة ومن شأن الحرارة ان تحلل الرطوبة وتفنيها فلذلك لا يمكن ان يقف على حالٍ واحدة ولكنهُ يتحلل تحللاً دائماً متصلاً ولذلك يحتاج الى ان يستمدّ مكان ما يتحلل منهُ فاستمدادهُ هو الغذآء الذي يتغذيهِ . ولو كان البدن مع هذا من جنس واحد لكان الذي يحتاج اليهِ انما هو نوع واحد من الغذآء لكنهُ لما كانت اجزآؤهُ مختلفة احتاج لذلك الى أغذية مختلفة الانواع والطعوم وجميعها من النبات والحيوان لان غذآء كل شيء من اقرب الاشيآء اليهِ وليس شيء أقرب الى طبيعة بدن الانسان من الحيوان والنبات والنبات والحيوان محتاجان الى انواع من الصناعات حتى يكونا ثم حتى ينميا بعد كونهما . اما النبات فيحتاج الى ان يُزرَع او يعرَّش ثم يُسقى ويربَّى الى غير ذلك مما فيهِ تمام الانتفاع بهِ واما الحيوان فالى ان يغذَّى ويحرَّك ويكَنَّ وما أشبه ذلك مما فيهِ مصلحتهُ . ويُحتاج ايضاً لجمع الغذآء واعدادهِ وتهيئة ما يكون بهِ الانسان والحيوان الى صناعات أُخر كثيرة مختلفة . والانسان وان كان قد جُعلت فيهِ قوّة الاستنباط لكلّ صناعةٍ وقوّة التعلُّم لها فليس يمكن الواحد من الناس لقصر عمرهِ ان يستنبط ذلك ولا ان يتعلمهُ لان لهُ في استنباط صناعة واحدة او تعلُّمها شغلاً عن استنباط سائر الصناعات او تعلُّمها وان كان فيهِ احتمالٌ لتعلُّم كثير منها فليس فيهِ احتمالٌ لتعلُّمها كلها . والانسان محتاج في تدبير معاشهِ الى جميع الصناعات والصناعات ايضاً مضمَّن

بعضها ببعض كالبنآء الذي يحتاج الى النجّار والنجّار الذي يحتاج الى صناعة الحدّادين وصناعة الحدّادين التي تحتاج الى صناعة اصحاب المعادن وتلك الصناعة الى البنآء. فكل واحدةٍ من الصناعات وان كانت تامّةً في نفسها تحتاج الى الاخرى كما تحتاج اجزآء السلسلة بعضها الى بعض وان ارتفعت صناعةٌ واحدة بطل بارتفاعها الباقي من الصناعات . فلما كان كل واحد من الناس يحتاج في تدبير امرهِ الى انواع مختلفة مما يغتذي بهِ ويستتر وكان يحتاج لذلك الى جميع الصناعات كان لا يمكن ان يكون الواحد محكماً لجميع الصناعات فصار الناس جميعهم محتاجاً بعضهم الى بعض في تدبير معاشهم ولهذه العلّة احتاج الناس الى اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً بالصناعات. ولمّا كان الناس محتاجاً بعضهم الى بعض ولم يكُ وقت حاجة كل واحدٍ منهم وقت حاجة صاحبهِ في اكثر الاوقات ولا مقادير ما يحتاجون اليهِ متساوية ولم يكن سهلاً في الامور ان يُعلَم ما قيمة كل شيء من كل شيء وما مقدار ثمنهِ من ثمنهِ وما مقدار اجرة كل شيء مما يُعمَل من اجرة كل شيء آخر احتيج الى شيء يميز بهِ جميع الاشيآء وتُعرف بهِ قيمة بعضها من بعض فمتى احتاج الانسان الى شيء مما يباع او ما يُستعمَل دفع قيمة ذلك الشيء من هذا الجوهر الذي جُعل ثمناً للاشيآء واخذهُ ولو لم يُجعل هذا هكذا لكان الذي عندهُ نوعٌ من الانواع التي يحتاج اليها صاحبهُ كالزيت والقمح وما اشبه ذلك وعند صاحبهِ انواعٌ اخر لا يتفق اذا احتاج هذا الى ما عند ذاك ان يحتاج ذاك الى ما عند هذا فتقعَ المبايعة بينهما ولا يتفق ايضاً ان وقع الاتفاق بينهما في حاجة كل واحدٍ منهما الى

ما في يد صاحبهِ ان يقع الاتفاق بينهما في ان يكون يحتاج هذا مما في يد ذاك الى ما يكون قيمتهُ مقدار ما يحتاج اليهِ ذاك مما في يد هذا فيقع الاختلاف اذ ذاك بينهما فاما ان ينصرف كل واحدٍ منهما عن صاحبهِ اذا لم يجد عندهُ تمام حاجتهِ واما ان يتبايعا ثم يحتاج احدهما ان يطلب تمام حاجتهِ من بائعٍ آخر . وكان يُحتاج مع هذا الى ان يُعلم كم قيمة الجزء من كل واحد من الانواع التي فيها مصالح الناس مثل العسل والسمن والقمح وغير ذلك من الانواع الاخر على كثرة الانواع واختلافها في القيمة واذا عُرف ذلك في وقتٍ من الاوقات فقد يُحتاج ان يُعرَف في اوقاتٍ اخر كلما تغيرت حال نوعٍ من تلك الانواع بكثرة الجلب او قلّتهِ وبما يعرض من حاجة الناس اليهِ واستغنآئهم عنهُ ومن الاستكثار منهُ عند اختلاف الازمنة وما يستعمل الناس من كل نوع في كل زمان وكذلك الصناعات . فلذلك طبع الناس الذهب والفضة والنحاس وثمّنوا بذلك جميع الاشيآء واصطلحوا عليهِ لينال بهِ الانسان حاجتهُ في وقت حاجتهِ ويكون من يصير في يدهِ شيءٌ اراد ان يخلف بهِ ما خرج من يدهِ ويصرفهُ الى غير ذلك لم يتعذّر ذلك عليهِ . فقد صار من حصلت هذه الجواهر التي سمّينا في يدهِ مكان الانواع التي يحتاج اليها كانها قد حصلت في يدهِ ولذلك احتيج في مصلحة المعاش الى هذه الامور فنحن مبينون كيف يصلح التدبير في الاموال فنقول

(ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

(تابع لما في الجزء السابق)

تقدم لنا ان العقل والحرية في الانسان قوتان لا حظَّ للبهيمية فيهما مما يدل صريحاً على مخالفة المبدأ العاقل في الانسان عن العجماوات وذكرنا ما يسع المقام من الادلة العقلية ولا مانع من ان نشفع ذلك هنا بالادلة الطبيعية الظاهرة التي نعتمد في صدقها على مراقبة الافعال الظاهرة في الاثنين وهي اختبارات سهلة لا تقتضي تحمل مشاق السفر ولا بناء المعامل وتجهيزها بآلات التشريح وغيرها لان الانسان قريب من نفسهِ ومن اكثر انواع الحيوان فاذا نظر في نفسهِ رأى فيها من الاسرار ما لا يسعهُ البيان ومن الوجدانات ما لا يحتمل البرهان لوضوحها ورسوخها ولا سيما اذا قابل نفسهُ بما يدنو اليهِ من الحيوان فيرى انهُ يتعالى عنهُ علوًّا عظيماً ويختلف اختلافاً جوهريًّا ولا يرضى ان يقال لهُ قرد ولا كلب ولا نحلة ولا نملة على سبيل المجاز والتشبيه . ولا اتجاوز في ذلك الاوجه الثلاثة التي تحسب بالاتفاق دليلاً على العقل وهي اللغة والافعال العقلية والادبية

فاما اللغة فلا يخفى ان الانسان يستخدم الكلام ليعبر عما في نفسهِ من المعاني الكلية والجزئية فيختار الفاظاً مختلفة الاصوات ذات مقاطع كثيرة تختلف عن الاصوات البسيطة من حيث التركيب ومن حيث الدلالة على المعنى فان مفهوم اللفظ المفرد غير محصور في مفرد معين فلا علاقة لازمة بين لفظ الاسد مثلاً والحيوان المفترس الاوضع الانسان العاقل هذا الاسم

لهذا المسمى الشائع في جنسهِ شأن النكرات والافعال التي هي اكثر ابهاماً اذ تدل على معنى لا يستقلّ بنفسهِ وكذلك الحروف حيث ان كل الفاظ اللغة يدل على معانٍ مبهمة مشتركة كلية ولا تدل على معنى تام اي يصح السكوت عليهِ الا في حالة الاسناد فلا بد لذلك من قوة عقلية تتصرف بالمعاني الكلية وهذا حكم عام في كل لغة مهما كانت بسيطة التركيب قليلة المعاني فان الانسان الناطق بها يتصرف في الفاظها للدلالة على المعاني التي في نفسهِ ويقصد بيانها بذلك ويكون كلامهُ دليلاً على تعقلهِ بحيث يُعرَف مقدار علمهِ وسعة مداركهِ من معاني كلامهِ واذا ضاق معهُ مجال الكلام استخدم الرسوم والاشارات وغيرها مما يدل على انهُ ناطق جوهرياً وان صمت

اما البهيمة فليس بها من اللغة الا الاصوات وهي لا تعلق عليها معنى ولا تريد بها امراً معلوماً فلو كانت هذه الاصوات ذات معانٍ معقولة باصول ثابتة لادركها الانسان وتعلمها نظير ما يتعلم باقي اللغات و بالتالي لو كان في البهيمة عقل لابدتهُ صريحاً بكلامها وما احتاجت الى الانسان ليعلمها بعض الفاظ لا تزيد عليها ولا تدرك معانيها ولذلك لا تتصرف في الفاظها ولا في معانيها ولا تخرج عن كونها اصواتاً طبيعية صدرت عن سبب خارج اثر في الحواس اثراً حسياً طبيعياً فتكون من ثم دلالتها على هذه الاسباب دلالة طبيعية كدلالة صوت الساعة على عدد الساعات ودلالة الدخان على النار فلا يعلّق عليها معنى مقصود ولا يراد بها بيان شيء معلوم وقد يأتيها الانسان ولا يعلق عليها معنى كاصوات البكآء والضحك وغيرها ولذلك لا يقدر ان يتصرف فيها ولا يكتمها لانهُ مدفوع اليها بالطبع ويلزم من ذلك

ان لغة البهيمة صادقة ابداً اذ ليس بوسعها ان تكتم ما اثر فيها او ان تتصرف فيهِ وهي لا تزيد بالدلالة عن المحسوسات ولا تختلف الا نغماً بين حسن وقبيح كصوت البلبل والغراب ولا يختلف عوآء الكلب عن صوت الفرِح والمحزون بل ان تسميتها بالعجماوات دليل واضح على ذلك

والنتيجة ان كلام الانسان من حيث تركيبهُ من مقاطع مختلفة ودلالتهُ على معانٍ مشتركة كلية وجزئية دليل قاطع على ان فيهِ قوة عقلية متصرفة لا حظ فيها للبهيمة اذ ليس لها شيء من لغتهِ وكلامهِ لا لفظاً ولا معنى لان الاصوات لا تدل على وجود العقل في صاحبها كما لا تدل دقة الساعة على وجود العقل فيها ولا يجوز ان نسلم بوجود العقل فيها قبل ان تأْتي بلفظ او معنى غير معانيها الحيوانية الدنية

واما الافعال العقلية فلا شك ان التمدن الحالي بما فيهِ من تقدم الاختراعات والاكتشافات واتساع المعارف وتمدد العلوم اعظم دليل على عقل الانسان لكونهِ ذا قوةٍ مفكرة يدرك الكليات ويتصرف فيها لانهُ اذا تأَثرت حواسهُ استدل بديهياً ان هناك سبباً اثر فيها هذا الاثر اي ينتقل الذهن من اثر الحواس الى المؤثر فيها ولا يزال ينتقل ذهنهُ ويجول خاطرهُ حتى يصل الى المطلوب الذي يقصدهُ في نفسهِ ويبحث عنهُ بطريق القياس او بطريق الاستدلال مما هو مقرر عندهُ من الاحكام الاولية الكلية لان الكليات تشمل كثيراً من الذوات والاعيان . فاذا ادرك العقل اذاً معنى كلياً انتقل حالاً الى ملازمه الذي يتبادر الذهن اليهِ لنسبة او علاقة قريبة بينهما . والغاية ان الفكر لا يمكن ان يُحصَر في دائرة جزئية ولم يصل الى

هذا التمدن الحالي الا باعمال عقلهِ في مقاصدهِ بان اختار مادة تناسبهُ وآلةً تساعدهُ وهو يصيب ويخطئ شأن الصانع الذي لا يزال يعالج عملهُ حتى يكون تاماً على مرادهِ كالصورة التي في نفسهِ ولا يزال سالكاً في سبل من تقدمهُ منذ الوف اعوام مجدًّا الى كل جهة من المعارف لا يقف في سبيلهِ مانع مع انهُ يولد ضعيفاً جاهلاً لكل شيء فلا يلبث ان يدرك حالاً الوجدانيات والاوليات والمشاهدات وما وراءها من المعقولات ويمثل لنفسهِ اعمال من سبقهُ فيجري على اثرهِ عن معرفة وبصيرة ويتدارك ما يأتي بهِ الزمان ويتسلط على الخلق ويتصرف فيهِ حتى يقود القطيع الكبير وهو ولدٌ صغير وقد قام وحدهُ بامر العلوم العقلية والصنائع اليدوية على اختلافها حتى تعلم ما لم يعلم وعلم الحيوان ما لا يعلم وليس لهُ من القوة الا عقلهُ وبهِ تغلب على الحديد فألانهُ وعلى الاسد فصادهُ وعلى الطير فطالهُ وساد الخلق كلهُ بعقلهِ

(ستأتي البقية)

طوابع البريد

كان اول ظهور طوابع البريد في فرنسا سنة ١٦٥٣ فلبثت تُستعمَل مدةً ثم أُهملت في زمنٍ مجهول فلم يتنبه لها احدٌ الى سنة ١٨٢٣ وفي تلك السنة عرض المسيو تريغنبرج من مبعوثي اسوج على حكومة استكهلم اعادتها فلم يفلح واستمرّ الامر كذلك الى ان جددها الانكليز سنة ١٨٣٩ فاجروها في الاستعمال ثم تبعتهم فيها حكومة البلجيك سنة ١٨٤٧ الا ان استعمالها لم يشع في هذه البلاد الا منذ اول يوليو سنة ١٨٤٩ وجرت

عليها فرنسا سنة ١٨٤٨ واصطُلح عليها في اسبانيا وباڤاريا ودوكية باد وهنوڤر وبروسيا وسويسرا والنمسا سنة ١٨٥٠ وفي ورتمبرج والدنمرك وغالب الايالات الطليانية سنة ١٨٥١ وفي البلاد السفلى او بلاد القاع سنة ١٨٥٢ ولم تدخل في استعمال اسوج الا سنة ١٨٥٥ ودخلت روسيا سنة ١٨٥٨ واليونان سنة ١٨٦١ واستمرّ انتشارها شيئاً فشيئاً حتى عمَّت جميع اوربا واعمالها في آسيا وافريقيا واميركا وجزر المحيط

وقد أُولع الناس منذ حين بجمع اصناف الطوابع يتنافسون بها ولا سيما النادر منها مما انقطع استعمالهُ بحيث ان المجموع الكامل منها يباع بثمن فاحش . وقد نشرت احدى الجرائد الانكليزية فصلاً مفيداً في هذا المعنى للمشتغلين بهذا الشأن لا بأس من تعريبهِ فكاهةً لقومٍ وفائدةً لآخرين قالت

ان عدد اصناف الطوابع في ممالك الارض كلها تبلغ بالتدقيق ١٣,٨١١ صنفاً منها لانكلترا ١٣١ صنفاً ولأعمالها والبلاد التي تحت رايتها ٣,٨٤٣ وبعبارةٍ اخرى فكل خمسة طوابع يكون اثنان منها عليهما رسم الملكة ڤكتوريا

واكثر اصناف الطوابع المختلفة توجد في اميركا فانهُ يُعَدّ هناك لا اقلّ من ٤,٦٥٦ صنفاً منها للولايات المتحدة ٢٨٧ ولاسبانيا ٢٧٨ ولجمهورية سلڤادور ٢٧٢ ولجمهورية اوروغاي او الجمهورية الشرقية ٢١٥ ولمدينة شنغاي وحدها ٢١٤ صنفاً وليس من مملكةٍ لها صنفٌ واحد من الطوابع الا بولونيا والجزر المعروفة بأرض النار بالطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية

وجميع اصناف الطوابع التي صنعتها الحكومات المختلفة منذ ٥٠ سنة

لا تكاد تملأ فسحة سبعة امتار مربعة ومجموعةٌ كاملة من كل هذه الاصناف تكون قيمتها عشرة ملايين فرنك في الاقل

وفي هذه الطوابع اربعة هي اندرها واثمنها وهي ذو البنسين الازرق لجزيرة موريس فانهُ يسوى ٢٥,٠٠٠ فرنك ثم ذو العشرة سنتات لبلتيمور ويسوى ٢٢,٠٠٠ فرنك ثم ذو السنتين لهاواي ويسوى ١٧,٥٠٠ فرنك ثم ذو العشرين سنتاً لسان لويس ويسوى ١٥,٠٠٠ فرنك

التوازُن بين جرمي البرّ والبحر

نشر المسيو زِغلَر فصلاً لطيفاً في مجلة الجمعية الفلكية الفرنسوية أثبت فيهِ التوازن بين جرمي البرّ والبحر قال

من المعلوم انا اذا عملنا كرةً من طينٍ لازب وأدرناها على محورٍ يمرُّ في مركزها تتفلطح من قطبيها أي من جهة طرفي المحور ويكون قطرها الاستوائي أطول قليلاً من قطرها القطبي وما دامت سرعة دورانها واحدة فشكلها لا يتغير وتبقى القوّتان الجاذبة الى المركز والدافعة عنهُ متوازنتين

ثم اذا غمسنا في سطح هذه الكرة قِطَعاً من جسم أثقل من الطين الذي صنعناها منهُ ككُتَلٍ من الحديد مثلاً وغطيناها بالطين نفسهِ ثم أدرناها بالقوّة نفسها فانها فضلاً عما ذُكر من تفلطحها يصير سطحها متعادياً أي يحدث فيهِ ارتفاعٌ وانخفاض لان الاجزاء التي يزيد ثقلها يكون تباعدها عن المركز أشدّ وما دامت سرعة الدوران واحدة يبقى الشكل الذي

اتخذناهُ واحداً ويحصل التوازن بين الاجزآء الثقيلة والاجزآء الخفيفة ٠

اذا تقرَّر هذا يمكن ان تُعتبر الارض على هذا القياس فانها مركبة من نواةٍ متوازنة الاجزاء يحيط بها غلافٌ من البحار واليبس فلنا حينئذٍ ان نفرض ان بين البحر واليبس توازناً في الحركة والقوَّة على حد ما ذُكر في الكرة التي وصفناها من التوازن بين الاجزاء الثقيلة والخفيفة ٠ ولتطبيق ذلك نقول

اذا كان سطح البحر ٣٧٥ مليون كيلومتر مربع ٠ وسطح اليبس ١٣٥ مليوناً ٠ ومعدَّل عمق البحر ٣٣٠٠ متر ٠ ومعدَّل ارتفاع اليبس ٤٠٠ متر ٠ وارتفاع اليبس عن معدَّل عمق البحر ٣٧٤٠ متراً ٠ والثقل النوعي لماء البحر ١٬٠٢ ولليبس ٢٬٥٠ وضربنا مسطح البحر الذي هو ٣٧٥ في معدَّل عمقهِ الذي هو ٣٣٠٠ وثقله النوعي الذي هو ١٬٠٢ كان لنا وزن ماء البحر هكذا

٣٧٥ × ٣٣٠٠ × ١٬٠٢ = ١,٢٦٢,٢٥٠

ثم اذا ضربنا مسطح اليبس الذي هو ١٣٥ في معدَّل ارتفاعهِ عن معدَّل عمق البحر الذي هو ٣٧٤٠ وثقلهِ النوعي الذي هو ٢٬٥٠ كان لنا وزن اليبس هكذا

١٣٥ × ٣٧٤٠ × ٢٬٥٠ = ١,٢٦٢,٢٥٠

أي اذا كان البرّ والبحر على التقدير المذكور كان وزنهما واحداً وحصل التوازن بين الاجزاء السائلة والاجزاء الصلبة

— ٥ —

أساء رعياً فسقى (١)

ما زال حضرة الاب لويس شيخو يدافعنا عن تسديد اغلاطه في الكتب التي تولى ضبطها وتصحيحها ويحيلنا على انتقاد مجلته وتآليفه الجديدة .. بدعوى ان تلك الكتب قد طبعها قديماً وانهُ قد اصبح اليوم غير ما كان عليه بالامس ... واجابةً لاقتراحه فقد تكلفنا مطالعة مقالةٍ لهُ نشرها تحت اسمه في الجزء الثاني والعشرين من المشرق الصادر في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) وهي آخر مقالةٍ كتبها واول مقالةٍ قرأناها من كلامه .. فوجدنا فيها ما نستأذنهُ في ايراد بعضه لنعلمهُ انهُ لم يكن فيما سلف دون ما هو عليه اليوم ولكنهُ كان من ذلك الحين بالغاً حد الكمال وما بعد الكمال من مزيد

فمن ذلك قولهُ في الصفحة الاولى « .. مراكب البرتغال التي فازت في ذلك العصر قصبة السباق » فعدَّى « فاز » بنفسه وانما يقال فاز بالشيء ولا يقال فازهُ . وفي الصفحة التالية وهي صفحة ١٠١٠ « كانت الدولة على البورس في بعض الآنات » يريد بالآنات جمع الآن ولم يُسمع لهذا اللفظ جمعٌ فضلاً عن ان يُجمع بالالف والتاء وانما هو من الالفاظ التي تناولها عن لغة الجرائد .. على أنا رأيناهُ يقول في شرح مجاني الادب (صفحة ٣٩٩) ما نصهُ . « الآناء هو جمع آن او أوان وهو الوقت المعيَّن .. » وهي بلةٌ

(١) مثل اصلهُ ان يسيء الراعي رعي الابل حتى اذا اراد ان يرجع بها الى اهلها كره ان يظهر هم سوء أثره عليها فيسقيها الماء لتمتلىء منهُ اجوافها . يضرب للرجل لا يحكم الامر ثم يريد اصلاحهُ فيزيدهُ فساداً

اخرى في هذه الطينة فليتأمل العارف في هذا الخبط الغريب . وقال في صفحة ١٠١٢ « وطافوا الوديان » يريد بالوديان جمع الوادي وهو ما لم يُسمَع ايضاً وانما هو من لغة العامة . وفي صفحة ١٠١٣ « ولكن هذه الحرب لم تحطَّ عن اوزارها » وهو كلامٌ لا معنى لهُ والصواب حذف « عن » لان المقصود حط الاوزار نفسها لا حطّ شيء آخر عن الاوزار (راجع ضيآء السنة الاولى ص ٦٤٢) . وفي صفحة ١٠١٤ « يربي على الالف الف » وهو تركيبٌ فاسد والصواب اسقاط اداة التعريف او نصب الالف الثاني على التمييز . وفي صفحة ١٠١٦ « بلغ السن الشرعي » والصواب الشرعية لان السنّ مؤنثة . وفيها « يستملك الارض » ولم تُسمَع صيغة استفعل من هذا الحرف فالصواب يملك او يتملك . وفي صفحة ١٠١٧ « يجمعون هذا الطائر عدداً كبيراً .. ولا يصرفون عليها الا النزر القليل فاذا كبر نزعوا عنها ريشها ... » فجعل الطائر اولاً مذكراً ثم انثهُ ثم ذكَّرهُ ثم انثهُ ولعل هذا من طرق التفنن التي لا نعرفها . ثم قال « وفي سنة ١٨٨٠ كان عدد النعام الذين يمنون بتربيتهم ... » فردّ على النعام ضمير الذكور العقلاء وهو فنٌّ آخر . وفي هذه الصفحة « وهاك اليوم قد قامت الحرب » يريد وها ان الحرب قد قامت فعبَّر « بهاك » وهو اسم فعل بمعنى خذ . وفي صفحة ١٠١٨ « ضعف البويرس وفشولهم » وهي اول مرةٍ سمعنا فيها لفظ الفشول والصواب « وفَشَلهم » بفتحتين

وقد بقيت هنالك اشيآء اخر يدركها البصير اضربنا عنها خوف الملل . على انا لم نتعمد تغليط حضرة الاب في هذا الموضع لو لم يدعُنا اليهِ ويحرّضنا

عليهِ كما انهُ لا يهمنا اعترف بغلطهِ ام كابر وانما لم نمتنع عن اجابة بعض السائلين من قرآئنا الادبآء عما يرون من اوهامهِ في الكتب التي طبعها حرصاً منا على اللغة ان تزداد فساداً لان اكثر مقتني تلك الكتب يعتقدون صحتها لمكان المؤلفين الذين أُخذت عنهم فيُستدرَجون الى الخطآء من حيث لا يشعرون والله الهادي

اسئلة واجوبتها

اسيوط - بينما كنت اطالع في كتاب علم الادب تأليف الاب لويس شيخو اذ عثرت في صفحة ٦٨ على العبارة الآتية نقلاً عن كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ونصها « ويخطئ البصر ايضاً في حركة القمر والسحاب .. وفي الاشيآء التي تتحرك على الاستدارة حتى يراها كالحلقة والطروق » . فلم افهم مرادهُ « بالطروق » وقد بحثت فيما عندي من كتب اللغة فلم اجد لهذه اللفظة تفسيراً يوافق المقام . ثم عثرت في صفحة ٨٦ على الكلام الآتي اروبهِ لكم بالحرف « (فائدة) ربما كان توجيه الخطاب الى غير ناطق كقول المتنبي منتهراً سيف ابن حمدان

الا ايها السيف الذي لست مغمدًا　　ولا فيك مرتابٌ ولا منك عاصمُ

هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلى　　وراجيك والاسلام انك سالمُ »

فوقفت اقلّب الطرف في معنى هذا الكلام وانا كلما اوسعتهُ تأملاً اوسعني حيرةً حتى كأني اقرأ حلماً وما انا من معبري الاحلام . فهل لكم ان تفيدوني ماذا اراد بالانتهار هنا وكيف يُنتهر السيف ثم اين الانتهار في

البيتين فاني لا ارى الا مدحاً وتهنئةً ومَن ابن حمدان هذا فاني لم افهم شيئاً من هذا الطلسم كلهِ . وقريبٌ من هذا ما رأيتهُ في صفحة ٩٣ حيث روى البيت الآتي لامرئ القيس

كأن الثريا عُلّقت في نظامها　　بامر ابن نعمانٍ الى صُمّ صندلِ

فمن اراد امرؤ القيس بابن نعمان المذكور في هذا البيت وما معنى صُمّ الصندل ارجو ان تتكرموا بالافادة عن ذلك كلهِ ولكم الفضل　　(ب *)

الجواب ـ أما لفظة « الطروق » في عبارة ابن مسكويه فالظاهر ان صوابها « الطوق » كما يُستدلّ عليهِ بالقرينة . وأما بيتا المتنبي فهما من احدى قصائدهِ في مدح سيف الدولة عليّ بن حمدان العدويّ صاحب حلب فالخطاب فيهما للممدوح الملقب بسيف الدولة لا للسيف الذي هو من الحديد . وأما معنى الانتهار فلا ندري من أين جاء فلعلّ حضرة الاب اذا وقف على هذا الموضع افادنا شيئاً من علمهِ . وأما بيت امرئ القيس فهو مرويٌّ في معلقتهِ هكذا

كأن الثريّا علّقت في مَصامها　　بأمراس كتّانٍ الى صُمّ جندلِ

مصامها بمعنى موقفها والجندل الحجارة . يصف طول الليل يقول كأن الثريا قد شُدّت بحبالٍ متينة الى صخور صلبة فهي واقفة في مكانها لا تبرح . وقد تصحف عليهِ قولهُ « بأمراس » فقرأهُ « بأمر ابن » والصورة بينهما متقاربة ثم كأنهُ لم يستقم لهُ ان يقول « ابن كتان » فأبدل كتان « بنعمان » وتصحف عليهِ جندل « بصندل » وهما متقاربان في صورة الخط ايضاً والله اعلم

آثار ادبيّة

تذكار الصبا ـ هو اسم ديوان المرحوم فقيد اللغة والادب المأسوف عليهِ الشيخ نجيب الحدّاد ظهر في هذه الايام مطبوعاً بنفقة واهتمام حضرة السيّدة الفاضلة الكسندرا افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس البهية وكان الناظم رحمهُ الله قد جعلهُ هديةً الى مقام فضلها وأدبها وبعد ان طبع صدراً منهُ عاجلهُ القدر المحتوم فأتمّت جمعهُ وترتيبهُ وأبرزتهُ في أبهى حلةٍ من الطبع مصدَّراً برسم الناظم ومختوماً بترجمة حياته . ولسنا نتصدى في هذا المقام لوصف هذا الديوان واطراء ما اشتمل عليهِ من رقائق النظم ومبتكرات المعاني فحسبنا من ذلك ما عرفهُ الناس من انفاسهِ ولكنا نصرف عنان القلم الى القيام بشكر حضرة الفاضلة المشار اليها لسعيها في نشر حسنات هذا الفقيد العزيز وتخليد ذكرهِ أثابها الله عنهُ خيراً ولا برحت قدوةً في الفضل والاحسان ومثلاً في المكارم يشار اليها بالبنان بمنّهِ تعالى وجوده

تنبيه * وقع غلط في الجزء السابق لم ينتبه لاصلاحه وهو ما جاء في صفحة ١٧٨ سطر ١٧ حيث قيل « واذا لما بعدهُ » والصواب نقل « واذا » الى السطر التالي بعد لفظ السعادة . وفي صفحة ١٨٠ سطر ٢ حيث قيل « الحلقة كانت » والصواب « الحلقة التي كانت » . وفي صفحة ١٨٥ سطر ١٢ حيث جاء « سنان بن هرم » وصوابهُ « هرم بن سنان »

فكاهات

رواية

الشاهد الفجائي (١)

كان لاحد سراة الالمان في مدينة برلين ابنان يقال لاكبرهما فرانز وللاصغر هرمن وكان لفرانز من العمر خمس وعشرون سنة ولهرمن اربع عشرة. وكان والداهما قبل ان يولد لهما هرمن قد جعلا كل ميلهما الى فرانز الذي هو البكر فلم يمنعاهُ شيئاً من مطالبهِ ورأى فرانز انهُ حاكم مطلق التصرف في بيت ابيهِ فاتبع اهواءهُ ولم يعبأ لهما بنهي ولا امر ولم يشأ والداهُ ان يزجراهُ عما هو فيهِ حرصاً على رضاهُ فلما ترعرع كان ولداً شريراً سيئ الطباع بذيء اللسان لا يخاف الله ولا يهاب انساناً وما بلغ العاشرة من عمرهِ حتى اسف والداهُ لما رأيا من حالهِ وندما على تهاونهما في تربيتهِ وتقويم طباعهِ . فلما وُلد لهما هرمن اجتهد الوالدان ان يحسنا تربيتهُ واكملا القول بالعمل فشب خاضعاً طائعاً اديباً تقياً فكان آية الرصانة والصلاح وحسن السيرة كما كان اخوهُ انموذج الشر والرذيلة والفساد . وما زال شرّ فرانز يزداد والاخلاق السيئة تتأصل فيهِ كلما تقدم في السن حتى اصبح ضربةً على والديهِ واجتهدا في تقويمهِ بكل ذريعةٍ استطاعاها فلم يجدِ فانقلبت محبتهما لهُ الى مقت

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وصرفا ميلهما الى اخيهِ لما كان عليهِ من الوداعة والرقة والادب ورأى فرانز ميلهما عنهُ الى اخيهِ هرمن فنفر من جميعهم واضمر لاخيهِ السوء وجعل يتوقع فرصةً للايقاع بهِ . وكان هرمن يذهب كل يوم الى محل تجارة والدهِ فيساعد الكتاب في اشغالهم ويلازمهم من الصباح الى المسآء اما فرانز فلم يكن يدخل المحل الاحين ينفد ما بيدهِ من النقود فيذهب في طلب غيرها. واتفق ان هرمن خرج يوماً للتنزه فرأى اخاهُ فرانز في منتدى جالساً الى جانب فتاةٍ بديعة الخلق يحادثها و يلاطفها وكان قد دعاها لمرافقتهِ ونسي ان ليس في جيبهِ شيء من النقود فكان في ارتباك عظيم ولما رأى هرمن سُرّي عنهُ فدعاهُ باسماً وعرّفهُ بالفتاة واسمها اماليا ثم عرّفها باخيهِ هرمن وجلس الثلاثة معاً يتحادثون . ورأت اماليا البون الشاسع بين الاخوين فمال قلبها الى هرمن واظهرت لهُ الحب فلما رأى فرانز ذلك صرف اخاهُ بالتي هي احسن بعد ان اخذ منهُ مبلغاً من النقود وجعل بعد ذلك يتزلف الى اماليا بغية استمالتها والاقتران بها الا انها لم تكن لتزداد الا نفوراً منهُ لما كانت ترى من فظاظة طباعهِ ودناءة اطوارهِ واخيراً صرّحت لهُ انها قد شغفت بحب اخيهِ هرمن وانها ان تزوجت فلن يكون سواهُ بعلاً لها فكان ذلك مما زاد فرانز بغضةً لاخيهِ ونفاراً من سائر اهل البيت حتى لم يعد في امكان والدهِ ان يحتمل فظائعهُ فطردهُ من بيتهِ وحرمهُ من ارثهِ . وكانت هذه من اعظم الضربات على فرانز ولذلك صمم على الانتقام من اخيهِ هرمن وقد اعتقد انهُ هو سبب شقآئهِ ولما ضاقت في وجههِ المسالك عمد الى الحيلة الاخيرة فكتب الى اماليا رسالةً سرية يقول فيها

ايتها السيدة اماليا

قد قضى لي البخت ان اغادر هذه الديار الى الديار الاميركية وانا مسافر صباح غدٍ وسيخرج معي اخي هرمن يشيعني الى نيمن واحبُّ قبل براحي ان اراكما تحت بركة الاكليل ولما كان قد ادركني موعد سفر الباخرة ولم يبقَ في امكاني انتظار تمام ذلك هنا فقد اتفقت مع اخي ان يكون اكليلكما في نيمن وعليهِ فسأنتظركِ غداً صباحاً في محطة السكة الحديدية لنركب معاً الى الموعد المذكور فيُعقد لكما هناك وترجعان واسافر انا الى الوجهة التي قُسمت لي　　　　فرانز

فلما وصل هذا الخطاب الى اماليا دفعها حب هرمن الى الانقياد بدون تبصّر فوافت فرانز وسافرا يقصدان نيمن . ولما بلغا الباخرة سأل فرانز احد النوتية عن اخيهِ هرمن فقال انهُ خرج لحاجةٍ وسيعود بعد قليل ولم تدرِ اماليا ان النوتي مستأجر لهذه الغاية فجعلت تنتظر الى ان خيم الظلام وبرد الهوآء فانزلها فرانز الى غرفتهِ واغلق الباب . ولم يمضِ الا قليل حتى سمعت اماليا زفير البخار وشعرت بتقلقل الباخرة فصاحت ما هذا يا فرانز واين هرمن . فقال ايتها الشقية الا تزالين تذكرينهُ اوَلم تدري انني اودُّ ان اراهُ مقتولاً قبل ان ينال قلامةً من ظفركِ فاعلمي انني طُردت من بيت ابي بسببهِ وحُرمت ارثي وأُجبرت على مفارقة وطني لاجلهِ كل هذه المصائب نزلت بي بسبب هذا الوغد الزنيم . نعم انني هاربٌ ولكنني سأُصادفهُ يوماً واغمد هذا الخنجر في فؤادهِ

وكانت اماليا تسمعهُ مرتجفةً خائفة فقالت اذاً ألا ترجعني الى بيت

ابي . قال هيهات فانا لحبكِ ولستِ اسافر حتى تكوني معي فتعزيني في وحدتي . قالت ولكني لا احبك بل استعيذ بالله منك في كل دقيقة فكيف يمكنني ان اعزيك . قال ان لم تعزيني بكلامكِ فبمالكِ فاني لا اكتمكِ ان والدي قد طردني من بيتهِ وجحدني وحرمني نصيبي من مالهِ فان لم تصحبيني في سفري فلا اقلّ من ان تساعديني بشيء من مال ابيكِ . قالت كفى فقد علمت قصدك ايها الوحش الجهنمي فاطلب ما يلزمك من المال وخذهُ بطيبة نفس لكن تعدني انك تطلق سراحي اول في ميناء نصل اليهِ . قال اعدكِ بذلك لكني لا اعرف الآن المقدار اللازم لي من الدراهم فاذا وقّعتِ لي على ورقةٍ بيضآء اكتب فيها ما احتاج اليهِ عند اللزوم تركتكِ وشأنكِ . قالت هات الورق . فاخرج فرانز من جيبهِ ورقةً بيضآء فقطعها اربعة اقسام وطلب منها ان توقع اسمها على الاربع القطع ففعلت كذلك وهي لا تدري ما تفعل ولما فرغت رمت بالقلم في وجههِ وقالت خذ ايها اللص الخبيث قد سلبت مالي ومال ابي سلبك الله الراحة والهنآء . فجعل فرانز يقهقه ضاحكاً وهو يطوي الاوراق ويضعها في جيبهِ . وكانت اماليا قد خارت قواها بعد ما جرى فالقت بنفسها على السرير وغاصت في بحر نومٍ غير هنيء . وصعد فرانز الى ظهر الباخرة وجلس يدخن ويفكر في ما عساهُ ان يصنع وهاجتهُ افكارٌ شتى الى ان نبههُ قرع جرس الباخرة للساعة الثالثة بعد نصف الليل فهب مذعوراً ونزل الى الغرفة حيث كانت اماليا منطرحة على السرير فحملها بين ذراعيهِ ورقي بها الى سطح الباخرة فافاقت وقبل ان تفتح فاها بكلام قال ايتها اللعينة انك لا تتزوجين بي فهل اسمح ان تكوني نصيباً لغيري . كلا

بل كوني نصيباً لسمك البحر فلن ارضى لكِ غيره ُ . ولما قال ذلك قذف بها من جانب الباخرة الى البحر وعاد الى الغرفة . ولما القت الباخرة مرساتها ارسل فرانز الرسالة الاولى الى والد اماليا بتوقيع ابنتهِ يقول فيها عن لسانها

يا والدي العزيز — اني قد هويت فرانز واقترنت بهِ وقد اضطرَّتهُ الاحوال ان يسافر فجاءةً فسافرت معهُ وسأعود اليك واطلعك على كل ما جرى فلا تعود تلوم ابنتك فيما فعلت ولا تحرمني رضاك وحنوَّك الابوي . والآن فانني في حاجةٍ شديدة الى النقود فارسل لي مما تركتهُ والدتي خمسين الف مرك ومتى بلغنا اميركا فسأكتب اليك ان ترسل لي الباقي الى هناك

ابنتك المطيعة اماليا

ولبث فرانز ينتظر يومين فوردهُ جواب الاب يصحبهُ حوالة بالمبلغ وفي الجواب تعنيفٌ شديد لابنتهِ على ما فعلت من الطيش والجهالة وانهُ قد صار يعتبرها غريبةً عنهُ ولا يهمهُ شيءٌ من امرها . اما فرانز فلم يهتمّ لشيء مما ذكر بل اكتفى بحصولهِ على الحوالة وما عتَّم ان قبض المبلغ وعاد الى الباخرة متوجهاً الى الولايات المتحدة

وكثرت الاشاعات والتقوُّلات بعد سفر فرانز فكان ذلك مما زاد في مضض والديهِ واسفهما ولما طالت المدة آخذا ينسيانهِ شيئاً فشيئاً ومرت على ذلك ثماني سنوات ولم يجرِ لفرانز ذكر ولا جاءَ عنهُ خبر فعدَّ بين الاموات . اما هرمن فكان لا يزال جارياً على ما أُسس عليهِ من محاسن الاخلاق والجدّ في طلب الرفعة في المنزلة والنجاح في الاعمال واصبحت لهُ ثروة خاصةً وكان والداهُ يرغبان في زواجهِ وهو ينفر من ذلك لانهُ كان قد وهب قلبهُ

لاماليا ولما علم بهربها مع اخيهِ نذر على نفسهِ التبتُّل وآلى ان لا يميل الى سواها غير ان والدهُ كان لا يمرُّ يومٌ الا يجتهد في اقناعهِ بوجوب الاقتران واخيراً قال لهُ انني قد شخت يا هرمن وامست شمسي على شرف المغيب وليس في نفسي شيءٌ من امانيّ الدنيا لأن الله قد انعم عليَّ بما يقرُّ العين ويسر النفس وجعل لي مثلك وارثاً لاسمي ومالي فاذا متُّ فاني اموت سعيدًا لكن يا بنيَّ ينقصني امرٌ واحد اتزوَّدهُ معي الى قبري وهو ان ارى لك عروساً تشاطرك الحياة ويكون لي منك النسل الباقي

وكان هرمن يتذكر اماليا فيهيج وجدهُ اليها ويجزم بعدم الاقتران بغيرها ثم يسمع كلمات والدهِ المؤثرة فيلين قلبهُ فقال لهُ ولكن يا والدي لا ارى فتاة يميل اليها قلبي . قال والدهُ انا اجدها لك فان نورا بنت البارون هرس آية في الجمال والآداب ومحاسن الخصال وقد علمت من والديها انها تميل اليك عن بعد وتتغزل في محبتك وان تكن لا تزورها فدونكها يا ولدي ودعني اموت طيّب الخاطر مسرور الفؤاد . وما زال يلحُّ على هرمن حتى ازوجهُ منها وكان هرمن يرى انهُ كمن ضحى نفسهُ لمرضاة غيرهِ فمذ وُجد مع زوجتهِ لم يكن يُرى الا حزين النفس مشتت الافكار وكانت نورا تحبهُ محبةً دونها العبادة وتجتهد بكل قواها ان تستميلهُ اليها فكان ذلك يزيد كربهُ اذ يراها تموت في هواهُ ولا يرى من نفسهِ ميلاً اليها ولا يستطيع ان يقابلها بمثل حبها

وفي ذات يوم عاد هرمن الى بيتهِ فلاحظت نورا انهُ قلق البال مضطرب الافكار فسألتهُ عما عرض لهُ قال رأيت اليوم شخصاً رابني منظرهُ

وقد دخل اليَّ وكلمني في بعض شؤون التجارة وكان في حديثهِ بشيءٍ من الاهانة كمن يضمر لي شرًّا ويتعمد التحرش بي ليتقم مني وهذه اول مرةٍ صادفني فيها مثل ذلك مع اجتهادي كل حياتي بعدم الاساءة الى احد • فجعلت نورا تخفف من هيجان افكارهِ وتجتهد في تسكين خواطرهِ ثم خرجت بهِ الى الحديقة يتنسمان الهوآء البارد فجلسا تحت شجرة غضة وجعلت نورا تقص على زوجها اخباراً مختلفة لتسرّي عنهُ همومهُ • وانهما كذلك واذا بشخصٍ قد هبط من الشجرة الى الارض لم يكادا يميزانه حتى صاحت نورا صيحةً عظيمة والقت بنفسها على صدر زوجها واذ ذاك دوى في الحديقة طلق رصاصٍ ووقعت المسكينة تختبط بدمآئها • فصاح هرمن وتراكض الخدم على صوت الرصاص فنقلوا الجثة الى سريرها وذهب منهم من يستدعي الطبيب واقبل هرمن يتفقد زوجتهُ ليتحقق موضع الاصابة ففتحت عينيها وقالت بصوتٍ متقطع لا شك ان هذا هو الشخص الذي ذكرتهُ لي وقد رأيتهُ مصوباً مسدسهُ نحو صدرك فتلقيت الرصاص بقلبي مدافعةً عنك فعسى ان هذا الفعل يحبب اليك ذكراي فتحبني بعد مماتي ثم انقطع صوتها وفاضت روحها • ولما حضر الطبيب وجدها قد فارقت الحياة ثم دخل بعدهُ زعيم الشرطة وبعد ان فحص المسئلة وعلم انهُ لم يكن احدٌ في الحديقة الا هرمن وزوجتهُ التفت الى هرمن وقال انني باسم الامبراطور القي عليك القبض للتحقيق فهلمّ معي الى القضاء • واصاب هرمن نوعٌ من الذهول فلم يدرك شيئاً سوى انهُ انحنى على جثة نورا فقبلها مودعاً بدون ان يفوه بكلمة ثم طأطأ رأسهُ وتبع الشرطة

وفي الصباح التالي تعينت لجنةٌ لتحقيق الجريمة فأُقيم هرمن امام القضاة وجعل المحامون يتحاورون في قضيتهِ ويلقون عليهِ الاسئلة ولما لم يسعهُ تبرئة نفسهِ واثبات ان القاتل غيرهُ مال الفاحصون الى تذنيبهِ واذ ذاك فُتح باب المحكمة ودخلت فتاةٌ قد سترت وجهها بلثام ثم تبعها اثنان من الشرط يقودان رجلاً قد غُلّت يداهُ . فتقدمت الفتاة الى دكة القضآء ثم استقبلت الحضور وبعد ان استأذنت القاضي شرعت في الكلام فقالت

اذا كان من حقوق العدل ان يؤخذ المجرم بجريمتهِ فمن حقوق المروءة ان لا يُترك البريء يؤخذ بذنب المسيء واني لعلى يقين تام من ان هذا المتهم مظلوم فيما أُلصق بهِ من تهمة القتل مجنيٌّ عليهِ جناية مضاعفة بقتل امرأتهِ ثم احالة الجريمة عليهِ وتعريضهِ للاقتصاص منهُ وانما القاتل في الحقيقة هو هذا الظالم ـ وأشارت الى الرجل الموثق ـ وهو اخو المتهم المسمى فرانز المشهور بكثرة شرورهِ وقبح سيرتهِ . ثم أفاضت في سرد قصة فرانز وما كان من محبتهِ لاماليا وحيلتهِ عليها وسلبهِ مالها وطرحهِ اياها في البحر ثم اتمت القصة فقالت وسقطت تلك المسكينة بين أمواج اليمّ غائبةً عن رشدها ولم تعِ الا وهي بين ايدي رجلين من الصيادين التقطاها من البحر وجعلت بعد ذلك تسترزق اهل الاحسان حتى عادت الى بيت ابيها بعد سنة من تاريخ هربها فوجدت ان الشقي فرانز قد استنزف كل مالها وانهُ اثار عليها حنق والدها فطردها من بيتها وانكرها ولعنها ولما اصبحت في تلك الحالة عزمت ان تبحث في انحاء المعمور لتظفر بمغريها وسالبها فتنتقم منهُ جزآء ما أوصلها اليهِ من الشقآء وجعلت تسافر من بلدةٍ الى اخرى وكلما اعوزتها

النفقة احتالت على تحصيلها من تعب يديها حتى بلغت اميركا واهتدت الى المحل الذي كان يقيم فيهِ ولما سألت عنهُ وجدت انهُ قد عاد الى برلين فعادت على اعقابها في طلبهِ حتى رأتهُ هنا منذ يومين فجعلت تتبعهُ وتراقب اعمالهُ وحركاتهِ وتترصد منهُ فرصةً للانتقام وقد رأتهُ امس في قلقٍ عظيم فأوجست شرًّا في افكارهِ حتى اذا أمسى وهي تتبعهُ عن بعدٍ رأتهُ قد تسلّق جدار حديقة هرمن فتربصت لهُ حيث تراهُ ولا يراها ولما نزل هرمن وزوجتهُ الى الحديقة اسرع هذا اللعين فرانز فصوَّب مسدسهُ الى صدر اخيهِ ورأت الزوجة ما يتهدد زوجها فارتمت على صدرهِ لتحميهُ وكانت تلك الدقيقة آخر حياتها . وظن فرانز انهُ قد أدرك غرضهُ من قتل اخيهِ فعمد الى الفرار ولما رأت اماليا ما كان تحققت انهُ هو هو فتبعتهُ ولم تزل تجدّ في أثرهِ حتى دخل حانةً فاستدعت رجال الشرط وسلمتهم اياهُ وقادتهُ الى هنا وهاءنذا اماليا التي تكلمكم وأماطت لثامها عن وجهها فعرفها الجميع

اما هرمن فكان يفضل الموت على سماع هذه الامور عن أخيهِ فطأطأ رأسهُ حزينًا وعادت المحكمة الى فحص القضية فبرأت ساحة هرمن فعاد الى بيتهِ ليندب المسكينة نورا وأما فرانز فحكم عليهِ بالاشغال الشاقة وأرسل الى السجن الذي لا يعود منهُ . ثم أخذت اماليا في التردد على هرمن تسليهِ وتعزّيهِ ورأى من محبتها لهُ وتركها بدون نصير ما عطف قلبهُ عليها فعاودهُ الحب الاوّل واقترن بها ورأى من عظم مودتها وحسن معاملتها ما أنساهُ احزانهُ فقضيا بقية ايامهما بسلام الى ان فرّق بينهما داعي الحِمام

العلوم عند العرب

(تابع لما في الجزء الخامس)

وممن اشتهر من المنجمين بعد اولئك ابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحرّاني الصابي المعروف بالبتّاني نسبةً الى بتّان ناحيةٍ من اعمال حرّان وهو صاحب الزيج المعروف بالصابي اثبت فيهِ مواقع الكواكب لسنة ٢٩٩ للهجرة ولهذا الزيج نسخةٌ اليوم في الواتيكان . ومن اعمالهِ تصحيح حساب مبادرة الاعتدالين وقد جعلها درجةً لكل ٦٦ سنة اي نحو ٥٤ً و ٣٢ً لكل سنة وهي اكثر من المتفق عليهِ اليوم باربع ثوانٍ ونصف وكان الذين قبلهُ يجعلونها درجة لكل مئة سنة فيكون الدور الاكبر عندهم ٣٦ الف سنة . وكان البتّاني يرصد في الرَقّة على الفرات وموقعها على ٣٦° من العرض الشمالي وبمقتضى رصدهِ وجد ان ميل دائرة البروج يكون ٢٣° و ٣٥َ وباضافة ٤٤ً للانكسار واسقاط ٣ً للاختلاف الافقي وجد لالَند ان الميل المذكور لعهدهِ يكون ٢٣° و٣٥َ و ٤١ً . وحسب مباينة فلك الارض فكانت على حسابهِ ٠٣٤٦٥، وهي نحو ضعفي الحقيقة . وهو الذي اكتشف انتقال نقطتي الرأس والذنب قيل وهو اول من استبدل اوتار القسيّ بالجيوب في قياس المثلثات والزوايا على ما اثبت استعمالهُ في كتابهِ علم النجوم ولهُ غير ذلك مما لا نطيل باستيفائهِ

ومنهم ابو الحسين عبد الرحمن بن عُمر الصوفي الرازي وكان متصلاً بعَضُد الدولة بن بُوَيه ومن مصنفاتهِ كتاب الصور السماوية وجدولٌ لمطالع

الثوابت وميلها ولهذا الجدول منزلةٌ رفيعة عند علماء هذا العصر يرجعون اليهِ في مقابلة مواقع الكواكب وتحقيق حركاتها الى هذا اليوم

ومنهم ابو الوفاء محمد بن محمد بن يحيي البوزجاني من اهل القرن الرابع وهو اول من استخدم المماسّات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا ولهُ جداول للمماسّات ونظائرها وتصنيفٌ في استخراج الاوتار ولهُ شرح على كتاب ديوفنطس في الجبر والمقابلة على ما ذكرهُ ابو الفرج وقيل هو الذي وضع معادلة السرعة لتقويم مواقع القمر في حركتي اقبالهِ وادبارهِ ولهُ الزيج المعروف بالشامل وهو الذي شرحهُ علاء الدين القوشي وسماهُ بالكامل

ومنهم الحسن بن الحسن بن الهيثم المعروف بالخازن ومن تآليفهِ كتابٌ في الشفق والفجر عين حدّ كلٍّ منهما وقت بلوغ الشمس ١٩° تحت الافق وحسب علوّ الهواء ٥١،٨ ميلاً وقد حسب محيط الارض ٢٤ الف ميل . ولهُ كتابٌ في المناظر (البصريات) اوضح فيهِ كيفية انكسار النور في الهواء وكميتهُ وذكر كثيراً من احكام الانكسار منها انهُ يزيد في ارتفاع الاجرام السماوية في الظاهر واننا بهِ نرى الاجرام فوق الافق وهي تحتهُ . وفي كتابهِ هذا حل المسئلة المشهورة بمسئلة الخازن وهي انهُ في اي نقطةٍ من المرآة المقعرة ينبغي ان يقع الشعاع الآتي من جهةٍ مفروضة حتى ينعكس الى نقطةٍ مفروضة

ومنهم ابو الحسن عليّ بن ابي سعيد بن يونس الصدفيّ المصريّ من اهل القرن الرابع وهو صاحب الزيج الكبير المعروف بالزيج الحاكمي قال ابن خلكان رأيتهُ في اربع مجلدات بسط القول والعمل فيهِ وما اقصر في

تحريرهِ ولم أرَ في الازياج على كثرتها اطول منهُ وذُكر ان الذي امرهُ بعملهِ وابتداهُ لهُ العزيز ابو الحاكم صاحب مصر

ومن مشاهير المتأخرين نصير الدين محمد بن حسن الطوسي من اهل القرن السابع للهجرة وهو صاحب الزيج المعروف بالخاني وضعهُ في مرصد مراغة من اذربيجان بامر هولاكو خان التتر سنة ٦٥٧

ومن معاصريهِ عماد الدين ابو يحيي زكريا بن محمد الأنصاري القزويني صاحب كتاب عجائب المخلوقات ذكر فيهِ الصور السماوية واسمآء البروج والمنازل مع اسمآء اشهر الكواكب ومطالعها الا انهُ اعتمد في توقيت المطالع على ما اثبتهُ بطلميوس نقلاً عن هبرخوس (سنة ١٤٠ ق م) وكذلك فعل أُلغ بك من بعدهِ في زيجهِ المشهور ومع ان امر المبادرة كان معلوماً عندهم على ما مرَّ بك فلم يتفطنوا لما يلزم عنها من تبدّل اوقات المطالع وما يتصل بها مما سنفرد لهُ فصلاً مخصوصاً ان شآء الله

هؤلآء اشهر من يُذكَر من علمآء الهيئة في المشرق وقد كان معظمهم على عهد الدولة العباسية كغيرهم من اصحاب سائر العلوم الاسلامية فلما وهت اركان هذه الدولة مالت معها دعائم العلم حتى اندرست معالمهُ بزوالها ثم لم يأتِ بعدها من اغنى غنآءها فكانت هي حياة العلم نشأ بها ومات معها فعاد كأن لم يغنَ بالامس

اما في الغرب فمع كثرة ما كان في بلاد الاندلس من المدارس والمكاتب ومن نبغ فيها من العلمآء والمصنفين فقد ذهبت آثار ذلك كلهِ ولم يبقَ عندنا ما يُعرَف منهُ الا الشيء اليسير . فمن اشهر من يُذكر من

الاندلسيين ابرهيم بن ارزاحيل الاسرائيلي من اهل طليطلة من رجال القرن الخامس للهجرة وهو فيما ذكر بعضهم صاحب الازياج الطليطلية . ومما يؤثر عنهُ انهُ باشر عدة رصود لتحقيق نقطتي الرأس والذنب من فلك الارض وتحرير مقدار المبادرة السنوية وقد ظهر لهُ ان هذه المبادرة تكون ما بين ½ ٤٩ً و ٥٠ً في السنة وهو قريبٌ مما حققهُ المتأخرون

ومنهم جابر بن افلح الاشبيلي جآء بعد ابن ارزاحيل بزمنٍ يسير اختصر كتاب المجسطى لبطلميوس واوضح مغازيهُ واستوفى ادلتهُ وتعقبهُ في كثيرٍ من المسائل فكان كتابهُ بالتخطئة اشبه منهُ بالاختصار

وممن اشتغلوا بالهيئة من علمآء الاندلس ابو الوليد محمد بن رشد القرطبيّ الفيلسوف الشهير ولهُ اختصارٌ للمجسطى قيل وهو اول من تنبه للسفع على وجه الشمس وكتب عنها

ومنهم ابو القاسم اصبغ بن السمح وكان بارعاً في النجوم والهندسة ولهُ تآليف منها كتابٌ كبير في الهندسة وزيجٌ على مذهب الهند المعروف بالسند هند . ومنهم ابو القاسم بن الصفار وابو مسلم بن خلدون وابو الحسن مختار الرُعَيني ومحمد بن الليث وغيرهم ممن اشتهروا لوقتهم ولم يصل الينا الا اسمآؤهم

وكان لاكثر هؤلآء الاعلام قدمٌ راسخة في الهندسة والمساحة والجبر وسائر الفروع الرياضية وقد مرّ ذكر شيء من آثارهم في هذه العلوم . وكان من اشهرهم في الهندسة ابو الوفآء البوزجاني المقدم ذكرهُ قال ابن خلكان ولهُ في هذا العلم استخراجاتٌ غريبة لم يُسبق اليها وكان العلاّمة كمال الدين

ابو الفتح موسى بن يونس وهو القيّم بهذا الفن يبالغ في وصف كتبهِ ويعتمد عليها في اكثر مطالعاتهِ ويحتجّ بما يقولهُ . وممن اشتهر في الجبر والمقابلة ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو اول من صنف فيهِ من العرب على ما سبق ذكرهُ . وصنف بعدهُ ابو كامل شجاع بن اسلم كتابهُ الشامل قال في كشف الظنون وهو من احسن الكتب ومن احسن شروحهِ شرح القرشي . واول من كتب في علم الحِيَل (الميكانيك) قسطا بن لوقا البعلبكي المقدم ذكرهُ لهُ فيهِ ثلاث مقالات عرّبها عن اليونانية . وممن اشتهر في هذا الفن ابناء موسى بن شاكر المذكورون قبل وهم محمد واحمد والحسن قال ابن خلكان وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحِيَل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقلّ ولهم في الحيل كتابٌ عجيبٌ نادر يشتمل على كل غريبة . اه ولمحمد منهم مصنفٌ في المسطّحات والكرويات . وللفرغاني مؤلفٌ في علم تسطيح الكرة سماهُ الكامل وممن الف فيهِ ايضاً البيروني وتقيّ الدين وغيرهُ . ويقال ان العرب هم اول من اكتشف حركة الرقاص قالهُ ادورد برنود احد علماء المشرقيات من الانكليز من اهل القرن السابع عشر وذكر الدكتور توماس يُونغ ان ابن يونس كان يستعين بهِ في قياس الوقت . وجاء في نفح الطيب عن عباس بن فرناس انهُ اول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسمٍ ومثال . اه . والظاهر ان المراد بالمثقال هو الرقاص والله اعلم

(ستأتي البقية

اسرار العين

وردتنا المقالة الآتية من حضرة اللوذعيّ الاديب اسكندر افندي مشاقة من موظفي قلم قضايا الداخلية فاثبتناها بنصّها الشائق قال

قرأت في احدى الجرائد الفرنسوية مقالةً ذكّرتني ما قرأتهُ عن اسرار العين في الجزء الرابع والعشرين من السنة الاولى من ضيائكم الزاهر غير اني وجدت فيها من طرائف البحث ما لا يقلّ غرابةً واشكالاً عن الحوادث الطبيعية التي ذكرتموها هناك فاحببت اعرّبها واطرف بها قرآء مجلتكم الغرآء وفي يقيني انها مع ما فيها من الفكاهة لا تخلو من الفائدة بتنبيه الافكار الى مثل هذه المباحث والوقوف على ما يمكن كشفهُ من غوامض اسرارها وانا ارجو من حضرات اطبآئنا وعلمآئنا ان يعيروها جانب الاصغآء ثم ان يجودوا علينا بما يبدو لهم من تعليلها خدمةً للعلم وافادةً للجمهور

وقبل ان اشرع في سرد التعريب تأذنون لي ان استمدّ من فضل علمكم وضع كلمةٍ تعذّر عليّ وجودها في لغتنا وهي اللفظة التي نعبر بها عن الآلة المعروفة « بالكليوتين » التي يستخدمها الافرنج لقطع العنق فان هذه الآلة لم تكن معروفةً عند العرب بل لم توجد الا منذ عهدٍ قريب اي منذ اوائل القرن السادس عشر ولم تستعملها الحكومات الا منذ اواخر القرن الماضي فبالطبع لم يكن لها اسمٌ عندهم وقد تركت موضعها خالياً لتضعوا لها اللفظة التي تجدونها موافقة . وهذا تعريب المقالة اسوقهُ بالاختصار اللائق

اجتمع بعض اطبآء باريز ذات يومٍ في منزل طبيبٍ منهم دعاهم

لتناول الطعام عندهُ وكان عدد المدعوين نحو الثلاثين من نخبة اطباء تلك العاصمة وبعد ان فرغوا من الطعام وجلسوا للحديث اخذوا يتجاذبون اطراف البحث فيما يتعلق بشؤون صناعتهم فافضى بهم السياق الى ذكر ما يعرض احياناً من غرائب الحوادث التي تخفى اسبابها وتشكل وجوه تشخيصها وفي جملة ذلك تعليل ما يبقى احياناً في عيني الشخص بعد وفاتهِ من صورة انسانٍ او شبحٍ آخر وقع تحت بصرهِ حين الوفاة

فاخذ كلٌّ من هؤلاء الاطباء يذكر ما اتفق لهُ العثور عليهِ من مثل ذلك بالمعاينة او بالمطالعة فروى المسيو مونجلان جملة حوادث من هذا القبيل كان بعضها وسيلة للقضاة استدلوا بها على معرفة القاتل من مرأى صورتهِ في عيني المقتول وشرح من علة بقاء هذه الصورة في العين ان القاتل حين انقضاضهِ على المقتول يكون في هيئةٍ مخيفة اشبه بهيئة الوحش الضاري فيؤثر منظرهُ في نفس المقتول اثراً ينطبع في حدقتيهِ انطباعاً راسخاً يبقى الى ما بعد الموت • وتكلم المسيو بروسان فأيد مقالة سابقهِ واستشهد عليها بانهُ كثيراً ما رؤي في عيني من قُطع رأسهُ بالمِقصلة [1] صورة هذه الآلة المخيفة ظاهرةً في انسان العين • وتلاهُ المسيو كوباليه فذكر انهُ نظر مرةً في عيني ميتٍ من اصحاب الثروة كان على جانبٍ عظيم من البخل فرأى فيهما

---

(١) هي الكلمة التي اخترناها للآلة المذكورة اي الكليوتين من قولهم قصلهُ اذا قطعهُ قطعاً وحياً اي سريعاً وربما خص بقطع العنق كما ذكرهُ في لسان العرب عن اللحياني وهو الذي نص عليه الثعالبي في فقه اللغة • ومن غريب ما يذكر هنا ان هذه الآلة اول ما اطلق عليها لفظ « منايا » وهي كلمة طليانية لانها اول ما اخترعت في ايطاليا ولولا الالتباس لكان هذا اللفظ اليق ما تسمى به .

صورة صبرةٍ من النقود كانت بين يديهِ حين الوفاة ورأى في عيني راهب بعد موتهِ صورة صليبٍ كان يقبلهُ وينظر اليهِ حال مفارقة الروح للجسد

وعند ذلك تكلم المسيو ڤارنال الشهير فقال ان كل ما ذكرهُ رصفاؤنا في هذا الصدد هو من الامور التي لا يبعد تعليلها لحضور العامل المحسوس المؤثر اشدّ التأثير على آخر نظرةٍ من الميت مع وجودهِ اذ ذاك على غير الحالة الطبيعية اعني حالة الفزع الشديد او البغض المفرط او الحب المتناهي فلا غرو ان تنطبع في عينيهِ الصورة التي تكون حاملةً لاحد هذه المعاني وتبقى الى ما بعد الممات . ولكني سأقصّ عليكم ما هو اغرب من هذه الحوادث كلها وابعد تعليلاً وهو من الحوادث التي شاهدتها عياناً والتي يثبت منها ان مثل ذلك قد يتم بدون حضور المؤثر المحسوس فاني نظرت في حدقتي شخصٍ قد فُصل رأسهُ عن جسمهِ بالمقصلة فرأيت فيهما صورة انسانٍ لم يكن امام عينيهِ حين القتل . ثم اخذ يقص عليهم خبر ذلك الشخص فروى قصةً طويلة الخصها هنا بقدر الامكان . قال

دُعيت في شهر ستمبر من سنة ــ ١٨٩ من قبَل القضاء لافحص حالة رجل يدعى ادوار اُتهم بجنايةٍ فظيعة وهي قتل امرأةٍ كهلة من بيتٍ شريف كانت مقيمةً وحدها في منزلها تعيش من ريع املاكها . وذلك انهُ بعد حدوث القتل بمدةٍ وقع تحت ايدي رجال الضبط قطعة من حلى المرأة المقتولة كانت في يد فتاةٍ تسمى ادما لاري وكانت ادما هذه مساكنةً لادوار المذكور منذ سنتين فوقعت شبهة القتل عليهِ وقُبض عليهِ مع ادما فأقرّ ادوار بفعلتهِ دون تردُّد ونفى مشاركة ادما لهُ في الجرم . فلما سمع القاضي

منهُ هذا الاقرار ظنّ ان بهِ اختلالاً في العقل ودعاني لفحصهِ فتوجهت اليهِ ودخلت محبسهُ واذا هو فتًى في نحو الثانية والعشرين من عمرهِ ذو منظرٍ يدل على الرزانة والفطنة عصبيّ المزاج صحيح الجسم قويّ البنية لا يظهر عليهِ ادنى علامة تدلّ على الجنون وكانت عيناهُ زرقاوين لا شيء فيهما من الحدّة التي تدل على اختلال العقل سوى اني وجدتهُ مضطرب الافكار. وبعد ان فحصت حالتهُ وهو لا يمانعني في شيء ويجيبني بكل دعةٍ وتعقل اخذ يقنعني بانهُ على تمام العقل وصحة الادراك ولا يريد ان تتخذ تهمة الجنون ذريعةً لنجاتهِ من العقاب وانهُ عند ارتكاب الجريمة لم يكن على شيء من التهيج العصبي ولكنهُ قتل وسرق وهو على بصيرةٍ تامة وانما فعل ذلك لامرٍ دفعهُ الى اجترام هذا الاثم الفظيع وهو شغفهُ بحب فتاةٍ يقال لها ادما لاري وخوفهُ ان تفوتهُ اذا لم يعجل في كسب ما يمكّنهُ من احتيازها. ثم اخذ يبرهن لي على نفي الجنون عن نفسهِ بكل ما استطاع ويقنعني بان الفتاة لا علم لها بشيء مما صنع واخذ يصف من شدة تعلقهِ بادما وكلفهِ بحبها ما لا وصف فوقهُ

وقد رأيت ادما بعد ذلك فكانت شابةً تبلغ الثامنة عشرة من العمر جميلة الطلعة بيضاء اللون ذهبية الشعر تدل ملامحها على سلامة القلب ولين العريكة وحالما ابصرتها تذكرت محبها وعذرتهُ فيما رأيت من تفانيهِ في حبها

ولما كان اليوم المعين للنظر في الدعوى اقرّ ادوار امام القضاة بكل ما فعل بالتفصيل دون ان يذكر السبب الذي دفعهُ الى هذا الفعل ولما لم يبقَ وجهٌ لتبرئتهِ ولا لمعذرتهِ فيما صنع صدر الحكم قاضياً عليهِ بالقتل

قال وجعلت اتردد عليهِ مدة الشهر الذي كان بين صدور الحكم وموعد

تنفيذهِ واجتهد في تعزيتهِ فكان لا يحدثني الا بحديث محبوبتهِ ادما وذكر ايامهِ معها واسفهِ لفراقها . ولما أزف يوم الموعد رغب اليَّ اشدّ الرغبة ان افحص دماغهُ بعد موتهِ لاتيقن انهُ لم يأتِ ما اتى عن اختلال في العقل . ولما قِيد الى المِقصلة رأيتهُ يمشي وعيناهُ الى السمآء كانهُ يناجي شخصاً غائباً قد تمثلهُ في خاطرهِ وهو غير منتبهٍ الى ما حولهُ حتى اذا بلغ المقصلة التي بجسمهِ عليها وللحال سقط السلاح فانفجر الدم من بين كتفيهِ وسقط رأسهُ في الانآء المعدّ لذلك . وبعد ساعتين جآؤني بالرأس فلما اخذتهُ لافحصهُ ووقع نظري على ذلك الوجه الفاقد الاحساس شعرت بجمود دمي في عروقي لاني نظرت في بؤبؤ عينيهِ الجامدتين وكانتا مفتوحتين فرأيت صورةً ظاهرة جلية فتأملتها واذا هي صورة ادما بعينها لا ينقص شيءٌ من محاسن وجهها ولون عينيها وشعرها وان هذه المعجزة التي احسبها من معجزات الحب اثرت فيَّ تأثيراً شديداً حتى لم املك عبرتي من الانهمال . فاطبقتُ عينَي ذلك الرأس اللتين اختارتا الموت واستصحبتا رسم من احبتّا النظر اليهِ حتى لا تفقداهُ بعد الموت وانا مذ ذاك لا يمرّ بي يومٌ الا اتصور ذلك الرأس وعيناهُ متضمنتان تلك الصورة . انتهى

تدبير المنزل

(تابع لما في الجزء السابق)

ان الناظر في ذلك ينبغي ان ينظر في ثلاثة اشيآء اكتساب المال ثم حفظهِ ثم انفاقهِ . فأما اكتسابهُ فينبغي ان تُحذَر فيهِ ثلاثة اشيآء الجور

والعار والدناءة . اما الجور فمثل البخس في الوزن والتطفيف في الكيل والمغالطة في الحساب والجحود للحق والدعوى بغير حق وما اشبه ذلك مما يجتمع فيهِ مع الآثام الموبقة انهُ يزيل الاكتساب ويقطع المادّة ويدعو الى الحرمان وذلك لما ينتشر فيهِ من سوء الثناء فيصرف ذلك المعاملين عن صاحبهِ ويدعو من ابتُلي بهِ منهم ان يخبر بهِ غيرهُ حتى ينقطع عنهُ من يعاملهُ ومن لم يعاملهُ حتى انهُ لو اقلع عن ذلك لم ينتفع باقلاعهِ للامر الذي شاع لهُ وشُهر بهِ . وأما العار فمثل الشتم والصفع وما اشبه ذلك من الامور التي يحتملها بعض الناس لشيء ينالهُ ممّن يفعل ذلك بهِ . وأما الدناءة فأن يدع الرجل الصناعة التي كان آباؤهُ واهل بيتهِ يعالجونها من غير عجزٍ عنها الى صناعةٍ اخسّ منها كالرجل يكون آباؤهُ واهل بيتهِ اما قادة جيوش واما ولاة ثغور فيدع طلب ذلك وهو يقدر عليهِ ويقتصر على الغناء والزمر وما اشبه ذلك . ولسنا نقول فيمن كان آباؤهُ في صناعةٍ خسيسة فأقام عليها انهُ قد اتى دناءةً من الامر او فعل ما ينبغي ان يُذمّ عليهِ لكن نقول انهُ محمود اذ رضي بحظّهِ ولم يتعدَّ طورهُ ولو كان واجباً على كل انسان ان يطلب صناعةً فوق الصناعة التي ورّثهُ ابوهُ لوجب ان يقصد الناس كلهم الى صناعةٍ واحدة وهي اعلى الصناعات فكان ذلك يُبطل سائر الصناعات وكانت تلك الصناعة ايضاً التي يقصدون اليها تبطل لانها لا تتمّ الا بالصناعات الاخر اذ كان الجميع مقروناً بعضهُ ببعض كما بيّنا قبل . فهذا ما ينبغي ان يُنظَر فيهِ من باب الاكتساب

وأما باب الحفظ فيُحتاج فيهِ الى خمسة اشياء . اولها ان لا يكون ما

ينفق الانسان اكثر مما يكتسب فانهُ متى فعل ذلك لم يلبث المال ان يفنى ٠
والثاني ان لا يكون ما ينفق مساويًا لما يكتسب لكن يستفضل ما يكون
عُدَّةً لهُ لحادثٍ ان حدث او آفةٍ ان نزلت او ضيقةٍ ان كانت وايضاً فان
من العدل ان يكون لرأس المال حصةٌ من النفقة ٠ ويشبه حال من فعل
ذلك حال البدن الذي هو في النشء والنماء ويشبه حال من كانت نفقتهُ
مساويةً لكسبهِ حال من انتهى نشؤهُ وانقطع نموّهُ فاما حال من ينفق
اكثر مما يكتسب فانها تشبه حال الابدان الهرِمة التي لزمها النقص ودبَّ
فيها الفناء ٠ وذلك أن البدن الذي هو في النشء والنماء يغتذي باكثر مما
يتحلل منهُ والبدن الذي قد انتهى نماؤهُ يغتذي بمقدار التحلل والبدن
الذي قد صار الى الهرم قريبٌ من الموت فكذلك المال الذي يؤخذ منهُ
اكثر مما يزاد فيهِ سريع الى النفاد ٠　والثالث مما يُحتاج اليهِ في حفظ
الاموال ان لا يمدّ الرجل يدهُ الى ما يعجز عن القيام بهِ كالرجل يَشغَل مالهُ
في ضيعةٍ لا يقوى على عمارتها او في ضياع متفرّقة لا يمكنهُ مباشرتها وليس
لهُ من يعينهُ على القيام بها او يتخذ من الحيوان ما تجاوز النفقة عليهِ مقدار
ما تبقّى من مالهِ ٠ وحال من فعل ذلك تشبه حال الشَرِه الذي ياكل ما لا
يستمرئهُ فكما أن من اكل ما لا يستمرئهُ لا يغذوهُ بل ربما خرج منهُ
واخرج معهُ من بدنهِ ما يضرّ بهِ خروجهُ فكذلك من تعاطى من الاكتساب
ما يتجاوز طاقتهُ كان وشيكاً ان لا يفوتهُ الربح فقط دون ان يذهب رأس
مالهِ ٠　والرابع مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان لا يشغل الرجل مالهُ في
الشيء الذي يبطئ خروجهُ من يدهِ وانما يكون ذلك في الشيء الذي يقلّ

طلاَّبهُ لاستغنآء عوامّ الناس عنهُ كالجوهر الذي لا يحتاج اليهِ الا الملوك وكتب العلم التي لا يطلبها الا العلمآء . والخامس مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان يكون الرجل سريعاً الى بيع تجاراتهِ بطيئاً عن بيع عقاراتهِ وان قل ربحهُ في ذلك وكثر ربحهُ في هذا

وأما انفاق المال فينبغي ان يُحذَر فيهِ خمسة اشيآء وهي اللوم والتقتير والسَرَف والبذخ وسوء التدبير . فأما اللوم فهو الامساك عن الانفاق في ابواب الجميل مثل مؤاساة القرابة والافضال على الصديق وذوي الحرمة والصدقة على المحاويج بقدر ما يمكنهُ ويتسع لهُ . وأما التقتير فهو التضييق فيما لا بدّ منهُ مثل اقوات العيال ومصالحهم . وأما السرف فهو الانهاك في الشهوات واللذات . وأما البذخ فهو ان يتعدّى الرجل ما يتخذهُ اهل طبقتهِ طالباً للمباهاة . وأما سوء التدبير فهو ان لا يوزّع الرجل نفقتهُ على جميع ما يحتاج اليهِ بالسوآء حتى يصرف الى كل باب منها بقدر استحقاقهِ فانهُ اذا لم يفعل ذلك واسرف في واحدٍ ونقص من الآخر كانت اموره غير مشاكلٍ بعضها بعضاً واضطرّ ان لا يتخذ الشيء في وقت الحاجة اليهِ . فاللئيم يؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الجميل وما فيهِ من الفضيلة . والمقتر يؤتى من قبل انهُ لا يعرف الواجب وما في تركهِ من النقص . والمسرف يؤتى من قبل ايثارهِ اللذّة على صواب الرأي . فاللئيم والمقتر ممقوتان عند الله لانهما على طرف من الجور والمقتر خاصةً فانهُ أجورُهما . والمسرف مذموم ممقوت ومن مقتهُ الناس او ذمّوهُ لم يكن لهُ في مجاورتهم خيرٌ ومن لم يجاور الناس فقد صار في عداد الاموات . الاّ ان صاحب البذخ اسوأ حالاً وذلك لان اللئيم

والمقتر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حال يربحان حفظ اموالهما والمسرف وان كان مذموماً فانهُ يربح التمتع بلذّاتهِ واما صاحب البدخ فانهُ لا مال يحفظهُ ولا لذة يتمتع بها . واسوأهم جميعاً حالاً من كان سيئ التدبير وانما يؤتى من قبَل انهُ لا يعرف مقادير النفقة ولا اوقاتها . فمن عرف ابواب الجميل ورغب فيها وعرف ابواب الحقّ واوجبها على نفسهِ واقتصد في الانفاق على لذّاتهِ ولم يتعدَّ ما يفعلهُ اهل طبقتهِ وعرف ما يستحقّ كل باب من الابواب مما يحتاج اليهِ وانفق فيهِ بقدر استحقاقهِ ولم يزد في باب فيضطرّ الى تقصير في الآخر وعرف اوقات الحاجة الى كل شيء فلم يُقدِم على اتخاذ شيء قبل وقت الحاجة اليهِ فيفسد او يضيع الى ان يحتاج اليهِ ولم يؤخر شيئاً حتى يفوت وقت الحاجة اليهِ فيصير اتخاذهُ لهُ بعد ذلك باطلاً او يعزّ عليهِ فلا يجدهُ الاَّ بالغلاء فمتى لزم الانسانُ ما ينبغي من فعلٍ وتركٍ فحينئذٍ يُنسب الى الكرم والسخاء والاتساع والمؤاساة والقصد والحرّية وحسن السيرة والعيش . ومن كان كذلك فاذا كانت غلّتهُ او ربح مالهِ يقوم بنفقتهِ على مصلحة بدنهِ ومؤونة عيالهِ ويفضل لهُ عن ذلك ما يصرف بعضهُ في مؤاساة قرابتهِ واصدقائهِ واهل الحرمة بهِ وبعضاً على فقرائهِ ومساكينهِ ويدخر بعضاً ليستظهر بهِ على دهرهِ ونوائبهِ فينبغي لهُ ان لا يطلب اكثر من ذلك فان الطلب لاكثر منهُ شرَه وهذا هو الحدّ الذي لا ينبغي للحرّ ان يتعدّاهُ فان تعدّاهُ نُسب الى الشره . فهذه حال المال والتدبير في اكتسابهِ وحفظهِ وانفاقهِ

(ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

(تابع لما في الجزء السابق)

اما البهيمة فليس لها علم ولا صناعة الا ما دفعها اليهِ الطبع من اول امرها ولا تزيد عليهِ بتقدم او نجاح لانها تولد عارفة بكل ما تحتاج اليهِ وقادرة عليهِ فلا تحتاج الى مربٍ ولا معلم فانها تسعى حالاً في طلب الرزق ولا تخطئ لحكمةٍ فُطرت عليها فلا تزيد عليها مهما طال الزمان . ولا ريب ان هذا العجز ناشئٌ عن عدم اقتدارها على التقليد العقلي او التمثيل لانها لا تدرك من المحسوسات الا ما اثر فيها اي لا تدرك من المرئيات الا ما اثر في بصرها ومن المسموعات الا ما اثر في سمعها فلا تدرك منها سرًّا خفيًا ولا معنًى كليًا فان الانواع الداجنة قريبة الى الانسان تسمع كلامهُ وترى اعمالهُ من قبل زمن التاريخ ولم تتعلم منهُ شيئًا واذا حاول ان يعلمها غلبتهُ غريزتها ولم يؤثر فيها علم ولا تربية لانها ليست اهلاً لذلك وان اثر فيها فانما يؤثر في افعالها بالشدة عليها من خارج لا بالطبع من داخل ويصلحها كما يصلح اغصان الشجر وحينئذٍ فيكون الفضل لهُ لا لها ولذلك اذا تركها عادت الى اصلها ورجعت الى طبعها كما ترجع القوس الى حالها اذا ارتخى الوتر الذي يشدها وهو دليل ظاهر على ان المبدأ الفاعل فيها خارج عنها

والنتيجة ان الافعال التي تأتيها البهيمة عن معرفة جزئية محسوسة كما تقدم لا تفعلها عن تعقل وروية اذ لا تدرك نتيجتها اي لا تدرك الملاقة اللازمة بين فعلها وما يأتي عنهُ لان ذلك امرٌ معنويٌ لا تأثير لهُ في الحواس

وليس لها قوةٌ تدرك بها غيرها ولذلك تؤثر فيها الظواهر لا الحقائق والحكمة التي تبدو فيها ليست منها ولا تنسب اليها بل الى من وضعها فيها فالبهيمة اذاً محصورة في دائرة جزئية لا تخرج منها ابداً

واما الافعال الادبية فلا ريب ان الدين والآداب امران متلازمان في الانسان لا يفترقان لان من اول وجدانياتهِ عرفانهُ نفسهُ بكونهِ موجوداً فاول ما ينتقل اليهِ ذهنهُ ان لهُ خالقاً ابدعهُ واذ كان يدرك العالم المنظور بحواسهِ فلا يتردد في ادراك وجود علةٍ لهُ ويستدل بعقلهِ على صفاتهِ اللازمة من القدرة والحكمة والكمال بالذات والافعال والصلاح والعدل وما شاكل ويدرك من ثم انهُ رسمٌ ضعيف من حقيقة وجودهِ او شرارة من نور كمالهِ وانهُ يجب عليهِ ان يتقرب اليهِ بعمل الخير والسعي فيهِ وان لا بد من المسألة والحساب وعقاب من يستوجب العقاب والجزاء بالخير لمن يقصد الخير وغير ذلك من المبادئ الدينية الكلية . ولا ينكر ان هذه المبادئ ليست واحدةً في وضوحها لدى كل انسان الا انها لا يخلو الانسان منها بالاطلاق مهما كان جاهلاً منحطاً فعلى هذه المبادئ الراسخة في نفسهِ الواضحة لعقلهِ نشأت آدابهُ الظاهرة وشرائعهُ الاجتماعية التي هي عبارة عن حقوقهِ وواجباتهِ وبناءً على ذلك يكون الانسان ديّناً باطناً وان كفر ظاهراً واديباً طبعاً وان فسد عملاً

اما البهيمة فاذ ليس لها قوةٌ مفكرة فلا تقصد في اعمالها غايةً ولا تفقه معنى امر ولا نهي وليست حرة في اعمالها لتتصرف فيها فالشريعة كلها لها لا عليها فهي لا تطلب حقاً ولا تقوم بواجب ادبي اي لا شريعة عندها الا

الغريزة التي رُكِّبت فيها وفُطرت عليها فان المحبة الوالدية والغريزة الاجتماعية والمحبة الجنسية لا تخرج فيها عن كونها غريزة يدفع اليها الطبع كالالفة الكيماوية لا تأتيها عن قصد وتعقل اذ ليس عندها مبادئ كلية ادبية تقيس عليها ولا لها قوة عقلية تتصرف فيها لترعى واجباً او ذمةً فهل يُظَنّ ان الفرس يقصد التأديب اذا رفس وان الوحش يقوم بالواجب عليهِ اذا افترس وان اناث النحل تجاهد في سبيل الله اذا قتلت ذكورها او تقصد الصيانة والتعفف . هذا ولا ينكر ان الانسان كثيراً ما يزيد في اعمالهِ فساداً على اعمال الحيوان ومع ذلك لا يزال لهُ ضمير يحكم على فسادهِ فهو ابداً يأمر بالخير ويدمر بفعلهِ وينهى عن القبيح ويندم على عملهِ كما انهُ اذا اخطأ عرف خطأهُ وغلطهُ وعاد الى صوابهِ حكماً او عملاً

والنتيجة ان المبدأ العاقل في الانسان يختلف كل الاختلاف عن المبدأ الحساس بدليل الوجدان وادراك الكليات الاولية وفعل التجريد والحرية مما لا حظ فيهِ للبهيمة مطلقاً ولا دليل ظاهر على تعقلها في لغتها لا لفظاً ولا معنى ولا في اعمالها بتقدم او نجاح ولا بعلم ولا صناعة ولا شريعة ولا آداب اذ لم تخرج عن حد الطبع الذي رُكِّب فيها بقوة اقوى من الحديد فلا يقدر ان يخرجها الانسان عنهُ بعقلهِ ولا يؤثر فيها ادب المؤدب ولا تعليم المعلم مع ان الانسان لم يزل يعتني بتربيتها من قديم الزمان فالببغاء لم يتعلم منهُ معنى الكلام ولا تعلم منهُ الكلب الصيد ولا الثور فن الزراعة ولن يزال الحمار حماراً بطبعهِ صابراً على ذلهِ والاسد وحشاً ضارياً لا يتمدن ولا يأنس الى ما شاء الله

مطارحات

وردتنا عدة منظومات اجابةً للاقتراح الذي نشرناهُ في الجزء السادس من مجلد هذه السنة (صفحة ١٨٧) فاخترنا منها الموشح الآتي لحضرة الفاضل الالمعيّ الشاعر الناثر احمد افندي ابي علي الازهري امين المكتبة البلدية بالاسكندرية　قال حفظهُ الله

يا أيها الناس انظروا واعجبوا　مما ترينا قدرة الصانعِ
هذا وداع الشمس اذ تغربُ　وذا لقآء القمر الطالعِ

****

قد همَّ ان يرقى مليك النهارْ　سريرَهُ العاليَ للاضطجاعْ
فخفَّ عن مركبهِ بالوقارْ　متئداً يهدي سلام الوداعْ
حتى اذا وارتهُ خلف الستارْ　اغشيةُ الغيم بكل اتضاعْ
تبينت اطرافها تلعبُ　من فوق هذا المضجع الساطعِ
هدَّابها منتشرٌ مُذهبُ　إهابها كالحجر الناصعِ

****

تزهو فتهدي للفضا باللهبْ　أشعَّةً في صبغة الأرجوانْ
تُشبهُ مصباحاً بدا من ذهبْ　معلَّقاً بين الفضا والعَنانْ
في قبةٍ من لازَوردٍ عجبْ　بها استقلَّ القمر الاضحيانْ
فوق شفا منظورهِ يدأبُ　كأنَّ خطَّ الأُفُق الشاسعِ
حبلٌ وقد أمسكهُ يجذبُ　مرتجحاً في ملعبٍ واسعِ

****

وبثَّ اشعاعاتِهِ الواهيَه　　توسدت مرج الرُّبى باعتلالْ
والليل أرخى السُّتُرَ الداجيَه　　على سفوح الشُمِّ شُمِّ الجبالْ
ومدَّ في جوانب الاوديَه　　ما مدَّ من تلك الستور الطوالْ
أودَعَ ذاكَ المنظر المعجبُ　　في خلَد الطبيعة الخاشعِ
ما هزَّها فاتجهت تُعرِبُ　　عن حمدنا للعالِمِ السامعِ

***

يرفعها لسانها النَّيِّرُ　　لخالق الليل وربِّ النهارْ
بذلك الشعرِ الذي يندرُ　　وذلك الوصف وذا الإفتكارْ
بكرٌ ولكن ليس يُستكثَرُ　　على «لمرتينِ» ابي الإبتكارْ
يا شعرآء العصر لا تغضبوا　　هل فيكمو من شاعرٍ بارعِ
يعاف ما مرَّ ويستعذبُ　　ورودَ هذا المشرع النابعِ

اسئلة واجوبتها

كفر ابي نجاح – ارجو اجابتي في ضيائكم المنير على السؤالين الآتيين

(١) ما هو تعريف الانتقاد في اللغة وفي اصطلاح الكتَّاب وما هي الشروط التي يجب مراعاتها فيهِ

(٢) ما هو تعريف القصة في اللغة وفي اصطلاح اهل الفنّ وما هي قواعد تأليفها

احمد الصراف
ملاحظ البوليس بكفر ابي نجاح

الجواب ـ اما الانتقاد فمأخوذ من انتقاد الدراهم لتمييز جيدها من رديئها ويراد بهِ في العُرف فحص شيءٍ من المصنوعات اللسانية او اليدوية لادراك حسناتهِ وعيوبهِ . ولم نجد في العرب من تكلم على هذا الفن ولا من افردهُ في كتاب انما جلّ وظيفة الناقد على ما رأينا من صنيع اكثرهم ان يسوّئ على من ينتقد كلامهُ ما استطاع ويزيّف كل حسنةٍ لهُ حتى تنقلب سيئةً وذلك كما فعل الخفاجي فيما سماهُ شرحاً لدرّة الغوّاص او ان يكون على عكس ذلك فيحتال في تخريج كل وهم يسقط عليهِ في كلامهِ وتسديد كل هفوةٍ تبدر منهُ كما فعلهُ اكثر شرّاح الكتب العلمية من اقامة انفسهم مقام الخُدّام للمتن فيأخذون في التوجيه والتأويل وتمحل الاصابة فيما هو ظاهر الغلط . ولا يخفى ان كلاً من هذين الطرفين من دواعي التضليل وستر وجوه الحقائق تحت براقع التمويه وفيهِ من الاضرار بالمستفيد وافساد قواعد العلم والذوق ما لا يخفى على الاريب

اذا تقرّر ذلك فمن البديهي ان اوّل شروط المنتقد ان يكون خبيرًا فيما ينتقدهُ بصيراً بحسناتهِ وعيوبهِ لئلا يرسل الكلام عن مجازفةٍ وخبط ويخلط بين الحسنات والسيئات متمكناً من اقامة البرهان على ما يحكم بهِ او عرضهِ على قياس العقل والذوق الصحيح كما فعل ابن خلدون في انتقاد بعض اقوال المؤرخين وكما فعل الآمديّ في الموازنة بين ابي تمام والبحتري وصاحب المثل السائر في المفاضلة بين كلّ من هذين وأبي الطيب المتنبي والاّ رُدّ انتقادهُ عليهِ وعُدّ جاهلاً او متحاملاً

والشرط الثاني ان يكون بعد علمهِ بحقيقة ما ينتقدهُ منصفاً فيما يقولهُ

لا يغمط احساناً ولا يموّه اساءةً فلا يدعي للمنتقَد عليهِ اكثر مما لهُ ولا يبخس المحسن اشيآءهُ فان ذلك من اعظم مفاسد العلم بما يبعث عليهِ من الاستخفاف بالعلميات واهمال التحرّي والتحرّز او من الانقباض عن العمل والاستسلام للقعود والقنوط وبما يؤدي اليهِ من خلط الحقائق على من لا أداة عندهُ للحكم فيضيع الحق ورآء حجب الهوى وشُبَه الاغراض

والشرط الثالث ان يتجافى المنتقد عن الغلوّ في المدح والاطرآء عند ايراد الحسنة او القدح والازرآء عند ايراد السيئة فان ذلك يؤدّي الى الريب في شهادتهِ ويبعث على اتهامهِ بشبهة التشيع او التحامل فيُنبَذ كلامهُ وتسقط الفائدة المقصودة من نقدهِ

والرابع ان لا يخلط بين ما يرى من صنيع الشخص الذي جعلهُ محلاً لانتقادهِ وما يعلم او يظن من حالهِ في خاصة نفسهِ فان وظيفتهُ في تلك الحال ان ينتقد الكلام من حيث هو كلام لا من حيث ان قائلهُ فلان فكم من الناس من تظنهم عند الذكر والسمعة شيئاً وتراهم عند ما تبلو اقوالهم وعقولهم شيئاً آخر

والخامس ان لا ينظر الى ما بينهُ وبين من ينتقد كلامهُ من السوابق الشخصية من مودّةٍ او موجدة لان انفعال النفس بالشخص يحول دون ادراك البصيرة واصابة حكمها بحيث يصير الانتقاد تعصباً او تعنتاً وهو احد عيوب النقد عندنا بل أعظمها وأشيعها واكثرها إضراراً بالعلم والآداب حتى ترى المنتقد بينا يتكلم في العبارة مثلاً اذ يخرج الى ذكر العيوب الشخصية مما لا دخل لهُ في تلك الحال فيعود الانتقاد ضرباً من الشتم والانتقاص

وتضيع الحقيقة المقصودة من هذا الفن الجليل والله أعلم

وأما القصة فهي مأخوذة من قصّ الخبر والحديث اذا ساقهُ وأوردهُ بحسب وقوعهِ وأصلهُ من قصّ الاثر واقتصّهُ اذا تتبعهُ شيئاً بعد شيء. فالقصة في الاصل بمعنى الخبر ثم نُقلت الى القصة التي تُكتب . هذا محصَّل ما في كتب اللغة ولا يخفى ان المعنى الاخير هو المراد من القصة في الاصطلاح وتعرَّف بأنها سياقة حوادث متصلة ترجع الى شخص او اشخاص يدور ما فيها من الحديث عليهم. وأما قواعد تأليفها فيتصوّر اوّلاً موضع النكتة منها وهو الحادث الذي تساق وقائعها اليهِ ثم يُنظَر في ترتيب تلك الوقائع فيوطَّأ لها بذكر الاشخاص الذين تمّت على ايديهم وتعريف صفاتهم وأخلاقهم ثم يُشرَع في ايراد الوقائع بحسب ترتيبها الطبيعي في التقديم والتأخير الا عند غرضٍ كارادة تزيين بعض الحوادث او قصد تمكينها في الذهن فيقدَّم ما حقهُ التأخير ويُجرَى في الحديث من المسبَّب الى السبب ومن النتائج الى المقدمات. وهذه طريقة اكثر مؤلفي الافرنج فانهم كثيراً ما يبدأون القصة من أثناء حوادثها وربما بدأوها من آخرها ثم ساقوها حتى يأتوا على اوّلها الا انهم ربما افرطوا في ذلك حتى يخرج عن حدّ القبول وهذا انما يحسن في حشو القصة وفي جزئيات الحوادث لا في مجمل القصة والا استوحشت منها النفس وتعب السامع في ردّ كل واقعٍ منها الى موقعهِ حتى تحصل لهُ صورتها الطبيعية

وأما سائر احكامها فلا سبيل الى استيفائها في هذا الموضع لاختلاف ضروب القصص وتباين اغراضها ومناحيها لكن نقول بالاجمال انهُ لا بد

ان يراعَى فيها ما يراعى في سائر ضروب الانشآء من الجري على اصول البلاغة التي هي مراعاة حال المطالع في صوغ العبارة واختيار طبقة الكلام. ومما يُستحَبّ فيها ان لا تكون مفرطة الطول ولا وقائعها كثير التسلسل والاشتباك ولا تتعدد فيها الاشخاص الى ما يفوت حفظ المطالع او يجهد ذاكرتهُ وأن لا يُذكر فيها شخصٌ او حادث الا ولهُ تعلقٌ بشيء من مقدماتها او نتائجها تفادياً من تشويش ذهن المطالع على غير فائدة . ولا بدَّ فيها من ذكر حادثةٍ يتشوَّق المطالع الى الوقوف على مصيرها من تعرُّض بعض اشخاصها لامرٍ مخوف او مجاذبتهِ لأُمنيَّةٍ خطيرة مما يستوقف النفس بين الخوف والرجآء الى ان تسفر خواتمها عما تنتهي اليهِ

ومن المحسِّنات فيها ان ينتقل الكاتب من حديثٍ الى حديث فلا يتبع سياقًا واحداً اتقآء لملل المطالع وان كان السياق طويلاً في نفسهِ حَسُنَ ان يتخللهُ بشيء يصرف الفكر الى غير جهتهِ لكن بشرط ان لا يكون الحديث المعترَض بهِ طويلاً لان النفس تنتقل اليهِ وهي مشغولةٌ بالحديث السابق فاذا طال كثيراً أبطأ عليها الرجوع الى استتمام ما كانت فيهِ فضاع بذلك رونق السياق وأثر في نفس المطالع اشمئزازاً ونفوراً

وهناك جهاتٌ اخرى يتفطن لها الابيب اضربنا عن استيفائها لضيق المقام وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ لذي الذوق السليم

غزة ـ بينما كنت اقلب كتاب شعرآء النصرانية الذي جمعهُ الاب لويس شيخو وجدتهُ يروي (ص ٤٤٢) لعديّ بن زيد هذين البيتين

ايهـا الركب المخبو   نَ على الارض المجدّونا
كما انتم كذا كنـا   كما نحنُ تكونونا

وهما مختلفا الوزن كما ترونهما لكن حضرة الاب يقول هناك انهما من بحر الرَمَل ومع أن الاول قريبٌ من الرمل فالثاني لا يمكن ان يكون منهُ لان اجزاءهُ تنحلّ الى مفاعيلن والرمل يتألف من فاعلاتن . ثم ان البيت الاول مع مشابهتهِ للرمل لا ينطبق على شيء من الصور المستعملة فيـهِ لانا اذا قطّعناهُ جاء هكذا

أيُهَرْرَكْ . بلْمُخبِنُو   نَعَلَلاَرْ . ضلْمُجِدْدُونَا
فاعلاتن . فاعلاتن   فعلاتن . فاعلاتتن

وهذا الضرب غير مسموع في هذا البحر فكان الصواب ان يُروى المجدّون بسكون النون حتى يجيءَ على فاعلاتان لكن يبقى الاشكال في توافق البيتين على وزنٍ واحد فما الصواب في ذلك   مشترك

الجواب ـ البيتان من الهزَج لا من الرَمَل ووزنهما مفـاعيلن اربع مرات الا ان البيت الاول مخزوم والخزم زيادةٌ في اول الشطر خارجة عن الوزن وهو واقعٌ هنا بحرفين وهما الهمزة والياء المدغمة من « ايُّهـا » فاذا اسقطت اعتبارهما من البيت استقام وزنهُ وهذه صورة تقطيعه

(أيْ) يُهرْرَكْبُلْ . مُخبِنُونَ   عَلَلاَرْضِلْ . مُجِدْدُونا
ـ   مفـاعيلن . مفاعيلُ   مفاعيلن . مفـاعيلن

فكاهات

رواية

المدل [1]

روي انهُ كان في بلاد الانكليز في اواخر القرن الماضي رجلٌ من النبلاء يقال لهُ السير يوسف براندون وكان واسع الثروة كثير العقار معروفاً بالنبل والفضل والاحسان فعاش عمراً طويلاً انفق جلهُ في اعمال الخير وتوفي عن ولدين يقال لهما يوسف ووليم فاوصى للاول بكل مالهِ وترك للثاني مبلغاً لا يزيد عن خمسة آلاف ليرة فان الشريعة الانكليزية كانت تقضي بانتقال معظم الارث من الاب الى اكبر اولادهِ الذي يُعتبر عندهم ممثل كرامة الاسرة وحافظ شهرتها ومجدها وكانوا يوصون لبقية الاولاد بمبالغ طفيفة تساعدهم مع ما احرزوهُ من العلم على نيل اسباب المعيشة المعتدلة

وبعد ان توفي الوالد لبث يوسف اكبر الولدين مقيماً في بلدتهِ واتخذ على نفسهِ تدبير العقارات والمقتنيات الكثيرة التي خلفها لهُ والدهُ وكان قد تزوج في صبائهِ بفتاة كريمة الاصل بديعة الجمال بالغة حد التهذيب واللطف والرقة فرُزق منها ابنة ثم توفيت على اثر النفاس نخلفت لهُ حزناً عظيماً فلبث بعدها منقطعاً بنفسهِ معتزلاً معاشرة الناس الا في وقت الضرورة

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشلاني

وصرف همهُ الى العناية بابنتهِ وسماها لوسيا باسم امها فكانت سلوتهُ الوحيدة

اما وليم فأخذ ما اصابهُ من ثروة والدهِ وسافر الى قريةٍ بعيدة وكان قد درس علم الحقوق حتى برع فيهِ فشرع يتعاطى صناعة المحاماة وقد صمم ان لا يفتر عن السعي والاقدام حتى يفوز بمقامٍ عالٍ لانهُ كان مولعاً بالعظمة والسؤدد فمرّت بهِ بضع سنين وهو يجدّ ويكدّ ويقارع الايام وينازل الحوادث فلم يرفعهُ اجتهادهُ في سلم الارتقاء الا درجاتٍ قليلة

وفي ذات يوم دُعي وليم الى مأدبة في منزل احد وجهاء البلدة التي اتخذها مقاماً فابصر هناك ابنةً لرب البيت اسمها جوليا وكانت على جانب عظيم من الجمال واللطف والرقة فمال قلبهُ اليها ولم يكن يعرف الحب قبلاً فما عتم ان صار ذلك الميل شغلاً شاغلاً واشتد الوجد في فؤادهِ حتى أنساهُ الغاية التي كان يسعى وراءها. واخيراً عزم ان يقترن بالفتاة ويذهب بها الى قرية معتزلة فيسكنان فيها منقطعين عن الناس واقفين حياتهما للحبّ الخالص

ولما قرر وليم عزمهُ على الزواج طلب الفتاة من ابيها فأجابهُ وكانت جوليا قد اصابها من حبهِ ما اصابهُ من حبها فاقترن بها وفرَّغ فؤادهُ من كل عاطفة الاّ الحبّ فعاش مع عروسهِ سنةً كانت اسعد من ايام حياتهِ ورُزق منها غلاماً

الاّ ان عواطف حبّ الجاه والرفعة لم تخمد في صدر وليم بل كانت كامنةً بازاء عاطفة الحبّ لغلبتها عليها فلم يمضِ عليهِ ثمانية عشر شهراً من زواجهِ حتى عادت اليهِ آمالهُ القديمة بقوة عظيمة ولا سيما لانهُ كان يودّ ان يترك لولدهِ اسماً عظيماً وإرثاً كبيراً فعاد الى حالتهِ الاولى من

السعي والدأب واعداً نفسهُ بالفوز ونيل الاماني

واتفق ذات يوم ان وليم كان جالساً امام نافذة غرفتهِ فرأى كوكبةً من الفرسان مارّةً على الطريق امام منزلهِ وهم يتحادثون ويضحكون وفيما هم كذلك اذا بجواد احدهم قد كبا فسقط براكبهِ على الارض وللحال ترجل الباقون عن جيادهم واسرعوا الى الساقط لينهضوهُ وكانوا ينادونهُ « يا سيدي اللُرد » فوجدوا ان عظم ركبتهِ قد انكسر فلم يستطع ان يتحرك لشدة آلامهِ . فلما سمع وليم لفظة لُرد اسرع فنزل الى الطريق ولما رأى اللرد على تلك الحال عرض عليهِ ان يحملهُ الى منزلهِ واذ لم يكن في تلك القرية الصغيرة مأوًى يليق برجل نبيل كاللرد لم يسعهُ الا الاجابة فنقلهُ وليم الى غرفتهِ والقاهُ على سريرهِ واستدعى في الحال احد مشاهير الجراحين من بلدةٍ مجاورة فجآء وفحص الكسر فظهر لهُ ان الامر خطير وشرع للحال في معالجة اللرد وقضى عليهِ بالبقآء في المنزل ثلاثة اشهر ومنعهُ من الحركة واكّد لهُ ان الانتقال من هناك يزيد الحال خطراً وربما يفضي الى قطع الساق

وكان هذا اللرد من اعاظم نبلآء الانكليز المقرَّبين من ملكهم وكان اسمهُ اللرد ڤرغراف ولم تكن سنهُ في وقت الحادثة تزيد على الثلاثين فلبث في بيت وليم وسرّ مما لقي من الحفاوة والاكرام . وكانت زوجة وليم تدخل اليهِ حين يذهب رجلها لقضآء اشغالهِ فتسليهِ باحاديثها وتقرأ لهُ بعض الاخبار المضحكة لكي تهوّن عليهِ صعوبة الأسر في فراشهِ

اما اللُرد فآنس في تلك السيدة رقةً ولطفاً وادباً وجمالاً فمال قلبهُ اليها واحبها كثيراً ولما اوشكت الثلاثة الاشهر ان تنقضي اغتمّ جدًّا وودّ لو يبقى

زمناً اطول في منزل وليم لكي يتمتع بمغازلة جوليا وحدثته نفسهُ اذ يستميلها اليهِ لكنهُ وجد من عفافها وطهارة نفسها ما حال دون مرامهِ وان كانت المرأة لم تنجُ من وهدة الغرام التي أُلقي فيها

وفي اثناء هذه المدة كاشف وليم اللرد بما في نفسهِ من حب الشهرة والابهة وسألهُ المساعدة في ادخالهِ في سلك القضاة فوعدهُ اللرد بالاجابة وشرع وليم يبني قصوراً شاهقة من الآمال المقبلة

ولما تمّ شفاء اللرد أراد الخروج من منزل مضيفهِ وكانت ظواهرهُ تدل على حبهِ الشديد لربة المنزل ولم يخفَ ذلك عن عين وليم النقادة فاغتاظ جدًا وأحرقتهُ نار الغيرة ولكنهُ كظم الغيظ وشيّع اللرد الى العربة متلطفاً معهُ في الكلام ومذكراً اياهُ بوعدهِ

وبعد ذهاب اللرد بأيام كان وليم نائماً في فراشهِ بجانب زوجتهِ وبينهما ولدهما ادورد فسمع زوجتهُ تتمتم فانتبه وأصغى الى ما كانت تقول في نومها فسمعها تذكر اسم اللرد فرغراف وللحال ثار غيظهُ حتى أصابهُ نوعٌ من الجنون وظن انها قد خانتهُ فلم يستطع صبراً وخطر لهُ ان يقتلها على فراشها ولكنهُ عدل عن ذلك ونهض لساعتهِ فلبس ثيابهُ وأخذ كتبهُ وأوراقهُ ونقودهُ وحمل طفلهُ وخرج من البيت فاكترى عربة وسافر الى بلدةٍ اخرى

وفي الصباح نهضت جوليا من نومها مرعوبة لانها لم تجد زوجها ولا ولدها وانما وجدت رقعة على مخدتها فقرأت فيها ما يأتي

« لقد اطلعتُ على خيانتكِ ونمّت شفتاكِ بسركِ الاثيم فسأنتقم

منكِ بأن آخذ ولدكِ وأخفيهُ عنكِ وسأجعل حياتكِ حملاً عليكِ لانكِ لن تري فلذة كبدكِ بعدالآن واياكِ ان تحاولي اتباعي فاني ان أقبلكِ في بيتي وكني ان أقول لكِ انكِ خائنة وهذا عقابي لك وليم »

ولا نستطيع وصف ما خامر فؤاد جوليا بعد قرآءة هذه الرسالة فانها علمت انها ذهبت ضحية شكوك زوجها ولما وجدت نفسها وحيدةً شعرت ان ناراً تحرق احشآءها وحنت ضلوعها الى طفلها فذهبت تبحث عنهُ فلم تقف لهُ على أثر وبلغ منها الغيظ لاتهام زوجها لها بالخيانة فجالت من مكانٍ الى آخر ومن قرية الى اخرى حتى علمت اخيراً ان زوجها ساكن في بلدةٍ قريبةٍ وانهُ استقدم مربية للاعتنآء بولدهِ . واذ كانت موقنة ان زوجها لا يسمح لها بدخول بيتهِ ولا يريها وجه طفلها عزمت على ان تسرقهُ فاستدعت اثنين من اللصوص ودفعت اليهما مبلغاً من المال فدخلا ليلاً بيت وليم وسرقا الطفل وسلّماهُ الى والدتهِ فهربت بهِ الى بلادٍ بعيدةٍ . واذ لم يكن معها من النقود الاَّ مبلغ يسير اكترت غرفة في نزلٍ حقير كان يأوي اليهِ جماعة من السكيرين واللصوص وعاشت هنالك مع ولدها عيشة محفوفة بالمكاره والمخاطر

. . . .

مرَّت على هذه الحادثة عشرون سنة وأصبح وليم رئيس قضاة بلادهِ ولم يبقَ امامهُ الا درجةٌ واحدة لبلوغ قمة المعالي فوعدهُ اللرد قرغراف ان يسعى لهُ لدى الملك في ان يعيّنهُ مستشار المملكة القضائي . وراق الزمان لوليم وصار عشير الامرآء والنبلآء ولم يكن يكدر عيشهُ الا فقد ابنهِ الذي

لم ينقطع في كل مدة هذه السنين عن التفتيش عنهُ في كل مكان وكانت رجال الشحنة تجوب البلاد وتسأل عن الطفل وأمهِ فلم تهتدِ اليهما

وحدث بعد ذلك الحين ان اللرد ڤرغراف أبصر لوسيا ابنة اخي وليم وكانت قد نشأت فتاةً لم يكن لجمالها ثانٍ في كل تلك البلاد فهام بها وجدًا ولما علم انها ابنة اخي وليم طلب منهُ ان يسعى في زفها اليهِ واشترط عليهِ انهُ لا يسلّم اليهِ الامر الملكي بتعيينهِ مستشاراً قضائياً للملك الا بعد ان يصبح زوجاً للوسيا . فشرع وليم يسعى في اقناع أخيهِ بهذا الزواج حتى أجابهُ اليهِ لكن لوسيا أبت الاذعان لان قلبها كان قد تعلق بحب شاب اسمهُ ادورد وكان مجهول النسب الا انهُ كان حسن الخلقة قويّ البنية كريم النفس شجاعاً حاذقاً وكان ابو لوسيا قد رآهُ مرّتين فسُرَّ منهُ ومال قلبهُ اليهِ فلم يلُم ابنتهُ على هيامها بذلك الفتى الغريب . اما وليم فأبغض الشاب وهو لم يرهُ بعد بغضاً عظيماً لانهُ كان عقبةً في سبيل أمانيهِ فأخذ يهتمّ في ازالة هذا المانع وكان يعد اللرد خيراً ويؤجل المواعيد من وقتٍ الى آخر ريثما تتمّ تدابيرهُ

وكانت قد نشأت في مدينة لندن في ذلك الزمان عصابةٌ من قطاع الطرق فكانوا يسلبون المارة وينهبون المسافرين حتى انهم سلبوا اللرد ڤرغراف كل جواهرهِ وذخائرهِ الثمينة المتصلة بهِ من أسلافهِ وذلك عند ما كان راجعاً من مصيفهِ الى قصرهِ في العاصمة . وكان لهذه العصابة زعيمٌ يُعرف باسم بولس وكانت الحكومة قد بثت العيون والارصاد في كل مكان للقبض عليهِ وعلى أصحابهِ فلم تفلح

واتفق يوماً ان هؤلآء القطاع سطوا على عربة البريد فسلبوا منها مبلغاً وافراً من القراطيس المالية وفيما هم عائدون اذا بجماعةٍ من الجنود قد أحاطت بهم فوقعت بين الفريقين مناوشة عنيفة انجلت اخيراً عن أسر زعيمهم بولس فيما كان يسعى في خلاص احد رفاقهِ

فسار الجند بالزعيم الى العاصمة وأودعوهُ السجن ولما كملت اوراق التحقيق دُعي للمحاكمة فثبتت جرائمهُ الكثيرة وأنهُ قتل في سطواتهِ بعض المسافرين فحكم الاعضآء عليهِ بالاعدام ووقف رئيس القضآء الذي هو وليم وهو مرتدٍ الالبسة الرسمية كما هي العادة ليقرأ صورة الحكم واذا بضجةٍ على الباب ورجلٍ يحاول الدخول والخفرآء يمنعونهُ فوقع نظر وليم عليهِ وللحال عرف انهُ احد الرجال الذين أرسلهم للبحث عن ولدهِ فأمرهم بادخالهِ فدخل وسلم وناولهُ رقعةً مكتوباً فيها «احذر مما انت فاعل يامولاي فان بولس الذي تحاكمهُ الآن هو ابنك ادورد»

وما كاد وليم يتمّ قرآءة هذه الكلمات حتى ظهرت عليهِ علامات الاضطراب وصبغ الاصفرار وجههُ وقد وجد نفسهُ بين عاملين شديدين اما الحكم على ولدهِ واما نقض شريعة البلاد . فارتجف وتململ وحاول الكلام مراراً فلم يستطع ورأى الاعضآء والحضور اضطرابهُ فأخذهم العجب من أمرهِ ولم يدروا ما عرض لهُ . وبعد ان استمرّ على ذلك بضع دقائق وهو يحارب نفسهُ فضّل حياة الشريعة على حياة ولدهِ ففتح شفتيهِ وقرأ هكذا

« قد ثبتت يا بولس ذنوبك وظهرت حقيقة جرائمك ظهور الشمس ولم نجد لك عذراً ولا مجالاً للعفو فحكمت عليك المحكمة بالاعدام وفي

صباح غدٍ تُساق الى المشنقة فليرحمك الله »

ثم سقط وليم على كرسيهِ لان رجليهِ عجزتا عن حملهِ . وللحال فُضَّت الجلسة وخرج وليم الى غرفةٍ اخرى ليبدّل ثيابهُ فوردتهُ رسالة برقية من اللرد فرغراف يقول فيها انهُ مع عدد وافر من النبلاءِ ينتظرون قدومهُ ليبشّروهُ ويهنئوهُ بصدور الارادة الملكية بتعيينهِ مستشاراً قضائياً للملك . فركب عربةً مقفلةً وسار نحو بيت اللرد وكان اللرد جالساً امام النافذة ينتظر مجيء وليم واذا بالعربة قد وقفت امام الباب فنزل مسرعاً لاستقبال صديقهِ فلم يخرج احدٌ منها فتقدم وفتح الباب واذا بوليم ملقى ميتاً وفي يدهِ ورقةٌ مجعدةٌ قد أطبق كفهُ عليها فأخذها وقرأها واذا هي ورقة الشرطي القائلة ان بولس هو ابن وليم المفقود

فلما وقف اللرد فرغراف على هذا السرّ ورأى ما كان من عمل وليم هزّتهُ الاريحية وكرم العنصر فأراد ان يكافئهُ في مماتهِ بما لم يستطع ان ينيلهُ اياهُ في حياتهِ فأسرع للحال الى حضرة الملك واستمدّ العفو عن بولس الذي هو ادورد بن وليم واتخذهُ بمنزلة ابن لهُ ثم لما تحقق حبّ كلٍّ من ادورد ولوسيا للآخر تنازل عن طلب لوسيا لنفسهِ واحتفل بزفافها الى ادورد وعاش ادورد بعد ذلك في ثروة أبيه محفوفاً برعاية اللرد وارشادهِ ولم يبطئ حتى محا عن نفسهِ وسم ما اشتهر به من السيئات وسلك في طريقة أُسرتهِ الى آخر ايامه

بدآءة القرن العشرين

استطار الجدال في هذه الايام بين خاصة الناس وعامتهم في تعيين بدآءة القرن العشرين هل تكون من اول سنة ١٩٠٠ الحالية او سنة ١٩٠١ الآتية . وقد خاضت في هذا البحث جرائد اوربا ومجلاتها ودخلت فيهِ مجالس الدول حتى جآء اخيراً ان مجلس المانيا الاعلى قرّر ان بدآءة القرن تكون في اول يناير من هذه السنة اي سنة ١٩٠٠ وهو غريب

وقد وقفنا على مناقشةٍ في هذا المعنى بين المسيو كاميل فلامريون الفلكي المشهور والمسيو موريس دونان على اثر مقالةٍ نشرها المسيو فلامريون في مجلة المجلات الفرنسوية اثبت فيها ان القرن العشرين يبدأ من سنة ١٩٠١ لا سنة ١٩٠٠ بنآءً على ان العدد يبدأ من الواحد لا من الصفر والا لزم ان يكون قد افتُتح التاريخ بسنةٍ يكون عددها صفراً وهو ما لا يُعهد في شيء من المعدودات وان كلاًّ من عددي العشرة والمئة يكون تمةً لما قبلهُ لا مبدأً لما بعدهُ والاَّ لم تكن العشرة عشرةً ولا المئة مئةً

قال وليست هذه بأول مرةٍ وقع فيها الخلاف في تعيين بدآءة القرن فقد كان مثل ذلك سنة ١٧٩٩ و ١٦٩٩ و ١٥٩٩ وقد نشب في آخر القرن الغابر جدالٌ عنيف في هذه المسئلة وصل الى ملعب التمثيل فمُثلت فيهِ روايةٌ عنوانها « في اي قرنٍ نحن » ولا بدع ان يكرر هذا العنوان في السنة القابلة (١٩٠٠) فنقول « في اي زمنٍ نحن » على اني احقق انّا لسنا بعد في زمن الرشد الا ان ما ذكرنا من مباحث القرن الماضي لم يكن ليجلو الحقيقة جلآءً

يقطع الريب فان ڤكتور هوغو مثلاً ولد في ٢٦ فبراير سنة ١٨٠٢ ولم يكن للقرن اذ ذاك الا ثلاثة عشر شهراً وخمسة وعشرون يوماً وساعات . ولست اخال انهُ اذا كان مولودٌ بهذه السنّ يقال انهُ ابن سنتين ومع ذلك فان هذا الشاعر لما اشار الى تأريخ مولدهِ ذكر انهُ يوم وُلد كان عمر القرن سنتين وهذا يدل على انهُ كان يعتقد ان القرن ابتدأ سنة ١٨٠٠ وما ادري لعل الشعرآء يحسبون على خلاف ما يحسب الفلكيون . وعلى مثل هذا درج المسيو هراديا من رجال الندوة العلمية الفرنسوية في هذا الاوان فانهُ لما أرّخ الجسر المبنيّ على اسم اسكندر الثالث والذي في العزم الاحتفال بهِ سنة ١٩٠٠ عبّر عن السنة المذكورة بانها فجر القرن العشرين

ثم ذكر ان بين يديهِ خمس رسائل في البحث عن رأس القرن الثامن عشر قد طُبعت في باريز سنة ١٦٩٩ جآء في جملتها ادلةٌ من نصوص التوراة ومن كلام آبآء الكنيسة وقواعد الدين المسيحي وطوفان نوح وغير ذلك مع الاستظهار برسومٍ هندسية يُستَدلّ بها على التمييز بين السنين وكيفية عدها . وذكر ان مباحثةً في مثل ذلك جرت سنة ١٥٩٩ بحضرة البابا فلم يقطع في هذه المسئلة بقول ولكن ردّها الى رأي علمآء الهيئة . قال وعلم الهيئة لم يتغير وكذلك قواعد الحساب لا تزال اليوم كما كانت اذ ذاك ثم افاض من البراهين بما لا يعدو ما ذكرناهُ

والامر ظاهرٌ كما تراهُ لا يحتمل مناقشةً ولا جدالاً ولكن المسيو دونان ابى الا ان يثبت ان في السنين سنةً تُعَدّ بالصفر قياساً لها على سائر المقادير من المُدَد والمسافات بزعمهِ وذلك كخطوط الدرج على الكرة ورسوم

الساعات على الميناء . والكيلومترات في الطرق فان كل ذلك يُبدأ العدد الاول منهُ بالصفر ولا يصار الى رقم الواحد الا بعد ان تمرَّ المسافة التي بينهُ وبين الصفر . قال فالسنة الاولى اذن هي التي مرّت من بدء حساب التاريخ اي من يوم ميلاد المسيح الا ان الاشهر الاولى من ذلك اليوم مرّت الى الشهر الحادي عشر ولم يُنطق بسنة احدى الا عند ما تمّت الاثنا عشر شهراً . والسنة الثانية ابتدأت من اول يناير سنة احدى وتمت في اول يناير سنة اثنتين وكذلك سنة احدى بعد الالف والتسع مئة تبدأ من اول يناير سنة ١٩٠٠ وتتم في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ لكن من البين ان الالف والتسع مئة سنة يكون تمامها بتاريخ اول يناير ١٩٠٠ . انتهى كلامهُ تحصيلاً وفيهِ من الاضطراب ما لا يخفى وحاصل ما يؤخذ منهُ ان اعداد السنين عندهُ تتأخر عن معدوداتها فهو يسمي السنة الثانية سنة احدى والسنة الثالثة سنة اثنتين وهلمَّ جرًّا كما يتبين من تحديدهِ ابتداء السنة الثانية وانتهاءها . وعلى ذلك فاذا أرّخنا بشهر يناير مثلاً من سنة احدى كان ذلك في الشهر الثالث عشر بعد بدء التاريخ لا في الشهر الاول لان سنة احدى لا تبدأ عندهُ الا بعد تمام الشهر الثاني عشر وكذا ما يلي من السنين الى سنة ١٩٠٠ فان شهر يناير منها وهو الذي نحن فيهِ يكون مبدأ سنة ١٩٠١ لا سنة ١٩٠٠ وبهذا الاعتبار نكون اليوم في رأس القرن العشرين

وما نرى الا ان في الامر سبق فكر اوقعهُ فيهِ قياس السنين على ما ذكر من درجات الكرة وما يليها ولو احسن اعتبار الامر لظهر لهُ ان مدلول الواحد في الخطوط التي على الكرة هو جميع الفسحة التي بين الصفر ورقم

الواحد فما يلي الصفر منها هو من اجزاء الواحد لا من اجزاء الصفر وكذا ما بين الواحد والاثنين وهلمَّ جرًّا الى رقم ١٨٠ فان ما قبلهُ من الاجزاء هو للرقم نفسهِ لا لرقم ١٧٩ والا لزم ان نبدأ العدد بالصفر ونختمهُ برقم ١٧٩ واصبح رقم ١٨٠ لغواً وهو مخالفٌ للطبع والوضع . ومعلومٌ ان خط الصفر على الكرة ليس بشيء ولا دخل لهُ في قياس الدرج وانما وُضع بين درجات الطول للفصل بين الدرجة الاولى منها شرقاً ومثلها غرباً وبين درجات العرض للفصل بين الدرجة الاولى شمالاً ومثلها جنوباً فهو دليل على ان لا عدد هناك اذ ليس قبل الواحد شيء ولذلك استُغني عن الصفر في المتر مثلاً لعدم الحاجة الى الفصل المذكور كما هو ظاهر . وانما جُعل عدد كل درجةٍ عند آخرها لا عند اولها كما نعتبرهُ في حساب السنين لان المقصود في عدد الدرجات ادخال كل ما قبل العدد في قياس المسافة التي يراد تعيينها فاذا قيل ان موضع كذا على ٥ درجات من الطول الشرقي مثلاً كان المراد ان المسافة التي بين موقعهِ والصفر خمس درجاتٍ كاملة فلو وُضع رقم الخمسة على اول الدرجة كان هناك اربع درجات لا خمس . وبخلافهِ ما اذا قلنا كان حادث كذا في اليوم الخامس من شهر مارس مثلاً سنة كذا فان المراد هناك يومٌ معيَّن من شهرٍ معين من السنة المذكورة لا مجموع الايام من ذلك اليوم الى اول السنة ولا مجموع السنين التي مرّت من اول التأريخ ولذلك لزم ان نعين عدد السنة من اولها حتى تكون مستقلةً بنفسها ويكون كل يومٍ من ايامها مقيداً بها وداخلاً ضمنها . ولا يلزم من اطلاق عدد السنة ان تكون السنة قد تمت كما لا يلزم من اطلاق اسم الشهر ان يكون الشهر قد انتهى فاننا نؤرخ باول يناير مثلاً مع ان شهر

يناير لا يكون قد جآء منهُ الا يومٌ واحد ونقول كان ذلك في اول الشهر الثالث او الخامس ولا يُفهم من ذلك الا اننا نريد شهر مارس او شهر مايو لا الشهر الذي يليهِ والا لزم ان نجري على هذا الاعتبار في القرن ايضاً فيكون القرن الاول هو الذي بدأ بعد انقضآء المئة الاولى ثم هلمَّ جرًّا الى القرن العشرين نفسهِ فلا نطلق عليهِ لفظ العشرين الا بعد تمامهِ اي بعد انتهآء سنة ٢٠٠٠

اذا تقرر ذلك كلهُ ثبت منهُ ان سنة احدى من التاريخ المسيحي هي السنة الاولى لا الثانية ومبدأها من اول يناير الذي هو مفتتح ايامها لا من اول يناير الذي جآء بعد تمامها وان سنة اثنتين هي السنة الثانية بعينها لا الثالثة واول يناير الذي بُدئت بهِ هو من سنة اثنتين لا من سنة احدى وكذا سنة ١٩٠٠ هي السنة الالف والتسع مئة بعينها وهي تتمة القرن التاسع عشر لا فاتحة القرن العشرين ولكن القرن العشرين يبدأ في اول يناير من سنة ١٩٠١ الآتية

على انهُ كيفما كان ذلك فهو امرٌ اعتباريٌّ فقط لا يغيّر شيئاً من التاريخ ولا اثر لهُ في دفاتر التجارة ولا سجلّات الاحكام ولا آجال الديون والمعاهدات فسوآءٌ كانت هذه السنة ختام القرن التاسع عشر او فاتحة العشرين فانها لا تزال سنة ١٩٠٠ ولا يزال موقعها بين سنتي ١٨٩٩ و ١٩٠١ وانما اوردنا هذا الفصل اجابةً لبعض قرآئنا الادبآء في الاستفهام عن حقيقة هذه المسئلة ولا سيما انهم رأوا بعض جرائدنا قد صرّحت بكون هذه السنة هي رأس القرن العشرين وبنى بعضها عليهِ المقالات المطوّلة فرحّب بالقرن

القادم وعلّق عليهِ الرغائب والآمال وودّع القرن الراحل وعدّد مالهُ من محاسن الآثار ومساوئ الاعمال وهي انما فعلت ذلك تقليداً للقائلين بهِ لا عن بيّنةٍ ولا نتيجة بحث مع انا لو رددنا كل واحدةٍ من تلك الجرائد الى الاعداد التي اصدرتها في اول سنةٍ من ظهورها لوجدت انها قد اثبتت في عنوان كل عددٍ منها « السنة الاولى » لاسنة الصفر وعلى هذا درجت في السنين التالية فلم تجعل سنتها الخامسة رابعة ولا العاشرة تاسعة ولكن الظاهر انهُ قد بهرها صدور الحكم في ذلك من مجلس برلين الاعلى ... فتلقتهُ بالتسليم من غير توقفٍ ولا ارتياب. وقد رُوي عن اقليدس الرياضي الشهير انهُ حين كان يلقن احد البطالسة مبادئ علم الهندسة وجد في فهمها صعوبةً فقال لهُ أليس من طريقٍ اسهل الى تعلم هذا الفنّ فقال ليس الى ذلك من طريقٍ للملوك يعني ان المسائل العلمية لاتحابي مقام الملوك ولا تعنو لسلطان الدول ولكن الحقائق تُتّبع حيثما وُجدت ولا تكون تابعةً لاحد

اتقاء البرد

البرد في عُرف علماء الطبيعة من العوامل التي لاحقيقة لها في نفسها وانما هو لفظةٌ اضافية يراد بها نقصان الحرارة لما أن من طبيعتها الانتشار والشيوع وطلب التساوي. فاذا مسّت اليد قطعةً من الثلج شعرت منها ببرد لان الثلج يتشرب من حرارة اليد اكثر مما تتشرب اليد من حرارة الثلج. وللسبب عينهِ اذا وُضعت هذه القطعة بجانب ميزانٍ قد انحطّت درجتهُ عن درجتها صعد الزئبق فيهِ للحال فاحدث الثلج هناك ارتفاعاً في الحرارة

لا هبوطاً وبالتالي احدث حرارةً لا برداً . فاذا علم ذلك سهل التوصل الى تعيين الذرائع التي تقي من البرد وهي التي تمنع نقصان الحرارة الغريزية في الجسم حتي تبقى على ميزانٍ واحد

على أن ما نجدهُ من البرد او نقصان الحرارة انما هو في ظاهر الجسم فقط واما الحرارة الباطنة فتبقى واحدةً في جميع الفصول والاقاليم المختلفة على التقريب وهي في الاحوال المعتدلة تكون ما بين ٠٥، ٣٦ درجة و٣، ٣٧ من المقياس المئوي (السنتغراد) وذلك اذا وُزنت تحت الابط وفي الاقاليم المتناهية البرد او الحرّ قد ترتفع او تحطّ عن معظمها بما لا يزيد على نصف درجة الى درجة

اما طرق اتقاء البرد فترجع الى مبدأين احدهما المحافظة على الحرارة الغريزية ومنعها من الانتشار والتبدد في الهواء المحيط والثاني توفير العوامل التي تزيد تولدها في الجسم اذ الجسم بمنزلة مُستوقَد تشتمل فيهِ الموادّ على الدوام بواسطة التنفس

فاما المحافظة على الحرارة الغريزية فتكون اولاً باللباس وفائدتهُ انهُ يكون حائلاً بين الجسم والهواء المحيط وهو من الموصلات الضعيفة للحرارة فيمنع نفوذها الى الهواء ويبقى ما ينبعث منها محصوراً حول الجسم فيمنع زيادة انبعاثها ويفيد الجسم تدفئةً وتسخيناً . وافضل الملابس للوقاية من البرد ما كان من النسيج الحيواني كالصوف والوبر والفرو لانهُ اضعف ايصالاً للحرارة من النسيج النباتي لكن بشرط ان تُقطع الصلة بين الجسم وما يحيط به من الهواء منعاً لتبدد الحرارة فيه والا فان الصوف ونحوهُ

لا حرارة فيهِ ولا يفيد الدفء الا من حيث ما ذُكر. ويتبين لك مصداق ذلك من انك اذا شعرت ببردٍ في قدميك فحبستهما في حذاء مفرّى فانك لا تشعر فيهما بحرارةٍ الا بعد زمنٍ طويل وربما لم تشعر بحرارةٍ اصلاً ما لم تستدعها بفرك القدمين او بسبق حركةٍ يتهيج بها النسيج العضلي لردّ الفعل. ومن هنا تعلم ان ثوباً رقيقاً اذا كان ملزز النسيج مطبقاً تمام الاطباق على العنق والساعدين وتُرك بينهُ وبين الجلد طبقةٌ من الهوآء الذي هو ايضاً من الموصلات الضعيفة للحرارة يكون انفع واحفظ للحرارة من ثلاثة او اربعة اثواب من الصوف اذا كانت لاصقة بالجلد ومتخلخلة النسيج وان جلباباً محكم الخياطة محزوم الوسط ولا جيب لهُ على الصدر افضل من الفرو مهما كان كثيفاً

وثانياً بتسخين الهوآء المحيط بالجسم بحيث يكون على درجةٍ لا يتشرب فيها من حرارة الجسم ما يؤدّي فيها الى نقصانٍ محسوس. وقد عُلم بالاختبار ان غرفةً محكمة الاغلاق ولو لم يكن هوآؤها مسخّناً بالطرق الصناعية تكون حرارتها اعلى من حرارة الخارج بدرجتين او ثلاث الا ان هذا المقدار من الزياده في الحرارة غير كافٍ لحصول الدفء اذا كانت درجة الهوآء في الخارج منحطةً كثيراً وحينئذٍ فلا بدّ من الالتجاء الى الحرارة الصناعية فيجوز في البلاد المعتدلة ان تُرفع الى ٢٥ او ٣٠ درجة وهي درجة الحمّام المعتدل الذي لا يفقد فيهِ الجسم شيئاً من حرارتهِ على ما ذكرهُ لتراي واما البلاد التي يهبط فيها الهوآء الخارج الى ١٠ درجات تحت الصفر فلا يجوز ان تتعدى حرارة المنازل فيها ١٥ الى ٢٠ درجة لانهُ اذا جُعلت حرارة الداخل على ٣٠ درجة لزم

التعرض للانتقال ٤٠ درجة دفعةً واحدة وفي ذلك اشد الخطر على الجسم

واما العوامل التي تولّد الحرارة في الجسم فهي الاغذية المعروفة بالتنفسية كما سماها ليبك وهي الشحم والنشاء والسكرّ بانواعه والصموغ والموادّ الدهنية من السمن والزيت وسائر الادهان الحيوانية والنباتية لان هذه كلها من الموادّ التي تحترق في الجسم بواسطة اكسجين التنفس فتتجدد بها حرارته. اما استعمال الاشربة الروحية في ذلك فهو قليل الغناء فضلاً عما في تناول هذه الاشربة من الاضرار والآفات التي اسوأها استدراج متعاطيها الى ان تصير عادةً فيه يتعذر اقتلاعها. على ان قطعتين من السكر او من الحلواء فيهما من توليد الحرارة ما يزيد اضعافاً على ما في كأس المسكر التي تُتناول لهذه الغاية

وهنالك شيءٌ آخر من مولّدات الحرارة هو في استطاعة كل احد وميسورٌ في كل حين ونعني به اكتسابها بطريق الرياضة والحركة العضلية لانها تزيد الاحتراق في الموادّ الكربونية في الجسم وبالتالي تزيد حركة التنفس فتزداد بها كمية الاكسيجين المتناولة من الهواء. وانفع هذه الحركة ما تكرر برفق لا ما كان عنيفاً يقتضي جهداً وتعباً خلافاً لما يتبادر الى ذهن كثيرين ممن يجهدون انفسهم برياضةٍ شاقّة قد تكون عواقبها مضرّة ولا سيما في اوان البرد الشديد

وبقي هنا امرٌ هو افضل من كل ما ذكر في اتقاء عادية البرد وهو ان يعوَّد الجسم مباشرتهُ حتى لا يكون لهُ عليهِ تأثيرٌ يؤدّي الى الاضرار بالصحة ولكن لا بدّ في ذلك من مراعاة وجوه الحكمة فان ابن الستين مثلاً اذا رام

اعتياد البرد في تلك السن فقد يعرّض نفسهُ لعواقب تكون فيها هلكتهُ. وانما ينبغي ان يكون الشروع في اتخاذ هذه العادة في زمن الحداثة لكن لا في الحداثة الاولى اي حين يكون الطفل ابن سنتين او ثلاث فانهُ حينئذٍ يكون اشبه بالشيخ في عدم احتمال البرد ولكن افضل سنٍّ لذلك سن الثانية عشرة او الرابعة عشرة حين تكون الدورة الدموية قد بلغت القوة التي يمكن فيها ردّ الفعل. وانظر في ذلك الى اكثر الطبقات السافلة من الناس واصحاب المعايش الدنيئة ولا سيما البحارة وصيّادي السمك وامثالهم ممن يتعرضون للبرد او للبرد والرطوبة معاً واجسادهم بادية فانك تراهم صحاح الامزجة اقوياء الابدان ولا تؤثر فيهم تلك الحالة شيئاً. ومما يُروَى عن بصوَيت الخطيب المشهور انهُ لم يوقد في غرفتهِ ناراً قطّ ولكنهُ كان اذا جلس لكتابة خطبهِ في معظم الشتآء لا يزيد على ان يغطي رجليهِ بدثار. وكذا يروى عن ڤكتور هوغو انهُ بلغ آخر حياتهِ ولم يزد في الشتآء على الدثار الصيفي وما ذلك الا من آثار العادة التي هي خير ما يتخذ من السلاح في مكافحة العوادي ودفع المؤذيات

تدبير المنزل

(تابع لما في الجزء السابق)

وأما العبيد والمماليك فالحاجة اليهم في المنازل كالحاجة الى جميع الناس في المدن وقد بيّنّا لأيّ شيء احتاج الناس الى ان يتخذوا المدن ويجتمعوا فيها. والعبيد ثلاثة عبد الرقّ وعبد الشهوة وعبد الطبع. فعبد الرقّ هو الذي اوجبت الشريعة عليهِ العبودية وعبد الشهوة هو الذي لا يملك نفسهُ لغلبة

شهواتهِ وخواطرهِ عليهِ ومن كان كذلك فهو عبد سوء وانسان سوء لا يصلح لشيء . واما عبد الطبع فهو الذي لهُ بدنٌ قويٌّ صبورٌ على الكدّ وليس لهُ في نفسهِ تمييز ولا معهُ من العقل الا مقدار ما ينقاد بهِ لغيرهِ ولا يبلغ بهِ الى ان يقدر ان يدبّر نفسهُ وهو في طبيعتهِ قريبٌ من البهائم التي يصرّفها الناس كيف شآءوا ومن كان كذلك وان كان حرًّا فهو عبد والأصلح لهُ ان يكون عليهِ رئيسٌ يدبّرهُ

والعبيد يُحتاج اليهم لاشيآء فمنهم من يُراد لتدبير المنزل ومنهم من يراد للخدمة والمعاطاة ومنهم من يراد للاعمال الجافية فينبغي للرجل اذا اراد شرآء مملوك ان ينظر اليهِ فان كان قد جمع مع عبودية الرقّ عبودية الشهوة فينبغي ان لا يتعرّض لشرآئهِ ولا ان يوطّن نفسهُ على قمعهِ وتقويمهِ ان طمع في ذلك ومن اشترى عبداً هذه حالهُ فقد اشترى عبداً لهُ موالٍ غيرهُ واذا كان كذلك فليس هو عبدهُ الا بالاسم واذا كان الانسان لا يملك نفسهُ فغيرهُ احرى بان لا يملكهُ . وان كان المملوك حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً قوية وبدنهُ بدناً لطيفاً فهو ممن يوكَّل بالتدبير والحفظ وان كان حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً ليّنة ذليلة وبدنهُ بدناً جافياً فهو ممن يوكَّل بالخدمة والمناولة وان كان عبداً بالطبع وُكّل بالاعمال التي يُحتاج فيها الى الشدة والصبر

والعبيد يشبّهون باعضاء البدن التي يملك الانسان افعالها . أما الموكلون بحفظ المنزل وتدبيرهِ فهم بمنزلة الحواسّ لانهُ بالحواسّ يُعرَف ما يضرّ فيُدفع وما ينفع فيُجتاب . والموكلون بالخدمة يشبّهون باليدين لانهُ بهما يتوصل الى ادخال المرافق على البدن . والموكلون بالاعمال يشبّهون بالرجلين لان

تليهما كل البدن وثقلهُ . فينبغي للرجل ان يحفظ مماليكهُ كحفظهِ لأعضائهِ
وان يفكّر لهم في امرين احدهما الجنس الذي يجمعهُ واياهم والآخر ما ابتُلوا
بهِ فانهُ اذا فكّر في جنسهم علم انهم اناس مثلهُ يمكنهم ان يفهموا ما يفهم
ويفكّروا فيما يفكّر فيهِ ويشتهوا ما يشتهي ومتى عاملهم على حسب ذلك
اكتسب مع الفضيلة التي تصير لهُ في نفسهِ المحبة ممن يُرزَق الملك عليهِ .
واذا فكّر فيما ابتُلوا بهِ علم انهُ لو ابتُلي بمثلهِ لأحبّ ان يُرزَق مولى يرقّ
عليهِ ويترفق بهِ . واذا جاءت من المملوك الزلاّت فينبغي للسيّد ان يتغافل
عنهُ مرةً ويقوّمهُ اخرى ويكون تقويمهُ اياهُ اولاً بالعتاب والتحذير
والانذار فان عاد فبالغضب وان عاد فبالضرب ولا يعاقبهُ على ذنب اتاهُ من
غير معرفة ولا تعمُّد ولا يترك عقوبتهُ على ذنبٍ اتاهُ عن شرارة وخبث .
ولا ينبغي اذا اساء المملوك ان يُعاقب الاّ بمثل ما يعاقَب بهِ الولد اذا اساء
مثل تلك الاساءة . ويجب ان يُجعل للمماليك اوقات راحة فان المملوك اذا
أُردف بعمل على عمل وكُلّف نَصَباً بعد نَصَب ولم تكن لهُ راحةٌ فتر عن
الخدمة وان كان حريصاً عليها والراحة تجدّد قوة البدن وتحبّب الى صاحبهِ
العمل ومثلهُ في ذلك مثل القوس فانها ان تُركت موترةً استرخت وان
حُطّت الى وقت الحاجة اليها دامت شدّتها وكانت اجدر ان يُنتفع بها . وانّا
لنعجب من قومٍ نراهم يُعنَون بدوابّهم ويحرصون على راحتها وعلى الاحسان
اليها ولا يعطون مماليكهم نصيباً من ذلك والمملوك وان لم يكن محتملاً من
الراحة ما تحتملهُ الدابّة لان كثير الراحة ربما ابطرهُ وفرّغهُ لما يضرّهُ والدابّة
ليست تشبههُ في ذلك فانهُ غير مستغنٍ عن الراحة مما يستديم قوّتهُ

ويستدعي نشاطهُ ولا يبلغ المقدار الذي يخاف عليهِ ضررهُ . وبعدُ فهو من جنس المالك لهُ فقد ينبغي لمالكهِ ان يراعي مع توخّي حسن التدبير فيهِ الرحمة لهُ وما يتذكر من ضعفهِ . ولا ينبغي لاحد ان يغتنم من مملوكهِ ان يكون يرى انهُ لا بدّ لهُ من قبول امرهِ شآء او أبى بل يلتمس ان تكون خدمتهُ لهُ بالمحبة منهُ لذلك والنشاط لهُ والحرص عليهِ وينبغي لهُ ان يحرص على ان يكون انقياد مملوكهِ بالحيآء اكثر منهُ بالخوف وبالمحبة اكثر منهُ بايجاب الطاعة

وافضل المماليك الصغار لانهم احسن طاعةً واسرع قبولاً لما يعلَّمون وهم الذين يألفون الموالي ويلزمون ما يجرون عليهِ من الاخلاق . وخير المماليك للرجل من لم يكن من جنسهِ لان الناس مولعون باستصغار اقاربهم والحسد لهم فللمجانسة من هذا نصيب . ومن حق المملوك ان يُكفى كل ما يحتاج اليهِ وان لا يكلَّف ما لا يقدر عليهِ ولا يحلّ لهُ وعليهِ الطاعة فان لم يطع بعد هذا وجبت عليهِ العقوبة على ما رتبنا من حالٍ بعد حال . وينبغي ان يكون للمماليك عند مواليهم مراتب من الاحسان والتفضيل واذا أحسن احدُهم رفعهُ من مرتبة الى مرتبة بقدر استحقاقهِ فان ذلك فيهِ حثٌّ للباقين على ان يلحقوا بهِ . انتهى

البغلة الوَلود

تناقلت الجرائد الانكليزية في هذه المدّة خبر بغلةٍ في نواحي الهند الانكليزية ولدت مهراً فكان لذلك موقع استغراب عند كل من سمعهُ لما

هو معهود عند كل احد وما اجمعت عليهِ علماء طبائع الحيوان من ان البغلة لا تلد كما هو شأن كل حيوان جآء من نتاج نوعين . والذي بعث اليها بهذا النبأ رجلٌ من البياطرة (اطبآء الخيل) في الجهادية الانكليزية في الهند يقال لهُ المسترضَنّ وقد شهد بصحتهِ سردار الجيش هناك بعد ان رأى البغلة والمهر بنفسهِ كما سيجيء . وقد أطالت احدى المجلات الفرنسوية في ذلك وقلّبت الامر على اوجهٍ شتى لاستثبات صدقهِ من كذبهِ واخيراً مضت على تصديقهِ ولكنها عللتهُ بما لا يستحيل معهُ وقوع مثل ذلك في الظاهر قالت

مما راقبهُ القائمون على تربية الحيوان ان الحمل الاول يمكن ان يبقى لهُ اثرٌ في الحامل ينتقل الى الحمل الذي يليهِ فقد روى سبنسر نقلاً عن فلِنت انهُ اتفق غير مرةٍ في البلاد المتحدة ان امرأةً من البيض بعد ان تزوجت برجلٍ اسود تزوجت برجلٍ ابيض فولدت اولاداً فيهم بعض خصائص السود وذكر داروين عدة حوادث تثبت وقوع مثل ذلك في ضروبٍ مختلفة من الحيوان . وتعليل ذلك انهُ في مدة الحمل يقع امتزاجٌ بين الانثى وجنينها حتى يصح ان يُعتبَر كلاهما بمنزلة شخصٍ واحد يعيش بحياةٍ واحدة ويغتذي بدمٍ واحد فيكون بينهما من التبادل ما يقضي بان تتكيف الأمّ بطبيعة الجنين حتى اذا كان الجنين من غير نوعها تندسّ طبيعة هذا النوع في الأمّ

وهذا التكيُّف يمكن ان يزول اذا لم يتكرر سببهُ ولا سيما اذا وُجد سببٌ يفعل غير فعل الاول لكن يمكن ان يبقى احياناً عدة سنوات . واذا كثر تكرُّر السبب على وجهٍ واحد فقد ينتهي الى تبديل طبيعة الأُمّ من اصلها لما شوهد غير مرةٍ من ان الزوجين اذا كثر بنوهما فقد يقع بينهما تشابهٌ

تامٌ . وكما يكتسب الابناء شبهاً من الزوج الاول لوالدتهم اذا وُلد لها قبل تزوُّجها بالآخر فانها اذا تزوجت بغير واحد قبل زوجها الاخير فقد يكون هذا التأثير لكل واحدٍ منهم جاءها منهُ ولد

اذا تقرر كل ذلك فلنعد الى حديث البغلة المذكورة فنقول

اذا كان النتاج يكتسب طبيعة الوالد السابق فمن المحتمل انهُ اذا ولدت فرسٌ اول مرةٍ بغلاً ثم ولدت مهرةً تكتسب هذه المهرة مشابه من البغل توهم الناظر انها بغلةٌ حقيقية ومن هنا تنشأ البغال اللواتي يلدنَ المهار لانهنَّ لسنَ الا افراساً تحت ثوب البغال . ولكي يمكن الجزم بكون البغلة التي يُدَّعى انها ولدت مهراً هي بغلةٌ في الحقيقة لا بدّ ان يُستوثَق من تأريخها اي من معرفة ابيها وأُمها والاّ لم يؤمن الوهم في ذلك وهذا ما لم نقف عليهِ في امر البغلة التي نحن في حديثها فان عبارة الجرائد الانكليزية تقول انهُ في ٦ اوغسطس الاخير في ولاية كابرتولا من الهند الانكليزية ولدت بغلةٌ مهراً وانهُ لما بلغ ذلك الوزير الاول السردار راغات سنغ توجه بنفسهِ لمشاهدة البغلة ومولودها وان عقلاء البلد استغربوا هذا الحادث وتطيّروا منهُ . ثم ان الوزير لما تحقق صحة الامر نقل صورة الام والولد بالفوتوغرافية وكان منظر الام لا يُفرَق عن منظر البغال في شيء واما الولد فكان اشبه بالخيل منهُ بالبغال

اما تأريخ البغلة قبل ذلك وسائر ما يتعلق بتحقيق اصلها فمما لم يتعرض المستر ضَنَ لذكر شيء منهُ ولعلهُ لم يفطن لوجوب البحث فيهِ ولكن فحص الامر كان موكولاً الى عهدة السردار على انا لا نعلم هل كان بحيث يمكنهُ الاضطلاع بحق هذا الفحص وهل تيسر لهُ الوصول الى ما يستلزمهُ الوقوف

على مثل هذه الحقيقة

ومهما يكن من ذلك فان هذا ليس باول حادثٍ من هذا القبيل زعزع اعتقاد علمآء طبائع الحيوان من جهة عقم البغال فقد حدث مثل ذلك في فرنسا في موضعٍ لا يبعد كثيراً عن مدينة باريز وهو المكان المسمى بحديقة التبليد[1] فان بغلةً من الجزائر أُتي بها الى الحديقة المذكورة فولدت فكان لولادتها اغرب وقعٍ في ذلك الاوان واخذ الفاحصون في التنقيب عن اصل هـذه البغلة فلم يهتدوا منهُ الى حقيقة الا ان البغلة كانت فيها مشابه شديدة من الخيل ولم يكن فيها من شبه البغال الا طول اذنيها . وهذه ايضاً ولا شك كانت امها قد ولدت قبلها بغلاً ثم ولدتها فجآءت على شبَه البغال

ورُوي مثل ذلك ايضاً في جريدة البيطرة العسكرية بتاريخ ٤ ستمبر سنة١٨٩٧ . على ان حديث هذه البغال غير مقصور على ما حدث في هذه الايام فقط ولكن يمكن ان نعثر على شيء منهُ في التواريخ القديمة فقد ذكر هيرودوطس في تاريخهِ ان بغلةً لزوبير بن مغابيز ولدت في الشهر العشرين من حصار بابل قال وكان احد المنجمين قد انبأ في اول الحصار ان المدينة ستُفتَح اذا ولدت البغال فوقع عند زوبير ان ذلك كان الهاماً من الالهة للمنجم

---

(١) لم نجد لفظة اقرب من هذه لتعريب قولهم Acclimatation وهي لفظة مشتقة من Climat اي اقليم يراد بها تعويد الحيوان او النبات الغريب اقليم البلاد التي ينقل اليها . والتبليد مصدر بلدهُ بالتشديد تعدية قولهم بلد بالمكان بلوداً اذا اتخذهُ بلداً . وما ننكر ان هذه اللفظة لا تنطبق تمام الانطبـاق على المعنى المقصود ولكنك اذا اعتبرت اكثر الالفاظ المنقولة عن معانيها في اللغة وجدتهـا في الاصل كذلك ثم تتعين بالعرف

وايقن بقرب فتح المدينة(١)

بيدأن من الناس من يحمل مثل هذا على غير ما ذكرناهُ ويزعم ان البغلة تلد حقيقةً لان بعضهم رأى بغلةً ترضع جحشاً والذي عندنا ان هذا لا يدلّ على شيء لان الذكران احياناً ترضع ولكن لكي يثبت ان بغلةً ولدت لا بد من تحقق حال البغلة من قبل وتيقّن انها بغلةٌ حقيقية . وعلى الجملة فكل ما رُوي الى الآن عن ولادة البغال اما ان تكون الولادة قد وقعت فعلاً ولكن لم يثبت ان الانثى التي ولدت هي على الحقيقة بغلة واما ان تكون الانثى بغلةً حقيقية ولكن لم يثبت ان المولود منها وعليهِ فعُقم البغال كان ولن يزال سنةً من سنن الطبيعة التي لا تتغير

الارملة ووحيدها

وردتنا القصيدة الآتية تحت هذا العنوان من نظم حضرة الاديب الشاعر الكاتب يوسف افندي البستاني منشئ جريدة المحروسة الغرّآء فاحببنا نشرها بين ايدي القرآء لما فيها من طلاوة الجديد قال

اضجعتهُ وقبّلت ناظريهِ بحنانٍ يفوقُ وصفَ اللبيبِ

ثم قامت عن السرير وقالت ربِّ صنهُ وألطف بقلبي الكئيبِ

ربِّ انت الابُ الحنون لطفلي انت عوني وانت خير مجيبِ

(١) جآء في حياة الحيوان الكبرى للدميري في الكلام على البغل ما نصهُ وهو عقيم لا يولد له لكن في تاريخ ابن البطريق في حوادث سنة اربع واربعين واربعمائة ان بغلةً بنابلس ولدت في بطن حجرة سودآء وبغلاً ابيض . قال وهذا اعجب ما سمع . اهـ

ثم مالت الى خياطٍ وخيطٍ　　ورداءٍ من النسيج قشيبِ
تارةً ترفأُ الرداءَ وطوراً　　تصرفُ الطرفَ للسرير القريبِ
كان ذاك السرير كلَّ رجاءٍ　　كان كلَّ العزاءِ وقت الخطوبِ
بعد زوجٍ قضى شهيداً هماماً　　في أُستَرسبُورَ إِثرَ شرِّ الحروبِ
لم يخلّف سوى صبيٍّ وحيدٍ　　ومزيدِ الاسى وفرط الكروبِ
كان كلُّ الكفافِ من كفِّ أمٍّ　　زانها الله باجتهادٍ عجيبِ
ذاتِ حسنٍ وعفةٍ وإِباءٍ　　واصطبارٍ على الملمِّ المصيبِ
غذّت الطفل بالخصالِ الغوالي　　واعدّتهُ للزمان المريبِ
كلَّ يومٍ تعيد ذكر فرنسا　　وتعالي بوصفها المحبوبِ
تلك ارضٌ تقول ربّتك فاحفظ　　عهدها وارعَها كما تعتني بي
ارض مجدٍ ابوك مات فداها　　موتَ شهمٍ حرِّ الخصال اريبِ
حبَّ احبابها وأبغض عداها　　واحترمها على توالي الحقوبِ
سوفَ تدعوك ان حييت لثارٍ　　فتلبي النداءَ غير هيوبِ

***

نام آناً وبينما هو مُغفٍ　　قصف الرعدُ تِلوَ سيلٍ صبيبِ
ذُعِرَ الطفل فاستفاق ونادى　　«أُميَ السيفَ فالوغى في نشوبِ»
غير أَنَّ النعاس ثابَ اليه　　فلواهُ ليَّ الغُصينِ الرطيبِ
ثم هبّت فاقلقتهُ رياحٌ　　ورعودٌ فصاحَ غير رعيبِ
أُميَ السيفَ فالبرُسيانُ ... قالت　　ذاك صوت الرعود نَمْ يا حبيبي

***

هكذا ينشأُ الأُرُبّيُّ حرّاً　　يرضعُ البأسَ وقت رضع الحليبِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة - يقول الاب لويس شيخو في كتاب علم الادب (ص ٣١٦) سناد الحذو هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرويّ المطلق مثل فتحة النون وكسرة البآء من قولك (سنَد وكبِد) مع انهُ عرّف « الحذو » (ص ٣١٢) بانهُ « حركة ما قبل الردف » كحركة الميم في (مال) وعرّف « الردف » (ص ٣٠٩) بانهُ « حرف لين ساكن (كذا) قبل الرويّ » ثم قال في آخر ص ٣١٢ واول ٣١٣ هذه الحركات « انما » يجب المحافظة عليها في كل الابيات اذا ما دخلت في البيت الاول وقد استثنوا من ذلكَ « حركة واو الردف ويآئهِ » (كذا) وكذلك حركة الحذو « في » الرويّ المقيَّد فيجوز مثلاً الجمع بين (يَعُدْ وصَعِدْ وقَعَدْ)

فكيف يعرّف الحذو بانهُ حركة ما قبل الردف (ص ٣١٢) ثم يجعلهُ حركة ما قبل الرويّ المطلق (ص ٣١٦) ثم حركة ما قبل الرويّ المقيد (ص ٣١٣) ثم كيف يقول ان الردف هو حرف اللين « الساكن » (ص٣٠٩) ويقول بعد ذلك وقد استثنوا من ذلك « حركة » واو الردف ويآئهِ (ص ٣١٣) وكيف يعدّ اختلاف حركتي النون والبآء في سنَد وكبِد سناداً اي عيباً (ص ٣١٦) ويقول بعد ذلك انهُ يجوز الجمع بين يَعُد وصَعِد وقَعَد (ص ٣١٣) وكيف يمكن ان يوفق بين هذه الاقوال المتضاربة والاحكام المتلاطمة

ا * زينية

المحامي في القاهرة

الجواب ـ اما سناد الحذو فهو اختلاف الحركة الواقعة قبل الردف وهو حرف اللين قبل الرويّ مثلاً اذا جُمع في القافية بين النُور والجَور . واما اختلاف حركة ما قبل الرويّ المقيَّد (لا « المطلق » لان هذه ليست من الحركات التي لها حكمٌ في القافية) مثل فتحة النون وكسرة الباء من قولك مَنَذْ وكَبِدْ فهذا يقال لهُ سناد التوجيه والتوجيه هو حركة ما قبل الرويّ المقيَّد

واما كيف يوفَّق بين هذه الاقوال المتضاربة والاحكام المتلاكمة فهذا ليس من وظيفة « المحامي » وان ابيتم الا ان تصلحوا بين هذه الخصوم فارجعوا الى حضرة الاب فانهُ كما علمتم ممن يكرهون الشقاق ويحرصون على المسالمة ولو اضاع شيئاً من الشهرة التي يتفانى في الحصول عليها .....

بيروت ـ بينما كنت اطالع في شرح مجاني الادب لحضرة الاب لويس شيخو وجدتهُ يقول في صفحة ٤٧٥ ما نصهُ « ان لون الكواكب بالاجمال هو البياض كنور الشمس الا ان بعضها يتلون بالوان مختلفة منها السماك والدبران وبيت الجوزآء فانها ضاربة الى الحمرة ومنها ما يميل الى الصفرة كالجدي والطير .. » . فقولهُ « السماك » هما سماكان الاعزل والرامح فايهما يصح ان يراد هنا . وقولهُ « بيت الجوزآء » لم اجد لهذا النجم ذكراً في شيء مما قرأتهُ من كتب الفلكيين وكذلك قولهُ « الطير » فما المراد بهذين النجمين

ثم وجدتهُ يقول في الصفحة نفسها « السفينة كوكبة قرب الشعرى اليمانية اي الدب الاكبر » مع ان الدب الاكبر من الصور الشمالية فكيف ذلك وقرأت لهُ في صفحة ٤٧٨ في الكلام على المجرة ما نصهُ « جآء في

الاثر ان كواكب المجرة شرح السماء كانها بجمع السماء كشرح القبة » فما معنى الشرح هنا ارجو ايضاح ذلك كلهِ ولكم الفضل ج * ي * ن

الجواب ـ اما السماك الذي يضرب لونهُ الى الحمرة فالاقرب ان يكون هو الرامح لان السماك الاعزل ابيض الى الزُرقة . واما « بيت الجوزآء » فلم يُسمع بنجم بهذا الاسم فالظاهر انهُ عرَّبهُ عن اللفظ الافرنجي Bételgeuse وهو عربيٌّ في الاصل منقول عن « إبط الجوزآء » فعرَّبهُ « بيت الجوزآء » وكذلك « الطير » الظاهر ان المراد بهِ النسر الطائر وهو الذي يعبر عنهُ الافرنج بقولهم Altaïr فعرَّبهُ الطير الا ان هذا لونهُ ابيض لا اصفر وكأن هذا من توابع تحريفهِ كما عكس في الشمس فجلعها بيضاء .وهي معدودة في النجوم الصفرآء . واما تسميتهُ الشعرى اليمانية بالدب الاكبر فمن اغرب ما سُمع واين الدب الذي هو في اقصى الشمال من الشعرى التي هي من كواكب الجنوب ولكن الظاهر انهُ التبس عليهِ الكلب الاكبر بالدب الاكبر فوضع احدهما مكان الآخر . واما تسميتهُ المجرة « بشرح السمآء » فقد تصحف عليهِ هذا اللفظ هنا كما تصحف عليهِ في الجزء الثالث من المجاني (ص ٢٦٤) فجعلهُ « سُرُج السمآء » كما جآء ذكرهُ في صفحة ٨٤ من ضياء هذه السنة والصواب « شَرَج السمآء » بالشين المعجمة والجيم على ما ذكرنا من تصحيحهِ هناك ومعنى الشَرَج العُرى التي تشدّ بها بعض شُقق الخبآء الى بعض وهو المراد بقولهِ « كشَرَج القبة » فيما نقلهُ من تفسير عبارة الاثر

القدس الشريف ـ جآء في الجزء الثاني من مجاني الادب (ص٦٥ـ٦٦)

اجمل كلامك بسكون ووقار بحيث « يَستشهر » منك أن وراءهُ اكثر منهُ ·
وجآء في تفسير مجاني الادب (ص ٢٢٧) ما نصهُ « يستشهر منك اي يُفهم منك ويُستخلص » وقد بحثت في كتب اللغة فلم اجد « استشهر » لا بهذا المعنى ولا بغيرهِ فمن اين جآء بهذه اللفظة وما صحتها

(س *)

الجواب ـ اللفظة محرَّفة والظاهر ان اصلها « يُستشعَر » بالعين مكان الهآء وبالبنآء للمفعول من قولهم استشعر من هذا الامر خوفاً اي اضمرهُ · واما من اين جآء بهذه اللفظة فلعلهُ رآها كذلك في شيء من مطبوعات لبسك او ليدن ... لكن يبقى معرفة تفسيرها بما ذكرهُ ومن اين جآء بهذا التفسير وهذا ما لا يستطيع الجواب عليهِ الا المؤلف

آثار ادبيّة

الرئيس — مجلةٌ طبية جراحية علمية ادبية تاريخية صاحب امتيازها ومحرر مقالاتها الطبية حضرة النطاسي الدكتور لويس الخازن ومحرر مقالاتها العامية حضرة العالم الفاضل ابرهيم افندي الحوراني · وقد وقفنا على الجزء الاول منها فالفيناهُ كثير الفوائد جليل المطالب وقد افتتح بترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا وتليها مقالة في تقدم الطب ثم عدة مقالات ونبذ طبية وعلمية حرية بالمطالعة والاستفادة · والمجلة المذكورة تطبع مرةً في الشهر في بلدة جونية من ساحل لبنان وقيمة اشتراكها عشرة فرنكات في السنة · فنثني على همة الفاضلين المشار اليهما وتمنى لمجلتهما الانتشار والثبات

النبراس — صحيفة اصلاحية تهذيبية تصدر يوم السبت من كل اسبوع لحضرة منشئها الاديب نجيب افندي الجاويش وقد وصلت الينا منها الاعداد الاول فوجدنا فيها

عدة مطالب مهمة في السياسة والادب وغيرها وقيمة اشتراكها ٦٠ قرشاً مصرياً في السنة فنرجو لها الثبات والرواج

اللوآء — جريدة يومية سياسية ينشرها حضرة السياسي الشهير مصطفى بك كامل في القاهرة وهي وطنية النزعة عثمانية المشرب وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش صاغ في القطر المصري و٣٥ فرنكاً في الخارج فتمنى لها مزيد الانتشار

كتاب الاخبار السنية في الحروب الصليبية — اهديت لنا نسخة من هذا الكتاب تأليف حضرة الاديب سيد افندي علي الحريري اتى فيهِ على اخبار هذه الحروب مفصلة فيما يقرب من ٣٠٠ صفحة جمع فيها بين ما جآء في الكتب العربية وما عرّب عن الكتب الاجنبية وهو اول كتابٍ عربي جمعت فيه اخبار هذه الحروب فنشكر المؤلف على هذه الهدية ونرجو لكتابهِ مزيد الرواج

الغزالة — قد عادت الغزالة في هذه الايام الى الظهور بعد احتجابها مدةً ورآء غيوم العطلة وهي الجريدة التي عرفت بلطف ذوق منشئها ودقة انتقادهِ على العادات والآداب المختلفة تحت ثوب الفكاهة والنكتة وهي تصدر كعادتها باللغة العامية المصرية ومديرها حضرة الاديب ادوار افندي قرألي وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشاً في القطر المصري و٦ فرنكات في غيرهِ فنتمنى لها الثبات

كتاب الاقتدآء بالمسيح — قد ترجم هذا الكتاب عوداً على بدء عن اللغة اللاتينية بقلم حضرة العالم الفاضل الورع الخوري ماريا الفرآء الحلبي نزيل القدس الشريف وقد عقب كل فصل منهُ باعتبار يلائمهُ وطبعهُ طبعة انيقة محلاةً بالشكل فجآء كتاباً وافياً كثير الفوائد سهل العبارة ينطوي على نحو ٦٠٠ صفحة صغيرة فنثني على حضرة الاب طيب الثنآء لما عاناهُ في هذا الكتاب ونسأل لهُ تحقيق ما يرجو بهِ من النفع ومكافأتهُ بجزيل الثواب

فكاهات

رواية

الحسناء [1]

رُوي انهُ في اثناء الحرب التي ثارت بين الدولة العثمانية والروسية سطا الروس على قبائل التتر فنكلوا بهم تنكيلاً وطردوهم من منازلهم واوطانهم بعد ان نهبوا اموالهم وساقوا نسآءهم سبايا . وكان للتتر الجراكسة رئيس بطل همام يقال لهُ الحاج مراد لم يألُ جهداً في الدفاع عن قومهِ وجمع رجالهِ وحضّهم على المكافحة والثبات الى ان قلَّت جنودهُ وكثرت جيوش الروس فاضطرَّتهُ الى الهزيمة فراراً بحياتهِ ودخلت فرسان الروس منزلهُ فسلبت اموالهُ ولم يكن لهُ من العيال سوى ابنةٍ كالشمس في ريعان النهار لم تكد تبلغ الثانية عشرة من سنيها فاخذها احد قوادهم ولم يعد احدٌ يدري عنها شيئاً . اما والدها فلم يزل يفرّ امام مطارديهِ من بلدة الى اخرى الى ان بلغ معسكر الفِرَق العثمانية فانحاز تحت لوآئها ورهن سيفهُ للاخذ بثار بلادهِ والانتقام من اعدآئهِ . ولما تفاقم خطب الحرب بين الدولتين ارسلت كلٌّ من انكلترا وفرنسا رجالاً ينجدون رجال السلطان في القتال وانفذت الاولى بعض مدرعاتها الحربية لصدّ الروس عن التقدم ولاستخلاص الحصون التي كانوا قد غنموها كما

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

هو معلوم في التاريخ

وكانت الدوارع الانكليزية المذكورة تسير من ميناء الى آخر عملاً باوامر السردار العثماني لاغاثة بعض المواقع وتدمير غيرها . وكان الروسيون بعد ايقاعهم بالجراكسة قد افتتحوا مدينة كرتش وذلك قبل حادثة الرواية بثلاث سنوات فعاثوا فيها وافسدوا وبنى قائدهم البرنس ورنزوف في اجمل بقعة من المدينة قصراً فسيحاً واسع الارجاء زائد الاتقان وجعل همهُ مع المحافظة على المدينة ان يخزن في قصرهِ هذا المؤن والذخائر بينما كانت رجالهُ تسعى في تدمير المدينة ونهب بيوتها واستباحة ما حرَّمهُ الله والطبيعة عليهم ولم يمضِ الكثير حتى اصبحت اهالي المدينة في اشدّ الحاجة والفقر المدقع وكان قد نزح الى كرتش سابقاً بعض التتر وقد اختبروا قبلاً مظالم الروس فايقنوا بالهلاك وقد سُدَّت في وجوههم سبل النجاة

وبلغ السردار العثماني ما آلت اليهِ احوال سكان المدينة فطلب الى الجنرال الانكليزي ان يرسل من يعتمد عليهِ لانقاذ المدينة فاستدعى ربّان احدى السفن وجهزهُ بالاوامر اللازمة فانطلقت دارعتهُ تمخر عباب البحر قاصدة كرتش . وبلغ الخبر مسامع البرنس ورنزوف وعلم انهُ لا يقوى على مقاومة المدافع الانكليزية فترك قصرهُ تحت عناية خادمٍ شيخ يثق بهِ وخرج بجميع جنودهِ من المدينة في نفس الليلة التي وصلت اليها الدارعة المذكورة . وكان تحت امرة ربان الدارعة فتًى رتبتهُ ملازم اول في الجندية فاستدعاهُ وفوض اليه قيادة مئتي فارس وامرهُ ان ينزل الى المدينة ويتوجه توًّا الى قصر البرنس ورنزوف فيستخرج منهُ ما يوجد فيهِ من المؤن ويفرقهُ على

الاهالي الذين يتضورون جوعاً . وكان الملازم واسمهُ أُسبُرْن يتوقع مثل هذه الفرصة لاظهار بسالتهِ طلباً للترقي فاستقبل الامر بوجهٍ باش وسار في مقدمة فرقتهِ كانهُ مدعوٌّ الى وليمة فاخرة . وعلم اسبرن بفرار الروس فارسل من يستطلع اخبارهم فوجد انهم قد اخلوا المدينة باعظم سرعة واشد خوف كما دلهُ على ذلك بقآء مهماتهم ومدافعهم وسائر اثقالهم متروكةً في الارض لتعجيل الفرار وقصدوا سيبستبول لينضموا الى الجيش العام . ولما تحقق اسبرن ذلك توجه الى قصر الى البرنس وترجل امام بابهِ فاستقبلهُ الخادم المعهود اليهِ في المحافظة على القصر فسألهُ اسبرن عدة مسائل وعلم منهُ ان البرنس اصدر امرهُ قبل براحهِ الى خادمهِ ان لا يمانع في اخراج كل ما في القصر وتسليمهِ الى الانكليز سوى انهُ استحلفهُ ان يبذل جهدهُ في بقآء القصر سالماً لانهُ كان قد انفق على اقامتهِ الاموال الطائلة آملاً انهُ بعد انقضآء الحرب يعود فيسكن في تلك البقعة . ثم قال الخادم لاسبرن اني مستعدٌّ يا مولاي ان اسير في خدمتك الى داخل القصر وانفذ اوامرك بكل دقة وطاعة لكن ارغب اليك ان لا تدخل بكل هؤلآء الجنود فاني اخاف على التحف الموجودة في غُرَف القصر . وبعد مباحثة قليلة في شؤون مختلفة امر اسبرن رجالهُ ان ينتظروهُ على شاطئ البحر ودخل مع الخادم الى داخل القصر . وجعل الخادم يسير بأُسبُرْن من غرفةٍ الى غرفة ومن رواقٍ الى آخر ويريهِ الرياش الثمين والتحف الغالية والجواهر النادرة وكان اسبرن لا يهتمُّ بشيء من ذلك بل يلحّ على الخادم ان يوصلهُ الى مستودع المؤونة الى ان بلغا سلماً فنزلاهُ وانتهى بهما الى بابٍ واسع فدخلاهُ واذا بهِ يؤدّي

الى رواق فسيح الى جانبهِ غرف ملأى ببراميل اللحوم المقددة والبقساط والحبوب وغير ذلك من المأكولات مما لو وُزّع على اهالي المدينة بتدبير لكفاهم مدةً لا تقل عن شهرين . فقال أُسبرن يجب ان نخرج هذه حالاً الى المساكين الذين يموتون جوعاً وسأستدعي رجالي لنقلها . فقال الخادم عفواً يا مولاي انني اتوسل اليك ان لا تسمح لرجالك بالدخول الى القصر وقد وعدتني ان لا تسعى في خرابهِ بل ارسل مندوباً من قبلك وانا اسلم اليهِ على باب القصر كل ما تطلبهُ من المؤن . فقال أُسبرن لا بأس فسأذهب وفي المسآء ارسل اليك من يقوم بهذا الامر . ولما اراد اسبرن الخروج رأى الى يمينهِ باباً آخر فسأل الخادم الى اين يوصل هذا قال الى الحديقة وظهر على الخادم بعض الاضطراب فانتبه اسبرن لذلك وطلب ان يلجهُ . فقال الخادم ولكن يا مولاي ليس في الحديقة ما يهمك ان تراهُ . قال لا بد لي من دخولها . فامتقع لون الخادم ورأى اسبرن ارتباكهُ فخطر لهُ انهُ ربما يكون البرنس ورزوف لا يزال مختبئاً فيها وتصور انهُ سيراهُ ويمسكهُ اسيراً فيقودهُ الى ربان الدارعة وينال بذلك ما طمحت اليهِ نفسهُ من الترقي ورفعة المقام . وبعد ان غاص حيناً في تأملاتهِ انتبه فرأى الخادم لا يزال واقفاً امامهُ كالمبهوت فصاح بهِ ان افتح الباب والا ضربت عنقك للحال ثم وضع يدهُ على مقبض سيفهِ ورأى الخادم انهُ لم يعد في امكانهِ المماطلة فاسرع الى الباب وفتحهُ بيدٍ مرتجفة ودخل اسبرن فجعل يتمشى بين الاشجار والرياحين وهو يعجب من حسن الحديقة واتقان تقسيمها الى ان رأى في وسطها حجرةً صغيرة تظللها الاشجار محكمة الصنعة حسنة الهيئة وخُيّل لهُ انهُ رأى

في نافذةٍ منها شبح انسان فلم يشك في وجود البرنس مختفياً فيها وتقدم الى ناحية الحجرة المذكورة . اما الخادم فجثا امام اسبرن وجعل يبتهل اليهِ ان لا يتقدم الى الحجرة ويؤكد لهُ ان ليس هنالك ما يهمهُ مرآهُ فلم يكن الحاحهُ الاّ ليزيد في رغبة اسبرن فقال للخادم لا بد يا هذا من الدخول والويل لك ان خالفتني وقرأ الخادم في عيني اسبرن التصميم القاطع فسار امامهُ صاغراً الى الباب وفتحهُ . فدخل اسبرن وبنظرةٍ واحدة فحص جميع ما في الغرفة فلم يرَ فيها احداً خلافاً لما تصور قبلاً ثم ظهر لهُ بابٌ آخر فهجم اليهِ وفتحهُ بيدهِ واذ ذاك وقع بصرهُ على حوريةٍ من الحور رقيقة الخصر باسمة الثغر سوداء الشعر بيضاء اللون ذابلة الجفن وقد جلست على مقعدٍ من الدمقس واسندت رأسها الى يدها فسقط القميص الى مرفقها وبان من تحتهِ عصاً من العاج وقد احاطت بها ثلاثٌ من الجواري يظهر انهنَّ خادماتٌ لها فوقف اسبرن حيناً وهو مبهوتٌ يتفرس في ذلك الجمال الملكي ثم رجع الى الغرفة الاولى فاعترضهُ الخادم قائلاً قد رأيت يا مولاي ان ليس البرنس ورزوف هنا وعسى ان تكون قد اقتنعت بذلك غير اني اجثو على قدميك وارغب اليك ان تنسى ما رأيت ضمن هذا الجدار وان لا تسعى في زيادة استعلام عن ذلك وانا واثقٌ من كرمك وانفة نفسك ان تعدني بذلك فوعدهُ اسبرن وخرج وهو في حيرةٍ تامة وبعد خروجهِ اتفق مع الخادم على ان يرسل اليهِ نفراً من رجالهِ لاخذ المؤونة اللازمة للشعب الجائع . ثم سار اسبرن وهو يفكر في ربة ذلك الجمال البديع واخذت تتقاذفهُ تيارات التخمينات وهو يقول هل هذه الغادة سبيةً او مقيمة عن رضى . وانهُ كذلك

اذ رأى في طريقهِ شيخاً علم من هيئتهِ انهُ من مشايخ الجراكسة فحيّاهُ بلغتهِ ودار بينهما حديثٌ قصير علم منهُ اسبرن انهُ غريب الديار سائح في تلك القفار وقد وصل الى مدينة كرتش تعباً جائعاً وجال علهُ يجد لهُ مأوًى فلم يرَ محلاً يبيت فيهِ ولا شيئاً يقتات بهِ . فقال لهُ اسبرن انهُ اذا كان يحبّ ان يبيت في قصر البرنس ورزوف فهو يسهل لهُ ذلك . فسرّ الشيخ بذلك وشكر فعاد بهِ الى القصر واوصى الخادم ان يضيفهُ تلك الليلة . ولما عاد اسبرن الى الباخرة اخبر رئيسهُ بما فعل نهارهُ فاثنى عليهِ واعلمهُ ان الاوامر تقضي برحيلهم عن كرتش في مسآء اليوم الثاني واوصاهُ ان يعود في الغد ويخرج المؤونة من القصر لتوزع على الاهالي وان يتفقد المهاجرين من التتر والجركس حتى اذا شآء احدٌ الرجوع الى وطنهِ فالدارعة مستعدة لنقلهِ الى حيث يشآء .

ولم يصدق اسبرن ان اضآء الصباح التالي حتى خرج الى البر راجياً ان يتزود بنظرةٍ اخرى من تلك الفاتنة ولما كان قد وعد الخادم انهُ لا يفاتحهُ بحديثها بعدُ عمد الى طريقةٍ اخرى فتوجه من جهة ثانية الى حديقة القصر واستعان باحدى الاشجار فتسلق حائط الحديقة ووثب الى داخلها ثم سار متحذراً الى ناحية الحجرة . وقبل ان يصل اليها رأى بابها قد فُتح وخرجت الفتاة منهُ وجعلت تتقدم الى طرف الحديقة بقدم واجفة فكمن اسبرن بين النبات المشتبك ليرى الغاية من مسيرها ثم نظر من الجهة الثانية واذا بالشيخ الجركسي الذي صادفهُ بالامس قادمٌ من طرف الحديقة حتى التقى بالفتاة فانحنى عليها يقبلها وهي تقبل يدهُ ووقفا يتكلمان هنيهةً بصوتٍ لم يسمعهُ

اسبرن ثم عادا الى القبلات وبعد ذلك افترقا وعاد كلٌّ من حيث اتى · ورأى اسبرن في المسألة سرًّا لم يتمكن من حل معماهُ ولكنهُ عزم على مفاتحة الشيخ بالامر واذ ذاك عاد فوثب الجدار ودخل الى القصر من بابهِ ورأى الخادم فاوعز اليهِ بالاوامر اللازمة ثم رأى الشيخ خارجاً فرافقهُ في طريقهِ واعلمهُ ان الدارعة تسافر في ذلك المساء وانها مستمدة لنقل من شاء من متغربي التتر الى اوطانهم · فاظهر الشيخ سرورهُ بذلك ولكنهُ وقف للحال مفكراً فقال لهُ اسبرن ألم يسرك هذا الخبر اكثر من مقابلتك لفتاة القصر صباحاً · فذُعر الشيخ ولما رأى ان لاسبرن الماماً بالامر قال تعالَ اقص عليك الامر · انا الحاج مراد الذي ولا بد سمعت بهِ وقد حرمني القدر كل افراد اسرتي سوى فتاةٍ عذراء تدعى حسناء سباها الروس في اثناء حربنا الاخيرة منذ ثلاث سنوات وكان لها من العمر اثنتا عشرة سنة · وقد قضيت هذه المدة كلها في البحث عنها حتى علمت اخيراً انها هي المسجونة في قصر البرنس وقد قابلتها هذا الصباح وعلمت انها في رغد وسرور تنتظر خلاصها من هذا الاسر وهي لم تزل مرعية الكرامة مصونة الطهر ولم يجترئ بعد ذلك البرنس الظالم على ان يدنو منها وقد صممت ان اسعى في خلاصها فهل لك ان تساعدني في ذلك ايها الفتى · ولم يكن عند أُسبرن شيء احب من ذلك فوعدهُ خيراً · وفي المساء انهمك خادم القصر في تسليم المؤن للعساكر فذهب اسبرن والحاج مراد الى الحديقة ودخل الحاج الى ابنتهِ فاخرجها مع خادماتها واخذهم اسبرن الى قارب ٍكان بالانتظار فمخر بهم للحال الى السفينة · ولما اكمل اسبرن مهمتهُ تبعهم الى البحر وبعد ان غربت

الشمس سارت بهم الباخرة تشق عباب اليمّ آخذةً جهة انابا وهي مدينة الحاج مراد . اما اسبرن فلم يتمكن من اخفاء ما ألم بهِ من الكلف بحب حسناء . ففاتحها بحديث الحب فظهر لهُ انها قد اصابها ما اصابهُ منذ نظرتهُ اول نظرة . اما الحاج مراد فلم يخفَ عليهِ ما اضمر اسبرن من محبة ابنتهِ فاستدعاهُ الى جانب وقال لهُ قد فهمت ما بك من الميل الى ابنتي لكني ارجو منك ان لا تشغل افكارها بشيء من ذلك فان ما في نفسك لن يتم وان كنت اعز الناس عندي واحقهم بها لانك انت الذي رددتها عليَّ وانقذتها من مخالب الاسر ولكنك تعلم ان ما بيننا من اختلاف المعتقد يمنع من صلة القرابة . فلما سمع اسبرن هذا الكلام وقع على سماعهِ كوقوع الصاعقة غير انهُ تجلد واستعان بعزة نفسهِ على مقاومة هواهُ وقد رأى ما في كلام الحاج مراد من الصواب فطوى عن الامر كشحاً وقلبهُ يلتهب بنيران الغرام . ولما بلغت الباخرة انابا انزلت ركابها ومن جملتهم الحاج مراد وابنتهُ حسناء فانصرفا بعد ان ودعا اسبرن وشكراهُ على مزيد اعتنآئهِ بهما

وكان بعد بضعة اشهر ان عاد الروس الى اضطهاد الجراكسة في نواحي انابا وقسم الحظ لباخرة اسبرن ان تذهب الى ذلك الثغر للمدافعة عن اولئك المساكين ومقاومة الروس وخرج القائد الانكليزي برجالهِ الى البر فالتقى بالروسيين واشتبك بينهم قتالٌ هائل اجلى عن انتصار الانكليز وفشل الروس بعد ان فقد الانكليز عدداً عظيماً من رجالهم وكان بين المفقودين اسبرن

وبعد الموقعة ببضعة ايام افاق اسبرن من نومهِ فاذا هو على سرير من الدمقس والى جانبهِ فتاة كالحور العين بيدها مروحة من ريش النعام تروّح

لهُ بها وتمسح عرقهُ المتحلب من جبينهِ بمنديل حريري في يدها. ولما تفرس فيها ملياً عرفها انها حسناء. فكلمتهُ ولاطفتهُ ثم قصّت عليهِ انهُ بعد الموقعة اظهر القائد الانكليزي اسفهُ العظيم على من فقد من رجالهِ وكان اشد اسفه على اسبرن فندبهُ وهو يظنهُ قد مات وكانت قد بلغتهُ اوامر مشددة بالرجوع للانضمام الى اسطولهِ فعاد سريعاً. قالت اما ابي فلما بلغهُ خبر سقوطك طار رشدهُ وتوجه للحال الى ساحة القتال علهُ يهتدي اليك فرآك وقد أثخنتك الجراح وبعد الفحص وجد انك لا تزال حياً فحملك الى هنا وجعل يعتني بك ويعالجك الى ان شفيت ولله الحمد. واذ ذاك دخل الحاج مراد فهنأ اسبرن بسلامتهِ وشكرهُ اسبرن على حسن صنيعهِ فقال الحاج لا تشكرني يا هذا فان ما فعلتهُ ليس الا مكافأة لصنيعك وقد ذكرتُ لك سابقاً ان المانع من مصاهرتك لي اختلاف المعتقد والواقع ليس كذلك ولكن كرهت ان تكون ابنتي في عصمة رجل يعتبر انهُ قد اشترى حياتها فاما الآن وقد وفيتك مثل جميلك فدونكها ان شئت فلا أحبّ اليّ من ان يكون مثلك صهري لكن اشترط عليك ان لا تعترضها في امر دينها بل تطلق لها الحرية فيهِ الى ان تشاء هي ان تغير معتقدها

ولما نقه اسبرن عقد لهُ على حسناء. وبعد ان قضى مدةً في بيت حميهِ استأذنهُ في الرجوع الى بلادهِ وسافر هو وزوجتهُ بعد ان ودّعا اباها وسائر اسرتها فقضيا بقية ايامهما في بلاد الانكليز وهما على اتم الرغد واصفى النعيم

الشعر

(تابع لما في الجزء السادس)

ومن تتبع كلام الشعراء وجد من تبسطهم في المعاني وتفننهم في تصويرها ما لا يحيط بهِ الحصر ولذلك نكتفي بما أوردناهُ في هذه المُجالة للمقابلة بين المعنى الشعريّ والمعنى العاميّ ومن أراد الوقوف على اكثر مما ذكرنا فليرجع الى كتب البديع فان معظم مدارها على هذه الفنون

على ان اكثر ما تجدهُ من هذا التفنن في المعاني من مخترعات المولدين وقد كان شعر المتقدمين عن الكثير منهُ بمعزل وانما كانت عناية المجيدين منهم اذا أخذوا في شقٍ من الكلام ان يجعلوهُ تاماً مستوفي الجهات وصفاً كان أو غيرهُ فيعطونهُ حقهُ من السرد والاحاطة مع مراعاة وجوه المقابلة بين أطراف المعاني والربط بينها بموافقةٍ أو مضادةٍ أو التقفية عليها بنحو استدراكٍ أو تذييل مما لا يخرج عن السياق الطبيعي وذلك على غير قلقٍ في التنسيق ولا غلوٍّ في الوصف ولا ابعاد عن الحقيقة خلا ما تزيَّن بهِ أحياناً من الصور المجازية أو يُقرَن بها من ضروب التشابيه التي هي نوعٌ من الحقيقة وهو أظهر ما يمتاز بهِ شعر المتقدمين عن شعر المولدين ونحن نورد هنا شيئاً من كلامهم يظهر بهِ مذهبهم فيهِ كقول الحطيئة

وفتيانِ صدقٍ من عديٍّ عليهمِ		صفائحُ بُصرَى عُلّقت بالعواتقِ
اذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهمُ		ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافقِ
وطاروا الى الجُرد العتاق فألجموا		وشدّوا على أوساطهم بالمناطقِ

الصفائح السيوف وبُصرَى بلدةٌ بالشأم اشتهرت بصنع السيوف والجرد

الخيل القصار الشعر والعتاق الكريمة . يصفهم بالبسالة والتأهب للنزال والخفوف لنجدة الداعي على غير اهتمام بمعرفته ولا مبالاةٍ بما وراءهُ من المظائم وهي نهاية ما يوصف بهِ الشجاع وكل ذلك من الوصف الطبيعي كما تراهُ الا انهُ استوفى المعنى فيهِ الى آخر دقائقهِ . وكقول عنترة

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما ... ركد الهواجر بالمشوف المُعلَمِ

بزجاجةٍ صفراء ذات اسرّةٍ ... قُرنت بأزهر في الشمال مفدَّمِ

فاذا شربتُ فانني مستهلكٌ ... مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلَمِ

واذا صحوتُ فما أقصّر عن ندًى ... وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

وصف حال شربهِ ووقتهُ وآنية شرابهِ ثم وصف نفسهُ في حال الشرب بانهُ اذا سكر بذل مالهُ على أصحابهِ ولكنهُ لا يتهتك ولا يخرج عن تصوّنهِ وعفافهِ ثم أتمّ المعنى بان ما ذكرهُ من السخاء غير مقصورٍ منهُ على حال الشرب ولكنهُ اذا صحا كان كذلك ومحصَّل المعنى انهُ سخيٌّ بمالهِ ضنينٌ بعرضهِ وانهُ اذا سكر لم يخرجهُ السكر الى التهتك واذا صحا لم يخرجهُ الصحو الى الشُحّ فاستوفى وصف نفسهِ في الحالين . ومن هذا قول حاتم الطائي

بُلينا زمانًا بالتصعلك والغنى ... وكلٌّ سقاناهُ بكأسيهما الدهرُ

فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ ... غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقرُ

يقول انهم تعوّدوا شدة الدهر ورخاءهُ فهم اذا كانوا في ثروةٍ ويسر لم تبطرهم النعمة ولم يحملهم الغنى على البغي واذا أدركهم الفقر ومسّتهم الضرورة لم يلجئهم ذلك الى الضراعة ولم يُزرِ بأحسابهم . فترى ان كل واحدٍ من هؤلاء الشعراء قد عمد الى المعنى الواحد فاستوفى أطرافهُ وأحاط بجميع

وجوههِ حتى أصبح قائماً بنفسهِ لا يتوروهُ نقص ولا تصاب فيهِ ثامةٌ للنقد. وهذا أصلٌ من الاصول المعتبرة في الشعرِ وهو محطّ البلاغة وسعة تصرف الخاطر ولذلك لا يكاد يهجم عليهِ الا اكابر الشعرآء المجيدين من الجاهلية كانوا او المولدين. وهو في شعر المولدين اقلّ لبعد مأتاهُ وخشونة مركبهِ مع انصرافهم عنهُ الى العناية بالمعنى الجزئيّ وابرازهِ في الصور الغريبة ومن امثلتهِ في كلامهم قول ابرهيم بن العباس الصولي وهو من شعرآء الدولة العباسية

ساشكر عمرًا ما تراخت منيّتي　　ايادي لم تُمنَن وان هي جلّتِ

فتىً غير محجوب الغنى عن صديقهِ　　ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلّتِ

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها　　فكانت قذى عينيهِ حتى تجلّتِ

خلتي فقري والقذى ما يقع في العين من غبارٍ ونحوهِ. وقول الشريف الرضي

ولقد وقفت على ربوعهمِ　　وطلولها بيد البلى نهبُ

فبكيت حتى ضجّ من لغبِ　　نِضوي ولجّ بعذليَ الركبُ

وتلفتت عيني فمذ خفيت　　عني الطلول تلفت القلبُ

اللغب الاعيآء. والنِضو البعير المهزول. ومن هذا قول ابي الحسن الجُرجاني

وقالوا توصّل بالخضوع الى الغنى　　وما علموا ان الخضوع هو الفقرُ

وبيني وبين المال شيئان حرّما　　عليّ الغنى نفسي الابيّةُ والدهرُ

اذا قيل هذا اليُسر ابصرتُ دونهُ　　مواقف خيرٌ من وقوفي بها العسرُ

وقول ابن حزم

لئن اصبحتُ مرتحلاً بجسمي　　فقلبي عندكم ابدًا مقيمُ

ولكن للعيان لطيفُ معنىً　　لهُ طلب المعاينةَ الكليمُ

ومن الطف ما جآء من هذا النوع قول الوأوآء الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني　　　وعاتباهُ لعل العتب يعطفهُ
وعرّضا بي وقولا في حديثكما　　　ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ
فان تبسم قولا في ملاطفةٍ　　　ماضرَّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وان بدا لكما في وجههِ غضبٌ　　　فغالطاهُ وقولا ليس نعرفهُ

فانك ترى في هذه الامثلة كلها من استقلال المعاني واستكمال اجزآئها وارتباطها مع النظر في اعطاف كل معنى لاستنباط دقائقهِ ما لو استمرّ على مثلهِ شعرآء المولدين لم يتملق بشعرهم شعر احد من الجاهليين • وعندنا ان هذا هو الاسلوب الذي كان ينبغي ان ينبه عليهِ جهابذة هذا الشأن في النسج على منوال الاوائل وهو عمود الشعر الصحيح ومحط رحال بلاغتهِ وميدآء حلبة المجيدين فيهِ • واذا استقريت شعر المولدين من اول صدر الاسلام فما يليهِ وجدت اوائلهُ وما كان منهُ لعصر الامويين وأوائل عهد العباسيين اشبه بشعر الجاهليةّ لجريهم فيهِ على ما تلقوهُ من اسلوبهم خلا ما فضلوهم فيهِ من التأنق في اختيار الالفاظ وما على شعرهم من مسحة الحضارة التي فاتت اشعار الاولين ثم تجدهُ بعد ذلك يباينهُ عصراً بعد عصرٍ بتبدُّل الذوق والخروج الى الصنعة والوَلوع بالإغراب واستكراه القرائح على النظم الى ان تجد اهلهُ قد صرفوا دقة نظرهم الى التشاغل بالمعاني الجزئيّة دون الربط بين جملة معاني الابيات وصار معظم عنايتهم بالتفنن في الخيال المحض والامعان في ابتكار الغريب الى ما يتصل بذلك من الفنون البديعية مما ترى شرحهُ وامثلتهُ في اماكنهِ ثم انتقلوا الى الاشتغال بالجناسات

اللفظية والخطيّة لعجزهم عن استنباط المعاني وقصورهم عن الوصف الصحيح الا ما ندر بحيث اصبح الشعر صورةً لا معنى لها الى ما انتهى اليهِ في عصرنا هذا من الاكتفآء بالوزن والقافيـة على ما في كثيرٍ منهُ من الخلل حتى في هذا القالب المحسوس بحيث صرت ترى الزجل العاميّ وما اشبههُ خيراً من كثيرٍ مما تسمعهُ حتى من شعر بعض الخاصة

والسبب فيما ذكرناهُ ان المولدين لما اوغلوا في اودية الشعر وصار صناعة يُتكسب بها واقبل الملوك والكبرآء على الشعر واغلوا سيمتهُ واجازوا اربابهُ الجوائز السنية اخذوا يتبسطون فيهِ وتناولوا اغراضهُ من كل صوب فاتسع لهم المجال فيهِ ولا سيما مع كثرة الاغراض واختلافها مع ما تقتضيهِ حال الملك والبسطة في الغنى واتساع آلات الدولة ومرافق المدنية وتواتر الغزوات والفتوح ومع اختلاف ما يكتنفهم من الاشيآء التي كانوا يتناولونها في الاستمارات والتشابيه مما لم يكن للبدويّ فيهِ يدٌ ولم يقع تحت حسهِ. وذلك فضلاً عن ان البدويّ لم يكن يتكلم الا في اغراضهِ الخاصة ووصف الشؤون التي وقعت لهُ والشاعر الحضريّ لما كان مدعوًّا الى النظم فيما هو وراء شأنهِ الخاص من وصف رونق الملك ومظاهر الابهة وزخارف الحضارة واشيآء الترف اخذ ينظر فيما حولهُ واختلق بدائع الصور وغرائب التماثيل فتفنن في المعاني بما لم يبلغهُ البدوي ولم يكن لهُ اليهِ سبيل ولذلك غلبت على شعر المولدين الصنعة والتفنن في استنباط المعاني النادرة وابرازها في القوالب الناصعة من اللفظ دون الصدور عن تلقين الطبع ووحي القريحة الصرفة . ولهذا فانك كثيراً ما ترى تفاوتاً في شعر الشاعر الواحد بين ان ينظم في اغراض نفسهِ ويتكلم

فيما يبعثهُ عليهِ طبعهُ او يتوخى مدحاً لاحد الرؤساء او تهنئةً او غير ذلك من الاغراض المستدعاة التي يسخر فيها قريحتهُ للكلام في امور ليست في شيء من غرضهِ ووجدانهِ او يتوخى مباراة سائر الشعراء في اختراعاتهم للمعاني وايغالهم في طلب الغريب منها . وهذا لا تكاد تراهُ في شعر المتقدمين لانهُ لم يكن يعترض قرائحهم هوى ممدوح ولا ارضاء مستجدًى ولم يكن بينهم مباراةٌ الا في الكشف عن المعاني الطبيعية والاحاطة ببليغ الاوصاف وخفيّها مما تمثَّل بهِ الصورة الطبيعية بابلغ ما تصل اليهِ الملكة اللسانية . وذلك لا يقتصر على المعنى الواحد ولكنهُ كثيراً ما يتعدى الى تمداد صفاتٍ كثيرة يجرون بها على مثل ما ذكر وهذا ولا شك اعزّ منالاً واوعر مسلكاً والفائزون بغررهِ قليل نذكر منهُ قول زينب بنت الطثرية ترثي اخاها يزيد

فتًى قُدَّ قدَّ السيف لا متآزفٌ　　ولا رَهِلٌ لَبَّاتهُ وبآدلهُ

المتآزف القصير الخطو والرَهِل المسترخي اللحم واللبَّات اعالي الصدر والبآدل جمع بأدلة وهي لحمةٌ بين الابط والثندوة

فتًى ليس لابن العمّ كالذئب ان رأى　　بصاحبهِ يوماً دماً فهو آكلهُ

يسرُّك مظلوماً ويرضيك ظالماً　　وكل الذي حمّلتهُ فهو حاملهُ

اذا جدَّ عند الجدّ ارضاك جدُّهُ　　وذو باطلٍ ان شئت الهاك باطلهُ

فتًى لا يرى ما فاتهُ مهلكاً لهُ　　ولا الخالدَ ما ضمَّت عليهِ انامُلهُ

وقد كان يروَى المشرفيُّ بكفهِ　　ويبلغ اقصى حَجْرة الحيّ نائلهُ

الحَجْرة الناحية والنائل العطاء .

اذا القوم أمُّوا بيتهُ فهو عامدٌ　　لأحسن ما ظنّوا بهِ فهو فاعلهُ

فانظر الى هذه الاوصاف البديعة التي تمثل صاحبها في اشرف حال من كمال الخَلق والخُلق والاستيلاء على المحامد وعلوّ الهمة وكرم الخلال من غير ان ترى فيها شيئاً من الغلوّ الذي تراهُ في شعر المولدين . لا جرم ان مثل هذا الوصف اوقع في النفس واجدى في باب المدح من تلك المبالغات السمجة التي ترى عليها مسحةً من الكذب ولا تفيد شيئاً في تصوير صفة الممدوح اذ لا يعيرها السامع جانب التصديق ولا يتصور فيها شيئاً من الحقيقة ولكنها مجرد تلاعبٍ في الكلام لا يخرج في نظر الناقد عن باب الفكاهة والملحة بل ربما خرجوا بالكلام الى حد الهذيان كقول المتنبي

وأُقسمُ لولا أنّ في كل شعرةٍ لهُ ضيغماً قلنا لهُ انت ضيغمْ

يقول لولا ان في كل شعرةٍ من ممدوحهِ اسداً اي لولا ان شجاعتهُ تزيد على شجاعة الاسد بعدد شعر بدنهِ لسماهُ اسداً . وانظر اين هذا من قولهِ

ولولا احتقار الأُسد شبهتهم بها ولكنها معدودةٌ في البهائمِ

فانهُ ذكر هنا وجهاً صحيحاً لانهُ فضّلهم على الأُسد بالانسانية لا بكونهم اشجع منها فضلاً عن ان تقوم كل شعرةٍ منهم مقام اسد . وكقول الآخر

لو لم تكن نية الجوزآء خدمتهُ لما رأيت عليها عقدَ منتطقِ

الجوزآء من صور الكواكب في وسطها ثلاثة انجم مصطفّة يسمونها نطاق الجوزآء يقول لولا ان الجوزآء تنوي خدمة الممدوح لما عقدت النطاق في وسطها وهو كالمئزر يشدّهُ الخادم في وسطهِ . واصحاب البديع يرون هذا من حسن التعليل وقد ذهلوا عما فيهِ من الافراط في الغلوّ حتى صار اشبه بالهزؤ منهُ بالمدح . وقول ابي تمام

بيومٍ كطول الدهر في عرض مثلهِ　ووجديَ من هذا وهذاكَ اطولُ

اراد ان يبالغ في طول اليوم فجعلهُ كطول الدهر ثم لم يكفهِ حتى جعل لهُ عرضاً ولم يُسمع ان للزمان عرضاً الا في هذا البيت . واغرب منهُ قول الآخر

اسكرُ بالامس ان عزمتُ على الـ　شرب غداً انَّ ذا من العجبِ

وصدق انهُ من العجب ولكن اعجب منهُ ان يخترع المرء مثل هذه الخرافة ثم يتعجب منها . ومن ذلك قول الحلي

لو قابل الاعمى غدا بصيرا　ولو رأى ميتاً غدا منشورا

ولو يشا كان الظلام نورا　ولو اتاهُ الليل مستجيرا

آمنهُ من سطوات الفجرِ

وكل هذا مما لا يقبلهُ العقل ولا يحسن في الذوق ولا فيهِ شيءٌ من الاختراع انما هو ان يعمد الشاعر الى الاحوال الطبيعية وهي بين يديهِ وفي ذهن كل احد فينقضها او يخرجها الى ما وراء حدودها فيقول فلانٌ اذا زجر الريح مثلاً وقفت عن مسيرها واذا غضب على الشمس لم تشرق ولو شاء لجعل البحر في كفهِ ولو ضرب بسيفهِ الجبل لقدَّهُ وقس على ذلك مما لا يصعب على الفكر الانتقال اليهِ بل الذي عندنا ان كل ذلك مهما اختلفت صورهُ لا يُعدّ الا معنًى واحداً اذ حاصل هذه الصور كلها امرٌ واحد وهو اخراج الاشياء عن مطبوعها　(ستأتي البقية)

اللؤلؤ

ما برح اللؤلؤ من أقدم زمن محلاًّ لتنافس الملوك والكبراء وأرباب الثروة والترف ولعلهُ الصنف الوحيد من المركَّبات الحيوانية الذي ضارع

الجواهر المعدنية وعمّ استعمالهُ في المصوغات والملابس وسائر أدوات الزينة . والظاهر انهُ أول ما استُعمل في نواحي آسيا لكثرتهِ على شطوط البحر الهندي ولم يُعرَف عند اليونان الا منذ عهد الحروب المادوية وقد وُجد شيء منهُ في مدافن المصريين من زمنٍ لعلهُ يقرب من عهد موسى وأما عند الرومان فكان في غاية الندور الى حرب الجمهورية مع مثريدات ثم شاع استعمالهُ وصار من لوازم زينة النسآء حتى يقال ان لوليا بولينا زوجة الامبراطور كاينولا كانت تتزين منهُ بما تنيف قيمتهُ على ثمانية ملايين من الفرنكات وانتشر استعمالهُ بعد ذلك في سائر أوربا وكثر التنافس بهِ حتى ان بعض مترفات النسآء كنّ يخطنهُ على أحذيتهنّ

أما تركيب اللؤلؤ فهو من طبيعة الصدف أي مؤلف من كربونات الكلس يخالطهُ مادةٌ حيوانية وهو يتولد في باطن الصدف اما لاصقاً بهِ أو منفصلاً عنهُ في جوف الحيوان الذي يستبطنهُ وهو في الحالين ينشأ عن حدوث أذًى من جرحٍ أو وخز يلحق الصدفة من قِبَل نهش بعض الهلاميات المفترسة أو دخول جسمٍ غريب الى جوف الحيوان من حبّ رملٍ أو غيرهِ يتأذى بهِ فيدعوهُ ذلك الى افراز مادةٍ صدفية لزجة تسد ذلك الجرح أو الوخز أو تغلّف الجسم الغريب فيجتمع هناك عدة طبقات رقيقة يتراكب بعضها فوق بعض وتزداد بالتدريج حتى تصير كتلةً مجتمعة هي الدرّة الا أن الدرّ الذي يتكون في جوف الحيوان يكون على الغالب أجمل وأتمّ استدارةً من الذي يتكون على جدار الصدفة

واكثر ما ينشأ اللؤلؤ في خليج فارس وشطوط اليابان وجزيرة سيلان

ولهُ مغاوص أيضاً في خليج المكسيك وشطوط هولندا الجديدة . وأشهر مغاوصهِ الذي عند جزيرة سيلان ومسافتهُ امام الجزيرة تبلغ نحواً من عشرين ميلاً . وهو يصاد هناك من اوائل فبراير الى أواخر ابريل فيجتمع الغواصون في هذا الفصل من كل سنة زرافاتٍ ويغوص الرجل بين سبع وثماني مرات في صباح كل يوم يلبث في كلٍّ منها تحت الماء من دقيقتين الى خمس ويصطاد من ٣٥٠ الى ٤٠٠ صدفة يجعلها في شبكة أو شكيكة اي سلة يستصحبها لذلك فاذا خرج أفرغها على حُصرٍ تُبسَط في قعر حفرةٍ وتُترَك الصدف معرَّضةً للهواء والشمس حتى تنفتح فيفسد لحمها وبعد انحلالهِ تُخرَج اللآلئ التي تكون فيها وتُغسَل وتُجلَى بمسحوق الصدف ثم توضع في غرابيل متفاوتة اتساع الخُرَب فيتميز كل حجم منها وحدهُ وبعد ذلك يثقبونها وينظمونها في السموط

وحجم اللؤلؤ يختلف فيكون تارةً اصغر من حبة الكزبرة وتارةً اكبر من بيضة الحمام والكبير منهُ نادرٌ وثمنهُ يكون تبعاً لحجمهِ لا لوزنهِ على حد سائر الجواهر الكريمة وقد كان العرب يضربون المثل بقرطي مارية وهي مارية بنت ارقم بن ثعلبة الحميريّ من ملوك اليمن كان لها قرطان كل واحدٍ منهما درّةٌ كبيرة كبيضة الحمامة واكبر ما ذُكر من الدرّ في ايامنا دُرّةٌ جاء بها رجلٌ من المكسيك الى لندرا سنة ١٨٨٤ وزنها ٩٣ قيراطاً اي ما يقرب من ٦ درام قُدّرت قيمتها بنحو ٣٥٠٠ جنباي

وقد تقدم ان اللؤلؤ ينشأ عن حدوث جرحٍ ونحوهِ يلحق الصدف وقد تنبه الناس لذلك فيهِ فعمدوا الى حمل الصدف على افرازهِ بالحيلة واول

من فعل ذلك فيما روى ابولونيوس الشاعر اليوناني العرب القاطنون على شواطئ الخليج الفارسي قال فانهم لما رأوا هذه الاصداف تفرز في موضع الجرح سيالاً اذا جفّ كان لهُ لمعةٌ قُزَحيّة تمثل لهم ان يستخدموا ذلك لاستخراج الدرر بالطريقة الصناعية فكانوا يصطادون الاصداف حيّةً ويجرحونها بنحو مسلّةٍ يدخلونها في مَشَقّ الصدفة ثم يطرحونها في منخلٍ من حديد على اناء مملوء مآء فيتساقط السيال الذي يخرج من جراحها في المنخل على هيئة قطرٍ مستدير ثم يجمد فيكون لؤلؤاً . اه . وفي هذا القول الاخير مبالغةٌ لا تخفى الا ان الامر في اصلهِ غير بعيدٍ عن الامكان فان اهل الصين فيما يقال يستخدمون هذه الطريقة الى اليوم فيعمد اهل الصناعة منهم الى الصدف الحيّ و يغرزون في احد جانبيهِ طرف سلكٍ من حديد و يعيدونهُ الى المآء فيفرز حول موضع الجرح مادّةً شبيهةً بالصدف تتصلب شيئاً بعد شيء فيأخذونهُ بعد ذلك و ينزعون ما أُفرز منهُ لكن اللؤلؤ الذي يتخذ بهذه الطريقة لا يكون تامّ الشكل ولذلك لا يصلح الا لبعض الصناعات

وقد عمد صناع اوربا في محاكاة اللؤلؤ الى غير ذلك فصنعوا اولاً لآلئ خرطوها من الصدف نفسهِ الا انها جآءت مباينةً لمنظر اللؤلؤ فلم يُرغَب فيها فعدلوا الى الطريقة التي كانت تُستعمل قديماً في البلاد المصرية والفينيقية وهي ان يعتاضوا عن الصدف بالزجاج قيل واول من خطر لهُ ذلك زجّاجان من اهل البندقية نحو سنة ١٤٠٠ ولذلك سُمّي هذا الصنف باللؤلؤ البندقي وكان يُصنع من زجاجٍ ابيض يشبه لون الصدف يُنفَخ و يُملأ صمغاً او شمعاً فانتشرت هذه الصناعة لوقتها الا انهُ كان لا يزال ناقصاً عن شبه اللؤلؤ

لخلوهِ من اللمعة القزحيّة التي يمتاز بها اللؤلؤ الطبيعي . واخيراً توصل الى انشآء هذه اللمعة بالطريقة الصناعية رجلٌ فرنسوي كان يعمل السُبَح يقال لهُ ياكين فانهُ عمد سنة ١٦٨٠ الى صنع لآلئ يخرطها من النهآء وهو حجرٌ ابيض ارخى من الرخام او يصنعها من عجين الورق ثم يطليها بطبقةٍ رقيقة من مادّةٍ قزحية اتخذها من حراشف صنف من صغار السمك فضيّ اللون بأن نزع حراشفهُ ونقعها في المآء حتى لانت وانحلّ ما عليها من مادّة اللون الفضيّ فأخذ تلك المادة بعد ما صفّى المآء من منخل وحفظها في الامونياك . ثم في سنة ١٦٨٥ استبدل كرات النهآء بكُراتٍ جوفآء من الزجاج طلاها من داخل بالمركب نفسهِ وهي الطريقة التي اعتُمدت مذ ذاك ثم ادخل عليها تحسيناتٍ شتى صارت بها من اجمل ما يتخذ للزينة حتى في البلاد التي يكثر فيها اللؤلؤ الطبيعي

مطالعات

حرير الهُلام (الجلاتين) - اخترع المسيو آدم ميلر من اهل ئلَسكا بأ كوسيا ضرباً من الحرير اتخذهُ من خيوط الهلام وذلك بان اخذ محلولاً من هذه المادة وركّزهُ اي اغلاهُ حتى طارت منهُ كل مادّةٍ مآئية وافرغهُ وهو حارٌّ في انابيب شعرية فتكوَّن منهُ خيوطٌ في غاية الدقة فلفها على بكر وبخرها عدة ساعات ببخار الفرملدهيد حتى امتنع قبولها للذوبان . وخيوط هذا الحرير شديدة اللمعان الا انها جافية الملمس واذا جُعلت في المآء البارد تجمد وتسترخي ومتى جفت تعود الى صلابتها ولكن يذهب لمعانها . وقد اخذت

الشركات الانكليزية تصنع هذا الحرير بمقادير كثيرة ويباع الكيلغرام منهُ بتسعة فرنكات

سرعة الريح — رُوقبت سرعة الريح في اعلى برج ايفيل فكانت مطّردة مدة الليل كلهِ على اختلافٍ لا يُذكر الى شروق الشمس ثم اخذت تتباطأ وكان معظم بطئها بعد الظهر . وذلك بخلاف المعهود منها على سطح الارض فانها تشتد من حين طلوع الشمس الى نحو الساعة الاولى بعد الظهر ثم تتباطأ شيئاً فشيئاً الى آخر الليل والظاهر ان هذا التفاوت مترتبٌ على اختلاف طبقات الهوآء ومن هنا يُعلَم انهُ يكفي ان يُرتقى الى علو ٣٠٠ متر حتى يُعلَم حال الريح في الجبال اي ان معظم سرعتها مع الاستمرار يكون ليلاً ثم تتناقص نهاراً بما يعترضها من الحركة العمودية الناشئة عن سخونة الارض

اصل حلقات زُحَل — من رأي المسيو بوغورُدسكي والمسيو غريغوروفتش من علماء الهيئة في موسكو ان حلقات زُحل مؤلفة من مذنَّب اجتذبهُ السيَّار اليهِ على حد سائر حلقات الشهب الدائرة حول الشمس . وقد بنيا هذا القول على ما ظهر لهما من الاختلافات الطبيعية بين زُحل وحلقاتهِ

عيُّ الصمت احسن من عيّ المنطق

وددنا لحضرة الاب شيخو لو ثبت على ما وعد بهِ آخراً من ان يعيرنا سكوتهُ ويمسك عن الكلام فيما نُظهِر من اغلاطهِ وان كنا نودّ ان لا يفوتنا

سماع اجوبتهِ والتفكه بما يورد علينا من فنون احتجاجهِ ولكن الظاهر انهُ عزّ عليهِ ان يكتم بضاعة علمهِ ولا يطلعنا كل مرةٍ على ما لا نجدهُ في كتبهِ مما يزيد في كشف مقاتلهِ ويزيد سلاحنا عليهِ شوكةً ونفوذاً

واغرب ما رأينا لهُ من ذلك ما جآء في الجزء الاخير من المشرق ردًّا على ما ذكرنا من جواب السائل عن بيتي عديّ بن زيد وهذا نص ما جآء في صفحة ٩٤ من السنة الثالثة نوردهُ بلفظهِ الشائق قال

« سئلنا عن بيتين لعديّ بن زيد ذكرناهما في شعرآء النصرانية (ص ٤٤٢) أهما من بحر الرمل كما قلنا او من بحر الهزج كما صحح البعض والبيتان المذكوران كما ترى

أيها الركب المخبّو　　ن على الارض المجدّونا
كما كنتم كذا كنّا　　كما نحن تكونونا

« ج ان هذين البيتين من الرمل لا من الهزج مهما زعم الزاعم والدليل على ذلك انهما وردا في الكتب القديمة على صور مختلفة تراها كلها تنطبق مع الرمل دون الهزج فكتاب الاغاني مثلاً (٢ : ١٨) رواهما

أيها الركب المخبّو　　ن على الارض المجدّون
فكما كنتمُ كنا　　وكما نحن تكونون

قال « وهذه الرواية اصح من الرواية السابقة وهي من الرمل لا من الهزج والالف في « كما » مختلسة في كلتا الروايتين كما ترى بالتقطيع وفي روايتنا اختُلست الف « كذا » ايضاً　ل٠ش »　(اي لويس شيخو) . انتهى كلامهُ لله درّهُ

فليتأمل المطالع اللبيب هل رأى في زمانهِ اعجب من هذا الدفع ولنفرض مع حضرة الاب ان هذين البيتين رُويا على صورٍ مختلفة (اي ثلاثٍ فما فوق ...) كما يقول فهل كان سؤال السائل عن تلك الصور المختلفة ام عن الصورة التي رواها في شعرآء النصرانية . واذا كانت تلك الصور كلها تنطبق مع الرمل (كذا) فهل يلزم من ذلك ان تكون الصورة التي رواها هناك تنطبق «مع» الرمل ايضاً . ثم باي دليل من أدلة عامهِ حكم بان الرواية التي يزعم انهُ نقلها عن الاغاني اصح وهل من مجازفةٍ بعد هذا القول والا فما هذه الفآء في صدر البيت الثاني ولمَ عدل فيهِ عن قولهِ «كما انتم» كما هي الرواية الاصلية الى قولهِ «كما كنتم» وايهما يقتضي سياق المعنى . وعلى تسليم ان الرواية المذكورة اصح فلمَ لم يعتمدها في شعرآء النصرانية وكرر البيتين في مجاني الادب (ج ٢ ص ١٨) بالصورة نفسها . على انا قد راجعنا رواية الاغاني لهذين البيتين[1] فوجدناهما بهذه الصورة

ايها الركب المخبون على الارض المجدّون
كما انتم كنـا و كما نحن تكونون

وهما من الهزج كما لا يخفى بنآءً على خزم البيت الاول كما ذكرناهُ هناك وعلى ضمّ الميم من انتم في صدر البيت الثاني . وبقي هنا ان يعلمنا كيف جاز على رأيهِ اختلاس الف «كما» والف «كذا» واين رأى مثل هذا الاختلاس الا في شعر بعض المبتدئين ممن تعلموا القرآءة عند امثال حضرة الاب فلم يميزوا الفرق بين حرف المدّ والحركة . وبعد هذا كلهِ فلا بأس ان نجاري

(١) انظر الجزء الثاني من الاغاني طبعة بولاق ص ٣٤

الاب على كل ما زعم ونعمد الى تقطيع بيتهِ بعد اختلاس الالفين كما يريد حتى لا يصدر في هذا المقام الاَّ عن تمام رضًى . والبيت الثاني بعد الاختلاس المذكور يأتي على هذه الصورة

كمَ كنتم كذَ كنّا كمَ نحنُ تكونونا

وهذه صورة التقطيع

أَيُهِرْزَكْ . بِلْمُخْبِبُو نَعَلاَزْ . ضِلْمُجِدْدُونَا

فاعلاتن . فاعلاتن فعلاتن . فاعلاتـتن

كَمَكُنتُمْ . كَذَكُنْنَا كَمَنَحْنُ . تَكُونُونَا

فَعِلاتن . فَعِلاتن فَعِلاتُ . مفاعيلن

وعهدُنا بحضرة الاب انهُ من الذين الّفوا في العروض فليقل لنا هل جاء الرمل في كتابهِ او في شيء من الكتب الكثيرة التي قرأها على هذه الصورة . ثم انهُ يقول ان الف « كما » مختلسة « في كلتا الروايتين » اي في الرواية التي يزعم انهُ نقلها عن الاغاني ايضاً فيكون البيت الثاني من هذه الرواية على هذه الصورة

فكمَ كنتمُ كنا وكمَ نحنُ تكونون

وهذه صورة تقطيعه

فَكَمَكُنْ . تُمْكُنْنَا وَكَمَنَحْ . نُتَكُونُونْ

فَعِلتن . فَعِلاتن فَعِلتن . فَعِلاتان

وهذا كما تراهُ اقرب الى المجتثّ منهُ الى الرمل لان « فَعِلتن » يمكن ان تكون محوَّلةً عن مستفعلن بالخبل ولا نعلم وجهاً يصير بفاعلاتن الى فَعِلتن . وبعدُ

فما ندري لمَ يريد ان يختاس الالف هنا مع انها لو بقيت لكان وزن البيت صحيحاً لأن الجزء حينئذٍ يجيء على « فعِلاتن » فيبقى البيت من الرمل كما هو مرادهُ وهو غريب

واخيراً فعلى فرض ان هذا التخليط المموَّه جاز علينا وعلى كل من اطّلع عليهِ وصح ان هذين البيتين من الرمل ولو قال الناس كلهم انهما من الهزج وعددنا كل اقوالهم « زعم زاعم » على حد جميع المآخذ التي رُمي بها حضرة الاب من « ابيات الحلي » الى حديث « القمر والمدّ » الى « بيت اللازورد » الى آخر ما دافع عنهُ مما لا يزال الادبآء يتعجبون من براعتهِ فيهِ الى اليوم فما يصنع بسائر الابيات والقصائد التي رواها في شعرآء النصرانية ومجاني الادب وعلم الادب والالفاظ الكتابية وخلط في تسمية ابحرها او أفسد اوزانها بما لا يذكر معهُ غلطهُ في هذين البيتين . ولئلا يظن ان في هذا القول شيئاً من المبالغة او الافتئات فانا نستأذن المطالع الكريم في ايراد بعض ما اتفق لنا العثور عليهِ في الكتب المذكورة وان اطلنا عليهِ بعض الشيء . فمن ذلك ما رواهُ في شعرآء النصرانية (صفحة ١٣) لامرئ القيس وزعم انهُ « من بحر الرجز »

تطاول الليل علينا دَمُّونْ دَمُّونُ انّا معشرٌ يمانونْ
وانّنا لاهلنا محبُّونْ

وكل من عرف شيئاً من مبادئ العروض لا يخفى عليهِ ان هذا من مشطور السريع لا من الرجز . واغرب منهُ ما رواهُ لهُ (ص ٦٠) وزعم انهُ « من الرجز » ايضاً

ابلغ شهاباً وابلغ عاصماً   هل قد اتاك الخُبر مالِ
انّا تركنا منكمُ قتلى وجر   حى وسبايا كالسمالي
يمشين بين أرحلنا معترفا   تٍ ما بجوعٍ وهزالِ

وعلى المطالع الاديب ان ينظر من اي بحرٍ هذه الابيات . وروى لحاتم الطآئي (ص ١٠٤) « من الطويل »

عمرو بن اوسٍ اذا اشياعهُ غضبوا   فاحرزوهُ بلا غرمٍ ولا عارِ

وما ندري كيف يكون هذا من الطويل . ومثلهُ ما رواهُ لقسّ بن ساعدة (ص ٢١٦) « من مجزوء البسيط »

الحمد لله الذي   لم يخلق الخلقَ عبَث

وكذا ما رواهُ (ص ٢٦٢) لبسطام بن قيس الشيباني « من الوافر »

ما للفضائل عن مديحك معزلٌ   ام غير بابك للانام مؤمَّلُ

فليتأمل العارف في هذا الخبط الغريب ثم لينظر كيف يجوز ان يصدر مثل هذا الشعر الاخير عن اصغر غلمان العرب فضلاً عن رجل مثل بسطام ان صحّ ان لهُ شعراً . واسمع ما جآء بعدهُ

سعدٌ خُصصتَ بهِ وما من معجزٍ   الاّ لك فيهِ الذراع الاطولُ

اترى احداً من عامّتنا اليوم يرضى ان يُنسَب اليهِ مثل هذا الشعر . وقولهُ من هذه القصيدة ايضاً

اقبل هدية من اتاك بفرحةٍ   متحققاً فيك الذراع الاطولُ

فهل من هذيانٍ بعد هذا وهل من يشك ان هذا القول المعجون بالخطأ واللغو من تلفيق القصاصين في قصة عنترة . ومن ذلك ما رواهُ (ص ٤٦٠)

لعديّ بن زيد « من السريع »

ابلغ أبيّاً على نأيهِ وهل ينفع المرءَ ما قد علم

وروى لهُ (ص ٤٧١) « من السريع » ايضاً

انعم صباحاً علقم بن عديّ اذا نويت اليوم لم ترحلِ

وروى لهُ (ص ٤٧٣) « من الرمل »

يا لرهطي اوقدوا نارا ان الذي تهوون قد حارا

وروى لأوس بن حجر (ص٤٩٢) « من الخفيف »

ايتها النفس أجملي جزعا ان الذي تكرهين قد وقعا

وروى لعبيد بن الابرص (ص ٦١٣) « من المنسرح »

صاحِ ترى برقاً بتُّ ارقبهُ ذات المشآء في غمائم غُرِّ

فحلَّ في بركةٍ باسفل ذي ريدٍ فشنَّ في ذي العُتَيرِ

فمَنْسَ فالعنابَ فجَنْبَيْ عردةَ فبطن ذي الأَحفُرِ

كذا نقلنا هذه الابيات برسمها وانظر الى اي بحرٍ تردّها اما الفاظها فاكثرها فيما نظن من البحر الهندي ... وروى لذي الاصبع العدواني (ص ٦٢٥) « من مجزوء الوافر »

وليس المرء في شيء من الابرام والنقضِ

اذا ابرمَ امراً خا لهُ يُقضَى وما يقضي

وبين هذا ومجزوء الوافر فرقٌ يعلمهُ غير حضرة الاب . ومثلهُ ما رواهُ (ص ٧٧١) لدريد بن الصمة « من مجزوء الكامل »

كانني رأسُ حَضَنٍ في يوم غيمٍ ودُجَنٍ

والفرق بين هذا ومجزوءه الكامل مثل الفرق بين البحرين السابقين •

وروى لعنترة (ص ٨٢٦) « من المتقارب »

ارض الشربَّة شعبٌ ووادي　　رحلتُ واهلها في فؤادي

قلنا رحم الله عنترة فما رأينا احداً ظُلم ظلمهُ في الشعر كما لم نرَ احداً نُسب اليهِ من الشجاعة والبطش ما نُسب اليهِ وما كان ابرّ هؤلآء الناس بهِ لو تركوا لهُ شعرهُ ولم يحلوهُ هذه الشجاعة التي لم تثبت لهُ عند العقلآء مع لصوق ذلك الشعر بهِ وهو بريءٌ منهُ براءة الذئب من دم ابن يعقوب • وهذا البيت من ابياتٍ بل قصائد برمتها نُسبت اليهِ حتى أُنزل الى طبقة القصّاصين ومن على شاكلتهم من جهلة العامّة ولنا في هذا وامثالهِ من الشعر الذي اثبتهُ الاب شيخو في مطبوعاتهِ لعنترة وغيرهِ كلامٌ طويل سنعود اليهِ فيما يلي • وقد طال بنا نَفَس الكلام فنقف الآن عند هذا الحد وموعدنا في استتمام رواية سائر الابيات التي اشرنا اليها الجزء الآتي ان شآء الله

اسئلة واجوبتها

برهيم (منوفية) — في نحو الساعة الرابعة بعد ظهر ١٧ يناير امطرت السمآء رذاذاً مدة عشر دقائق وبعدها ظهر نحو المشرق في السمآء هيئة منظر مستدير كشكل الهلال في أوائلهِ ولونهُ من اخضر واحمر وازرق الخ وقد كان مشترك هذه الاقسام من كل لون وسمعت العامة يسمونهُ باسم « قوس » ويعتقدون انهُ عند ظهورهِ يمتنع نزول المطر فما سبب ذلك وما اسمهُ

محمود عبد الغني زيد

الجواب - لا نستغرب هذا السؤال من قاطنٍ في البلاد المصرية لان هذا المنظر اي منظر قوس قُزَح او قوس السحاب لا يكاد يُرى فيها . وهذه القوس تظهر متى كان في استقبال الشمس سحابةٌ ماطرة وكانت الشمس بقرب الافق والناظر مستدبرٌ لها وعلة ظهورها انعكاس اشعة الشمس عن قطرات المطر المتساقط من الجوّ بعد انكسارها فيها وانحلالها الى الوانها السبعة وهي الاحمر والنارنجي والاصفر والاخضر والازرق والنيلي والبنفسجي ويظهر الاحمر في أعلى القوس وتحتهُ النارنجي ثم الاصفر ثم الاخضر وهلمَّ جرًّا الى البنفسجي على ترتيبها المذكور . وهذا تراهُ في كل قطرة من قطرات الندى اذا وقعت عليهِ الشمس وكذا من البلور وما اشبههُ من الجواهر اذ ترى هناك الالوان السبعة لكن في قطرات السحاب لا ترى من كل قطرة الأ لوناً واحداً لان الالوان تخرج منها منتشرةً فلا يدخل العين منها الا شعاعٌ واحد هو الذي توافق جهتها جهة انكسارهِ ولذلك تجتمع هذه الالوان على هيئة طرائق تترتب بحسب زوايا انكسارها ويرى اعلاها الاحمر لانهُ اضعف الاشعة انكساراً واسفلها البنفسجي لانهُ اشدها انكساراً وما بينهما بين ذلك على الترتيب الذي ذكرناهُ . ثم ان هذه القوس تكون عادةً شفعاً اي قوسين احداهما وهي الاصلية من داخل والاخرى من خارج والتي من خارج يكون ترتيب الالوان فيها على عكس ترتيبها في الاصلية اي يكون اعلاها البنفسجي وتحتهُ النيلي ثم الازرق وهلمَّ جرًّا الى الاحمر وتكون الوانها اقلّ نصوعاً من الوان الاصلية . وفي تفصيل كل ذلك وبيان عللهِ الطبيعية شرح طويل يقتضي مقدماتٍ مسهبة لا موضع لها هنا

الزقازيق ـ نرجو ان تجيبونا عن هذين السؤالين

(١) بماذا تميز مَن الشرطية من مَن الموصولة

(٢) معلوم ان قد اذا دخلت على الماضي تكون للتحقيق ولكن اذا دخلت على المضارع فهل تكون تحقيقية على كل حال ام تدخل على المضارع للاحتمال مثل « قد تقع الرؤيا كما رؤيت » فان المعنى يقتضي في هذا المقام انها احتمالية ولكنها في مقام آخر لاتفيد الاحتمال كما في قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك في السماء » بل الظاهر انها تفيد التحقيق فما الصواب في ذلك

احد القرّاء

الجواب ـ اما تميز مَن الشرطية من مَن الموصولة فلا يخفى ان الشرطية هي الموصولة بعينها لكنها تُضمَّن معنى الشرط فيُجزَم بها وحينئذٍ يلزمها التصدر فلا يعمل فيها مما قبلها الا عامل الجرّ من حرفٍ او مضاف . ولك في هذه الحالة ان لاتعتبر فيها معنى الشرط فتعدّها اسماً موصولاً وترفع الفعل بعدها بالتجرد ومن هذا قول الراجز

مَن لا يزالُ شاكراً على المعَهْ فهوَ حرٍ بعيشةٍ ذات سعَهْ

واما اذا دخل عليها من العوامل ما ينقض صدارتها كأن تقع فاعلاً اومفعولاً بهِ او غير ذلك فهي موصولة لا محالة

واما قد فاشهر معانيها مع المضارع التقليل نحو قد يصدق الكذوب ومنهُ « قد تقع الرؤيا كما رُؤيت » .وقد تكون للتوقع نحو قد يقدم الغائب اليوم وهو يرجع الى معنى التقليل كما لا يخفى . وقيل قد تأتي مع المضارع للتكثير كما في قول الشاعر

قد اشهد الغارة الشعوآء تحملني جردآء معروقة اللحيين سرحوبُ

وللتحقيق نادراً نحو قد يعلم ما انتم عليهِ وبكليهما فُسّر قولهُ « قد نرى تقلب وجهك في السمآء » والله اعلم

كلٌ من عليها فان

ورد علينا من انبآء مرسيليا ما شقّ على المسامع والقلوب وتلقّتهُ الصدور بالانقباض والجباه بالقطوب ألا وهو نعي وطنيّنا العالم النحرير المحقق والكاتب البليغ المتأنق المرحوم عبد الله المراش الشهير احد نوابغ العصر الحالي بل احد كواكب الشرق الذي حسدنا عليهِ الغرب فاستأثر به أُخرَى الليالي قبضهُ الله اليهِ في السابع عشر من هذا الشهر عقب مرضٍ لم تَطُل مدّة المامهِ ولم تخطئ صوائب سهامهِ ولهُ من العمر احدى وستون سنةً كان فيها عنوان الفضل والاريحيّة ومثال النُبل والأَلمعيّة فذهب مزوَّداً بما قدّم من صالح الاعمال مذكوراً بما عُرِف بهِ من محاسن الصفات ومحامد الخلال مطر الله بصيّب الرضوان جوانب لحدهِ وأجمل صبر آلهِ ومحبّيهِ على فقدهِ وعوّض الادب وذويهِ خيراً من بعدهِ

وسننشر ترجمتهُ مع رسمهِ في الجزء التالي ان شآء الله

فكاهات

رواية

كيد المتناظرين [1]

رُوي ان واحداً من اكابر رجال البحرية الانكليزية اسمهُ ولكوت استقال من منصبهِ ومال الى السفر فجعل ينتقل من مكان الى آخر حتى بلغ الآستانة فأعجبتهُ الاقامة بها وبعد ان اقام مدةً وُفق الى منصب رفيع في حكومتها فاختار بقعةً من الارض على شاطئ البسفور بنى فيها قصراً بديعاً وغرس حولهُ حديقةً غنآء ثم تزوج بفتاةٍ رومية رزقهُ الله منها ابنةً دعاها اميليا ثم توفيت الزوجة فبقي الاب مع ابنتهِ يعتني بتربيتها وكانت سلوتهُ الوحيدة

وكان في انكلترا فتًى من اشرافها يدعى سسل توفي والداهُ وتركا لهُ مبلغاً وافراً من المال وكانت لهُ ابنة عمٍ اسمها كاترين اشتهرت بجمالها فجعل والدها يسعى في توثيق علائق الوداد بين كاترين وسسل ليزوجها بهِ ويضمن لابنتهِ زوجاً شريفاً ومستقبلاً سعيداً . اما سسل فلم يكن يميل الى كاترين وكان يجتهد في الابتعاد عنها بخلاف ما كانت عليهِ هي فانها مالت بكليتها اليهِ وبالاحرى مالت الى غناهُ واخذت تعلل النفس بالحصول عليهِ وبانها

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ستمتلك ثروتهُ فتنفق منها عن سعة على ملابسها وحليها وادوات زينتها فكانت لا تكفّ عن متابعة سسل حيثما ذهب وتقف في سبيلهِ اين سار حتى ضاق صدرهُ ولم يجد سبيلاً لاغتنام بعض الراحة منها الا ان يخرج حيناً للسياحة فسافر في ممالك اوروبا وزار عواصمها وبلغ الاستانة فتعرف بولكوت ودعاهُ هذا لقضآء بضعة ايام عندهُ وكان قد اعجبهُ موقع بيتهِ وحديقتهُ الغنآء فلبى الدعوة مسروراً . ولما كان في الليلة الاولى بعد العشآء جلست اميليا الى البيانو وشرعت توقع الحاناً اخذت بمجامع فؤاد سسل فاقترب من كرسيها وجعل يتأمل في حركاتها ومحاسنها فرأى جمالاً مفرطاً وذاتاً فتانة قد اجتمعت فيها العظمة الانكليزية والرقة الشرقية فافتتن بها وشعر اليها بميل غريب . ولما فرغت من الحانها جلست الى جانبهِ تحادثهُ في امور شتى فالفى هنالك فصاحةً وقوة تعبير وذكآء . وكانت تعتذر اليهِ من آن الى آخر انها وان تكن ابنة رجل انكليزي فهي تخاف ان تكون قد قصرت في الواجبات التي تُطلب من السيدة الانكليزية نحو ضيفها لانها لم تزر انكلترا بعد ولم تدرس قوانين جمياتها . فلم يكن كلامها الا ليزيد سسل افتتاناً بمحاسنها ويقوّي نبض الحب في قلبهِ . وقضى هنالك بضعة ايام كانت لهُ من خُلَس الدهر وكان يتمنى لو يقضي مدةً طويلة ولكن اعترضهُ لزوم السفر . فلما كان مسآء اليوم الذي نوى السفر في صباح غدهِ نزل واياها الى الحديقة يجولان بين رياحينها وازهارها وبينما هما يتمشيان قال سسل انكِ ولا شك سعيدة في هذه الجنة البديعة . فتنهدت اميليا وقالت اني اكون اعظم سعادةً لو كنت انكليزية . قال ولكنكِ انكليزية الآن . قالت نعم ولكني اشتهي لو اكون في

نفس انكلترا اعاشر اهلها وادرس كل جديد في عوائدها . ورأى سسل تلك الفرصة موافقة للاعتراف لها بحبهِ فقال اذا كان كذلك فاني اقف قلبي ويميني لابلغكِ هذه الامنية فهل ترومين الحصول عليها بواسطتي . فلم تبدِ اميليا جواباً بل اطرقت برأسها الى الارض وكان الغسق قد خيم فلم يتمكن سسل من مشاهدة احمرار وجنتيها وبريق عينيها لكنهُ شعر بميلها الشديد اليهِ .

وبينما هما كذلك سمعا صوت ولكوت يناديهما في الحديقة فامسكا عن الحديث حتى وافاهما واجتمع بهما فتحادثوا حيناً ثم صعدوا جميعاً الى القصر ولم يعد يتيسر لهما التكلم بشيء آخر في تلك الليلة . وفي الصباح قام سسل مودعاً وشاكراً ولما ودعتهُ اميليا القت في يدهِ شيئاً . وكان سسل يسير وهو شاعر بان قلبهُ باقٍ هناك لكنهُ تجلد الى ان يرى ما يجيء بهِ المستقبل . وكان الذي القتهُ اميليا في يد سسل قلباً من ذهب قد نُقش عليهِ كلمة لا تنسني فاخذ سسل يقبّل هذا الاثر ثم علقهُ الى سلسلة ساعتهِ

ولما عاد سسل الى انكلترا لم يقر لهُ قرار وقد شغلت افكارهُ اميليا فلم يعد يسر بشيء من كل ملذات لندن بل يفكر في ما عساهُ ان يفعل ومتى يعود الى اميليا . ولما جاءهُ عمهُ مسلماً عزم ان يخبرهُ بما طرأ عليهِ فقال لا اكتمك يا عماه . . . فقاطعهُ عمهُ قائلاً ان كتمت او لا فانا عالم بمحبتك لكاترين وان احدكما لا يكون سعيداً بدون الآخر فسأجتهد ان اعجل في قرانكما . قال سسل ولكن احب ان اخبرك ان . . . قال كفى كفى لا لزوم لاطالة الحديث فالامر معلوم وفي ظني ان كاترين ستزورك بعد قليل . ثم ودعهُ وخرج بمزيد السرعة ولم يترك لسسل فرصة لتوضيح افكارهِ

ولما كان المساء ذهب سسل الى نادٍ ليسرّي ما بهِ من القلق فاجتمعت عليهِ اصدقاؤهُ يهنئونهُ بايابهِ ثم قال احدهم وانا اهنئك بقرب قرانك واسأل الله ان يكون قراناً سعيداً. فاجفل سسل وقال ماذا تقول. قال عجباً افيكون ما قرأتهُ اليوم في احدى الجرائد مختلقاً. وللحال تناول جريدة بجانبهِ وقرأ فيها ما يأتي

« قد عاد المستر سسل من سياحتهِ وسيُحتفل عن قريب بعقد قرانهِ على ابنة عمهِ كاترين والاستعداد لذلك قائمٌ منذ الآن »

فبهت سسل وخطر لهُ ان يكذّب الاشاعة في الحال ولكنهُ خشي ان يعقب ذلك كلام يشين شرفهُ او شرف عمهِ فامسك وبعد قليل خرج من النادي وتوجه الى قصرهِ حزيناً آنساً وتناقلت الجرائد الخبر فجعلتهُ حقيقةً وكبر الامر على سسل ولم يعلم بأي وجهٍ يمكنهُ التكذيب وانتهى اخيراً بان قال ارى القضاء يدفعني جبراً الى الاقتران بكاترين ويبعد عني الملك الذي احبتهُ نفسي فلعل ذلك لحكمةٍ الهية اجهلها الآن. وتجسم عندهُ هذا الفكر حتى صمم على نسيان اميليا واجتهد ان يبتعد عن كل ما يقرّب اليهِ تلك الذكرى لكنهُ لم يستطع ان ينزع القلب الذهبي المعلق بساعتهِ فابقاهُ وسلم نفسهُ للقدر المتاح منتظراً ما عساهُ ان يقضي بهِ في امر ابنة عمهِ الا انهُ لم يكن يهتم بها ولا يزورها الا اذا دعاهُ والدها الى تناول طعام او قضاء سهرة

وكانت كاترين على اعظم مبلغ من الذكاء والجمال وكان الشبان يترامون على اقدامها ولكنها لم تكن تميل الى احدٍ منهم ولما رأت عدم مبالاة سسل بها احرقتها نيران الغيرة وقد علمت بكل ما كان منهُ في رحلتهِ الى الآستانة

فظنت انها ربما امالتهُ اليها اذا سمحت لمريديها ان يوالوا زياراتهم لها غير انهُ لم يكن ذلك ليؤثر في سسل وكان لا يرى نفسهُ الاَّ مشرَّد الافكار تائه البال . وكان من المولعين بكاترين شابٌ تركي من السفارة العثمانية في لندن اسمهُ يوسف بك فسمحت لهُ كاترين بالتردد عليها لتغيظ سسل ولامورٍ اخرى مطوية بينهما . وفي ذات يوم بينما كان سسل سائراً في طريقهِ اذا برجلٍ فقير الحال قد عارضهُ في طريقهِ طالباً صدقة فمد سسل يدهُ الى جيبهِ لينقدهُ شيئاً وللحال اختطف السائل القلب الذهبي من ساعة سسل وفرَّ هارباً . فتبعهُ سسل مسرعاً وما زال يعدو في اثرهِ الى ان فاتهُ فاضطرَّ الى الرجوع وقد بلغ منهُ الغضب والتعب فاعلم بالامر الشرط وعاد الى بيتهِ مغموماً . وكان مدعوًّا لتناول طعام المساء عند عمهِ فصبر ريثما استراح قليلاً ثم توجه الى هناك ودخل بدون ان يعلم بهِ احد الى غرفة الاستقبال فوجد كاترين ابنة عمهِ وامامها يوسف بك يناولها شيئاً لمعت منهُ لمعةٌ ذهبية وسمعهُ يقول لها ها قد اتممت الشرط الاول والثاني سأتممهُ عن قريب . ولما رآيا سسل امتقع لونهما وذهب كلٌّ الى ناحية . اما سسل فحدثتهُ نفسهُ ان يتهم ابنة عمهِ ورفيقها وقال لعل هذا الخبيث هو الذي سلب مني القلب ليحضرهُ اليها لانني اعلم ان كاترين لا تميل الى مرأى هذا التذكار . ثم خطر لهُ ان يتقدم الى كاترين ويطلب منها ان تريهُ الحلية الذهبية التي دفعها اليها يوسف بك ولكنهُ خشي ان يكون في ذلك ما لا تحسن عاقبتهُ فصمت وقضى بقية وقتهِ في محادثة كاترين . ورأت كاترين منهُ ميلاً اليها فهمَّت ان تطلعهُ على حقيقة مؤامرتها مع يوسف بك وتردَّ اليهِ القلب

الذهبي وتطلعهُ على شرٍّ اعظم كانت قد دبَّرتهُ وتسألهُ الصفح ولكنها ما لبثت ان تغلّب عليها روح الشرّ فصمتت عن كل ذلك

وفي اليوم الثاني سافر يوسف بك برخصةٍ الى الآستانة لمهمّاتٍ خصوصية وكان سسل يتناسى شيئاً فشيئاً شاطئ البسفور وساكنيهِ وقد رأى ان لا مناص لهُ من الاقتران بكاترين ومرَّت عليهِ بضعة ايام وهو في مزيد القلق والحيرة الى ان كان ذات يوم جالساً في النادي وقد اخذ جريدةً يسرّح نظرهُ فيها فوقع بصرهُ على عبارة فهم منها « ان اللص الشركسي الشهير اسماعيل قد نزل بعصابتهِ على بيت ولكوت فاختطف ولكوت وابنتهُ اميليا الى البراري التي يأوي اليها وانهُ لا يسلم الرجل وابنتهُ الاّ بفديةٍ قدرها ستة آلاف جناي » فما اتم قرآءة هذا الخبر حتى قدحت عيناهُ شراراً ثم وقف وقال هل يكون لي مال وعندي قوة وتهلك اميليا . كلاّ ثم كلاّ . وللحال اسرع الى السلك البرقي فطيَّر ثلاث رسائل الاولى الى سفير انكلترا في الاستانة يقول لهُ ان الفدية المطلوبة لاخلآء سبيل ولكوت وابنتهِ ستصل قريباً فيجب اعلام اللصوص بذلك . والرسالة الثانية الى صرّافهِ الخصوصي يأمرهُ ان يرسل مبلغ ثمانية آلاف جناي لامرهِ في بنك الآستانة . اما الرسالة الثالثة فكانت الى عمهِ يخبرهُ انهُ سيتغيب فجأةً لاسبابٍ عظيمة الاهمية ووجهتهُ الاستانة . وكانت كاترين في غرفة الاستقبال تقرأ في الجريدة خبر اختطاف ولكوت وابنتهِ وهي تقول في نفسها قبحك الله يا يوسف فقد وعدتني انك لا تصل الى هذا الفعل الاّ بعد نفاد كل الوسائل الاخرى فيالك من قاتل . واذ ذاك دخل عليها والدها وبيدهِ رسالة سسل فادركت للحال انهُ سافر لهذا السبب ثم تمثلت لها ردآءتها

وما اتفقت عليهِ مع يوسف للاقتصاص من تلك الفتاة البريئة وتجسمت امامها شرورها نخافت وسقطت الى الارض امام والدها وهي تصيح تبًّا لي من شقيَّة تبًّالي من مجرمة شريرة ثم اغمي عليها . ولم يدرِ والدها شيئًا من ذلك سوى انهُ امر بنقلها الى سريرها وتنشيقها الادوية المنعشة فأفاقت ثم طلبت ان تُترَك لنفسها ونامت

اما سسل فما زال يصل السير بالسرى الى ان بلغ الآستانة وتوجه توًّا الى بيت السفير ولم يألُ سعيًا في السؤال عن الذرائع التي يجب اتخاذها لخلاص اميليا ووالدها وبعد مراجعة زعيم اللصوص ارسل السفير بعضًا من رجالهِ لملاقاة اسماعيل وجماعتهِ في المكان المعين لتسليمهِ النقود والاستيلاء على ولكوت وابنتهِ . وكانت اميليا جالسة بالقرب من والدها وهما مكبلان بالقيود الحديدية فقال الوالد لا أمل لنا في النجاة مادام المبلغ المطلوب للفدية باهظًا بهذا المقدار. فقالت اميليا كيف ذلك أَوَلا تقدّر استطاعتك يا أبي باضعاف هذا المبلغ . قال بلى ولكن من لنا بانسان يهمهُ امرنا ليسعى في جمع المال . قالت لا يحتاج الامر الى جمع مال وانا واثقة بانهُ متى بلغ خبرنا الى سسل لا يتأخر عن دفع المبلغ والسعي في الافراج عنا وان يكن قد قطع حبل آمالي بكتابهِ الاخير . ولما قالت ذلك اجهشت بالبكاء . فبكى والدها ايضًا وبينما هما كذلك وافاهما زعيم الاشقياء . وقال هلمّ بنا نسلمكما الى السفير فقد اخبرنا ان فديتكما قد وُجد من يؤديها . قالت اميليا وهل عرفت اسم هذا المحسن . قال لا ولكنهُ انكليزي قدم من انكلترا لهذه الغاية . ثم سار الزعيم اسماعيل برجالهِ والاسيرين الى المحل المعهود ولما قربوا منهُ قدم نفرٌ من ناحية السفير

باكياس المال وتوجه نفرٌ من رجال الزعيم يقودون الاب وابنتهُ وهكذا تبودلت الامانات وسار كلٌ في طريقهِ . ولكن لم يتمد الزعيم برجالهِ كثيراً حتى عاد واغار فاختطف اميليا من يدي والدها واركبها امامهُ على جوادهِ وانطلق وانما فعل ذلك طمعاً في فدية اخرى لما رأى ان الفدية الاولى قد دُفعت بسهولة . وكان سسل خبيراً بغدر اولئك اللصوص وقد خطر لهُ من قبلُ امكان حدوث مثل هذه الفعلة فاستدعى عدداً غفيراً من اصحابهِ الانكليز وذهبوا بخيولهم الى الصيد فقادهم عن بعد الى المحل الذي تعين فيهِ فك الاسيرين وجعل يراقب ما يجري ولما رأى اختطاف الزعيم لاميليا بعد ان اخذ الفدية صاح باصحابهِ فهجموا بسيوفهم ولم يكن الا كلمح البصر حتى اغار سسل على الزعيم اسماعيل وبادرهُ بطعنة قاضية واستخلص اميليا وفرّ اللصوص بعد ان قُتل اناس منهم وجُرح آخرون وعاد اصحاب سسل باكياس المال وقد استرجعوها من اللصوص . وكانت اميليا غائبة عن الرشد فلما افاقت وجدت نفسها في البيت والى جانبها والدها وسسل فاقبل كلاهما يشكران سسل على همتهِ وفضلهِ في تخليصها . ورأى سسل في جمال اميليا وسحر عينيها ما ذكرهُ ايامهُ الاولى وخاف ان هو تأخر هناك ان تعاودهُ افكارهُ السابقة ويعرّض نفسهُ لكلام النادحين اذا خان ابنة عمه كاترين فصمم على مغادرة المكان في الحال واجتهد الوالد والابنة في اقناعهِ بالبقاء اياماً فأبى . ولما قام مودعاً لمح في عنق اميليا سلسلة ذهبية وقد علق بها القلب الذهبي الذي اهدتهُ لهُ سابقاً وسُلب منهُ في انكلترا فلمَّا رآهُ صاح كيف وصل اليكِ هذا القلب . قالت قد وصلني مع رسائلك على يد يوسف بك فهل نسيت ذلك . فملأ الدم وجه سسل

وقال وايُّ رسالةٍ هذه ارينيها الآن ففي الامر خيانة . فلما اطلعتهُ عليها عرف للحال كتابة ابنة عمه كاترين وكُشفت لباصريهِ الحيلة ورأى من دناءة كاترين في كتابتها ما استطار رشدهُ فاخبر اميليا بجلية الخبر واعلمها انهُ لم يمل الى سواها وانهُ يشكر العناية على ما دبرت ليعود اليها ولا يقع في شرك تلك الخبيثة ثم عدل عن السفر ووعدهم بالاقامة اياماً

اما يوسف بك فرجع بعد اكمال مسماهُ الى انكلترا ودخل توًّا الى غرفة كاترين فرآها جالسة الى سريرها فقال قد اتممت مهمتي فهل تمدينني بيدك . قالت معاذ الله ان اقترن بمثلك وهل بلغ من سخافة عقلك انني اقبل بذلك وادخل بيتك واقيم مع نسآئك كلاّ لن يكون ذلك وان كنت قد استخدمتك لاغراضي فانا ارفع من اقرن يدي بيدك . وبلغ الغيظ من يوسف بك مبلغاً عظيماً فاخرج من جيبهِ زجاجة صغيرة وصب منها على منديلهِ ثم هجم على كاترين ووضع المنديل على انفها ولم يرفع يدهُ حتى فارقت الحياة ولما تيقن ذلك خرج الى حيث لا يدرك لهُ اثر

واما سسل فلم يبطئْ بعد ذلك ان عُقد لهُ على اميليا وابث مقيماً في بيت حميهِ الى ان وصلتهُ رسالة من عمهِ يستدعيهِ سريعاً فذهب تصحبهُ زوجتهُ اميليا ووالدها فرأى عمهُ على فراش الموت وكان قد علم بموت كاترين فقصَّ عليهِ عمهُ خبر موتها واطلعهُ على كل ما حدث في مدة غيابهِ ثم اوصى لهُ بمالهِ . وبعد ان توفي استولى سسل على اموال عمهِ وعقاراتهِ وعاش مع بيت حميهِ بسلام الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات

حركات الارض

من ابعد الاشياء على الانسان ان يتصور الارض متحركةً لانهُ لا يشعر من نفسهِ بتلك الحركة ولا يرى مما حولهُ دليلاً عليها بل الدلائل كلها متضافرة في بادي الرأي على انها ثابتة لانهُ يرى كل ما يحيط بهِ منها قارًّا في مكانهِ او متحركاً حركةً مستقلةً حتى ما يكتنفها من جوٍ وسحاب وما يسبح في جوّها من طائر وما يطير فيهِ من منطاد لا يتغير عليهِ منظر شيء من ذلك . ومعلومٌ ان الحركة امرٌ نسبيٌّ لا يتحقق الا بمقابلة الجسم المتحرك بغيرهِ ولما كانت اجزاء الارض وما يتصل بها كل ذلك مشايعاً لها في حركتها لم يكن في الارض ما يصلح لهذه المقابلة وحينئذٍ فلم يبقَ ما يدلنا عليها الا مقابلة الارض بما يحيط بها من الاجرام السماوية التي تجري هذه الحركة بينها الا أنا لما كنا والارض كالشيء الواحد لم يكن في تلك المقابلة ما يتهيأ لنا بهِ الاستدلال المذكور بل أحرِ ان نتخذ منها دليلاً على العكس لانا لما كنا نرى الارض ثابتةً لزم بالضرورة ان ننسب تلك الحركة الى الاجرام المذكورة لا اليها فمثلنا في ذلك مثَل راكب القطار يرى الارض والابنية والاشجار تدبر من بين يديهِ الى خلفهِ فيتوهم نفسهُ واقفاً والارض منتقلة . على انهُ في هذه الحالة لا يتردد في فساد هذه الرؤية لما يعلمهُ بالبداهة من انهُ هو الذي ينتقل في الارض والارض ثابتةٌ حولهُ وبخلاف ذلك ما يتمثل لهُ من حركة الاجرام السماوية فان الحسّ هناك غير معارَض بشيء من احكام العقل اذ لم يسبق الى عهدهِ ان شيئاً من سطح الارض ينتقل عن مكانهِ

فلا يعرض لهُ ما يدعوهُ الى الريب في صحة ما يراهُ

وقد عبر الناس على مثل هذا الاعتقاد احقاباً متطاولة حتى الباحثون منهم والعلماء ممن قضوا ايامهم بالرصد والحساب ووضعوا لهذا الفن قواعد واقيسة ركبوا فيها متن هذا الوهم فجاءوا بكل عجيب واشهرهم بطلميوس صاحب المجسطي التي ما برحت اماماً لأهل هذا العلم يأتمون بها و يستضيئون بانوارها نحواً من اربعة عشر قرناً كانت منزلتها فيها منزلة كتاب اقليدس في الهندسة الى ان ظهر كوبرنيكس في القرن السادس عشر فجهر بنقض هذا المذهب واثبت ان الارض تدور على نفسها وأيد قولهُ بالبراهين والادلة المُلزِمة فتحوّل اهل هذا العلم الى رأيهِ ثم تظاهرت عليهِ البراهين من كل اوب حتى لم يبقَ اليوم من ينازع فيهِ من اهل العلم

على ان هذا الرأي لم يعدم اناساً من كبراء العقول وارباب الروية الثاقبة تنبهوا لهُ من زمنٍ قديم وقالوا بما اثبتهُ كوبرنيكس واول من نُقل عنهُ القول بحركة الارض على محورها هو فيثاغورس من رجال القرن الخامس قبل الميلاد وتبعهُ في ذلك عدّةٌ كثيرة من تلامذتهِ وغيرهم من بعدهِ وصرّح بعضهم في ذلك بما لا يقبل الشبهة ولا التأويل . وقد نقل شيشرون عن نيكيتاس السرَقوسي احد خريجي فيثاغورس انهُ كان يذهب الى ان السماء والشمس والقمر والنجوم وسائر الاجرام العُلوية ثابتة وان الارض هي التي تدور وبدورانها السريع على محورها يتمثل لنا نفس المنظر الذي نراهُ لو كانت هي ثابتة والسماء تدور . وذكر كوبرنيكس نفسهُ من اصحاب هذا الرأي جماعةً ممن تقدّموهُ منهم نيكيتاس هذا وفيلولاوس وهيرقليد واكفنتس ومرتيانس كابلا

واسطرخس وسلوقس البابلي وارخيتاس وغيرهم . ومع غلبة رأي بطلميوس مدة القرون الوسطى كلها واعتماد العلماء والمدرّسين عليهِ فان انصار هذا القول ما برحت تتواتر عصراً بعد عصر الى قرب زمن كوبرنيكس الا انهُ لم يشع شيوعهُ من بعدهِ ولم يوافق تسليماً من جمهور الفلاسفة والباحثين لقصور البراهين اذ ذاك عن اثباتهِ وان كان ثابتاً عند اصحابهِ بالوجدان . وآخر من كتب فيهِ قبل كوبرنيكس الكردينال نقولا الكوزي في موسوعات العلم واللاهوت سنة ١٤٤٤ ومن جملة ما قال فيها ما تعريبهُ « لا ريب عندنا ان الارض تدور وان كنا لا نشعر بهذه الدورة من طريق الحواس لان الجسم المتحرك انما يُعرَف بمقابلتهِ بالساكن كما ان راكب السفينة اذا جرت بهِ جرياً مسترسلاً لا يتنبه لحركتها الا بما يرى من حركة الشاطئ وكذلك نحن فانا بحركة الشمس والكواكب نعلم اننا نحن المتحركون » . اه

هذه الحركة الاولى من حركات الارض التي تنبه لها الناس من قبل ان يكون لهم عليها دليلٌ الا دليل العقل ولذلك كان اثباتها صعباً والتسليم بها متعذراً على اكثر الناس لمعارضة الحسّ لها كما قدّمناهُ . وانما الجأهم الى القول بها انهم وجدوا ان دوران الشمس والقمر والنجوم حول الارض في كل اربع وعشرين ساعة مما لا يجوز عند العقل وان شهد بهِ الحسّ اذ يستحيل من هذه الاجرام كلها مع تفاوت ابعادها واختلاف مواقعها طولاً وعرضاً ان تتواطأ باسرها على دورةٍ واحدة حول الارض تتمّها في هذه المدة فضلاً عما تقتضيهِ والحالة هذه من السرعة التي لا تُدرَك حتى تقطع مثل هذه الافلاك العظيمة في مثل هذا الزمن القصير . ولذلك اضطرَّ الاقدمون ان يقولوا بفلكٍ اعظم

سموهُ بفلك الافلاك زعموا انهُ كرةٌ واحدة مجسمة فيها نقرٌ قد ارتكزت فيها الثوابت وهذه الكرة تدور على نفسها في كل اربع وعشرين ساعة من الشرق الى الغرب فتدور معها تلك الكواكب دورتها اليومية في وقتٍ واحد . ومع فرضهم للسيارات وفي جملتها الشمس افلاكاً خاصة تدور بها دورتها الذاتية من الغرب الى الشرق جعلوا هذه الافلاك متصلةً بالفلك الاعظم وبذلك تشايع سائر الكواكب في دورتها اليومية من الشرق الى الغرب الى ما ثمَّ من غريب التفاصيل التي يطول ايرادها ولا فائدة من ذكرها

وزد على ما ذكر ما يعرض هناك من الاعتبارات المبنية على التحقيقات العلمية مما لم يصل المتقدمون الى معرفتهِ كقوانين الجاذبية بين الاجرام وكتحقيق ابعاد بعض النجوم التي اقربها منا وهو الاول من قنطورس يبعد عنا بمسافة عشرين الف الف الف ميل ولا يصل الينا الضوء منهُ الا بعد ثلاث سنين ونصف سنة فمن المحال ان تصل جاذبية الارض الى هذه النجوم حتى تقيّدها بالدوران حولها فضلاً عن عظم اجرامها بالقياس الى الارض بحيث ان اصغرها لا يكون جرم الارض في جرمهِ الا كذرةٍ من جبل بل اذا اضطرَّ العقل ان يسلّم اما بدورة الارض على نفسها او بدورة هذه الكواكب حولها كان التسليم بدوران الارض اسهل بما لا يقاس

على ان دوران الارض حول محورها قد ثبت بالاختبار وأُيّد بشهادة الحس واشهر التجارب في ذلك ما اجراهُ فوكُلت العالم الفرنسوي سنة ١٨٥١ في المكان المعروف بالپنتيون في باريز فانهُ اخذ سلكاً من الفولاذ طولهُ ٦٨ متراً فثبّتهُ في سقف قبّة المكان وناط بطرفهِ الاسفل كرةً من نحاس

ثقلها ٣٠ كيلغراماً وجعل في اسفل الكرة نحو ابرة واقام تحت طرفهِ دكةً فرشها بالرمل الدقيق وسوّى سطحهُ بحيث تخطّ الابرة فيهِ اذا تحرّك السلك ثم ربط السلك بخيطٍ من القنّب وعند ما اراد الامتحان احرق الخيط بلهيب شمعة فاخذ السلك يخطر خطراناً بطيئاً من الشمال الى الجنوب بحيث كانت الخطرة تتم في نحو ٨ ثوانٍ وكانت الابرة تخطّ في الرمل الا انها لم ترسم خطين على سمتٍ واحد ولكن الخطوط كانت تتقاطع عند المركز بحيث ان كل خطٍّ كان ينحرف عن سمت سابقهِ وبعد مضي خمس دقائق كانت زاوية الانحراف في كلٍّ من الطرفين عدة سنتيمترات وبعد ساعةٍ كانت عدة درجات بحيث كان سطح الخطران ينحرف من جهة الشرق الى الغرب

واما الدورة السنوية وهي دورة الارض حول الشمس فلم يتنبه لها العلماء الا بعد الدورة اليومية بزمن لانها اخفى من تلك وبها تنتقل الارض في فلكها حول الشمس من الغرب الى الشرق اي الى نفس جهة دورانها على محورها فتنتقل بذلك الابراج وسائر النجوم في الظاهر الى جهة الغرب . واول من قال بهذه الدورة فيما ذكرهُ بلوطرخس هو اسطرخس احد خرّيجي استراتون من رجال القرن الثالث قبل الميلاد وتبعهُ في ذلك اصحاب القول بالدورة الاولى ودليلهم في هذه مثل دليلهم في تلك اي ما ذكر من انتقال الكواكب في الظاهر انتقالاً بطيئاً من الشرق الى الغرب حتى تعود في نهاية السنة الى مواقعها الاولى . وتوصل المتأخرون الى ادلةٍ اخرى منها انهم بمراقبة الثوابت وجدوا ان بعضها وهو الاقرب الينا يرسم على مدار السنة اهليلجياً صغيراً يعلم بمقايسة موقع هذا النجم على نجم آخر ابعد منهُ وهذا الاهليلجي

هو ولا ريب صورة الاهليلجي الذي ترسمهُ الارض في دورانها حول الشمس .
ومنها ما يسمى بانحراف النور وهو انهُ بسبب سرعة الارض في مسيرها
تصل الينا اشعة ضوء الكواكب منحرفة عن اتجاهها حتى يظهر لنا الكوكب
في غير موضعهِ ويرسم على مدار السنة اهليلجياً مركزهُ موقع النجم الحقيقي
وهذا الاهليلجي اكبر مما يقتضيهِ بُعد النجم على ما ذُكر في الدليل السابق
ويتغير شكلهُ وقياسهُ تبعاً لموقع النجم من فلك الارض . ومثل ذلك مثل
ما اذا كنا في قطار حديدي فسقط المطر والقطار جارٍ في سرعتهِ فان قطرات
المطر ترسم على زجاج النوافذ خطوطاً منحرفة وان كان سقوطها في خطٍ
عمودي وذلك لتركُّب حركة القطار الافقية مع حركة المطر العمودية فينشأ
بينهما حركة مائلة

اما سبب دوران الارض حول الشمس فهو دوران الشمس على محورها
حين كانت الارض جزءًا من محيطها فلما انفصلت منها لبثت دائرةً حولها في
تفصيلٍ لا يسعنا بيانهُ في هذا الموضع . واما دورانها على محورها فما خفي
سببهُ في الارض وغيرها من السيارة الدائرة كذلك وقال بعضهم ان لكلتا
الدورتين سبباً واحداً وذلك انهُ فرض ان الارض انفصلت عن الشمس
بقوةٍ قذفتها عن محيطها الى الفضاء . وان تلك القوة وقعت على خطٍ حائد
عن مركز الارض حسب انهُ يكون على بعد ٢٤ ميلاً عن مركزها من
جانب الفضاء . ولقد يُتوهم من هذا ان بين هاتين الدورتين نسبةً تربط
احداهما بالاخرى بمعنى ان الدورة السنوية ناشئة عن الدورة اليومية كما يكون
بين دوران العجَلة مثلاً وانتقالها فانها بدورانها على محورها تقطع في كل

دورةٍ مسافةً بقدر قياس محيطها وهي الطريقة التي جرى عليها فرنل حين قاس الطريق بين باريز واميان على ما سبق لنا شرحهُ في البيان (ص٦١٦)٠ ولكن الذي يظهر عند التحقيق غير ذلك فانّا اذا قابلنا بين دورة الارض على محورها ودورتها حول الشمس نجد انها كلما دارت مرةً حول محورها تقطع من فلكها حول الشمس مسافةً تعدل ٦٤ مرةً من قياس محيطها ولو قطعت كل يوم من فلكها بقدر محيطها فقط لزم حتى تقطع فلكها كلهُ ان تدور نحواً من ٢٣,٠٠٠ دورة تتمها في نحو ٦٤ سنة من سنيها الحالية او ان يكون بعدها عن الشمس لا يزيد على الف الف و٤٥٠ الف ميل بحيث يكون فلكها كلهُ بمقدار عُشر المسافة التي بينها وبين الشمس حالاً

وهذا من الامور العجيبة في السيّارة فانّا اذا حسبنا دورة المرّيخ وجدنا هذا الفرق اعظم مما هو في الارض كثيراً فانهُ كلما دار حول مركزهِ مرةً يقطع من فلكهِ مسافةً تعدل ٩٦ مرّة من قياس محيطهِ وبعكس ذلك المشتري فان دورانهُ في فلكهِ اشبه بدوران العَجلة على الارض فانهُ كلما دار على نفسهِ مرةً قطع من فلكهِ بقياس محيطهِ فقط حتى كانهُ كرةٌ تتدحرج وزُحل يقطع من فلكهِ في كل دورة اقل من مسافة محيطهِ اي على نسبة ٢٣ الى ٢٥ وهذا في منتهى الغرابة . فاذا افضينا الى اورانس وجدنا على ما قدّروا من دورتهِ انهُ كلما دار على نفسهِ مرةً قطع من فلكهِ بمقدار محيطهِ مرةً ونصف مرة ونبتون يقطع مرةً وخمس مرة وهذا ما لم نجد من تعرض لذكرهِ ولعل كل ذلك من الاسرار التي يتعذر حلها

وهناك حركاتٌ اخر للارض كُشفت بادمان الرصد وطول المراقبة منها

حركة محورها وهو الخط المتوهَّم من احد قطبيها الى الآخر فانهُ غير ثابتٍ على اتجاهٍ واحد ولكنهُ يميل شيئاً فشيئاً فيدور كلٌّ من قطبي خط الاستواء حول قطب دائرة البروج حتى يرسم في مدّة ٢٦ الف سنة دائرةً كاملة . والقطب الشمالي الآن على درجة ونصف من النجم المعروف بهِ وبعد مئة سنة يكون منهُ على نصف درجة فقط ثم يبتعد عنهُ سنةً فسنة وبعد اثني عشر الف سنة يمرّ بحيال النسر الواقع فيصير هو نجم القطب كما كان منذ اربعة عشر الف سنة . وهذه الحركة ناشئة عن جذب الشمس والقمر للقدر الرابي من الارض على جانبي خط الاستواء فتبطئ بذلك حركتها السنوية وتقع نقطتا الاعتدال غربيَّ موقعهما السابق وهذا ما يعبَّر عنهُ بمبادرة الاعتدالين

ومنها حركةٌ تتصل بالحركة السابقة وهي الناشئة عن جذب القمر وحدهُ للاجزاء المذكورة من نواحي خط الاستواء فيرسم قطب الارض دائرة متموجة تتم في ثماني عشرة سنة وثمانية اشهر وتسمى هذه الحركة بالكبو

ومنها حركة خامسة يتغير بها ميل محور الارض على سطح دائرة البروج بسبب جذب السيَّارة للارض الى محاذاة سطوح افلاكها وبذلك يتبدل ميل دائرة البروج بالضرورة فيزداد او ينقص حتى يبلغ التفاوت بين طرفي الزيادة والنقصان درجتين و ٤٢ دقيقة وتتم كل واحدةٍ من حركتيه ذهاباً اورجوعاً في نحو عشرين الف سنة . وقد كان هذا الميل منذ ثلاثة آلاف سنة ٢٣ درجة و ٥٤ دقيقة وهو اليوم ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة فيكون قد تراجع في هذه المدة ٢٧ دقيقة وسيستمرّ كذلك حتى ينتهي بعد تسعة آلاف سنة الى ٢٢ درجة و ١٥ دقيقة وهي غاية ما ينتهي اليهِ ثم يعود فيزداد

ومنها حركةٌ سادسة بها يتبدل انحنآء طريق الارض حول الشمس فتزداد اهليلجية فلكها او تنقص حتى يقرب من الدائرة ٠ ومبلغ تبـاينهِ اليوم ١٦٨ من عشرة آلاف وبعد اربعة وعشرين الف سنة يكون ٣٣ ٠٠، ثم يعود الى الزيادة حتى يبلغ ٧ من مئة وهما معظم ما ينتهي اليهِ ومدة هذه الحركة على ما قدَّرهُ لقرّياي اربعون الف سنة

ثم ان الخط الاهليجي الذي تجري فيهِ الارض وهو فلكها حول الشمس تسمى اقرب نُقَطهِ من الشمس نقطة الرأس وابعدها نقطة الذنب وهاتان النقطتان تحركان تحركاً بطيئاً فتنتقلان من مكانهما سنةً بعد سنة بسبب جذب السيارات العليا ٠ والارض تمرّ في نقطة الرأس لهـذا العهد في اول يناير وكانت قبل الميلاد باربعة آلاف سنة تمرّ من هناك في ٢١ ستمبر اي في أوان الاعتدال الخريفي وفي سنة ١٢٥٠ للميلاد في ٢١ دسمبر ٠ ثم انها في سنة ٦٥٩٠ ستمرّ في النقطة المذكورة في ٢١ مارس وفي سنة ١١٩٠٠ في ٢٢ يونيو وفي سنة ١٧٠٠٠ ترجع الى حيث كانت اولاً فتكون مدة هذه الحركة ٢١ الف سنة

وهناك ايضاً حركةٌ ثامنة مسببة عن جاذبية بعض السيارة تبعاً لمواقعها من الارض تؤثر اضطراباً في بعض ما ذكر من الحركات السابقة وهذه الحركة لاتنضبط لاختلاف سير هذه الاجرام وابعادها ولكن الفلكيين يحسبون تأثيرها سنةً فسنة لضبط اعمالهم

وحركةٌ تاسعة تنشأ عند اجتماع السيارة او معظمها في ناحية واحدة من الشمس فانها تنقل جاذبيتهـا بعض الشيء عن مركزها الهندسي فيضطرب

سير الارض بهذا السبب لانها تدور حول مركز الجاذبية من الشمس لا حول مركز شكلها

وحركةٌ عاشرة تنشأ عن حركة البحار ومجاري الانهار وسيحان الثلوج العظيمة التي تتراكم كل سنة في بعض نواحي الارض فيحدث عن ذلك كلهِ اختلافٌ في توازن اجزآء الارض يغير شيئاً من اتجاه محور دورانها بحيث وُجد بعد المراقبة الدقيقة في عدة مراصد ان قطب الارض يرسم شبه تداوير[1] متصلة يتألف من جملتها دائرةٌ تحيط بنقطة القطب الاصلية لا تتجاوز سعتها ٤٠ الى ٥٠ قدماً . وقد وجدوا ان هذه الحركة تتم في مدة عشرة اشهر

وبقيت حركةٌ هي اعظم هذه الحركات كلها وهي التي تنتقل بها الشمس في الفضآء وينتقل معها كل ما يتبعها من سيارات واقمار وغيرها الى جهة صورة الجاثي فلا تزال الارض في انتقال دائم بحيث انها منذ وجدت لم تعبر مرتين في مكانٍ واحد

فتلك احدى عشرة حركةً للارض تضطرب بها ولا اضطراب جناح الطائر والانسان قارٌّ فوقها لا يشعر بشيء من تلك الحركات كلها واعجب ما فيها خفة هذا الجرم العظيم ومطاوعتهُ لاضعف عوامل الطبيعة حتى كانهُ تُفَّاخةٌ من الصابون يطيّرها الوليد في الهوآء . وفي كل ما ذكرناهُ كلامٌ طويل لا تسعهُ هذه المُجالة فاقتصرنا منهُ على هذا القدر حبّ الاختصار

---

(١) جمع تدوير وهو عند قدمآء اهل الهيئة فلكٌ صغير يدور على محيط فلك كبير فيرسم هناك دوائر متتابعة تشغل محيط الفلك الذي يدور فيه

المواد الآليّة والغير الآليّة

لحضرة الاديب امين افندي مرشاق

ما زال علم الكيميآء مقصوراً على الآرآء الواهنة والاعتقادات الخزعبلية وما زالت اكثر مكنوناته محجوبة عن مدارك اهل البحث حتى قام علمآء القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وحللوا المركبات الى عناصرها الحقيقية وركبوا الموادّ من عناصرها الاصلية وتوسعوا في مباحثهم المبنية على اساس الحقيقة وتفننوا في اساليب التجارب الكيماوية فمزقوا غياهب الجهل عن محيّا العلم الصحيح وابرزوا الى عالم الوجود علماً شريفاً عميم المنافع يستفيد منهُ الصانع والزارع والطباخ وربة البيت كما يستفيد منهُ العالم والطبيب والتاجر وغيرهم ولا يزالون دائبين في سعيهم واجتهادهم يصلون آنآء الليل باطراف النهار لاستخراج الحقائق العلمية وتعميم الفوائد بين جميع بني الانسان

وقد قسم علمآء الكيميآء جميع مركبات المادّة الى قسمين كليين سموا الواحد منهما الاجسام الآليّة او العضوية وهي ذوات الحياة والآخر الاجسام الغير الآليّة او الجمادية وهي ما لا قوّة حيوية فيها . وهذان القسمان تجمعهما جامعة مشابهة التركيب والتحليل وكون مركبات كلٍ منهما تتألف من عناصر بسيطة وان لهما قواعد اساسية وسنناً عامّة لا يخرجان عنها لكن يفرق احدهما عن الآخر بوجوهٍ هي التي نريد الكلام عليها في هذه العجالة فنقول

اول فرقٍ يخطر الذهن ويبدو للحسّ واعظم مميزٍ بين الموادّ الآلية وغيرها هو وجود الحياة في الاولى وعدمها في الثانية فيدخل في المواد الآلية جميع انواع النبات والحيوان على اختلاف اصنافها وطبقاتها واما المواد الغير

الآلية فتنحصر في عالم الجماد وهو يتناول المعادن والغازات . ولا يُفهم من هذا القول ان هذين العالمين مستقلاّن احدهما عن الآخر تمام الاستقلال فان العوامل الطبيعية قد تطرأ على بعض اجزاء العالم الواحد فتحيلهُ بفعلها الكيماوي الى العالم الآخر وحينئذٍ فالجزء الذي ينتقل عن حيزهِ يجري على قواعد الحيز الذي انتقل اليهِ

والفرق الثاني الذي يميز بين المواد الآلية وغير الآلية هو أن السطوح التي تحيط بالاولى لا تكون مستقيمة بل كروية وكذلك زواياها تكون الى الاستدارة بخلاف الموادّ الثانية فان سطوحها وهي في الحالة الطبيعية تكون مستوية وكل زاوية من زواياها تنتهي بنقطة . وقلنا في حالتها الطبيعية استثناءً لما غيرتهُ الصناعة فانهُ غير داخل في بحثنا

والفرق الثالث ان المواد الغير الآلية تكون اما كلها سائلةً كالماء والزئبق والهواء او كلها جامدة كالمعادن والصخور . ولا يخرج عن ذلك بعض الاجسام الجامدة التي تخالط اجزاءها الرطوبة كالملح وكبريتات النحاس وغيرهِ من الاملاح التي بعضها يمتص الماء عند التبلور وبعضها يميل بطبيعتهِ الى امتصاص الماء في اي حالةٍ كان فان النوع الاول من هذه الموادّ لا يمتص الماء الا في حال التبلور والثاني اذا جُعل في اوعيةٍ تمنع وصول الابخرة المائية اليهِ يبقى ابداً على جفافهِ وذلك فضلاً عن ان دخول الماء في كلٍّ من القسمين لا يغير تركيبها الكيماوي الاصلي ولا يؤثر تأثيراً جوهريًّا في فعلها الكيماوي . اما الجسم الآليّ فليس كلهُ جامداً ولا كلهُ سائلاً ولكنهُ ابداً مختلطٌ من النوعين كما يُعلم ذلك باستقراء جميع الاجسام الآلية من حيوان ونبات

ثم انا اذا عمدنا الى مادةٍ من غير الآليات وجزأناها نجد ان لجميع اجزآئها شكلاً واحداً وهيئةً واحدة وان الاختلاف بينها في الحجم فقط وبخلافها الاجسام الآلية فانك تجدها مركبةً من اعضآء مختلفة اختلافاً واضحاً . فاذا اخذت قطعةً من الملح العادي مثلاً وكسّرتها الى اجزآئها التي تتألف منها وهي في الحال الطبيعية ثم بحثت في اجزآئها وجدتها مركبةً من بلوراتٍ ذات اشكالٍ قياسية ولها اضلاعٌ عددها متساوٍ في كل بلورةٍ كاملة واما اذا اخذت نوعاً من النبات مثلاً وقسّمتهُ الى اقسامهِ الطبيعية وجدتهُ مركباً من اعضآء مختلفة فترى كلاً من الجذر والساق والاغصان والاوراق والازهار والاثمار لهُ صفاتٌ خاصة يمتاز بها عن سائر اعضآء النبات . وفضلاً عن ذلك فانك تجد في اجزآئهِ واجزآء الحيوان اختلافاً في التركيب ايضاً فالعظام مثلاً لاتقتصر مباينتها للدم على الهيئة الخارجية والوظائف الخصوصية ولكنها تختلف عنهُ في تركيبها الكيماوي . وهذا لاتجدهُ في الموادّ الغير الآلية ولكن مهما جزأتها يبقى تركيب الجزء مطابقاً لتركيب الكل مهما كان الاول صغيراً والثاني كبيراً

وهناك فرقٌ آخر بين هاتين الطائفتين عظيم الاهمية وهو أن الاجسام الآلية تنمي وتزداد من نفسها فهي تمتصُّ من الارض الموادّ التي تحتاج اليها وتوزعها على الاوعية التي يتركب منها النبات او الحيوان كلٌّ بحسب ما يقتضي وعلى قدر ما يحتاج فتنمي هذه الاوعية ويزداد عددها ويكبر الجسم الذي يتركب منها . والموادّ الغير الآلية لاتنمي من نفسها وانما يزداد حجمها او ينقص بحسب العوامل الطبيعية التي تتصرف فيها وتفرّق اجزآءها فتحملها

من مكان الى آخر وبذلك تنقص في موضعٍ وتزداد في غيره

ومن تلك الفروق ايضاً ان العناصر التي تتركب منها المواد الآلية باسرها تنحصر في اربعة عناصر رئيسة وهي الاكسيجين والهدروجين والنتروجين والكربون فجميع انواع النبات والحيوان وهي تبلغ ما ينيف على ٢٥٠,٠٠٠ نوع تتركب من هذه العناصر الاربعة على نِسبٍ مختلفة ولا عبرة لما يدخل احياناً في تركيب الآليّات من العناصر الملوِّنة او المقوّية كالحديد والكبريت والفسفور وغيرها لانها من العناصر الاضافية وهذه الانواع كلها يتميز بعضها عن بعض باشكالها الخارجية وصفاتها الظاهرة. واما الموادّ الغير الآلية فتتركب من جميع العناصر حتى من العناصر التي تتركب منها الموادّ الآلية وعددٌ كبيرٌ منها لا يتميز عن غيرهِ بالنظر اليهِ بل كثيراً ما يرى الانسان مادتين منها فيظنهما من اصلٍ واحدٍ ومن مادةٍ واحدة لتماثلهما في الشكل او اللون او الطعم فلا تُفرَق احداهما عن الاخرى الاّ بالتحليل الكيماوي

وقد ذكرنا ان المواد الآلية تتميز عن غير الآلية بالنماء الحيويّ ثم هي تتميز عنها بكيفية حدوث هذا النماء ايضاً وهو يتم بازدياد الاوعية التي يتألف منها الجسم الآليّ حجماً وعدداً واما كيفية هذا الازدياد وكيفية اغتذاء بعض الاوعية من بعض فمما تعذر عليهم حلهُ حلاًّ واضحاً فان المجهر وهو الآلة التي مكنت الانسان من اكتشاف الهوام في اصفى المياه واعذبها والتي ترينا اصداف وبقايا حيوانات في اثر الطباشير الذي يعلق منهُ على اليد لم يمكن ان يكتشف بهِ في جدران هذه الاوعية الصغيرة اثر ثقوب او شقوق تنتقل فيها التغذية من احد هذه الاوعية الى الآخر

هذه اهمّ الفروق التي وجدها علمآء الكيميآء بين المواد الآلية وغير الآلية وهم الآن يجتهدون في تمحيص هذه الفروق وحصرها في اقل ما يمكن زيادةً في تحقيق انواع تلك المواد ودفعاً للشبهات فيما تقاربت آفاقهُ منها والله الهادي

الصالحات الباقيات

خصّ الله كل أُمة بافرادٍ منها فضّلهم على سائرها وجمع فيهم من الهبات ما صرفهُ عن الجمّ الغفير من دهمآئها وما ذلك الا لحكمةٍ اراد بها عزّ وجل عموم المصلحة والقيام بما هو فوق عمل الواحد من الاستقلال بالامور العظيمة والاضطلاع بالمصالح العامّة حتى يكون الفرد قائداً للامة الى سبل الفلاح ومثلاً لها في مقام الفخر بل يكون هو الأُمة بعينها مجتمعةً في واحدٍ منها تعمل بيدهِ وتسعى بقدمهِ ويستطيع بنفسهِ ما لا تستطيعهُ في جمهورها

أجل كذلك ميز الله بين خلقهِ فأفرد اناساً منهم بجلائل المنَح وفواضل البركات ليجعلهم خزَنةً لهباته يتناولونها باليمين ويبذلونها باليسار فيكونون واسطةً بينهُ وبين عبادهِ في انهآء نعمتهِ اليهم وتوفير منّتهِ عليهم وما اقلّ من عرف قدر هذه الكرامة فقام بما لزمهُ من حقّ شكرها وصرف تلك الامانات الى ذويها بل رأينا اكثر الذين أُوتوها غامطاً لنعمة المولى مقصراً في حق العبد يظن انهُ انما ظفر بتلك الحبات لفضلٍ في نفسهِ استحقّها بهِ وهو ابعد الناس عن الفضل واحقهم بالحرمان بل انما وُجد امثال اولئك ليُستدَلّ بهم على فضل ذوي الفضل وبضدّها تتبين الاشيآء

ولقد وقفنا في هذه الايام على ما انطلقت لهُ الوجوه بِشراً وفاضت الافئدة شكراً وما لم نجد بدًّا من التنويه به اظهاراً لما فيهِ من الفضل واستنطاقاً للالسنة بالثنآء عليهِ وحثًّا للمقتدرين على الاقتداء بهِ ألا وهو الوقف الذي سبَّلهُ حضرة صاحب السعادة السريّ الاريحيّ الماجد سليل بيت المكارم المتحلي بجميل المآثر وسنيّ المحامد حسين باشا واصف محافظ عموم القنال وحضرة حرمهِ المصون السيدة اسمآء هانم كريمة المرحوم الطيب الذكر ابرهيم باشا حليم فانهما قد وقفا من املاكهما على مصلحة الوطنية وخدمة الانسانية ما تبلغ قيمتهُ نحواً من خمسة عشر الف جناي مصري خصصا بعضهُ ببعض وجوه الخير المألوفة وارصدا سائرهُ لتوسيع نطاق العلم وشدّ ازر ذويهِ . فقرَّرا اولاً انشآء دارٍ للعجزة من النسآء الكفيفات والمصابات بأي عاهةٍ كانت من اللواتي لا معين لهنَّ وعيَّنا مبلغ نفقتها ٤٠٠ جناي كل سنة . وهذه الدار تسمى باسم السيدة اسمآء هانم الواقفة المشار اليها .

وثانياً انشآء مدرسةٍ صناعية باسم حضرة حسين باشا واصف تُعلَّم فيها الصنائع المختلفة التي تدعو اليها حاجة البلاد حالاً بعد حال وقرَّرا ان يُنفَق عليها كل سنةٍ ٦٠٠ جناي

وثالثاً إرصاد ٢٥ جناياً مصرياً في كل سنة تُعطى جوائز لخمسة من نابغي الطلبة في الأزهر الشريف ممن يمتازون في العلوم الرياضية والهيئة والجغرافية والتاريخ والآداب الدينية . وهذه الجوائز توزَّع باسم ابرهيم باشا حليم والد الواقفة وحمي الواقف تخليداً لذكرهِ واستدراراً للرحمة عليهِ وقد سلِّمت في اوائل هذه السنة الى حضرة شيخ الجامع ووُزّعت على مستحقيها

ورابعاً ارصاد مبلغ ٢٠ جنايًا تُرفع كل سنة الى نظارة المعارف العمومية لتوزعها على خمسة من متقدمي الطلبة المصريين الذين ينالون شهادة البكالورية وهذه الجوائز توزع باسم حضرة حسين باشا واصف

وخامساً ارصاد ٢٥ جنايًا تسمى بالجائزة الحليمية تؤدَّى كل سنةٍ الى من يؤلف او يعرّب افضل كتاب يكون فيهِ فائدةٌ للدارسين والمستفيدين في نوعٍ من العلوم والآداب وقد نال هذه الجائزة في هذه السنة حضرة الفاضل الالمعيّ المشهور احمد زكي بك السكرتير الثاني لمجلس النظار على تعريبهِ لكتاب تاريخ المشرق الذي سبق لنا تقريظهُ في احد اجزاء هذه المجلة . وقد اتصلت بنا نسخة الكتاب الذي بعث بهِ سعادة حسين باشا واصف الى حضرة البك المشار اليهِ فاحببنا اثباتهُ في هذا الموضع . قال اعزَّهُ الله بعد الديباجة

« بكل ارتياحٍ اطلعت على كتاب تاريخ المشرق الذي عنيتم بنقلهِ الى العربية من تآليف العلاّمة مسبيرو مدير عموم الآثار المصرية وقد تصفحتهُ من اولهِ الى آخرهِ فرأيت ان نظارة المعارف العمومية قد احسنت كل الاحسان في اختيار الكتاب وفي اختيار المترجم فأهنئها على صنيعها واهنئكم على صنيعكم واسأل الله ان يكثر من امثالكم ومن امثال آثاركم الادبية والعلمية . وقد اطلعت على الكتب التي ترجمت في العام الماضي الى لغتنا العربية فرأيت كتابكم المشار اليهِ جزيل الفائدة في تنوير بصائر الشبيبة المصرية واحياء تاريخ الامم الشرقية بعبارة جزلة قريبة من كافة الاذهان مع البلاغة في التعبير والبراعة في الاساليب بحيث تغني المطلع عليها عن الرجوع الى المطولات العديدة مع ما فيها من التحقيقات العلمية الكثيرة وضبط الاعلام

« وحيث ان كتابكم يستحق « الجائزة الحليمية » المقرَّرة في وقفيتنا فقد ارسلت لكم اليوم حوالةً على البنك المصري بمبلغ ٢٥٠٠ غرش هي قيمة الجائزة المذكورة واني اعتبر احرازكم لاول جائزة من هذا القبيل فألاً حسناً لترقية العلوم والآداب في هذه

الديار واسالكم المواظبة على هذه الخطة الشريفة المحمودة وابتهل اليهِ تعالى ان يكثر من امثالكم ليكون لأمتنا مقام شريف بين الامم الراقية في الحضارة المتمتعة بنعيم الحياة والله يحفظكم لاخيكم المخلص　　حسين واصف

محافظ عموم القتال »

فنحن نرفع خالص تهنئتنا الى حضرة صديقنا الفاضل بما احرزهُ من هذه الجائزة السنيَّة الشاهدة بغزارة فضلهِ والناطقة بشكرهِ على ما يبذلهُ من المثابرة في خدمة العلم واهلهِ جعل الله مساعيهُ قدوةً لذوي المعارف والآداب وزادنا من محاسن آثارهِ ما يزيدهُ رفعةً بين اولي الالباب ولا حرم الوطن العربيّ امثال سعادة الواقف ممن تسعد بهم الاوطان وترتقي بهم الامّة الى اعلى مراتب الشهرة وعزّة الشان

وهنا نستميح كبرآء الامة العربية واغنيآءها ان نوجه التفاتهم صوب هذه المأثرة الجليلة والمصلحة العمومية وما ينشأ عنها من الخير العظيم المتصل على تراخي الايام ولسنا نزيد العارفين منهم علماً ان امثال هذه الاوقاف هي التي رقيت بالعلم والصناعة في الديار الاوربية الى الحد الذي نراهُ اليوم ومهدت لاهلها سبل الاختراع والاكتشاف وحثّت هممهم على قطع هذا الشوط البعيد الذي تقدموا بهِ سائر الامم وسادوا اقطار الارض حتى اصبحوا ملوكها وامرآءها وجباة اموالها ومالكي افلاذها فضلاً عما ترتب على هذه المبرّات من موأساة البائس وتخفيف بلآء المريض والعاجز بما أُنشئ بها من ضروب المرافق المختلفة وبنآء المستشفيات والملاجئ وما أُرصِد منها لتعليم الاحداث وهداية الشُرَّد وتربية المهملين وسائر وجوه الخير والنفع مما خفف وطأة الشقآء وانار ليالي الجهل وكفى اهل الحرص مضض السؤال والبذل .. حتى اصبحت

هذه الاوقاف عامةً في جميع الممالك الاوربية والاميركية لما آنسوا من فائدتها وتحققوا من عموم نفعها بحيث انهُ لا تكاد تمرُّ سنةٌ في مملكةٍ من تلك الممالك الا توقف فيها مبالغ طائلة يتجاوز بعضها عشرات الملايين من الفرنكات

ولقد طال ما نادت بذلك صحف الاخبار والعلم عندنا وجهرت بهِ الخطباء في المحافل حثًّا لذوي اليسار على الاقتدآء باولئك الاقوام والسعي في اخراج الأُمَّة من ظلمات الجهل واودية الشقآء وفي القطر مئاتٌ من ذوي الثروة الطائلة لا يعجزون عن القيام بمثل تلك الاعمال من فضل اموالهم ولكنا نأسف ان نرى غالب تلك الاموال في ايدي اناسٍ يبذرونها في الشهوات ويبذلونها ثمنًا للمخازي والفضائح او ينفقونها على ما لا طائل تحتهُ طلبًا للمباهاة بمفاخر صبيانية لا يقيم لها العاقل وزنًا او اباطيل فارغة لا يتمدى نخرها ليلةً او اسبوعاً ويعرضون عما فوق ذلك من المآثر الجليلة والمفاخر الباقية التي تسمو اليها النفوس الفاضلة والهمم الراقية ويُبتغى فيها طيب الاحدوثة والاجر الجزيل

فالى هذا الهمام الفاضل نسوق طيّب الثنآء ونبشرهُ بذكرٍ لا يفنى ومجدٍ لا يبلى ونحث ارباب السعة والغنى على الاقتدآء بسنّتهِ والجري في سبيلهِ فان قيمة الانسان ما يحسنهُ لا ما يخزنهُ وان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً والصالحات الباقيات خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ املاً

حكاية حال

قصيدة عصرية لحضرة الكاتب الشاعر المجيد نقولا افندي الحداد

رأى بنتَ من يهوى وقد جدَّ وجدُهُ ... وقطَّع منهُ الصدُّ قلباً متيَّما
طوى ليلهُ لم يجتلِ بدرَ وجهها ... فما كان ليلٌ منهُ ادجى واظلما
فلما رآها استوقفتهُ وقد بدت ... لاقنوم من يهوى مثالاً تقنَّما
رشاً بنت خمسٍ قد تبدَّت لطرفهِ ... تلاعبُ اتراباً لها تشبه الدُمى
فظلَّ لديها حائرَ اللبِّ هائماً ... يطيل اليها نظرةً وتوسُّما
واذ همَّ بالتسآل عنها اجابهُ ... فؤادٌ لديها بات ولهان مغرما
ألستَ ترى فيها ملامحَ غادةٍ ... غدوتَ بها من شدة الوجد مُسقَما
فذي العين تلك العين والثغر ثغرها ... وقد ضارعتها نظرةً وتبسما
وفي ناظرَيها الشعر واللحظ لفظهُ ... وقد كلَّم القلب الشجيَّ فكلَّما
وفي ثغرها بيت القصيد وبحرهُ ... عُذَيبٌ يعوم الدرُّ فيهِ منظَّما
فذي نسخةٌ من رسم تلك مصغَّراً ... وحسبك هذا الحسن أن تتوسما

***

ولما تلقاها تجافت وأجفلت ... وما ادركت من وجدهِ ما تضرَّما
ولا علمت ما في حشاهُ من الجوى ... وأنَّى لها سرُّ الغرام لتعلما
فبشَّ اليها ثم اوما تحبُّباً ... ورحَّب اغراءً وحيَّا وسلَّما
ولكنها لم تحبهُ غير نظرةٍ ... تفهَّم فيها الف معنًى وترجما
وما هيَ تعني ما استفاد وانما ... توهَّم عيني غيرها فتفهَّما
وضاحكها فاستأنست بابتسامهِ ... ولاطفها كيلا تصدَّ وتحجما

ولاعبها مستصبياً متودِّداً ومازحها حتى تميلَ وتبسما
ترامت عليهِ والتبذُّلُ عندها عفافٌ فلا تدري التآويل منهما
فؤادٌ كذاك القلب لكن بلا هوًى لخلٍّ لها دَلٌّ على تلك حرّما
دلالٌ بلا تيهٍ رماها بحجرهِ فضمَّ ملاكاً طاهراً متجسّما
وعانقها مستنشقاً هُدبَ ثوبها ودغدغها حتى ملا ضحكُها الفما
فقبّل كفيْها وقبّل خدَّها وقبّل عينيها وقبّل مبسما
وروّى لساناً للّمى كان ظامئاً وبرّد قلباً كان بالوجد مضرما

. . . .

رآنيَ يا أُمي فتًى ما عرفتهُ ويا أُمِّ ما احلى الفتى ما أرقَّ ما
وقصّت عليها بنتها كلَّ ما جرى حديث صغيرٍ يخبر الامر مثلما
فقالت ومعنى قولها في ابتسامها وقد عرفت ذاك المحبّ المتيما
يمثّل دوراً يبتغيهِ حقيقةً وهيهات ما يبغيهِ قد عزَّ مغنما

اسئلة واجوبتها

شفا عمرو- بينا كنت اطالع في الجزء الخامس من كتاب الف ليلة وليلة المطبوع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت عثرت على جملة في خبر حيقار الفيلسوف وهي من الرسالة التي بعث بها فرعون ملك مصر الى سنحاريب يقول فيها « اني قد اشتهيت ان ابني لي مقصورةً بين السماء والارض واريد منك ان ترسل لي من عندك رجلاً حكيماً ... ويكون لك عندي كسيم اثور ونينوى ثلاث سنين » فما معنى لفظة كسيم هنا

ثم اني لدى مطالعتي كتاب مجمع البحرين تأليف المرحوم والدكم الشيخ ناصيف اليازجي وجدت في شرح المقامة الشامية قول بيهس الفزاري «لكنَّ بالاثلاث لحماً لا يظلَّل» فلم افهم المراد بالاثلاث وظاهر القرينة انهُ اسم الموضع الذي قُتل فيهِ اخوتهُ لكن قد صُرّح هناك ان اسم ذلك الموضع بلدح فارجو الافادة عن هذين السؤالين ولكم الفضل س * ح

الجواب ـ اما لفظة الكسيم فلا نعلم المراد بها ولم نرَها في شيء مما وقفنا عليهِ فلعلها اعجمية او محرَّفة . واما الاثلاث فصوابها الأَثَلات بالتاء المثناة آخرها وكذلك وجدناها في نسختنا وهي جمع أَثْلة واحدة الأَثْل لصنفٍ من الطرفاء . الظاهر ان اشلاء اخوتهِ طُرحت تحت اثلاتٍ كانت بذلك الموضع

آثار ادبيّة

انيس الجليس ـ قد دخلت هذه المجلة في سنتها الثالثة وهي مثابرة على ما عهد بها القرآء من نشر رياط الآداب ومحاسن الانشاء والشعر مع الاجادة في اختيار المقالات العلمية والادبية خصوصاً ما يتعلق منها بالاحوال النسائية وما يتصل بها من المقالات الرائقة في التربية والتهذيب وسائر الاحوال البيتية والاجتماعية فنشكر همة حضرة منشئتها الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينوه ونرجو لهذه المجلة الحسناء زيادة الانتشار

سبل الهدى ـ مجلة علمية ادبية تهذيبية لحضرة صاحبها الاديب احمد افندي سعيد وقد وردنا الجزء الاول منها فالفينا فيهِ عدة مقالات

مفيدة في الاغراض المشار اليها والمجلة المذكورة تصدر مرتين في الشهر في ست عشرة صفحة وقيمة اشتراكها خمسة عشر غرشاً في السنة فنرجو لها مزيد الرواج

المفتاح ـ مجلة علمية صحية تاريخية ادبية ينشئها حضرة الاديب توفيق افندي عزّوز وهي تصدر مرةً في الشهر في ٣٢ صفحة مذيلةً برواية ادبية من تعريب المشار اليهِ وقد وقفنا على الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات مفيدة في اغراضٍ مختلفة في العلم والادب فنثني على حضرة منشئها الاديب ونحث القرآء على مطالعتها وقيمة اشتراكها اربعون غرشاً مصرياً في السنة

كتاب تنوير الاذهان بمعرفة مبادئ تقويم البلدان ـ أُهديت لنا نسخةٌ من الجزء الاول من هذا الكتاب تأليف حضرة الاديب رشدي افندي كمال من متوظفي ديوان السكة الحديدية بمصر وهو يشتمل على مقرّر السنة الاولى من الدروس الجغرافية لتلامذة المدارس الاميرية وقد تصفحناهُ فوجدناهُ كثير الفائدة حسن الترتيب فنحث الدارسين على اقتنآئهِ ونثني على مؤلفهِ ثنآءً جزيلاً

تنبيه * ضاق هذا الجزء عن استيفاءِ ما وعدنا بهِ من مرويّات الاب شيخو وسنعود اليها في الجزء الآتي ان شآء الله



ترجمة المرحوم عبد الله المرّاش

هو الطيّب الذكر عبد الله بن فتح الله المرّاش وشقيق المرحوم فرنسيس المرّاش الشاعر الكاتب المشهور من أُسرةٍ عريقة في الفضل والوجاهة معروفة بالعلم والادب وُلد في حلب في ١٤ مايو سنة ١٨٣٩ ونشأ بها وتأدّب على والدهِ وغيرهِ فتلقى في حداثتهِ مبادئ علوم العربية والخط والحساب ثم دخل في اعمال التجارة فتخرّج في ابوابها وفنونها ولما بدت نجابتهُ فيها انتدبهُ جماعةٌ من جلّة تجار حلب لعقد شركة تجارية ينشئ لها محلاً في منشستر من بلاد الانكليز فسافر اليها سنة ١٨٦١ ولبث بها الى سنة ١٨٦٩ واشتهر بما كان عليهِ من الامانة والدراية فكان لهُ مقامٌ محمود بين معامليهِ من ارباب

التجارة واحرز منها ثروةً صالحة . وفي تلك السنة تمّ فتح خليج السويس فاستشفّ من ورآء هذا الفتح انهُ سيكون ضربةً قاضية على تجارة حلب لانهُ قدَّر ان البضائع التي كانت تُرسَل اليها فتحملها القوافل برًّا الى نواحي العراق وبلاد العجم لا بدّ ان تُرسَل بعد ذلك بحراً عن طريق السويس ثم البصرة ولهذا السبب واسبابٍ اخرى نوى العدول عن التجارة بتةً وشرع في حلّ الشركة وتصفية اعمالها . وبعد ان وضعت الحرب اوزارها بين الفرنسيس والالمان سنة ١٨٧٠ انتقل الى باريز فأقام بها الى سنة ١٨٧٩ ثم عاد الى منشستر لبعض الشؤون فلبث بها الى سنة ١٨٨٢ وبعد ذلك فارقها فاتى مرسيليا والقى بها عصاهُ ولم يزل مقيماً بها الى ان توفاهُ الله اليهِ في اواسط الشهر الغابر من هذه السنة على ما تقدم لنا ذكرهُ في الجزء الماضي

هذا مجمل ما يُذكر من تاريخ هذا الرجل وما تقلب فيهِ من اطوار الحياة وقد عبرت ايامهُ كلها على السكينة والدعة لانهُ كان قليل المزاحمة والتطالّ الى بعيد الشؤون والتفاني في معالجة الحظوظ وابتغاء الشهرة والمقامات العلية بالاكثار من الجلبة والحراك على انهُ كان على حظٍ من الدنيا بلغ بهِ مبلغ الرضى وهو الغنى كلهُ فلم يكن بعد ذلك يحرص على حشد الدينار ولا يعاني الكسب ولكنهُ انصرف الى المطالعة والتوسع في العلم وهو ما لم ينقطع عنهُ قطّ مع اشتغالهِ بالتجارة ايضاً فانهُ كان كثير الاختلاف الى مكاتب لندرا وباريز يتصفح ما فيها من الاسفار قديمها وحديثها ولا سيما الخطيّة منها فادرك حظًّا وافراً من لغة العرب وتواريخهم وآدابهم وانتسخ منها عدة كتب عزيزة نذكر منها كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وهو مصنَّفٌ ضخمٌ يكون نحواً

من الف وخمس مئة صفحة كبيرة انتسخهُ من مكتبة باريز ثم عارضهُ بنسخة لندرا واشار الى مواضع الفرق بين النسختين ونبه على ما وجدهُ مبايناً للصحة من غلط النساخ مما استدركهُ بنفسهِ وبعد ذلك عارضهُ بالنسخة المطبوعة في دمشق بعثنا اليهِ بها من القاهرة وبعد ان جمع بينها وبين نسختهِ ردَّ الينا نسختنا وقد تتبعها صفحةً صفحةً وسطراً سطراً وعلّق على هوامشها كل ما وجدهُ من الفروق والزيادات وغيرها فكانت كل واحدةٍ من هاتين النسختين اصحَّ نُسَخ هذا الكتاب . ولكن.........

وهناك كتبٌ ورسائل اخر كلها من غُرَر آثار الاقدمين ونوادر تآليفهم انتسخها بخطهِ مع العناية والتدقيق في مقابلتها وتصحيحها وكان مليح الخطّ نقيّ الرقعة كثير التأنق كاكثر خطّاطي حلب وكان يكتب اولاً بقلم من القصب الهندي وهو شديد الصلابة لا يكاد يتشعث ولا يتغير ثم صار يكتب باقلام الحديد ولذلك ترى خطهُ من اول الكتاب الى آخرهِ واحداً

وكان رحمهُ الله من اكابر اهل الانشاء حسن الترسل سهل العبارة واضح الاسلوب بصيراً باختيار الالفاظ والتراكيب حسن النقد حريصاً على البلاغة ووضوح المعاني آخذاً بالنصيب الاوفر من قوالب فصحاء العرب والفاظ الخاصةّ من اهل الادب . وكان مع ذلك متقناً للغة الانكليزية والفرنسوية والطليانية يكتب فيهنَّ جميعاً وكان لهُ باعٌ طويل في التاريخ والفلسفة وعلم الاخلاق والاديان والشرائع المختلفة مشاركاً في كثيرٍ من علوم المعاصرين كالطبيعيات والهيئة وسائر الفنون الرياضية وكان بصيراً بالسياسة مطلعاً على اسرارها ودقائقها ولهُ في كل ذلك مقالاتٌ ورسائل شتى منها ما هو باقٍ

بخطهِ ومنها ما نُشر في بعض الجرائد العربية في لندرا وباريز وجرائد ومجلات القطر المصري واشهر ما طُبع لهُ منها مقالة التربية التي نشرناها تباعاً في مجلة البيان وهي قريبة العهد من القرآء فلا حاجة الى الاطناب في وصفها . واما النظم فانهُ مع تضلعهِ من فنون البلاغة وكثرة ما كان يحفظ من اشعار العرب والمولدين ومع اشتهار بيتهم بالشعر كان قليل الرغبة فيهِ والمماناة لهُ ولا سيما مع ما بلغ اليهِ الشعر في هذا العصر من الانحطاط والتفاهة ومع قلة المميزين بين جيدهِ ورديئهِ .

واما صفاتهُ الشخصية فقد كان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض اللون طلق المحيا فصيح اللسان مهذب المنطق واسع الرواية لطيف المحاضرة وقد أُتيح لنا لقآؤهُ عند مرورنا في مرسيليا في اواخر سنة ١٨٩٥ وهو في نحو السابعة والخمسين من عمرهِ وقد عممهُ الشيب وانضجتهُ السنّ والتجربة فالفينا فيهِ رجلاً جليل القدر كامل الصفات قد جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيس واريحية العرب . وكان على اعظم جانب من الزهد وخفض الجناح بعيداً عن الزهو والخُيلآء متنزهاً عن الدعوى والكبر حتى انهُ مع سعة فضلهِ ورسوخ قدمهِ في العلم والانشآء واجماع المطالعين على استحسان كلامهِ كان يتفادى من ذكر اسمهِ في اكثر ما كتبهُ وما طُبع لهُ ويشترط ذلك على من يروم نشر شيء من آثارهِ وهذا ولا جرم من عنوان تمام فضلهِ وتناهيهِ في الكمالات الانسانية لانهُ لم يكن يتوخى فيما يكتبهُ الا نشر فائدة او تقرير حقيقة دون ابتغآء الشهرة والتهالك على طلب الاطرآء . وعندنا من آثار قلمهِ رسالتان احداهما جمع فيها فوائد متفرقة في علم الهيئة وتخطيط

الارض والثانية عرّب فيها خواطر الدوك دلارُشفوكو[1] في الاخلاق والآداب وكان قد بعث الينا بهذه الرسالة من مرسيليا بتاريخ ٤ آب (اوغسطس) سنة ١٨٩٠ يستطلع رأينا فيها ومعها كتابٌ يقول في جملته ما نصهُ

« كنت في اثنآء اقامتي بباريز قد عرّبت كتاباً للدوك دلارُشفوكو دعاهُ بالحكم والخواطر السانحة وهذا المصنّف من رجال القرن السابع عشر جمع بين السيف والقلم وكان من اهل الحظوة المقرّبين الى الملك ومن عظمآء اهل البلاط فكان في اثنآء مخالطتهِ الجند ومعاشرتهِ اهل البطانة يرى في اخلاقهم وعاداتهم من الريآء والفساد ما ينكرهُ وتسنح لهُ في ذلك خواطرْ ومعانٍ شتى فيعبّر عنها باسلوبٍ بديع ويقيدها في دفترهِ على ما تعنّ لهُ من غير تبويب ولا ربطٍ بينها ولم يزل على ذلك حتى بلغت هذه الفقَر الى خمسمائة واربع ثم نشر هذا الدفتر فأُعجب بهِ الناس حتى عدُّوهُ في جملة كتب الادب التي يُقتدَى باساليبها ويُتخرّج عليها في فن البلاغة وكان اشدّ ما اعجبهم من خواطرهِ تعريفهُ الريآء بانهُ استكانة الرذيلة للفضيلة او اقرار الطالح بفضل الصالح. ثم نُقل هذا الكتاب الى سائر لغات الافرنج على ما فيهِ من خواطر لم يبقَ لها في عصرنا هذا ما يسوّغها

« وقد عنّ لي اليوم ان ارسل اليكم بانموذج من هذا التعريب فان وجدتموهُ من سقط المتاع وغالب ظني انهُ كذلك نبذتموهُ ظهريًّا وان وجدتموهُ خليقاً بان يطّلع عليهِ الناس فلا تضنّوا عليَّ بما يجرّئني على نشرهِ .. وفي عزمي ايضاً ان الحق بهِ ما عرّبتهُ ترسلاً من منظومةٍ في النصائح لاحد

---

(١) Duc de Larochefoucauld

الافرنج المتقدمين وهاكم انموذجاً منها

« ليس ما نشاهدهُ من الانسان هو الانسان بل هو السجن الذي سُجن فيهِ والقبر الذي واراهُ والفراش الواهن الذي هوّم عليه

« ولا الانسان ما تراهُ من هذا الجسد الفاني وان راعك منهُ حسن الاعضآء وجمال الجثمان بل هو اجمل من هذا كلهِ ولذا ادّخرهُ الله لحضرتهِ

« وفي الجملة فما يُدعى بالانسان انما هو شعاع الالوهية ذَرّةٌ من الوحدة الربانية قطرةٌ من فيض العين الازلية

« فاعترف ايها الانسان بأصلك ولا تزدهينَّك الدنيا بل احتقرها فانك نباتٌ سماويٌّ وحقك ان تزهر في العُلَى

. . .

« اذا نظرتَ الى المنافق وهو بوجههِ المستعار آليتَ انهُ اشدُّ الناس تورُّعاً وهو يتسلل مع ذلك في الحنادس طالباً جارتهُ ليغويها

« اخجل من الناس وكن من نفسك أخجل لان عار زلاّتك لاصقٌ بك وانت بوصمتهِ أولى واللبيب من كان عليهِ من نفسهِ رقيب

« خذ بيد المسكين وأحسن اليهِ فان الله يبارك في مال المترآئف على المساكين وينميهِ

« ليت شعري ماذا تنفعك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في خزآئنك وتعدُّد الملابس الفاخرة في أصونتك ووجود الحنطة والشعير طيساً في اهرآئك ووفرة دنان الخمر المعتَّقة في مخازنك

« والمسكين الواقف على عتبة بابك عرياناً خرصاً خائر القوى من

الجوع لم يفز منك بكِسرةٍ لسدّ رمقهِ فرجع خائباً من جدواك منكسر القلب كاسف البال

. . .

« من توهَّم بمجرَّد زعمهِ انهُ حكيم فعُدَّهُ من جملة الحمق ومن ادَّعى العلم فاختبرهُ وامتحنهُ فلن تجد عندهُ الا الكلام الفارغ

« اذ كلما ازداد المرء علماً ازداد لنفسهِ اتهاماً واخو الفضل لا يفتخر »

انتهى نصّ كتابهِ رحمهُ الله مع اسقاط اشياء منهُ دلَّت على تناهيهِ في التواضع والرقة وكان يودّ ان نتولى لهُ طبع الرسالة المذكورة في احدى مطابع بيروت لعدم وجود مطبعة عربية في مرسيليا ولكن عرض اذ ذاك ما حال دون انفاذ رغبتهِ من حدوث المراقبة على المطبوعات في الديار الشامية واحالة الاذن فيها على مجلس المعارف بالعاصمة ثم عرض لنا بعد مصيرنا الى هذه الديار من العُقل التي اكثرها معلومٌ عند القرآء ما شغل الذرع عن التفرُّغ لغيرهِ وبقي الجزء الذي بعث بهِ الينا منها الى هذه الايام ونحن مثبتون في هذا الموضع اشيآء منهُ ايذاناً بفضلهِ وان قُدّر لنا الظفر بتتمة الرسالة طبعناها برمتها وجعلناها جائزة السنة الثانية للضياء. وهذا نصّ بعض ما جاء فيها

« ليس احتقار الفلاسفة للمال سوى رغبةٍ مستترة في الانتقام لفضلهم من ظلم الدهر فهم انما يزدرون بالخيرات التي حُرموها تذرعاً بذلك الى اتقاء ذل الفقر وتوصلاً الى الفوز بالتبجيل الذي لم يقدروا على تحصيلهِ بالمال

« تدخل الرذائل في تركيب الفضائل كما تدخل السموم في تركيب الادوية الا ان الحزم الذي هو صيدليُّها يعدّل مقاديرها حتى يجعل منها دواءً

ناجماً في دفع اسوآء الحياة

« كثيراً ما كنا نخجل من احمد افعالنا لو اطلّع الناس على الاسباب التي ساقتنا اليها

« رأيُ اعدآئنا فينا اقرب الى الحقيقة من رأينا في انفسنا

« مهما كان الانسان ميالاً الى اهتضام جانب اقرانهِ فهو الى عدم التغاضي عن كاذب فضائلهم اقرب منهُ الى الحيف على صادقها

« الشبيبة سكرةٌ لا يُفاق منها بل هي حمّى العقل

« المتكبر وان تنازل عن زخرف الدنيا لا يهمل تكبرهُ بل يستعيض بفخر الزهد عما تركهُ من ابهة المجد

« ليس المصيب من عثر على الصواب اتفاقاً بل من عرفهُ وميزهُ واستحسنهُ

« ارفع درجات الدهآء ان نحسن التعامي عن الحبائل المنصوبة لنا والمرء اسهل ما يكون انخداعهُ اذا حاول ان يخدع غيرهُ

« تصميم المرء على تجنب الخداع كثيراً ما يجعلهُ عُرضةً للانخداع

« من ظنّ ان لهُ من نفسهِ ما يغنيهِ عن الناس فهو في ضلالٍ مبين واضلُّ منهُ من ظن ان لا غنى للناس عنهُ

« لعلك تجد في النسآء من لم تخادن قطّ ولكنك لا تكاد تجد فيهنّ من اذا خادنت اقتصرت على خِدنٍ واحد

« البعد يُزهق المحبة الضعيفة ويزيد العشق القويَّ قوةً كالريح تطفئُ الشمعة وتضرم النار

« اثنان يعسر ارضآؤهما من اشتدّ عشقهُ ومن خمدت نار عشقهِ او كادت

« كثيراً ما يباهي الانسان باشدّ الاهوآء اثماً ما خلا الحسد فانهُ من المخزيات التي يحاول صاحبها ان يخفيها ولا يجسر على الاقرار بها ابداً

« تسرُّعك في وفآء ما نلتهُ من المعروف ضربٌ من انكار المعروف

« ليس شكران النعمة في جُلّ الناس سوى طمعٍ خفيّ في نيل نعمٍ اعظم

« قلما نلقى كفوراً ما دمنا قادرين على اسدآء النعم

« ما اكثر الذين يستهينون بالمال وما اقلّ الذين يحسنون بذلهُ » انتهى

واما فصولهُ في الهيئة وما يليها فسننشر بعضها في الضيآء . وهي مع كونه لم يأتِ فيها بشيء جديد فانها لا تخلو من احيآء الفاظٍ من مصطلحات العرب في هذا العلم مما ذهبت باكثرهِ الايام الا من بعض الاسفار الباقية الى هذا العهد في خزائن اوربا مما دل على وفرة اطلاعهِ وامعانهِ في البحث والتقييد

وبقي هنا امرٌ لا بدّ من التنبيه عليهِ وهو انهُ رحمهُ الله كان قد كتب الينا في الايام الاخيرة بنقدٍ مطوّل على ترجمةٍ فرنسوية لكتاب مروج الذهب نُشرت من عهدٍ غير بعيد بقلم واحدٍ من اكابر علمآء الفرنسيس يقال لهُ المسيو ربباي دمينار (١) والنقد المذكور يقع في نحو ثمانين صفحةً من مثل صفحات الضيآء وسننشرهُ في هذه المجلة ان شآء الله تباعاً حرصاً على ما فيهِ من الفائدة وتخليداً لفضل مؤلفهِ رحمهُ الله رحمةً واسعة واجزل ثوابهُ في دار النعيم

---

(١) Barbier de Meynard

العلوم عند العرب

(تابع لما في الجزء الثامن)

واما الفلسفة فكان اكثر اشتغالهم منها بما وراء الطبيعة على مذهب ارسطو واول من اشتهر منهم بها يعقوب الكندي الملقب بفيلسوف العرب من رجال القرن الثالث ولهُ عدة تآليف في المنطق والفلسفة الباطنة وشروحٌ على كتب ارسطو وكان من المتعاطين الطب ايضاً ولهُ مصنفاتٌ في الهندسة والحساب والموسيقى والهيئة . ومن معاصريهِ اسحق بن حُنين العباديّ وثابت بن قُرّة وقسطا بن لوقا البعلبكي ويوحنا بن البطريق وغيرهم ممن تقدم ذكرهُ اشتغل اكثرهم بالفلسفة وعرّبوا كتبها فيما عرّبوهُ من كتب اليونان وكان اكثر ما عرّبوهُ في الفلسفة عن السريانية وكان قصاراهم نقل تلك الكتب الى العربية ودراستها وتفهُّم اغراضها لم يكادوا يخرجون الى غير ذلك . ثم نبغ بعد اولئك جماعةٌ اشتهروا في الآفاق وكانوا اساتذة الحكمة وقادة طلاّبها منهم ابو نصر محمد بن محمد بن طَرْخان بن أُوزَلَغ الفارابي من رجال القرن الرابع قال ابن خلكان وهو اكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبتهُ في فنونهِ والرئيس ابو عليّ بن سيناء بكتبهِ تخرّج وبكلامهِ انتفع في تصانيفهِ[1] .

(١) حكى ابن سيناء عن نفسهِ قال قرأت كتاب مابعد الطبيعة فما كنت افهم ما فيهِ والتبس عليَّ غرض واضعه حتى اعدت قرآءتهُ اربعين مرة وصار لي محفوظاً وانا مع ذلك لا افهمهُ وأيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمهِ واذا انا يوماً حضرت وقت العصر في الورّاقين وبيد دلال مجلد ينادي عليهِ فعرضهُ عليَّ فرددتهُ ردّ متبرم معتقداً ان لا فائدة في هذا العلم فقال اشترِ مني هذا فانهُ رخيص ابيعكه بثلاثة دراهم فاشتريتهُ فاذا هو كتاب لابي نصر الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة

وكان رجلاً تركيّاً وُلد في فاراب ونشأ بها ثم خرج منها وتنقلت به الاسفار الى ان وصل الى بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغاتٍ غير العربي فتعلمهُ واتقنهُ غاية الاتقان ثم اشتغل بعلوم الحكمة ولما دخل بغداد كان بها ابو بشر متى بن يونس الحكيم المشهور وهو شيخ كبير وكان يقرأ الناس عليهِ فن المنطق ويجتمع في حلقتهِ كل يومٍ المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب ارسطاطاليس ويملي على تلامذتهِ شرحهُ فكتب عنهُ في شرحهِ سبعين سفراً . ثم ارتحل الى مدينة حرّان وفيها يوحنا بن خيلان الحكيم النصراني فاخذ عنهُ طرفاً من المنطق ايضاً ثم قفل راجعاً الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها والوقوف على اغراضهِ فيها . ويقال انهُ وُجد كتاب النفس لارسطاطاليس وعليهِ مكتوب بخط ابي نصر اني قرأت هذا الكتاب مئة مرة ونُقل عنهُ انهُ كان يقول اني قرأت السماع الطبيعي لارسطاطاليس الحكيم اربعين مرة وارى اني محتاج الى معاودة قرآءتهِ . وذكرهُ صاعد بن احمد القُرطبي في كتاب طبقات الحكماء فقال الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة اخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن خيلان فبذّ جميع اهل الاسلام واربى عليهم في التحقيق لها وشرح غامضها وكشف سرها ونبه على ما اغفلهُ الكندي وغيرهُ من صناعة التحليل وانحاء التعاليم فجاءت كتبهُ في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة . ثم لهُ بعد هذا كتابٌ شريف في احصاء

فرجعت الى بيتي واسرعت قرآءتهُ فانفتح عليَّ في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انهُ قد صار لي على ظهر القلب وفرحت بذلك وتصدقت بشيءٍ على الفقراء شكراً لله تعالى . اه عن ابي الفرج

العلوم والتعريف باغراضها لم يُسبق اليهِ ولا ذهب احدٌ مذهبهُ فيهِ . انتهى ملخصاً . وللفارابي عدة تآليف في الفلسفة والموسيقى والسياسة المدنية وغيرها ولهُ تعريب كثيرٍ من كتب ارسطو وقد طُبع بعض مصنفاتهِ في البلاد الاوربية واشهرها كتابهُ في السياسة المدنية طُبع في ليدن سنة ١٨٩٥

وجآء بعدهُ الشيخ الرئيس ابو عليّ الحُسين بن سينآء الطبيب الفيلسوف المشهور وُلد في اواخر القرن الرابع وكان نادرة عصرهِ في العلم والذكآء . قال ابن خلكان لما بلغ عشر سنين من عمرهِ كان قد اتقن علم القرآن العزيز والادب وحفظ اشيآء من اصول الدين وحساب الهند والجبر والمقابلة ثم قرأ على الحكيم ابي عبد الله الناتلي كتاب ايساغوجي واحكم عليهِ علم المنطق واقليدس والمجسطي وفاقهُ اضعافاً كثيرة حتى اوضح لهُ منها رموزاً وفهّمهُ اشكالاتٍ لم يكن الناتليّ يدريها . ثم اشتغل بتحصيل العلوم كالطبيعي والالهي وغير ذلك ثم رغب في علم الطب حتى فاق فيهِ الاوائل والاواخر في اقل مدّة وسنُّهُ اذ ذاك ست عشرة سنة . وذُكر عند الامير نوح بن نصر الساماني صاحب خُراسان في مرضٍ مرضهُ فاحضرهُ وعالجهُ حتى برئ واتصل بهِ وقرب منهُ ودخل الى دار كتبهِ وكانت عديمة المثل فيها من كل الكتب المشهورة بايدي الناس وغيرها فظفر ابو عليّ فيها بكتب من علم الاوائل وغيرها وحصّل نُخَب فوائدها واطّلع على اكثر علومها ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمرهِ الا وقد فرغ من تحصيل العلوم باسرها . انتهى باختصار

ولابن سينآء ما يقرب من مئة تصنيف دلّت على انفساح ذرعهِ وغزارة مادّتهِ اشهرها كتاب القانون في الطب وهو في اربعة عشر مجلداً

وكتاب الشفآء في ثمانية عشر مجلداً جمع فيهِ العلوم الفلسفية وكتاب النجاة في ثلاثة مجلدات وهو مختصر الشفآء كتبهُ لبعض اصحابهِ وهو يشتمل على المنطق والطبيعيات والالهيات وكتاب الحكمة العرشية في الالهيات وكتاب تدبير الجند والممالك في الارزاق والخراج وكتاب المدخل الى صناعة الموسيقى وغير ذلك مما يطول تعدادهُ . وقد طُبع جانبٌ من تصانيفهِ بالعربية في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ ونُقل القانون منها والكتب الفلسفية والمنطقية الى اللاتينية وغيرها من لغات اوربا ولبثت هي الدستور المعوَّل عليهِ في مدارس اوربا الطبية والفلسفية ما ينيف على ٦٠٠ سنة

ومن فلاسفتهم فخر الدين الرازي ابو عبد الله محمد بن عمر التيمي البكري الطبَرِستاني المعروف بابن الخطيب من اهل القرن السادس قال ابن خلكان كان فريد عصرهِ ونسيج وحدهِ فاق اهل زمانهِ في علم الكلام والمعقولات وعلم الاوائل وذكر لهُ عدة تصانيف منها في علم الكلام المطالب العالية ونهاية العقول وكتاب الاربعين والمحصَّل وغيرها وفي الحكمة الملخَّص وشرح الاشارات لابن سيناء وشرح عيون الحكمة وفي الطبّ شرح الكليات للقانون وغير ذلك

ومنهم نصير الدين الطُوسي من رجال القرن السابع وهو صاحب البصائر النصيرية في علم المنطق وعَضُد الدين الإيجي من اهل القرن الثامن وهو صاحب كتاب المواقف المشهور في علم الكلام وعليهِ شرحٌ جليل للسيّد عليّ الجرجاني من اهل القرن التاسع وهو آخر من يُذكر من اهل هذه الطبقة بالمشرق

واما في بلاد الاندلس فمن اشتهر بالعلوم الفلسفية ابن حزم ابو محمد عليّ بن احمد بن سعيد من اهل قرطبة وُلد في اواخر القرن الرابع وكان متفنناً في علومٍ جمة ولهُ تصانيف كثيرة منها كتاب الفصل بين اهل الاهوآء والنحل وكتاب اخلاق النفس وكتابٌ في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض وكتاب التقريب بحدّ المنطق وغيرها

ومنهم ابن باجة ابو بكر محمد بن يحيى التُجيبي السرَقُسطي المعروف بابن الصائغ من رجال القرن السادس كان من اكابر فلاسفة العرب بالاندلس وكان لهُ باعٌ طويل في علم الهيئة والرياضيات والطب والموسيقى وصنّف في الرياضيات والمنطق وشرح طائفةً من كتب ارسطو منها كتابهُ في علم الطبيعة وكتاب الكون والفساد وبعض كتاب الحوادث العلوية وغيرها ولهُ عدة رسائل في اغراضٍ فلسفية منها رسالةٌ في النفس واخرى في اتصال العقل بالانسان ورسالة عنونها برسالة الوداع وهي تشتمل على مباحث في القوة المحركة في الانسان العاقل وخلود النفس ولهُ غير ذلك

ومنهم ابن الطُفَيل ابو بكر محمد بن عبد الملك القيسيّ الفيلسوف الطبيب وكان معاصراً لابن الصائغ وهو فيما ذكروا اول من قال بتدرُّج الانسان عن الحيوان ولهُ عدة مصنفات في الفلسفة والهيئة وهو صاحب الرسالة المشهورة في اسرار الحكمة المشرقية التي سماها بحيّ بن يقظان اودعها من اسرار العلوم والحكمة ما دلّ على غزارة مادّتهِ وتبحرهِ في العلوم الفلسفية

ومن معاصريهِ القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن رُشد المالكيّ القُرطبيّ وهو من اشهر علماء الاندلس وفلاسفتها وكانت لهُ الشهرة العالية في الطب

اخذهُ عن ابي جعفر بن هرون الاسرائيلي ثم نزع الى الحكمة واشتغل فيها على ابن الصائغ المقدم ذكرهُ فحسن اثرهُ فيها وصنّف وافاد واشتهر بتفسير كتب ارسطو وتقريب منالها وكان يجلهُ كثيراً ويرى انهُ قد انهى العلم الى ابعد غاياتهِ . وقد خدم مؤلفاتهِ في اكثر العلوم التي صنّف فيها فاختصر بعضها وشرح بعضاً شروحاً متفاوتة واوضح اشاراتها وبسط اغراضها وعلى الجملة فانهُ استقصى شرح مذهب ارسطو الى ما لا غاية وراءهُ . ولهُ تصانيف كثيرة غالبها في الاغراض الفلسفية ولهُ مؤلفٌ جليلٌ في الطب سماهُ الكليات في معالجة الامراض وشرحٌ على ارجوزة ابن سينا . وآخر على القانون وتلخيص لبعض مؤلفات جالينوس في الاستقصات والامزجة والعلل والاعراض والحميات وغيرها وهو آخر فلاسفة العرب بالاندلس (ستأتي البقية)

التحنيط

كان من معتقد المصريين الاولين ان النفس بعد مفارقتها للجسد ومصيرها الى عالم الارواح تأتي كل يوم وتزور جسدها ما دام على شكلهِ الذي كان عليهِ مدة الحياة وكانوا يسمون هذا الشكل ظلاً او شبهاً هوائياً للجسد وهو انما يبقى ببقاء الجسم القائم بهِ قيام الاعراض بجواهرها فاذا مات صاحبهُ وانحلَّ جسمهُ انقطعت النفس عن زيارة الجسد لتبدُّل شكلهِ وزوال الظل الذي كانت تأوي اليهِ ولذلك كان من همهم ان يطيلوا بقاء الجسم بعد الموت ما استطاعوا ليطول تردد النفس عليهِ وتبقى متمتعةً بنوعٍ من حياتها الارضية التي انصرمت بالموت قبل ان تستعيدها بتةً في اوان البعث ومن

ثمَّ اخذوا يزاولون صناعة التحنيط حتى بلغوا فيها اعظم مبلغ من الاتقان وامكن ابقاء الجسم قروناً كثيرة من غير ان يمسَّهُ البلى

اما مواد التحنيط وطريقتهُ فقد وصفها هيرودوطس وديودورس الصقلي وغيرهما بما محصلهُ انهم كانوا اولاً يفرّغون جميع تجاويف الجسد فيستخرجون الاحشاء ويغسلونها بالافاويه المانعة او يتخللونها بسائل من السوائل الكاوية ثم ينزعون ما في الجسم من المواد الشحمية والاجزاء الغشائية وينقعونهُ مدة شهر او اكثر في محلول النطرون (نترات الصودا) او كربونات الصودا وبعد ذلك يجففونهُ بتعريضهِ للهواء او الحرارة وفي اثناء التجفيف يطلون بعض اجزائهِ بالاطلية الحافظة من خارج ويملأونهُ من داخل بمواد عطرية ومانعة من الفساد ومتى تمَّ ذلك كلهُ يلفّون الجسد بعصائب متظاهرة يغمسونها في محلول الصمغ ويشدّونها على جميع جهات الجسد منعاً لنفوذ الرطوبة والهواء

وكان التحنيط عندهم على ثلاث طبقاتٍ متفاوتة في تمام الصنعة وبالتالي في طول مدة الحفظ تبعاً لمقدار النفقة وكانت الطبقة الاولى على ما يستفاد من كلام ديودورس تقتضي من النفقة ما تقدَّر قيمتهُ اليوم بنحو ٥٣٠٠ فرنك والطبقة الثانية تقتضي ما يقدَّر بنحو ١٥٠٠ فرنك واما الطبقة الثالثة فكانت بما هو دون ذلك بكثير لاقتصارهم فيها على اقلّ ما يمكن من ضروريات العمل . وكانت لهم في اثناء التحنيط رسومٌ واحتفالاتٌ غريبة لا بأس من وصف بعضها وذلك انهم متى عمدوا الى تحنيط جثةٍ حُملت الى المكان المعدّ لذلك فتسلَّم الى كهنةٍ قد خُصّص كلٌّ منهم لعملٍ من اعمال التحنيط فيبدأ

بتفريغ الجمجمة بنحو صنارةٍ من نحاس او شبه تُسلك في المنخر الايسر ويُستخرَج بها الدماغ ويملأ مكانهُ افاويه وصموغاً . ثم يأتي واحدٌ من المحنّطين يسمَّى بالكاتب فيرسم بالحبر على الخاصرة اليسرى من الجثة بعد اضجاعها على الارض خطاً من ١٠ الى ١٥ سنتيمتراً ثم يأتي آخر وبيدهِ مُديةٌ من الحجر فيشقّ الخاصرة على طول الخطّ المرسوم فلا يكاد يتمّ ذلك ويخرق جانب الجثة حتى يتناولهُ الحاضرون باللعنات والطرد ويتبعوهُ برجم الحجارة ولكن بحيث لا يؤذونهُ وهو من احتفالاتهم الدينية . وبعد ذلك يقومون صفاً وعليهم أمارات الحزن والارتعاد ثم يتقدم احدهم ويُدخِل يدهُ في الشق ويخرج الاحشآء . ويغسل آخر داخل الجوف بخمر البلح ويذرّ فيهِ الافاويه المطرية ثم تُغمس الجثة في مغطس النطرون اوكربونات الصودا فتبقى فيهِ مدة ثلاثين يوماً كما قالهُ ديودورس او سبعين يوماً كما قالهُ هيرودوطس وبعد ذلك يتمّ العمل على ما ذكرناهُ قبل هذا

اما الاحشآء فكانت تُغسل على حدةٍ وتحنَّط وبعد ذلك فاما ان تُرَدّ الى داخل الجثة قبل مغطس النطرون وهو التحنيط الذي لم يُوفَ حقهُ او ان تُجعَل في اكياس مملوءة موادّ عطرية وتوضع الاكياس مع المومِيا بين الساقين او تحت الابط او في مكانٍ آخر واكثر ما يجعلونها في اربع اوانٍ من الخزف او الحجر

وهناك طريقةٌ اخصر من هذه لا يفتحون الجثة ولكن يقتصرون على حقن الباطن من المنافذ الطبيعية بزيت الأَرْز ثم يغمسونها في النطرون وبعد ذلك يطلونها بالقار . واما الفقرآء فكانوا يحقنونهم بدهن الفجل

الحرّيف لرخص ثمنهِ او يكتفون بوضع الجثة في النطرون ثم يجففونها في الشمس والجثث التي تعالج بهذه الطريقة تكون قصيرة البقآء

وبعد ان يلفّوا الجسم بالعصائب على ما تقدم ولهذا العمل احتفالٌ مخصوص ايضاً يجعلون بين تضاعيفها عقاقير وازهاراً طيبة ومواد عطرية كالراتينج الفينيقي والمرّ ويضعون في اماكن مخصوصة منها احجبةً تحرس الميت في سفرهِ ورآء القبر وينوطون الى عنق المتوفّى لوحةً من الخشب قد كُتب فيها اسمهُ واذا كان من ذوي الثروة يعلّقون في عنقهِ الخنفسآء السرّية بحيث تقع على موضع القلب ويجعلون في اصابعهِ خواتم او طلّسمات مع تذهيب الاظفار وتغشية الوجه برقائق الذهب وتغليف الجسم كلهِ بورقٍ من القوّي مذهّب او مصوَّر . وبعد الفراغ من ذلك كلهِ يجعلون الجثة في تابوت او تابوتين من خشب السرو أو الجميز وفي الغالب يضعون كل ذلك في ناووسٍ ضخم من الحجر او الخشب

هذا عند المصريين واما عند غيرهم فقد جآء في سفر الايام الثاني انهُ لما مات الملك آسا دفن في مقبرتهِ في مدينة داود فاضجعوهُ في سرير كان مملوءًا اطياباً واصنافاً عطرة بحسب صنعة العطارين . والظاهر ان هذا لم يكن الا ضرباً من الاكرام للميت واما اذا ارادوا حفظ الجثة مدةً ما كأن تبقى ريثما تتم ايام المناحة مثلاً فالذي رُوي عنهم في اواخر عهدهم قبل التاريخ المسيحي انهم كانوا يغمسونها في العسل وهو ما صنعوهُ لارسطو بولس على ما ذكرهُ يوسيفوس وهي عادةٌ بابلية

ويُذكَر عن سكان جزُر كناري انهم كانوا يستعملون ضرباً من التحنيط

يشبهُ تحنيط المصريين الا انهُ اتمّ حفظاً للاجساد وكثيرٌ من مومياتهم باقٍ الى اليوم وقد شوهد عدة رؤوس من رؤوس اهل زيلاندا الجديدة وعليها شعرها الكثيف وملامح وجوهها باقيةٌ بحالها وعليها الوشم الذي يتزينون بهِ لم يتغير منهُ شيء وفي رأي بعضهم ان الطريقة التي يستعملها اولئك المتوحشون ليست الا ضرباً من الدباغ بصنفٍ من النبات مع تجفيف الجسم بالحرارة

اما التحنيط في القرون الوسطى وما يليها فقد كانت طريقتهم فيهِ ان يُستخرَج الدماغ فيُدفَن او يحفظ في محلول السليماني الاكَّال ثم تنزَع الاحشآء الصدرية والبطنية وبعد ان تنظَّف تغمس في محلول مركَّز من السليماني فتترَك فيهِ مدةً ما وتُغسَل التجاويف الفارغة ويُذرّ عليها السليماني ايضاً وتُطلى بصابون زرنيخي ثم تُرَدّ اليها الاحشآء بعد تجهيزها بما ذُكر وتُحقَن الاوعية بحقنةٍ ممزوجة بالسليماني او الزرنيخ ثم يلَفّ الجسد بعصائب مغموسة في محلول مركَّز من السليماني

وكانوا اذا فرّغوا الجسد على ما ذُكر يتركونهُ مدة شهرين او ثلاثة منقوعاً في محلول مركَّز من السليماني ثم يجففونهُ على شبكةٍ يعرّضونها لحرارة تدريجية في موضعٍ مطلق الهوآء . وهذه الطريقة هي التي كانت تسمى عندهم بالطريقة المصرية وهي اضمن الطرائق لحفظ الجسد زمناً طويلاً غير انها فضلاً عما تستلزمهُ من طول مدة العمل وكثرة النفقة لا يخلو استعمالها من الخطر ولذلك رأى بعضهم استبدالها بطرائق اخر وقد تفننوا في هذا الطرائق باستعمال موادّ مختلفة وُجد ان افضلها كلورور الزنك لما ظهر بعد الامتحان من انهُ يفعل مثل فعل الزرنيخ والسليماني اي انهُ يحفظ الجسد الى ما لا يتناهى .

وقد حقنت بهِ جثةٌ وكُشف عنها بعد اربعة عشر شهراً فكانت محفوظة حفظاً تاماً وكُشف عن غيرها بعد ثمانية عشر شهراً فكانت كذلك مع بقآء الجسم على طرآءتهِ واستمرار النُسُج كلها على مرونتها مادام السيال المحقون بهِ لا يتبخر . وآخر ما وُصف لحفظ الجثث ان تُدفن في المرّ بأن تجعل في تابوتٍ مملوء منهُ وتُغمر بهِ من جميع الجهات

وقد اخترع المسيو غاريني طريقةً لم تزل في طيّ الكتمان يمكن ان يحنط بها الجسم كلهُ في مدة يومين او ثلاثة وتقتضي من النفقة لا اكثر من ٧٠٠ الى ٨٠٠ فرنك قالوا وهذه الطريقة فضلاً عن ان الجسد يُحفظ بها حفظاً كاملاً في جميع اجزآئهِ التشريحيَّة فان هذه الاجزآء تصير في صلابة الحجر ويكون منظرها منظر التماثيل المصنوعة من الشمع وقيل انهُ يمكن ان يُصنع منها اشيآء مثل التي تُصنع من الرخام وان تجزَّع كما يجزَّع بعض الرخام في بعض . وقد سبق لنا في مجلد السنة الماضية (ص ١٧٦) نقلاً عن مجلة المجلات ان الدكتور ماريني اهتدى الى مثل هذه الطريقة فتوصل الى اختراع يحيل بهِ جثة الميت الى رخام والعين الى زجاج

وقد رُوي عن رويش الجرّاح الهولندي من اهل القرن الثامن عشر انهُ توصل الى طريقة تحفظ بها اشكال الاعضآء ومظاهر الحياة قيل انهُ كان يحقن الجلد بحُقنٍ من الشمع الملوّن على وجهٍ لم يبح بسرّهِ قبل موتهِ ففاتت هذه الصناعة معهُ وقد بالغ احد الشعرآء في وصف مومياتهِ فذكر ان بطرس الاكبر لما زار مجمع آثار رويش قبَّل ولداً صغيراً من تلك المحنطات تمثل لهُ انهُ يبتسم اليهِ

بقي انهُ في بعض الاقاليم قد تُحفظ الجثث بلا تحنيط اي بمجرَّد طبيعة الاقليم وذلك ان كل احدٍ يعلم ان التجمُّد بالبرد يحفظ الجثث من الفساد وفي سيبيريا من ذلك امثلةٌ غريبة من الماموث المتحجر الذي وُجد تحت الجمد سليماً من العوارض بحيث لم يلمّ بهِ ادنى فساد لا في جلدهِ ولا في لحمهِ . وكذلك الحرّ الشديد يفعل الفعل نفسهُ فقد ذكر همبلد انهُ وجد في المكسيك مومياتٍ من هذا النوع وروى بعض السيَّاح انهُ زار بعض ساحات الحرب في مواضع من البلاد الاميركية شديدة الحرّ لا يقع فيها مطر فوجد هذه الساحات مغطاة بجثثٍ قديمة من الاسبنيول واهل البيرو جافةً سليمةً من الفساد . وهناك مواضع اخرى من طبع تربتها ان تحفظ الجثث من غير ان تكون شديدة البرد او الحرّ منها مدفن القديس نقولا بتولوز ومدفن كنيسة القديس ميخائيل ببوردو وقد ذكروا ان هناك ديماساً فيهِ نحو مئة جثة في حالة الموميا وهي من تواريخ متفاوتة ويقال ان منها ما عهدهُ من ست مئة سنة او اكثر واحدثها عهداً وضع هناك منذ مئة سنة

﴿ فونغراف الاب لويس ﴾

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فاثبتناها بحروفها

ذكر بعض الائمة قصة زاغ (غراب) رآهُ محمد بن اسمعيل السعدي وقيل ابو الحسن عليّ بن محمد عند احمد بن ابي دؤاد وقيل عند يحيي بن اكثم .. وأن رأس ذلك الزاغ كان رأس انسان وذنبهُ ذنب غراب وانهُ كان شاعراً فصيحاً عاشقاً .....

فاثبت مشرق البدائع قصتهُ نقلاً عن احد مكاتبيهِ الالباء كمن ثبتت عندهُ صحتها واستدركها على مقالة الضياء «التماثيل المتحركة والناطقة» وعقب على هذه القصة

بقوله « كنا نودّ لو افادنا الدميري شيئاً من تركيب هذه الآلة ... ولعلها تشبه الآلة الناطقة المعروفة اليوم بالفونوغراف »

وكاني بحضرة الاب لو نقل شيئاً عن بساط الريح لقال هو « منطاد اليوم » ولو ذكر المارد الذي خرج من الكوز لقال هو « اللعبة التي يسميها الافرنج polichinelle » ولو مرّ بما رووهُ عن الجن وتمثل الارواح لنشر المقالات الضافية في « السينماتوغراف عند العرب »

اما تمنيه « لو افادهُ الدميري شيئاً عن تركيب تلك الآلة » يعني الغراب فقد كان الدميري رحمهُ الله يميز بين الحيوان والجماد ولو ظن الزاغ آلةً لما ذكرهُ في كتابهِ « حياة الحيوان »

على ان جميع من اوردوا قصة الزاغ المذكور ممن استشهد بهم حضرة الاب ومن فاتوهُ قد عدّوهُ في جملة المخلوقات الحية وهذه قصتهُ كما ذكرها القزويني في كتابهِ « عجائب المخلوقات » (ص ٤٥١ من طبعة غوتنجن) في الفصل المعنون « بالحيوانات العجيبة الصور » قال

« ومنها (اي من تلك الحيوانات) ما ذكرهُ ابو سعيد السيرافي عن بعض الكتاب قال دخلت على القاضي يحيى بن اكثم واذا الى جانبهِ طائر في قفص على شكل الزاغ ورأسهُ كرأس الانسان وعلى صدرهِ وظهره سلعتان فقلت ما هذا اصلح الله القاضي فقال اسألهُ فهو يجيبك فقلت للطائر ما انت فنهض وانشد بلسانٍ فصيح

انا الزاغ ابو عجوه انا ابن الليث واللبوه
احب الراح والريحا ن والنشوة والقهوه
فلا عربدتي تخشى ولا تحذر لي سطوه
ولي اشياء تستظرَ ف يوم العرس والدعوه
فمنها سلعةٌ في الظهر لا تسترها الفروه
واما السلعة الاخرى فلو كانت لها عروه
لما شك جميع النا س فيها انها ركوه

ثم صاح زاغ زاغ وانطرح . فقلت اصلحك الله اوّهو عاشق فقال هو على ما ترى ولا علم لي به وقد ارسلهُ صاحب اليمن الى امير المؤمنين المامون وكتب لهُ كتاباً لم افضضهُ واظن انهُ ذكر فيه شانهُ وحالهُ » انتهى

وهذه الرواية واردة بين خرافات لا يقبلها عقلٌ سليم ومما ذكرهُ القزويني قبلها « امةٌ على صورة الانسان ولهم اجنحة يطيرون بها • وامة رؤوسها رؤوس الناس وابدانها ابدان الحيات • وامة في بعض جزائر الصين لا رأس لابدانهم وافواههم وعيونهم في صدورهم » قال « وسمعت ان واحداً من هذه الامة جاء رسولاً الى عظيم التتار » ••••• وقس على ذلك ما ضاهاهُ من الصور والاشكال التي تولدها المخيلة واغرب ما وصفهُ منها « امةٌ لها رأسان وثماني ارجل رأسٌ واربع ارجل نحو الارض ورأسٌ واربع ارجل نحو الهوآء ••••• وامة يقال لها النسناس لاحدهم نصف رأس ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة كانهُ انسان قدَّ نصفين يقفز قفزاً شديداً يوجد في غياض ارض اليمن » ••••• وما كنا نودّ من حضرة صاحب المشرق الانور الا ان يصوّر لنا هاتين الامتين الاخيرتين وينشر صورتهما في مجلته حتى تكونا عنواناً ناطقاً بما تنطوي عليه من الحقائق ••••••

على اننا لو قطعنا النظر عما في قصة هذا الزاغ من اختلاف الروايات ونزعنا عنها ما أُلبستهُ من قالب الغرابة مما لا يصدق على آلةٍ او حيوان غير الانسان فليس في اصلها الذي لعلها بنيت عليه ما يُنكر على الزاغ لما هو مشهورٌ عنهُ من قوة الحافظة وولوعهِ بترديد ما يسمعهُ فقد روى بلين ان غراباً كان يحيي قيصر واوغسطس وتيبر باسمائهم وكان احياناً يملأ النفوس المحتشدة في الفوروم دهشاً وسروراً بترديدهِ بعض فِقر مما يسمعهُ من كلام الخطباء • وان شيشرون بينا كان في احدى خطبه جعل الغراب يردّد بعنف وشدة Tace, nebulo (اخرس يا سفيه) وما لبث الغراب ان اسكت ذلك الخطيب الشهير دون استيفاء كلامه

وذكر شوانكفيلد ان فلاحاً المانياً بينما كان يقطع احد الغابات اذ سمع صوتاً من الجوّ يدعوهُ باسمه فرفع رأسهُ فرأى فوقهُ جماعةً من الطيور السود وقد انقضّ من بينها طائر وحلق بعض حلقات ووقع على كتفه فاذا هو غراب كان ذلك الفلاح قد رباهُ وعاش معهُ زماناً ثم افترقا نحو عامين وقضى الله باجتماعهما

وذكر المؤرخ تورنس عن الملك فرنسيس الاول انهُ كان يستصحب الى الصيد غراباً ابقع فكان يطلقهُ على الطير اطلاق البازي حتى اذا فقأ الغراب عيني فريسته وعاد منتصراً وقف على يد مولاهُ وقال Nous avons fait bonne chasse Sire (لقد كان صيدنا غانماً يا سيدي)

فالغراب والزاغ من الطيور القادرة على حكاية صوت الانسان وعليه فان جاز ان تُقبل قصة الزاغ المذكور فلماذا تقول انه « فونوغراف » ولا تقول انه مخلوق حيّ وقد حفظ تلك الابيات كغيره من الغربان ما دام الراوون لو صدقوا يزعمون انه من المخلوقات الحية . والقزويني نفسهُ الذي نقل عنهُ الدميري يقول في كلامه عن الغراب « و بعض الغربان يأتي بالفاظ صحيحة لا يتهيأ مثلها للببغاء .. » ولكن هي الاهوآء تعمي وتصمّ

بيروت في ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٠ جبران نحاس

وجآءتنا رسالة اخرى من احد مشتركينا الادبآء في رومية بمعنى الرسالة المتقدمة فاجتزأنا عن نشرها تفادياً من التكرار لان اكثر ما في الرسالتين واحد غير اننا لا بدّ ان نشير منها الى امرين احدهما تعجب حضرة المكاتب من اثبات المشرق لهذه القصة اي قصة الزاغ واستحسانه اياها مع ما فيها من الزيغ عن المعقول والبعد عن مواطن التصديق ولا سيما بعد ما اخذ على الضيآء غير مرة نشرهُ لمقالة « اسرار الكف » الواردة في مجلد السنة الماضية (ص٢٣٤ وما يليها) وانكر عليه مقالة « الرجال المراضع » الواردة في مجلد هذه السنة (ص١٦٦ وما بعد) بدعوى ان هاتين المقالتين تمدَّان من الخرافات التي لا فائدة فيها مع ان صاحبة المقالة الاولى (وهي السيدة لبيبة شمعون) قد صرَّحت في استهلالها بانها لم تؤثر تعريبها عن الانكليزية الا لما رأت فيها من الغرابة ثم تعقبها صاحب الضيآء بما تراهُ في آخرها مما نقض به اكثر ما جآء فيها من المزاعم بالدليل العقلي فثبت انهُ لم ينشرها الا على سبيل التفكه بالغريب كما ينشر في هذه الايام بعض مرويات الاب شيخو مثلاً ... واما مقالة « الرجال المراضع » فلو علم هذا البارع ان ما ورد فيها من شبه الخوارق هو من الحوادث الطبيعية المقررة في العلم والتاريخ والتي اجمع على صحتها عامة الاطبآء والباحثين لم تقع عنده ذلك الموقع من الاستخفاف والاستهجان ولكن من بلغ من ذكائه ان يجعل مجرى النفَس في العروق كما صرّح بذلك حضرة الاب في تفسيره لالفاظ فقه اللغة [1] لا يستغرب منه مثل هذا الانكار

(١) انظر كتاب فقه اللغة المطبوع بتصحيح الاب شيخو (صفحة ٣٧٩ سطر ٥) وهذا نص ما جآء هناك « (الوريد) عرقٌ في العنق ينبض ابداً وفيه مجرى

والامر الثاني ترنم المكاتب بلفظة « الشبوب » التي وضعها صاحب مقالة « الزاغ » للتمثال المتحرك اخذاً من الفرس الشبوب وهو الذي يقوم على رجليهِ ويرفع يديهِ ... (كذا) . ولا ريب ان هذا الوضع من جنس تلك الرواية مما دلنا على حسن ذوق الواضع في الجمع بين المتناسبات .. فهل من يشك بعد هذا ان اللغة قد سعدت في هذا العصر بفضل حضرة الاب ومريديه وان ما فاتهُ احياؤهُ في كتبهِ يحييه مكاتبوهُ في المشرق

— . —

عودٌ الى ما هنالك

ذكرنا في الجزء العاشر من هذه المجلة بعض ما اتفق لنا العثور عليهِ من الابيات والقصائد التي رواها حضرة الاب لويس شيخو في كتابهِ شعراء النصرانية وخبط في تسمية ابحرها ذلك الخبط العجيب مما كان في غنًى عن الخوض فيهِ والتعرض لتبعاتهِ ونحن موردون هنا امثلةً من سائر الابيات التي افسد اوزانها في الكتاب المذكور وغيرهِ على ما وعدنا بهِ هناك وهي اكثر من ان تتسع لها هذه الصفحات ولكنا سنجتزئ منها بالقدر الذي نظنهُ

النفَس » ..... انتهى بحرفهِ ورسمهِ . قلنا وكم لحضرة الاب من امثال هذه الفائدة في الطب والهيئة والتاريخ والجغرافية وعلم الحيوان وغيرها كقولهِ في الكتاب المذكور (ص ٣٧٠) الضب حيوان يسميهِ العامة حربابة ... وقولهِ (ص٣٨٣) عمر بن الخطاب الخليفة الثالث ... وفي شرح مجاني الادب (ص ٨١) الراقي الذي يحسب سير النجوم وعلاقتها بالافعال البشرية ... وفيه (ص ١٨١) زحل اسم سيار من السيارات التسع .. وكرره في صفحة ٤٧٦ . وفيه (ص ٤٧٩) العقاب .. وتمهُ في القطب الشمالي في وسط المجرة ...! وفيه (ص٤٨١) ليس الصوت منفرداً بالتوقف على تموج الهواء بل النور ايضاً ..... وانظر تعريفه للاقليم (ص١١٧) ووصفهُ للجوزاء (ص ٤٧٩) وقس على ذلك مما يطول استقراؤهُ

كافياً لأن يعرّفهُ منزلتهُ من المقام الذي رام ان يحشر نفسهُ فيهِ حتى اذا اطّلع على مقدار رأس مالهِ من هذه البضاعة لاذ بالمسالمة والسكوت واقلع عن موقفٍ لا يكون حظهُ فيهِ الا الفشل والندم . فمن تلك الابيات ما رواهُ في شعراء النصرانية (ص ٨٥) من قول القائل

ايها ذا الذيب لم يُجِب عليك بحيٍّ يجلّي الكُرَب

الشطر الاول من هذا البيت من مجزوء المتدارك والثاني من المتقارب وهو بحر سائر الابيات وحينئذٍ فلكي يلحق الاول بالمتقارب يجب ان يزاد في اولهِ وتدٌ مجموع كأن يقال « ألا ايها ذا » مثلاً ولعل هذا هو الاصل فيهِ فيستقيم . ومنها ما رواهُ (ص ٤٥٥) لعديّ بن زيد يصف سحاباً

مَرِحٌ وبلهُ يسحُ سبوب أل سّما مجاً كأنهُ منحورُ

وهو ولا شك قرأ « السما » بغير الف على ما عرفت من عادتهِ في الاختلاس — أي اختلاس حرف المدّ لا شيء آخر — فلم يظهر لهُ ما فيهِ من الفساد. والصواب « سبوب المآء » . ثم روى بعدهُ

زجلٌ عجزهُ يجاوبهُ دُفٌّ لخوانٍ مأدوبةٍ وزميرُ

وفيهِ اما زيادة سببٍ خفيف في آخر الصدر لانهُ ينتهي بالفآء المدغمة من قولهِ « دُفٌّ » او زيادة حرفٍ متحركٍ في اول العجز اذا نُقل هذا السبب اليهِ وحينئذٍ فالصواب في روايتهِ « لخُوْنٍ » بحذف الالف وبضمّ اولهِ وسكون الواو جمع خوان على حد كُتُب وكتاب ورُوق ورواق وهو مقتضى قولهِ « مأدوبةٍ » بالتأنيث فانهُ لا يصلح صفةً لخوان لانهُ مذكر . وروى في الالفاظ الكتابية (ص ١٦) لغير مسمّى

دماؤهم ليس لها طالبٌ　　مطلولةٌ مثل دم العبيدِ

فجاء الشطر الاول من السريع والثاني من الرجز وقد اصلحهُ في آخر الكتاب بما تجالّ عن ذكرهِ والصواب على هذه الرواية « مثل دماء العَبِيدْ » والدال ساكنة ·　وروى في كتاب علم الادب (ص ١٣٢) قول النابغة

فقال تعالي نجلُّ الله بيننا　　على ما لنا او تجزي ليَ آخرَه

ولا يخفى ما في الشطر الاول من الخلل والصواب « نجعل » مكان « نجلّ » وقد رواهُ بحذف العين وتشديد اللام فكان حظ هذا البيت على عكس ما قيل في بيت ابي نواس المشهور لانهُ قُلعت عينهُ فعمي ·　وروى فيهِ (ص ١٤٢) للبحتري

مصحةَ ابدانٍ ونزهةُ اعينٍ　　ولهوِ نفوسٍ دائمٍ سرورُها

وفي الشطر الثاني نقصٌ لا يخفى والصواب « وسرورُها » بالعطف وانما حذف الواو لان القافية مرفوعة وهو قد ضبط « لهو » بالجرّ وهذا عجيب مع انهُ قد ضبط « نزهة » بالرفع وحينئذٍ فلم يبقَ الا ان يرفع « سرورها » بالفاعلية لدائم وهو ضربٌ من الذكاء لا ننكرهُ عليهِ ·　وروى فيهِ ايضاً (ص ١٦٠) لغير مسمى وهي ابياتٌ عن لسان الشمع

ايها الخمر قد اطلت الفخارا　　أما عقول الصحاة مثل السكارى

فزاد همزةً في اول الشطر الثاني فافسد الوزن والمعنى جميعاً والصواب « ما عقول الصحاة » كما هو ظاهر ·　وروى من هذه القطعة بعد ذلك

اذا ما كنتُ في المجالس خلتُ　　كرياضٍ قد انبتت ازهارا

وفي الشطر الاول خللٌ ظاهر الا انهُ قرأ « اذا » باختلاس الالف على عادتهِ

والصواب « واذا كنت » او « انا ان كنت » مثلاً . وقولهُ « خلتُ » فاسد الوزن والمعنى وصوابهُ « خيلَت » والضمير للمجالس كما هو مقتضى المعنى . وقولهُ « اثبتت ازهارا » لا معنى لهُ والصواب « انبتت » بالنون اولهُ مكان الثآء . وروى في سادس المجاني (ص١٨٠) للطغرآئي

وكرمةٍ أعراقها من الثرى　　　بعيدة المنزع والمضربِ

وظاهرٌ ان الشطر الاول من الرجز والثاني من السريع وهو بحر سائر القصيدة فالصواب ان يُروَى الشطر الاول « اعراقها في الثرى » . وروى من هذه القصيدة ايضاً

ترى الثريّا من عناقيدها　　　تلوح في الخُضْر كالغيهبِ

والشطر الثاني فاسد الوزن لا يمكن ردّهُ الى شيء من الابحر وصوابهُ « تلوح في أخضَرَ » اي في ورقٍ اخضر . وروى في هذا الجزء (ص١٥٦) لابي العلآء المعرّي

ام كنتِ اودعتِها خائفةً　　　نخان والخون اقبح الشيمِ

وهو من مضحك التصحيف والبيت من قصيدةٍ عن لسان رجلٍ يسأل امهُ عن درع ابيهِ والاصل « اودعتِها اخا ثقةٍ » فتصحف عليهِ « بخائفة » . ومثلهُ ما رواهُ في رابع المجاني (ص ١٨٣) لمطيع بن اياس

ثنآء من اميرٍ خير كسبٍ　　　لصاحب معنٍ واخي ثرآء

وخلل الشطر الثاني لا يخفى على من لم يسمع الشعر قطّ وصوابهُ « لصاحب مغنمٍ » وانما اوقعهُ في هذا ان البيت قيل في معن بن زائدة فتصحف عليهِ مغنم بمعن وضاع بذلك الوزن والمعنى . واغرب من هذا وذاك روايتهُ

لبيت السموأل (ص ٢٤١) من كتاب علم الادب

يقرّب حبّ المنون آجالنا لنا　　وتكرههُ آجالهم فتطولُ

فتصحف عليهِ الموت بالمنون وما ندري كيف ذلك مع اشتهار هذه القصيدة حتى لا تكاد ترى في غلمان المدارس من لا يحفظها على ظهر قلبهِ . واغرب من كل ذلك ما رواهُ (ص ١٤٣) من هذا الكتاب لغير مسمًّى

اذا ما الجواد جنَّ واكفهرّا　　وجرَّ من الشتآء الذيل جرّا

الشطر الثاني من الوافر وهو بحر سائر القصيدة واما الشطر الاول فكما تراهُ لا يمكن ان يُردّ الى بحر وما نعلم كيف يقع هذا التحريف لمن عندهُ ادنى ذوقٍ في تمييز الاوزان فضلاً عن مؤلفٍ في العروض ولا نطالبهُ بالمعنى فقد عرفت انهُ لم يعوّدنا ان نطالبهُ بمثل ذلك . ونظن المطالع لا يحتاج ان نرشدهُ الى صحة هذا الشطر وهي ان يُقسَم لفظ « الجواد » نصفين فيُروَى النصف الاول « الجوُّ » بتشديد الواو وتُجعَل الالف والدال مع « جنَّ » كلمةً واحدة على وزن اكرم حتى تصير صورة الشطر هكذا « اذا ما الجوُّ أدجَنَ واكفهرَّا » فيستقيم الوزن ويظهر المعنى

. وقد اذكرتنا هذه النكتة نكتةً مثلها رايناها لهُ في منتخبات الاغاني (ج ١ ص ٨٨) وان لم تكن مما نحن فيهِ حيث روى هذ البيت

ومن عجبٍ عليَّ لعمر أُمٍّ　　غذتكَ وغيرها تيأَمينا

ووضع على آخر البيت رقمًا احال بهِ المطالع على الهامش وكتب في الهامش (كذا في الاصل) واراد ان يخرج من عهدة هذا البيت فالزم نفسهُ عهدةً لا يخرج منها . وذلك انهُ ظنَّ لفظة « ها » الواقعة بعد « غير » ضميراً للانثى

فقصلها عما بعدها وضمها الى غير فبقيت تمة البيت « تيًا يمينا » وهو لفظٌ لا معنى لهُ وبذلك ذهب معنى البيت من اصلهِ . والصواب ان « ها » حرف تنبيه أُدخل على اسم الاشارة بعدهُ الذي هو « تيًا » مصغَّر تا او تي فصار « هاتيًّا » . وغير مضافة الى اسم الاشارة ويمينًا تمييز كما في قولهم ان لنا غيرها ابلاً . وتحرير البيت أحلف بعمر الأُمّ التي غذتك وبغير هذه اليمين

ونستوقف القلم عند هذا القدر وقد بقي من دون ما ذكرناهُ شيءٌ كثيرٌ اضربنا عنهُ خوف الملل والله المسؤول ان يهدي بصائرنا ويصلح سرائرنا ولا حول ولا قوة الا بالله

آثار ادبيّة

كتاب نوادر الكرام في الجاهلية والاسلام — اهديت لنا نسخةٌ من مؤلفٍ بهذا العنوان لحضرة جامعهِ الاديب ابرهيم افندي زيدان صاحب مكتبة الهلال بالقاهرة اودعهُ كثيراً من نوادر ارباب الكرم واخبارهم الشائقة مما خلّد ذكرهم على غابر الدهر وكان نموذجاً للمقتدي بهم في كسب المحامد وجلب الاجر وقد حلاّهُ بكثيرٍ من فصيح الشعر ورائقهِ في مدح السخآء وذم البخل بحيث كان كتاب فكاهةٍ تُقطع بهِ الاوقات وكتاب أدبٍ تراض بهِ النفس على مكارم الاخلاق وكتاب تعليم لمن رام اقتباس ملكة الشعر والانشآء . وهو يشتمل على ١٧٠ صفحة متوسطة ويباع في المكتبة المذكورة وثمنهُ خمسة غروش اميرية

فكاهات

رواية

الكفَّارة[1]

كان في سنة ١٨٤٨ في المانيا رجلٌ عظيم الشأن يُدعى الكُنت منسفلد يقطن قصراً عظيماً فاخراً تحيط بهِ اراضٍ خصيبة على بعد بضعة اميال حول القصر وكلها من الاملاك التابعة لهُ . فلما كان في احد الايام جلس الكنت على كرسيهِ وامامهُ فتًى مرتدٍ بثياب الجندية طويل القامة حسن الهيئة هو ولدهُ الوحيد فجرى بينهما الحديث الآتي . قال الكنت لا بد يا ولدي كارل من أن اطلعك على امور لا يصح كتمانها بعد فاعلم يا ولدي ان الكُنتة ارنستين نسيبةُ مليكنا الامبراطور فردريك وليم وقد خصصها الامبراطور بملايين من الدنانير ولكنهُ اشترط عليها ان لا تتسلّم سوى ربع المال الى ان تتزوج ويجب ان يكون زواجها بفتًى من الاشراف ذي غنًى واملاك وافرة وانت تعلم ان الخسائر الفادحة والمصائب التي ألمّت بنا في الماضي قد حنتني تحت أثقال الدين واصبحت جميع املاكنا رهناً في قبضة يد المحامي مكاسن . والآن وقد أمست شمس حياتي على وشك الغروب فانا اودّ ان أراك قبل موتي مالكاً شرعياً لاملاك منسفلد وزوجاً للكنتة ارنستين فعليك اذاً

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

يتوقف فكاك القصر والاملاك وامامك مجالٌ للفوز فكن رجلاً ودع شيبتي تنحدر الى الهاوية بسرور. فقال كارل ولكن من أين لي يا أبي ان احصل مبلغاً عظيماً كالمبلغ اللازم لتخليص القصر والاملاك . قال قد لاحظت ولا بدَّ يا ولدي ان الامبراطور يميل اليك جدًّا وقد قرَّبك كثيراً من شخصهِ ورقَّاك سريعاً وربما عهد اليك قريباً في مهمات اذا قضيتها على حسب مرادهِ تنال فوق ما يلزمنا . قال ولكن ما عسى أن تكون المهمات التي سيندبني اليها . قال أنت عالم بالحرب القائمة الآن بين الدولة العثمانية وروسيا وقد تحالفت انكلترا وفرنسا على مساعدة الاتراك وقام بعض رجالنا يطلبون من الامبراطور ان يمالئ المملكتين المتحالفتين على كبح جماح الروس ولكنهُ لارتباطات سرية بينهُ وبين القيصر لم يجب وقد اسخط رفضهُ بعض كبراء اعوانهِ فتخلوا عن وظائفهم وبلغ الامبراطور من عهد قريب ان بعضهم ينوي اثارة فتنة بين الجنود واضطرارهُ الى الدخول في الحرب فاقلقهُ هذا الامر واظن انهُ سيفوض اليك السعي في تدارك هذا الخطر. فاذا خدمك التوفيق وتمكنت من معرفة احد القائمين بهذه الثورة نلت ولا شك رضى الامبراطور والاموال الطائلة فنفي ما علينا ونسترجع هذا القصر واملاكهُ ثم تقترن بالكنتة ارنستين وتصبح اغنى واعظم رجل في المملكة الالمانية . وقد ذكرتَ لي انك مأمورٌ بمقابلة الامبراطور في هذا المساء فاذهب يا ولدي وكن رجلاً وليوفق الله مسعاك

وكانت الشمس قد قاربت المغيب فخرج كارل من حضرة والدهِ وكان حصانهُ امام باب القصر فامتطاهُ وسار تتجاذبهُ افكارٌ شتى وجعل يكلم نفسهُ

فقال أجَل ان من اوجب الامور ان اسمى جهدي في ارضآء مليكنا لعلّي افوز منهُ بمكافأةٍ اتمكن بها من فكاك القصر والاملاك من يد مكاسن . اما الكنتة ارنستين فلا انكر هيامها بي واني بمالها ساكون اغنى انسان في المانيا ولكني قد عاهدت صوفيا ابنهيم على الحبّ فكيف انكث عهدي . وما زال كارل يردد هذه الافكار حتى بلغ حديقة في وسطها قصر بديع البنآء فترجل عن جوادهِ وسلمهُ الى خادم هناك ثم دخل الحديقة وجلس على كرسيٍّ من الحجارة . وكان القصر المذكور للكولونيل ابنهيم والد صوفيا المذكورة وكان ابنهيم من رجال البلاط الامبراطوري ومن دهاة القواد محبوباً عند الجيش والامة عموماً وكان فيهِ بعض الاستبداد على الامبراطور فنوى الامبراطور تنكيسهُ ولما طلبت رجال الالمان معاونة الاتراك على الروسية كان ابنهيم أول القائمين بذلك فانكر الامبراطور طلبهم وأهان ابنهيم فلم يحتمل تلك الاهانة واستقال من منصبهِ وجآء فاعتزل في قصرهِ . وحدث ان اجتمع كارل مرةً بالفتاة فاحبها وأحبتهُ واقسما على الوداد سرًّا فكان يوافيها الى الحديقة ويجددان احاديث الحب على غفلةٍ من الرقيب . وما جلس كارل كما ذكرنا بضع دقائق حتى اقبلت صوفيا فنهض للقآئها وسارا كلاهما يتمشيان بين اشجار الحديقة ورياحينها فقالت صوفيا اني لم اكتم عن والدي شيئاً في حياتي سوى امر اجتماعي بك يا كارل أفلا توافقني ان اطلعهُ على ذلك . قال اياكِ ان تفعلي الآن فان العداوة الموجودة بين والدكِ وأبي بسبب اختلاف آرآئهما فيما يتعلق بالحرب الحاضرة لا يسهّل قبول والدكِ بي فالاصلح ابقآء ذلك الى ان نرى ما الذي سيكون . قالت ولكني اخاف ان تنقلب الى

غيري ويعلم والدي بذلك بعد اوانهِ فلا انجو من توبيخهِ . قال لا يخطر في بالكِ هذا الامر فان الكنتة ارنستين وجميع مقتنياتها رهن اشارتي لو شئت ولكنني لست بفاعلٍ وقد وهبتكِ قلبي فانتِ مالكتهُ . وما زالا على مثل هذا الحديث الى ان دنت الساعة التي عينها الامبراطور لمواجهة كارل فودَّع حبيبتهُ ثم امتطى جوادهُ وسار ينهب الارض الى البلاط الامبراطوري

ولما دخل الى حضرة الامبراطور حيا باحترام ووقف فبش الامبراطور لهُ وقال ايها الڤيكنت ان امامك من نعمي شيئاً كثيراً ان احسنت اغتنامهُ . قال كارل ما على مولاي سوى الامر وما عليَّ سوى الطاعة ولو بسفك دمي . قال الامبراطور بلغني أن جماعةً ممن خدموا الجندية يتآمرون عليَّ وقد حفظت الامر سرًّا عن كل احد سواك وانا مفوّضٌ اليك البحث عن هذه الافاعي لقطع رؤوسها فاذا فزت غمرتك بالهبات الجمة وزدتك يد نسيبتي الكنتة ارنستين فاذهب وأرِني افعالك . فحنى كارل رأسهُ وخرج فتوجه توًّا الى والدهِ وكان بانتظارهِ فقص عليهِ ما جرى بينهُ وبين الامبراطور فنشطهُ والدهُ وحثَّهُ على صدق السعي رجآء الحصول على مكافأةٍ تقوم بفكاك القصر والاملاك . وجعل كارل يتنسم الاخبار اياماً وكلما أعياهُ البحث قصد حبيبتهُ صوفيا فسرَّى عندها من همومهِ شيئاً . وفي ذات يوم زارها حسب المعتاد وبينما هما يتمشيان في الحديقة سمع كارل جرس الباب يقرع تباعاً فسأل صوفيا ما عسى ان يكون ذلك قالت ان بعض اصحاب أبي يأتونهُ يوماً بعد يوم ولعلمي انهُ يُشغَل بهم كثيراً اتيقن انهُ لا يبغتنا في خلوتنا . قال كارل ولكن من هم هؤلآء الاصدقآء . قالت لا اعرف احداً منهم وانما يترآءى لي

انهم من رصفآئهِ في الجندية . قال يجب ان اعرفهم مخافة أن يكون بينهم من يعرفني ويراني هنا فيخبر والدي ويفتضح امرنا . قالت اني امكنك من ذلك اذا شئت فللغرفة بابٌ زجاجيٌّ مسدول عليهِ ستار اخفيك وراءهُ فترى الجميع . قال هلمَّ بنا وسار يتبع الفتاة وهي تقودهُ مدفوعةً بالحب غير عالمةٍ بما سيجرُّ عليها المستقبل من الويل والندم . ولما بلغ كارل الباب الزجاجي اختفى وراءهُ فرأى الكولونيل ابنهيم والد صوفيا الى راس مائدة وحولها اصدقآؤهُ فتبينهم كارل وعرف العدد الاكبر منهم . ثم اصغى فسمع ابنهيم يقول نعم بلغني ان الفيكنت منسفلد يكره اعمال الامبراطور وانهُ غير ملتصقٍ بهِ الا لاغراضٍ لهُ وكنت اود ان افاتحهُ بالامر علَّهُ ينضم الينا ولكن اخشى ان يكون ما بلغني غير صحيح فنقع في شر عملنا . فاجابهُ آخر ما لنا ولهذا الغلام الا تدري ان من يتوكأ على قصبةٍ لا يأمن نشوبها في يدهِ . وكانت صوفيا قد استبطأَت كارل وخشيت ان يُعرف امرهُ فنادتهُ واخرجتهُ رغماً قبل ان يسمع تتمة الكلام ثم اوصلتهُ الى باب الحديقة فذهب ورجعت الى غرفتها ولكنها لم تلبث ان شعرت بتبكيت ضميرها على ما فعلت وتصورت لها امورٌ شتى فطلبت الراحة بالرقاد ولكنها لم تنم الا نوماً مزعجاً تخللتهُ احلامٌ مخيفة . اما كارل فتوجه الى بيتهِ وهو ثملٌ بما اكتشفهُ وايقن بالحصول على نعم الامبراطور ولكنهُ كان يخشى ان يحدث ما يسوء حبيبتهُ وبعد مقابلة والدهِ وطَّن النفس على اتمام ما نواهُ وتوجه الى القصر الامبراطوري وكان الامبراطور قلقاً مشتت الافكار فلما دخل عليهِ كارل اقبل عليهِ بوجههِ وقال ما وراءك . قال خيرٌ يا مولاي فاني قد وقفت على الامر كلهِ وعرفت زعيم الثورة واعوانهُ

فجحظت عينا الملك وقال قل لي مَن ومَن . قال اما الزعيم فهو الكولونيل ابنهيم ومعهُ ... واراد ان يتم كلامهُ فقال الامبراطور حسبك قد عرفت الافعى ولا اجهل اولادها فاياك ان يعلم احدٌ بذلك الى ان تصدر اوامري . اما انت ايها الفيكنت فكن من الآن جنرالاً في حرسي الخاص وخذ هذا جزآء امانتك ثم دفع اليهِ اوراقاً فتناولها كارل وانحنى على يد الامبراطور فقبلها وخرج . وشعر حين لفظ اسم والد حبيبتهِ ان خنجراً قد اخترق فؤادهُ وأضاع رشدهُ فسار على غير هدًى الى ان بلغ القصر ودخل الى غرفة والدهِ وكان بانتظارهِ فقص عليهِ الامر والقى اليهِ بالاوراق فنظر فيها الاب فاذا هي تزيد عما يلزمهُ لفكاك القصر والاملاك نبرقت اسرتهُ وصاح ضاحكاً الحمد لله . ثم ذهب كارل الى سريرهِ فاقلقتهُ افكارهُ وتمثل نفسهُ بهيئة خائن دنيء فلم يقرّ لهُ قرار

اما الكولونيل ابنهيم فذهب بعد خروج اصحابهِ الى مكتبهِ واحيا الليل بالكتابة وفي الصباح انطلق الى ادارة البريد بنفسهِ والقى رسائلهُ فيها . ولما عاد الى البيت مرَّ امام غرفة ابنتهِ فرآها لا تزال بثياب الامس وهيئتها تدل على انها لم تذق نوماً فقلق لذلك وسألها عن السبب فانطرحت على اقدامهِ وقالت عفواً يا والدي فاني قد فعلت اموراً خفيةً عنك ولم ينبهني اليها ضميري الاّ مسآء امس وخشيت ان ينتج منها ضررٌ فطار نومي ولو لم اخف من ازعاجك لكنت ذهبت اليك في منتصف الليل واطلعتك على امري فهل تعفو عني يا ابي . قال انهضي ياحياة والدكِ وسلوتهُ ألم تدري انهُ لولا وجودكِ لما رغبت في الحياة فسكني روعكِ واخبريني ما يزعجكِ . فجعلت صوفيا

تقص عليهِ بدموع الخوف ما كان من الاجتماعات السرية بينها وبين كارل وما فعلت اخيراً فعبس الكولونيل وقدحت عيناهُ شراراً ثم سكّن جأشهُ وقال اني لا احزن على نفسي يا ولدي بل احزن لاجل ما سيحل بكِ وباصحابي. والآن فلم يبقَ الا ان نبادر وقوع المحذور فاسمعي ما اقول. انني الآن عائدٌ من ادارة البريد حيث القيت رسائل الى جميع اصحابي اوضحت لهم فيها ما قررناهُ امس ولا شك ان كارل الخائن سيخبر بما رأى وربما صدرت الاوامر بالقبض على هذه الرسائل فيقع اصحابي في الشر العظيم وعليهِ . فانا راجعٌ لأستردَّ الرسائل المذكورة ولكن ربما أُلقي عليَّ القبض فخذي هذا المسدس ومعي مثلهُ فاصعدي الى سطح القصر وراقبيني فاذا رأيتِ الشُرَطِ قادمين الى القصر فاطلقي المسدَّس علامةً لي كي لا ارجع بل اذهب وانتظركِ في كُرنستاد واذا أُلقي عليَّ القبض اطلق لك مسدسي فتعلمين بالامر فاتركي القصر واذهبي الى كرنستاد وانتظري اشعاراً مني واجتهدي ان تذهبي الى اصدقآئنا وتعلميهم بما جرى ليكونوا على بصيرة . ثم ودع الاب ابنتهُ وهي تقبلهُ بدموع الحزن والاسف وسار توًّا الى محل البريد وقال للمأمور انني منذ ساعة احضرت رسائل الى اصدقآئي أدعوهم لوليمة ولكن عرض لي ما ألزمني ان اغير الوقت المعيَّن فهل لك ان تعيد اليَّ الرسائل لاصلحها . فقال المأمور انك منذ وضعت الرسائل في صندوق البريد لم تعد ملكاً لك ولا يمكن ارجاعها . وللحال شعر ابنهيم بيدين من حديد قد امسكتاهُ ورأى نفسهُ مقيداً بين شرطيين وكان ذلك ما يتوقعهُ فاطلق مسدسهُ في الهوآء وسار معهم صامتاً وسمعت صوفيا صوت المسدس فصاحت بتلهف واسرعت

لاتمام أوامر والدها

وفي الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم ذهب الكنت منسفلد وولدهُ كارل الى المحامي مكلسن ومعهما الاوراق التي وهبها الامبراطور لكارل فدخلا عليهِ وطلبا منهُ الصكوك ليفيا الدين فاخرج لهما الاوراق ونقداهُ قيمتها واذ ذاك دخل خادم المحامي يقول ان بالباب سيدةً تطلب مواجهتهُ وقبل أن يتمّ كلامهُ دخلت صوفيا ابنهيم ولما وقع نظرها على كارل صاحت بهِ ويلٌ لك أيها الخائن والقاتل ثم نظرت الى مكلسن وقالت لهُ قد اطّلع هذا الخائن على اعمالكم وبلغها الى الامبراطور وأُلقي القبض على والدي وسيُقبَض عليكم ايضاً فاسرع وانجُ بنفسك وبلّغ اصحابك • وكانت في أثناء كلامها قد وجهت مسدسها الى كارل وابيهِ وقالت أياكما ان تتحركا من مكانكما فان ابنة ابنهيم في يأس ويدها لا تخطئ المرمى فوقف كلاهما مبهوتين وأدرك مكلسن الامر بلحظةٍ واحدة فاعاد صكوكهُ الى صندوقهِ الحديدي ودفع بالقراطيس المالية الى وجه كارل قائلاً الآن علمت انك اشتريت بهذه الخيانة قصرك واملاكك فسآء فألك اني لا اقبل مال الخيانة وسيُنزَع القصر من يدك اليوم ايها الخائن. ثم خرج من الغرفة وبقيت صوفيا ساحرة الاثنين بمسدسها الى ان فُتح الباب ودخل ابن المحامي فقال لصوفيا لقد نجا أبي واصحابهُ وكلهم الآن على طريق كرنستاد مدينة الامان فشكراً لكِ وازيدكِ بشارةً اخرى ان والدكِ ايضاً قد تخلص من الشرطة ونجا. ثم نظر الى كارل ووالدهِ وقال لهما اما انتما فاتبعاني الى قصر منسفلد لتسلماني اياهُ بموجب هذا الامر. فأنّ الكنت حزناً وهطلت دموع كارل ندامةً وصاحت

صوفيا فرحاً وخرجت من الموضع

. . . .

استولى ابن مكلسن على املاك منسفلد واصبح الكنت طريداً فقيراً ورأى الامبراطور انهُ لم يُقبَض على أحد من رجال الثورة فظن ان كارل قد مكر بهِ وانفذ اليهم بلاغاً فسخط عليهِ وترقب معاقبتهُ وكان ضمير كارل يؤنبهُ وافكارهُ تعذبهُ فاخذ والدهُ وتوجه الى كرنستاد ايضاً وكانت حينئذٍ ملجأً من ظلم فردريك وليم وأقام هناك في نزلٍ مع والدهِ . وتكاثرت الاحزان بعد ذلك على الوالد الشيخ فمرض مرضاً ثقيلاً ويأس الاطباء من شفآئهِ وكان كارل مع مقته لهُ لما اوقعهُ فيهِ من المصائب لايفارق سريرهُ ويعاملهُ كما تعامل الام ولدها . وكان مدة مرض الكنت تصل الى غرفتهِ في كل يوم باقةٌ من الازهار وشيءٌ من الفواكه التي يحبها المريض فلم يبالِ كارل اولاً بمن يرسل هذه الهدايا لاهتمامهِ بمرض والدهِ وبعد ما توفي سأل بعض الخدم عمن كان يحضر لهُ الازهار والفاكهة فقال سيدة في النزل المجاور لنا. فلم يشك كارل في انها صوفيا قد عاد الى قلبها الحب الاول وصفحت عنهُ فسار الى النزل ليشكرها ويستغفرها عما مضى ولما دخل الى غرفة السيدة وجدها الكنتة ارنستين فوجم عن الكلام وظهرت عليه علامات القلق والارتباك ورأت الكنتة ذلك فتبسمت وقالت لاتخف يا كارل فلك عندي ما يسرّك . قد اطلعت مؤخراً على تفصيل تاريخ حياتك وأود من كل قلبي انك تقترن بصوفيا لو لم تكن قد خنتها وكنت العامل على قتل والدها وآلها . ولكن لم يفت اصلاح ما مضى فانني قد تداخلت في امرك عند

الامبراطور فصفح عنك ووثق بامانتك لهُ ورجعت منزلتك عندهُ كما كانت وزيادةً على ذلك فقد حصلت منهُ هذا الامر الامبراطوري الذي يصفح فيهِ عن ابنهيم واصحابهِ ويسمح لهم بالرجوع الى برلين نخذ هذا الامر واذهب الى حبيبتك صوفيا ومتى رأت انك حامل اليها امراً بالعفو عن والدها تحققت محبتك لها وعادت الى ما كانت عليهِ نخذها امرأةً لك واجتهد ان تنسيها في ايامها الآتية ما قاستهُ في الماضية . فلم يدرِ كارل كيف يشكر الكنتة على رقة عواطفها فاخذ الامر وقبل يدها وخرج ثم بحث عن محل وجود ابنهيم وطلب مواجهة صوفيا فجثا أمامها واجتهد في طلب رضاها فكانت تكلمهُ بكل اعراض وأظهرت لهُ انها وان صفحت عنهُ فلن تنسى خيانتهُ . فدفع اليها الامر الامبراطوري وقال أستودعكِ الله اذن يا صوفيا فانهُ لم يعد لي اقامة في المانيا وقد فقدت فيها كل عزيز لديَّ وأنا ذاهبٌ الى حيث تدور رحى الحرب فاما أن أموت منسياً أو أكسب لنفسي اسماً يغطي على سيئاتي وخرج من عندها حزيناً . وبعد ذلك أطلعت صوفيا والدها على ما جرى وناولتهُ الامر بالعفو عنهم فاطلع اصحابهُ عليهِ فرجع بعضهم الى برلين أما ابنهيم وبقية أصحابهِ فتوجهوا للانضمام الى الجيش المحارب ضد الروسية واخذ ابنهيم ابنتهُ معهُ . ولما بلغوا موقع القتال تولى ابنهيم قيادة فرقة في الجيش العثماني فكان يهجم برجالهِ الى أشد مواقع الحرب خطراً ويحمل على الروس حملاتٍ تدك الجبال حتى طار صيتهُ وارتعد الجميع لدى ذكر اسمهِ . وفي ذات يوم بينما كان القتال ملتحماً سقط ابنهيم عن جوادهِ ثم سقطت بجانبهِ قنبلة من مدافع الاعداء وقبل أن تنفجر أسرع ضابطٌ كان بالقرب منهُ فحمل

القنبلة بيديهِ وأسرع حتى ابتعد بها عن ابنهيم والقاها الى الارض فانفجرت وأضرّت بالضابط كثيراً اذ بقرت بطنهُ وكسرت يديهِ واقبلت رجال ابنهيم فانتشلت قائدها وحملوا الضابط المسكين في عربة نقل . ولما انتهت الموقعة امر ابنهيم أن ينقل الضابط الى خيمته ليعتني به بنفسهِ ولما وصلوا بهِ الى الخيمة أمر ابنهيم ابنتهُ أن توجه معظم عنايتها الى ذلك الجريح الذي خلصهُ من الموت فلبّت للحال ولكنها ما وقع نظرها على وجه الجريح حتى صاحت بدهشة ان هذا كارل منسفلد يا أبي

وكان في هيئة كارل ما يترجم بافصح بيان عما دفعهُ الى فعل ما تقدم وقرأ في عيني صوفيا ووالدها انهما فهما ضميرهُ وانهما صفحا عنهُ صفحاً باتاً بل نسيا عند رؤيتهِ في تلك الحالة كل ما جرى في الماضي فجمع قواهُ وقال والآن هل تصفحين عني يا صوفيا وهل تحققتِ انني كنت مدفوعاً الى ما فعلت واني ندمت على ما صدر مني الى الموت . قالت لا تذكر الماضي فاني قد نسيتهُ واني لا امنية لي الاّ ان تُشفَى حتى اكون لك . قال هيهات ولكن كفاني انني كفَّرت عن ذنبي فسأموت سعيداً ثم شهق ففاضت روحه

فحزن ابنهيم وابنتهُ على كارل ودفناهُ بما لاق لهُ من الاكرام ولما هدأ ثائر الحرب نقلا عظامهُ الى المانيا حيث ضُمّت الى ضريح أسرتهِ ولبثت صوفيا بقية حياتها عذراء لتسلية والدها وندب الفتى الذي لم تنكر حقيقة كفارتهِ

﴿ كوريا ﴾

تقدم لنا في بعض اجزآء السنة الماضية كلامٌ عن هذه البلاد ووعدنا ان ننشر ما يتيسر لنا الوقوف عليهِ من جغرافيتها ووصف طبائع اهلها · وهي كما اشرنا اليهِ هناك من اخفى بلاد الله معرفةً واغمضها مكاناً وابعدها عن الاختلاط بسائر سكان المعمور وجلّ ما يؤخذ عنها مستفاد من كتابات المرسلين وبعض من القتهم الاقدار الى تلك الارض بسبب غرقٍ او غيرهِ

اما موقع هذه البلاد فهو في الطرف الشرقي من آسيا بين ٣٣° و٤٣° من العرض الشمالي وبين ١٢٢° و١٢٨° من الطول الشرقي من هاجرة باريز وهي شبه جزيرة تحدّها من الشمال بلاد منشوريا ومن سائر الجهات البحر وارضها وعرةٌ في الغاية تشخص الى شماليّها سلسلة جبال شامخة صعبة المرتقى وينفرش امامها من الجنوب والجنوب الغربي جزرٌ وقاراتٌ (جمع قارة بالتخفيف وهي الصخرة العظيمة اصغر من الجبل) كثيرة متلززة يقال لها ارخبيل كوريا تفصل بينها وبين مملكة اليابان · وفي البلاد بحيراتٌ واسعة ويخرج من جبالها انهارٌ كثيرة يدفع معظمها في البحر الاصفر وهو الى غربيّها

والهوآء في هذه البلاد معتدلٌ في الجملة ولكنهُ بارد في الاطراف الشمالية حارٌّ في الجنوبية وارضها خصيبة كثيرة المياه والزراعة فيها عامةٌ الى قِمَم الجبال بحيث لا تكاد تجد فيها مكاناً بوراً حتى في الجزر الصغيرة ومعظم زراعة اهلها الرزّ وهو قوام اطعمتهم ولهم مزروعاتٌ اخر من القطاني والبقول وغيرها ويكثر فيها من الشجر التوت والنارنج

وعندهم أكثر الحيوانات الداجنة المعروفة في هذه الاقطار والسمك في في مياههم كثير وفي الجهات الجنوبية يوجد التمساح وتكثر في جبالهم وادغالهم الحيوانات البرية وعندهم من اصناف الطير شيء كثير منهُ ما لا يوجد في هذه النواحي وفي جبالهم عدة اصناف من المعادن كالذهب والفضة والرصاص والحديد ويستخرجون منها كثيراً من الملح المتجمع في خلال الصخور

اما اهالي هذه البلاد فيقدّرون بنحو عشرة ملايين من النفوس وهم مقيمون من دهرٍ طويل في ظل السكينة والسلم واصلهم مجهول لكن يُظَنّ انهم أخلاط من البلاد المجاورة وكانوا قبلاً ولاياتٍ متحيزة ثم انضمّوا مملكةً واحدة

والكوريّون يشبهون اهل الصين فانهم اهل خير حذّاق لينو العريكة الا انهم ذوو بسالةٍ وشدّة ولهم ميلٌ شديد الى العلم ويوصفون بحب الرقص والموسيق وألوانهم الى السمرة واهل الشمال منهم اعظم قاماتٍ واشدّ أسراً من اهل الجنوب . ولباسهم الجباب الطويلة ذات الاكمام الكبيرة يلبسون تحتها قُمُصاً تصل الى الركبتين وتحتها سراويل متسعة جدًّا . ويلبسون على رؤوسهم قلانس مربعة الشكل عليها فرو والاغنياء منهم واصحاب الوجاهة يلبسون قُبّعاتٍ ينفرش محيطها الى عرض ثلاث اقدام وقمتها هرميّة مستطيلة على شكل قالب السكّر . واحذيتهم من الجلد او من نسيج القطن او الحرير وقد يلبسون النعال ذات الشراك يخصفونها من عصف الزرع

اما نساؤهم فهنّ اقلّ سمرةً من الرجال ويلبسنَ قباءً طويلاً يظاهرنهُ بثوبٍ آخر اقصر منهُ ويجمعنَ شعرهنّ في عقيصةٍ كبيرة في قفا الرأس ويغطين

رؤوسهنَّ بمنديل . وليس مقضياً عليهنَّ كنسآء الصين ان لا يقدرنَ على المشي ولا هنَّ مقصيات عن مجالس الرجال

ومساكن الاغنيآء منهم في غاية الأبهة والزخرفة وبخلافها مساكن سائر الشعب فانها حقيرة ومن اراد ان يغمّي سقفهُ بالآجرّ لزمهُ ان يستأذن في ذلك ولذا فاكثر سقوفهم من الصفائح او القصب . وهم يبنون البيوت من الخشب يتخلّلهُ حجارة وبيوتهم في الغالب طبقة واحدة يبنون في اعلاها هُرْياً للحبوب ويغشّون نوافذهم بورقٍ شفاف . والاغنيآء يبنون في مقدّمة بيوتهم ابهآء للزوّار يفصلها عن مساكنهم ساحةٌ او حديقة والنسآء يلبثنَ في البيوت الداخلية ولا يقتنون من الاثاث الا الضروريّ من الماعون .

والحكومة عندهم تحظر على الاهالي مخالطة الاجانب وتمنع الاجنبيّ من جوس بلادها . اما عوائدهم فمعظمها مأخوذ عن عوائد الصين وكتابتهم بالحرف الصيني وهو المصطلح عليهِ في الكتب والمعاملات ولهم كتابة اخرى يستعملها كبرآؤهم وخواصّهم لا تعرفها العامّة وكتابةٌ ثالثة بين الرجال والنسآء . ولغتهم لغةٌ خاصّة يخالطها الفاظٌ صينية والدارسون منهم لا يُقبَلون في الخُطَط الا بعد أداء الامتحان على حدّ ما هو الحال في الصين ويميزون انفسهم بريشتين يزينون بهما قلانسهم

اما دينهم فهو على مذهب فوَا (١) وبعض كبرآئهم على مذهب

---

(١) هو صاحب شريعةٍ في الصين له اتباعٌ كثيرون واصلهُ من بنارس بالهند وقيل من كشمير ولد سنة ١٢٠٧ قبل الميلاد ومن قواعد شريعته تحريم الكذب واحترام مال الغير وتحريم قتل كل ذي روح واجتناب الخمر والدعارة والتصديق بالثواب والعقاب

كنفوشيوس وعندهم اديارٌ كثيرة يكون في بعضها نحوٌ من ٥٠٠ راهب وللراهب عندهم ان يخلع الرهبانية اذا شآء ولرؤسآء الرهبانيات مقامٌ رفيع ولا سيما اذا كانوا من اهل العلم وبخلافهم الرهبان فانهم محتقرون. ولا يجوز للراهب ان ياكل شيئاً كان فيهِ روح وهم يحلقون شعر رؤوسهم ولحاهم وتحرُم عليهم مكالمة النسآء ومن خالف شيئاً من ذلك عوقب بضرب العصيّ وطُرد من الرهبانية . وكل راهبٍ عند دخولهِ في الرهبانية يُوسَم في ذراعهِ بوسمٍ لا يذهب ابداً . وهم يتعيشون باعمال ايديهم وقد يتعاطون التجارة او الكُدية ومنهم من يتعاطى تعليم الاحداث ولجميعهم مقرَّراتٌ من الحكومة. وعندهم ايضاً اديارٌ للنسآء ولراهباتهم ان يخرجنَ اذا شئنَ ويتزوجنَ

والمتزوّجون عندهم يجمعون بين عدة نسآء الاان المرأة الشرعية لا تكون الا واحدة وللرجل ان يطلّق متى شآء بدون قيد. ونسآء العامة تشاطر رجالها اشقّ الاعمال

والكبرآء منهم والاحرار يعتنون العناية الكاملة بتربية ابنآئهم وتعليمهم حتى يصيروا اهلاً لتولي الخُطَط والعبيد بخلافهم فانهم يهملون اولادهم لانهم متى صاروا قادرين على العمل دخلوا تحت تصرف مواليهم

واذا مات احد الاحرار فلا يُدفَن الا بعد ثلاث سنوات من موتهِ وهذا مما يدل على ان عندهم التحنيط ويكون دفنهُ في الربيع او الخريف ويحدّ عليهِ بنوهُ هذه المدّة كلها واما الاخ فيحدّ على اخيهِ ثلاثة اشهر فقط.

بعد الموت . ولم ينتشر مذهبهُ في الهند الا قبل الميلاد بنحو ٢٠٠ سنة وكهنتهُ يقال لهم البونز و يعيشون معاً في الاديار

وعند الدفن يضعون حول القبر ملابس الميت وعربتهُ واعزّ خيلهِ عليهِ فتكون هذه الاشيآء مغنماً لحاضري الجنازة وينصبون على قبور كبرآئهم تمثالاً من الحجر وكتابةً وبذلك تميّز عن قبور العامة

واما الإرث فالقسم الاعظم من متروكات الاب يكون للبكر من اولادهِ وباقيهِ يوزَّع بين بقية الابنآء . اما البنات فالظاهر انهنَّ لا يرثنَ ولا يكون معهنَّ حين الزواج الا جهازهنَّ

ولهذه المملكة اميرٌ تنتقل الامارة في صلبهِ وهو مطلق السلطان فيها الا انهُ تحت إمرة امبراطور الصين يؤدّي اليه خراجاً سنوياً فاذا مات ورد منشور المُلك على وليّ عهدهِ من قِبَل الامبراطور على يدي اثنين من بطانتهِ فيتقبل ذلك المنشور وهو جاثٍ على ركبتيهِ ويذهب سفيرهُ في باكين فيسجد بين يدي الامبراطور ويرفع اليهِ الخراج . وزوجة الملك الجديد لا يُطلَق عليها لقب ملكة الا بعد ان يُنعَم عليها بهِ من بلاط باكين

وللملك مجلس شُورَى مؤلف من وزرآئهِ ومن اكابر الخُطَط في البر والبحر وشرائعهُ شديدة والعقاب أليم وأقلّ هفوةٍ يُعاقَب عليها بالعصيّ كما في الصين وكل من لا ينتظم في الجندية عليهِ ثلاثة اشهر سخرة للملك

ولما كانت البلاد محاطة الا اقلها بالبحر فكل مدينة بحرية تخصص سفينة مجهزة بالمؤن والمدافع فتجتمع هذه السفن اساطيل تحرس الثغور وتراقب كل اجنبيٍ ينوي التسلل الى داخل البلاد . وقد ورد سنة ١٧٩٧ الى خور تشاسان ربّان انكليزي يقال لهُ بروطُن بقصد التماس الوقود والمآء فلم يكد يلقي مراسيهُ حتى احاطت بهِ الزوارق وهي غاصة بالرجال والنسآء والاولاد

ينظارون اليهِ لاستغرابهم منظرهُ ولما خرج الى البرّ لم يعنوهُ ولكن عينوا لهُ مسافةً لا يتعداها ولما دخلها المبشرون في القرن السابع عشر ذبحوهم عن آخرهم بعد مدة قصيرة من دخولهم ولم تُفتح ابواب كوريا للغريب الا بقوة اليابان ويقال ان جملة من فيها من الاجانب اليوم لا تزيد على ثلاثة عشر الف نفس منهم ٩٥٠٠ من اليابان و ٢٧٠٠ من الصينيين و ١٠٠ من الاميركان والبقية وهم لا يتجاوزون عشراتٍ قليلة من سائر طوائف اوربا

الانتحار

من اعجب ما رُكّب في طبع الانسان من غرائب الاطوار انك بينا ترى بعض الناس ينقّب عن اسباب طول البقآء ويحرص على ازدياد نفَسٍ من انفاس الحياة ولو كان في قرارة الشقآء اذ ترى غيرهُ يتطلب اسباب المنيّة بطرُق الانتحار ويتعجل حلول اجلهِ ليدفع شقآء الحياة بالبوار وما ذلك الا لان الدنيا على ساكنها دار عقاب وأن الحياة على ربها سوط عذاب الآ أن من الناس من يعلل نفسهُ بحديث الآمال ومواعيد الاستقبال فيصبر على ما يمسهُ فيها من الوبال ومنهم من يرهقهُ اليأس فلا يستطيع على بؤسها قراراً ويتمنى التخلص منها فلا يجد بغير الموت فراراً على ان الموت بالمرصاد فمن لم يتعجلهُ بيدهِ فلن يفوتهُ في غدهِ والدهر يومان يومٌ عليك ويومٌ لك فان فاتك ما استدبرتَ منهُ فلن يفوتك ما استقبلك

واسباب الانتحار كثيرةٌ منها ان يعثر الدهر بالفتى ويَمْنيهُ بالفقر بعد

الغنى حتى يحتاج الى ابتذال وجهه بالسؤال وتحملُ منن الرجال فيختار الموت على ذل الابتذال واولئك من لا يرون الحياة في مأكل ولا مشرب ويرون الموت آتياً ليس منهُ محالةٌ ولا عنهُ مذهب فيتعجلونهُ تخلصاً بأهون الشرَّين . ومنها العشق حتى يرى الدنيا كلها في معشوقهِ بل لا يرى من الدنيا سواهُ فلو زفقتها اليهِ بأسرها ولم يكن محبوبهُ فيها لم يرَ انهُ قضى شيئاً من مناهُ ولا ادرك حظاً من دنياهُ فتمثَّل الحياةَ صورةً لليأس قد ارتسمت على صفحة وجدانهِ وكلما استقبل وجه الصباح قرأ فيهِ صحيفة حرمانهِ فوجد من الوحشة ما يستحبّ عليهِ وحشة القبر ومجاورة الرِمَم . ومنها ان يُبتلى بدآء عقام يتقلب فيهِ على قتاد الأَرَق ورَمَض الآلام ويرى نفسهُ يخطو كل يومٍ خطوةً الى الرمس وآمالهُ تَهوِي متهافتةً في اودية اليأس حتى لا يجد للحياة معنًى الا اطالة عنآئهِ ثم ورود المنية بعد ان يتجرعها مراراً بين صباحهِ ومسآئهِ فيتعجلها دفعةً واحدة وويلٌ اهون من ويلات . ومنها ان يقع في شُهرةٍ من دنيئةٍ ارتكبها او سُبَّةٍ احتقبها فيجد من مضّ العار ولحظات عيون النظّار وما يأخذهُ من حرّ الندامة وتقريع النفس اللوّامة ما يصغّر نفسهُ اليهِ ويهوّن لقآء المنية عليهِ فيجعل القبر بينهُ وبين العائبين سدّاً . وعلى الجملة فجُلّ اسباب الانتحار اوكلها يرجع الى اليأس واعتقاد عدم الانتفاع بالبقآء وانما هو من نتائج خَوَر الطبيعة وسقوط المُنّة ولذلك لا يكاد ينتحر الا الجبان لما يرى في نفسهِ من العجز عن مقاومة البلآء

على ان سأمة الحياة كما تكون من سوء احتمال شقآئها ونفاد الصبر

على مسّ بلآئها　قد تكون من سوء احتمال نعيمها　وفراغ الذرع من اثقالها وهمومها　ومن غريب العِبَر في ذلك ما رُوي من ان رجلاً خانتهُ دنياهُ وضاقت عليهِ مذاهب العيش حتى عزم على الانتحار فتناول مسدَّساً لهُ وجهزهُ ووضعهُ على مائدةٍ في وسط غرفتهِ ثم جعل يتمشى في طول الغرفة وعرضها وهو كلما مرّ بالمائدة تناول ذلك المسدَّس فصوَّبهُ الى دماغهِ ثم ادركهُ الحرص على الحياة فردّهُ الى المائدة وعاد يتمشى حتى تكرر ذلك منهُ مرّات . وبينا هو كذلك اذ قُرع عليهِ الباب ففتح فاذا برجلٍ من ذوي الشارة ومظاهر الغنى فلما رآهُ اضطرب ووقف مبهوتاً فاخذ الرجل بيدهِ الى داخل الغرفة ثم قال اني مقيمٌ بهذا المنزل الذي يواجه غرفتك وقد رأيت ما كنت تحاول صنعهُ فلمَ عزمت على قتل نفسك . قال اني رجلٌ كنت من اهل اليسار وسعة اليد وقد اتفق لي من تقلب الدهر بذويه ما جرّدني من اموالي وحاولت ان أُخلف ولو ما يكفيني ذل السؤال فلم اجد في كل ما بسطت يدي اليهِ الا حرماناً وقد بعت حتى لم ادع الا الثوب الذي عليّ فلم يبقَ الا ان اصرم حياتي بالموت . قال بئست النفس الصغيرة ألهذا انت عازمٌ على فراق الدنيا بيد أني أراك لست بأهلٍ للاقدام على مثل هذا الامر لان في نفسك اشيآء من الدنيا لا تسمح بفراقها حتى تقضي نهمتك منها وانا رجلٌ قد نلت من كل شيء من اصناف النعيم وعرفت كل ما في هذه الدار فتاقت نفسي الى ان اعرف ما في الدار الاخرى . ثم تناول من جيبهِ صكاً بمبلغٍ طائل من المال ودفعهُ الى الرجل وقال دونك هذا فأقم بهِ اود معاشك واخذ المسدَّس فارسل منهُ رصاصةً الى دماغهِ فخرّ لوقته صريعاً

على ان الانتحار لا يختصّ بما كان بالسلاح وسفك الدم فهناك ضروبٌ اخرى من الانتحار لا سلاح فيها ولا تقضي على المرء لوقتها ولكنها تتلف حياتهُ شيئاً فشيئاً وتستنزف دمهُ قطرةً فقطرة حتى يضمحلّ وهو لا يدري. فمن تلك الضروب ادمان الاشربة الروحية التي تحرق المعدة وتسطو على الكبد والرئتين فبينما ترى السكّير مورَّد الوجنتين تارّ البدن قويّ البنية اذ تراهُ قد تهوّر في ضعفٍ لا نجاة لهُ منهُ وشرب من كاس منيتهِ ما لا تفي بهِ تلك الكؤوس . ومنها تعاطي السمّ المعروف بالمرفين يتخذهُ اصحاب الآلام المبرّحة لتسكين فورة الالم لكنهُ لا يلبث ان يصير عادةً فيهم يتعذر عليهم تركها ويدعو بعضهُ بعضاً حتى يبلغ مقداراً لا تحملهُ البنية فيسكّن آلامهم بالموت وفقدان الحسّ جملةً . ومنها الاسراف في الشهوات والملاذّ البدنية فان الافراط من اللذة من مهلكات الحواس وانما خُلقت اللذة في الانسان لحكمةٍ قُصد منها الترغيب فيما وراءها تذرعاً الى بقاء بنيتهِ ونوعهِ فالطبع ولا شك يدعو الى الاستزادة منها ما وسع صاحبها المزيد ولكن خُلق العقل ليكون قائداً للطبع مقيّداً للشهوات والّا ضاعت مزية الانسان على الحيوان بل كثيراً ما ترى الحيوان في ذلك خيراً من الانسان

ومن تلك الموبقات الاسترسال الى الدعة والراحة والتقلب في مهاد الترف والنعيم مما يترهل بهِ الجسم وتزول قوّتهُ على مقاومة العوارض واحتمال سطوات الطبيعة فاذا مرّ بالانسان اقلّ جهدٍ من تعبٍ او سهرٍ او غيرهما خرّ على فراشهِ مريضاً وكثيراً ما تغلبهُ العلّة لضعف الجسم عن مقاومتها فيكون فيها حَينهُ . وذلك فضلاً عما تورثهُ هذه الحال من فساد البنية بما

يتجمع فيها من الفضول السامة وتعرُّض الجسم لكثيرٍ من الآفات المرضية والعلل المزاجية القتّالة مما لا تُتقى غوائلهُ الا بالرياضة والحركة قضآء لحق وظائف الاعضآء وتقويةً لها على ملاقاة الطوارئ ٠ ويلحق بذلك شدة التحرُّز في المآكل والمشارب والمبالغة في اتقآء التقلبات الطبيعية من الحرّ والبرد والرطوبة وغيرها حتى يقيم المرء بينهُ وبين الطبيعة حجاباً كثيفاً وسدّاً منيعاً وبذلك يجعل نفسهُ عرضةً لما توقّاهُ لانهُ عند اول مرةٍ يُخرَق فيها ذلك الحجاب ولو سهواً تتسلط عليهِ تلك العوارض بكل قواها اذ لا تجد فيهِ ما يقاومها فيكون بمنزلة من جرّ عليهِ حرباً ولا سلاح يدفع بهِ عن نفسهِ لان اول سلاحٍ على الطبيعة اعتيادها ومقاتلتها بسلاحها عينهِ ٠ ومنها الافراط في الحزن عند وقوع المصائب فقد يشتدّ الهول على المصاب حتى يرى ان القيامة قد قامت عليهِ وان الطبيعة قد ضربتهُ بكل سلاحها فيُخلِد الى الجزع والكآبة ويستولي عليهِ الأرَق والاضطراب حتى يفضي بهِ الامر الى انتهاك القوى البدنية والنفسانية وتستحوذ عليهِ الامراض والآفات المهلكة ٠ ومنها شدة تهافت الانسان على الاهتمام والدأب وجهد النفس الى ما فوق طاقتها في الاستكثار من حطام الدنيا على غير حاجةٍ اليهِ كما يفعلهُ اكثر ارباب الاموال ممن تراهم كلما اتسع غناهم اتسعت مطامعهم وازدادوا حرصاً على ما بأيديهم وتهالكاً على الكسب حتى تكون زيادة اموالهم زيادةً في نَصَبهم وعنآئهم فتضنى ابدانهم وتُنهَك قواهم بادمان جهد الفكر واستدرار تنبه الحواسّ مما يكون على الغالب مجابةً للآفات المختلفة التي اقلّ عواقبها تسلط الاسقام وتقصير ايام الحياة ٠ ومن اولئك المقامرون الذين يحيون

الليالي بين مجاهدة الحواس ومغالبة اهوآء النفس والتعرُّض للانفعالات الفجآئية ينتقلون فيها من طورٍ الى طورٍ ويتقلبون بين كفتَّي الرجآء والقنوط وصدمتي الفرح والاكتئاب وكلها احوالٌ مؤدية الى العطب بما لها من شدة التأثير على اعصاب الدماغ وهي ولا شك تنتهي باضمحلال البنية اذا لم تنته باليأس الذي هو اعظم دواعي الانتحار . وقس على ذلك ما اشبههُ من الاسباب التي يكون منشأها في الغالب الاسترسال مع الطبع وترك الاعتدال في الامور حتى يُحمَل على النفس الى ما فوق احتمالها فلا ينتبه الانسان الى تفريطهِ حتى يقرع سنهُ ندماً حين لا ينفع الندم

وهناك انتحارٌ آخر لا تُسفك فيهِ دمآء العروق ولا يُتخوَّن ما تحت الجلود ولكن يُقتَل فيهِ الشرف والمروءة وتُنحَر الاحساب والمآثر وتُتلَف المواهب الطبيعية والمنن الرحمانية فترى الفتى الذكيَّ الفؤاد السليم الفطرة الكريم المولد يتهافت الى معاشرة الارذال ومخالّة السفهآء فلا يلبث ان تسري اليه عدوى رذائلهم ويلبس شعار دنآءتهم فتموت فيهِ الوجدانات الشريفة ويخلع عنهُ رداء الحيآء ويبرز صفحتهُ للعار والامتهان حتى يموت موتاً ادبياً وهو موت من لا يُذكر بعد موتهِ بحسنة ولا تُستَر لهُ سيئة . وهذا ولا ريب هو شرّ انواع الانتحار لما فيهِ من هدم الشرف والالتطاخ بالمعايب وكثيراً ما يجرّ الى غيرهِ من الانواع المقدَّم ذكرها لما انهُ جماع الشرور وملتقى الرذائل ومفاسد الاخلاق وهو من الآفات المنتشرة بين ابنآء الاغنيآء والكبرآء عندنا حتى ترى اكثرهم شيناً على ذويهم وعرَّةً في وجوه احسابهم فضلاً عما قد يقترفون من الجنايات والموبقات . وانما يُتلافى هذا الدآء

باحسان التربية وتنشئة الاحداث على الفضائل ومكارم الصفات وصرفهم الى الاشتغال بالعلوم والآداب حتى ينشأ فيهم ما يرفع نفوسهم عن مقارنة اهل الجهالة والنقائص . ولا يكفي في ذلك ان يلقَّنوا مبادئ بعض العلوم او اللغات مما قد يكون ضررهُ اكثر من نفعهِ ولكن لا بدّ بعد تلقينهم تلك المبادئ العامّة من حملهم على نوعٍ مخصوص من انواع العلوم يتعمقون فيهِ ويلحقون بخاصّة اهلهِ حتى يجدوا من انفسهم ميلاً الى الاشتغال بهِ والتوفر عليهِ وهم ولا شك اقدر من سواهم على ادمان تعاطي العلم والتفرغ لهُ عن الاشغال المعاشية فيكونون فضلاً عما يكتسبونهُ في انفسهم من الرجال النافعين في البلاد العاملين على تشييد مباني العلم وتجديد معالم الفضل واحياء مجد الأُمّة بما يبدو لهم من جلائل الاعمال ومحاسن الآثار

الوقاية من الدفثيريا

لحضرة النطاسيّ الفاضل الدكتور حبيب كرم

الدفثيريا او الخُناق داءٌ معدٍ معروف ينتشر غالباً كوباءٍ شديد الوطأة لا يرهب كبيراً ولا يرحم صغيراً الا انهُ اكثر ما يعرض للاحداث وخصوصاً من كان منهم بين سنتين وخمس سنين . وهو يفتك فتكاً ذريعاً بحيث انهُ في بعض السنين كانت الوفيات تبلغ الستين في المئة من المصابين او اكثر ولم تكن تهبط الى العشرين الا نادراً . وسبب هذا الداء نوعٌ من الانبوبيات (الباشلّس) اكتشفهُ الدكتور لُفلَر والدكتور كلَبْس فنُسِب اليهما وسُمّي انبوبيّات كلبس لفلر ثم دُرِست طبائعهُ وطرق نموّهِ واشتهر بذلك الاساتذة

رو ويرسن في فرنسا وبهرنغ في المانيا وسدني مرتين في انكلترا . ومنذ نحو اربع سنين اكتُشفت طريقة جديدة لعلاج هذا الدآء وهي طريقة الحقن بالمصل جرَّبها رو في فرنسا وبهرنغ في المانيا في عهدين متقاربين فنقص معدل الوفيات بهذه الطريقة كثيراً حتى صار لا يتجاوز العشرين في المئة او دونها في الغالب والفضل في ذلك اولاً لمكتشفَي الانبوبيات المذكورة وهما لُفلَر وكلِبْس وثانياً لرو وبهرنغ اللذين استعملا طريقة الحقن بالمصل المار ذكرها

وقد كثر الآن الباحثون من رجال العلم في هذه الانبوبيات فصار يمكن مقاومة فتكها ومنع انتشارها اكثر مما كان قبلاً . وهي توجد فقط في الغشآء الكاذب الذي يتكون غالباً في الحلق فتفرز هناك سماً وهذا السمّ يمتصهُ الجسم فتظهر الحمَّى وبقية اعراض المرض المعروفة . اما طريقة انتشارها فهي بواسطة خروج قطع من الغشآء الكاذب المشتمل على الانبوبيات اما بالسعال او بالبصاق فتلتصق هذه القطع بثياب من يقرب من المريض او بفرش الغرفة ومنها قد تتطرق الى الايدي ثم الى الفم فاذا صادفت قرحةً او خدشاً في الفم التصقت هناك ونمت وتكاثرت واحدثت المرض

فاذا اصيب ولدٌ بالدفثيريا يجب المبادرة الى وضعهِ في غرفةٍ منفردة قليلة الفرش الا ما لا يُستغنَى عنهُ لراحة المريض والممرّضة ويكون مدخلها منفصلاً عن بقية غرف البيت اذا امكن ويعيَّن لتمريضهِ اما امهُ او ممرّضة مخصوصة ولا يسمح لغير الطبيب بالدخول عليهِ ولا للممرّضة بالخروج من الغرفة الا بعد تبديل ثيابها وتطهير يديها جيداً بسائلٍ من السوائل المضادة

للفساد ويجب غسل كل الادوات التي يمسها المريض حالاً بمضادات الفساد وافضلها محلول السليماني على نسبة واحد الى الف

اما الثياب فيجب وضعها في المآء الغالي حوالي نصف ساعة وهذا الوقت كافٍ لقتل الانبوبيات ومنع سريان العدوى اذ انهُ من الممكن ان تعيش في الثياب حتى الجافة مدة اشهر ولا تفقد شيئاً من قواها السامة

اما اذا اصيب ولدٌ بهذا المرض في احدى المدارس فيجب للحال عزلهُ في محلٍ منفرد وعزل الاولاد الذين خالطهم في اليومين او الثلاثة الايام الماضية في محلاتٍ منفردة ايضاً والكشف عليهم كل يوم ليرى اذا كانت انتقلت اليهم العدوى . ومدة عزل الاولاد الذين يقعون تحت هذا الاشتباه لا يلزم ان تزيد عن يومين وفي الثالث اذا كان الحلق سليماً عُلم انهم نجوا من العدوى وحينئذٍ فلا مانع بعد الاستحمام وتطهير الثياب من مخالطتهم لبقية التلامذة . على انهُ بعد اكتشاف طريقة الحقن بالمصل اعتاد كثيرٌ من الاطبآء ان يحقنوا بهِ الاولاد الذين خالطوا المريض وذلك لوقايتهم من العدوى وهي طريقة احتياطية مستحسنة ولو خالفها بعض الاطبآء

وعند ما يشفى الولد المصاب يجب ان يُفحَص عن الانبوبيات فحصاً مجهرياً (مكرسكوبياً) ليُتحقق خلوّ الحلق منها قبل ان يُرفَع الحجر عنهُ لان الانبوبيات قد تبقى هناك مدة طويلة وقد وجدها الدكتور رو في حلق مصابٍ بعد اربعة عشر يوماً من الشفآء وقال لفلَر انهُ يمكن ان تبقى في الحلق بعد الشفآء مدة اشهر

فاذا تحقق ان المصاب قد طهُر من الانبوبيات يجب مسح جسمهِ

ببعض المضادّات للفساد ثم غسلهُ بالمآء والصابون الفينيكي وحينئذٍ يجوز لهُ ان يخالط اهلهُ وذويهِ • اما الغرفة فيلزم تطهيرها جيداً وافضل طريقةٍ لذلك ان تُرَشّ جدرانها وسقفها وارضها بمحلول السليماني المارّ ذكرهُ وبعد ذلك تُقفَل الشبابيك اقفالاً محكماً ويُسَدّ كل خصاصٍ فيها يمكن ان يدخل الهوآء منهُ او يخرج ثم تُشعَل فيها كمية من الكبريت تختلف باختلاف اتساع الغرفة وذلك على نسبة ٢٠ غرام كبريت لكل متر مكعب وتترك مُقفَلة ٢٤ ساعة وبعد ذلك تُفتَح النوافذ وتترك هكذا يوماً كاملاً قبل العود اليها • واما فرش الغرفة وثياب الولد فالافضل تسليمها الى ادارة الصحة فتبخّرها على طريقة التطهير بالبخار الشديد الحرارة وهي افضل طريقة لقتل هذه الجراثيم

مُتفرّقات

الذهب في النبات — قد عُلِم من تحليل النبات انهُ يشتمل على معادن شتى منها الحديد والزرنيخ والكالسيوم والبوتاسيوم والمغنيسيا وغيرها وقد تبين بعد الاختبار انهُ يوجد فيهِ الذهب ايضاً قيل ووجود الذهب في النبات مما عُرِف من عهدٍ قديم وقد اشتغل متقدمو الكيماويين في مزاولة استخراجهِ منهُ وفيما زعم بعضهم ان اول من حاول ذلك القديس يوحنا الرسول حين كان يكتب سفر الرؤيا في جزيرة بطمس استدلالاً ببيتٍ من الشعر للراهب آدم دسان فكتور الا ان هذا ليس من الادلّة التي يوثق بها لجواز

ان يحمل كلام الراهب المذكور على المجاز اذ ليس كل ما جآء في الشعر يؤخذ على ظاهرهِ . واول ما رُوي في ذلك من الحوادث المحققة ان احد الرهبان اليسوعيين في القرن السابع عشر دفع الى بيشر الكيماوي شيئاً من رماد الطرفآء حقق لهُ ان فيهِ ذهباً فعالج بيشر هذا الرماد فوجد الامر على ما قال . ثم انهُ في القرن الثامن عشر تبين لرُوال الكيماوي المشهور وجماعةٍ من معاصريهِ ان الذهب يوجد في رماد كثيرٍ من انواع النبات وقد عالج روال وأرساي ٥٠ كيلغراماً من رماد زَرَجون العنب فاستخرجا منها ١٣،٦ غراماً من الذهب الخالص . وامتحن مثل ذلك برتولاي في المقدار نفسهِ من الرماد المذكور فلم يخرج لهُ الا غرامان و ٧٩،

وفي نحو ذلك التأريخ اثبت الكيماوي جرجيس صاج استاذ المعادن في دار السكة بباريز ان الذهب يدخل في بنآء عدّة انواع من النبات واجرى في ذلك عدة امتحانات اثبت ما كان عنها في مذكّرةٍ تلاها في ندوة العلوم في ٢٣ مايو سنة ١٧٧٨ . ومن امتحاناتهِ انهُ اذاب في بوتقة ١٢٢،٢٧ غراماً من رماد الزرجون و ١٥،٧٢ من اول اكسيد الرصاص و ٦١،١٨ من مكاس الطرطير اضاف اليها قليلاً من مسحوق الفحم فكان عنها سبيكةٌ من الرصاص استخلص منها بالنسخ حبةً من الذهب الخالص وهي نحوٌ من ٠،٠٥٣ من الغرام

وقد اجرى عدا ذلك امتحاناتٍ شتى في رماد الزَرَجون ورماد الزان والسماد وتراب الطبقات الظاهرة من المباقل القديمة التي لم تنقطع زراعتها وتسميدها منذ خمسين سنةً فما فوق فاستخرج من كل واحدةٍ من هذه

المواد مقداراً من الذهب تختلف كميته تبعاً لنوع المادة نخرج لهُ من الخمسين كيلغراماً من السماد ٦٫٧٨ غرامات ومن رماد الزان ٩٫٥٤ ومن رماد الزراجين ١٧٫١٨ ومن تراب المباقل ٧٤٫٧٦ . الا ان علماء وقته لم يعبأوا بما قرّرهُ من هذه الامتحانات وعدّوا كلامهُ ضرباً من الخرافة وما زال ممدوداً كذلك الى ان تحققت صحتهُ في اواسط القرن الحالي حين عمد كيماويو دار السكة بباريز الى تحقيق امتحاناتهِ فعالجوا مقداراً كبيراً من رماد الزراجين باقوى الذرائع الكيماوية المحدثة فكان من ذلك سبيكةٌ من الذهب ضربوا منها ست قطع من دينار لويس

الا ان هذا العمل يقتضي نفقاتٍ كثيرة لا تفي بها قيمة الذهب المستخرَج فقد وُجد ان الدينار من الدنانير المذكورة كانت نفقتهُ ٢٥ فرنكاً مع ان قيمتهُ كانت ٢٤ فرنكاً و ١٥ سنتيماً ولذلك فليس في هذا العمل منفعةٌ مادية . لكن قام في هذه الايام واحدٌ من كيماوييهم يقال له المسيو ريترفزعم انهُ اهتدى الى طريقةٍ يتهيأ لهُ بها استخراج الذهب من مساحةٍ كبيرة من أرباض باريز بنفقةٍ تستفضل كثيراً من قيمة الذهب ونشر في ذلك شرحاً قدّر فيهِ النفقات والارباح مع بيان الموادّ التي يستخدمها في العمل فان صحّ ما زعمهُ فهو من اغرب ما توصل اليهِ الانسان في استخراج منافع الطبيعة

وزن الدماغ والعقل — المشهور ان العقل يكون على الغالب تابعاً لكبر الدماغ وثقل وزنهِ ولكن الاختبار دلّ على ان في الامر اختلافاً بعيداً لا يطّرد معهُ حكم . وقد عمد المستر سِمْس الى اجراء عدة امتحانات في

هذا الشأن فذكر ان اثقل دماغ عُرِف دماغ رجلٍ كان يبيع الجرائد في لندن وكان في غاية الفدامة والبلادة وقد وُجد وزن دماغهِ ٢٤٠٠ غرام • ويليهِ دماغ صعلوكٍ من قرويّي السكنديناويين يقال لهُ رُسطان وثقل دماغهِ ٢٣٤٠ غراماً • ثم دماغ فتاة هندية وزنهُ ٢٢٠٠ غرام وهو يزيد ٧٠٠ غرام على اثقل ادمغة الافراد من عقلآء الرجال • اما معدَّل وزن ادمغة الرجال فيتفاوت كثيراً فهو على قول فلين يكون ١٥٠٠ غرام وعلى قول كروز يبلغ ١٠٥٠ غراماً وذكر سِمْس انهُ وزن ستين دماغاً من ادمغة مشاهير الرجال فكان معدَّل ثقل الواحد منها ١٥٢٠ غراماً ووزن عشرة ادمغة من ادمغة البلدآء وخمسة من ادمغة المعتوهين فكان معدَّلها ١٧٧٦ غراماً وعليهِ فالظاهر ان الذي ينبغي ان يُعتبَر في تمييز الادمغة انما هو الكيفية لا الكمية اي ان يُنظَر الى هيئة بنآئها الذاتي ونسبة وضع العناصر الخلوية فيها دون الزِنة الدالّة على مقدار تلك العناصر

تقسيم سطح الارض — قرر الاستاذ رافنستَيْن احد اعضآء الندوة الجغرافية الملكية ان سطح الارض يشتمل على ٢٨ مليون ميل مربع من الاراضي المخصبة و١٤ مليوناً من الاراضي المجدبة ومليون من الصحاري الغامرة • قال فلو فرضنا ان الميل المربع من الاراضي المخصبة يؤوي ٢٠٧ انفس ومن كلٍّ من الاراضي المجدبة والصحاري يؤوي ١٠ انفس كان في الارض متَّسعٌ لستة آلاف مليون من البشر وبمقتضى احصآئهِ سيبلغ الناس هذا العدد سنة ٢٠٧٢

اسئلة واجوبتها

بيروت — ارجو الافادة عن لفظتي « حيرة وغيرة » هل ينطق بهما بكسر الحآء والغين ام بفتحهما وهل لذلك من قاعدةٍ يُرجع اليها في مثل هاتين الكلمتين

شكري فرح

الجواب — الظاهر انكم تريدون مصدري حار وغار وكلاهما بفتح اولهِ واما بالكسر فالحِيرة اسمٌ لعدة بلدان منها البلد المشهور بقرب الكوفة والغِيرة بمعنى الميرة وهي ما يُجلب من الطعام . واما القاعدة في مثل المصدرين المذكورين فهي ان كل مصدرٍ من فَعِلَ المكسور العين اذا كان مختوماً بالتآء ولم يكن من الالوان فهو بفتح اولهِ كالرحمة والرأفة والسأمة والكآبة والرغبة والرهبة والخشية والخيبة والهيبة وغير ذلك وقد تُفتَح العين في النادر كالأَنَفَة والأَمَنَة والشَفَقة واندر منهُ كسر الفآء كالشِقوة او ضمها كالرُغبة بمعنى الابتهال وهي الفاظٌ محفوظة لا يكاد يتعدى المنقول منها ما ذكرناهُ

بغداد — يستعمل الكتاب عندنا كلمتين لم نجدهما في كتب اللغة احداهما قولهم « شهَّل المبلغ » بمعنى حوَّلهُ وهي من اصطلاح التجار والثانية قولهم « العَشم والتعشم » بمعنى الامل فما الاصل في هذين الاستعمالين

يعقوب مسيَّح

الجواب — اما « التشهيل » فلم يُحكَ شيءٌ في مادّتهِ يمكن ان يردّ اليهِ المعنى الذي ذكرتموهُ فالظاهر انهُ من الاوضاع العاميّة . ويستعمل في لغة الشام بمعنى التعجيل في انجاز الامر وغلب عند التجار على التعجيل في

النقد وربما استُعمِل بمعنى ارتفاع السعر وكل ذلك ليس من اللغة في شيء. واما « العَشَم » فهو في اللغة بمعنى الطمع نقلهُ العامة الى معنى الامل والمعنيان متقاربان ولا يقال « تعشم » بهذا المعنى وانما التعشم بمعنى اليبس من الهزال وهو من اللفظ المتروك

القدس — شاع في استعمال الكتاب جمع العادة على « عوائد » خلافاً للقياس فهل حُكي هذ الجمع عن العرب ام هو من استعمال المولدين

خليل السكاكيني

الجواب — قال في تاج العروس ومن جموع العادة عوائد ذكرهُ في المصباح وغيرهِ وهو نظير حوائج في جمع حاجة نقلهُ شيخنا اه . فالظاهر من هذا النصّ ان هذا الجمع منقولٌ عن العرب لثبوتهِ عند ائمة اللغة. وقول صاحب التاج بعد ذلك « الذي صرّح بهِ الزمخشريّ وغيرهُ ان العوائد جمع عائدة لا عادة » لا يخلو من سبق قلم لان غاية ما يُفهَم من كلام الزمخشري ان العائدة تجمع على عوائد كما هو القياس ولم يتعرض لذكر جمع العادة لا على عوائد ولا على غيرها ونصّ عبارتهِ في الاساس « وما اكثر عائدة فلان على قومهِ وانهُ لكثير العوائد عليهم » لم يزد على ذلك ولم نجد في غيرهِ من الكتب التي لدينا كلاماً في هذا المعنى والله اعلم

المنصورة — كثيراً ما اجد في كتب اللغة مثل قولهم رجلٌ حَمُول اي ذو حلم ويقولون هو فعُول بمعنى فاعل ولكنهم لا يطلقونهُ على كل من يحمل شيئاً حسياً او معنوياً غير هذا المعنى والذي يظهر لنا انهُ من باب التغليب

اي تغليب بعض معاني الكلمة على بعض والا فالقياس اللغوي لا يمنع ان تقول لكل من يحمل الشيء كثيراً حمول اذ هو من الفاظ المبالغة التي تنوب عن فاعل اذا اردنا التكثير وعدم ذكر ذلك في كتب اللغة لا يمنع من الجري عليهِ لانها دوّنت المسموع • ولوثوقي بسعة اطلاعكم في هذا العلم احببت استطلاع رأيكم في مثل هذه المسئلة وانا منتظر ما يخطهُ البنان من البيان ولكم الفضل

محمود نجم الدين

الجواب — لا شك ان العرب لم ينطقوا بكل ما يحتملهُ قياس اللغة كما ان اللغويين لم ينقلوا كل ما نطقت بهِ العرب وحينئذٍ فما لم يُنقل الينا لا بدّ من الرجوع فيهِ الى القياس جرياً على سنّة الواضع نفسهِ وذلك فيما ثبت فيهِ القياس ولم ينصوا على منعهِ او يغلب على وجهٍ يمنع العدول الى غيرهِ • وعليهِ فالظاهر انهُ في مثل الكلمة التي ذكرتموها لا يمتنع ان تُستعمل في مطلق الحمل حسياً كان كما اذا قلنا بغلٌ حَمُول ويشهد بصحتهِ مأخذ الحَمُولة لكل دابةٍ تحمل فانهُ نُقل الى الاسمية عن الوصف فزيدت التآء فيهِ كما زيدت في الركوبة واشباهها والاصل التجريد او كان معنوياً كقولنا فلانٌ حمولٌ للحوائج وحمولٌ للمغارم ومن هذا قول المتنبي

وما عشت من بعد الاحبة سلوةً ولكنني للنائبات حَمُولُ

وفي تفصيل هذا الموضع كلامٌ طويل يقتضي مقالةً برأسها فنكتفي منهُ بهذه الاشارة وقد سبق لنا في مقالة اللغة والعصر في البيان كلامٌ في هذا المعنى لا يخلو من تبصرة فراجعوهُ أن احببتم

آثار ادبيّة

كتاب الآداب السلطانية والدول الاسلامية — هو الكتاب المشهور المعروف بالفخري لمؤلفهِ العالم العلاّمة محمد بن عليّ بن طَبَاطَبَا الذي ألَّفهُ لفخر الملة عيسى بن ابرهيم صاحب الموصل صدّرهُ بفصلٍ طويل في اخلاق الملوك وبيان ما يُستحبّ ان يكون فيهم من الخلال وما يُكرَه منهم وينبغي لهم تجنبهُ وذلك في كلامٍ سهل المأخذ معزَّزٍ بالامثلة من حوادث متقدمي الملوك والوزرآء وغيرهم مما دلّ على سعة علم المؤلف وغزارة مادتهِ وكثرة ما وعى في صدرهِ من التواريخ والحكم . ثم انتقل الى ذكر الدول الاسلامية من دولة الخلفآء الراشدين ومن تلاهم من خلفآء بني امية وبني العباس وما تخلل ملكهم من الدول الصغيرة مع بيان سيرة كلٍّ منهم وما تضمنتهُ من العبر والمواعظ فكان كتاباً غزير الفوائد جامعاً بين التاريخ والسياسة وعلم الاخلاق حريّاً بان يستفيد منهُ الحكيم ويرتاض عليهِ اللبيب ويستبصر بهِ السائس والمسوس

وقد عُنيت بطبعهِ شركة طبع الكتب العربية في القاهرة التي اخذت على عاتقها احيآء آثار المتقدمين والتنقير عن كل نادرٍ من كتبهم مما بَعُدَ منالهُ وعزّ مثالهُ فنثني على الشركة المشار اليها اطيب الثنآء ونرجو لها التوفيق الى دوام المثابرة على هذه الخدمة الشريفة . والكتاب يشتمل على نحو ٣٠٠ صفحة حسن الطبع والورق وثمنهُ ثمانية غروش مصرية فنحضّ جهور الادبآء وطلاّب السياسة والتاريخ على مقتناهُ

فكاهات

رواية

تقلبات القدر[1]

كان لوجيهٍ من نبلآء الانكليز ابن وحيد يدعى ارنست لهُ من العمر عشر سنوات ولوالدهِ من الاملاك الواسعة والغنى الوافر ما لا يحصى . وكان الاب قد طعن في السن وشعر بقرب وفاتهِ فاوصى بجميع مالهِ لابنهِ الوحيد ارنست وكان لهُ اخٌ يقال لهُ ادورد فاقامهُ وصياً على ابنهِ من بعدهِ ولم يكن العم في منزلة الاب بالغنى والجاه فاوصى لهُ ايضاً بمبلغ الفي جناي ياخذها سنوياً في مقابلة اعتنآئهِ بارنست الى ان يبلغ رشدهُ ويستولي على تركة ابيهِ . ولما مات اللرد المذكور اخذ العمّ في تدبير املاكهِ واموالهِ فرأى من سعة الثروة وامتداد السلطة ما شوقهُ الى الاستيلآء على املاك اخيهِ ولكي يتيسر لهُ ذلك عمد الى ابعاد ارنست ما استطاع والانتفاع بما في يديهِ مدة غياب الوارث فارسلهُ الى مدرسةٍ في المانيا ليتلقى علومهُ فيها . وكان ارنست ذكياً متوقد الفؤاد فلم يلبث ان برع في جميع العلوم التي تعاطاها وكان اشدّ ميلهِ الى الموسيقى فرغب الى رئيس المدرسة ان يقصر درسهُ على هذا الفن فامتنع من اجابتهِ الى ذلك بايعاز عمهِ وقال يجب عليك ان تستكمل جميع دروسك

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اولاً ومتى انهيتها فلك ما تحب . ولما اتمّ ارنست دروسهُ كما امرهُ عمد الى درس الموسيقى فنبغ فيها حتى صار من المعدودين بين اهلها وكان جملة ما قضاهُ من الزمن في المانيا اربع عشرة سنة . واشتاق ارنست الى وطنهِ وقد رأى انهُ حصل على كل ما يؤمل تحصيلهُ في المدرسة فطلب الى رئيسهِ ان يأذن لهُ في الرجوع الى انكلترا وكان رئيسهُ قد تلقى الاوامر من عمّهِ بابقآء ارنست في المانيا ما استطاع فمنعهُ مراراً واخيراً كتب ارنست الى عمهِ يستأذنهُ في العودة الى الوطن فلم يجبهُ الى ذلك وامرهُ بالبقآء هناك الى ان يطلبهُ

واتفق ان ارنست دخل يوماً الى غرفة الرئيس ليكلمهُ في الامر فرأى على مائدتهِ رسالةً مفتوحة فعرف للحال انها من عمهِ فلم يتمالك من النظر اليها فاذا هي الى رئيس المدرسة يقول لهُ فيها انك لا تجهل ان ارنست اذا عاد الى هنا كان اول ما يفعلهُ انهُ يستولي على جميع ميراثهِ واُحرَم انا جميع ما اتمتع بهِ الآن فاجتهد في ابقآئهِ بعيداً عني وزيّن لهُ السفر الى الهند او الصين او الجحيم بشرط ان لا يأتي الى انكلترا ولك مني ما تحبّ . فلما وقف ارنست على ذلك السر اظلمت الدنيا في وجههِ وادرك مقاصد عمهِ السيئة فعقد النية على الرجوع الى انكلترا وعلم ان الرئيس لا يأذن لهُ في ذلك فعزم على الفرار خفيةً وجعل يستعد لذلك فرتب كتبهُ وملابسهُ وسائر متعلقاتهِ ووضعها في صناديق وعنونها باسمهِ ثم اغتنم الفرصة في ليلةٍ حالكة السواد فخرج من المدرسة بملابسهِ فقط وبعض النقود التي كان قد جمعها في سنتهِ الاخيرة حتى اذا صار خارج المدرسة اخذ يواصل السير طول ليلهِ ولما لاح لهُ الصباح وجد نفسهُ في سهلٍ واسع لا انيس بهِ فلم يدرِ اين هو وخاف

ان يطول تيههُ قبل ان يصل الى مأوَى يلجأ اليه فلم يسترح الا هنيهةً قصيرة ثم عاود السير في ذلك القفر الى ان قاربت الشمس المغيب فرأى عن بعد في منتهى السهل بنآء عالياً فقصدهُ ولما بلغهُ قرع الباب مراراً فسمع وقع اقدام ثقيلة ثم فُتح الباب فاذا رجلٌ ضخم الجسم غليظ الهيئة قبيح الصورة فاستوحش ارنست من منظرهِ وحدثتهُ نفسهُ ان يتركهُ ويعود في طريقهِ غير انهُ كان قد بلغ منهُ التعب والجوع فعدل عن فكرهِ وبش في وجه الرجل وكلمهُ بلطفٍ فاخبرهُ انهُ تائهٌ عن طريقه وطلب اليهِ ان يؤويهُ تلك الليلة عندهُ . فقال حباً وكرامة وادخلهُ الى المنزل ثم صعد بهِ الى غرفةٍ علوية حيث يستريح وبعد قليل احضر لهُ طعاماً وشراباً فاكل وشرب ثم انطرح على سريرٍ هناك ونام

ولما انتصف الليل شعر ارنست بغتةً بيدٍ لطيفة تنبههُ وصوتٍ رخيم يناديهِ فافاق مذعوراً ثم انار مصباحاً فرأى امامهُ فتاةً لطيفة القوام بديعة الصورة فتعجب ارنست من وجود مثل تلك الفتاة في ذلك الموضع الموحش وكانت الدموع تترقرق من عيني الفتاة وهي تكلمهُ بصوتٍ واجف فقالت باللغة الانكليزية الفصحى اعذرني يا سيدي على دخولي اليك في مثل هذا الوقت فان للضرورة احكاماً . اني ارجو منك بل ابتهل اليك ان تغادر هذا المكان في الحال وتسرع في الخروج ما استطعت . فتعجب ارنست وقال ولمَ ذلك قالت انك هنا تحت خطرٍ عظيم وقد اشفقت عليك لانك من بني جنسي واني انصح لك واستحلفك بكل عزيزٍ عندك ان تسمع مني . قال ولكنني لا اعرف الطريق والليل حالك فلا اظن خروجي آمَن من بقائي . فتوقفت الفتاة هنيهةً ثم قالت انا اخرج معك وأريك الطريق فاعجل ما

استطعت . ورأى ارنست الحاحها فنهض لساعتهِ وانطلقت امامهُ من باب سرّي الى اسفل المنزل ثم فتحت الباب الكبير ولما خرجا منهُ اقفلتهُ بالمفتاح وجرت مسرعةً وهي تلح على ارنست ان يتبعها . وللحال سُمع على باب المنزل صوت ضرب عنيف فان الرجل كان قد شعر بهرب الفتى واسرع في اتباعهِ فوجد الباب مقفلاً من الخارج فاعمل فيهِ فأسهُ حتى كسرهُ وخرج في اثر الصاحبين شاتماً معربداً واطلق غدارتهُ مراراً . اما الفتاة فقادت ارنست الى منعطفٍ هناك واختفيا تحت صخر كبير وذهب الرجل وهو يعجُّ حتى ابتعد عنهما واوغل في ذلك البر

وفي تلك الفترة اخذت الفتاة تقص على ارنست حديثها فقالت انني ابنةٌ انكليزية من الأُسَر الشريفة في انكلترا توفيت والدتي على اثر مولدي وتزوج ابي ثانيةً فلما مات ارسلتني رابّتي الى دير الراهبات وبعد ان قضيت فيهِ مدة طويلة علمت ان رابّتي تعمل على اهلاكي فهربت من الدير وجعلت اطوف المدن والقرى حتى اوصلني سوء البخت الى يد هذا الرجل القاسي الذي كنتَ على وشك الوقوع في شركهِ فانهُ رجلٌ سفاكٌ قاتل ولصٌّ دني. . وهو لم يمس كرامتي قط ولكن اجبرني على البقاء عندهُ لاغري المسافرين على المبيت في منزلهِ حتى اذا ناموا قام اليهم وهم على اسرّة الراحة فقتلهم ودفن جثثهم في بئر بالقرب من المنزل وسلب ما معهم من الثياب والمال والجواهر. فتضايقت جدًّا من وجودي عندهُ ولكنهُ كان يَقِظاً فلم يمكني الفرار ووددت ان اخبر الزوّار بالامر واسعى في خلاصهم وخلاص نفسي معهم فلم يمكني ذلك قبل الآن ولما علمت انك انكليزي ومن ابناء وطني طمعت في النجاة

وجرى ما تعلمهُ . وعند ذلك سمع الاثنان وقع قدمي الرجل عائداً من بحثهِ وهو يتوعد ويتهدّد ومرّ بجانبهما فسترتهما الظلمة عن عينيهِ . ولما ابتعد عنهما عاودا المسير ورأى ارنست من لطف الفتاة ومشابهة حالتها لهُ ما جعل لها موضعاً من قلبهِ ولم يتم سفرهما حتى تعاهدا على الحب والزواج ورغب ارنست في تعجيل ذلك خوفاً على الفتاة من الظنة ولم يشأ ان يشهر نفسهُ باسمهِ قبل ان يصل الى انكلترا فعرَّفها بنفسهِ تحت اسم المستر هرمن وكانت الفتاة تسمى باسم أليس . ولما وصلا الى اول مدينة آهلة اقترن بها اقتراناً شرعياً ثم لم يزالا سائرين حتى بلغا مدينة درمستاد فاكترى هناك منزلاً واحسن فرشهُ ورياشهُ وعزم على البقآء هنالك الى ان يصلح الامر مع عمهِ فيذهب الى مسقط رأسهِ بالاحتفال اللائق بلُردٍ مثلهِ . وكان يقضي معظم وقتهِ في محادثة أليس وملاطفتها واشرابها طباعهُ ومحبتهُ ثم عمد الى تعليمها الموسيقى فبرعت فيها وعلمها أُغنيةً كان قد ألفها ولم يكن عندهُ الذُّ من سماعها منها

ولما علم رئيس المدرسة بفرار ارنست اعلم الشُرَط ودقق البحث فلم يقف لهُ على اثر فارسل واخبر عم ارنست بذلك فلما بلغهُ الامر اظلمت عيناهُ وكتب الى رئيس المدرسة يعنفهُ على اهمالهِ ثم ارسل من يبحث لهُ عن ارنست لينصب لهُ شركاً جديداً . وبعد ان اقام ارنست بدرمستاد مدةً كتب الى عمهِ يخبرهُ بما فعل ويقول انني قد بلغت السن التي فيها استولي على ميراثي فمتى تريد ان احضر لاتمام ذلك . ولو أن صاعقة وقعت على رأس العم لكانت اسهل عليهِ من ذلك ولكنهُ تجلد وكتب الى ابن اخيهِ يأمرهُ بالحضور في الحال وان يبقي الغرض من حضورهِ مكتوماً الى ان تتم المعدات

لاعلان بلوغهِ سن الرشد وتسليمهِ ميراثهُ . فلما بلغ ارنست كتاب عمهِ عزم على الرحيل اليهِ واخبر زوجتهُ انهُ سيغيب عنها مدة اسبوعين فقط لقضآء اشغال ضرورية ولم يعلمها بحقيقة الامر فشقّ عليها فراقهُ جدًّا ولكنهُ اقنعها بوجوب ذلك واعدَّ لها من اسباب السرور والتسلية ما يدفع عنها ثقل اليأس مدة غيابهِ ثم ودعها وسافر . ولما بلغ لندن توجه توًّا الى بيت عمهِ من غير ان يعلم بهِ احد فاستقبلهُ عمهُ بالبشاشة والاكرام وبعد ما جلسا حيناً يتحادثان قال لهُ عمهُ هلمَّ معي لاطلعك على بعض ما يتعلق بامر ميراثك قبل اجرآء التسليم وقام فانطلق امامهُ وتبعهُ ارنست فسار بهِ في دهليز ينتهي بسلَّمٍ ملتفّ فنزلاهُ ووصلا الى حجرةٍ مظلمة ولما صارا على بابها قال الم قد علمت يا ارنست انك ستكافئني بالطرد بعد اعتنآئي بك فقد اعددت لك هذا المحل لعلهُ يرجع اليك الافكار الثاقبة . ولما قال ذلك جمع قواهُ ودفع ارنست الى داخل الحجرة ثم اقفل الباب تاركاً ذلك المسكين في الظلمة الحالكة واليأس ينادي ولا مجيب ويدعو وليس من يسمعهُ . وكان عمهُ يرسل اليهِ طعام كل يوم مع خادمهِ الخاص وامين اسرارهِ

وكانت أليس تعد الدقائق لرجوع زوجها وهي تخالها اعواماً حتى اذا انقضى الاسبوعان ولم يرجع اقلقتها افكارها وشعرت بويلٍ عظيم ثم انتظرت اياماً اخرى بدون طائل فجعلت تبحث عن المستر هرمن فلم تجد من وقف لهُ على خبر . ونفدت الدراهم القليلة التي ابقاها لها ارنست ثم استُحقت اجرة البيت فادركت المصاب الذي وصلت اليهِ وجعلت تبيع رياشها وتفي الى ان لم يبقَ عندها قوت ليلة فخرجت من البيت باكيةً حزينة وهي لا

تدري الى اين تذهب او اين تبيت ليلتها ، فجعلت تقرع ابواب الكرام طلباً للخدمة او لتعليم الموسيقى التي كانت قد اتقنتها واتفق اخيراً ان رأتها سيدة سائحة فرقّت لها واخذتها مربيةً لابنتها فجعلت تسافر مع تلك السيدة من بلدةٍ الى اخرى وهي لا تفترعن البحث عن المستر هرمن فلم ينبئها احد بوجودهِ . وبعد ان مضى عليها بضعة اشهر ودنت ساعة ولادتها علمت بذلك سيدتها فاستاءت وغلب عليها سوء الظن بأليس وانها لم تخدم عندها الا لتستر نفسها فنقدتها اجرتها وطردتها من البيت فذهبت المسكينة منكسرة القلب فاكترت لها غرفةً في بيتٍ وفي اليوم الثاني ولدت ابنة ودعتها افيلين . وكان كثيرون بعد ذلك يرون أليس ويطلبون التزوج بها لجمالها المفرط وحسن صفاتها غير انها لم تكن لتنسى زوجها وان لم تكن على بينةٍ من غيبتهِ الطويلة عنها ولا تدري هل كان صنيعهُ ضرباً من الخداع ثم تركها ام اصابهُ مكروه فمات ولذلك استمرّت تدأب في الشغل هنا وهنالك لتعيش مع ابنتها بدون ان تتذلل لاحد

اما ارنست فبقي مسجوناً في بيت عمهِ ستة اشهر وهو كلما خطرت أليس في بالهِ يضيق صدرهُ فيضرب باب غرفته ويلطم جدرانها فلا يجيبهُ الا الصدى . وفي نهاية الستة الاشهر وافاهُ الخادم الذي اعتاد ان يجيئهُ بالطعام ففتح الباب وقال تفضل يا مولاي الرد الى القصر فاستغرب ارنست ذلك واستفهمهُ عما يقول فاخبرهُ ان عمهُ قد توفي في ذلك الصباح . فخرج ارنست من سجنهِ وهو لا يصدّق بالفرج وبعد ان قضى عمهُ واجب الدفن اعلن رجوعهُ الى البلاد واستولى على ازمّة الاملاك والاشغال ثم اقام وكيلاً

ينوب عنهُ في اشغالهِ وتوجه على جناح البرق الى درمستاد فقصد البيت الذي كان تركـ فيهِ أليس فوجدهُ فارغاً وعلم انها كانت قد تركت البيت منذ اسبوعين اذ لم يكن في يدها ما تفي بهِ اجرتهُ فشعر كأن سهماً اخترق قلبهُ وطفق يبحث ويجدّ في التنقيب عنها ثم جعل يدور من مدينةٍ الى اخرى فزار مدن المانيا وفرنسا وانكلترا فلم يحصل على اقل املٍ في لقآئها وندم على عدم اخبارها باسمهِ الحقيقي لتسأل هي عنهُ فعاد الى قصرهِ آسفاً حزيناً

وبعد عشر سنوات من هذه الحادثة ذهب ارنست كعادتهِ سنوياً الى باريز لقضآء اشهر الشتآء فيها واتفق ان سار يوماً يتمشى في ضواحي المدينة يناجي افكارهُ فاستدعى انتباههُ صياح فتاةٍ فنظر واذا بجواد ينهب الارض وعليهِ فتاةٌ صغيرة قد جمح بها ولم تستطع يداها الضعيفتان على ضبطهِ . ورأى ارنست الخطر المحدق بالفتاة وان الجواد يزيد هيجاناً فتنحَّى الى جانب الطريق حتى اذا قاربهُ الجواد فاجأهُ بضربةٍ من عصاهُ على ام رأسهِ فوقف الجواد بغتةً ثم اضطرب وسقط الى الارض وسقطت الفتاة بين ذراعي ارنست مغشياً عليها فاستعمل لها الوسائط الممكنة حتى عادت الى رشدها ووجدت نفسها على يدي ارنست ولما وقع نظرها على وجهه اللطيف المنعطف عليها بحنو الاب شعرت بميلٍ اليهِ وحبٍ عظيم فجعلت تشكرهُ بأرقّ العبارات . وكان ارنست يتأمل في وجه الفتاة فرأى فيها جاذباً علّق فؤادهُ بحبّها وعرض عليها ان يوصلها الى بيتها فشكرتهُ وفيما هما كذلك اذ وفد عليهما الخادم وكان قد جد في اثرها فسلمتهُ الجواد وسارت مع ارنست حتى بلغا طرف حديقةٍ كبيرة محيطة بقصرٍ فاخر فقالت الفتاة هذه

ارض ابي وجعلت تتخلل مع ارنست تلك الاشجار الى ان وصلت الى مقعدٍ خشبي حول ماء يجري فجلست الفتاة تحادث ارنست . ولما همَّ بمفارقتها قالت لا اتركك تذهب ما لم تعدني انك تأتي كل يومٍ لتراني هنا في مثل هذا الوقت . وكان في كلامها البسيط وعواطفها الطاهرة ما قاد اليها ارادة ارنست فوعدها وانصرف فنادتهُ وقالت لكن قبل ذهابك ارجو ان تعرّفني باسمك لاحفظهُ مع جميلك الذي صنعتهُ معي . قال اسمي اللُرد ارنست وانتِ ما اسمكِ . فقالت اسمي افيلين

وكان بعد ذلك يوافي الفتاة في اكثر الايام كما وعدها فتقصّ عليهِ اخبار طيورها والحيوانات التي تربيها وهو يتلو عليها بعض النوادر والروايات الى ان جآء يوماً متأخراً عن الميعاد وكانت بانتظارهِ فسمعها من بعيد تغني الاغنيَة التي كان قد الَّفها في المدرسة وعلَّمها لأليس في شهر زفافهِ وحالما بلغ صوت الفتاة سماعهُ ارتعد جسمهُ وصعد الدم الى وجههِ ولما فرغت من الغناء اقترب منها وهو حائر فقال لها لقد احسنتِ الغنآء ولكن من علمكِ هذه الاغنيَة . قالت والدتي . قال وما اسم والدتكِ . قالت أليس . فشعر ارنست ان الارض تغور تحت قدميهِ فتجلد ثم قال لها وما اسم ابيكِ قالت يظن الناس ان ابي اللرد دربي صاحب هذه الاملاك والحقيقة ان اللرد دربي توفيت زوجتهُ وهو شيخ ولما كان لابد لهُ من احد يعتني ببيتهِ وكنت انا ووالدتي ساكنتين في بيتٍ صغير نعيش من اشغال والدتي وتعليمها الموسيقى اتفق مع والدتي ان تأتي الى بيتهِ وتتولى تدبير شؤونهِ فهي بالحقيقة مدبّرة البيت وليست صاحبتهُ . اما ابي فكثيراً ما كانت والدتي ولم تزل تخبرني

عنهُ وتعلمني ان اتضرع الى الله ان يرجعهُ الينا لانهُ كما قالت لي ذهب يوماً قبل ان اولد انا ولم يرجع بعد فلا نعرف هل تركنا لنموت او مات هو. فقال ارنست وهل اخبرتكِ والدتكِ عن اسم ابيكِ . قالت كيف لا وانا اصلي كل يومٍ لرجوع ابي المستر هرمن . فلم يعد ارنست يتمالك نفسهُ فجعلت دموعهُ تتساقط كالسيل ثم قال لأفيلين وهل والدتكِ الآن في المنزل. قالت نعم . قال هل لكِ ان تدعيها لمواجهتي فان عندي شيئاً اقولهُ لها عن المستر هرمن لاني اعرفهُ جيداً. فاسرعت افيلين لتعلم والدتها وهي لا تصدق انها تسمع شيئاً عن والدها وبعد قليل عادت والى جانبها سيدة مرتدية بثياب سوداء حريرية . ولما اقتربتا من ارنست تفرّس ملياً في وجه تلك السيدة ثم صاح اشكرك يا الهي فقد وجدت زوجتي ثم وقع الاثنان بعضهما على عنق بعض . ولما كفكفت الدموع اخبر كلٌّ منهما صاحبهُ بما اتفق لهُ من الحوادث في مدة الفراق وعلمت أليس ان ارنست محافظ على محبتها كما حافظت هي واتفق الاثنان ان يخبرا اللرد دربي بالامر وتعود أليس الى زوجها اللرد ارنست مع ابنتها . وفي نفس ذلك المساء توجه ارنست لمقابلة اللرد وقصّ عليهِ الحادثة الغريبة التي جرت لهُ منذ احد عشر عاماً فتعجب اللرد الشيخ وقال اشكر الله ان زوجتك لم تُمسّ بسوء كل هذه المدة وقد حفظها الله لك. ثم هنأ الزوجين بعود اجتماعهما وفي الغد ودّعاهُ وعاد ارنست الى املاكهِ بانكلترا مع زوجتهِ وابنته افيلين وعاشوا جميعاً بتمام السعادة والصفاء

الشعر

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

وقد قدّمنا ان الاغراض الشعرية على ضربين احدهما ما يُقصَد بهِ العمل في القلب والتلاعب بحركات النفس وانفعالاتها فيتحرَّى فيهِ ذكر الاحوال المهيجة للحزن او الفرح او الغضب او الأَنفة او غير ذلك وهو الاصل في غرض الشعر كما سبق الايمآء اليهِ . والثاني ما يُنحى فيهِ الى إعمال الذهن والتأْثير على القوى المدركة بما يخيَّل لها من الصور المبتدَعة والتماثيل المزخرفة وهذا الضرب اقرب الى مذاهب البلاغة منهُ الى اسلوب الشعر وعليهِ غالب شعر العرب لولوعهم بالإغراب وبنآء لغتهم على التفنن في طرق البلاغة على ما هو معروف من مذهبهم في سائر كلامهم . والأَمثلة من هذا اشهر من ان تذكَر وقد مرّ منها في الاجزآء الماضية ما يغني عن الاطالة هنا . واما المعاني الوجدانية فالوارد منها في شعرهم عزيزٌ نادر لا يحضرنا منهُ الا امثلةٌ قليلة نورد بعضها في هذا الموضع بمنزلة نموذج يظهر بهِ الفرق بين المذهبين . فمن ذلك قصيدة مالك بن الريب التميمي يرثي نفسهُ وكان قد خرج مع سعيد بن عفّان لما ولي خُراسان فلما كان في بعض الطريق اراد ان يلبس خفّهُ فاذا بافعى فيهِ فلسعتهُ فلما احسّ بالموت انشأ هذه القصيدة ومنها يقول

تفقدتُ من يبكي عليَّ فلم اجد سوى السيف والرمح الرُدينيّ باكيا
وأَشقرَ خنذيذٍ يجرُّ عنانهُ الى المآء لم يترك لهُ الموت ساقيا

يريد بالاشقر مهرهُ والخنذيذ الجسيم . ومنها

ويا صاحبيَ رحلي دنا الموت فانزلا برابيـةٍ اني مقيمٌ لياليا
أقيما عليَّ اليوم او بعض ليلةٍ ولا تُعجلاني قد تبيَّن ما بيا
وقوما اذا ما استلَّ روحي فهيِّئا ليَ القبر والاكفان ثم ابكيانيا
وخُطّا باطراف الاسنّة مضجعي ورُدّا على عينيَّ فضل ردائيا

خُطّا اي شقّا والمضجع القبر وهي قصيدة طويلة . ومن ذلك قول ابي العتاهية

سيُعرَض عن ذكري وتُنسى مودّتي ويحدث بعدي للخليل خليلُ
اذا ما انقضت عني من الدهر مدّتي فان غَناء الباكيات قليلُ

ويُنسَب الى الرئيس ابي عليّ بن سيناء

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ الا واضعاً كفَّ حائرٍ على ذَقَنٍ او قارعاً سنَّ نادمِ

وقريبٌ منهُ قول عبدالله بن طاهر وقد مات اخوهُ سليمان فوقف على تربتهِ وفيها اهلهُ وانشد

النفس ترق بحزنٍ في تراقيها وعبرة العين تجري من مآقيها
لبُقعةٍ ما رأت عيني كبقلتها ولا ككثرة احبابٍ ثووا فيها

ومن ذلك قول بعضهم

تمتَّع بها ما ساعفتك ولا تكن عليك شجىً في الحلق حين تبينُ
وان هيَ اعطتك الليان فانها لغيرك من خلانها ستلينُ
وان حلفت لاينقض النأيُ عهدها فليس لمخضوب البنان يمينُ

الشجى ما يعترض في الحلق من عظم ونحوهِ . والنأي البعد . ومخضوب البنان كناية عن المرأة . والرأس في هذا النوع قول البسوس بنت منقذ

التميمية خالة جساس بن مرّة حين عقر كليب ناقة جارها سعد الجَرْميّ في القصة المشهورة فلما رأت الناقة وهي تمجّ والسهم في ضرعها صكّت وجهها وصاحت وا ذُلّاه واجوار جسّاس واجوار همّام واجوار مرّة واجوار بني ذُهل ثم انشدت

لعمريَ لو اصبحتُ في دار منقذٍ   لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لأبياتي
ولكنني اصبحتُ في دار غربةٍ   متى يعدُ فيها الذئبُ يعدُ على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل   فانك في قوم عن الجار امواتِ
ودونك أذوادي اليك فانني   محاذِرةٌ ان يغدروا ببُنيّاتي

اذوادي نياقي

وسِرْ نحو جَرْمٍ ان جرماً اعزّةٌ   ولا تكُ فينا لاهياً بين نِسواتِ

فلما انشدت هذه الابيات اوغرت صدور القوم ثم نشبت الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب فدامت فيما يقال اربعين سنةً والعرب تسمي ابياتها هذه بالموثبات

ويكثر في شعر العرب التكلم في ضروب الآداب ووصف محاسن الاخلاق والحض على الحلم والمجاملة والتمسك باسباب الحزم الى ما شا كل ذلك مما جمعهُ صاحب كتاب الحماسة تحت عنوان الادب والامثلة من هذا اكثر من ان تُحصى نذكر منها قول السموأل من قصيدتهِ المشهورة

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ   فكل رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس الى حسن الثنآء سبيلُ

وقول معن بن اوس

اذا انت لم تنصف اخاك وجدتهُ   على طرف الهجران ان كان يعقلُ

ويركب حدَّ السيف من ان تضيمهُ | اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلُ
وكنتُ اذا ما صاحبٌ رام ظِنّتي | وبدّل سوءا بالذي كنت افعلُ
قلبت لهُ ظهر المِجَنّ فلم أدُم | على ذاك الا ريثما اتحولُ
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد | اليهِ بوجهٍ آخرَ الدهر تُقبِلُ

وقول حاتم الطآئي

اذا كنتَ ربًّا للقَلوص فلا تدَع | رفيقك يمشي خلفها غير راكبِ
أنِخها فأردِفهُ فان حملتكما | فذاك وان كان العقابُ فعاقبِ
وما انا بالساعي بفضل زمامها | لتشرب ما في الحوض قبل الركائبِ

القَلوص الناقة الفتيّة والإرداف ان تُركِبهُ خلفك والعقاب مصدر عاقب وهو ان يركب احد الرجلين مرّةً والآخر مرّة ٠ وقولهُ ايضاً

ولا نطرق الجارات من بعد هجعةٍ | من الليل الا بالهدية تُحمَلُ
ولا يُلطَم ابن العمّ وسط بيوتنا | ولا نتصبي عِرسهُ حين يغفلُ

وقول المؤمّل بن أميل المحاربي

وكم من لئيمٍ ودّ أني شتمتهُ | وان كان شتمي فيهِ صابٌ وعلقمُ
وللكفُّ عن شتمِ اللئيم تكرُّماً | اضرُّ لهُ من شتمهِ حين يُشتمُ

ومن احسن ما جآء لهم في ذلك قول زهير بن ابي سلمى من معلقتهِ المشهورة وهي الابيات التي عُدّ لاجلها اشعر العرب

ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ | يُضرَّس بانيابٍ ويوطأ بمنسمِ

ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ | يَزُزْها ومن لا يتّقِ الشتم يُشتَمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ | على قومهِ يُستغنَ عنهُ ويُذمَمِ
ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ | ولو رام اسباب السمآء بسلّمِ

ومن يجعل المعروف في غير اهلهِ يكن حمدهُ ذماً عليهِ ويندمِ
ومن لا يَذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ يهدَّمْ ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ
ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهُ ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تُعلمِ
وكائِنْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادتهُ او نقصهُ في التكلمِ
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ فلم يبقَ الا صورة اللحم والدمِ

وكل ذلك مع شرف اغراضهِ ونباهة معانيهِ وما فيهِ من البلاغة والحسن غير مندمجٍ في شرط الشعر لان غالبهُ من الحقائق المحضة وانما هو من باب الخطابة وفائدتهُ تهذيب الاخلاق وتنبيه الفِطَن وحفظ تلك الاقوال للتمثل بها في وقت الحاجة دون مشاغلة النفس بمثل ما ذكر من الصور الخيالية . ولهذا المعنى اخرج بعضهم كلام المتنبي وأبي العلآء المعرّي من الشعر لانهما كثيراً ما ينحوان فيهِ الحكمة وضرب المثل وكلاهما ليس في مذهب الشعر ولا من اغراضهِ

ويلحق بذلك نظم الوقائع التاريخية وما يتصل بها على طريق السرد المقصود بهِ مجرّد ذكر تلك الوقائع كما فعل الشيخ ابرهيم الحلبي في نظم السيرة النبوية وابن جابر الاندلسي في نظم فضائل الصحابة العشرة وغير ذلك مما نُظمت فيهِ الحوادث بصورتها الواردة في كتب التاريخ . وانما يحسن مثل هذا اذا أُفرغ في قالبٍ شعريّ بان يُضَمّ اليهِ ما يزيّن بهِ من المعاني المختَرَعة او المستنبطة من سياق الوقائع بحيث يكون فيهِ شغلٌ للمخيلة يُدخلهُ في حدّ الشعر وذلك كما فعل الشيخ محمد البوصيري مثلاً في بردتهِ وهمزيتهِ

المشهورتين اللتين جلّى بهما على شعر كل شاعر ولا سيما الهمزية منهما مع تضمينها التاريخ النبوي بكل حوادثهِ وملحقاتهِ . ويتصل بما ذُكر مثل قول النابغة يعتذر الى النعمان حين وُشي بهِ اليهِ

اتاك امرؤٌ مستبطنٌ ليَ بغضةً　　لهُ من عدوٍّ مثل ذلك شافعُ
اتاك بقولٍ هلهلِ النسج كاذبٍ　　ولم يأتِ بالحقِّ الذي هو ناصعُ
اتاك بقولٍ لم اكن لأقولهُ　　ولو كُبِّلت في ساعديَّ الجوامعُ

قولهُ لهُ من عدوٍّ الخ اي لهُ شافعٌ من عدوٍّ مثلهِ والشافع هنا من شفعت الشيء اي صيرتهُ شفعاً وهو الزوج . والهلهل السخيف . والجوامع جمع جامعة وهي قيدٌ تُجمع بهِ اليدان الى العنق . والتكبيل التقييد واراد ولو كُبِّل ساعداي بالجوامع فقلب الكلام للضرورة . وهذا النظم كما تراهُ ليس فيهِ شيءٌ من ديباجة الشعر ولا عليهِ طلاوة سائر كلام هذا الشاعر وذلك لانهُ حكاية واقعة اضطرَّ الى سردها لا تحتمل شيئاً من التخييل وانظر اين هذا من قوله بعد ذلك

لكلفتني ذنب امرئٍ وتركتهُ　　كذي العُرِّ يُكوَى غيرهُ وهو راتعُ
فان كنتُ لاذو الضِغنِ عني مكذَّبٌ　　ولا حَلِفي على البراءة نافعُ
ولا انا مأمونٌ بشيءٍ اقولهُ　　وانت بامرٍ لا محالة واقعُ
فانك كالليل الذي هو مدركي　　وان خلتُ ان المنتأَى عنك واسعُ

العُرُّ قروحٌ تخرج باعناق الفصلان قيل فاذا ارادوا ان يعالجوهُ كووا بعيراً صحيحاً فيبرأ صاحب العُرّ وهو من خرافات العرب وقيل غير ذلك . ومثلهُ ما ذكرهُ في قصة زرقاء اليمامة المشهورة حيث قال

احكم بحكم فتاة الحيّ اذ نظرت · الى حمام سراعٍ وارد الثمدِ
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا · الى حمامتنا ونصفهُ فقدِ
فحسبوهُ فألفوهُ كما حسبت · تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزدِ
فكملت مئةً فيها حمامتها · واسرعت حسبةً في ذلك المددِ

فان هذا النظم اشبه باراجيز العلوم منهُ بكلام الشعرآء فضلاً عما فيهِ من الحشو واللغو في شطرهِ الاخير وقد جآء بين هذه الابيات بيتٌ اوردهُ بعد البيت الاول تراهُ كانهُ من نسيجٍ آخر وهو قولهُ

يحفهُ جانبا نيقٍ وتُتبِعهُ · مثلَ الزجاجة لم تُكحَل من الرمدِ

يحفهُ اي يحيط بهِ والهآء للحمام. والنيق الجبل العالي. وقولهُ مثل الزجاجة نعت لمحذوف اي تُتبعهُ عيناً مثل الزجاجة يريد عين الزرقاء المذكورة يصفها بالصفآء والسلامة من الدآء حتى انها لم ترمد ولم تُكحَل لعلّة

على ان هذه الاقاصيص والوقائع وان خلت عن غرض الشعر فان فيها فائدة علمية لا تنكر لان الشعر اسهل استظهاراً وابعد عن التحريف والفساد لتقييدهِ بالوزن والقافية وعنهُ أُخذ معظم تواريخ العرب ووقائعهم وانسابهم وعاداتهم وعباداتهم وسائر شؤونهم ولولاهُ لم يصل الينا ما نقف منهُ على حقيقة ما كانوا عليهِ . ومثل ذلك القصائد العلمية من الاراجيز وغيرها كمنظومات النحو والبيان والمنطق والطب وغيرها وكالقصائد التي ضُبطت فيها بعض الفاظ اللغة وقيودها وغير ذلك من الفوائد والنظم في ذلك كلهِ اكثر من ان يُحصَى والغرض من جميعهِ واحد وهو ضبط هذه الاشيآء في الفاظٍ مقدَّرة لا تقبل النقص ولا الزيادة. وهذا كما لا يخفى من النظم الذي

لهُ قالب الشعر دون اسلوبهِ ومعانيهِ وهو الذي ينطبق عليهِ تعريف العروضيين فيما سبق كما ان بعض الشعر مما تقدم في اوائل هذه المقالة لهُ من الشعر اسلوبهُ ومعانيهِ دون قالبهِ فهما على طرفي نقيض ولكلٍّ منهما موضعٌ لا يصلح لهُ الآخر

وقد اطلنا في هذا البحث بما لعل المزيد عليهِ يؤدي الى ملل المطالع فنقف منهُ عند هذا القدر وقد بقي في كل ما ذكر كلامٌ طويل لو شئنا ان نوفيهُ حقهُ لاقتضى مجلداً برأسهِ فاقتصرنا منهُ على ذكر المهمّ مما لم نجد فيهِ بياناً لغيرنا والله سبحانهُ اعلم بالصواب وهو وليّ الهداية

السلُّ الرئوي

لحضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب همام

لا بُدَّ لي قبل البحث في هذا الموضوع من ان المَّ بطرفٍ من الكلام عن المكروبات عموماً وعلاقتها بالامراض خصوصاً فأقول

انهُ قد تبين عند اهل البحث انّ في العالم المنظور عالماً غير منظور هو عالم المكروب وهذا المكروب منهُ ما هو نافعٌ ومنهُ ما هو ضارٌّ فالنافع منهُ ما يعيش على جثث الحيوانات الميتة والنباتات والاعشاب اليابسة فيُحدث فيها الاختمار والفساد ويُحللها الى العناصر البسيطة التي تركَّب منها بحيث تصير صالحة لغذاء ونماء حيوانات ونباتات أُخر . وهكذا تتعاقب الحياة والموت والتركيب والتحليل وتتمّ حلقة نظام الحياة ويلزم فيها الدور الى ما شاء الله من الازمان ولولا ذلك لنفد ما في الارض من الغذاء وانقرض

النبات والحيوان عن وجه البسيطة . واما الضارُّ منهُ فهو النوع الذي يعيش حلَمياً على الاجسام الحيَّة فيغتذي منها ويسبب الادواء والموت اما بمبرزاتهِ السامَّة او باتلافهِ ما بهِ قوام الحياة . وقد تبين ايضاً ان في جسم الحيوان حُوَيصلات وكُرَيَّات شبيهة بهذا المكروب فاذا التقى الفريقان في جسم حيوانٍ ما حصل بينهما قتالٌ شديد وحربٌ عوان يدعوهما اليها تنازع البقاء فان كانت الحرب بينهما سجالاً راوح الحيوان بين ابلال وانتكاس وان عُقد النصر لاحدهما قُضي على الآخر بالهلاك والموت . ومعلومٌ ان جسم الانسان ليس الا مجموع هذه الحُوَيصلات والكُرَيَّات فان خرجت من معترك تنازع البقاء سليمة كان هو سليماً وان دارت عليها دوائر الحرب واهلكتها هلك هو ايضاً وما الداء الذي نحن بصددهِ الآن الا نزاعٌ من هذا القبيل . فاذ قد تبين ذلك نقول

ان السلّ الرئوي او التدرُّن الرئوي هو مرضٌ تتصلَّب فيهِ بعض الانسجة الرئوية ثم تحول حؤولاً جبنياً ثم تنحل وتلين وتخرج بالسعال نفثاً عن طريق المجاري الهوائية فينشأ عن ذلك كهوفٌ في الرئتين واندثارٌ في الانسجة وانحطاطٌ في البنية وحمَّى وضعف وهزال وغير ذلك من الاعراض المعهودة في هذا الداء ويعقب ذلك في غالب الاحيان الموت اما بسبب عدم كفاية ما يبقى سليماً من الانسجة الرئوية لتنقية الدم واتمام هذه الوظيفة المهمة او بسبب الحمى والضعف الملازمين هذا الداء او بسبب انتشار العلة في كثير من اقسام الجسم .

اما مكروبهُ فقطرٌ من نوع الراجبيات يُرَى بالمجاهر المعظمة ممشوق

القوام مستقيم الحواشي طوله نحو من ثلث قطر كرية دموية حمراء وثخنه سدس هذا القدر . وهو يعيش في درجة من الحرارة بين ٨٤ و ١٠٨ من مقياس فارنهيت او بين ٢٩ و ٤٢ من السنتغراد ولذا كانت الحيوانات ذوات الدم الحار في غاية الموافقة لحياته وكان وجوده خارجاً عن هذه الحيوانات سبباً لهلاكه اذ لا يصبر طويلاً على حرارة الهواء الجوّي . وهو عادم الحركة فيدخل الرئتين محمولاً على اجنحة الهواء فاذا وجد ثمَّة بنية موافقة لنموّه نما فيها ونشأ عن نموّه التهابات وتغيرات واعراض معلومة عند اهل هذا الفنّ والا رجع محمولاً كما اتى

واما التغيرات التي تنجم عنه في الرئتين فهي تجمّع حويصلات ابيثيليَّة وكريات دموية وارتشاحات ليفية في الخلايا الهوائية فتسدّ بذلك هذه الخلايا ويمتنع دخول الهواء اليها . وقد تحدث نفس هذه التغيرات في الالتهابات البسيطة الحادّة الا انه يعقب هذه التغيرات التي نحن بصددها تغيرات اخرى من شأنها اهلاك الحويصلات والانسجة بخلاف ما يحدث في تغيرات الالتهابات البسيطة التي كثيراً ما تنتهي بالامتصاص والشفاء . ولقد حاول كثير من علماء هذا الفنّ ان يعللوا سبب هذا الفرق العظيم فذهبوا فيه مذاهب متباينة لا محل لاستيفائها في هذا المقام ولعل الارجح انه ناشئ عن موت حويصلات الجسم وأنسجته في معترك تنازع البقاء اذ لا تقوى على دفع مكروب الداء فتهلك في سبيل الدفاع . وقد سُمّي ضعف هذه الحويصلات عن مقاومة المكروب استعداداً وهذا الاستعداد اما وراثي او عارض فالوراثي ما كان في اصل البنية من ضعف بعض الحويصلات

وعجزها عن مقاومة المكروب والعارض ما طرأ على الجسم لاسباب تضعف حويصلاته وتقعدها عن الدفاع في سبيل الحياة. وكثيراً ما تطرأ هذه الاسباب المضعفة مع الاستعداد الوراثي فتزيد الاستعداد استعداداً وتثير العلة وتقرّب الاجل. على ان مكروب هذا الداء قد لا يتمكن من اختراق الغشاء المخاطي والوصول الى الانسجة الرئوية غير انهُ لا يعدم حاملاً يحملهُ ويجتاز بهِ الى هذه الانسجة لانهُ كثيراً ما تلاقيهِ بعض الكريات المفترسة على ظاهر الغشاء فتلتقمهُ وتدخل بهِ الى الانسجة فان قويت عليهِ هضمتهُ واغتذت بهِ وكفت الجسم شرَّهُ وان قوي عليها اتلفها حتى اذا فرغ من امرها اندفع اليهِ غيرها ثم غيرها وهلمَّ جرًّا فان كان الضعف الذي يسمى بالاستعداد عظيماً بطش بها جميعاً واجتاح الانسجة الرئوية فعاث وافسد ويعاونهُ على ذلك تكاثر عددهِ وازديادهُ بالانقسام الذاتي. الا انهُ كثيراً ما تحيط بهِ هذه الحُوَيصلات احاطة السوار بالمعصم وذلك اذا شعرت من نفسها بالضعف عن مقاومتهِ فتفرز حولهُ مادَّةً ليفيَّة لا يمكنهُ اختراقها وهكذا تحجر عليهِ الى اجلٍ غير معلوم وهذا ما يسمى بالتكيُّس. ففي هذه الحال تتوقف اعراض الداء وتتحسَّن احوال المريض ويُظَنّ انهُ قد ابلَّ الا ان ذلك لا يلبث طويلاً حتى تتفجَّر هذه الاكياس ويندفع ما فيها من المكروبات التي لم تزل حيَّة فتعود الى ما كانت عليهِ من تنازع البقاء وهكذا يتماثل العليل مرةً وينتكس اخرى كما هو معلوم من امر هذا الداء

(ستأتي البقية)

الجرائد والكتاب

لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم

لا يخفى ما للجرائد على اختلاف انواعها من التأثير على عقول القرآء وما يناط بها من السعي في اصلاح شؤونهم وتثقيف أَوَدهم لانها انما وُضعت لتكون استاذ المجتمع وخطيب انديتهِ ومشيرهُ وقائدهُ الى الخير والصلاح ومهذب عاداتهِ واطوارهِ وبالجملة فهي السبب الاعظم في تنوير الاذهان ونشر التمدن والمعارف واصلاح الاخلاق والآداب ولذلك كان من اول شروطها ان تكون مستجمعةً لهذه المبادئ لان ما لا اصلاح لهُ في نفسهِ لا يمكن ان يكون مصلحاً لغيرهِ

واننا ليسوءنا ان نرى جرائدنا على خلاف حال الجرائد في سائر البلاد المتمدنة فانها فضلاً عن قلة فائدتها للقرآء كثيراً ما اضرّت بآدابهم وعقولهم وكانت سبباً لتفريق جامعتهم والقاء الشقاق بين اهل البلد الواحد منهم والمصلحة الواحدة . ولا نخصّ بذلك جرائد القطر المصري فهذه جرائدنا في اميركا قد بلغت من الافساد بين احزاب قرآئها ما لا يقاس بهِ ما نراهُ في مصر وانما نشأ هذا الفساد عن الحرّية التي أُطلقت لهذه الجرائد وعدم وجود مسيطرٍ عليها يُلزمها طريقاً لا تتعداهُ ألا وهي الحرّية التي طالما سعى غيرنا من الامم في الحصول عليها من حكوماتهم ولم تفلح جرائدهم حتى نالتها فكانت عندنا هي سبب التقهقر ومنشأ الفساد . ومن شك في ذلك فلينظر الى جرائد سوريا فانها مع كونها ليست باكثر نفعاً للقرآء من الجرائد الأُخر فهي بمعزل عن القاء الفتن وزرع الشقاق وما ذلك الا لانها مقيَّدة عند

حدٍّ لا تتجاوزهُ

واذا اعتبرت هذه الحال في جرائدنا مع حال الجرائد الاجنبية وما هي عليهِ من الفلاح مع توفر الحرّية التامة لما علمت السبب في تأخر جرائدنا وحكمت بان العلة هي نفس كتَّابنا وضعف ما عندهم من الاستعداد للقيام بمثل هذا الامر الخطير . وذلك اولاً لما نشأوا عليهِ من التعصب حتى صار فيهم طبيعةً لازمة فلا يكادون يدخلون في امر او يتجهون لعمل الا كان التعصب رائدهم . وثانياً لعدم قصدهم النفع بجرائدهم وانما يقصدون التجارة ونفع انفسهم وتسخير القرآء لتنفيذ اغراضهم . وثالثاً لعدم علمهم بشروط الجرائد وواجباتها ومنزلتها من الامة التي تُنشَر بينها وعدم مبالاتهم بما ينشأ عنها خيراً كان او شرًّا . ورابعاً لنقص خبرتهم بالمباحث التي يخوضون فيها علماً كانت او سياسةً او ادباً او صناعةً او غير ذلك وانما جلّ رأْس مال اكثرهم النقل عن الجرائد الاجنبية ولذلك ترى جرائدنا السياسية كانها نسخة واحدة لانها باسرها معربة وانما الفرق بينها في قالب العبارة فاذا قرأَ الانسان جريدةً منها فكانهُ قرأَ الجميع . وهذه الامور هي السبب فيما نراهُ من قلة رواج الجرائد عندنا وكثرة شكاوى اصحابها وتذمرهم من قلة الاقبال عليها وهم يجهلون او يتجاهلون اسباب هذا الكساد ولذلك كثيراً ما ترى منهم من ينشئ جريدةً فتستمرّ بضعة اشهر او اسابيع ثم يهملها بعد ان يضيع عليها ما شآء الله من ذات يدهِ ويستنزف مال بعض المشتركين جزافاً

ولقد وردت على كاتبة هذه السطور منذ امدٍ غير بعيد جريدةٌ حديثة النشأة فتصفحتُ المقالة الاولى منها فاذا هي محشوةٌ بذمّ الناس ورميهم

بالجهالة والحمق والشحّ لعدم تهافتهم على الاشتراك في هذه الجريدة والارتواء من مناهل علمها حتى انها جعلتهم كالتماثيل لا عقل لهم ولاهم يقدرون للكتابة قدراً . ثم انتقلتُ الى ما بعد ذلك من المقالات فلم اجد سوى فصولٍ فارغة قد حُشيت بالهذر وأُنقت بركيك العبارات وسخيف المعاني فضلاً عما هناك من التمويهات والدعاوي العريضة والتطاول على اصحاب المقامات العالية . وانما ذلك كلهُ ذريعةٌ عند هذا الكاتب وامثالهِ لاكراه الناس على الاشتراك في جرائدهم خوفاً من التنديد بهم فاذا رُدَّت جرائدهم عليهم لم يلبثوا ان يعيدوها ويتابعوا ارسالها على هذا النمط مرةً بعد اخرى حتى اذا مضت على ذلك بعض اشهر من السنة ارسلوا يطالبون بقيمة الاشتراك حتى ينالوها بمثل هذه الدناءة وهم لا يخجلون

على ان اكثر اهل هذه الطبقة هم ممن ضاقت بهم سبل المعاش واعيتهم حيل الكسب فيحشرون انفسهم بين كتاب الجرائد ظناً منهم انها من الخطط السهلة وهم لا يعلمون منزلتها من ارباب الاقلام ولا ما تقتضيهِ من سعة العلم وطول الباع في صناعة الانشاء والتبسط في جميع انواع المعارف فاذا تبين لهم عجزهم عن القيام بحقها ورأوا ما هي فيهِ من الكساد عدلوا الى التملق تارة والوقيعة اخرى تقرباً من قومٍ وارهاباً لآخرين احتيالاً على سلب اموال الفريقين . فلا ريب ان امثال هؤلاء هم السبب الاكبر في انحطاط درجة الصحافة عندنا وسقوط قدرها واعراض القرآء عن المطالعة فهم على الحقيقة ضربةٌ على الجرائد والقرآء جميعاً لانهم ليسوا بالعدد القليل ولاجرائدهم بالشيء النادر ولكنهُ لا يكاد يمرّ اسبوع حتى تصدر فيهِ جريدةٌ او مجلة

يطرحونها على الناس بمثل الطريقة المذكورة حتى سئم القرآء هذا التعجيز المتواصل ونشأ عندهم كراهةٌ للجرائد على العموم . على ان البلاد لا تحتمل مثل هذه الكثرة من الجرائد مهما كان مضمونها وفائدتها لان القرآء عندنا عددٌ قليل والذين اعتادوا بذل المال في سبيل العلم هم القسم الاقلّ منهم وذلك فضلاً عن ان اكثر الذين يميلون الى المطالعة هم ممن رقّت حاشيتهم وقلّت ذات يدهم لان الغنيّ لا يكاد يبالي بغير الكأس والورق .....

وبالاجمال فان نجاح الجرائد عندنا يتوقف على امرين احدهما ان ينشأ عندنا من الكتاب من يكونون اهلاً للقيام بها وتلقّي القرآء بمطالبهم والثاني ان يعمّ العلم في البلاد ويتسع نطاق المعارف ويكثر عدد القارئين ولعلّ ذلك غير بعيد الحصول كما تبشرنا بهِ النهضة الحالية . واما الآن فان حالتنا تستميح هؤلآء الكتّاب عفواً وتسألهم العدول عن حرفة الصحافة الشريفة وتركها لمن هم اقدر على توفيتها حقوقها وان يلتمسوا رزقهم من غير هذا الباب من الاعمال التي قد تعود عليهم بالمكاسب الطائلة وعلى القرآء بالراحة التامة والله الموفق الى سوآء السبيل

مُتَفَرِّقَاتٌ

اسمآء الأُسَر الروسية - نشر بعضهم في ذلك الاحصآء الآتي قال في بطرسبرج ٦٤,٠٠٠ نفس يُطلَق على أُسرة كلٍّ منهم لقب ايفانوف ومن هؤلآء ٣,٠٠٠ يسمّى كل واحدٍ منهم باسم ايفان ايفانوفتش ايفانوف

ومعنى ڤتش ابن اي ايڤان بن ايڤان ايڤانوف

ويجيء بعد اولئك ٣٥,٠٠٠ تلقَّب أُسَرهم بلقب ڤازيلياف و ٢٩,٠٠٠ بلقب پتروف و ٢٢,٠٠٠ بلقب ميخائيلوف و ٢٣,٥٠٠ بلقب فيودوروف و ١٥,٠٠٠ بلقب ايويرنوف و ١٧,٠٠٠ بلقب يامانوف و ١٨,٨٠٠ بلقب اندرياف و ١٦,٥٠٠ بلقب ستيپانوف

وهناك القابٌ اخر عدَّ منها ألكسياف وغريغورياف ونيكولاياف وپاولوف واغوروف وألكسندروف وديمترياف وغير ذلك وكل واحدٍ من هذه الالقاب يُطلق على نحو عشرة آلاف نفس

قال وليس في كل بطرسبرج الا رجلٌ واحد لا شريك لهُ في اسمهِ يقال لهُ بريكالوف وقد خرج من عهدٍ قريب من هذه الحاضرة . اه

قلنا وليس هذا باعجب مما نراهُ في هذه البلاد من اماتة اسماء الأُسَر حتى لا تكاد تجد اخوين او ابني عمّ يجتمعان على لقبٍ واحد فيسمى احد الاخوة مثلاً بعمر لطفي والثاني بحسن رأفة والثالث بمصطفى فؤاد وقس على ذلك ولا سيما في ابناء البيوت الكبيرة حتى ضاعت بذلك الانساب التي طالما كان السلف يفخرون بها ويحافظون عليها ولا يبعد ان يؤدي بعد زمن الى التناكر جملةً وتناسي صلة القرابة . وانما يفعلون ذلك اقتداءً بالاتراك ولهذا في الاتراك سببٌ معلوم ليس في العرب ولكن هو الطبع الشرقي من دأب صاحبهِ التقليد والاستخفاف بكلِّ ما عندهُ حتى يستبدلهُ بما عند غيرهِ ولو كان فيهِ حطٌّ لقدرهِ واضاعة لشرفهِ

نوح عصري — ذكرت احدى المجلات العلمية ان رجلاً من اهل نيوهاوِن احدى فُرَض الولايات المتحدة يدّعي ان الله اوحى اليهِ بحدوث طوفان جديد وهو يشتغل اليوم ببنآء سفينة يأوي اليها من الغرق كما فعل نوح ايام الطوفان . وهذه السفينة على هيئة يخت اميركاني وهي ولا ريب ستكون امتن بنآء من سفينة نوح وسيوفَّر فيها من اسباب الراحة والرفاهية ما لم يكن في تلك

منظار ناپوليون — في حوزة رجلٍ من اهل تورين اليوم اثمن اثرٍ تأريخي يحسدهُ عليهِ اعظم دور الآثار وهو المنظار الذي كان يستخدمهُ ناپوليون الاول في وقائعهِ وقد انتهى اليهِ من احد رجال الجيش الذي كان مرافقاً لناپوليون . وهو منظارٌ صغير مؤلف من انبوبين من النحاس اذا فتح كان طولهُ ١٧ سنتيمتراً واذا أُطبق كان ١٢ سنتيمتراً وقد كُتِب عليهِ اسم ناپوليون وفي داخلهِ الجلد الذي كان يستعملهُ لتنظيفهِ . والمنظار موضوع في علبة مغشاة بالقطيفة عليها شعار الملكة اولغا من آل ورتمبرغ وكان ذلك الجندي قد دخل في خدمتها . وكان السبب في وصول هذا المنظار اليهِ ان ناپوليون نسيهُ في دُرج[1] في مائدة سفرهِ حين كان في واترلو فاستولى عليهِ هذا الجندي واحتفظ بهِ كما يُحتفظ بالآثار المقدسة وقبل وفاتهِ وهبهُ للرجل التوريني المشار اليهِ

---

(١) الدُّرج في اللغة سفط صغير تدّخر فيه المرأة طيبها وأداتها نقلهُ المتأخرون الى المعنى المراد هنا كما نقلوا في نقل العلبة والصندوق وغيرها (راجع البيان ص ١٤٠)

مطالعات

اكتشاف اوفير — هو البلد الذي كان سليمان (عم) يرسل اليهِ مراكبهُ فتحمل اليهِ الذهب على ما جآء في اخبارهِ في سفر الملوك وجلّ ما كان معروفاً من امر هذا البلد انهُ كان يُبحَر اليهِ من فرضة عصيون جابر عن طريق الخليج العربي ولم يكن يُعلم موضعهُ بالتحقيق فمن العلمآء من جعل مكانهُ في نواحي افريقيا الشرقية بجهة صوفالا مثلاً ومنهم من كان يجعلهُ على سواحل الحجاز او في الهند بناحية صورات او كمباي وكانت السفن تقطع هذا الطريق ذهاباً وايابا في ثلاث سنين

وقد توصل في هذه الايام الدكتور كارل بتَرس الى اكتشاف البلد المذكور قال هو الموضع المعروف اليوم باسم فورا وهو على عُدوة نهر مويرا على ٢٢ كيلومتراً من جنوبي نهر زمباز من افريقيا الجنوبية بين تيتي وسنا واهل تلك الناحية يسمّون مكَلَنْغا اي ابنآء الشمس وهم يلتقطون الذهب على طول النهر ويبيعون منهُ مقادير عظيمة في اسواق باريا وتيتي

سبب الزلزال — كتب المسيو ساڤين فصلاً فيما يرتئيهِ من اسباب الزلازل قال ان الزلزال مسببٌ عن انفجار في الغاز او المآء يحدث غالباً في الاراضي المكتنفة بالمآء فهو يحدث خصوصاً في الجزُر ولا سيما ذات الاراضي الفحمية التي لم تُفتح مناجمها ودليلهُ ان الجزائر التي قد فُتح ما فيها من المناجم الفحمية لا يحدث فيها زلزال

وعليهِ فلمقاومة هذه الجائحة او منعها يكفي ان يُحفَر في بعض مواضع من تلك الجزر آبارٌ ذات عمقٍ كافٍ لأن ينطلق منها الغاز او المآء او غير ذلك من غير ممانعة وافضل المواضع التي تحفر فيها تلك الآبار ما كانت بقرب المآء المحيط بالجزيرة

اعمار المتزوجين والأعزاب — تتبع احد اطبآء الالمان اعمار ٢٠٠ رجل في سن الاربعين كان منهم ١٢٥ متزوجين و ٧٥ أعزاباً فلما بلغوا الستين كان المتزوجون منهم ٤٨ والاعزاب ٢٢ وفي السبعين كان المتزوجون منهم ٢٧ والاعزاب ١١ وفي التسعين كان المتزوجون ٩ والاعزاب ٣ . وعليهِ فيكونون في سن الاربعين على نسبة ٥ الى ٣ وفي الطورين التاليين على ما يقرب من نسبة ٣ الى ٢ واما الطور الاخير فما لا يُبنى عليهِ قياس

السُفع وقطر الشمس — تبين من تكرار الاقيسة التي عني بها المسيو سيكورا في مرصد خركو ان للسُفع (اي البُقع السودآء) التي تظهر على وجه الشمس تأثيراً في قياس قطرها فانهُ وجد ان القطر اذا قيس وعلى حرف الشمس سُفعةٌ كان اطول منهُ وحرف الشمس خالٍ منها وذلك في اليوم الواحد اي حين يكون بُعد الشمس واحداً بحيث يكون هذا الفرق ناشئاً عن ظهور السفعة واختفآئها . فيُستدَلّ من ذلك على ان محيط السفعة ناتئٌ عن مستوى سطح الشمس نتوءا محسوساً حتى يكون لهُ هذا التأثير في قياس قطرها واذا كان قطر الشمس ٨٥٠ الف ميل فلا بد ان يكون ذلك النتوء بضعة آلاف من الاميال

تكرير السكَّر — اكتشف احد الاميركان طريقةً لتكرير السكر بالكهربائية يمكن بها ان يكرَّر وسقٌ كامل (الوسق ٨٠٠ اقة) في مدة ساعتين فيخرج سكراً ابيض صلباً بنفقةٍ لا تزيد على عُشر النفقة المعتادة

اخفّ الجوامد — ذكر بعض المتحنين ان اخف الجوامد المعروفة هو لباب النبات المعروف بزهرة الشمس فان ثقلهُ النوعي لا يزيد عن ٢٨ من الف او ثُمن الثقل النوعي للفلّين

وصيتان علميتان — اوصى المسيو لاون ريبو من اهل ليون بمبلغ خمسين الف فرنك لمدرسة الطب في ليون يُرصَد ما يجتمع من ريعها كل خمس سنوات ليُعطى جائزةً لايّ عالمٍ من ناحيتهِ يمتاز بتأليفٍ او اكتشافٍ مفيد في علم حفظ الصحة اوفرعٍ آخر من الفروع الطبية ولاسيما في حفظ صحة الاحداث

واوصت مادام بوكور بمبلغ اربعين الف فرنك يُنفق ريعها على الاكتشافات المحدثة في علم طبقات الارض

فوائد

الخشب الصخري — يتخذ الخشب الصخري بان تُخلَط نشارة الخشب بالمانيزيا المسحوقة وكلورور المغنيسيوم على نسبة اثنين الى واحد ثم يُرَشّ الخليط بالماء بواسطة مضخة ويُعجَن فينشأ عنهُ طينة يمكن ان تُفرَغ في

اي قالبٍ أُريد وبعد ذلك تعرَّض للهوآء حتى تجفَّ وتتصلب فيكون عنها مادةٌ قاسية وقليلة القبول للاشتعال . ويحسن استعمال هذا الخشب في تغمية السطوح والارصفة

غرآء الهلام (الجلاتين) والنشآء — يؤخذ ٤ كيلغرامات من الهُلام ومثلها من النشآء ويُحلّ كلٌّ منهما في المآء على حدةٍ ثم يُرفع محلول الهلام على النار وبعد ان يغلي يضاف اليهِ محلول النشآء مع التحريك المتواصل حتى يتم امتزاجهما . اما مقدار المآء فيتعين بحسب اللزوم لكن ينبغي ان لا يكون في المقدار المذكور اكثر من ٩٢ لتراً

تنظيف المبارد — اذا كان ما بين اسنان المبرد محشوًّا من الرصاص او القصدير يُغمس في الحامض النتريك (مآء الفضة) ثم يجفف بنشارة الخشب ويخلَّل اي ينظَّف ما بين اسنانه جيداً . واذا كان محشوًّا ببرادة الحديد يتخذ لهُ مغطسٌ من كبريتات النحاس (الشب الازرق) ثم يُغمس في مغطس من الحامض النتريك يقوَّى حتى ينبعث عنهُ حين تغطيسهِ بخارٌ شديد . اما برادة الزنك والنحاس فتذهب الاولى بالحامض الكبريتيك والثانية بالحامض النتريك مكرراً

اسئلة واجوبتها

القاهرة — يقال ان اصل اليونان من يونان بن نوح فهل ذلك صحيح

ح . ع

الجواب — الذي ذكرتموهُ هو المشهور وعليهِ اكثر المؤرخين الا ان يونان هو ابن يافث لا ابن نوح وتحقيق اسمهِ ياوان . لكن الذي عليهِ المحققون ان اليونان ينتسبون الى يون بن اكزوتس بن هلان لا الى ياوان بن يافث ولعل هذا هو الاصح لان اليونان لم يُعرَفوا بهذا الاسم الا منذ القرن الخامس عشر او الرابع عشر قبل الميلاد حين انقسم الهلانيون او الأغارقة الى اربع طوائف سميت احداها باليونان او اليونيين وهي سلالة يون المذكور وذلك بعد عهد ياوان بن يافث بما لا يقل عن سبعة عشر قرناً . والظاهر ان الذي اوهم القائلين بانهم من ابناء ياوان بن يافث ان اليونان يسمَّون في كتب الانبياء باسم ياوان فظنوا ان الاسمين لمسمًّى واحد والصحيح ان ياوان هذا هو يون بعينهِ تصرّفوا في لفظهِ فقالوا ياوان على ان هاتين الأَلِفين من قبيل الحركات العارضة لان هجاءهُ العبراني « يون » ولا يبعد ان تكون زيادتهما من تحريف القرّاء ذهاباً الى ان هذا هو عين ذاك لاتفاق الاسمين على هجاء واحد والله اعلم

يافا — ارجو من حضرتكم الجواب على الاسئلة الآتية

(١) رأيت البيت الآتي من ديوان المتنبي مروياً في نسختكم العرف الطيب على هذه الصورة

احقُّ دارٍ بأن تُدعى مباركةً دارٌ مباركةُ الملْك الذي فيها

ثم رأيتهُ في الجزء الاول من مجاني الادب وقد رُوي عجز البيت هكذا «دارٌ مباركُ الملْكُ الذي فيها» فأي الروايتين اصح

(٢) ماذا يقصد ابو تمّام في البيت الآتي من قصيدةٍ يمدح بها احد الخلفآء العباسيين وهل المعنى الذي يُفهَم منهُ بعد التعليل هو من مليح المدح . والبيت هو قولهُ

يتجنب الآثام ثم يخافها　　فكانما حسناتهُ آثامُ

(٣) الذي قرأناهُ في ترجمتكم ثم رأيناهُ مبسوطاً في احد اجزآء السنة الماضية من مجلتكم الغرآء انكم كنتم انتم المتولّين لتصحيح نسخة الكتاب المقدس المنسوبة الى الآبآء اليسوعيين فنرجو ان تفيدونا هل الاصل الذي تُرجم عنهُ الكتاب المذكور كان امامكم ام قُدّمت لكم الترجمة العربية فسبكتموها في قالبها الحالي فانّا قرأنا فيها في سفر الجامعة (٣ : ٢١) الآية الآتية على هذه الصورة «من يرى روح بني البشر الذي يصعد الى العلآءِ وروح البهيمة الذي ينزل الى اسفل الى الارض» . ثم قرأنا الآية نفسها في ترجمة مرسلي الاميركان فوجدناها بهذه الصورة «من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل الى اسفل الى الارض» ولا يخفى ان بين الترجمة الواحدة والترجمة الاخرى ما بين الضدّ وضدّهِ فهل العبارة العبرانية تحتمل هذين المعنيين المتناقضين وهو في ظننا بعيد ام في احدى الترجمتين تحريف

يوسف العيسى

الجواب　اما بيت المتنبي فالمشهور في روايته ما رأيتموهُ في نسختنا وهو رواية الواحدي والعكبري وغيرهما على ان الروايتين بمعنى واحد وكلتاهما صحيحة . واما بيت ابي تمّام فظاهرهُ ذمٌّ محض الا انهُ يمكن ان يأوَّل على معنى انهُ يتجنب ذكر حسناتهِ اي ان يذكرها هو فيتمدح بها او ان

تُذكر في مجلسهِ ويُطرأ عليها تجافياً منهُ عن سماع المديح حتى يكون المعنى ذاهباً في طريق قول المتنبي

يحدِّث عن فضلهِ مكرَهاً كأنَّ لهُ منهُ قلباً حسودا

وعلى كل حال فان هذا البيت من الابيات المبهمة التي ينبغي للشاعر اجتنابها. واما الآية التي ذكرتموها في سفر الجامعة فلا ننكر ان صورة تعريبها في نسخة الاميركان اقرب الى مطابقة الحرف العبراني الا ان المفسرين اوّلوها على المعنى الذي يُفهم من تعريب النسخة اليسوعية اذ من المحال ان يكون مراد سليمان بها ما يفيد ظاهرها ولا سيما ان لهُ حتى في السفر نفسهِ كثيراً من النصوص التي تناقضها ولذلك عدل المترجم بها الى موافقة التفسير تفادياً من تشويش اذهان القرّاء

آثار ادبيّة

كتاب المباحث الحكمية في احوال وتربية القوى العقلية — هو كتابٌ دلّ عنوانهُ على مضمونهِ من تأليف حضرة الاستاذ الفاضل محمد افندي نصار مدرّس العربية في المدرسة الشرقية ببرلين سابقاً تكلم فيهِ على النفس وقواها وانفعالاتها وما يتصل بها من آلات الحسّ وما للعوامل الخارجية عليها من التأثير مع تفصيل هذه الجهات كلها وتطبيقها على حال الانسان مما يستفاد من جملتهِ كيف ينبغي ان تربّى نفس الصغير حتى ينشأ على الكمالات الانسانية وكيف ينبغي ان يلقَّى العلم حتى يكون تعلمهُ صحيحاً

نافعاً وكل ذلك بعبارةٍ واضحة المنهج خالية عن التعقيد والاغراب . فنثني على المؤلف ثناآءً طيباً ونرجو لهُ تحقيق ما يقصد بهذا الكتاب من جليل النفع وما يترتب عليهِ من جزيل الثواب

والكتاب يشتمل على نحو ١٤٠ صفحة متوسطة وهو يباع في اشهر المكاتب المصرية وثمنهُ ٣ غروش

وصف الفيوّم — ما برحت آثار حضرة الفاضل الالمعي احمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار تتواتر علينا المرّة بعد المرّة بما ينطق بفضلهِ ويشهد لهُ بالمثابرة والاجتهاد في كل ما يأول الى بث انوار العلم واحياء مآثر السلف. وقد اهدى لنا في هذه الايام نسخةً من رسالةٍ لهُ في وصف ما كانت عليهِ مديرية الفيوم في القرن السابع للهجرة كتبها باللغة الفرنسوية نقلاً عن مؤلَّفٍ عربي للامير عثمان النابلسي الفهُ برسم السلطان الصالح نجم الدين الايوبي. وقد صدَّر الرسالة بترجمة المؤلف وتحقيق اسمهِ ونسبهِ وتعريف منزلتهِ المدنية والعلمية بعد التنقير عن ذلك في زوايا المكاتب وتضاعيف الاسفار ولخَّص هذا الكتاب تلخيصاً حسناً واوجز مضمونهُ فصلاً فصلاً وختمهُ بفذلكةٍ قابل فيها بين ما كانت عليهِ تلك الناحية في ذلك العهد وما هي عليهِ اليوم فجآءت رسالتهُ هذه خلاصةً جليلة تشتمل على كثيرٍ من الفوائد الجغرافية والتأريخية فنشكرهُ على هذه الطُرفة الحسنة ونسأل لهُ دوام التوفيق الى كل ما فيهِ خدمة العلم والوطن وكسب الحمد وجميل الذكر

فكاهات

رواية

المخاصرة[1]

كان في مدينة ليون رجلٌ من اهل الثروة يقال لهُ فردينان يتعاطى بها اعمال التجارة فامتدّت علاقاتهُ واتسع غناهُ واتخذ لهُ ارضاً فسيحة في افضل بقعة من المدينة وبنى فيها قصراً فاخراً وغرس حولهُ حديقةً غنآء ورتع هناك في بحبوحة السعادة مع زوجتهِ وولدهِ ادمون . وكان ولدهُ هذا شاباً ذكيًا وقد هذَّبهُ وخرَّجهُ في الاعمال واتخذهُ مساعداً لهُ في تجارتهِ وكان لا يفترعن اتخاذ الاسباب التي تزيد موارد غناهُ ليتركهُ لولدهِ الوحيد بعد وفاتهِ ويغنيهُ عن سواهُ من البشر . وكان لزوجة فردينان ابنةٌ من زوجها الاول يقال لها استير فبعد ان اتمت دروسها كرهت ان تبقى في بيت والدتها مع غير ابيها فأقامت في المدرسة تدرّس فيها مجاناً . اما فردينان فكانت احوالهُ البيتية الهنيئة ومكاسبهُ المتزايدة يوماً بعد يوم تزيد في سرورهِ فلم يكن يُرى الا باسم الثغر ناعم البال لا يهمهُ سوى اتباع المسرات وايلام الولائم واحيآء الليالي بكل انواع السرور . ولما بلغ ولدهُ ادمون الحادية والعشرين من عمرهِ رغب والداهُ في تزويجهِ فأبى لان قلبهُ كان بعيداً عن

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

النسآء وكان والداهُ يلحان عليهِ في ذلك بغية ان يرياهُ سعيداً مع الزوجة التي ينتقيها ليتحققا سعادتهُ قبل ان تدركهما المنية ولكنهُ كان لا يزداد الاَّ اباًء ونفوراً واصراراً على ايثار الحياة الحرة . فجعلا يكثران من الولائم والدعوات وليالي الرقص والطرب ويدفعان ادمون اليها رغماً وهو يلاطف الجميع ويظهر كمال صفاتهِ وحسن سجاياهُ بدون ان يعلّق قلبهُ او يربط فؤادهُ باحد نخاخ الشيطان . ولم ييأس والداهُ من ذلك لعلمهما ان لا بد لكل ابن انثى وان طال عصيانهُ لسلطان الهوى من الانقياد لهُ صاغراً والانخراط رغماً عنهُ بين جنودهِ فتركا الحاحهما الشديد وعمدا الى تكثير الزيارات ولا سيما بين خرائد الجنس اللطيف وهما يرقبان وقوع ادمون ليفرحا بسقوطهِ

ولم تمضِ عليهم ايام قلائل حتى اقبلت المرافع واستعد سكان مدينة ليون لاحيآء لياليها على عادتهم ووُزّعت رقاع الولائم والمخاصرة وكان اهمها ليلةً عزم على احيآئها واحدٌ من اشراف الفرنسويين يقال لهُ المسيو برتران وقد اباح فيها الحضور لكل من شآء بشرط ان يحسن المخاصرة لان المدعوين في مثل تلك الليلة لا بد ان يكونوا ملثمي الاوجه فلم يكن مانعٌ من اختلاف طبقاتهم . ولما علمت والدة ادمون بذلك اتخذت تلك النهزة ذريعة لبلوغ امنيتها فأخذت تقنع ولدها بالذهاب الى تلك الليلة آملةً انهُ باختلاطهِ مع تلك الاصناف العديدة لا بد ان ينفتح صدرهُ للحب وكان فرديناند يعلم شدة تعلق ادمون بوالدتهِ فالحّ عليها في استعمال قوة محبتها لاقناع ادمون بذلك

وفي صباح يوم الليلة المعهودة نهض فرديناند من رقادهِ فرحاً مسروراً

لانهُ لم يكن يقف في طريق مسراتهِ شيء وقد استبشر سلفاً بما سيتمتع بهِ في ذلك المسآء . ولما جلس مع زوجتهِ وولدهِ الى مائدة الطعام التفت الى ادمون وفاتحهُ في امر الذهاب لحضور تلك الليلة فقال ادمون عجباً يا والدي من الحاكم الشديد أيفعل الانسان ما يكره ام ما يحب فقد علمتم انني لااميل الى هذه الامور وانها تضايقني جدًّا فالجلوس في غرفتي مع كتبي احب اليَّ من اعظم احتفالات العالم. ولما الحَّ والداهُ في مجادلتهِ وقف بدون ان يجيب ثم لبس قبعتهُ وخرج من البيت. فتعجب والداهُ من اصرارهِ هذا ولما يئسا من انقيادهِ لمرادهما عزما ان يتركاهُ وشأنهُ ولا يعودا الى مفاتحتهِ في هذا الامر

ثم اقبل المسآء ولم يحضر ادمون فقلقت والدتهُ ولم تطاوعها نفسها على الذهاب الى نادي الافراح وهي قلقة البال فرغبت الى زوجها ان تبقى في البيت. فاستآء فردينان لذلك ولكنهُ لم يكن من الذين يهتمون بارضآء غيرهم ولم تكن هذه الموانع لتعوقهُ عن اتباع ملذاتهِ وتوفير سرورهِ فتركها وسار لا يلوي على شيء الى المزين فنفض عن رأسهِ غبار المشيب ورفع شاربيهِ وبدَّل الشيخوخة بعنوان الشبيبة وبعد ما ادَّهن وتعطر ارتدى ثوب المساخر وتنكر بالوجه المستعار وذهب الى حيث كان موعد الاجتماع

وكانت دار المسيو برتران مزدانة في ذلك المسآء بالمصابيح والانوار الباهرة تشق ردآء الليل وتلقي عليهِ بهجة النهار وقد فُرشت الطرق والابواب بالازهار والرياحين وارتفعت الاسهم النارية تخترق صدر الفضآء واخذ المدعوون في الدخول باثوابهم الجميلة وهم متسترون ببراقعهم فكانت الدار

ومن فيها شعلةً من نور . ولما صدحت الموسيقى نهض الجمهور للمخاصرة وسعت الرجال في انتقآء السيدات ودارت رحى الرقص كامواج البحر الزاخر . وكان من اشدهم تمتعاً بتلك اللذة فردينان فلم يكن لتكل قدماهُ ولا تخور قواهُ وقد استعان باخفآء وجههِ على اغتنام تلك الفرصة التي ربما كان يتعذر الحصول عليها بدون التستر . ولما انتهى الفصل الاول بصر فردينان بفتاةٍ رشيقة القوام حسنة الهيئة فأسرع اليها وتأبط ذراعها ودعاها لتشاركهُ في شرب شيءٍ من المنعشات فأجابت الفتاة بكل احتشام وسارت واياهُ ثم طلب اليها ان تقبلهُ مخاصراً لها في الرقص التالي فاعتذرت ولما الحَّ عليها قالت اني لم احضر ليالي الرقص الا نادراً ولم اعتدهُ . قال وعلامَ اذاً اتيتِ في هذا المسآء . قالت لم يكن بودي الحضور ولكن لي صديقةً حسَّنت لي هذا الاجتماع فصحبتها لا رغبةً في مشاركة اهلهِ بل على امل ان اشاهد فيهِ اناساً من ذويَّ ولكن من اين لي ان اعرف الحاضرين هنا وهذه البراقع تخفي الاخ عن اختهِ . قال فردينان اذاً السيدة ليست من ليون . قالت لا . ولم تكن شروط المساخر تسمح بزيادة الاسترسال معها في البحث وكان فردينان لا يهمهُ السؤال عن تلك الفاتنة وهو رجل متزوج فحوَّل الحديث الى موضوع الرقص وسألها قبولهُ معها في الدور الثاني وكانت الموسيقى على اهبة العمل فأخذ بذراع الفتاة وقد خجلت ان تصدهُ بعد هذا الالحاح وانسابا بين الجمهور يرقصان حتى جذبا اليهما ابصار الجميع

ورأى فردينان من مهارة مخاصِرتهِ ولين حركاتها ورشاقتها ما اخذ بمجامع قلبهِ فطلب اليها ان لا ترقص مع غيرهِ في تلك الليلة . فشكرتهُ على

ذلك وقالت لا اظنني راقصةً مع احدٍ بعدُ ثم توجهت الى مقعد فجلست لتستريح . غير انها ما استقرّ بها الجلوس حتى اقترب منها فتًى معتدل القامة قد ارتدى لباس الفرسان الموشى بالحلى والنياشين فكان لهُ منظرٌ باهر ورغب اليها ان تمنّ عليهِ بصحبتها في الدور الثالث . فقالت ارجو ان تعذرني ايها الفتى فليس ذلك في امكاني هذه الليلة . قال لا اظن انك تبخلين بذلك على فتى لم يطلب هذا الطلب من سواكِ ويودّ ان لا تردّيهِ بالخيبة . قالت حبذا لو امكن فاني لست اهلاً لهذا . قال كيف ذلك وقد رأيتكِ منذ هنيهةٍ مرمى لابصار الجميع وكفى انني راقبتكِ طويلاً ولم اصدق ان يتسنى لي وجودكِ جالسةً لاطلب منكِ هذا الطلب . قالت قد اجبرني ذلك الرفيق على الرقص ففعلت وحتمت ان لا اكرر ذلك . قال وددت لو اجرّب قوتي معهُ لنرى اينا اقدر على الاجبار

وما اتم الفتى كلامهُ حتى رأى الرفيق الاول امام وجههِ وهو يقول لقد اطلت جدالك ايها الوقح مع هذا الملك فدعها وشأنها والا انلتك ما تتمناهُ من معرفة الاقوى فينا . ولم يكن الفتى يتوقع المذلة الاولى فكيف الثانية فاشتعل غيظهُ من مزاحمهِ ورفع يدهُ ولكمهُ في صدرهِ احتقاراً وازدراءً وكان ذلك ما يتمناهُ الاول فاشهد عليهِ من بقربهِ وطلب الفتى للبراز . ولم يكن الفتى يتوقع ذلك فصمت حيناً ثم تذكر ان السيدة قد اخجلتهُ برفضها مخاصرتهُ وان الرجل اهانهُ بفظاظتهِ وخشي ان يوسم بالجبن اذا نكل عن مبارزتهِ فنزع قفازهُ من يدهِ وضرب بهِ وجه خصمهِ وهي علامة قبول البراز . فقال لهُ الاول قد قبلت اذاً فاستعدّ لما ستلقاهُ مني واختر متى تريد

ان يكون ذلك واين وكيف . قال اريد ان يكون ذلك في هذه الليلة بل الآن وهنا وكما تحبّ . ثم اتفقا ان ينحازا الى احدى غرف القصر ويُصحِبا بعض الشهود وان يعجلا في الامر قبل ان تعترضهما الموانع وهما تحت حجاب التنكر

ولم تمضِ على ذلك الا دقائق قليلة حتى دخلا غرفةً ومعهما رجلان متستران انتقياهما من جماعة المدعوين واخذ كلٌ منهما سيفاً واستعدّا لاستقبال الموت بينما كانت الموسيقى تعزف في الدار الخارجية والمخاصرة دائرة على قدم وساق . فوقف الخصمان وسيف كلٍّ منهما مصلتٌ بيدهِ وما اعطى الشاهدان العلامة حتى برق سيفاهما وهجما بعضهما على بعض . ويا للعجب من تغيّر الانسان كيف يكون في الدقيقة الاولى سميراً للجنس اللطيف في غاية ما يكون من الرقة والانس مشابهاً لملائكة السلام ثم تراهُ في الدقيقة الثانية وحشاً ضارياً قد بدّل رقتهُ بالشراسة وأنسهُ بالتوحش يظمأُ الى ارتشاف الدمآء ويسر بقبض الارواح كابالسة الجحيم . واشتد العراك بين الخصمين ولقي كلٌ من صاحبهِ ثبوت جنانٍ وقوة ساعد عظيمين ووثب الفتى وقد وجّه الى عنق خصمهِ ضربةً قاضيةً فزلت قدمهُ قبل ان يصل اليهِ وكانت تلك فرصة لخصمهِ فطعن بسيفهِ صدر الفتى فدخل النصل فيهِ الى وسطهِ فارتخت يد الفتى وسقط سيفهُ من يدهِ وهوى بجسمهِ الى الارض والدم يتدفق من صدرهِ . فبُهت الشاهدان ووقف القاتل فرحاً بانتصارهِ مفتخراً بعملهِ الوحشي ثم اكبّ الشاهدان على القتيل فمزقا البرقع عن وجههِ ليعرفا من هو . وحالما وقعت عليهِ عين فرديناند ارتعشت اعضاؤهُ لانهُ تخيل فيهِ

شبه ولده ادمون فأسرع واستثبت منظره فلم يبق عنده شك انه هو هو وكأن صاعقة انقضت على دماغه فصاح صيحة اليأس ووقع مغشياً عليه

ولا يستطيع القلم ان يعبر عن حال الوالد بعد ان عاد الى رشده وتراجع الى مخيلته ما فعله في تلك الليلة فلعن ساعته وافراحه ولذيذ لياليه ونتف شعره وسار على اثر حاملي ولده الى بيته والزفرات تمزق صدره والعبرات تحرق وجنتيه . ولما بلغوا البيت اسرع ذلك الوالد الحزين فرمى بنفسه على اقدام زوجته وصاح بها قائلاً تعالي ايتها الثاكل وارفسي برجلك قاتل ولده فقد قتلت ادمون بيدي . ولما رأت الوالدة ادمون قتيلاً بين يديها تفرست فيه ملياً وهي مبهوتة ثم طفرت في البيت تعول وتصيح وقد فقدت شعورها . وفي اليوم الثاني دُفن ذلك الفتى المسكين في طاقات الازهار والرياحين وانقلب بيت فرديناند من بعد الافراح والمسرات الى الحزن الدائم فصبغ جدران بيته بالسواد وقضى بقية حياته مع زوجته داخل غرفته لا يأنس بمشاهدة احد ولا يرغب في سماع شيء سوى رثاء فلذة كبده . وبعد بضعة ايام ورد على فرديناند كتاب فطرحه على كرسي وتركه اياماً الى ان كان ذات يوم ففتحه فاذا هو من ابنة زوجته استير تصب فيه على نفسها اللعنات وتذكر انها هي فاتنة تلك الليلة المشؤومة . وكانت بعد ان قضت تلك الليلة اكراماً لرفيقتها عادت واياها الى المدرسة ثم بلغتها الحادثة بعد ايام فحزنت حزناً شديداً وكرهت العالم فقصت شعرها ودخلت الدير لتقضي بقية الحياة مترحمة على الميت مترجية له العفو والغفران

التعريب

لم يمرّ بالكاتب العربيّ عصرٌ كانت الكتابة فيهِ اصعب مزاولةً ولا اوعر سبيلا واكثر عقباتٍ من العصر الحالي ولا اتى على اللغة عهدٌ هي فيهِ اضيق مجالاً واشدّ عقماً بمطالب اهلها من هذا العهد . وذلك ان لغة كل قومٍ انما هي عبارةٌ عما يدور بينهم من المعاني والاغراض وما يقع تحت حسّهم من الاشباح وينطبع في مخيّلاتهم من الصور لا تعدو ما هم فيهِ من ذلك او ما شاكلهُ . ولا يُنكر ان اللغة لا تثبت على حالٍ واحد فهي ابداً عُرضةٌ للتغيير تارةً والزيادة او النقص اخرى تبعاً لاحوال اهلها وتنقّلهم في الاطوار الا ان ذلك انما يتمّ مع الايام ويقع الشيء منهُ بعد الشيء جرياً على الحال الطبيعي في كل موجود ومن قابل حال اللغة اليوم بما كانت عليهِ لعصر الجاهلية ثم ما كانت عليهِ بعد ذلك لعهد الدُوَل العربية قضى العجب مما تقلب عليها من التفاوت والاختلاف. بيد أن هذه الاطوار الثلاثة كانت متداخلةً بعضها في بعض لا حدّ بينها ولا يتعين لاحدها مفصلٌ يبتدئ منهُ او ينتهي اليهِ ولم يكد اهل اللغة يشعرون بما يقع من ذلك لتراخي حدوثهِ وجريهِ في خفآء وتؤدة فمَثَل اللغة في ذلك مثَل الانسان يشبّ ويهرم ولا يشعر من نفسهِ بتبدُّل في بنيتهِ ولا قواهُ . ولكنك اذا نظرت الى حال الامة العربية في هذا العهد وما انتشر بينها من التمدن الغربي وجدت انها قد افضت الى حالٍ انتقلت فيها عن أُفقها الاول دفعةً واحدة وهجمت على تمدنٍ فجآئي قد نبت في غير ارضها ونمى في غير جوّها ولم

يبلغ اليها الا وهو على تمام أشُدّهِ وكمال كيانهِ فكان انتقالها اليهِ والحالة هذه اشبه بالطفرة ووجدت بين ايديها من انواع الملبس والمفرش والماعون وادوات الترف والزينة ومصطلحات العلم والتجارة والصناعة والسياسة وفنون الاحاديث والتصورات وغير ذلك ما هو مباينٌ لما عندها واصبح الكاتب منها مضطرًّا الى وضع مئاتٍ بل آلافٍ من الاسمآء التي لا يجد لها رديفاً في لسانهِ ولا في وسعهِ نقل تلك الالفاظ بصورتها الى لغتهِ لشدة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات اولئك الاقوام لان الالفاظ فيها محصورة الاوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها الا منها ولا يمكن ان تُدسّ اللفظة الاجنبية بينها الا بعد ان تجانسها وتؤاخيها

ولا يخفى ما في مزاولة هذا العمل الطويل من الصعوبة وبُعد المنال اذ لا يُتصوَّر من كل كاتب ان يكون محيطاً بالفاظ اللغة عالماً باوضاعها واشتقاقاتها ولا في سعة كل منشيءٍ ان يتفرغ لتقليب صحف اللغة وتتبع موادّها حتى يتولى وضع الفاظٍ لهذه الأشيآء بنفسهِ وما كان احوجنا الى مجمعٍ لغوي يوكل اليهِ البحث في هذه الاوضاع ويناط بهِ احيآء اللغة والحاقها بسائر لغات اهل العصر بل احيآء الامة نفسها اذ لا حياة لامةٍ الا بلسانها كما اوضحناهُ في غير هذا الموضع. وهذا ما طالما حثثنا عليهِ همم العلمآء من اهل هذا القطر لعلمنا انهُ محط رحال العربية ومنبثق انوار علومها لو صادفنا منهم اذناً واعية ولكن القوم في شغلٍ شاغل من الامر السياسيّ الذي عرفتهُ بل الحلم المضحك المبكي الذي تشاغلوا بهِ في هذه الايام وكان مثلهم فيهِ مثَل من اهتمّ بتسوير ارضهِ وجدران بيتهِ متداعية .....

ومهما يكن هناك فان الامر قد اصبح اجلّ من ان يُتغاضى عنهُ لان هذه الالفاظ تزداد يوماً عن يوم بما يتوالى من المخترعات والمكتشفات على ما نراهُ كل يومٍ في جرائد القوم ومجلاتهم فاذا لم نبادر الى سنّ طريقةٍ يمكن بها وضع الفاظٍ لهذه المستحدثات او سبك الفاظها في قالبٍ عربي لا تتشوه بهِ هيئة اللغة لم نلبث ان نرى الاقلام قد تقيدت عن الكتابة في هذه الامور بتةً او اصبح اكثر اللغة اعجمياً الا اذا طبنا نفساً عن علوم العصر ومصنوعاتهِ ورجعنا بحضارتنا الى الحدّ الذي كنا عليهِ منذ خمسين سنةً او فوقها وهي المنزلة التي يحاول بعض القوم ان يردّونا اليها ونعم المصير

ولقد تواترت علينا في هذه الايام مكاتبات بعض الاخوان من مشتركينا الادبآء يسألوننا الخوض في هذا البحث لما رأوا من الضرورة الماسّة اليهِ وهو البحث الذي كنا شرعنا فيهِ في مجلة البيان تحت عنوان اللغة والعصر ثم انقطعنا عنهُ للسبب الذي ذكرناهُ في محلهِ . وهو يتضمن عدة مباحث منها الاشتقاق وقد استوفينا ما حضرنا من الكلام عليهِ هناك ومنها المجاز والنحت وسنعود اليهما ان شآء الله ومنها ما نحن فيه من امر التعريب نقدّمهُ في هذا الموضع اجابةً للطلب والله المستعان

واعلم ان التعريب شيئان احدهما تعريب الكلمات المفردة وهو ما تقدم ذكرهُ ومرجعهُ الى اللغة وفيهِ كلامنا الآن والآخر تعريب الجمل باعتبار تركيبها ومؤدّاها وهو يرجع الى الصيغ البيانية وسنفرد لهُ فصلاً مخصوصاً ان شآء الله

وتعريب الكلمة المفردة قد يكون بما يرادفها من الكلم العربية ويسمى

بالتعريب توسعاً وقد يكون بادخال الكلمة الاعجمية نفسها في الاستعمال ونظمها بين الالفاظ العربية حتى تكون كانها منها وهو المفهوم من اصطلاحهم كما سنذكرهُ . قال في الصحاح وتعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه بهِ العرب على منهاجها تقول عرّبتهُ العرب وأعربتهُ ايضاً . وقال في المصباح والإسم المعرَّب الذي تلقتهُ العرب من العجم نكرةً نحو ابريسم ثم ما امكن حملهُ على نظيرهِ من الابنية العربية حملوهُ عليهِ وربما لم يحملوهُ على نظيرهِ بل تكلموا بهِ كما تلقوهُ .. وان تلقوهُ علماً فليس بمعرَّب وقيل فيهِ اعجميٌّ مثل ابرهيم واسحق . اه وفي هذا الاخير كلامٌ سيأتي . وقال في المزهر قال ابو حيّان في الارتشاف الاسمآء الاعجمية على ثلاثة اقسام قسمٌ غيرتهُ العرب والحقتهُ بكلامها فحكم ابنيتهِ في اعتبار الاصليّ والزائد والوزن حكم ابنية الاسمآء العربية الوضع نحو دِرهَم وبَهرَج وقسمٌ غيرتهُ ولم تلحقهُ بابنية كلامها فلا يُعتبَر فيهِ ما يُعتبر في القسم الذي قبلهُ نحو آجُرّ وسِيسنبَر وقسمٌ تركوهُ غير مغير فما لم يلحقوهُ بابنية كلامهم لم يُعدّ منها وما الحقوهُ بها عُدّ منها مثال الاول خُراسان لا يثبت به فُعالان ومثال الثاني خُرَّم أُلحق بسُلَّم وكُرْكُم أُلحق بقُمقُم . اه

وفيهِ قال ائمة العربية تُعرَف عجمة الاسم بوجوه احدها النقل بان ينقل ذلك احد ائمة العربية . الثاني خروجهُ عن اوزان الاسمآء العربية نحو إبْرَيسَم . الثالث ان يكون اولهُ نون ثم رآء نحو نرجس . الرابع ان يكون آخرهُ زاي بعد دال نحو مهندز . الخامس ان يجتمع فيهِ الصاد والجيم نحو الصولجان والجِصّ . السادس ان يجتمع فيهِ الجيم والقاف نحو المنجنيق .

السابع ان يكون خماسياً او رباعياً عارياً من حروف الذلاقة وهي الباء والراء والفاء واللام والميم والنون . انتهى باختصار وفي بعض ما ذكر خلاف .
وزاد صاحب شفاء الغليل بعد الرابع ان تجتمع فيه السين والذال نحو ساذَج معرَّب ساده بالمهملة وسذاب معرَّب سداب

وفي المزهر ايضاً وقال بعضهم الحروف التي يكون فيها البدل في المعرَّب عشرة خمسة يطَّرد ابدالها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء وخمسة لا يطَّرد ابدالها وهي السين والشين والعين واللام والزاي (كذا وفي شفاء الغليل والراء ولعل الصواب والذال) . فالبدل المطَّرد هو في كل حرفٍ ليس من حروفهم كقولهم كُرْبَج الكاف فيهِ بدلٌ من حرف بين الكاف والجيم فابدلوا فيهِ الكاف او القاف نحو قُرْبَق او الجيم نحو جورب . وكذلك فِرِند هو بين الباء والفاء فمرَّةً تُبدَل منهُ الباء ومرَّةً تُبدَل منهُ الفاء . واما ما لا يطَّرد فيهِ الابدال فكل حرفٍ وافق الحروف العربية كقولهم اسماعيل ابدلوا السين من الشين والعين من الهمزة [1] ... وقال ابو عُبيد في الغريب المصنَّف العرب يعرّبون الشين سيناً يقولون نيسابور وهي

---

(١) من الغريب انهم اجمعوا على ان اسماعيل اصلهُ اشمائيل وانهم ابدلوا من الهمزة عيناً ذكرهُ سيبويه والجواليقي ونقلهُ السيوطي في المزهر وغيرهُ . وذكر صاحب القاموس ان معناهُ مطيع الله وزاد صاحب تاج العروس انهُ بالسريانية قال ولذا اي لكون معناهُ مطيع الله يكنى من كان اسمهُ اسماعيل بابي مطيع . وفي شفاء الغليل قال السبكي و يستحب لمن رُزق ولداً في الكبر ان يسميهُ اسماعيل اقتداء بالآية ولأن معناهُ عطية الله اه . والصواب ان الاسم عبريّ الاصل ولفظهُ يشماعيل وهو مركبٌ من كلمتين يشماع اي يسمع وايل (بالامالة) وهو اسم الله . وكم لهم من امثال هذه

نيشابور وكذلك الدشت يقولون دست فيبدلونها سيناً [1] . انتهى المقصود منهُ
وقال في شفاء الغليل اعلم انهم قد يغيرون الكلمة الاعجمية فيبدلون

التخرصات كقول السهيلي اسم جبريل عليه السلام سرياني ومعناهُ عبد الرحمن او عبد العزيز . قال في تاج العروس وذكر الجوهري والازهري وكثير من الائمة ان جبر وميك (اي من جبرائيل وميكائيل) بمعنى عبد وايل اسم الله وصرَّح به البخاري ايضاً قال وردَّهُ ابو عليّ الفارسي بان ايل لم يذكرهُ احدٌ في اسمائهِ تعالى . ثم قال قال شيخنا ونقل عن بعضهم ان ايل هو العبد وان ما عداهُ هو الاسم من اسماء الله كالرحمن والجلالة وايدهُ باختلافها دون ايل فانهُ لازم كما ان عبد دائماً يذكر وما عداهُ يختلف في العربية وزادهُ تأييداً بان ذلك هو المعروف في اضافة العجم وقد اشار لمثل هذا البحث عبد الحكيم في حاشية البيضاوي . اه وهو من غريب الجراءة في البحث . والصحيح ان ايل اسم الله بالعبرية كما تقدم قريباً وجبر بمعنى رجل فمعنى جبرائيل رجل الله وميكائيل او ميخائيل معناهُ من مثل الله لان مي بمعنى من الاستفهامية والكاف بعدها هي كاف التشبيه منهم من يلفظها كافاً ومنهم من يلفظها خاء . واما ما ذكرهُ عن الاضافة عند العجم فهو في غير العبرية وانما الاضافة فيها على حكمها في العربية

(١) وبقي هنا العكس وهو ابدال الشين من السين كما في قابش وبرشاوش وشيشرون وغيرها واصلها بالسين المهمله . وهذان الحرفان كثيراً ما يترادفان بين العربية وبين العبرية والسريانية كما في الشفة واشمال وشهدَ وشنيٌ وغير ذلك مما جاء في هاتين اللغتين بالسين المهملة وهو عندنا بالمعجمة . وقد تبدل الشين المعجمة فيهما ثاء عندنا كما في الثور والثكل وثمَّ بمعنى هناك واصلها في العبرية بالشين المعجمة ومن ذلك الشقلة التي توقف فيها صاحب الجمهرة قال قيل ليونس بمَ تعرف الشعر الجيد فقال بالشقلة قال الشقلة ان تزن الدينار بازاء الدينار لتنظر ايهما اثقل ولا احسبهُ عربياً محضاً . اه والصحيح انهُ عبري او سرياني نقلهُ العرب بلفظه واصلهُ بشين واحدة فزادوا في اوله شيناً اخرى . وعامة الشام يقولون شقشل الشيء فيوسطون القاف بين الشينين وهو عندهم بمعنى رازهُ ومن هنا أُخذ الشاقول وهو آلة للمهندسين يزنون بها السطوح

الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجاً وربما ابدلوا الابدال في مثل هذه الحروف وهو لازمٌ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منهُ فيبدلون حرفاً بآخر ويغيرون حركتهُ ويسكنونهُ ويحركونهُ وينقصون ويزيدون . . . ثم نقل عن سيبويه انهم يبدلون مكان آخر الحروف التي لا تثبت في كلامهم الجيم وذلك نحو كوسه وموزه وبنفشه اي يقولون فيها كوسج وموزج وبنفسج . وهنا كلامٌ مظلم يتخلص من جملتهِ انهم قد يبدلون من هذه الجيم قافاً فيقولون في كوسج كوسق وفي كُربَج كُربق وفي كيلجة كيلقة . قلنا وربما زادوا الفاً قبل القاف كما في رُستاق معرَّب رسته وهو نادر

وجاء في مقدّمة ابن خلدون ما نصهُ بعد كلام ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروفٌ ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم . ثم ان الكتّاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروفٍ مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وباء وجيم وراء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسمهُ بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يليهِ من لغتنا قبلهُ او بعدهُ وليس ذلك بكافٍ في الدلالة بل هو تغييرٌ للحرف من اصلهِ . ولما كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمآئهم او بعض كلماتهم حروفٌ ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانهِ ولم نكتفِ برسم الحرف الذي يليهِ فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدلّ على الحرفين

اللذين يكتنفانهِ ليتوسط القارئ بالنطق بهِ بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديتهُ . وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قرآءة خلف فان النطق بصادهِ متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودلّ ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافاً وانقطها بنقطة الجيم واحدةً من فوق او اثنتين فيدل ذلك على انهُ متوسط بين الكاف والجيم أو القاف . . ولو وضعناهُ برسم الحرف الواحد عن جانبيهِ لكنا قد صرفناهُ عن مخرجهِ الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيَّرنا لغة القوم . انتهى

هذه زبدة ما وقفنا عليهِ من كلامهم في هذا المعنى وسنردفها ان شآء الله بما يعنّ لنا من الايضاح والتفصيل مع ذكر سائر الاحكام التي يسوق اليها البحث للوصول الى تمام هذا المقصد والله الموفق الى السداد

السلّ الرئوي

لحضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب همام

(تابع لما قبل)

وغنيٌّ عن البيان ما لهذا الداء العيآء من الفتك الذريع في جميع اقسام المعمور حتى انهُ قد يربو معدَّل من يموتون بهِ عن سُبع العالم اجمع منهم شبان هذا العصر وشاباتهُ الذين وقفوا حياتهم في سبيل خدمة العلم وعليهم

يتوقف نجاح الامم وعندهم محط رحال الآمال فتذبل زهرة شبابهم وهم بين الاقلام والمحابر ويكبو جواد حياتهم وهم بين المحافل والمنابر . نعم ان بعض الامراض الوافدة كالطاعون والهوآء الاصفر والجُدَري واشباهها شديدة الوطأة كثيرة الفتك الا انها لا تعم العالم اجمع ولا تلبث طويلاً حتى تزول وبالعكس من ذلك هذا الداء فانهُ لا يعرف الملل ولا يسأم الاقامة بل كلما طال مكثهُ زاد عددهُ وكلما زاد عددهُ زاد فتكهُ . فهذه اوربا وهذه اميركا المدان زهر فيهما نبراس العلم واتسع فيهما نطاق الطب تئنان من ثقل وطأة هذا الداء وقد زاد انتشارهُ في اميركا الى حدٍ يفوق التصديق حتى عمَّ بعض اقسام البلاد واجتاح عدداً عديداً من العباد فاستطار خوفهُ في القلوب واستولت الاوهام على الخواطر حتى صار الانسان كلما تنفس الهوآء او عاد مصدوراً او زار مسلولاً يتبادر الى وهمهِ ان مكروب هذا الداء قد علق بهِ والتصق باهدابهِ واذا احسَّ بالمٍ حُداريّ في عضلات صدرهِ عدّهُ من اعراض الدآء وحسبهُ من المنذرات بهِ واذا اصابهُ بعض الزكامات البسيطة وتواتر عليهِ السعال ادخل نفسهُ في عداد المصدورين فهام في عالم الخيال خوفاً وتاه في بيدآء الوهم رعباً . ولا ينكر الخوف من مثل هذا الدآء الفتاك الذي يغتال الانسان من حيث لا يدري ويدبّ اليهِ من حيث لا يشعر ولكن الخوف منهُ كثيراً ما يكون في غير محلهِ لان مكروب هذا الدآء لا يصبر على حرارة الهوآء ولا يقوى على احتمال اشعة نور الشمس واذا دخل الرئتين خرج منهما او اهلكتهُ حويصلاتهما على نحو ما سلف بيانهُ ولا سيما اذا لم يكن في الجسم الاستعداد المذكور آنفاً والاَّ لكان كل

من تنفس الهوآء مصدوراً وكل من لازم المصدور مسلولاً . اما العدوى من اكل لحوم الحيوانات المصابة بهذه العلة فنادرة جدًّا لان المطبوخ منهُ معقَّم بحرارة النضج والنيء قلما يكون فيهِ هذا المكروب لانهُ يندر اصابة الجهاز العضلي بالتدرن . اما ألبان هذه الحيوانات فلا يكون المكروب فيها الا اذا كان ضرعها مصاباً بالتدرن وهب انهُ وجد في اللحوم والالبان فحرارة الطبخ تتكفل باهلاكه وعصارات المعدة تقضي باتلافهِ الاَّ فيما ندر

اما علاجهُ فالنافع فيهِ ما كان في بدآءتهِ فقد جآء في الامثال السيَّارة ان مداواة العلة قبل تمكنها وهو كلام لعمر الحق بلغ من الاصابة حدها واصاب من الحقيقة كبدها فانهُ مع شدة امتناع هذا الدآء الوبيل على العقاقير الطبية والمواد الكيمية والعلاجات المصليَّة ومع عجز جمهور الاطبآء عن مداواتهِ وتدارك عواقبهِ اذا ازمن فهو في بدآءتهِ سهل العلاج سليم العاقبة اذا تدُورك في حينهِ حتى لقد يذعن للوسائط البسيطة فقد جآء في المجلاَّت الطبية الحديثة ما محصلهُ ان هذا الدآء قابل الشفآء في كثيرٍ من حوادثهِ الابتدآئية خلافاً لما يزعمهُ البعض وذلك باتخاذ التدابير الصحيةِ من مثل السكنى في الاماكن الجافة الهوآء المكتنفة بالغابات والاشجار ذوات الاوراق الدقيقة كالصنوبر والسرو وغيرها والتجوُّل بين هذه الاشجار والرياضة اللطيفة المعتدلة على قدر ما يحتملهُ المقام وتسمح بهِ حالة المريض والاغتذآء بالمطاعم الكثيرة الغذآء ولبس الثياب الصوفية مباشرةً للجلد وتعوُّد النوم في المساكن المفتوحة النوافذ بحيث يتجدد فيها الهوآء ليلاً واحتمال البرد لانهُ يُعدّ من المنعشات المقوّيات الا انهُ ينبغي تجنُّب المجاري

الهوآئية التي من شأنها اثارة الزكامات الصدرية والالتهابات الحادّة . وعلى الجملة فان عيشة البداوة وتعوُّد الخشونة والسكنى في الهوآء المطلق والتعرُّض لنور الشمس وكبح جماح شهوات النفس كل ذلك من اشدّ المقوّيات للاعضآء التنفسية واعظم مقاومات هذا الدآء . وبعكس ذلك ترف العيش ونعومة الحياة والسكنى في الاماكن المحصورة الهوآء المحجوبة عن نور الشمس ومعاناة الدرس الطويل واحيآء الليالي واتّباع هوى النفس والتطوُّح في الموائد الذميمة فانها مضعفة للبنية مثيرة للدآء . ومن هذا القبيل ادمان المسكر والتدخين على انواعهِ فانهما يثيران الزكامات ويضعفان المعدة ويمدّان الجسم لقبول الدآء

فاذا ثبت ذلك كان من المهمّ جدًّا معرفة بدآءة هذا الدآء حتى يُتدارَك امرهُ قبل فوات الفرصة اذ يتعذر شفآؤهُ فيما بعد بيد ان معرفة هذه البدآءة ليست بالامر السهل فقد تفوت معرفتها جهابذة هذا الفنّ ويشتبه عليهم امرها مع ما هم عليهِ من كثرة العلم وتوفر ذرائع التشخيص فكيف بمن هم دون هذا القدر من العلم والوسائط فكثيراً ما يلتبس هذا الدآء بالامراض الصدرية البسيطة ويظلّ كذلك الى ان تظهر الاعراض الاخيرة من مثل الكهوف والهزال وحمّى الدِقّ والعرق الليلي وعندئذٍ يُحكم بان الدآء من نوع التدرُّن ويُسرَع في علاجهِ ولكن حين لا ينفع العلاج . غير ان ما استُحدث من الوسائط التشخيصية كالحقن بالتوبركولين وحقن الحيوانات القابلة هذا الدآء بنفث المصدورين قد فتح باباً لتشخيص هذه العلة في بدآءتها فرجآؤنا ان تحقق هذه الوسائط ويتمّ استعمالها اذ على معرفة بدآءة

هذه العلة يتوقف نجاح العلاج . وعندي ان من كان في ريبٍ من هذا الدآء او في خوفٍ منهُ فالاحرى ان يلجأ حالاً الى استعمال التوقيات الصحية التي مرّ بيانها دون ان ينتظر تحقيق العلة ولا سيما وهذه الوسائط ميسورة لكل من شآء ان يعمل بموجبها . اما التحفظ من العدوى والحذر من معاشرة المصدورين فغير كافٍ في الوقاية لامكان وجود المكروب في كثير من الاماكن المأهولة بالسكان التي لا مندوحة لهُ من استنشاق هوآئها وحينئذٍ فأفضل ما ينبغي اعتمادهُ التذرُّع بالوسائط المقوّية التي سبق بيانها واكساب الجسم المناعة ضدّ هذا الدآء

واما العلاج الدوآئي فهو من خصائص الطبيب ولذلك لا نتعرض للكلام فيهِ هنا اذ المقصود ان نتلو على القرآء ما يفيدهم بصيرةً في توقي هذه العلة مما لا يغمض فهمهُ عن احد ولا يحتاج الى درسٍ وعلمٍ والله الواقي

﴿ النسآء الرحالات ﴾

يعجب الشرقيّ اذا سمع ان النسآء الاوربيات يطلبنَ اللحاق بالرجال ومشاطرتهم الخُطَط السياسية والحربية والقضآئية وسائر الاعمال التي اختصّ الرجال بها انفسهم لزعمهِ انهنَّ لا يصلحنَ الا للمهمّات البيتية التي قُسمت لهنَّ بترتيب الطبيعة وكانت نصيبهنَّ من مطالب العمران . وهذا مع انهُ حقٌّ لا مرآء فيهِ فانهُ لا يمنع ان يكون عندهنَّ من القوى البدنية والعقلية ومن علو الهمم وكبر النفوس ما يضارعنَ بهِ الرجال ويقمنَ مقامهم في كثيرٍ من الاعمال . ومن علم ان في النسآء الاوربيات عالمات واديبات

وخطيبات وشاعرات ومؤلفات في كل فنّ وباحثات في كل علم وأن فيهنَّ ذوات اقدامٍ على ركوب اعظم الاهوال والاضطلاع بأشقّ الاعمال مما يبارين فيهِ اعاظم الرجال لم ينكر عليهنَّ التطالّ الى مساواة الرجل ومطالبتهِ بحقّ قد وهبهُ لهنَّ الخالق سبحانهُ وتعالى واصبح من خصائصهنَّ التي لا يُدفَعنَ عنها ولا عليهنَّ فيها امتنان . وليس غرضنا هنا البحث في هذا المعنى ولكن الذي ساقنا اليهِ ما قرأناهُ في احدى المجلات العلمية من الكلام على النسآء الرحالات ووصف ما اظهرنهُ من الاقدام على العظائم في فصلٍ مطوَّل ذكرت فيهِ عدةً كثيرة منهنَّ تجشمنَ مشاقّ الاسفار وتعرّضنَ لمكافحة الاخطار وفيهنَّ من كانت رحلتهنَّ في خدمة العلم والبحث عن اسرار الطبيعة مما افدنَ بهِ الفوائد الجليلة وسجّلنَ لانفسهنّ الذكر المجيد

فمن اولئك الرحالات امرأةٌ نمساوية يقال لها ايدا بفايفر سافرت في اواسط القرن الحالي وابتدأت رحلتها وهي في سن الخمسين فتوجهت اولاً الى البلاد العثمانية ثم الى مصر وايطاليا وانتقلت من هناك الى بلاد ازلندا وجابت الممالك الثلاث السكنديناوية ثم ركبت البحر الى ارض البرازيل ومن هناك انقلبت الى جزائر تايتي ثم الى ماكو من بلاد الصين ثم الى هنغ كنغ فسيلان ومدراس وكلكوتا وبمباي ثم وافت العراق العجمي عن طريق خليج فارس فانتهت الى البصرة وبعد ان تفقدت آثار نينوى جابت بلاد الاكراد وافضت منها الى روسيا . ثم لم تكد تستقرّ بعد هذه الرحلة الطويلة حتى باشرت سفرةً اخرى انتهت فيها الى جزيرة مدغسكر فاقامت

بها ثلاثة اشهر وكتبت في ذلك رحلةً مشهورة وكانت هذه السفرة آخر سياحاتها لانها عادت من مدغسكر بمرضٍ اقترفتهُ من وبالة هوآئها فماتت في ڤينا سنة ١٨٥٨

ومنهنَّ رحالةٌ اخرى تسمى مادام كرلو سيرينا يقال انها فرنسوية الاصل كانت مقيمة بلندرا ولم تكن رحلتها اقصر مسافةً ولا اخف مشقةً من التي سبق ذكرها. وكان السبب في سفرها انها كانت نحيفة الجسم ضعيفة البنية فوصف لها الاطبآء الخروج مدةً للسياحة وتبديل الهوآء فخرجت من لندرا في اول اوغسطس سنة ١٨٧٤ على ان تتنقل في البلاد مدة خمسة اشهر ثم تعود فتأوي الى منزلها فتوجهت اولاً الى بلاد اسوج وتجولت في نواحيها وفي اثنآء ذلك دعاها الملك الى زيارة نروج ففعلت وصعدت الى الجبل المسمى سوليزلما وهو اعلى جبال الشمال ثم انتقلت من نروج الى فِنلندا فروسيا وامعنت في مفاوز غاتيشاي حتى صدتها الثلوج عن التقدم فعادت وقصدت الديار المصرية لتفقد الآثار الموسوية وزارت داخل الاهرام ثم ارتحلت الى فلسطين والبلاد العربية وطافت في تلك الجهات حتى وصلت الى البحر الميت ثم قصدت سوريا وكاتبت المرحوم الامير عبد القادر الجزائري فدعاها الى دمشق غير انهُ في تلك الاثنآء انتشرت الكوليرة في الآفاق السورية فعدلت الى بلاد اليونان وبعد ان جالت فيها توجهت الى بلاد الترك والقوقاس فمرّت بالاناضول ومِنغراليا وكلوخيدا وانتهت الى تفليس وكانت تنوي السياحة في اراضي الفرس ولكن صادفت من سوء المعاملة لما عند اولئك القوم من الاستخفاف بالنسآء ما عدل بها

عن قصدها فسارت الى بلاد القلموق وهم اقوامٌ من المنول يقطنون ببعض اطراف البلاد الروسية ومن هنالك دخلت روسيا فانتهت الى بطرسبرج ومنها عادت الى لندرا

ومنهنَّ مادام ايزابلاّ ماسيو سافرت سفرةً طويلة في بلاد آسيا قضت اكثرها على ظهر الجواد فمرّت في مسيرها على ارض الجزيرة وهي ما بين النهرين ثم لبنان ثم تيبت وبلاد الكوشنشين وسيام وبرمانيا وارض التنكين ووادي ينغ تسي ثم اليابان والصين وصحرآء المغول وجنوبي سيبيريا وتركستان وتشكند وسمرقند وتفليس ومسكو وبعد ما قضت هذه السفرة الطويلة العجيبة رفعت فيما وقفت عليهِ تقريراً الى الجمعية الجغرافية بباريز يتضمن فوائد شتى مما يستنير بهِ الجغرافي والعالم والباحث في اخلاق الامم وطبائع الموجودات

ومنهنَّ مادام دتّانو سافرت في البلاد الافريقية بقصد الاكتشاف الجغرافي وكتبت في ذلك رحلةً نفيسة غزيرة الفوائد نالت عليها جائزة شرف من ندوة العلم في فرنسا

ومنهنَّ مادام ديولافوا ساحت في بلاد سوزيانا وطافت اكثر بلاد الفرس وجمعت شيئاً كثيراً من العاديّات الثمينة في تلك الديار هو اليوم من آثار اللوفر وتعلمت لغات الفرس على اختلاف لهجاتها وقد اجيزت على ذلك بالوسام المشهور المعروف باللجيون دونور

وهنالك رحالاتٌ أُخر من نسآء العصر الحالي والاعصر المتقدمة يقتضي استيفآء الكلام عليهنَّ عدة صفحات فاكتفينا بذكر اشهرهنَّ حسب

الاختصار . وقد المّت المجلة المذكورة بوصف ما عرض لبعضهنَّ من شدائد السفر في البرّ والبحر وما لاقينَ من المخاوف والاهوال وما قاسينَ من شدة الحرّ والبرد في مختلف الاقاليم فان منهنّ من وصلت من البرد الى ٤٤° من المئويّ (السنتغراد) تحت الصفر ومن اشتدّ عليها الحرّ الى ٤٩° في الظلّ ومنهنَّ من قاست الحالين جميعاً فان مادام پفايفر كانت تنتفض من شدةِ البرد على قمم شمبورازو وكوتوبكسي وكادت تختنق من الحرّ تحت شمس بُرنيو ومدَغسكر . ومما اتفق لها انها سافرت في اول الامر مع زوجها فلما كانا في بعض الطريق عرض لهما اسدٌ فنهش زوجها في كتفهِ نهشة اقتلع بها ما وقع بين انيابهِ فمات بعد ايامٍ قلائل في موضعٍ يقال لهُ مازانو بالقرب من مصبّ نهر زمباز . ولما دخلت جزيرة برنيو اعتقلها احد زعمآء الجزيرة فاقامت مدةً في محبسهِ وهو يبعث اليها المرّة بعد المرّة برؤوس مقطوعة وجماجم بشرية . ولما كانت في مدَغسكر اتهمتها راناڤالو ملكة الجزيرة بدسيسة سياسية فقضت عليها بالموت لكن لم تذكر كيف تخلصت . الا ان كل ذلك لم يمنعها ان تبحث بحثها وتجمع ما تركهُ زوجها من التعاليق العلمية والتاريخية وترسم بعض المناظر والاشباح او تصوّرها بالفوتغرافية وترتبها في برنامج مخصوص مما يدلّ على ان للمرأة من الجلَد على ملاقاة العظائم ومقاواة الشدائد ما لا يقلّ عن جلَد الرجل وان البنية فيها وفي الرجل واحدة وان اعفاها الرجل من الاعمال الجسيمة والتكاليف الشاقة رفقاً بها او استضعافاً لبنيتها فسبحان من افاض آلآءهُ على جميع مخلوقاتهِ وهو الوهاب الحكيم

جوائز علمية وطنية

تألفت لجنةٌ من سراة العاصمة تحت رئاسة حضرة صاحب السعادة اسمعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية للسعي في اكتتابٍ عمومي تُرصد قيمة المتحصل منهُ لتعيين جوائز سنوية توزَّع باسم فقيد العلم والوطن المرحوم علي باشا مبارك . وقد اجتمع عن هذا الاكتتاب مبلغ خمس مئة جناي مصري فقررت اللجنة المشار اليها ارسال هذا المبلغ الى الجمعية الخيرية الاسلامية لتشتري بهِ عقاراً تخصصهُ باسم المرحوم علي باشا مبارك ويُقسَم ريعهُ السنوي عشر جوائز توزَّع على النابغين من تلامذة مدارسها الخيرية في اللغة العربية وفي الفنون والصنائع اليدوية . واذا بطلت مدارس الجمعية المشار اليها لسببٍ من الاسباب يحال العقار المذكور الى عهدة نظارة المعارف فتخصصهُ للغرض نفسهِ وتوزع ريعهُ على عشرة من النابغين من تلامذتها في الفنون والصنائع اليدوية بلا تمييز في العقائد والاجناس

فنشكر للَّجنة المشار اليها جميل سعيها في مكافأة هذا الفاضل على ما سبق لهُ من الخدم الجليلة في رفع منار العلم ونتمنى ان يكون صنعها هذا قدوةً لافاضل البلاد ومثيرها في انشآء مثل هذه المأثرة المشكورة لما فيها من تعزيز جانب العلم وحث اهلهِ على العمل والمثابرة في سبيل منفعة الوطن

فوائد

تنظيف الادوات النحاسية — تُمزَج خلاصة التربنتينا بالمسحوق الطرابلسي (التريبولي) ويُفرَك بها النحاس فيعود كما كان في حال جدّتهِ

طلاء ذهبي — يُحلّ ١٥٠٠ غرام من ورق اللكّ في ٣ لترات من روح الخمر (السبيرتو) ويُترَك هذا المحلول في حالة السكون حتى يصفو . ثم يُحَلّ ٢٥٠ غراماً من السندروس و ٢٠٠ غرام من المصطكا و ٢٥٠ غراماً من الصمغ الراتنجي و ٥٨ غراماً من دم التنين ويضاف هذا المحلول الى المحلول الاول فيكون من ذلك طلاء بلون الذهب الصافي . فاذا اريد ان يكون بلون الذهب المحمرّ زيد عليهِ شيء من دم التنين

منع صدأ اللوالب — اذا كانت الآلات ذات اللوالب (البراغي) معرَّضة للحرارة والهواء الرطب فان لوالبها وان كانت مزيّتةً لا تلبث ان تصدأ فيصير حلها شاقاً حتى يُضطرّ الى اخراجها بالعنف وذلك قد يؤدي الى تلفها . وللتلافي ذلك تؤخذ اللوالب قبل الاستعمال وتُغمَس في مغلًى رقيق من الزيت والغرافيت (البلمباجين) فتبقى سهلة الاستعمال مدة عدة سنين

ولا يخفى ان ذلك فضلاً عما ذكر من السهولة فيهِ فائدة للآلة بجملتها لما يكون عنهُ من قلة الاحتكاك في حركة اللوالب فتنصرف القوة الى مجموع الآلة

اسئلة واجوبتها

بغداد — نرجو اجابتنا على هذين السؤالين

(١) كم فعلاً من الاجوف تصحّ عينهُ مثل عوِرَ واجتوَرَ وما السبب في ذلك

(٢) كم عندنا من الافعال التي يأتي امرها على حرفٍ واحد

احد المشتركين

الجواب — اما الافعال التي تصحّ عينها فهي من الثلاثيّ كل فعلٍ جآء الوصف منهُ على أفعَل كأحوَر وأهيَف وهذه الصيغة لا تُعلّ عينها محافظةً على وزنها فحملوا الفعل على الوصف ليجري كلاهما في طريقٍ واحد وقيل حملوا المجرَّد منهُ على صيغة افعلَّ نحو احورَّ وابيضَّ كما حملوا افتعل على تفاعل فيما سيجيء . والافعال التي جآءت كذلك بضعةٌ وثلاثون فعلاً منها عشرة من الاجوف اليآئيّ والبواقي من الواويّ

وجآء من غير هذا الباب قولهم عوِز الشيء اذا قلّ فلم يوجد فهو عوِزٌ بوزن كتِف وهو نادرٌ وأيِس الرجل بمعنى يئِس وهو مقلوبٌ منهُ . وربما جآءت الصفة على أفعَل ولم يُحكَ في فعلها وزن فعِل والمسموع من هذا رجلٌ أشيَم اذا كان بهِ شامةٌ ومكان أفيَح اي واسع فان الفعل من الاول شام يشيم مثل باع يبيع ومن الثاني فاح يفاح بالاعلال على حدّ هاب يهاب . وبقي لفظٌ ثالث وهو قولهم رجلٌ أخيل وهو ذو الخال فانهُ لم يُحكَ منهُ فعلٌ البتة

واما من غير الثلاثي فجآء ذلك في افعالٍ من صيغة افتعل الذي للمشاركة حملاً على تفاعَل بمعناهُ لان هذا لا يُعَلّ وهي ثلاثة افعال لا يحضرنا غيرها يقال اجتَوَر القوم بمعنى تجاوروا واعتَوَروا الشيء بمعنى تعاوروهُ واحتَوَشوا الصيد اذا حاشهُ كلٌّ منهم على الآخر . ويلحق بها قولهم احتَوَلوهُ اذا قاموا من حولهِ واقاموهُ في وسطهم وهو مشتقٌّ من لفظ حَوْل او حَوال فتركوهُ بلا اعلال تنبيهاً على اصلهِ . وسُمِع في افعالٍ من صيغتي أفعل واستفعل مثل أعوَز الشيء وأعوَل الباكي واستحوَذت عليهِ واستصوَبت رأيهُ وأطيَبتُ الشيء واستطيبتهُ وهي افعالٌ شذَّت عن القياس

واما الافعال التي يجيء الامر منها على حرفٍ واحد فهي كل فعلٍ من اللفيف المفروق واويّ الفآء مكسور العين في المضارع مثل وفى يفي ووَلي يلي وهي بضعة عشر فعلاً . وحكي مثل ذلك في الامر من أتى يقال تِ بحذف همزتهِ وهي لغةٌ لبعض العرب حكاها ابن جنّي والله اعلم

القاهرة — من اي شيء اشتُقَّت كلمة « النادي » وما توجيه اشتقاقها

نقولا ميخائيل

بمدرسة الآبآء اليسوعيين بالقاهرة

الجواب — في اشتقاق النادي وجهان احدهما ان يكون اسم فاعلٍ من قولهم ندا القوم بالمكان اذا اجتمعوا فيهِ فيكون النادي مفرداً بمعنى الجمع على حدّ الحاجّ بمعنى الحُجّاج والسامر بمعنى السُمّار ووُضع في الاصل للقوم المجتمعين ثم أُطلق على المجلس الذي يجتمعون فيهِ من باب تسمية المحلّ

باسم الحالّ فيهِ . والوجه الثاني ان يكون من قولهم هؤلآء قومٌ لا يندوهم النادي اي لا يسعهم فيكون على هذا اسم فاعل يراد بهِ المكان من طريق المجاز على حدّ اشتقاق الجامع والساقية وما جرى مجراها

القاهرة — نرى اعمار الحيوانات تختلف طولاً وقصراً فمنها ما يعيش مئة سنة او اكثر ومنها ما يعيش بضعة ايام فهل من قاعدةٍ تقدَّر بها المدة التي يمكن ان يعيشها كل نوعٍ من الحيوان　　　　يوسف صوايا

الجواب — هذه من المسائل التي طالما اشتغل علمآء الحيوان في الوصول الى حقيقتها وقد ظهر لبعض المتأخرين منهم وجود نسبة بين عمر الحيوان والمدة التي يبلغ فيها تمام نموّهِ فوجد انها تكون على نسبة ١ الى ٥ اي اذا تمّ نموّ البنية في ٢٠ سنة مثلاً كانت الحياة ١٠٠ سنة اوحواليها . اما علامة تمام النموّ فهي بلوغ قصب العظام نهاية تصلُّبهِ حتى تتماثل جميع اجزآئهِ وقد استقرى ذلك في عدة انواع من ذوات الثُديّ فوجد انهُ يكون في البعير لتمام ثماني سنين من حياتهِ وفي الفرس لتمام خمس سنين وفي الاسد والثور لتمام اربع وفي الكلب لتمام سنتين وفي الهرّ لتمام سنة ونصف الى غير ذلك . وبمقتضى القاعدة المذكورة فالبعير يعيش ٤٠ سنة والفرس يعيش ٢٥ والاسد والثور يعيشان ٢٠ وهلمّ جرًّا . وعليهِ فالانسان ينبغي ان يعيش نحو ١٢٠ سنة لانهُ يبلغ تمام نموّهِ في نحو الخامسة والعشرين من عمرهِ الا ان الذين يبلغون هذا المقدار من السن هم من اقلّ الناس عدداً لان الحياة لا تخلو من العوارض التي تخترم صاحبها قبل اوانهِ وهذا

هو الاكثر والاعمّ في الانسان وغيرهِ حتى يصح ان يقال ان اكثر حوادث الموت تُعدّ ضروباً من القتل

على ان من الناس من قد يتجاوز المدة المذكورة وقد ورد في التاريخ ذكر عدةٍ من هؤلاء منهم رجلٌ من الدنمرك يقال لهُ دراكنبرغ عاش ١٤٦ سنة ويقال انهُ تزوج في سن ١١١ وآخر يقال لهُ توماس بار توفي في سن ١٥٢ ومنهم رجلٌ من بولونيا بلغ ١٦٣ سنة وتزوج في سن ٩٣ ووُلد لهُ وذُكر عن رجلٍ نروجي يقال لهُ يوحنا سورنكتون انهُ توفي في سن ١٦٠ وكان لهُ ابنٌ عمرهُ ١٠٣ سنين وآخر عمرهُ ٩ سنوات . واكبر من يُذكَر من هذه الطبقة رجلان احدهما من اكوسيا يقال لهُ كِنتِنجِرْن والآخر من نواحي النمسا يقال لهُ اكزَرْتان قارب كلٌّ منهما ١٨٠ سنة على ان بعض هذه الروايات قد لا يخلو من مبالغة والله اعلم

طرابلس الشام — اطلعت في الجزء العاشر من السنة الثانية من مجلتكم الضياء على جواب التمييز بين مَن الشرطية ومَن الموصولة فرأيت فيهِ الحكم بان الاولى هي عين الثانية لكن الثانية تتضمن معنى الشرط فيُجزَم بها فهل هذا عن نصٍّ او اجتهاد ارجو الافادة ولكم الفضل

عبد الله تامر

الجواب — لم نجد من نص على هذه المسئلة نصاً صريحاً ولكنها من جزئيات المسائل التي تندرج تحت كلياتها فرددناها الى قاعدة بابها

آثار ادبيّة

العالَم الانكليزي — هو عنوان كتابٍ الفهُ حضرة الذكيّ المجتهد بشارة افندي كنعان ضمَّنهُ كل ما يهمّ الوقوف عليهِ من تاريخ الامة الانكليزية وجغرافية بلادها وما تقلبت فيهِ من الاطوار وتبدل عليها من الدول الى الزمن الحاضر وافرد فصلاً مطولاً في تاريخ الملكة فيكتوريا وما بلغتهُ انكلترا لعهدها من القوة والسطوة وامتداد الظل وما حدث في ايامها من الفتوح والاستعمار في كل قطرٍ من اقطار الارض ثم انتقل الى وصف اخلاق الانكليز وعاداتهم واطوارهم ونظام سياستهم وما يتصل بذلك من سائر احوالهم وختم الكتاب بفصلٍ ضمَّنهُ تراجم من اشتهر من عظمآئهم وعلمآئهم وشعرآئهم فجآء كتاباً وافياً كثير الفوائد يغني عن مطالعة كثير من المؤلفات

والكتاب حسن الطبع جيد الورق مزين بصور بعض الاعلام وهو مقسومٌ الى مجلدين يزيد مجموعهما على اربع مئة صفحة وقد طُبع بالتزام حضرة الاديب امين افندي هندية صاحب المكتبة والمطبعة المشهورتين بالقاهرة وهو يُطلَب من المكتبة المشار اليها ومن مؤلفهِ وثمن النسخة منهُ عشرون غرشاً مصرياً

فكاهات

رواية

حفظ العهود[1]

كان لاحد نبلاء الانكليز ولدٌ وحيد بين خمس اخوات فعني بتربيته على قواعد الفضيلة وتهذيبهِ باشرف الآداب والعلوم ولا سيما وان الاب كان قد طعن في السن وشعر بقرب الاجل فاحب ان يموت مطمئن القلب موطد الامل بوجود من يحيي اسمهُ من بعدهِ ويقوم بسياسة الاملاك الواسعة والثروة الطائلة ويكون عضداً للفتيات الخمس ووالدتهنَّ . وكان الولد واسمهُ هنري قد تلقى من والدتهِ منذ حداثتهِ الآداب الدينية والاخلاق الحسنة وادرك انهُ سيكون يوماً ما هو الخليفة الوحيد لوالدهِ فلم يكن يميل كباقي اولاد العظماء الى الترف واللهو والاسراف فشب فتًى حريصاً طائعاً لطيفاً مكمَّل الصفات الادبية ولما حان زمن ارسالهِ الى المدرسة الجامعة اخذهُ اليها والدهُ وسلمهُ الى حراسة الله وعناية الاساتذة . وبقي هنري في المدرسة بضع سنوات عاد في نهايتها على غاية ما كان والدهُ يتمنى فتلقاهُ بوجهٍ طلقٍ وضمهُ الى صدرهِ وقد ايقن منهُ بالخلف الصالح الذي يحيي اسمهُ ويكون عضداً لمن يليهِ . ثم خطر لهُ انهُ لا بد ان يكون في حاجةٍ الى ترويح النفس

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

من عنآء الدرس فنقده مبلغاً من المال وامره ان يذهب فيتجول مدة في عواصم اوربا او حيث شآء ثم يعود اليهِ بعد ان يكون قد اكتسب صحةً ونشاطاً فيسلم اليهِ مقاليد الاشغال . فجهز هنري لوازمهُ وودع آلهُ وسافر متنقلاً من مكان الى مكان ومن بلدةٍ الى اخرى . وفي اثنآء الطريق تعرَّف برفيقٍ يدعى برتران فسألهُ هنري عن وجهتهِ فقال اني قاصدٌ مونت كرلو. فقال هنري وما عسى ان يكون هذا المكان . قال هو فردوس الهوى فيهِ غياض وادواح واوجهٌ ملاح وما شئت من لهوٍ وافراح . قال هنري اظنني قد سمعت بهِ في انكلترا وهذا المحل تقصدهُ الاغنيآء للمقامرة وقتل الوقت بالخلاعة . قال برتران انهُ لكذلك وقد دعاني بعض اصدقآئي لموافاتهِ الى هناك فانا منطلقٌ اليهِ . قال هنري اما انا فلا ناقة لي في هذا المكان ولا جمل واني لآسف أني سأفارقك من الآن . فجعل برتران يزيّن لهنري المكان ويغريهِ بمرافقتهِ قائلاً ان لم يكن لك ميلٌ الى المقامرة فامامك الغادات الحسان وان كنت لا تميل الى هؤلآء ايضاً فهنالك من المناظر الطبيعية وجودة الهوآء وحسن الموقع ما لا بد انك تستحسنهُ . وما زال عليهِ حتى وعدهُ بالذهاب معهُ

ولما بلغا مونت كرلو انغمس برتران في اللعب واللهو واما هنري فأوى الى نزلٍ كان يقيم بهِ معظم اوقاتهِ ويتجول احياناً في ضواحي المدينة للانتعاش بهوآئها الرطب ونسيمها العليل . وكان في النزل المقيم فيهِ هنري فتاةٌ تتعاطى الخدمة فلما وقع نظر هنري عليها اخذت بمجامع فؤادهِ وتأمل في هيئتها فرأى ملَكاً في صورة بشر فجعل يترقب الفرص لمحادثتها ثم اخذ

يفحص معارفها فوجدها اديبة مهذبة قد تجسد فيها طيب الخُلق ورقيق الاحساس وكان كلما كلمها وسبر طباعها يزيد هيامهُ فيها . وسألها يوماً عما الجأها الى تعاطي تلك المهنة وقد كان في امكانها ان تكون على حالٍ افضل مما هي فيهِ . فتنهدت بتأوهٍ وقالت قد القاني حظي الى هذا المكان بارادةٍ قادرة لم يمكني مقاومتها واني لصابرة على حكم القضآء الى ان تنشلني من هنا يد العناية . وادرك هنري ان للفتاة سرًّا لا تحب ان تبوح بهِ فلم يزد في البحث عما هنالك غير انهُ ما زال يظهر توددهُ للفتاة الى ان كاشفها اخيراً بمحبتهِ وتبادلا العهود الوثيقة على الامانة والوفآء وتواعدا على الاقتران بعد ان تكون هي قد تممت زمن خدمتها ويكون هو قد رجع الى بلادهِ وحصل على رضى والديهِ . وبعد ان مكث هنري هنالك شهراً ودّع الفتاة وكان اسمها متيلدا وسافر راجعاً الى وطنهِ

وبعد ان رجع هنري الى والدهِ اخذ يترقب الفرص لمفاتحتهِ بالامر وكان والدهُ يودّ ان يزوّجهُ قبل وفاتهِ فلما اخذ هنري يسرد لهُ اوصاف الفتاة وآدابها ومعارفها برقت اسرّتهُ واظهر سرورهُ العظيم ولكنهُ لما علم ان الفتاة خادمة نزل في مونت كرلو انقلبت سحنتهُ فجحظت عيناهُ وتطاير الشرر من مقلتيهِ وصاح بولدهِ ماذا تقول ايها الغبيّ اتريد ان تتخذ لك امرأة تشاركك في حمل اسم هذه الأُسرة الشريفة وهي غانيةٌ من فنادق مونت كارلو . لقد سآء فألي ايها الولد العقوق وكنت فيما مضى اظنك مثال ابيك ولكنك لم تلبث ان كذّبت ظني وأريتني منك اخلاق السفَلة اللئام فيا لضياع الامل ويا لخيبة المسعى . آه يا ليتني متُّ حين خروجك

من المدرسة لانني في ذلك الحين كنت اظنك تعزية شيخوختي وخاتمة سروري اما الآن فسأنزل الى قبري وفي قلبي حسرات بل حسرةٌ واحدة تميتني غمّاً وقهراً وهي ان ارى أسرتي التي شرّفها آبائي وجدودي بيمينها ولدٌ ضالٌ نظيرك . اعلم يا هنري انني افضل ان ينقطع اسم هذه الأسرة بوفاتي وتُدرَس جميع مآثرها من ان ارى فيك وارثاً يجلب على اسم آبائهِ الدناءة والعار فان بنات مونت كرلو لم يُخلَقنَ ليمتزج دمهنَّ بدم اسرتي . واعلم يا هذا انك مخيَّرٌ بين امرين اما ان تقطع من هذه الدقيقة كل علاقةٍ مع هذه الفاجرة او ان تقطع من هذه الدقيقة نسبك بي

وكان هنري قد الجمتهُ مفاجأة والدهِ لهُ بهذه اللغة القاسية فوقف حيران كمن تتكسر النصال على اوصالهِ وهو لا يدري ماذا يفعل . وبعد ان صمت حيناً قال مهلاً يا ابتِ انك انت تقرُّ بحسن سيرة ولدك وتشهد لهُ بالعفة والادب فهل تعتقد انني لم افحص الفتاة فحصاً مدققاً وهل كنت آتيك بهذا الخبر لو لم اتحقق انها مثال العفة والطهر . فقال الوالد ولو كانت من ملائكة السمآء فكفاها انها في مونت كرلو . قال هنري عجباً يا والدي وهل تقلّ قيمة الذهب اذا وجد مطموراً في الاوحال والاقذار . قال قد كبرت عن ان اتعلم فلسفتك ولا احب الجدال فأجبني على سؤالي الاول في الحال . قال هنري ولكنك تحبّ مني ان اكون شريفاً والشرف يقوم بمحافظة الانسان على كلامهِ ومواعيدهِ فانا قد وعدت الفتاة ان لا اتزوج سواها ولا يمكنني ان احنث بيميني . فقال الوالد وقد ارغى وازبد كالجمل الهائج اذاً نترك اسرتك من اجل هذه الفاجرة فاذهب من بيتي ايها الدنيء واعلم انني

من الآن ليس لي ولدٌ يرث اسمي فاختر لنفسك ما يحلو لك واياك ان تؤمل الغفران فاني قد نبذتك وجحدتك وطردتك واني لاسكب عليك لعنات والدٍ شيخ في دقائقهِ الاخيرة فلتصبّ عليك السمآء غضبها ولتُخرِج لك الارض مصائبها وليكسر الدهر قلبك كما كسرت قلب والدٍ ترجى فيك الخير فسآء فألهُ . أُغرب من وجهي ايها الممقوت وانسَ ان لك والدَين واخوات . ولم يسمع هنري بقية كلام والدهِ ولعناتهِ لانهُ شعر بان الارض تهتزّ تحت قدميهِ وتخيل ان حجارة البنآء تتساقط على رأسهِ فخرج من البيت وهو لا يدري اين يذهب . وفيما هو منطلق رآهُ احد اصدقآء والدهِ الاخصآء يسير على غير هدًى فتبعهُ ولم يتركهُ حتى قص عليهِ هنري الخبر كما وقع فأشار عليهِ الصديق ان يبتعد عن انكلترا وانهُ هو يسعى في استمالة والدهِ في غيابهِ ثم اسلفهُ مقداراً من المال وسافر هنري مرةً ثانية من بلادهِ وهو يردد في ذهنهِ كلمات والدهِ الاخيرة فيرى الارض امامهُ جحيماً متقدًا بالنار وهو قد دُفع اليهِ فلا يرجو الخلاص

ووصل في مسيرهِ الى بلاد الهند فعزم على اتخاذها وطناً لهُ وتعاطى فن التجارة فيها وكان لا يفتر عن مكاتبة حبيبتهِ فكانت اجوبتها تزيدهُ ولعاً بها وشوقاً اليها وثباتاً على عهد ودادها واسفاً على ممانعة ابيهِ في الاقتران بها . ودام الحال كذلك مدة سنتين الى ان جآء البريد مرةً ولم يكن معهُ رسالة من حبيبتهِ فاظلمت الدنيا في عينيهِ وزادت شجونهُ وهمومهُ ومرّ شهران ولم يردهُ خبر من جهتها ولم يعلم ما حلّ بها ولا سبب انقطاعها عن مكاتبتهِ فكاد يفقد رشادهُ

وفي ذات يوم ورد عليهِ كتابٌ من صديقهِ في انكلترا ينعى اليهِ وفاة والدهِ و يبشرهُ بان الوالد لما شعر بحلول الاجل ندم على ما فعل بابنهِ فرجع عن قسمهِ وغفر لهُ وعيّنهُ الوارث الوحيد لاملاكهِ واسمهِ وشرفهِ والحّ عليهِ صديقهُ بالحضور سريعاً الى وطنهِ ليستولي على ميراثهِ . فحزن هنري حزناً عظيماً على وفاة والدهِ وتمنى لو قدر ان يراهُ قبل مفارقة الحياة لكي يتزوّد منهُ البركة الاخيرة . اما رجوع الميراث اليهِ فلم يسرّهُ كثيراً لانهُ كان قد سئم الحياة بعد انقطاع اخبار حبيبتهِ ولم يعد لهُ مطمع في العيش الهنيء ولكنهُ علم ان عليهِ واجباً طبيعياً لا سبيل الى التفادي منهُ وهو الاعتناء باخواتهِ بعد وفاة والدهِ فاسرع في قطع علائقهِ في الهند وركب سفينة مسافرة توّاً الى انكلترا فوصل اليها واستولى على ميراثهِ وشرع يهتم بامر املاكهِ ولكن اهتمام من يسعى لمنفعة غيرهِ ولا يهمهُ امر نفسهِ

وكان ساكناً في جوار منزلهِ رجلٌ من اعيان الانكليز طاعن في السنّ قد قضى معظم حياتهِ في الاسفار والتنقل من بلاد الى اخرى مراعاةً لصحتهِ ومسرّتهِ . فاتفق ان هذا النبيل كان غائباً كعادتهِ يوم وصول هنري الى وطنهِ ثم انهُ بعد مدة عاد من سفرهِ وكان قد لقي في ايطاليا فتاةً من اسرةٍ انكليزية قديمة فمال قلبهُ اليها واقترن بها وجاء بها الى قصرهِ . ولما استراح النبيل من وعكة السفر ذهبت اخوات هنري للسلام على زوجتهِ قياماً بحقوق الجوار ولم يذهب هنري معهنّ لشغلٍ منعهُ اذ ذاك . فلما انقضت الزيارة عادت اخواتهُ الى البيت وهنّ يثنينَ على العروس ويذكرنَ جمالها ورقتها ودعتها وحسن آدابها وشرعنَ في وصف ملامح وجهها وقوامها

ولباسها وحركاتها وحديثها كما هي عادة النسآء في مثل هذه الحال فكان هنري يسمع لهنَّ في اول الامر غير مبالٍ بما كنَّ يقلنهُ ولكنهُ لم يلبث ان تنبَّه لحديثهنَّ ثم صار يضطرب وينتفض كالعصفور لانهُ وجد ان الوصف الذي كنَّ يصفنَ بهِ العروس كان منطبقاً تمام الانطباق على حبيبتهِ التي لم يعرف اين موضعها ولا اين كانت

وبعد ايام صنع النبيل مأدبةً حافلة دعا اليها كثيرين من اصحابهِ ومن جملتهم هنري واخواتهُ فلما وقعت عين هنري على العروس اضطرب اضطراباً شديداً وخفق قلبهُ وتلعثم لسانهُ لانهُ رأى بها حبيبتهُ المفقودة فجآء وسلَّم عليها وهو لا يدرك معنى كلامهِ فاستقبلتهُ بوجهٍ باشّ وسلّمت عليهِ سلاماً عاديًّا بمنتهى اللطف والرقة ولم تبدُ على محياها علامات الحبّ التي كان هنري يتوقع ظهورها . فتعجب وزاد قلقهُ ولكنهُ لم يقدر ان يطيل الحديث لان عدد المدعوين كان كبيراً وكان على ربة القصر ملاطفة الجميع والترحب بهم

وبعد الفراغ من الطعام صدحت الموسيقى وابتدأ الرقص فاغتنم هنري تلك الفرصة وسأل العروس ان ترقص معهُ فاجابتهُ ولما شرع في الرقص قال لها همساً ما اسرع ما نسيتِني فالآن علمتُ سبب انقطاع كتبكِ عني . فنظرت اليهِ متعجبة وقالت لم افهم مرادك فاني لم اكتب اليك بتةً . قال ارجو ان تنزلي معي الى الحديقة فان الجميع مشتغلون الآن بالرقص ولي كلامٌ اقولهُ لكِ على انفراد . ثم قادها بيدها وسار بها نحو الحديقة فأجلسها تحت ظل شجرة ملتفة وجلس بجانبها وقال ماذا فعلتُ حتى احرقتِ قلبي بصدودكِ . ألم تعاهديني على الحب الصادق فلماذا نقضتِ عهودكِ . قالت

اني لا اعرفك يا هذا ولا اذكر اني رأيتك في حياتي فكيف تقول اني احببتك وعاهدتك وكتبت اليك. فما كان منهُ الا ان جثا على ركبتيهِ امامها والدموع تتساقط من عينيهِ وقال اذا شئتِ نسيان ما مضى فانا لكِ لاني احبكِ حباً لا استطيع لهُ وصفاً فانكري عهودكِ اذا شئتِ ولكنكِ لا تقدرين ان تنزعي حبكِ من قلبي فاهنئي مع زوجكِ واذا كان دعآء مثلي يستجاب فاني ادعو الله ان يجعل حياتكِ بركةً لكِ ولزوجكِ ولكل من ينتسب اليكِ . واني كنت قد وعدت نفسي بان اجعلكِ شريكة حياتي فسآء فألي ولكني لا اطلب لكِ الا الهنآء والسعادة ...

وفي تلك الدقيقة كان النبيل قد استبطأ زوجتهُ فجآء يطلبها فوجدها في الحديقة ووجد هنري جاثياً امامها فاستشاط من الغيظ وقال لهُ والغضب يقطع كلامهُ اخرج من منزلي حالاً فقد دنّست حرمة الجوار والمودة . ثم طرد هنري من باب الحديقة واقفل ورآءهُ ودخل بزوجتهِ الى الدار

اما هنري فاظلمت الدنيا في عينيهِ ولم يعلم ماذا يفعل لان انكار حبيبتهِ اياهُ وظن جارهِ بهِ سوءا زادا بلبالهُ وغمومهُ فخرج هائماً على وجههِ وبعد ايامٍ سافر الى فرنسا راجياً ان يلهو عن اضطراب قلبهِ بكثرة الاسفار . وفي ذات يوم بينا كان جالساً في نزلٍ بباريز اذ وردت اليهِ رسالةٌ برقية من النبيل جارهِ يقول فيها «اسرع وتعالَ الينا فقد اتضح الامر وتحققت برآءتك فعجّل مجيئك للاستيلآء على السعادة التي تنتظرك» فتعجب من مضمون هذه الرسالة وسافر للحال راجعاً الى وطنهِ ولما دخل قصرهُ وجد النبيل في انتظارهِ فنهض مرحباً بهِ وقال لهُ هلمّ معي في الحال فاني لا استطيع الصبر الى ان تبدّل اثوابك

ثم جرّهُ بيدهِ الى قصرهِ وادخلهُ البهو فتركهُ فيهِ هنيهةً وخرج ثم عاد اليهِ وقال قم فادخل هذه الغرفة فان زوجتي تنتظرك فيها لتكالمك على انفراد . فدهش هنري من هذه المعاملة ودخل الغرفة وهو حائرٌ لا يفهم المراد من كل ذلك فابصر سيدتين كانت احداهما ربة المنزل واما الثانية فلم يقع نظرهُ عليها جلياً حتى كانت بين ذراعيهِ واذا بها حبيبتهُ متيلدا

وكان سبب اجتماعهما انهُ لما اخذ اللرد زوجتهُ بعد ان طرد هنري شرعت تقصّ عليهِ حديث هنري وسبب جثوّهِ امامها الى ان قالت والذي يتبادر الى ذهني ان هنري هذا يحب اختي ونحن توأمان لا تكاد الواحدة منا تُفرَق عن الاخرى وقد توفي ابوانا ونحن طفلتان فتربينا في مدارس اليتامى ولما بلغنا سنّ الصبوة عزمت رئيسة المدرسة ان تدخلنا في سلك الراهبات ولما ضايقتنا هربنا من المدرسة ثم تشتت شملنا فلم اعلم اين ذهبت اختي ولا علمت هي بمقرّي . فتعجب زوجها من هذه القصة واستفهم من اخوات هنري عن المكان الذي رأى فيهِ حبيبتهُ متيلدا ثم انفذ رسلاً يبحثون عنها فعلموا ان رئيسة المدرسة عرفت بمقرّ متيلدا في مونت كرلو فاحتالت في القبض عليها وادخلتها الدير كرهاً . فارسل اللرد للحال واخرجها من الدير واتى بها الى قصرهِ فاجتمعت بشقيقتها وقصت عليهم حكاية حبها لهنري ولما علم اللرد ذلك ارسل يستدعي هنري حتى اذا اجتمع الحبيبان وعلم كلٌّ منهما ان صاحبهُ لا يزال محافظاً على عهدهِ ولم يكن مانعٌ من اقترانهما انتهت قصتهما كما تنتهي قصة كل عاشقين خدمهما السعد فعاشا اهنأ عيشةٍ انستهما ما مرّ بهما من كوارث الايام وما زالا كذلك الى ان فرّق بينهما الحِمام

العلوم عند العرب

(تابع لما في الجزء الثاني عشر)

واما الطبّ فقدكان عند العرب قديماً على ما سبق الايمآء اليهِ الا انهُ كان مقصوراً على المجرَّبات كما هو شأن كل امةٍ في حال بداوتها . واول من ذُكر من العرب انهُ تناولهُ عن درس الحرث بن كلدة المشهور من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جُنْدَيسابور وغيرها . ثم انهُ لعموم الحاجة الى هذا الفن تنبه لهُ الخلفآء قبل غيرهِ من العلوم وكان اول من اهتمّ بهِ منهم مروان بن الحَكَم رابع خلفآء بني أمية وكان طبيبهُ ماسرجويه البصري وهو سريانيّ اللغة يهوديّ المذهب فعرَّب لهُ كتاب أهرُون الاسكندري المعروف بالكُنّاش[1] وهو اول كتابٍ في الطب نُقل الى العربية . وجآء بعدهُ الوليد بن عبد الملك فزاد هذه الصناعة تعزيزاً وبنى دوراً للمرضى وجعل فيها الاطبآء والممرِّضين وأجرى عليهم الارزاق . وذكر ابو الفَرَج ان الحجاج اختصّ

---

(١) قال في القاموس الكُنّاشات بالضم والشد الاصول التي تتشعب منها الفروع قال صاحب تاج العروس ومنهُ الكُنّاشة لاوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعملهُ المغاربة واستعملهُ شيخنا في حاشيتهِ على هذا الكتاب كثيراً . اه . واللفظة سريانية الاصل وهي كناش بدون هآء ومعناها جملة الشيء . واصل الفعل بمعنى الجمع والضمّ ومنهُ اشتقاق الكنيسة وهي عندهم بالشين المعجمة و بالواو مكان اليآء واصل معناها الجماعة

والكناش للكتاب المذكور موضوع في الاصل باليونانية وواضعهُ اهرون المشار اليهِ ثم نقلهُ سرجيس الراس عيني الى السريانية وعنها نقلهُ ماسرجويه الى العربية

بخدمته اثنين من الاطباء وهما تياذوق وثاودون قال وكان لتياذوق تلاميذ اجلاء تقدموا بعدهُ ومنهم من ادرك الدولة العباسية كفرات بن شحناثا في زمن المنصور . الا ان الطب لم ينل عندهم من العناية ما نالهُ بعد ذلك في عهد العباسيين بل منهم من كان يأبى التطبب تورعاً حتى روى ابو الفرج عن عمر بن عبد العزيز انهُ لما مرض قيل لهُ لو تداويت فقال لو كان دوائي في مسح أُذُني ما مسحتها نِعم المذهوب اليهِ ربّي . فلما افضت الخلافة الى بني العبّاس تقدم المنصور ثاني خلفائهم الى عامله بجُنديسابور ان يُنفِذ اليهِ جرجيس بن بختيشوع النسطوري وكان اشهر اطباء وقتهِ فحظي عندهُ وعرّب لهُ كتباً في الطب عن الفارسية كما سبق لنا ايرادهُ . وتلاهُ ابنهُ بختيشوع وكان طبيب الرشيد وبقي بعدهُ الى ايام المتوكل ومما يُروَى عنهُ انهُ في بعض الايام تمطّت حظيّةٌ للرشيد ورفعت يدها فبقيت مرفوعةً لايمكنها ردُّها والاطباء يعالجونها بالتمريخ والادهان فلا ينفع ذلك شيئاً فاشار جعفر على الرشيد باحضار بختيشوع فاحضرهُ وشرح لهُ حال الصبيّة فقال جبريل ان لم يسخط امير المؤمنين عليَّ فلها عندي حيلة فقال الرشيد ما هي قال تخرج الجارية الى ههنا بحضرة الجمع حتى اعمل ما اريد وتمهل عليَّ ولا تسخط عاجلاً. فامر الرشيد فخرجت وحين رآها جبريل اسرع اليها ونكس رأسها وامسك ذيلها وهمّ ان يرفعهُ فانزعجت الجارية ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت اعضاؤها وبسطت يدها الى اسفل وامسكت ذيلها . فقال بختيشوع لقد برئت يا امير المؤمنين فقال الرشيد للجارية ابسطي يدكِ يمنةً ويسرةً ففعلت فعجب الرشيد وكل من حضر

وامر لهُ في الوقت بخمس مئة الف درهم

وممن نبغ في وقتهِ يوحنا بن ماسويه صاحب التصانيف المشهورة وكان من بطانة الرشيد وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيهِ من كل نوعٍ من العلوم القديمة . وخلف بختيشوع ابنهُ جبرائيل ثم جرجيس اخوهُ ثم بختيشوع ابن يحيي وكان طبيب المقتدر واستمرّت اعقابهم في بني العباس الى سنة ٤٥٠ للهجرة وكانوا على التدريس والترجمة في مدرسة بغداد والتطبيب في دار الشفآء بها ولهم تصانيف كثيرة . وذكر بعضهم ان عدد علمآء الطب ومدرّسيهِ وطلبتهِ في مدرسة بغداد ورجال ندوتها العلمية بلغ ستة آلاف نفس . واشتهر في هذه المدة عدة اطبآء غير هؤلآء منهم حُنَين بن اسحق العباديّ تلميذ يوحنا بن ماسويه وكان طبيب المأمون وعرّب كتب ابقراط وجالينوس وافلاطون وغيرها وبقي الى ايام المتوكل . ومنهم قسطا بن لوقا وثابت بن قرّة وهما ممن عرّب كتب جالينوس وابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وهو احد الفلاسفة الذين اتصلوا بالمأمون والمعتصم وسنان ابن ثابت بن قرّة وكان من اطبآء المقتدر وابنهُ ثابت بن سنان وكان في ايام المطيع لله وكان يتولى تدبير البيمارستان[1] ببغداد . ومنهم عليّ بن عباس المجوسي الاهوازي صاحب كتاب الكامل صنّفهُ لعضد الدولة بن بويه وابو

---

(١) قال في شفآء الغليل البيمارستان لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لان بيمار معناهُ المريض وستان هو الموضع . اهـ . ويقال فيهِ ايضاً المارستان ذكرهُ في شفآء الغليل ايضاً وهو الذي اثبتهُ الجواليقي والمرتضى في تاج العروس وفسراهُ بما ذُكر لكن المتعارف اليوم انهُ موضع المجانين بالخصوص وبهذا المعنى استعملهُ بديع الزمان في المقامة المارستانية وابن الجوزي في كتاب الاذكيآء وكانهُ من باب الغلبة

الحسن هبة الله بن صاعد ويُعرَف بابن التلميذ كان قسيساً ببغداد وكان في ايام المقتفي لامر الله قالوا ولم يكن مثلهُ بعد ابقراط وجالينوس ومنهم ابو البركات هبة الله بن عليّ بن ملكا صاحب كتاب المعتبر في العلوم الحكمية وهبة الله بن الحسين الاصفهاني وغيرهم

وكان طب هؤلآء كلهم مأخوذاً عن كتب ابقراط وجالينوس قلما عدَوها ولم يكن لهم من الاستنباط او الاكتشاف في هذه الصناعة ما يُذكَر سوى ما يقال من انهم اوضحوا تشخيص بعض الحميات النفاطية كالجدَريّ والحصبة والحمّى القرمزية لكن ربما زادوا في الصيدلة على ما تلقوهُ عن كتب اليونان فانهم على ما قيل اول من استقطر المياه والزيوت واول من استخدم مركبات الزئبق في الامراض الجلدية ولا سيما البرص واول من اشار باستعمال المنّ والسنا والتمر الهندي والرِوَند والكافور وغير ذلك . واشهر من اشتغل من اطبآئهم ابو بكر محمد بن زكريآء الرازي مؤلف كتاب الاقطاب في ثلاثين مجلداً وكتاب الحاوي في خمسة عشر مجلداً وغيرهما ولهُ رسالةٌ في الجدري والحصبة يقال انها اقدم كتابٍ ورد فيهِ ذكر هذين المرضين ويُنسَب اليهِ اختراع الخلال المعروف عند الاطبآء وهو القائل اذا كان الطبيب حاذقاً والعليل موافقاً والصيدلانيّ صادقاً فما اقلّ لبث العلة . وكان الرازي من المتقدمين في الطب والهندسة والمنطق والموسيق وهو اول من صنّف في الطبّ اخذاً عن جالينوس وعن كتب الهند والفرس وجآء بعدهُ ابن سينآء فبسط ما ذكرهُ الرازي في كتاب الحاوي وتمم ما فاتهُ ولذلك يقال كان الطبّ معدوماً فاوجدهُ ابقراط وميتاً

فاحياهُ جالينوس ومتفرقاً فجمعهُ الرازي وناقصاً فكملهُ ابن سينآء . وكان ابن سينآء العَلَم المشار اليهِ في جميع علوم وقتهِ لم يأتِ قبلهُ ولا بعدهُ من ادرك منزلتهُ او اشتهر شهرتهُ وكانت مؤلفاتهُ في الطبّ والفلسفة تُعَدّ خلاصة ما كُتِب قبلهُ حتى استغنى الناس بما كتبهُ وانقطعوا الى مصنفاتهِ ولا سيما في الطب فان كتابهُ القانون كان هو الكتاب المعوَّل عليهِ في آفاق الشرق عامةً ثم انتشر في اوربا فطُبِع في رومية مع كتاب النجاة سنة ١٥٩٣ وبقي متداوَلاً في جميع مدارس اوربا نحواً من خمس مئة سنة وتُرجم الى اكثر لغاتها فكانت منزلتهُ في الطب منزلة المجسطي في الهيئة

هذا في بلاد المشرق واما في المغرب فكان في الاندلس اربع مدارس للطب احداها في قُرطبة والثانية في اشبيلية والثالثة في طُليطلة والرابعة في مرسية . وممن نبغ من الاندلسيين ابو القاسم خلَف بن عباس الزهراوي من اهل القرن الخامس كان طبيباً جرّاحاً لهُ عدة تصانيف منها كتابٌ في امراض النسآء وآخر في الجراحة وكتابٌ في تركيب الادوية وغير ذلك وهو اول من طُبعت مصنفاتهُ في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ . ومنهم بنو زُهر وهم اشبه ببني بختيشوع واشهرهم ابو العلآء بن زُهر بن ابي مروان ثم ابنهُ ابو مروان عبد الملك بن ابي العلآء ثم ابنهُ ابو بكر محمد بن ابي مروان . وعبد الملك هذا هو احد الذين اخذ عنهم ابن رشد الفيلسوف الطبيب المشهور وهو صاحب كتاب التيسير وكتاب الاغذية وكان لهذين الكتابين شهرةٌ عظيمة في المغرب والمشرق قيل وفي ايامهِ وصل القانون الى بلاد الاندلس فلم يعجبهُ وصار يقطّعهُ ويصرّ فيهِ الادوية . ومنهم ابو الوليد

محمد بن رشد القرطبيّ وقد تقدم ذكرهُ والوزير ابو المطرّف عبد الرحمن ابن شهيد مصنف الادوية المفردة وابو عبد الله محمد بن معمر المالقيّ وهو صاحب عدة تآليف منها شرح كتاب النبات لابي حنيفة الدِينَوَري في ستين مجلداً . ومنهم ابن البيطار ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن احمد المالقيّ من اهل القرن السابع وهو صاحب كتاب المفردات المشهور قال في نفح الطيب انهُ حشر فيهِ ما قدر عليهِ من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصِقلّي وغيرها . قال وكان ابن البيطار اوحد اهل زمانهِ في معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعةٍ كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابتهُ وتحققها ولهُ عدة تصانيف تدل على غزارة فضلهِ . اه . ومن معاصريهِ ابن نفيس عليّ بن ابي الحزم القُرَشي صاحب كتاب الشامل في مئة مجلد ولهُ كتاب المهذب في الكحالة وابو العباس ابن الرومية الاشبيلي ولهُ كتابٌ في الادوية المفردة ومنهم غير اولئك ممن يطول استقرآؤهم (ستأتي البقية)

الورق

لا حاجة الى الاطناب في مكان الورق من المجتمع المدَنيّ وموضعهِ من العلم والسياسة والتأريخ وسائر مقوّمات العمران اذ هو خزانة الافكار والاقوال ومستودَع العلوم والصنائع وترجمان الانباء والحوادث وامين العهود والحقوق وعلى الجملة فهو معرض عقل الانسان وسجلّ اعمالهِ ورسول

السلف الى الخلف . وقد كان الناس قديماً يتلون اقوالهم في الحجر والصلصال ثم صاروا يودعونهـا الواح العظام واوراق النبات ثم صاروا يكتبونها في جلود الحيوان الى ان تسنى لهم اختراع الورق فكان الفتح الذي استولى بهِ الانسان على معاقل المدنية واتسعت امامهُ مذاهبها وسهل بهِ نشر العلم في آفاق المعمور ونقلهُ من امةٍ الى امة ومن عصرٍ الى عصر

اما اختراع الورق فقد كان اول ظهورهِ في الشرق الاقصى والصينيون ينسبون اختراعهُ الى واحدٍ من ملوكهم من سلالة تسين نحو سنة ١٨٠ قبل الميلاد ثم انتقل من الصين الى بخارا فكان يُصنع فيها الى ان افتتح العرب هذه البلاد في القرن الثامن للميلاد فاتخذوا هذه الصناعة عن اهلها ثم نقلوها بعد نحو مئة سنة الى الاندلس وبلاد اليونان ومن هناك انتشرت شيئاً فشيئاً في جميع اقطار اوربا . وكان الورق اولاً يُصنع من القطن فلما انتهت صناعتهُ الى اوربا اخذوا يتوسعون فيها فصاروا يصنعونهُ من الخِرَق اي من خرَق القطن والكتان ولا يُعلَم من اي عهدٍ ابتدأ ذلك لكن اقدم ما وُجد من هذه الصنعة كتابٌ كتبهُ السير جونڤيل الى الملك لويس العاشر الملقب بالعنيد وكان ملكهُ ما بين سنة ١٣١٤ و١٣١٦ وقيل انها كانت موجودةً منذ سنة ١١٥٦ فلا يبعد ان تكون من مستنبطات العرب لان معامل الورق لم توجد في سائر اوربا الا بعد هذا التاريخ فانها اول ما انشئت في فرنسا في اواخر القرن الثاني عشر وفي ايطاليـا في اثناء القرن الثالث عشر ووجدت في هولندا بعد ذلك ولم تُعرَف في انكلترا الا في اواخر القرن السابع عشر

ثم انهُ لما كان طلب الورق يزداد سنةً عن سنة لعموم استعمالهِ وكثرة المستهلك منهُ ولا سيما بعد اختراع المطابع لم يعد ما يُجمَع من الخرَق كافياً لسدّ الحاجة منهُ فصاروا يتخذونهُ من القِنَّب والتبن والخشب وعدة موادّ اخر خشبية البناء . وكان الى اوائل القرن الحالي يُصنَع باليد فلا يتجاوز المصنوع منهُ قياس الطبق الواحد على حدّ ما هو الحال اليوم في المعامل الصغرى ولا يخفى ما في ذلك من كثرة النفقة وقلة الحاصل منهُ ولذلك حاولوا اختراع آلةٍ تستعمل فيهِ مكان اليد فوُفّق الى هذا الاختراع عاملٌ فرنسوي يقال لهُ لويس روبير ثم انتقل اختراعهُ هذا الى انكلترا وتداولتهُ من بعدها بقية معامل اوربا واميركا

وافضل المواد التي يُتَّخذ منها الورق الكتان والقنَّب واما خرَق القطن فان ما يُصنَع منها لا يكون على الغالب الأ هشّاً . واما كيفية صنعهِ فتؤْخذ الخرَق اولاً وتنسَّل وتميَّز فِرَقاً بحسب نقاوتها ولونها ومكانها من الجِدّة فتُجعَل كل فرقةٍ على حدة وبعد ان تنقَّى وينزع منها كل ما لا يقبل الحلّ من الاجزاء الصلبة تُجعَل في نحو برميلٍ من نسيجٍ معدني وتُهَزّ هزًّا عنيفاً حتى يتطاير منها كل ما علق بها من الغبار وخالطها من الموادّ الغريبة ثم تخرَج منهُ وتُغلى في مغطسٍ قلويّ لازالة ما يكون فيها من الموادّ الدهنية او الحوامض وبعد ذلك تُغسَل بماءٍ صافٍ ثم تُرجَّل اي يخلَّص بعضها من بعض ومتى صارت نُسالةً مستقلّةً تُقصَر بواسطة هيبوكلوريت الكلس وغاز الكلور وبعد ذلك تُمرَث حتى تصير بهيئة عجينة متماثلة الاجزاء قابلة لان تُمدّ طبقاتٍ رقيقة متساوية الثخانة

اما مدّها فيكون بطريقتين احداهما وهي القديمة ان تُمدّ باليد فتؤخذ الكمية المرادة منها وتُجعَل في مِركَن وتماع حتى يصير قوامها صالحاً للنوع المطلوب من الورق ثم توضَع على نارٍ خفيفة وتُساط سوطاً متواصلاً الى ان يتمّ اختلاطها . ويكون بجانب المركَن غراران اي قالبان بقياس الطبق المطلوب ويتخذ الغرار من كفافٍ من الخشب قد بُسطت عليهِ اسلاك من الصفر متآزية ملززة وجُعل تحتها قضبان افقية من الخشب او المعدن تقويةً لها ويُجعَل فوق الكفاف كفافٌ آخر عليهِ اسلاكٌ دقيقة متخلخلة النسيج . ويقوم بهذا العمل اثنان احدهما يأخذ الغرار وعليهِ غطآؤهُ ويغمسهُ في المركَن ويتناول فيهِ مقدار ما يسع من المائع ثم يرفعهُ بين يديهِ وهو افقيّ الوضع ويسوّي العجينة التي فيهِ بامرار يدهِ فوقهُ وبعد ذلك يرفع الغطآء ويناول الغرار للعامل الآخر فيأخذهُ ويقلبهُ بين يديهِ حتى ينسلخ عنهُ طبق الورق فيلقيهِ على قطعةٍ من اللباد معدّة لذلك ثم يضع فوقهُ قطعةً اخرى من اللباد ليلقي عليها الطبق الذي يلي وفي تلك الفترة يكون العامل الاول قد اعاد العمل في الغرار الثاني فيتناولهُ منهُ وهكذا . فاذا اجتمع عددٌ معلوم من الاطباق جُعلت بما بينها من اللباد في مكبسٍ وضُغطت حتى ينعصر ما فيها من المآء ثم يؤخذ الورق ويُنشَر في الهوآء حتى يجفّ ثم يُصقَل

واما الطريقة الثانية وهي طريقة العمل بالآلات فكل ما يُصنَع بها للطلب الواحد يكون من طبقٍ واحد من الورق ذي عرضٍ محدود ولكنهُ يمتدّ طولاً على قدر العجينة التي يُصنَع منها . وذلك انهُ بعد ان تُمدّ العجينة

على نحو ما ذُكر توضع في مركنٍ قد رُكّب فيهِ مسواطٌ دائم التحريك فاذا تم امتزاجها وصارت في القوام المطلوب تسقط منبسطةً على نسيج معدنيّ متصل الطرفين والى جانبيهِ سيرٌ عريض من الجلد يمنع العجينة من السقوط ومن هناك يدخل طرفها بين اسطوانتين قد لُفّتا باللبّاد والنسيج المذكور يتحرك حركةً جانبية فيذهب ويجيء على الدوام فتتمدد العجينة عليهِ بهذه الحركة ويسيل ما فيها من الماء من خُرَب النسيج . وبعد ان تمرّ العجينة بين الاسطوانتين تقع على نسيجٍ من اللبّاد متصل الطرفين ايضاً فيدفعها الى اسطوانتين اخريين فتعصرانها مرةً اخرى بحيث يصير فيها من التماسك ما تستقلّ بهِ فتنجرُّ من نفسها وتلتفّ على اساطين غليظة من الحديد محماة بالبخار حتى تجفّ تمام الجفاف ثم تمرّ بين اساطين الصقال وبعد ان يتمّ صقالها تلتفّ على مدرج فلا يبقى الا ان تؤخذ من هناك فتُقطَع قِطَعاً او اطباقاً

وعلى مثل ما ذُكر يُصنع الورق من التبن والخشب ونحوهما فيُجعل ما يراد صنعهُ منهُ بعد ان يُقطَع الخشب قطعاً صغاراً في مغاطس قلوية لازالة المواد الصمغية الملتصقة بالالياف النباتية وبعد اخراجهِ من هذه المغاطس يُسحَق سحقاً متتابعاً حتى يصير عجينةً صالحة للعمل فيتمّ على ما وصفنا وفي كل ما ذكر هنا تفاصيل طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر حب الاختصار

المرّاش ومينار

اشرنا في ترجمة وطنينا العالم الفاضل المرحوم عبدالله المرّاش الى ما كتبهُ من النقد على ترجمة كتاب مروج الذهب الى اللغة الفرنسوية بقلم المسيو بربياي دمينار احد مشاهير علماء الفرنسيس ووعدنا ان ننشر النقد المذكور على صفحات هذه المجلة ايذاناً بفضل الكاتب رحمهُ الله واحياء لآثارهِ في خدمة اللغة والذياد عن ائمتها وتنبيهاً لاولئك القوم الى التثبت فيما يطبعون وما يترجمون من اسفارها حرصاً على اغراض مؤلفيها وتنزيهاً لهم عما يُنسب اليهم من السفاسف المحرَّفة مما يضيع بهِ فضلهم ويلقي على اقوالهم شبهة اللغو والخطأ . على أنَّا والحق يقال لا ننكر ما لاولئك القوم من الفضل في احياء كثيرٍ من كتب السلف وما يبذلون من الجهد في ضبطها وتصحيحها كما لا ننكر عليهم فضل المثابرة في درس هذه اللغة وادراك الشيء الكثير من احكامها وضوابطها غير انهُ يسوءنا ان نرى فيهم من الصلَف والدعوى والاستئثار بمزية اللغة على اربابها ما ادّى الى افساد الكثير من تلك الكتب وضياع رونقها وذهاب كثيرٍ من فوائدها. وهذا ما دعا وطنينا المرحوم المشار اليهِ الى تكلف نقد هذا الكتاب مما سترى فيهِ من الغرائب ما يقضي بالعجب العجاب . ولا بأس قبل الشروع في نشر النقد ان نذكر شيئاً من كلامهِ في هذا المعنى نقلاً عن بعض رسائلهِ نجعلهُ بمنزلة مقدمةٍ للنقد المذكور وان خرج احياناً الى ما لا يخلو اثباتهُ من فكاهةٍ او فائدة والحديث شجون . فمن ذلك ما كتب بهِ الينا

بتاريخ ١٢ آب (اوغسطس) سنة ١٨٩٧ قال

« اتفق لي في هذه الايام الوقوف على كتاب مروج الذهب للمسعودي وهو اهمّ كتابٍ تولى ترجمتهُ الاستاذ بربياي دمينار وقد شرعت في تقييد ما عثرت عليهِ من اوهام ذلك الاستاذ اعني المواضع التي اخطأ فيها المرمى والعبارات التي عكس معناها واحالهُ الى غير مراد القائل . اما الغلطات التي يمكن تأوُّلها او عزْوُها الى النساخ وهي كثيرة جدًّا في المجلد الاول فليس في عزمي ان اعرّج عليها اولاً لان الاسفاف الى الترّهات مع وجود اشياء ذات بالٍ تفي بمرادنا ينبغي اجتنابهُ تفادياً من ان نُنسَب الى التحامل وثانياً لان الاستاذ نفسهُ قد تبرأ من مسؤولية الخطأ فيها فذكر في المقدمة ان نسخ الكتاب التي وقعت اليهِ وان كانت متعددة الا انها كلها سقيمة وهذا ضربٌ من الاحتراس يلجأ اليهِ المستعربون جميعاً لكنهُ لا يجوز على من ينعم النظر في رقاعاتهم لان اكثر ما يكون خطأهم في المواضع التي لا تحتمل اللبس ولم يقع فيها غلط من النساخ فالقاؤهم على كاهل اولئك المساكين ما يرتكبونهُ هم انفسهم من فاحش الغلط يسوّغ لاولئك النساخ ان يتمثلوا بقول الشاعر

وحمّلتني ذنب امرئٍ وتركتهُ　　　كذي العُرّ يُكوَى غيرهُ وهو راتعُ

ومهما يكن من هذا فليس مرادي اليوم ان اشرع في التنبيه على اوهام استاذنا بل سيأتيكم ذلك تباعاً على اثر مراجعتي الكتاب مجلداً بعد مجلدٍ فكلما فرغت من مجلد ارسلت اليكم بما يعنّ لي فيهِ . ولا اظن العمل يتمّ في اقل من شهرين لان الكتاب طويل يقع في تسعة مجلدات . على اني من

الآن اقول ان الاستاذ لم يتهيأ لهُ ان يستعين بسليمان الحرائري على ما كان ينعجم عليهِ في هذا الكتاب كما كانت عادتهُ ان يفعل في سائر ما يتعرض لهُ من امور العربية لانهُ لما كان من الذين قيل عنهم انهم اكثر الناس خطأً لا لعلةٍ اخرى الا لانهم لا يطيقون ان يخطأُوا كان شديد الخوف من انتقاد حرفآئه فلذلك كان يستعين (خفيةً) بسليمان الحرائري او غيرهِ فيما ينشرهُ من الاشيآء المهمة كما فعل في كتاب نوابغ الكلم للزمخشري فانهُ ما ترجمهُ ونشرهُ (في الجورنال اسياتيك) الا بعد ان ساعدهُ عليهِ الحرائري فلما مات المذكور ولم يبقَ لهُ من يستنيم اليهِ في كتمان السرّ احجم عن التعرض للاشيآء ذات البال في العربية واقتصر على التركية

وقد سآءني ما ذكرتموهُ من العوائق التي تصدكم عن طبع يتيمة الدهر او نشر غيرها مما كنتم تؤثرون نشرهُ الا اني مع الاستيآء من ذلك لم اتعجب منهُ لان هذه الازمة التي اعترت تجارة الكتب وما نشأ عنها من هبوط اسعار المطبوعات قد عمّت الدنيا باسرها لا بلادنا وحدها وسببها (كما يقول التجار في اصطلاحهم) زيادة المحصول على القاطعية فلذا كثر تشكي الصحّافين في اوربا واميركا وقد اجتمعوا لهذا الامر مراراً يديرون رأيهم فيهِ لكنهم لم يقفوا بعد على علاج ناجع وكانت تجارتهم تأول الى البوار لولا ما يتداركها احياناً من حسن البخت بان يقع احدهم على كتابٍ غريب في بابهِ فينشرهُ فيرغب الناس فيهِ ويعوّض على طابعهِ في طبعةٍ واحدة ما اصابهُ من الخسائر في عامهِ اجمع . وذلك كما جرى لواحدٍ منهم اخيراً في كتاب طبعهُ هذه السنة فعوّض عليهِ خسائر العام وهو كتابٌ يبحث فيهِ عن

الاسباب التي جعلت الانكليز يفوقون غيرهم ومصنفهُ ادمون دمولان وهو رجلٌ فرنسويّ من طرف ابيهِ لكنهُ شرقيّ من طرف امهِ لان امهُ بنت وطنيّنا ميخائيل الحمصي من مدينة حلب . وانما ازداد خطب هذه الازمة تفاقمًا في مصر بما يجنيهِ المصريون على انفسهم من رداءة العمل وقلة الاعتناء بما ينشرونهُ من الكتب فان كان المجلد الكبير لا يباع باكثر من عشرة قروش مثلاً فذلك اولاً لقلة الطالب وثانياً ومن وجهٍ اخص لسقم طبع الكتاب ورداءة ورقهِ مما يصدّ الناس عن مشترى مطبوعاتهم ولا سيما الاخيرة منها ولا عجب من ذلك فان الصحّاف منهم اذا همّ بنشر كتاب لم يزد على ان يستعير نسختهُ من دار الكتب الخديوية مثلاً ولا يعتني بتصحيحها كسلاً او عجزاً ويسلمها الى صفافٍ جاهل لايكاد يفرق بين الصاد والزِق فيطبعهُ بحروفٍ قد براها طول الاستعمال على ورقٍ لا يصلح لغير صرّ الحلوى فيخرج وهو من السقم وكثرة الغلط بحيث لو رآهُ مصنفهُ لانكرهُ وتبرأ منهُ بتةً وصفع بهِ قفا طابعهِ . مثال ذلك كتابٌ وقع اليَّ من مدةٍ وجيزة قد جُمعت فيهِ ثلاث رسائل احداها في تهافت الفلاسفة للغزالي والثانية في الرد عليها لابن رُشد والثالثة في الحكم بينهما لواحدٍ من علماء الترك المتقدمين كتبها بايعاز السلطان سليمان الشهير فرأيت في ذلك المجلد ما لم اكن لاصدقهُ لو لم اعاينهُ فانهُ لايكاد يخلو سطرٌ من غلطةٍ او حرفٍ مكسور او سقوط نقطةٍ او تداخل بعض احرف اللفظة في احرف جارتها وهذا فضلاً عن رداءة الورق فرددتهُ الى الذي ارسل بهِ اليَّ . ومثل ذلك ايضاً كتاب رسائل اخوان الصفاء ابيت ان اشتريهُ كاملاً ببضعة فرنكات

لسوء طبعهِ وآثرت عليهِ الملخَّص المطبوع في جرمانيا فاشتريتهُ باكثر من اربعين فرنكاً على ما فيهِ من السقط وما ذلك الالان طبعتهُ ناصعة والمطالعة فيهِ سهلة فآثرتها على طبعة مصر الكاملة لاني رأيت العامة قد صدقوا في قولهم « يا مسترخص اللحم عند المرق تندم »

وفي كتابٍ آخر بتاريخ ١٩ آب

« انجازاً لما وعدت بهِ في كتابي الاخير ارسل اليوم اليكم بجريدةٍ قيدت فيها القليل من الاوهام الكثيرة التي عثرت عليها في المجلدات الثلاثة الاولى من مروج الذهب وذلك من غير بحثٍ شديدٍ عنها ولم اعرّج على ما اخطأ فيهِ الاستاذ في النقل والطبع الا في المواضع التي افضى خطأهُ فيها الى فساد المعنى او احالتهِ الى غير مراد قائلهِ ولو اني تتبعت سائر غلطاتهِ وسقطاتهِ التي من هذا القبيل لملأتُ منها مجلداً ضخماً . وذلك انهُ قلما تخلو صفحةٌ من سقطةٍ او سقطتين كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر وكالافراد حيث يتعين الجمع وبالعكس والتعريف حيث يجب التنكير وبالعكس والرفع او النصب او الخفض حيث يتعين خلاف ما اتاهُ والتخفيف حيث يجب الهمز وبالعكس . اما قلب الحروف او وضع الهمزة مكان العين والهاء مكان الحاء فذلك اكثر من ان يحصى يقول مثلاً « جرل » مكان رجل و « تحزحزَت » مكان تزحزحَت و « ينصبُ » مكان ينضب و « رأى » مكان رعى و « هار » مكان حار و « فيافاً » مكان يابا و « الفاغيرة » مكان الفاغرة . بل قلما اورد اسماً اعجمياً من الاعلام الا حرّفهُ تحريفاً مضحكاً يقول « سنجاريت » مكان سنحاريب و « النقر » مكان أليفز وامثال

ذلك مما لو وقعت عليهِ عين صبيٍ من صبيان الكتاتيب عندنا لم يتردد في تصحيحهِ . وهذا كلهُ قد اهملت التعريج عليهِ لان الاستاذ يقدر ان يحتجّ فيهِ عن نفسهِ بان يقول هكذا وجدهُ في النسخ التي نقل عنها وليس التصحيح من ولايتهِ . على انهُ قد صحح في موضعين او ثلاثة ويا ليتهُ لم يفعل لانهُ اخطأ في تصحيح ما ليس فيهِ خطأٌ ولا اعلم كيف ان المستعربين الذين شاركوهُ في هذا العمل (كما هو مذكورٌ في الصفحة الاولى من الكتاب) او اعانوهُ عليهِ في مراجعة الاصل والترجمة (كما يقرّ هو نفسهُ في مقدمة المجلد الثاني) لم ينبهوهُ على ما ارتكبهُ من الاغلاط الفاضحة ولو من حيث الاعلام الاعجمية مع ان فيهم رجالاً من اهل الدراية ومعرفة التاريخ ولا سيما فيما يتعلق باخبار التوراة والاعلام الواردة فيها بل ان فيهم عالماً شرقياً اسمهُ وفيق بك اعانهُ على العمل وقابل الكراريس على نسخة قديمة من المروج كانت في حوزتهِ وبقي فيهِ مع ذلك ما يُضحك منهُ . ومما ذكرهُ في مقدمة المجلد الثاني انهُ لما كان آخذاً في طبع الصفحات الاولى من المجلد المذكور وصل اليهِ من القاهرة نسخةٌ من المروج قد طُبعت في بولاق فصارت عندهُ في جملة النسخ المتعددة التي جمعها لديهِ للاستعانة بها على ما كان شارعاً فيهِ الا انهُ (والله اعلم) لم يتنازل لمراجعة هذه النسخة لانها مما تولى طبعهُ الشرقيون فهي لذلك غير جديرةٍ بان يلتفت اليها الاستاذ . وكيف لا يطرحها وينبذها ظِهريّاً من كان يزعم مثلهُ ومثل غيرهِ من الاستاذين انهم قد اصبحوا من التبحر في العربية بحيث لم يبقَ بهم حاجةٌ الى العرب بل ان العرب انفسهم قد صاروا في افتقارٍ الى استفتاء

الاستاذ وامثالهِ فيما يعرض لهم من مشكلات اللغة ولذلك رأيت ان الاحتجاج عليهِ بحجةٍ يستخفُّ بها ضربٌ من العبث واضاعة الزمان وان انجع الاشيآء فيهِ ان ندينهُ من فمهِ ونقضي عليهِ بشهادة نفسهِ لا بشهادةٍ من الخارج وهذا ما فعلتهُ في اكثر المواضع فاني لم اتعقب من خطإهِ الا ما يُنسَب الى جهلهِ لا الى غلط النساخ كما يتبين ذلك من مراجعة ما سأذكرهُ في محلهِ » . انتهى

وسنشرع في ايراد النقد من الجزء التالي ان شآء الله تعالى

﴿ انحطاط النيل ﴾

كان من انقباض مياه النيل في هذه السنة ما قامت لهُ البلاد وقعدت خوفاً من عموم الجدب وتلف المزروعات في القطر كلهِ لان النقص بلغ فيها الى حدٍّ لم يُعهَد لهُ نظير في السنين الغابرة . والذي يتبين من التقرير الذي وضعهُ السير جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية لمقاييس النيل بتاريخ ٢٤ يناير من سنة ١٩٠٠ الحالية ان هذه السنة هي احدى سنواتٍ خمس نقصت فيها مياه النيل عن معتادها منذ سنة ١٨٧١ الى السنة الحاضرة اي منذ وُجدت سجلّات مضبوطة لمقياس النيل في اصوان . والسنوات الاربع الاخر هي سنة ١٨٧٤ و ١٨٧٨ و ١٨٨٩ و ١٨٩٢ لكن الذي ظهر من مقاييس هذه السنة ان النقص فيها افحش كثيراً مما كان في السنين المذكورة وقد وضع السير المشار اليهِ جدولاً ذكر فيهِ مناسيب المياه في اصوان للخمسة عشر يوماً الأُوَل من شهر يناير مع ما يقارنها من مقدار المآء

المنصرف وقابلها بما كان من ذلك في سنتي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ لان سنتي ١٨٧٤ و ١٨٩٢ لم يلبث النقص فيهما الا اياماً معدودات · ونحن ننقل هنا ارقام المناسيب المذكورة لليوم الاول واليوم الخامس عشر من يناير لكلٍ من السنين الثلاث وهي كافيةٌ للمقابلة · والارقام المذكورة هي على ما يأتي

سنة		المقياس		المنصرف		المقياس		المنصرف
		قيراط	ذراع	م ك في الثانية		قيراط	ذراع	م ك في الثانية
١٨٧٨	(١ يناير)	٥	٥	١٣٦٩	(١٥ يناير)	١٣	٤	١١٤٦
١٨٨٩	(« «)	١٢	٤	١١٣٤	(« «)	٢١	٣	٩٥٥
١٩٠٠	(« «)	٥	٣	٧٧٥	(« «)	٩	٢	٥٧٨

قال فيتبين من هذا الجدول ان مناسيب النيل باصوان في النصف الاول من شهر يناير من هذه السنة كانت احطّ جدًّا مما في السنتين الاخريين فانهُ في الخامس عشر من هذا الشهر صار المنسوب في تلك الجهة احطّ منهُ في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٧٨ بقدر ذراعين واربعة قراريط وبقدر ذراع واثني عشر قيراطاً عنهُ في سنة ١٨٨٩ · اما مقدار ما انصرف من المياه امتاراً مكعبة في ذلك اليوم من سنة ١٩٠٠ فيكاد يقرب من نصف ما انصرف في مثلهِ من سنة ١٨٧٨ ويكون اقل من ثلثي ما انصرف في اليوم عينهِ من سنة ١٨٨٩ · واذا تصفحنا كتب المقاييس باصوان في التسع والعشرين سنةً الحالية اي منذ سنة ١٨٧١ نرى ان مياه النيل تصير عادةً الى ذراعين وتسعة قراريط في مارس او ابريل فان دامت مياه النيل على مثل هذا الهبوط فذلك دليلٌ واضح على ان مقدار المياه الصيفية سيكون في هذا العام اقلّ جدًّا مما كان في سنتي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ ·

واحطّ ما وصلت اليهِ المياه باصوان في سنة ١٨٧٨ ثمانية قراريط وقد دُوّن ذلك في السابع والثامن من يونيو وهو عبارة عن منصرفٍ قدرهُ ٢٠٨ امتار مكعبة في الثانية واحطّ ما بلغتهُ المياه هناك في سنة ١٨٨٩ احد عشر قيراطاً وذلك في الرابع من يونيو وهو يعادل منصرفاً قدرهُ ٢٣٠ متراً مكعباً في الثانية . ولما كانت مياه النيل الآن احطّ مما كانت عليهِ في السنتين المذكورتين فاذا دام هبوطها على المعدَّل المشاهد اليوم فعند بلوغ النيل اقصى التحاريق يكون المنصرف اقل جدًّا من ٢٠٠ متر مكعب في الثانية غير انهُ من المحتمل ان تخفّ سرعة الهبوط وتأتي الامطار عاجلة في الاصقاع القبلية من اقاليم السودان فتفيض مياه البحر الابيض وينشأ عن ذلك اما زيادةٌ في مياه النيل واما وقوف الهبوط في ايام الشدة والضيق اي في شهري يونيو ويوليو . انتهى المقصود منهُ ببعض تصرُّف

ثم انّا اذا سقنا حساب النقص الى آخر الشهر الغابر اي مدة خمسة وسبعين يوماً بعد الموعد الثاني وجدنا ان المياه في اصوان قد هبطت الى ٤ قراريط فوق الصفر فيكون معدَّل النقص من ١٦ يناير الى ٣٠ مارس نحو ثلاثة ارباع القيراط كل يوم حال كونهِ في الخمسة عشر يوماً الاولى من يناير كان معدَّل النقص اليومي قيراطاً وثلث القيراط . على ان النقص ازداد بعد ذلك فبلغ في ٨ ابريل قيراطاً تحت الصفر واستمرّ كذلك الى ٢٤ منهُ وفي ٢٥ ارتفع الماء قيراطاً واحداً فصار على الصفر ثم بلغ في ٢٦ منهُ ٣ قراريط وفي ٢٧ ٤ قراريط ولعل في هذا ما يبشر بتحقق ما كان في الامل من بدء سقوط الامطار في النواحي الجنوبية والله يقبض ويبسط وهو وليُّ عبادهِ

وقد وردتنا القصيدة الآتية في معنى هبوط النيل من نظم حضرة الفاضل اللوذعيّ مصطفى بك نجيب وكيل ادارة الداخليـة في الحكومة المصرية فاحببنا اثباتهـا تفكهةً للقرّاء قال اعزّهُ الله

النيلُ أخلف فالقلوب صوادي تشكو لهيب الشوق في الاكبادِ
يا نعمةً ما كان اسبغ فيضها تحيا النفوس بها ويحيا الوادي
يا ظمأةً باتت وليس لحرها من مطفئٍ لهيبها الوقادِ
ماذا الذي عاق الحبيب وصدَّهُ عن ان يزور وكان إلف ودادِ
ماذا الذي حبس الكريم عن الندى وأصمَّهُ عن سمع صوت منادِ
يا نيلُ قد عودتنا منك الوفا اذ كنت تأتينا على ميعادِ
فقبضتَ آمالاً تعوَّد بسطَها طول المدى ملاّحهُ والحادي
أنّى لهُ جوْدٌ يجود بمائهِ صفواً بلا برقٍ ولا ارعادِ
يجري وما يجري على صفحاتهِ الا اللجين يلوح للنقادِ
يحيي الانامَ وينشر الامواتَ من نبت الرُبى في اجمل الأبرادِ
تُجنى بهِ ثمراتُ ارضٍ أُلبست حُلَلَ الندى من فضلك المعتادِ
باركتَ فيها بالوفاء فقُدّرت اقواتها ووفت بكل مرادِ
وسقيتَ ظمآن النبات سلافةً فغدا يميس بقدّهِ المياد
قد كنت تنعش كل قلبٍ خائفٍ فرط الظما من حاضرٍ او بادِ
تُجري لنا سنن الوفاء بعادة من اجمل العادات للاجوادِ
تهدي لنا الحسنى وفيك زيادةٌ (ابداً الى مبداً لها ومعادِ)
كسرٌ بهِ جبرُ القلوب وموسمٌ بين المواسم زينة الاعيادِ

لله ابهام الزيادة معلناً بشهادةٍ تغني عن الإشهادِ
ضاع القياس فاين اصبعك التي منها الوفآء يشير بالاسعادِ
يا منهلاً ما كان يُعهَد قبلهُ ان يمنح السودان بيض ايادِ
تعطي الكثير بلا سؤالٍ للورى وعليك لونٌ من حيآءٍ بادِ
أنّى تغيّر شيمةً مرضيةً ترجى محامدها على الآبادِ
أيتمتَ طفلَ النبت في حجر الثرى يا أرأف الآبآء بالاولادِ
ماطلتهُ دَيناً عليك وانهُ وقفٌ لحاجة جائعٍ او صادِ
كم روضةٍ يا نيل مذ أخلفتها عهد الوفا قد عوجلت بحصادِ
خلّقتها من طول هجرك في جوًى وسوادُ تربتها ثياب حدادِ
ذبلت فأمست لا نبات بارضها تصبو اليهِ نواظر الرُوّادِ
قامت على سيقانها اغصانها يسألنَ بالاوراق صوب غوادِ
ومزارعٍ اضحت منابت ارضها هُشُماً تصافحنا بكف جمادِ
نشكو وكم نشكو مرارة فقدهِ حرُّ المصيف وقلة الازوادِ
قامت على ضِفّاتهِ آلاتنا تسترشف القطراتِ بالاصعادِ
فكأنها في حرّها وزفيرها ولهيبها مثلٌ لكل فؤادِ
أعزز عليَّ بان ترى ضفّاتهُ تحثو التراب اسًى على الورّادِ
أعزز عليَّ بان اراهُ ولم يكن ما بيننا متتابع الإزبادِ
أعزز عليَّ بان ارى جنباتهِ ملقى الرمال لشامخ الاطوادِ
الله في حال البلاد واهلها فهو المزيل لكل خطبٍ عادِ
لا تبلغ الاقوام نيل مرادها ما لم يعنها الله بالإمدادِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — نرى من الشعرآء من يستعمل نحو الأَيْد والوجد قافيتين في قصيدةٍ واحدة فهل يجوز ذلك نقولا بدران

الجواب — هذا عيبٌ من عيوب القافية يسمى سِناد الرِدف وهو ان تكون احدى القوافي مُردَفةً والاخرى لا . والمراد بالرِدف حرف اللين قبل الرويّ سوآءٌ كان قبلهُ حركةٌ تجانسهُ كواو العُود وياء العِيد او لا تجانسهُ كواو الطَوْد ويآء الكَيْد فانهُ متى وُجد في قافية بيتٍ من القصيدة لزم في سائر القوافي

القاهرة — ذكرت جريدة الاهرام ان امرأةً ولدت غلاماً لهُ قرنان في قمة رأسهِ كقرون الثور وعينان مشقوقتان بخلاف شق عيون النـاس وأُذنان كآذان الماعز .. واما باقي جسمهِ فهو كاجسام سائر الناس فهل هذا من قبيل الوَحَم على ما يقال ام كيف حنا الياس العريان

الجواب — لاشك ان للوَحَم تأثيراً في الجنين كما يُعلَم من قصة يعقوب في التوراة لكن المعروف ان هذا يؤثر في بعض مواضع من الجلد بان يحدث فيهِ بُقعٌ مختلفة اللون والشكل وقد تكون مكسوةً بالشعر ولا يبلغ ان يقلب الخلقة من هيئة الانسان الى هيئة الماعز ولكن مثل هذا ينبغي ان يكون من فلتات الطبيعة التي لا يعلم سرّها الا الخالق عزّ وجلّ

فكاهات

رواية

سرقة الحب[1]

حدث في سنة ١٧٩٠ انهُ كان في مدينة ريمس رجلٌ متوسط الحال رزقهُ الله ابنةً آيةً في الجمال دعاها اوجيني فلما ترعرعت ارسلها الى احدى المدارس لتتلق فيها العلوم وكان والدها يفي نفقاتها مما يستفضلهُ من كدهِ واجتهادهِ . ولما اتمّت الفتاة دروسها عادت الى بيت ابيها وكان قد اصبح مسنّاً ضعيف الهمة فودت ان تمينهُ في تحصيل القوت وتوفقت الى وجود مدرسةٍ تدرّس فيها بعض العلوم فكانت تكتسب منها ما يفي بنفقاتها ونفقات بيتها

وكان في نفس المدينة فتىً رقيق الحاشية يدعى اوغست كان يعمل في احد المعامل الكبيرة فيحصّل منهُ ما لا يزيد عن كفايتهِ وكان اوغست ابيّ النفس عالي الهمة اميناً نشيطاً وكان بين رصفائهِ مثال الاخلاص والوداد ولدى قيّم اشغالهِ مثال الامانة والاجتهاد . وحدث ان اوغست رأى يوماً اوجيني ذاهبة في الصباح الى المدرسة فأُعجب بها غاية الاعجاب وجعل كل يوم يمرّ من نفس المكان في نفس الوقت فيمتع عينيهِ بطلعتها البهية وتوالت

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الايام على ذلك حتى حدث عندهُ بها ولعٌ شديد ودفعتهُ نفسهُ الى التعرف بها فرأى من لطف حديثها ورقة اخلاقها ما ضاعف حبهُ لها فقصد والدها وكلمهُ في خطبتها . وكان الوالد المسكين غير ميالٍ الى ابعاد ابنتهِ عنهُ وهي القائمة بمعاشهِ ولكنهُ خاف ان يحرمها راحة مستقبلها فاجاب اوغست الى طلبهِ بعد ان ترضى بذلك اوجيني . ولما عادت اوجيني الى البيت فاتحها والدها بالحديث فلم تبدِ ممانعةً وهكذا قُضي الامر فخطب اوغست اوجيني وجعل بعد ذلك يجدّ في عملهِ لتحصيل نفقات الزفاف ولم تترك اوجيني مدرستها رجآء ان تحصّل ما تعين بهِ والديها وتستبقي شيئاً لتجهيز نفسها . وكان اوغست يمرّ عليها كل يومٍ بعد انقضآء شغلهِ فتلاقيهِ في حديقة بيتها ويجلس الحبيبان يتحادثان ويتشاكيان وكانت هذه الدقائق تزيد اوغست ولعاً وهياماً فلم يعد يقوى على مفارقتها دقيقةً واحدة بل كان لا يصدق ان ينتهي عملهُ في المسآء حتى يطير على اجنحة الشوق الى مالكة فؤادهِ

وفي ذات يومٍ بينما كانت اوجيني في الحديقة تقطف بعض الازهار مرّ من هناك احد اصدقآء اوغست فوقف وحياها ثم قال آه ما اسعد اوغست لحصولهِ عليكِ وانتِ ولا شك تجمعين هذا الزهر لهُ فيالها من غبطة . قالت وهل الحصول على زهرة يُعدّ غبطة . قال نعم اذا كانت من يدكِ اللطيفة . فتبسمت اوجيني بتيهٍ ودلال ثم قالت اذا كان الامر كذلك فلا احرمك هذه الغبطة وتناولت زهرة وقالت اقبل مني هذه الزهرة . فطرب الفتى وقال اما وقد تعطفتِ عليّ بهذه النعمة فهل لكِ ان تميها

وتضعي الزهرة في عروة ثوبي . قالت نعم وتقدمت اليهِ ثم وضعت الزهرة حيث طلب وهو يتأمل في جمالها الرائع ولطافة يدها وبياضها النقيّ

واذ ذاك سمعت اوجيني وقع اقدام فنظرت واذا باوغست آتٍ فاسرعت الى ملاقاتهِ ورأى الفتى الآخر انهُ لم يعد لهُ محل من الاعراب في تلك الجملة فاختلس نفسهُ وسار في طريقهِ . ولما قابلت اوجيني حبيبها رأتهُ مقطب الحاجبين فسألتهُ عن السبب فقال لقد سآءني اني رأيتكِ تضعين الزهرة بيدكِ على صدر هذا الفتى . قالت وماذا يمنع من ذلك يا اوغست . قال هو ما تعلمين من حبي لكِ فاني اكره ان ارى هاتين اليدين تخدمان غيري . فصعد الدم الى وجنتي اوجيني وخالجت صدرها افكارٌ شتى ثم سكنت روعها وقالت اودّ ممن يحبني ان يعرف مقدار اماتي ويعلم انني لا احتمل تهمة الخيانة . ثم اني لا ارى لك حقًّا يا اوغست ان تعترضني فيما افعل فانك وان تكن خطيبي الآن لم تصر زوجي بعد ولا حق لك في تقييد حريتي منذ الآن . ورأى اوغست تهيجها وقرأ في عينيها غيظاً شديداً فتلافى الامر وضمها الى صدرهِ مداعباً

واتفق في تلك الاثنآء ان جآء من باريز بعض الأُسر الشريفة الى ريمس لقضآء فصل الخريف فيها فبعد ان استقرّ بهم المقام جعلوا يتنزهون في ضواحي المدينة ويزورون المحلات الشهيرة فيها وقصد بعضهم زيارة المدرسة التي تعلم فيها اوجيني فأُعجبوا بما عاينوا فيها من الترتيب والاتقان وكان بين الزائرين فتىً من اشراف الفرنسيس يدعى الكُنت دوفيم قد توفي والداهُ وتركا لهُ اموالاً طائلة لا منازع لهُ فيها . وكان قد علق ابنةً لاحد

الوجهاء تدعى لويز فاحبها واحبتهُ ولما جاءت مع اسرتها الى ريمس تبعها واوى الى نزلٍ بالقرب منها فكان يقضي اكثر اوقاتهِ عند حبيبتهِ ويرافقها حيث سارت وجاء معها ومع آلها الى المدرسة كما ذُكر . اما لويز فلم تكن جميلة المنظر غير انها جامعة لافضل الصفات الحسنة التي يتحلى بها النساء المهذبات فلما دخل الكنت المدرسة وقع نظرهُ على اوجيني فأخذت بمجامع قلبه لما رأى من جمالها الرائع ورشاقة قدها وعذوبة كلامها واغتنم فرصة للاقتراب منها وقال هل انتِ موكلة بالتعليم هنا . قالت نعم . قال عجباً وكيف يمكنكِ مع نحافة جسمكِ ان تحملي مشاقّ التعليم واتعاب التدريس . فلم تبدِ اوجيني جواباً بل اطرقت برأسها الى الارض وصبغ الدم وجنتيها فزاد في جمالها . ثم قال الكنت أوَلا تروضين نفسكِ بالنزهة بعد عناء الشغل . قالت بلى . قال والى اين تذهبين . قالت الى الغابة التي في شمال المدينة . قال وفي اية ساعةٍ تذهبين . قالت في السادسة مساءً . قال وهل تذهبين غداً . قالت نعم . قال سأتحرّى ان اقابلكِ هنالك غداً فان لي كلاماً اقولهُ لكِ . ثم اسرع الى قرب حبيبتهِ لويز فاتموا طوافهم في المدرسة وعادوا وبقيت اوجيني في حيرةٍ عظيمة وهي تلوم نفسها على ضربها هذا الموعد مع الكنت على غير قصدٍ منها وكلما خطرت لها مقابلتهُ ترتعش جزعاً وودّت ان تُعلِم اوغست بذلك غير انها خافت ان يكون سبباً لغيظهِ وربما اوّلهُ الى معانٍ مختلفة فغلب على رأيها ان تقابل الكنت تلك المرّة وحدها ثم لا تعود الى مقابلتهِ مرةً اخرى . ومرّ عليها اليوم الثاني وهي في قلقٍ شديد الى ان كان المساء وفرغت من شغلها فتأبطت مظلتها وسارت الى

الغابة ولما بلغتها اذا الكنت دوفيم ينتظرها تحت احدى الاشجار فلما رآها نهض مسرعاً وصافحها مرحباً . وشعرت اوجيني انها ترتكب ذنباً ولكنها تجلدت وقالت ارغب اليك يا سيدي الكنت ان تخبرني بما تريد فانني لا استطيع ان اتأخر . قال قد اعددت لكِ هذا الحجر لتجلسي عليهِ اذا شئتِ . قالت لا فانني افضل المشي . فسار بجانبها ثم قال بلغني انكِ تهوين فلاحاً من فعلة المعامل وقد تعجبت كيف سمحت الاقدار ان يمتلك هذا الجسم اللطيف والهيكل البديع رجلٌ اقسى من الحديد واغلظ من خشب الغاب . قالت كلٌ يأوي الى ابنآء جنسهِ وانا لا اؤمل الحصول على زوجٍ من الاشراف فليس فيَّ ما يؤهلني لذلك . قال كيف لا وانتِ ملاكٌ تستحقين العبادة من اشرف ابنآء فرنسا واوسعهم جاهاً وثروةً فان الله لم يخلق هذا الجسم الا ليرتدي بمطارف الحرير ولم يوجد هذا الوجه الا لينير بين اوجه الملوك واصحاب الشأن فآه لو اسعفني البخت وعرفتكِ قبل الآن حتى كنت اجثو امامكِ طالباً يدكِ وكنت اعدّ نفسي من اسعد البشر بالحصول عليكِ . وجعل الكنت يزيد في اطرآئهِ وتمليقهِ حتى فقد قلب اوجيني النسآئي كل قوّةٍ مدافعة وفكرت فيما تصير اليهِ من السعادة مع هذا الكنت مما لا تحلم بهِ مع حبيبها اوغست الفقير . وبينما هما يسيران اذا باوغست قادمٌ ولما رأى اوجيني بجانب شابٍ يجهلهُ صعد الدم الى رأسهِ وتبين الغيظ في وجههِ فاقترب بدون ان يسلم وقال ذهبت الى البيت يا اوجيني فلم اجدكِ وظننت انكِ تكونين هنا محل نزهتكِ فاتيت لآخذكِ فهيا بنا . فنظرت اليهِ اوجيني بعين حبٍ ولكن بهيئة المتكبر وقالت لا

حاجة الى ان تأخذني انت الى البيت فانا اقدر ان اذهب وحدي . قال لكن اظن ان لي حقاً في مرافقتكِ انا خطيبكِ اكثر من هذا الشاب الذي اجهلهُ . قالت انهُ لا يجبرني على مرافقتهِ بينا انت تأمرني ان اسير معك وقد اعلمتك قبل الآن انك لم تصر بعد في الدرجة التي فيها تحكم فاطيع . وبلغ الغيظ من اوغست منتهاهُ فحرق الأُرَّم وصاح مغضباً ستتكلم في هذا المعنى في غير هذا الوقت والآن فاما ان ترجعي معي والا فانكِ لن تري وجهي من بعد . قالت لست بذاهبةٍ معك وانت وما تريد . فحوَّل اوغست وجههُ وسار وفي قلبهِ براكين من اليأس والقهر والغمّ . وحينئذٍ فتح الكنت فاهُ وجعل يصف لاوجيني شراسة اوغست ثم حقق لها مزيد حبهِ وانهُ لا بأس عليها اذا تركها اوغست فهو سيأخذها ويجعلها اسعد البشر ثم افترقا وقد الحّ عليها ان توافيهُ الى هنالك في اليوم الثاني . وفي المساء ذهب الكنت كعادتهِ الى بيت خطيبتهِ لويز فرآها دامعة الطرف فسألها عن السبب فقالت انها قد اغتمت لغيابهِ عنها ثم قالت اظنك همتَ بالمعلمة التي رأيناها امس فلم تعد تسأل عني . فسكت دوقيم ولم يجب فكان سكوتهُ داعياً لزيادة ارتيابها فخرجت الى الحديقة وهي تشرق بالدموع . وتبعها الكنت ليخفف ما بها ولكنهُ وجد من الرأي ان يعترف لها بانهُ لم يعد يحبها كالاول . فجاء اليها وقال اسمعي لي يا لويز اني لم افتتن بالمعلمة كما تزعمين ولكن قلبي قد كره الحب واودّ ان اقطع رُبطهُ بيننا فسامحيني على ما مضى وانسيني في ما سيجيء . ولم تكن لويز متوقعةً لسماع هذه الكلمات فطار رشدها وسقطت الى الارض خائرة القوى فانهضها دوقيم واجلسها على

مقعدٍ خشبي وجلس بجانبها ثم اخذ الاثنان يتعاتبان ورأت لويز انهُ لم يعد امل في حصولها على محبتهِ وتحققت خيانتهُ فهان عليها الموت وصممت على امرٍ خفي . فتمالكت روعها ثم قالت لهُ اذا كان هذا ما صممت عليهِ فوافِني غداً في مثل هذه الساعة الى هنا واحضر لي جميع رسائلي اليك فنتبادل كتُبنا ولا اعود اراك بعد . ففرح دوفيم بذلك ووعدها وسار . اما لويز فلم تغمض اجفانها كل تلك الليلة وقد اصابها شيء من الجنون وفي اليوم الثاني ذهبت الى محل الوعد وانتظرت حيناً واذا بالكنت آتٍ

اما اوغست خطيب اوجيني فظهرت لهُ حقيقة الامر للحال وعرف ان حبيبتهُ قد أُغريت على تركهِ ولكنهُ كان لشدة محبتهِ لها لايهمهُ الا سرورها وكان يعلم ان الكنت هائم بلويز فعزم ان يفاتح الكنت بالامر ويخبرهُ انهُ ان كان حقيقةً يحب اوجيني فهو يتنازل لهُ عنها ولكن اذا كان قصدهُ اللهو بمعاشرتها حيناً من الزمن فانهُ يسعى بمنعهِ خوفاً على قلب اوجيني ان يتعلق بالكنت ثم ترى انهُ خانها فيكون ذلك عليها وبالاً . ولما كان مسآء الليلة المذكورة انطلق لمواجهتهِ فرآهُ يسير امامهُ الى ناحية الحديقة وعلم انهُ ساعٍ لمقابلة لويز فاحب ان يتبعهُ ليرى ما يكون او يسمع من حديثهِ ما يطلعهُ على حقيقة حالهِ . ولما التقى دوفيم بلويز كمن اوغست ورآء شجرةٍ بحيث يراهما ولا يريانهِ

فقالت لويز للكنت ألم ينهك ضميرك عن كسر قلبي أَوَلا تزال مصمماً على قطع العلائق بيننا . قال لا دخل للضمير في شأننا فكما احببتك كرهتكِ واود ان اتخلص منكِ ونحن لم نأتِ الى هذا المكان للمعاتبة

فخذي رسائلك واعطيني رسائلي كما اتفقنا امس . قالت حسنٌ ايها الظالم فخذ رسائلك ثم مدت يدها الى جيبها واخرجت منهُ مسدساً فوجهتهُ الى صدر الكنت وقبل ان تتمكن من اطلاقهِ وثب الكونت عليها كالذئب الخاطف فانتشل المسدس من يدها ووضعهُ في صدرها وافرغ منهُ رصاصتين اخترقتا قلبها فسقطت على الارض ميتةً . وادرك الكنت موقفهُ فاسرع وانتشل من تلك الجثة الجواهر والحلى التي عليها فوضعها في منديلٍ في جيبهِ وهمّ بالهرب واذا باوغست قد خرج من مخبئه وهجم عليهِ وهو يقول يا لك من قاتلٍ . ولم يكن الكنت ينتظر هذه المفاجأة ولكنهُ لم يلبث ان استعاد رشدهُ فامسك باوغست وجعل يستغيث وينادي وسمع اهل البيت اطلاق الرصاص واصوات الاستغاثة فاسرع والد لويز والخدم بالمصابيح الى محل الحادثة فوجدوا جثة الفتاة مضرجة بالدمآء والكنت يصيح امسكوا اللص امسكوا القاتل . ولما كان جميعهم يعرفون الكنت وانهُ خطيب لويز لم يشكوا في ان اوغست هو المجرم فاوثقهُ الخدام للحال وساروا بهِ وهو صامت فاسلموهُ الى الجند وأُودع السجن واظهر الكنت حزنهُ الشديد على مقتل لويز تعزيةً لوالديها وفي اليوم الثاني دُفنت الجثة بالاكرام اللائق ثم احتشد الجمهور في دار الحكومة لسماع محاكمة القاتل . اما اوغست فكان صامتاً لا ينبس ببنت شفةٍ وقرر القضاة جريمتهُ فحُكم عليهِ بالاعدام عند ورود الامر الملكي من باريز . وكان بين رجال الشحنة فتىً ذو عينٍ نقادة فرأى في حالة الكنت ارتباكاً وفي عيني اوغست برآءةً وعفةً واستقامةً ثم تحقق بعد البحث ان اوغست لم يمسّ شيئاً من حلى

القتيلة ففكر ان في الامر سرًّا عميقاً وصمم على ادراكهِ . وفي اليوم الثاني اخذ الكنت رسالةً ففضها فاذا هي من اوغست يقول فيها

« اني تحملت القصاص عنك طائعاً وساقبل الموت بسرور لكن املي الوحيد انك بعد ان تخلصت من حبيبتك الاولى تكون مخلصاً لاوجيني فاني انما رضيت ان اضحّي نفسي حتى لا احرمها السعادة التي تؤملها بحصولها عليك وفي يقيني انها ستكون عندك في حالةٍ افضل كثيراً مما يمكن ان تجدهُ عندي. فاذا رأيت اني استحق مكافأةً منك لسكوتي عن فعلتك ولاجل تحملي تهمة القتل والسرقة وفوق ذلك الاعدام فالمكافأة الوحيدة التي اطلبها منك هي ان تعتني باوجيني من بعدي وان يكون من احسانك اليها ما ينسيها ذكري ولا يجعلها تحزن على فقدي »

وكان الكنت دوفيم قلق البال لا يقرّ لهُ قرار ولم يدرِ ان الشرطي المذكور آنفاً يتبعهُ كظلهِ فعزم ان يتخلص من جواهر وحلى لويز خوفاً من ان يراها احد فيكشف سرّهُ فركب السكة الحديدية وسافر قاصداً باريز . وكان في طريقهِ جسر حديدي كبير يمرّ عليهِ القطار فوق نهرٍ عميق فلما بلغهُ اخذ المنديل الموضوعة فيهِ الحلى والقاهُ الى وسط النهر واذ ذاك سُرّي عنهُ قليلاً وتحقق انهُ قد انتفت عنهُ كل شبهة . ولما وصل الى قصرهِ في باريز سجن نفسهُ في غرفتهِ غير ان ضميرهُ لم يكن يريحهُ دقيقةً من التبكيت فبات عرضةً للوساوس والافكار المزعجة وكثيراً ما همّ بالانتحار تخلصاً من تعب فكرهِ . وآخر الامر اخذ رسالة اوغست وكتب تحتها رسالةً الى اوجيني يعلمها بالامر على جليتهِ وانهُ اصبح ملعوناً من السمآء والارض

وسيسافر الى اقصى العالم حيث يموت منسياً وارسلها اليها . ثم انهُ نهض واخذ بعض ما يحتاج اليهِ وسار الى محطة القطار عازماً على مهاجرة بلادهِ فلم يشعر الا ويدٌ حديدية قد قبضت عليهِ وسمع صوت قائلٍ يقول اتبعني يا حضرة الكنت دوفيم فالعدل محتاجٌ اليك . فاصفرّ الكنت وسقط الى الارض مغشياً عليهِ فرفعهُ الرجل وكان هو الشرطي المذكور ووضعهُ في عربةٍ ونقلهُ الى ريمس . وكان في صباح اليوم الثاني موعد انفاذ الحكم في اوغست فاخبر الشرطي الحكومة بان اوغست بريء وان الجاني هو الكنت وقدّم على ذلك البيّنات الناصعة وفي جملتها منديل الكنت وفيهِ الحلى وعليهِ اسمهُ وكان الشرطي قد التقطهُ حين القاهُ الكنت من نافذة القطار . ولما استُنطق الكنت اقرّ بما فعل فصدر عليهِ الحكم بالاعدام وقبل انفاذ الحكم طلب ان يكتب وصاتهُ الاخيرة فاوصى بجميع اموالهِ واملاكهِ لاوجيني للتكفير عما جنى عليها

ولما أُفرج عن اوغست وكانت رسالة الكنت قد بلغت الى اوجيني اسرعت للحال واقبلت الى اوغست فألقت بنفسها على قدميهِ تطلب الصفح وقد علمت خطأها الجسيم وعلم اوغست ان ما اتتهُ لم يكن الا عن غرورٍ سطا على فؤادها الطاهر فاقترن بها وقضت حياتها معهُ وهي اوفى لهُ من نفسهِ وأحنى عليهِ من ضلوعهِ وأطوع لهُ من بنانهِ

التعريب

(تابع لما قبل)

تقدم لنا في الجزء الخامس عشر كلامٌ مجملٌ في التعريب يتحصل مما نقلنا فيه ان لهم في الالفاظ الدخيلة طريقين احدهما ان تُبدَل الحروف التي ليست من حروفهم باقربها مخرجاً « لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منهُ » وهو المنقول عن سيبويه وجمهور علماء الادب . والثاني ان تُحكى الكلمات الاعجمية على اصل مخارجها « لئلا تغيّر لغة القوم » وهو ما جاء في كلام ابن خلدون . وظاهر هذين القولين انهما على طرفي نقيض ولكن ليس الامر كذلك لان كلاًّ منهما خاصٌّ بفريقٍ من الالفاظ الدخيلة لا يتناول الفريق الآخر . وذلك ان القول الاول انما هو في الالفاظ الاعجمية التي يراد الحاقها بالاوضاع العربية حتى تصير كأنها منها وهو التعريب بحدّهِ لان هذه الالفاظ لا بدّ ان تكون عُرضة للتصريف من التثنية والجمع والتصغير ولدخول الالف واللام عليها وغير ذلك فيقبح ان تجري هذه الاحكام المخصوصة بلغة العرب على لفظٍ لا يجانس النطق العربيّ . وهي اكثر ما تكون من اسماء الاجناس نحو الابريق والاستبرق والديباج والباشق والفيروز والصولجان والبنفسج والدرهم والدينار وما جرى هذا المجرى . والقول الثاني انما هو في الالفاظ الاعجمية التي يراد حكاية لفظها دون التعبير بها عن مدلولها الوضعي ولا قصد الحاقها بالاوضاع العربية وذلك كاسماء الاعلام التي انما يُعرَف مسمّاها باللفظ الموضوع لتمييزهِ فاذا غُيّر لفظها ذهب منهُ ذلك

التعيين ولم يبقَ سبيلٌ الى معرفة مسمّاهُ . وانظر في هذا الى الاسماء التي نقلتها العرب عن اللغات الاعجمية فحرّفتها حتى ان كثيراً منها يشكل ردّهُ الى اصلهِ وكذلك نجد من الاعلام العربية ما غيرتهُ الاعاجم حتى التبس وأحوج الى الاستدلال عليهِ بالقرائن . فمن الاسماء التي غيرتها العرب نحو يحيي في يوحنا وقابيل في قايين وعيسى في ايسوس(١) وطالوت في جُليات وبختنصَّر في نبوخذنصَّر والضحّاك في ده آك ونحو الاشكري في لسكاريس وشُمُشقيق في زيميساس وسجسطيلوس في سكستيليس واشبيلية في سڤيلاّ او هِسپاليس وطُليطلة في تولادا والبندقية في ڤينيسيا وهلمَّ جرًّا. ومما غيرهُ الاعاجم قولهم افرُّواي في ابن رُشد وافيسان في ابن سيناء وأبدَرام في عبد الرحمن وأمُورات في مراد وابولكازيس في ابي القاسم (الزُهري) وأفَنزُوير في ابن زُهر وألبومازار في ابي معشر والهَمبْرا في الحمراء والكازار في القصر والأَلْجري في الجزائر وبَسُّورا في البصرة الى غير ذلك . وقد عثرنا على اسم واحدٍ من اكابر علماء الهيئة من اهل شمالي افريقيا سمّوهُ ألپتراج (Alpétrage) لم يتجه لنا ان نردّهُ الى اصلهِ العربيّ وهو فيما ذكروا اول من انكر على بطليموس مسئلة الافلاك المتداخلة بين خارج المركز وتدوير وغير ذلك قيل وقد خطر لهُ رسمٌ للافلاك غير الذي كانوا عليهِ الى عهده ثم لم يوفَّق الى ان يشهرهُ فبقي نسياً

---

(١) زعم بعضهم ان عيسى مقلوب عن يسوع من باب القلب المكاني بان نقلت العين الى اوله ثم قلبت الواو الفا في تعليل طويل ليس هنا محلهُ والصواب ما ذكرناه . وايسوس هو تحريف يشوع باليونانية تركوا آخرهُ في التعريب لانهُ من الزيادات العارضة ثم تصرفوا في باقيهِ

منسياً حتى جهر بهِ كوبرنيكس

ويذهب مذهب الأعلام في ذلك الكلمات الاعجمية التي يُقصَد حكاية لفظها عند اهلها دون نقلها الى العربية وادراجها بين الفاظها وذلك كما اذا اردت ان تحكي لفظة التورڤيل مثلاً على ما يُنطَق بها في اللغات الافرنجية فلا يجوز ان تقول فيها توربيل ولا تورفيل اذ المقصود تصوير لفظها كما ينطق بهِ اهلها وهي ليست عندهم بالبآء ولا بالفآء فلا بدّ من تصويرها بحرفٍ يلفظ بين البآء والفآء وهو ما اصطلح الكتاب اليوم على ان يرسموهُ بآءً منقطةً بثلاث نقط على ما سيجيء وبذلك تجري هذه الالفاظ مجرى الاعلام لانها من باب الاعلام اللفظية المعروفة عند النحاة . ولا شك ان ما ذكرناهُ في هذين النوعين هو الذي حدا ابن خلدون على ايجاب تصوير اللفظ الاعجمي بصورتهِ وحينئذٍ فاللفظ لا تعريب فيهِ ولا يسمى معرَّباً وانما هو اعجميٌّ كما سبق التنبيه عليهِ من عبارة المصباح . وكذا ما غيرتهُ العرب من مثل الاعلام التي مرّ ذكرها لا يدخل في باب المعرَّب ايضاً وان غيروا بعض مقاطعهِ وانما هو اعجميٌّ محرَّف ولا يخرج عنهُ ما جاء فيهِ شيءٌ من شبه التعريب كقولهم الضحّاك ويحي وسُليمان ويعقوب وعزَير وغير ذلك مما وافق اللفظ العربيّ لان المعرَّب هو ما نُقل بمعناهُ وليس المعنى هنا ملحوظاً في شيء من هذه الالفاظ لان الاعلام لا يراد منها مدلولها اللغويّ على ما سبقت الاشارة اليهِ

على ان هذه الاسمآء اليوم من اصعب الاشيآء مراساً على المعرّبين لكثرة ورودها في الكتب والجرائد واضطرارنا الى نقلها في معرّباتنا ولا تكاد

تجد اسماً منها يتأدى على حقهِ لكثرة ما يدور فيها من المقاطع التي لا وجود لها في لساننا . واعظمها اشكالاً امر هذه الحركات عندهم التي يعبرون عنها بالاحرف اللينة فان عندهم خلا الحركات الثلاث التي عندنا حركاتٍ مركبة يلفظ بها بين بين كالحركة التي بين الضم والفتح (o) والتي بين الكسر والفتح (e) وبين الضم والكسر (u) والجامعة للحركات الثلاث (eu) ولبعضها كيفيات تتشكل بها الحركة الواحدة على انحاء مما ليس عندنا علامةٌ لشيء منهُ . وكنا قد وضعنا لهذه الحركات رموزاً تدل عليها بطاب بعض ارباب المطابع ولا بأس ان نصوّرها في هذا الموضع لعلها توافق استحساناً من اصحاب هذا الشأن فيستعينون بها في مواطن الاشكال ولا سيما في كتب التعليم التي يُقصَد فيها تصوير اللفظ الاعجمي بالحرف العربي فقد وقفنا على عدّة مؤلفات من هذا النوع ولم نكد نرى كلمةً قد صُوِّرت على حقها لانهم يعمدون الى تصويرها بحركاتنا وهي لا تؤدّي لفظها فربما قاربت بعض المقاربة وربما جاءت في نهاية البعد عن الصورة المقصودة

والطريقة التي جرينا عليها في ذلك تقرب من الوجه الذي ذكرهُ ابن خلدون اي ان يعبَّر عن اللفظ المتوسط بين حرفين برسم الحرفين مقترنين حتى يكون اللفظ ممتزجاً منهما فجعلنا علامة الحركة التي بين الضم والفتح (o) مركبةً من ضمةٍ وفتحةٍ مقترنتين هكذا ( ) والتي بين الكسر والفتح (e) من كسرةٍ وفتحةٍ هكذا ( ) والتي بين الضم والكسر (u) من ضمةٍ وكسرةٍ هكذا ( ) والجامعة للحركات الثلاث (eu) بمقارنة الحركات الثلاث هكذا ( ) . على ان هذا التركيب مما جرى عليهِ الاعاجم انفسهم

ايضاً فانهم قد يعبرون عن الضم الممال الى الفتح بالحرفين اللذين يتركب منهما فيرسمونهُ هكذا (au) وكذا الكسر الممال الى الفتح فانهم قد يعبرون عنهُ بهذين الحرفين (ai) وعلى هذا الاصل بنينا كتابتنا نحو جناي ولتراي بالفٍ ويآء بنآء على تركيب هذين الحرفين حتى ينشأ منهما حرفٌ متوسط بينهما فيلفظ كل ما جآء كذلك من كتابتنا بالامالة لا كما يلفظ ناي وفتاي مثلاً . وهذا هو السرّ في اعتمادنا هذه الصورة مما تواترت الينا اسئلة بعض الادبآء عنهُ دون الجري على ما درج عليهِ العامةّ وتبعهم فيهِ الخاصةّ من كتابة مثل ذلك بيآء وهآء اي بان يكتبوا مثل الكلمتين المذكورتين جنيه ولتريه فان هذا لا يفيد تصوير اللفظ الاصلي لان آخر لتريه مثلاً يجيء على هذه الكتابة كآخر سيبويَه فلا يكون هناك ما يريدونهُ من الامالة فضلاً عما فيه من زيادة حرفٍ لا وجود لهُ في الاصل وهو الهآء المزيدة آخراً . على انا نجد كل من كتب تراموای مثلاً يكتبها كذلك لا ترامويه ويلفظها بالامالة وهو ولا شك على تركيب الحرفين كما هو في اصل هجآئها الافرنجي ومن هذا ما اصطلح عليهِ في كتابة الباي لباي تونس وحقّ لفظهِ بالامالة لا كما يلفظهُ اكثر الناس بالفٍ ويآء صريحتين

واما سائر الحروف الصحيحة فقد كان ينبغي على مذهب ابن خلدون ان يُكتَب الحرف الذي بين البآء والفآء مثلاً فآء منقوطةً بنقطتين احداهما من اعلى الحرف والثانية من اسفلهِ او يُكتَب بآء منقوطةً كذلك وكذا الحرف الذي بين الفآء والواو ان يُكتَب واواً منقوطةً من اعلاها وكذلك هي تُكتَب في العبرية الا انهم يرسمون النقطة في جوفها

وهو مجرّد اصطلاحٍ لهم وليس في شيء من الاصل الذي ذكرهُ ابن خلدون . الا ان كتّابنا اصطلحوا ان يرسموا الاول بآءٍ منقوطةً بثلاث نقط والثاني فآءً منقوطةً كذلك وهو اصطلاحٌ لا بأس بهِ مع بعدهِ عن الالتباس . وبقي عندنا الجيم التي تلفظ بين الجيم والكاف وهذه منهم من يكتبها غيناً ومنهم من يكتبها كافاً وكلاهما يبعد بها عن اصلها واهل مصر يكتبونها جيماً لموافقتها للفظ الجيم عندهم الا ان هذا انما هو اصطلاحٌ خاصٌ كما لا يخفى وفيهِ فضلاً عن ذلك ان الجيم عند الافرنج لها لفظان احدهما هذا والآخر ان تلفظ من الشجر كما في جيرار (Girard) مثلاً وهناك جيمٌ اخرى هي التي في نحو جورنال (journal) وهذه عند من يلفظها جيماً شجريةٌ ابداً وحينئذٍ فلا بد من التمييز بين لفظٍ ولفظ والذي عندنا انهُ ينبغي ان تُرسَم الشجرية منقوطةً بنقطةٍ من اسفل وثلاث نقطٍ من فوق هي نُقَط الشين والتي بين الجيم والكاف يُرسَم فوقها همزة الكاف وفي هذا جريٌ على مصطلح ابن خلدون وان خالفهُ في نفس الرسم على ما مرّ في النقل عنهُ . واما رسم هذه الاخيرة بثلاث نقطٍ من اسفل كما رأيناهُ لبعضهم فغلطٌ لانها حينئذٍ تُلفَظ من مقطعٍ مركب من التآء والشين وهو لفظها الفارسي كما في چنبر ونحوهِ (ستأتي البقية)

قيل للصاحب بن عبّاد ما احسن السجع فقال ما خفّ على السمع فقيل لهُ مثل ماذا قال مثل هذا

﴿ المآء والجعة وشراب التفاح ﴾

قرأنا لبعض الاطبآء فصلاً في معنى هذه الاشربة الثلاثة والتفضيل بينها ولما كنا قد دخلنا في وقدة الصيف وكثر طلب الناس لما ينقع غلة العطش رأينا ان نحصل الفصل المذكور لما فيهِ من الفائدة قال

يكثر في هذا الاوان طلب الناس للاشربة فهم يجتزئون بكل نوعٍ من الشراب الا ان اجود هذه الانواع هو ابسطها وافضل ما يُختار من هذه المآء والجعة (البيرة) وشراب التفاح . على ان المآء هو افضل الاشربة على العموم وهو انما يكون ناجعاً اذا كان بارداً صافياً خفيفاً غير محجوب عن الهوآء خالص الطعم لذيذاً لا رائحة لهُ . ومن علاماتهِ ان ينضج البقول اليابسة انضاجاً تاماً ويحلّ الصابون من غير تقطيع

اما اصناف المآء فافضلها مآء الينابيع والآبار ويتلوهُ مآء المطر ومآء الانهار بشرط ان يصفَّى واما مياه الغدران والمستنقعات فهي رديئة . ولا بأس باتخاذ المآء الغازيّ (الكازوزا) مما أُدخل عليهِ الحامض الكربونيك طبيعيًّا او صناعيًّا فانهُ مقوٍّ قليلاً ومعين على الهضم . وكذلك المآء المحمَّض بعصير بعض الفواكه فانهُ مسكّنٌ للعطش لكن اذا أُفرِط منهُ فانهُ يثير السعال ويشوش الهضم

اما مقدار ما يُشرَب من المآء فلا ينبغي ان يكون فوق الحاجة كثيراً ولا دونها كثيراً ولكن معدَّل ما يكفي منهُ لترٌ في الاربع والعشرين ساعة ثم المآء البارد اذا أُخذ منهُ شيءٌ قليل قبل الطعام فهو من افضل

المنبهات للمعدة واما المآء المثلوج فقد يكون مؤذياً اذا شُرب منهُ مقدار كبير بمرةٍ واحدة ولا سيما في حال العَرَق او اذا كانت المعدة خالية . ولكي يُتحامى ضرر الاشربة المبرَّدة ينبغي ان تؤخذ جرعةً جرعةً مع التمهل او تُتناول بواسطة ممص . ومما يمنع ضررها ايضاً ان يقدَّم عليها شيءٌ من الطعام او تُعقَب بالمشي او الرياضة البدنية او يؤخذ بعدها شرابٌ حارٌّ من الاشربة العطرية كالشاي ونحوه

اما شراب التفاح فلا ينبغي ان يؤخذ قبل الاختمار لانهُ في تلك الحال يكون شاقّ الهضم بل ربما كان مسهلاً وقد يحدث عنهُ هيضةٌ او دوسنطاربة واما اذا اختمر فانهُ بما يحدث فيهِ من الخواصّ المنبهة يكون من افضل الاشربة الصحية الاّ انهُ لا تحتملهُ كل المعد وعلى الخصوص اذا كان حامضاً واذا أُكثر منهُ احدث التسمم الذي يحدث بالاشربة الكحلية وان لم يكن فيهِ من الكحل زيادة على ٢ الى ٤ ٪

واما الجعة فهي صنفان يعرفان بالجعة الخفيفة والجعة الثقيلة . اما الخفيفة فافضلها صنفان احدهما الذهبية والثاني البيضآء . والاولى تتضمن من ٢ الى ٣ ٪ من الكحل (السبيرتو) وهي صافية اللون قليلة الازباد واذا كان فيها المقدار الكافي من حشيشة الدينار فهي شرابٌ محمود . والثانية تتضمن من ٢ الى ٩ ٪ من الكحل ولا فرق بينها وبين التي قبلها الا في اللون

واما الجعة الثقيلة فتخالف الخفيفة بأن عصيرها يركَّز حتى يكون مقدار الكحل فيها اكثر . والجعة على اصنافها بما فيها من المادة المرّة الآحيّة (الالبومينية) والسكَّر وخلاصة النشآء من الاشربة المسمّنة وهي تسكّن

العطش وتنبه المعدة قليلاً الا ان من الناس من لا توافقهم ولا يستطيعون اعتيادها . وعلى كل حال لا ينبغي ان يُفرَط في تناولها لانها اذا أُخذت بمقادير كثيرة فعلت فعل غيرها من الاشربة الروحية

المرّاش ومينار

تقدم لنا في الجزء السابق نقل شيء من رسائل المرحوم عبد الله المراش يُفهَم منهُ السبب الذي دعاهُ الى نقد ترجمة مروج الذهب للاستاذ بربياي دمَينار وكان رحمهُ الله يبعث الينا بهذا النقد اجزآء متتابعة يكتبها بهيئة تعاليق مقتضَبة من غير توطئةٍ ولا شرح الا في القدر الكافي لأن يتناولهُ فهم اللبيب . وهذا نص ما كان يبعث الينا بهِ ننقلهُ بحرفهِ قال رحمهُ الله تعالى

المجلد الاول

(ص ٨) قال المسعودي « حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات ... مع سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر والبواطن والخفي الداثر وايقاظنا على ما يرتقبهُ المرتقبون ويتوقعهُ المحدثون » فظن الاستاذ ان المصنف قال « ما يرتقيهِ المرتقون » فطبع كما ظن وترجم هكذا

Nous y avons éveillé l'attention du lecteur sur les conjectures de ceux qui *remontent* le cours des ages pour étudier le passé et sur les prévisions de ceux qui interrogent l'avenir ...

ولا اظن ان « الصعود في مجرى القرون الماضية للاطلاع على ما غبر »

من المعاني التي تخطر ببال رجلٍ مثل المسعودي وعلى فرض انهُ خطر بباله هذا المعنى فلا اظنهُ يعبر عنهُ بهذا القالب

(ص ٧٢) ورد في هذا الموضع لفظ « التحزب » (بين افراد الامة بمعنى الانقسام) فقرأهُ « التحرُّب » وكأنهُ ظنهُ بمعنى الحرب فطبعهُ كذلك وترجمهُ بلفظ guerre والصواب discorde

(ص ١١٨) « السامرة تزعم ان التوراة التي في ايدي اليهود ... حُرّفت وبُدّلت » . فقرأ الاستاذ « حرُقت » بالقاف مكان « حرُفت » بالفاء وترجم هكذا a été brulé

(ص١٣٣) « قال شاعرٌ من حِميَر

وكسونا البيت الذي حرَّم اللهُ مُلاءً منضَّداً وبرودا

والبرود جمع بُرد وهي بالفرنسوية vêtements en étoffe rayée فترجمها الاستاذ franges ومعناها الاهداب

(ص ١٣٥) « رحم الله قُسّاً اني لارجو ان يبعثهُ الله امةً وحدهُ » فقرأ استاذنا « امةً وحدةً » وطبع وترجم كما قرأ

(ص١٩٠) « العاجل والآجل» le présent et l'avenir فترجم الاستاذ هذين اللفظين هكذا marche plus ou moins rapide

(ص١٧٤ و١٧٦ و١٧٧) ورد هنا ذكر ما كانت بعض الامم تصنعهُ من « لَبِن الذهب » تذكاراً لملوكها فترجم استاذنا «اللَبِنة» بقولهِ une barre اي عارضة وشتان بين اللبنة والعارضة والصواب une brique

(ص١٩٩) « الطغمات » من مراتب ارباب الدين عند النصارى الا

إن الاستاذ لم يفهم معناها فقرأها وطبعها « الطعأت » بالعين المهملة واسقاط الميم وصوَّر اللفظة بحروف لغتهِ هكذا attaat

(ص٢٢٧) « قال الشاعر

بقَرْدَى وبازيدى مصيفٌ ومربعٌ   وعذبٌ يحاكي السلسبيل بَرُودُ
وبغـداد ما بغـداد اما ترابهـا   فجمـرٌ وامـا حرُّها فشـديدُ »

فاشتبهت على الاستاذ ضمة الدال من القافية بالهآء فقرأ وطبع « برودهُ » « فشديدهُ » . وهذا غريبٌ ممن يزعم انهُ احاط بكل شيء علماً

(ص٢٤٦) هنا عدد المسعودي انواع المياه فلما انتهى الى النوع الثالث قال انهُ المياه التي يكون الغالب على مياهها (والصواب على ارضها) التخلخل الا انها (وصوابهُ لانها) اذا كانت ارضها متخلخلة نفذ المآء منها الى غيرها من البحار » . فلم يفهم الاستاذ معنى تخلخل الارض فترجم هكذا

Troisièmement enfin, celles dont les *côtes sont coupées par de fréquentes interruptions* ; leurs eaux n'étant pas resserrées par des barrières continues , pénètrent dans d'autres mers.

وكان الوجه ان يقول celles dont les lits ou les sols *manquent de solidité*.

(ص٢٥٤) « وكان لملكٍ اسمهُ بانيا عنايةٌ بالمناظرة مع من يرد الى بلدهِ من المسلمين وغيرهم » فترجم استاذنا هكذا

Ce Bania traitait avec la plus grande faveur les musulmans et les sectateurs d'autres religions qui arrivaient dans son pays.

فجعل عناية الملك بالمناظرة عنايةً بالاشخاص مع انهُ تقدم من الكلام

ما يدل على انهُ كان مولعاً بالمجادلات العلمية لا بالاشخاص

(ص ٣٨٥) ذكر المسعودي ان الكركدن « اكثر عظامهِ صُمٌّ » يريد انها مصمتة غير جوفاء فقرأ استاذنا « ضُمٌّ » وكانهُ فهم ان معناها متضامة فطبع وترجم هكذا

La plupart de ses os sont *comme soudés ensemble*

المجلد الثاني

(ص ٧١) « جبل اللكام » طبعهُ بالعربية وصوَّر لفظهُ بحروف لغتهِ هكذا « جبل الأكام »

(ص ٨٤) « ورق التنبول اذا مُضغ شدَّ اللثة وقوَّى الاسنان وهو يكون عند الصيادلة للورم وغيرهِ » . فقرأ الاستاذ « يكون عند الصيَّاد لهُ » فطبع وترجم هكذا

Les *chasseurs* l'emploient contre le gonflement et les autre affections de ce genre.

(ص ٨٩) ذكر المسعودي هنا قصة الطائر الذي نجى الملك فراخهُ من الحية وانهُ جاء يوماً بثلاث حبات (من حبّ العنب) فالقاها بين يديهِ فقال لهُ حكيمٌ من جلسائهِ « ايها الملك ينبغي ان يودَع هذا النبات ارحام الارض فانها تخرج كنه ما فيهِ ويُوقَف على الغاية منهُ واداء ما في مخزونهِ ومكنونهِ » . وكأن الاستاذ قرأ كلمة « اداء » بالذال المعجمة وفهم انها من معنى الاذية فترجم هكذا

O roi, il faut confier ces grains au sein de la terre, qui en fera sortir les propriétés cachées, en sorte que l'on puisse apprécier en toute connaissance de cause ce qu'ils contiennent d'utile ou de *nuisible*.

(ص ١٢٠) ذكر مناقصة سُعدَى وهي زوجة واحد من ملوك الفرس عشقت ابن زوجها وراودتهُ عن نفسهِ فابى « فاغرت بهِ اباهُ فابعدهُ » وهي قصةٌ مشهورة في تواريخ الفرس ولا ينبغي ان تعزب عن علاّمةٍ كالاستاذ. الا انهُ لما بلغ منها الى حيث يقول المسعودي « فأغرتهُ بولدهِ » ترجمهُ هكذا elle lui donna un fils فأحال المعنى وعكس القصة الى غير المراد منها لان الولد لم يكن منها بل من امرأةٍ غيرها كما هو ظاهر

(ستأتي البقية)

القرن والذَبل

الذَبل بالفتح عظم ظهر السلَحفاة ويُعرَف ما يُصنَع منهُ بالباغة وهو لفظٌ فارسيّ . وهذان الصنفان اي القرن والذَبل يُصنَع منهما ادواتٌ شتى للانتفاع والزينة كالحُقق والامشاط والاسورة وغيرها وكلاهما من نوامي البشرة بمنزلة الشعر والصوف والريش والاظفار والحوافر وما اشبه ذلك .

وهذه الموادّ كلها تنحلّ في المآء اذا لبثت فيهِ مدةً وكانت حرارتهُ فوق درجة المئة وتنحلّ ايضاً في محلول البوتاس بارداً او حارًّا فيكون ما انماع منها اصفر اللون واذا مُزج بشيءٍ من الحوامض رسب منهُ راسبٌ ابيض . واذا أُنقعت في الحامض الكبريتيك المركَّز انتفخت وانحلّ منها قسمٌ كبير وكذلك الحامض النتريك الحارّ يحلها ويلونها بالصفرة والحامض الهدركلوريك يحلّها ويلوّنها بزرقةٍ بنفسجية

اما كيفية صنع الادوات المذكورة من هاتين المادتين فان القرن بما

ذكر لهذه المواد من الخصائص قابل لان يشكل بأي شكل اريد ويلوّن بجميع الالوان ويُصقَل صقالاً تاماً . وهو يليّن بالحامض الخليك فيربو وينتفخ ولكن لا ينحل واذا أُريد اكسابهُ ليناً ومرونة ثابتين أُنقع في مغطس مركب من لترٍ من الماء و ٣ ألتار من الحامض التريك ولترين من الحامض الخشبي (acide pyroligneux) و ٣ كيلغرامات من العفص وكيلغرامين من ثاني طرطرات البوتاس و ٥ كيلغرامات ونصف من من كبريتات الزنك . وبعد ان يمكث في هذا المغطس عشرة ايام يُرفع منهُ ويشكّل بالاشكال المطلوبة ثم يُرَدّ الى المغطس نفسهِ فيُترَك فيهِ عدة ايامٍ اخر فيصير تامّ اللين والمرونة ولا يتغير عن ذلك

وفضلاً عما ذُكر من قبول القرن لان يلين بالذرائع المذكورة فانهُ قابل الالتحام من نفسهِ بتعريضهِ للحرارة فاذا صار في حالة اللين المطلوبة جُعِل في قوالب مختلفة الاشكال ثم ضُغِط ضغطاً شديداً فيتشكل بشكل تلك القوالب . وهي قد تكون ذات اشكالٍ تامة فتخرج الادوات منها كاملة الصنعة وقد تكون ذات اشكالٍ ناقصة من صنائع وغيرها معَدّة لان تركَّب على الاشكال المطلوبة فتتمُّ صنعتها بالمبراة والمنشار وغيرهما من الآلات ثم تُصقَل

واما تلوينهُ فانهُ يلوَّن بالاملاح المعدنية فاذا كان لونهُ الطبيعي غير مستحسن لُوّن بالسواد فيكتسي شبهاً من الجلد المعروف بجلد الجاموس ويتمّ ذلك بان يُطلى بمعقودٍ يتخذ من الكلس المطفأ والمينيوم وهو ثاني اكسيد الرصاص يُغلَيان في قليلٍ من الماء فيتركب عليهِ كبريتور الرصاص

وهو اسود اللون ثم يُغسَل بمآء فيهِ شيءٌ من الحامض الخليك فيكون مُعدًّا للصقل . الا ان هذه الصبغة قد يعرض عليها التغيُّر برطوبة الهوآء فتبقع بُقَعاً بيضاً ولذلك تُختار لهُ صبغةٌ اخرى هي اكثر نفقةً الا انها ثابتة وهي ان تُقَع الادوات المراد صبغها في محلول من نترات الزئبق مدة اثنتي عشرة ساعة ثم تُغسَل بمآء كثيرٍ وبعد ذلك تُجعَل مدة ساعتين في محلول خفيف من كبريتور البوتاسيوم فيتركب عليها كبريتور الزئبق وهو اسود اللون

على انهُ بعد تلوين القرن بالمينيوم على ما ذُكر يمكن ان يلوَّن بلونٍ ابيض لبنيّ بان يُطلى بمدُوف الحامض الهدركلوريك المركز فيتركب هناك كلورور الرصاص وحينئذٍ فالقرن المبيَّض بهذه الطريقة يمكن ان يقبل جميع الالوان

اما الذَبل فيُصنَع كما يُصنَع القرن الا انهُ يترَك على لونهِ الطبيعي لجمالهِ وقلما يُصنَع منهُ الا ادوات الترف والزينة لانهُ اغلى من القرن كثيراً . ثم انهُ مما تنفرد بهِ الادوات المصنوعة من هاتين المادّتين انها سهلة الاصلاح اذا عرض لها شيءٌ من العطب لانهما تلينان في المآء الحارّ وتلتحمان بسهولة وليس كذلك الادوات المقلَّدة المتخذة من الهلام على ما توصلوا الى صنعهِ منذ سنوات . ولتمييز الادوات القرنية والذَبلية من الادوات الهلامية يكفي ان تُفرَك القطعة منها باليد فان كانت من الهلام اشتُمّت منها رائحة كافورية وان كانت من القرن او الذَبل كانت لها رائحة خفيفة تشبه رائحة الجلود

مُتَفَرِّقَات

النبات الكهربآئي — من المشهور ان بعض اصناف الاسماك كالصنف المسمى بالرعّاد قد رُكِّب فيها جهازٌ مخصوص تنبعث عنهُ الكهربآئية حتى ان بعضهم امتحن قوة المجرى فيها فوجد انهُ يُحدِث الشرارة ويحرف ابرة الكلفانومتر ويمغنط قضبان الفولاذ (الصلب) وينشأ عنهُ تحليلاتٌ كيماوية

وقد ظهر من امتحانات احد علمآء الطبيعة ان بعض الازهار الحساسة ذات اللون الاصفر اللهبيّ لا تخلو من مفاعيل كهربآئية كالتي في الرعّاد وذلك انهُ رأى على بعض تلك الازهار وميض نورٍ ضعيف ولكي يُثبِت ان ذلك لم يكن منهُ عن وهمٍ او خطإٍ في الحسّ اقام رجلاً بجانبهِ واوعز اليهِ انهُ اذا ابصر الوميض يشير اليهِ بعلامةٍ تدل على ذلك فظهر لهُ انهما كانا يريان النور في وقتٍ واحد

وقد تبين لهُ ان هذا النور يكون اشدّ ظهوراً كلما كان لون الزهرة فاقعاً وكان اكثر ما يرى هذا الوميض يتتابع مرتين او ثلاث مرات متداركة ثم ينقطع فلا يُرَى الا بعد عدة دقائق . قال وكان ذلك يُرَى في شهرَي يوليو واوغسطس بعد مغيب الشمس بنصف ساعة اذا كانت الريح راكدة والهوآء جافًا

وقد امتحن مصدر هذا النور هل هو عن الزهرة نفسها او عن

حيوينات متعلقة بظاهرها ففحص الزهرة باقوى المجاهر (المكرسكوبات) فلم يظهر لهُ ان هناك حيواناً وبناء عليه ثبت عندهُ انهُ لا بد فيها من وجود شيء من الكهربائية ناشئ عن جهاز خاص في الزهرة يشبه تركيب اجهزة الرعاد اي مؤلف من اغشية عديدة في منتهى الدقة منضدة بعضها فوق بعض بحيث يتألف منها شبه رصيف كهربائي وهذه الاغشية يتخللها سوائل مختلفة الطبائع هي العناصر العاملة فيها على حد ما هو الحال في الرعاد

* * *

فائدة البكآء — نقل عن احدى المجلات الانكليزية هذه الفائدة الغريبة قالت

ذكر الدكتور كامبل ان في البكآء عدة فوائد للصحة منها ان ما يصحبهُ من الصراخ يؤثر على الجهاز العضلي بما يحدث من التشنج في الجسم برمته فيكون للعضل حظٌّ كبير من الرياضة ينشأ عنهُ ازديادٌ في امتداد النفَس وتقوية لدورة الدم وبذلك يتحول ضغط الدم عن الدماغ . وكذلك انطلاق الدمع يسهّل الدورة الدماغية كما ان الحركات التنهدية يكون لها تأثير محمود في الدورة الوريدية . وما يعقب ذلك كلهُ من الفتور والاعيآء يكون مجلبةً للنوم وهو من افضل الذرائع لتجديد قوى الجهاز العصبي . قال — والمعهدة عليهِ — فاذا رأيت المرأة مضطربةً واعجزك تسكين اضطرابها فافضل ما تعالجها به ان تحملها على البكآء فانهُ انجع كثيراً من العقاقير المنوّمة .....

احصآء الغنم في الارض — اثبتت احدى المجلات الزراعية الانكليزية احصآء الغنم في كل واحدةٍ من المالك للسنة الماضية فكان على ما يأتي

في استراليا	١٠٣ ٠٠٠ ٠٠٠	في ايطاليا	٦ ٩٠٠ ٠٠٠
« الجمهورية الفضية	٧٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« بلغاريا	٦ ٨٦٨ ٠٠٠
« روسيا اوربا	٤٤ ٤٦٥ ٠٠٠	« پولونيا	٣ ٧٥٥ ٠٠٠
« الولايات المتحدة	٣٧ ٦٥٧ ٠٠٠	« النمسا	٣ ١٨٧ ٠٠٠
« فرنسا	٢١ ٤٤٥ ٠٠٠	« السرب	٣ ٠٩٤ ٠٠٠
« الهند الانكليزية	١٦ ٨٧٥ ٠٠٠	« كندا	١ ٦٩٠ ٠٠٠
« اورُغواي	١٦ ٣٩٧ ٠٠٠	« نروج	١ ٤١٧ ٠٠٠
« رأس الرجاء	١٤ ٠٠٠ ٠٠٠	« اسوج	١ ٢٩٨ ٠٠٠
« اسبانيا	١٣ ٣٥٩ ٠٠٠	« الدنمرك	١ ٢٤٦ ٠٠٠
« المانيا	١٠ ٨٦٦ ٠٠٠	« هولندا	٧٠٠ ٠٠٠
« هنكاريا	٨ ١٢٢ ٠٠٠	« سويسرا	٢٧٢ ٠٠٠
« في الجزائر	٧ ٤٣٥ ٠٠٠	« البلجيك	٢٣٦ ٠٠٠

علاج الدوار البحري — رفع الدكتور دوترمبلاي الى الندوة الطبية بفرنسا تقريراً ذكر فيهِ انهُ وُفق الى علاجٍ مسكّن للهُدام او الدُّوار البحري امتحنهُ بمساعدة الدكتور برْدريولا طبيب احدى الشركات البحرية وذلك بتنشيق الاكسيجين النقي المضغوط

وقد بنى هذا العلاج على ما ارتأى من ان السبب فيما يجدهُ صاحب

الهذام من الانحراف وما يتلوهُ من الاعراض كالصداع والقيء والبرد وغير ذلك ناشئ عما تحدثهُ حركة البحر من اضطراب الاحشاء وتقلص الحجاب الحاجز فوجد بالاختبار ان انتشاق الاكسجين في هذه الاحوال ذو نفعٍ بيّن سريع ينقطع بهِ الغثيان والقيء للحال ويشعر العليل بعدهُ بارتياح وسكينة وميل الى النوم وبعد ان يكون النفَس قصيراً متتابعاً يعود الى الانتظام ويرتفع النبض ويزول الصداع

اما طريقة تنشق الاكسيجين فينبغي ان يكون بتنفسٍ طويلٍ غائرٍ ذي فتراتٍ مرتبة والقدر الكافي منهُ يكون من ٣٠ الى ٤٠ لتراً وينبغي ان يُتنفس من الفم وحدهُ مع سدّ الانف بحيث لا يُتنشق الا الاكسيجين

اسئلة واجوبتها

القاهرة — سمعت ان صنفاً من النحل اذا لسع يموت لوقتهِ فكيف ذلك وهل لهذا الامر من صحة　　　حنا الياس المريان

الجواب — الظاهر ان ما ذكرتموهُ عامٌّ في كل اصناف النحل ويقول المعانون لتربية هذا النوع ان النحلة اذا لسعت لم تعش بعد ذلك الا ثلاث او اربع ساعات ثم تموت وسببهُ ان حُمتها اي ابرتها تنشب في جلد الملسوع فلا تستطيع اخراجها منهُ فاذا طارت بقيت الابرة في مكانها وخرج معها شيءٌ من امعائها فلا تلبث ان تموت

ولما ذُكر فاول ما ينبغي صنعهُ في معالجة الملسوع ان تُنزع الحُمَة من جسمهِ ثم يُدهن موضعها بزيت او يُنضح بماءٍ بارد فيهِ شيءٌ من الحوامض

المنصورة — ورد في سفر التكوين (٣٠ : ١٤ — ١٦) لفظة «اللفاح» والظاهر انهُ اسم نبات فما كان هذا النبات وما خواصهُ مستفيد

الجواب — اللُفاح ثمر نباتٍ يقال لهُ اليبروح لهُ جذرٌ ضخمٌ مستطيل مغزليّ الشكل ابيض اللون وورقهُ كبير اهليلجيّ مجعد الاطراف ينبسط حولهُ على الارض ولهُ زهرٌ ابيض الى الحمرة يخرج من الجذر رأساً وثمرهُ كاصغر التفاح شحيمٌ رخوٌ يصفرّ اذا نضج ولهُ رائحةٌ حادّة واكثر ما ينبت في الادغال وعلى شواطئ الانهار . وهو سامٌ مُسبت وقد جاء في التاريخ ان انيبال استعان بهِ في احدى وقائعهِ مع ثوّار افريقيا فاتخذ براميل من الخمر جعل فيها جذر اللفاح وبعد ان ناشبهم حرباً خفيفة انهزم من وجوههم وترك تلك البراميل فلما شربوا منها اخذهم سكرٌ وسبات عميق فارتدّ عليهم واهلكهم بدون قتال

وهذا النبت اصنافٌ منها البرّي ويعرف باليبروح الصنميّ لان جذرهُ شبيهٌ بصورة انسان ولذلك جعلهُ فيثاغورس مقدَّساً . قال في تاج العروس ومنهُ ذكرٌ وانثى ويسميهِ اهل الروم عبد السلام قال وقد عرّفهُ شيخنا بتفاح البرّ ونسبهُ للعامة . اه . وذكرهُ ابن البيطار تحت عنوان سراج القطرب فنسب اليهِ اموراً عجيبة نسوق بعضها في هذا الموضع للتفكهة قال ما نصهُ * التميمي في كتاب المرشد * هو اليبروح الوقاد ويسمى شجرة الصنم وهذه

الشجرة هي سيدة اليباريح السبعة (؟) وزعم هرمس انها شجرة سليمان بن داود التي كان منها فص خاتمهِ وبها كان يصنع العجائب وكانت تنقاد لهُ بها ارواح المَرَدة ... قال وهذه الشجرة مباركة نافعة لكل داء من جِنّة وخبل ووسواس وتنفع لكل داء من الادواء الكبار كالفالج واللقوة والصرع والجذام والتولة وكثرة النسيان .. ويزعمون ان قلعها يُستصعَب على من يريدهُ وذلك انهُ يحتاج في بدء الامر ان يكون قد احكم الاختبار لوقت قلعها وعرفهُ فلا يقصدها عازماً على قطعها حتى يكون المرّيخ مسعوداً مستقيماً في سيرهِ وهو في احد بيوتهِ ... قال واما اصحاب الاعمال البرّانية فيزعمون انهُ لا يمكن قلعهُ الا ان رُبط في عنق كلبٍ قد جُوّع يوماً وذلك بعد ان يخلخَل ما حولهُ من التراب ولا يبقى الا على عروقٍ دقاق ثم يتباعد الرجل منهُ ويصيح بالكلب فان الكلب اذا جذبهُ متحاملاً نحو صاحبهِ قلعهُ ويزعمون حينئذٍ ان الكلب يسقط ميتاً . اه

وجاء في آخر كلامهِ ما نصهُ وقال الشريف الادريسي سمي هذا الدواء سراج القطرب لان القطرب هو الدويبّة التي تضيء بالليل كانها شعلة نار .. وقشر عود هذا النبات اذا اظلم عليهِ الليل اضاء منهُ باطنهُ ما دام رطباً حتى يخيَّل للناظر انهُ نار واذا جفّ بطل فعلهُ واذا جُعل في خرقةٍ مبلولة بالماء وتُرك فيها عادت اليهِ رطوبتهُ فيسرج فاذا جفّ بطل . اه . فان صح هذا فلا يبعد ان يكون من قبيل ما ذكرناهُ في هذا الجزء عن النبات الكهربائي والله اعلم

قلنا وقد اتفق لنا ان رأينا مرةً جذراً من هذا النبات بصورة امرأةٍ

معها طفلان احدهما الى جانبها والآخر على صدرها وكان عليهِ اثر ترابٍ محمرّ فتأملناهُ فوجدنا فيهِ اثر الصنعة ظاهراً ولا سيما في اليدين والوجه . وما ذُكر من حديث قلعهِ بواسطة الكلب لا يزال الى هذا اليوم ذكرهُ لنا بعض المخالطين لجلّابهِ على الصورة المرويّة هنا ويزعمون انهُ متى قلع صاح متوجعاً بصوتٍ منكر . واما خواصّ ثمره الذي هو اللفّاح المذكور في التوراة فمفهومةٌ من الحديث الوارد هناك فلا حاجة الى بيانها هنا

الجيزة (مصر) — عثرنا في احدى الجرائد الكبرى على جملةٍ لم نفهم معناها وهي قول القائل « لا تأخذ هذا الامر على عواهننا » فما معنى هذه العبارة
مشترك

الجواب — هي من الكلام الذي لا معنى لهُ سوى الدلالة على جهل الكاتب واخذه اللغة بالمجازفة وانما هي مثل قول بعضهم « حباحب الكاس » وقول الآخر « احمر يقق » وامثال ذلك مما نرى منهُ كل يومٍ في الجرائد والكتب ما يضحك لهُ غلمان المكاتب . ونحن لا نعجب من سقوط هؤلاء الكتاب في مثل هذه الترّهات ولكن العجب من تهافتهم على استعمال هذه الالفاظ من غير ان يستثبتوا معانيها مع ان ذلك مما لا يكلفهم نفقةً ولا تعباً . وقد ارسل الينا منذ ايام احد الاصحاب المسافرين يسألنا ان نبعث اليه بمعجمٍ (قاموس) مختصر يستعين بهِ على تحقيق بعض الالفاظ فاشترينا لهُ نسخةً من مختار الصحاح

بار بعة غروش لا غير

ومثل هذه الالفاظ اكثرها واردٌ في الكتاب المذكور ولا حاجة بكاتب الجريدة او معرّب الرواية الى لسان العرب ولا الى تاج العروس . فما ضرَّ هؤلاء الكتبة لو بذل الواحد منهم مثل هذا الثمن التافه يشتري بهِ صحة عبارتهِ ويكفي نفسهُ سماع التفنيد مرةً بعد اخرى فيما لا يكلفهُ بعد اداء هذه القيمة اليسيرة الا نظرةً في اليوم او في الاسبوع لا تجاوز دقيقة من الوقت ان طالت

آثار ادبيّة

بوليس لندن — هو عنوان رواية لطيفة انكليزية الاصل عرّبها حضرة الاديب نسيب افندي بدر (ب . ع) من متخرجي المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت وهي من سلسلة روايات ادبية عزم على متابعة تعريبها وإطراف القرّاء بها فنحث جمهور الادباء على اقتناء رواياتهِ ونرجو لها مزيد الرواج

تقويم المؤيَّد — اهديت لنا نسخةٌ من هذا التقويم لسنة ١٣١٨ الحاليّة تأليف حضرة الكاتب البارع محمد افندي مسعود احد منشئي جريدة المؤيد الغرّاء وهو يشتمل على فوائد فلكية وتاريخية وجغرافية وطبيعية وزراعية وطبية وسياسية وغيرها وفيهِ عدة رسوم لمشاهير العصر من ملوك وساسة وقوّاد وهو اول تقويم طُبع في لغتنا بهذه الهيئة . فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل لما اتحف بهِ القرّاء من هذه الطرفة النفيسة

ونتوقع لتقويمهِ هذا ان يتلقى بما هو جديرٌ بهِ من الرغبة والاقبال

الاخاء — وردنا العدد الاول من جريدةٍ بهذا العنوان لحضرة صاحبها الاديب محمود افندي كامل كاشف يرأس تحريرها حضرة الفاضلين احمد افندي محرَّم واحمد افندي الكاشف . وقد تصفحنا هذا العدد منها فوجدناهُ حسن الاسلوب رائق المشرب وقد أُفرد فيهِ قسمٌ لنشر الشعر العصري والمقالات الادبية اطلعنا فيهِ على قصيدةٍ غرّاء من نظم حضرة الشاعر البليغ احمد افندي محرم احد رئيسي التحرير وهي من غُرَر القصائد العصرية بل دُرَر القلائد الشعرية

والجريدة تصدر في كل عشرة ايام ومحل ادارتها في طوخ القليوبية وهي تُرسَل مجاناً لمن يطلبها من رجال العلم والادب ولغيرهم بقيمةٍ قدرها ٢٥ غرشاً في السنة فنتمنى لها مزيد الرواج والانتشار

التجارة ومؤتمر السلم — اهديت لنا رسالةٌ تشتمل على مقالتين في الغرضين المذكورين من تأليف حضرة الاديب عبد الله افندي رزق الله شار احد مأموري معيّة ولاية بيروت وقد تصفحنا المقالتين فوجدنا فيهما فوائد جمّة في تاريخ التجارة وتطوُّراتها واسباب تقدمها وآفاتها ثم بيان اضرار الحرب والاسباب التي دعت الى عقد المؤتمر السلمي وما كان من نتائجهِ . فنحث القرّاء على مطالعة هذه الرسالة وهي تطلب من مكتبة امين افندي هندية بالقاهرة ومن مكاتب بيروت

فكاهات

رواية

الصندوق السرّي (١)

بينما كانت مدينة اكس في منتصف احدى ليالي شهر ابريل ساكنة ساكتة وقد وشّحها الليل بثوبهِ الرهيب وارسل اليها البدر اشعتهُ الفضيّة وسرى النسيم في انحآئها يُسرُّ الى آذان الطبيعة استغراق جميع سكان تلك المدينة الزاهرة في سبات النوم العميق اذ فُتح باب احد القصور العظيمة الواقعة في احد اطراف المدينة وخرجت منهُ فتاةٌ هيفآء بل ظبيةٌ لميآء في نحو السابعة عشرة من عمرها وتقدمت متوغلةً في حديقةٍ غنآء كانت تحيط بالقصر من جهاتهِ الاربع وسارت تختلس الخُطى وهي تلفت نحو القصر من آنٍ الى آخر جيداً يفضح جيد الظبي وترسل نظرها الى نوافذهِ لعلها ترى عيناً كانت تخافها وتخشاها فينتضح الامر ويسوء المآل. ولما تأكد لديها ان عين الرقيب غافلةٌ عنها حثّت السير الى ان لاح لها شبحٌ واقف في ظلال احدى الاشجار فجمجمت بعض الكلمات وسقط من عينيها دمعتان بل حبتا لؤلؤٍ انحدرتا تتهلل على تينك الوجنتين الحارّتين ولما وصلت اليهِ القت بنفسها بين يديهِ فضمها الى صدرهِ ولم يرجعا الى رشدهما الا بعد ان مرّ

(١) معربة عن الانكليزية بقلم ميشيل افندي مرشاق

عليهما زهآء نصف ساعة فرفعت رأسها عن كتفهِ وقالت لهُ بصوتٍ تمازجهُ رعشة الحزن اتعلم يا ادمون كم احبك وكم اقاسي من اجل هذا الحب. ألا تراني قد تركت فراشي في مثل هذه الساعة من الليل وعرّضت نفسي لغضب والدي القاسي واسرعت لاقف بين يديك وارى ما لديك مما ذكرتهُ لي في كتابك اليوم فقل لي يا حبيبي اتحبني بقدر ما احبك . فتنفس ادمون الصعدآء عند هذا السؤال ومسح عينيهِ مما ترقرق فيهما من الدموع ثم اخذ يدها ووضعها على قلبهِ وقال الا تشعرين يا مرغريت بضربات هذا القلب الذي اشعر انهُ يكاد يتمزق لبعدكِ الا تسمعينها تنطق بالفاظٍ فصيحة قائلةً انني احبكِ واعبدكِ . قالت الا تزال مصمماً على السفر الى باريز لاستكمال درس الحقوق . قال نعم وقد اتيتُ لاتزود منكِ النظرة الأخيرة قالت وكيف لي ان اطلع على اخبارك وعين والدي لا تفارقني وهو يشكّ في كل شيء . قال تكتبين اليَّ سرّاً وانا اكتب اليكِ على يد صديقي لويس فترسلين اليهِ حاضنتكِ كل ثلاثة ايام فترجع اليكِ بكتابٍ مني . قالت حسن ولكن كيف يكون مسلكي مع ذلك الشرس فيليب ابن عمي الذي صرح لي والدي المرار العديدة انهُ سيزوجني بهِ رغماً عني طمعاً في غناهُ وواسع ثروتهِ . قال هذا موكولٌ الى قلبكِ وحكمتكِ فافعلي كما يوحي اليكِ فؤادكِ واذكري دائماً ان ورآءكِ غريباً لا يتخذ بعدكِ حبيباً

وفيما هما على آخر هذا الكلام اذ طرق سمعهما خفق اقدامٍ قادمة من جهة القصر فاستطير لبهما جزعاً ثم قالت الفتاة هذا ولا شك والدي تفقدني في غرفتي فلم يجدني وهو يبحث عني فاذهب يا حبيبي ولا تنسني

واذكر كل ما دار بيننا الآن . فاختطف الشاب من يدها قبلةً حارّة وانثنى على عقبيهِ وهو يشير نحو السمآء كانهُ يطلب اليها ان تمدّ اليهما يد المعونة والقدرة. ثم التفتت مرغريت واذا بابيها وهو في ثياب النوم قد وقف امامها وهو يتلذع غضباً ثم مدّ يدهُ وامسك بذراعها وهزّها بعنفٍ وقال بخشونة مرغريت مرغريت حذارِ من ان يكون لخروجكِ الى هذا المكان خيانةٌ ما . فادركت الفتاة خطورة الموقف الذي كانت فيهِ لكنها تجلدت وقالت انني لا افقه يا والدي ماذا تعني بكلامك هذا . قال اعني ان خروج فتاةٍ مثلكِ في مثل هذه الساعة من قصرها امرٌ عجيب وفعلٌ مريب . قالت اما انا فلا اراهُ كما يتراءى لك فانهُ اعتراني ارقٌ شديد من ابتداء الليل فخرجت الى هذه الحديقة تنفيساً لكربي وجلآء لصدأ قلبي . قال لكني لا اعهد فيكِ مثل هذه الجرأة ومع ذلك فانني اعيد على مسمعكِ مرةً اخرى انهُ اذا ظهر لي من ورآء هذه الزيارة خيانةٌ ما او بعبارةٍ صريحة انكِ اتيتِ ملبيةً دعوة ذلك الشاب الوقح ادمون فاعلمي ان انتقامي سيكون شديداً . ثم ساقها امامهُ نحو القصر فسارت ورأسها مطرقٌ الى الارض وسار ورآءها مرغياً مزبداً الى ان بلغ كلٌّ منهما غرفتهُ

وقضت مرغريت غابر تلك الليلة الى صباحها وهي لم تنم لشدة ما اخذها من الوجد لفراق حبيبها وما اثر عليها من مداهمة والدها لها وكان اشدّ شيء عليها ان ترى انها مغلوبة على امر نفسها لا تستطيع ان تختار الزوج الذي يميل اليه فؤادها وتعلم انها تعيش سعيدةً معهُ فكانت تتقلب بين هذه الافكار وهي على احرّ من النار . ولما اصبحت تلقاها والدها

بوجهٍ عبوس ثم كان بعد ذلك لا يقابلها الا مقطّباً ولا يكاد يكلمها كلمة رضى حتى ضاق صدرها من تلك الحال وذاقت من مرارة العيش ما احبت معهُ قرب الاجل

ومضى بعد ذلك على ادمون ومرغريت ثمانية اشهر لم تنقطع في خلالها اخبار كلٍّ منهما عن حبيبهِ وكانت تكتب اليهِ وتشكو معاملة ابيها واصرارهُ على تزويجها من فيليب ابن عمها ولو بالرغم عنها وممانعتها في ذلك فكان يجيبها بما يقوّي في قلبها عواطف حبهِ ورفض ذلك الشاب الممقوت من فؤادها

وكان فيليب هذا شاباً فظّ الطباع كثير العجرفة الا انهُ كان ذا جاهٍ عريض وثروةٍ طائلة قد خلفها لهُ والداهُ وكان ينفقها في معاقرة الخمرة وتعاطي الميسر وما اشبه ذلك . وكان يحبّ مرغريت حبّاً يقرب من العبادة فيتزلف الى والدها ويظهر لديهِ بمظهر الرقة والادب ثم يعطف عليهِ بذكر ما لديهِ من اتساع الثروة فيطير لب عمهِ فرحاً ويكثر اليهِ من الالتفات والتبجيل امام ابنتهِ وهي لا تزداد الا نفوراً حتى الجأتهُ الحالة الى استعمال القسوة معها فقطع املها من ادمون وكان قد شعر بما بينهما من روابط الحب وحتم عليها ان تضع فيليب نصب عينيها ولا ترجو ان يكون سواهُ بعلاً لها ثم عيّن منتصف الشهر التالي وهو التاسع من غياب ادمون موعداً لزفاف مرغريت الى فيليب

فأُسقط في يدي مرغريت وحارت في امرها لكنها علات نفسها بانهُ في ذلك الوقت يكون حبيبها قد اتم دروسهُ وعاد الى الوطن الا انها عادت ففطنت ان رجوعهُ لا يجديها نفعاً فعقدت النية على الفرار من بيت ابيها

وكتبت الى حبيبها ان يترك باريز ويوافيها في يوم ٍ مسمّى الى مدينة ٍ عينتها لهُ . ولما كانت الليلة السابقة لليلة الزفاف جمعت ما وصلت اليه ِ يدها من الامتعة وفي ساعة ٍ من الزمن كان القطار الحديدي منطلقاً بها كالسهم الى ان بلغ المدينة التي تعينت للاجتماع وهناك وجدت حبيبها في انتظارها فانطلقا الى احد الفنادق وقصت عليه ِ ما كان من امرها ولم يمض ِ على ذلك بضعة ايام حتى عُقد لهُ عليها وامست زوجتهُ الشرعية وهناك غيَّرا اسميهما واخذ ادمون يتعاطى حرفة المحاماة وعزما على ان يعيشا عيشةً بسيطة

اما ما كان من امر والدها وابن عمها فانهما لما تحقق لهما ما فعلت اخذ منهما الغضب والانفة كل مأخذ فباح والدها لابن اخيه ِ بحبها لادمون وقال لهُ انها ولا شك قد تبعتهُ الى باريز فطار رشد فيليب لهذه الضربة التي وقعت على دماغه ِ وطير الرسائل البرقية الى باريز بالسؤال عن ادمون فوردت اليه ِ الاجوبة بانهُ قد فارقها منذ بضعة ايام ولا علم لاحد بمقرّه ِ . فلما تحقق لهُ الامر اقسم باغلظ الايمان انهُ لا بدّ ان يقتفي اثرهما حيثما ذهبا ويشفي غليل صدره ِ من خصمه ِ ثم لم يلبث ان استعدّ للسفر وتزوّد بمبلغ ٍ من المال وطفق من ذلك الحين يضرب في الارض ناشداً ضالتهُ . واما عمهُ فانهُ اصابهُ مرضٌ فجائيّ على اثر هذه الصاعقة ولم يمهلهُ بضعة ايام حتى قضى نحبهُ جزآء عسفه ِ وعدم تبصره ِ

واما ما كان من امر مرغريت وحبيبها فانها قضت معهُ نحو خمسة اشهر وهما اشبه بإلفي حمام الا ان الدهر شيمتهُ الغدر ودأبهُ تنكيد الحياة فاصاب مرغريت مرضٌ خبيث كان متفشياً في تلك المدينة وفي مسآء احد

الايام اشتدّت عليها وطأة العلة ورأى ادمون ذلك وقد ضعف امله في شفائها فغلبته العبرة وخرج للحال ليستر بكاءه عنها وجلس في ظل احدى اشجار الحديقة وهو يلطم وجهه ويندب حظه . ولما خرج اغتنمت مرغريت تلك الفرصة وطلبت واحداً من الخدم وارسلته برقعة الى احد مخازن البلدة فما عتم الخادم ان عاد بعد هنيهةٍ وبيدهِ صندوق صغير فوضعه امامها وخرج وبقيت وحدها والصندوق بجانبها . ولما استبطأت زوجها سألت الخدم عنه فخرجوا يلتمسونه في الحديقة فاذا هو مغشيٌّ عليهِ فايقظوه ورجعوا بهِ اليها فدخل وجلس بجانبها وهي قد اعتقل لسانها عن الكلام فجعلت تنظر اليه بعينٍ ملؤها الحب والاسى وهو ينظر الى تلك الشمس المتوارية وفؤاده يتفتت ومهجته تتقطع . ثم انها جمعت قواها والتفتت اليهِ واشارت الى الصندوق وقالت له قد تركت لك هذا التذكار يا ادمون فلا تفتحه الا بعد مواراتي في التراب ثم تزوّدت منه النظر الاخير واطبقت اجفانها فتوارت شمس ذلك الحسن وذبلت زهرة ذلك الغصن وسقط ادمون بين يديها مغشياً عليهِ وغاب عن الوجود

ولما افاق من غشيتهِ جثا امام ذلك الهيكل الشريف وهو يقبله تارةً وينوح اخرى ويسقي ذلك الغصن الذابل بدموعهِ الى ان حان وقت الدفن فنهض يشيّعها وهو يودّ لو جُعل فؤاده مدفناً لها وبعد ما قفل عن قبرها وهو يرى انه قد دفن هناك آماله وسروره تذكر ما اوصته به قبل مماتها فطار الى الصندوق وفتحه واذا بورقةٍ صغيرة في داخلهِ فعمل حسبما كان مكتوباً عليها وللحال ادرك المراد من ذلك التذكار الثمين وبعد بضع دقائق

اقفلهُ وجعل يقبلهُ ويبلهُ بدموعهِ الى ان حالت الخدم بينهما

ثم انهُ ترك ذلك البيت واخذ بيتاً خارج البلدة وهناك بنى حجرةً خصوصية لذلك الصندوق وجعل يزورهُ ثلاث مرات في اليوم

وفي عشية احد الايام كان رجلٌ يمشي على الطريق الموصلة الى القصر الذي اتخذهُ ادمون مسكناً لهُ . وكانت سمات الغيظ والاعياء تلوح على محيا ذلك الرجل وما زال سائراً الى ان بلغ جانب الغرفة التي خصصها ادمون لصندوق مرغريت فارسل نظرهُ من احدى نوافذها فلم يرَ الا شموعاً موقدةً فجلس بازآئها قصد الراحة . ولا بد ان يكون القارئ اللبيب قد ادرك ان ذلك الرجل لم يكن الا فيليب وقد بلغ بهِ المسير الى تلك المدينة وقصد ذلك القصر ماشياً على قدميهِ علهُ يتنسم خبراً عن ضالتهِ . ولم يستقرّ بهِ المقام بجانب الغرفة حتى طرق اذنيهِ صوتٌ انتفض لهُ انتفاض العصفور بللهُ القطر فنهض على قدميهِ وهو يقول هذا صوتها بلا شكٍ ولا ريب . ثم نظر الى داخل الغرفة فرأى رجلاً نحيلاً قد جلس بازآء صندوقٍ يتأمل فيهِ والدموع تهطل من عينيه فاصغى قليلاً واذا بالصوت الذي طرق مسمعهُ قبلاً قد عاد يتكلم فتأكد لديهِ انهُ صوت مرغريت وان كان مصحوباً بارتعاشٍ يدلّ على ضعف المتكلم . ثم انعم النظر في ذلك الرجل وما كاد يتحقق انهُ هو نفس غريمهِ بل عدوهِ ادمون حتى وثب الى داخل الغرفة واخرج من جيبهِ مديةً وضرب بها ادمون ثلاثاً في صدرهِ فسقط المسكين الى الارض دون ان يبدي حركةً لان النحول كان قد براهُ وراح شهيد الحب الصحيح والولآء الصادق . واما فيليب فلما رأى غريمهُ

قد اصبح بلا حسٍّ امـام قدميهِ التفت ذات اليمين وذات اليسار ليرى مرغريت فرأى المكان خالياً ولم يقع نظارهُ الا على الصندوق فتقدم اليهِ واخذهُ بين يديهِ وبينما كان يقلّبهُ سمع صوتاً يقول من داخلهِ يا حبيبي... فذُعر من هذا الصوت وترك الصندوق من يدهِ وقدكاد صوابهُ يطير اذ تأكد لديهِ انهُ صوت مرغريت ولكنهُ لم يرَ لحل ذلك المعمى سبيلاً . وبعد ان ثاب الى صوابهِ عاد فتقدم الى الصندوق وجعل يقلبهُ كالاول فسمع الصوت من الداخل يقول يا حبيبي ادمون احببتك في الحياة وسأحبك في الممات فاذكرني دائماً ولا تنسني واعلم .... وقبل اتمام الكلام خارت قواهُ فسقط الصندوق من يدهِ على الارض فتحطّم . وللحال ادرك سرّ الامر وعلم انهُ كان في الصندوق آلة فونغرافية لها نابض (زنبلك) متى ضغط عليهِ تكلمت الآلة من داخلهِ وقد حصل ذلك اتفاقاً حينما تكلمت في المرة الاولى وعلم ان مرغريت قد ماتت وانها كانت قد تكلمت فيهِ بما كان لها من الانفاس في آخر ساعةٍ من حياتها

ولما تبينت لهُ حقيقة الامر ورأى انهُ لم يبقَ لهُ سبيل الى الحظوة بحبيبتـهِ ثم نظر الى ادمون وهو ملقىً على الارض وتأمل فيما جلب على نفسهِ وعلى ذينك المسكينين من الشقآء والبلآء اظلمت الدنيا في عينيهِ ووقف حائراً مبهوتاً . وبينا هو كذلك اذ دخل احد الخدم فرأى سيدهُ مطروحاً على الارض يختبط بدمهِ وفيليب واقف بجانبهِ فصاح بباقي الخدم فتراكضوا اليهِ فلما رأى ذلك طعن نفسهُ بتلك المدية طعنةً القتهُ صريعاً بجانب غريمهِ وذهبوا جميعهم ضحايا الحب والغيرة

الاستحمام

لا يخفى ان الجهاز الجلدي يفرز على الدوام رشحاً مائياً اذا كثر تحبب على ظاهر الجسم وتحلّب عرقاً وهذا الرشح يتضمن جانباً من الفضلات الحيوانية يخالطها حوامض واملاحٌ مختلفة فاذا تبخر العرق رسب بعضها على ظاهر الجلد ونشأت عنهُ طبقةٌ من الادران تسدّ مسامهُ فتحبس المفرزات وقد تنحلّ هذه الرواسب عند رجوع العرق فيتشرَّبها الجلد وتخالط سوائل البدن بما فيها من السمّية وما قد يعلق بها من الجراثيم المنتشرة في الهوآء فتكون سبباً لحدوث حمّياتٍ وامراضٍ شتى ولذلك وجب تطهير الجسم منها بالاستحمام دفعاً لاضرارها وتسهيلاً لاتمام الوظائف الجلدية

والاستحمام قد يكون بالمآء البارد وفيهِ من الفائدة خلا ما ذُكر تجديد القوى الحيوية وتنبيه وظائف الجسم ولا سيما اعضآء الدورة والتنفس وقد يكون بالمآء الحار اذا لم يُقصَد منهُ الا مجرد النظافة ولكليهما طرقٌ وشرائط نذكر اهمها بالاختصار

اما الحمّام البارد فينبغي ان يُتَّخذ في المآء الجاري كمآء البحر ومياه الانهر والينابيع ولا يجوز اتخاذهُ في المآء الراكد كمياه الغدران والمستنقعات لما يتجمع فيها من العناصر الفاسدة والجراثيم المرضية واذا لم يتيسر الاستحمام في المياه الجارية فلا بأس باستعمال المغاطس والمناضح بشرط ان لا تكون شديدة البرد اتقآء لما يُخشى حدوثهُ من الاحتقانات والالتهابات الباطنة . على ان هذه ولا شك اقل نفعاً من المياه الجارية على ما سنذكرهُ وان

استوى الطرفان في حصول النظافة . والاستحمام بمآء البحر انفع من الاستحمام بمآء النهر لانهُ يتضمن كثيراً من الاملاح التي من خواصها مقاومة الفساد وقتل الجراثيم المرضية ولما في هوآء البحر من النقاوة الناشئة عن حركة امواجهِ وما في هذه الحركة من التأثير على جسم المستحمّ بما تحدث فيهِ من التنبيه الذي يزيد في فائدة الاستحمام

ثم ان المستحمّ في المآء البارد يشعر عند دخوله في المآء ببردٍ في ظاهر الجسم وتنقبض الشرايين والاوردة فيقلّ مقدار الدم في الجلد ويكثر في الداخل وبعد الخروج من المآء وتنشيف البدن تنتشر الحرارة في الجسم وتتمدد الاوردة والشرايين وتسرع حركة القلب فيعود الدم الى ظاهر البدن وهذا ما يعبَّر عنهُ بردّ الفعل . وهو كلما كان سريعاً كانت الفائدة اوكد وعاقبة البرد اسلم ولذلك يُستحَبّ ان لا يكون المآء شديد البرودة كما قدمناهُ وان يُصحَب الاستحمام بحركة معتدلة كحركة السباحة مثلاً تنبيهاً للحرارة وتمهيداً لردّ الفعل ولهذا يؤثر الاستحمام في المياه الجارية على المغاطس ونحوها لتيسُّر هذه الحركة فيها . ولزيادة التعجيل في ردّ الفعل يحسن استعمال الفرك في التنشيف والرياضة المعتدلة بالمشي والحركة واذا ابطأ ردّ الفعل مع هذه الوسائط وجب تقصير مدة الاستحمام او الاستغنآء عنهُ بمسح البدن باسفنجةٍ كبيرة او ملآءةٍ تُغمَس في المآء وتُمرّ على الجسم بسرعة . وهناك طريقة اخرى تستعمل اليوم كثيراً وهي ان تُبلّ الملآءة ثم تُعصَر ويُلفّ بها الجسم ويُفرَك بها فركاً شديداً ومتى سخنت بمباشرة الجسد يُجعَل مكانها ملآءة جافة ويُستمرّ على الفرك فيتمّ ردّ الفعل بسرعة شديدة

اما المدة التي يمكثها المستحمّ في المآء فلا قاعدة لها فهي تختلف بين بضع دقائق الى نصف ساعة او اكثر الا ان الاطفال والنسآء والشيوخ لا ينبغي ان يلبثوا في المآء زيادةً على خمس دقائق الى ربع ساعةٍ في الاكثر وعلى الجملة فيجب الخروج من المآء حالما يشعر المستحمّ بشيء من الانزعاج ولا يجوز ان يبقى حتى تأخذهُ القشعريرة · ولا بد بعد الفراغ من الحمّام ولا سيما للنسآء من تنشيف الشعر في اسرع ما يمكن تنشيفاً تاماً وافضل ما يُستعمَل في ذلك ان يُفرَك الشعر بقطعة نسيجٍ جافّ ثم يُنشَر الى ان يتمّ جفافهُ ولا يجوز ان يوضع على الشعر شيءٌ من الموادّ الدهنية قبل تمام الجفاف · وبعد التنشف واللبس يؤخذ في رياضةٍ معتدلة في الهوآء المطلق وان كانت حالة الجوّ تمنع من ذلك بوشرت هذه الرياضة في الغرفة ولا يجوز الاكل الا بعد الحمام بنصف ساعةٍ على الاقلّ

ومما ينبغي اجتنابهُ للمستحمّ ان لا ينزل في المآء وجسمهُ مندًّى بالعرَق او على اثر الرياضة العنيفة ولا بعد الطعام توًّا وافضل الاوقات التي يختارها لذلك وقت الصباح قبل الطعام او وقت المسآء بعد الطعام بثلاث ساعاتٍ على الاقلّ · ولا ينبغي قبل النزول في المآء ان يتربص الى ان يبرد الجسم كلهُ ولا ان يتخذ الحمام بعد راحةٍ مستطيلة وان اتفق لهُ ذلك استُحِبّ قبل الشروع في المآء ان يتمشى قليلاً وهو في ثوب الاستحمام ثم ينزل الى المآء توًّا بدون توقف ومتى بلغ المآء اواسط الفخذين يغمس باقيهُ فيهِ دفعةً واحدة

واما الحمامات الحارّة فهي اكثر استعمالاً من الحمامات الباردة لانها

ميسورةٌ في كل مكان وفي كل فصلٍ من السنة وهي اشدّ تنقيةً لظاهر الجسم فضلاً عما فيها من تليين البشرة وسائر الانسجة الجلدية . الا ان ادمانها مضعفٌ للبدن ولذلك لا ينبغي اتخاذها الا في الاوقات وقد فرض بعضهم ان لا تتخذ زيادةً على مرة في كل ثمانية ايام في فصلي الربيع والخريف وفي كل خمسة عشر يوماً في فصل الشتآء . وذلك لأصحّآء الاجسام من البالغين . وهي تستعمل على ٢٦ الى ٣٠ درجةً من الحرارة ولا يجوز رفع حرارتها الى ما فوق ذلك خوفاً من حدوث الاحتقانات الدماغية والافراط في تهييج الدورة الدموية ويجب ان لا تطال زيادةً على ٣٠ دقيقةً مع بقآء درجتها في هذه المدة متساويةً ما امكن

ثم ان الجسم يتشرب من المآء في الحمام الحار اكثر مما يتشرب في الحمام البارد وهذا مما يجب ان يتنبه لهُ الذين يستحمّون احياناً معاً في مُستحَمٍّ واحد او يتتابعون على الاستحمام فيهِ ولا سيما بعض الامهات اللواتي من عادتهنَّ ان يستحممنَ مع اطفالهنَّ فانهُ اذا كان الجسم اشدّ تشرُّباً للمآء كان ولا شك اكثر افرازاً ومعلومٌ ان المفرزات تكون على الغالب من المواد المضرّة فضلاً عما قد يكون عالقاً بظاهر الجسم من الجراثيم المعدية التي تحلّ معها فيمتزج كل ذلك بالمآء ويمتصهُ الجلد بالضرورة ولا سيما الجلود الرخصة السريعة الانفعال بالحرارة

اما حرارة المكان الذي يُستحَمّ فيهِ فلا ينبغي ان تكون على اقلّ من ١٥ درجة ويجب قبل الخروج من المُستحَمّ ان يُتدثر جيداً بالملابس الواقية من البرد ولا يُتعرض لدرجة من الحرارة تتغير فجأةً ولا بأس من

القرار بعد الاستحمام مدة ساعةٍ او نحوها في الفراش الى ان تعتدل حرارة الجسم ويُستحَبّ ان لا يُتَّخذ بعدهُ الا الاطعمة الخفيفة المقوية لتجديد ما فقد الجسم من النشاط

هذا اهمّ ما يُذكَر في هذا الباب وبقيت هنالك تفاصيل شتى في ضروب الاستحمام وصفة الحمامات والآلات المتخذة فيها ومايتصل بذلك من القوانين في الاستعمال مما يطول شرحهُ ولا يتيسر الا في اماكن مخصوصة على ان غالبهُ مما يستعمل في المعالجات الطبية التي ليست من غرضنا في هذا الموضع فاكتفينا بما اوردناهُ حب الايجاز

الزلازل

هي تلك الحوادث الهائلة التي تدمّر الممالك تدميراً وتجعل القصور لسكانها قبوراً بل تدفن المدن واهلها وقد اخذتهم الرجفة من حيث لا يشعرون فاصبحوا في دارهم جاثمين ومن ورآئهم برزخٌ الى يوم يُبعَثون بل ربما غاصت بها الجبال تحت لجّة المآء وبرز حضيض البحار فكان جبالاً تناغي السمآء ونبتت الجزُر من جوف الغمر فكانت مقيلاً لحيوان البرّ والهوآء آثارٌ من عمل الخلق الاوّل يشهدها الانسان وهو بين الدَهَش والارتعاد وكأنما هي تجري بين ضلوعهِ فهو لا يشاهدها الا خافق الفؤاد

لا جرم ان ارهب المناظر واغربها على الانسان ان يرى الارض هذا الجرم العظيم بما رسا فوقهُ من الجبال وانبسط عليهِ من السهول واجتمع في

قرارهِ من البحار ينتفض احياناً كما انتفض العصفور بلّهُ القطر او يميد كما مادت القصب فيأتها الريح ثم يرى الجبال تهوي من اماكنها بجلمود صخرٍ حطّهُ السيل من علٍ ويرى القصور والابنية العظيمة تتبعثر على الحضيض كما تتبعثر الحصى تحت ذيل العاصف ويرى البحار تَثب في اعالي الهواء كما يثب رشاش الغدير اذا حذفت ماءهُ بحجر . على أن هذا كلهُ مما تشاهدهُ العين وتشعر بهِ الحواس ولكنّ هناك حركاتٍ متصلة لا تُعلَم الا بالمقاييس المدققة فوجه الارض في حراكٍ دائم كما أن جملتها وكل ما اتصل بها في حراكٍ دائم لا تستقرّ ثانيةً من الزمن

وحركة الزلازل على انواع فنها ما يكون عمودياً ينتفض بهِ اديم الارض صُعُداً ومنها ما يكون أُفقيّاً تمور بهِ جوانبها ذهاباً واياباً ومنها ما يكون موجياً يعلو بهِ مكانٌ ويسفل آخر كحركة الامواج في اليمّ ومنها غير ذلك على ما نورد تفصيلهُ بالاختصار

وغالب هذه الحركات ناشئٌ عن النيران المستبطنة للارض وهي تختلف بين اهتزازاتٍ خفيفة لا يكاد يُشعَر بها واضطراباتٍ عظيمة تحدث عنها الانقلابات الهائلة والدمار المخيف . وقبل ان نذكر كيفية حدوثها لا بأس ان نمثل للمطالع ثخانة قشرة الارض بالقياس الى باطنها المشتعل ليتبين ضعف هذه القشرة ومطاوعتها للعوامل وقد قدّروا ان ثخن القشرة المذكورة يكون نحواً من ٩٠ كيلومتراً او ما يقرب من ٥٦ ميلاً وذلك انهُ من المعلوم ان حرارة الارض تزداد مع ازدياد العمق وبالاختبار وجدوا انها ترتفع في كل ٣٠ متراً درجةً من دَرَج السنتغراد كما تحقق لهم ذلك في

المناجم والآبار المعروفة بالارتوازية وفيها ما يبلغ عمقهُ نحواً من الف متر .
فاذا تتبعنا الحرارة على هذا القياس لزم ان تبلغ على عمق ٣٠٠٠ متر ١٠٠
درجة وعلى عمق ٩٠ كيلو متراً ٣٠٠٠ درجة وهي حرارةٌ تصهر جميع
الصخور والجواهر المعروفة . وعليهِ فتكون هذه المسافة اعظم ما يمكن ان
يُفرَض لثخانة القشرة الارضية ومع ذلك فانها لا تتعدى $\frac{1}{7}$ من نصف
قطر الارض بحيث لو توهمنا الارض في جرم البيضة لكانت قشرتها ارقّ
من قشرة البيضة . وبهذا يسهل عليك ان تتصور كيف ترتفع هذه القشرة
من مكان وتنخفض من آخر وتتمزق وتنخسف وكيف تنشأ الزلازل عن هذه
الحركات كلها بل قد وجدوا بالآلات الدقيقة المخترعة حديثاً ان سطح
الارض في ارتعاشٍ دائم بحيث ان مدة السكون المطلق لا تكاد تتجاوز
٣٠ ساعة متوالية

وأشدّ انواع الزلازل تدميراً واعظمها هولاً ما كانت حركتهُ عمودية
فتتطاير بهِ المواد فجأةً في الهوآء حتى ترى المنازل بما فيها من السكان وغيرهم
تثب الى ارتفاعٍ شاهق ثم تسقط حطاماً وقد رؤيت قممٌ من الجبال تندر
من مكانها فتنقذف في الجوّ ثم تغوص في خسفٍ من الارض فلا يظهر
لها اثر . وهو يحدث بسبب تمدد الغازات او المواد السائلة في باطن
الارض وطلبها للخروج فتدفع قشرة الارض لتفتح لها منفذاً فيتطاير ما
عليها بقوة الصدمة . والزلزال الافقي اخفّ من العمودي واقلّ تدميراً وهو
يحدث عن صدمة جانبية تذهب حركتها افقية فتميد الارض بحسب اتجاه
تلك الحركة وهو في الغالب يمتدّ على مسافاتٍ شاسعة ولا يبعد ان كلا

الزلزالين يحدثان عن صدمةٍ واحدة فيكون الزلزال العمودي عند مركز الصدمة ثم تندفع القوة عن جوانب هذا المركز فتذهب في اتجاهٍ افقي وهي تضعف كلما بعدت عن مركز الصدمة حتى تتلاشى فتكون اشبه بما يحدث على وجه المآء اذا القيت فيهِ حصاةً . واما الزلزال الموجيّ فهو اشدّ عنفاً من الافقي وان لم يبلغ هول العمودي لانهُ يكون بهيئة اضطراباتٍ تنتشر انتشار الامواج على سطح البحر فتنقلب بها الابنية وغيرها الى كل جانب وقد رؤيت بهِ الاشجار في بعض الاماكن تنحني حتى تمسّ اغصانها الارض ويقال انهُ في الزلزال الذي حدث في كاراكاس سنة ١٨١٢ كانت ارضها تشبه وجه المآء في حالة الغليان . ولعل سببهُ فيما ذكروا ما يحدث من التمدد في حجم بعض الصخور الباطنة المعروفة بالأَنذريت اذا استحالت الى جبس فان حجمها يزداد زيادةً عظيمة وتدفع ما حولها من المواد فيحدث في الطبقات الصخرية التي فوقها تشققٌ وحركاتٌ متمادية يرتفع بها بعض الاجزآء السطحية وينخفض بعضها على التوالي

ومدة الزلزال تختلف فيمكن ان لايحدث الا رجفةٌ واحدة لا تستمرّ زيادةً على ثانية او تحدث هزّاتٌ متوالية قد تستمرّ اشهراً الى سنين . واذا كانت شديدة فقد يحدث عنها حفرٌ واخاديد تمتدّ احياناً على مسافة اميال وتثبت كذلك بعد انقضاء الزلزال وربما ظهر في بعضها مياهٌ حارّة وقد ينتشر منها لهبٌ او ابخرةٌ مآئية او غازاتٌ قتالة مما يدلّ على ان الزلازل والبراكين من اصلٍ واحد

وهذا الذي ذكرناهُ في البرّ قد يحدث مثلهُ في البحر فتثب المياه

وتعالى في الجوّ ثم تنقلب على الشاطئ فتجرف كل ما تصادفهُ في طريقها وقد حدث زلزال في جزائر البحر الهندي سنة ١٨٢١ فطاف المآء على جزيرة سمباقا ووثبت السفن الراسية في المرفأ الى مسافةٍ بعيدة في البرّ ورؤي بعضٌ منها على سطوح المنازل

وهناك مفاعيل أُخر للحرارة الباطنة تتمّ على تراخي الزمن فيحدث في اماكن من الارض ارتفاعٌ او انخفاضٌ لا يُشعَر بهِ ولا يُعلم الا بالمراقبة وقد لا يظهر الا بعد سنين كثيرة واحياناً بعد قرون واكثر ما يتبين مثل ذلك على شواطئ البحار لامكان المراقبة فيها ومعرفة الفرق بالقياس الى سطح المآء . ومن امثلة ذلك ما وُجد من ان الناحية الشمالية من بلاد اسوج ونروج ترتفع ارتفاعاً بطيئاً فوق سطح البحر وقد قاس تلك الناحية رجلٌ من علمآء اسوج يقال لهُ سلسيوس سنة ١٧٣٠ بان نقش اثراً في احد الصخور على مساواة مآء البحر ثم افتقد ذلك الاثر بعد ثلاث عشرة سنة فوجدهُ قد ارتفع ١٨ سنتيمتراً فوق سطح المآء وفي سنة ١٨٧٤ اثبت لِيَل مثل ذلك في الشاطئ الشرقي بالقرب من استكهلم . وبعكس ذلك وُجد ان جنوبيِ هذه البلاد مثل سكانيا ينخفض حتى ان مدناً وغاباتٍ قد اصبحت اليوم تحت المآء ومثلها بلاد الدنمرك وهولندا والشواطئ الانكليزية وقد اضحت بعض بلاد هولندا اليوم اسفل من سطح البحر حتى اضطُرَّ اهلها ان يحصنوا شواطئهم بالسدود . واما شواطئ البحر الرومي فقد اختُبر ذلك في عدة اماكن منها كتونس وقرطاجنة القديمة وصقلّية فوُجد انها آخذةٌ في الارتفاع وبخلافها الشواطئ الشمالية من الادرياتيك فانها تنخفض

ومن الاسباب التي يكثر عنها حدوث الزلازل ما يقع بين الطبقات الرسوبية من انحلال الموادّ القابلة الذوبان كالملح والجبس والسيلكا وغيرها مما تحلهُ المياه المتخللة باطن القشرة الارضية وتجرّهُ سنةً بعد سنة فانهُ ينشأ هناك اجوافٌ قد تتسع حتى لا يتأتى للطبقات التي فوقها ان تتماسك فتنهار متهافتةً على سطح الطبقات السفلى وقد تتزلج عليها اذا كانت مائلةً فتنتقل الى حيّزٍ آخر قد يبعد عن حيزها الاول مسافةً طويلة ومثل هذا يكثر في جبال الألب وما يجاورها . ومن غريب ما يُذكَر في ذلك ان جانباً من جبل غوزيما بجوار البندقية وُجد صباح يومٍ في اسفل الوادي الذي يليهِ لكن بدون زلزال بحيث ان السكان لم يستيقظوا الا في الغد فرأوا انفسهم بعد ان كانوا مجاورين للسحاب قد اصبحوا في قرار الوادي

اما الانذار بحدوث الزلازل فانهُ على الغالب يتقدمها اصواتٌ غائرة شديدة تشبه قصف الرعد او اطلاق البارود ومنها ما يكون كاصوات عدة مركبات تجري على ارضٍ مبلَّطة او تجزُّع اخشابٍ غليظة الى غير ذلك وقد يكون بين هذه الاصوات وحدوث الزلزلة فترةٌ تمكن من النجاة . ومما راقبوهُ من علامات قرب الزلزال خروج الهوام من باطن الارض واضطراب المياه الجارية وغؤور بعض الينابيع وتغيُّرٌ في حركات الطير ويكثر ان يسبقهُ ركود الهوآء وصفآء الجوّ على انهُ احياناً يحدث في الجوّ اضطرابٌ شديدٌ وتهبّ عواصف تقلع الاشجار وتنسف الابنية . وقد اخترعوا حديثاً آلاتٍ يستدلّون بها على ذلك الا انهُ على كل حال يُعَدّ الى الآن من الامور التي لم تخرج من ضمير الغيب والله اعلم

المرّاش ومينار

(تابع لما قبل)

(ص ١٥٢) « مما حُفظ من قول اردشير بن بابك لما وضع التاج على رأسهِ انهُ حمد الله وشكرهُ وقال ألاَ وانا ساعون في اقامة العدل والرأفة بالعباد فليسكن طائرهم » . فترجم استاذنا سكون الطائر هكذا

Nos peuples seron gouvernés avec bienveillance ... afin que *les oiseaux eux-mêmes jouissent d'une entière sécurité*.

(ص ١٧٧) « قال لقيط الايادي

ألا تخافون قوماً لا ابا لكمُ امسوا اليكم كامثال الدبا سُرُعا
لو ان جمعهمُ راموا لهدّتهم شُمَّ الشماريخ من ثهلان لانصدعا »

فكأن استاذنا لما رأى لفظ « شمّ » ولفظ « الشماريخ » فزع الى معجمهِ فكان اول ما وقع عليهِ نظرهُ تفسير « الشمّ » بمعنى ادراك الروائح مصدر شمَّ وتفسير « الشمراخ » بمعنى العثكال من البلح ولم يفطن الى ان الشُمّ بضم الشين جمع اشمّ اي مرتفع وان الشمراخ هنا رأس الجبل فترجم البيت الثاني هكذا

S'il vous attaque avec toutes ses forces, *le parfum des fertiles palmiers* de Tehlan *ne vous arrivera plus*.

على ان المعنى الذي ذكرهُ في الترجمة مباينٌ بالكلية لمعنى الاصل حتى ترى هذا من وادٍ وذاك من واد

(ص ٢٧٥) « قال فيلسوفٌ هنـدي للاسكندر ان الرعيّة خزانة سلطانك اذا قدرتْ ان تقول قدرتْ ان تفعل فاحترز من ان تقول تأمن من ان تفعل » . فترجم الاستاذ هذه العبارة هكذا

Vos sujets sont le véritable trésor de votre empire. Si *vous avez* la puissance de la parole, ils ont la puissance de l'action : *soyez* donc circonspect dans *vos* paroles de manière à n'avoir rien à craindre de leurs actions.

فانهُ قرأ اذا « قدرتَ » بتآء المخاطب وكذلك جعل « تقول » في الموضعين متضمناً لضمير الخطاب فترجم كما ترجم وافسد المعنى

(ص ٣٠٢) « كذّب اهل الاسكندرية نبيّهم وقال لهُ بعضهم ان كنت صادقاً في ما اتيتنا بهِ فاعرج الى هذه السمآء ونحن نراك . فنزعوا عنهُ زرباتقتهُ ...» لحار الاستاذ في هذه اللفظة الاخيرة على تعدُّد ما لديهِ من نسخ الكتاب وقال لعلها « زربافتهُ » وقال ايضاً انها وردت في احدى النسخ بلفظ « زيّ نقابتهِ » ولم يفطن انهـا الزُرْمانقة وهي جبة الصوف وهذا عجيبٌ ممن يدّعي انهُ قطب لغات المشرق

(ص٣١٢) « كانت هيلاني ام قسطنطين تحرص على بنآء الكنائس ... واستخرجت الكنوز والدفائن من مصر والشـام وصرفت ذلك الى بنآء الكنائس » . فترجم هذه العبارة الاخيرة هكذا

Elle *épuisa* les richesses et les trésors de la Syrie et de l'Égypte pour fonder des églises.

فجعل استخراج الكنوز والدفائن في هذا الموضع بمعنى الاستنفاد وكان

الصواب ان يقول elle *déterra* ou *découvra* les trésors etc.
كما قال ذلك في موضعين آخرين من المجلد (ص ٤٢٠ و ٤٣٤)

(ص ٣٣٧) « قال ابو العتاهية يمدح هرون الرشيد

امام الهدى اصبحتَ بالدين معنياً واصبحت تسقي كل مستمطرٍ رِيّاً »

فترجم استاذنا المصراع الثاني هكذا

... et tu répands sur le *sol desséché* la pluie de tes fienfaits.

فزعم انهُ انما يسقي الاراضي العطشى

(ص ٣٤٩) « فلما تمكن منه ابن الجرزي رماهُ بوَهَقٍ فاختطفهُ من سرجهِ » وما ندري ماذا فهم الاستاذ من معنى « الوَهَق » (وهو الحبل في طرفهِ انشوطة تؤخذ بهِ الدابة والانسان) ولكنهُ ترجم هكذا

Ibn el Djourzi *le frappa avec une telle violence* qu'il lui fit vider les arçons.

(ص ٣٥٨) « مصر في اهلها صخب وطاعتهم رهب وسلمهم شغب »

فقرأ الاستاذ « شعب » من التشعب وترجم هكذا

Le peuple d'Égypte..ne se soumet que parce qu'il est *désuni*.

وشتان بين قول القائل « سلمهم » وقول الاستاذ « se soumet »

وكان الوجه لو فهم المعنى ان يقول Il est *tumultieux* même lorsqu'il *est en paix*.

﴿ المجلد الثالث ﴾

(ص ١٩) قال المسعودي « واخبرني من يرجع الى ادب ومعرفة ..»

فوضع الاستاذ هنا علامةً هكذا (١) وردّ القارئ بها الى الحواشي فراجعت تلك الحاشية فوجدتهُ يقول فيها انهُ وان كانت النسخ كلها قد اتفقت على تلك الرواية الا ان الاصح ان يقال « ممن يرجع الى ادبهِ ومعرفتهِ » وهذه اول مرةٍ تصدى فيها للتصحيح فاخطأ خطأً فاحشاً

(ص ٢١) « وانهُ (اي الفيل) مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة يمرّ بالانسان فلا يحسّ بوطئهِ حتى يغشاهُ لحسن خطوهِ واستقامة مشيهِ » . فترجم الاستاذ هذه القطعة هكذا

Malgré sa taille et le volume de son corpe, son allure est si douce et si régulière que *le voyageur* ne s'aperçoit pas de ses mouvemsuts et *peut se livrer au sommeil*.

جعل الانسان الذي يمرّ بهِ الفيل مسافراً على ظهر الفيل وترجم الكلام على معنى ان الفيل يسير بالراكب سيراً رفيقاً حتى ان هذا الراكب يقدر ان ينام . والظاهر انهُ اخذ معنى النوم من قولهِ « يغشاه » وكانهُ رأى في بعض المعجمات او غيرها قولهم « غشيهُ النعاس » فتطرّق من ذلك الى النوم وهو من غريب الفهم . وكان الوجه ان يترجم هكذا

il passe par l'homme et celui-ci ne l'aperçoit que lorsque l'animal l'aborde.

(ص ٦٨) « وهي الحجارة التي تُحَكّ بها الكتابة من الدفاتر وهي خفافٌ بيض على هيئة الشهد واكوار الزنابير » (يصف الحجارة التي تقذفها البراكين) فقرأ استاذنا اكوار الدنانير وطبع وترجم هكذا

Ce sont les pierres avec lesquelles on donne le

lustre et le *poli* aux registres ... elles affectent la forme d'un rayon de miel ou de *moules à Dinar d'un petit module*.

فجمل اكوار الزنابير بمعنى قوالب الدنانير وترجم الحك بالصقال

(ستأتي البقية)

احصآء الجسم البشري

نشر بعض علمآء منافع الاعضآء الاحصآء الآتي فاحببنا نقلهُ لما فيهِ من الغرابة والفائدة قال

يشتمل هيكل الانسان البالغ على ٢٤٦ عظماً منها ٢٤ فقار و٢٤ اضلاع و٤ في الحوض و٢ في العجز و٢٠ في الجمجمة و١٣ في الفك الاعلى و١ للفك الاسفل و٣٢ للاسنان و١٦ في رسغي اليدين و١٠ في مشطي الكفين و٢٨ في اصابع اليدين و١٤ في رسغي الرجلين و١٠ في مشطي القدمين و٢٨ في اصابع الرجلين والباقي عظام متفرقة في سائر الجسد

وجملة مسطَّح الجلد نحو متر مربع ونصف وخلايا البشرة في الغشآء المخاطي تبلغ ٠،١ من المليمتر علوًّا و٠،٠٠٥ عرضاً وفي الغشآء القرني تبلغ مثل النصف من ذلك ونوَياتها لا تتجاوز ٠،٠٠٣ من المليمتر

والجلد بطبقاتهِ الثلاث تبلغ ثخانتهُ ٤ مليمترات وفيهِ ٢٤٠٠٠٠٠ سَمّ (واحد المسامّ) وكل واحدة من الغدد العرقية التي تفرز من هذه المسامّ تتصل بسطح البشرة بقناةٍ صغيرة تبلغ من مليمترين الى ٣ طولاً واذا نُظمت هذه القنوات طرفاً الى طرف بلغ طولها نحواً من ٤٥ كيلومتراً

اما الاعضآء التنفسية والدورية فان البالغ يتنفس في الدقيقة من ١٢ الى ١٨ مرة وفي كل تنفس يدخل الرئتين نحو نصف لتر من الهوآء واذا كان التنفس طويلاً فقد يدخل بهِ لتران من الهوآء فيدخل الرئتين في اليوم ما يقرب من ٤٠٠٠٠ لتر

وقلب البالغ من الناس يبلغ معظم طولهِ ١٤ سنتيمتراً وقطره ١٠ سنتيمترات ونصفاً وينبض ٧٠ مرةً في الدقيقة و ٤٢٠٠ مرة في الساعة واكثر من ١٠٠ الف مرة في اليوم وفي كل نبضة يرسل ٧٥ غراماً من الدم الى الشرايين ومجموع ما يرسلهُ في الاربع والعشرين ساعة يبلغ نحو ٨٠٠٠ كيلغرام

وقطر الكُريّة من كُريات الدم ٠،٠٠٧ من المليمتر وثخانتها ٠،٠٠٢ وفي كل ميليمتر مكعب من الدم البشري نحو خمسة ملايين من الكريات . والانسان الذي ثقلهُ ٦٠ كيلغراماً يبلغ الدم فيهِ من ٥ الى ٦ ألتار فيبلغ عدد الكريات في دمهِ كلهِ ٢٥ تريليوناً (التريليون الف الف الف الف) واذا صُفّت متلاصقةً طرفاً الى طرف كانت سلسلةً تبلغ ١٧٥٠٠٠ كيلومتر

ثم ان القلب في كل انقباضةٍ من انقباضاتهِ يدفع الدم في الشرايين بسرعة ٣٠ سنتيمتراً في الثانية فيمرّ الدم كلهُ في القلب في مدة ثلاث دقائق

اما القناة الهضمية فهي اطول من الجسد بسبعة اضعاف ونصف ومسطّح المِعَى الدقيق الذي هو اربعة اخماس القناة المذكورة يبلغ نحواً من متر مربع وجدارهُ مؤلف من ثلاث طبقات وجدار المعدة مؤلف من اربع

ثم ان حركات الجسد المختلفة تتمّ بواسطة ٤٨٥ عضلة اكثرها في الرأس وأهمها ٧٧ عضلة منها ٨ للعينين والاجفان و ١ للانف و ٨ للشفتين

و ٨ للفك الادنى و ١١ للسان و ١١ للحنجرة و ١١ للاذن و ١ للحاجبين و ١٨ لحركات الرأس والعنق

اما الجهاز العصبي فيقدَّر ان الثلاثة والاربعين شفعاً من العصب الدماغي الشوكي تنتشر الى اطراف الجسم في شبكةٍ تشتمل في الاقل على عشرة ملايين من الفروع الدقيقة . وبعض هذه الخيوط العصبية يبلغ طولها مترين الى ثلاثة امتار مع ان غلظها لا يكاد يبلغ واحداً من مئة من الميليمتر

والدماغ مؤلف من نحو ٣٠٠ مليون من الخلايا العصبية تتفاوت اقطارها بين ٠،١ و ٠،٠١ من الميليمتر وكل واحدة من هذه الخلايا لا تجاوز حياتها في الجسم ستين يوماً بحيث يصح ان يقال انهُ في كل دقيقة يفنى في باطن الجمجمة نحو ٣٥٠٠ خليّة يتجدد مكانها مثلها وعليهِ ففي كل شهرين يتجدد الدماغ برمتهِ

كسوف الشمس

كان اليوم الثامن والعشرون من هذا الشهر موعد كسوف الشمس الا ان السمآء كانت غائمة بالقاهرة فلم يكد يُرَى الا مبدأ الكسوف ثم تواردت الغيوم امام الشمس وتكاثف الدجن فلم يبقَ سبيلٌ الى تحقيق رؤيتها وكان ابتدآء تماسّ الجرمين لثمان وثلاثين دقيقة بعد الساعة الخامسة من المسآء طبقاً لما انبأ بهِ المرصد العباسيّ بالعاصمة وتناقلتهُ جرائد القطر . على انهُ مهما كان من هذه الرؤية في مصر فلم يكن من المنتظر ان يكون فيها شيءٌ من الفائدة التي اهتمّ لها اهل العلم لان الكسوف عندنا كان

جزئيًا اي بالغًا ٨٩٪ من قرص الشمس لخروج مصر عن المنطقة التي يُرى فيها الكسوف التام

اما المنطقة المذكورة فتبتدئ من كاليفرنيا على الباسيفيك فتقطع جانبًا من اميركا الشمالية ثم تجوز الاتلانتيك الى اسبانيا وتقطع البحر الرومي فتمرّ باطراف الجزائر وتنتهي عند البحر الاحمر وعرضها نحو ٥٥ كيلومترًا وهي المسافة التي يُرى فيها الكسوف تامًا اي يكون جميع وجه الشمس محجوبًا بجرم القمر وكل موضعٍ كان الى احد جانبي هذه المنطقة كان الكسوف فيهِ جزئيًا او لم يُرَ فيهِ كسوفٌ البتة . ومدة الكسوف التام دقيقة و ١١ ثانية لا غير وهي الخلسة التي ما زال علماء الهيئة يتربصون حلولها منذ سنوات لرصد هذا الحادث المهمّ وقد اختاروا لذلك ناحية أليكَنْت على الشاطئ الشرقيّ من اسبانيا واستعدت البعوث من كل الاطراف للرحيل الى ذلك الموضع وقد كان ولا ريب ملتقى عددٍ عديد من اكابر علماء الهيئة ليقفوا تلك الوقفة القصيرة ثم يعود كلٌّ منهم الى مكانهِ بما امكنهُ الاطلاع عليهِ

ولا بأس هنا ان نتكلم شيئًا عن سبب اهتمام الفلكيين بهذا الكسوف واحتشادهم لرصدهِ من جميع اطراف الارض وذلك ان من نظر الى الشمس من وراء زجاجةٍ مدخَّنة يرى محيطها دائرةً ملساء كمحيط الدرهم مثلاً ولكنها في اوقات الكسوف ترى محاطةً باكليل ساطع يتفرع الى شُعَبٍ متفاوتة الطول يقال لها المشاعيل قد تذهب مسافاتٍ عظيمة في الفضاء وتتشكل باغرب الاشكال وعند قاعدتهِ اي بالقرب من قرص الشمس يلمع بلونٍ

فضيّ بهيج يتخلاله بقعٌ حمرآء تشبه ألسنة اللهب . وهذا الاكليل كان معروفاً عند المتقدمين وقد ورد ذكرهُ في بعض مصنفات بلوطرخس ولكن البقع الحمرآء التي ذكرناها لم يُتنبه لها الا منذ الكسوف الذي حدث سنة ١٢٣٩ واول من تفطن لها موراتوري ثم ذكرها كلافيوس سنة ١٥٦٠ ولم تُذكَر بعد ذلك الا سنة ١٧٣٣ فيما وصفها بهِ وسّاديوس . ولما حدث كسوف سنة ١٨٤٢ كانت ابصار جميع علمآء الهيئة موجهةً اليها ثم رصدوها سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٥٨ وكان اكثرهم الى ذلك الحين يذهب الى انها لا حقيقة لها حتى أُخذ رسمها بالفوتغرافية سنة ١٨٦٠ على يد دلارو والاب سكّي فكان ذلك فيها فصل الخطاب . وحينئذٍ اخذوا يبحثون عن اسبابها فكان من رأيهم انها ناشئة عن حدوث انفجاراتٍ عظيمة في الشمس ثم ظهر لهم بالتحليل الطيفي وجود جوٍّ هدروجيني كثيف حول الشمس فكان من همّهم ان يعاودوا رصد الاكليل ليتحققوا تركيب هذا الجوّ غير ان شدة لمعان الشمس تمنع من رؤيتهِ فلا يتأتى لهم رصدهُ ما لم يُحجَب جميع قرص الشمس بجرم القمر وهذا انما يكون عند الكسوف التام وهو من الحوادث النادرة لانهُ لا يقع الا اذا اتفق وقوع الجرمين على حاقّ العقدة مع كون القمر على ادنى مسافاته من الارض . ثم ان الكسوفات النادرة التي امكن رصدها منذ عشرين سنةً الى اليوم دلّت على وجود صلة بين سُفَع الشمس والمشاعيل وهيئة الاكليل وان كل ذلك ناشئٌ عن هيجانٍ في حرارة الشمس يثور في اوقاتٍ معلومة فبقي ان يُبحَث عن سبب هذا الهيجان الدوريّ وسائر ما يتصل بهِ ويترتب عليهِ وهو ما

يُؤمَّل ان يُتوصَّل الى معرفتهِ برصد هذا الكسوف مما لا بدّ ان نرى كلامهم فيهِ قريباً اذا لم يتفق لهم أن كانت حالة الجوّ حينئذٍ على مثل ما رأيناهُ في سماء القاهرة

﴿ اقتراح ﴾

ورد علينا الاقتراح الآتي فننشرناهُ بحروفهِ

نستمدّ من ذوي المعارف ازاحة الحجاب عن النفس ومقرّها بالطريق الفلسفي مع الاستناد الى البرهان بدون مسّ الاعتقادات المذهبية ولهم الفضل البصرة نعمة الله

عبو

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الافادة بالقول الفصل في العين وتأثيرها اذ ما ورد فيها شرعاً مسلَّم والمشاهدة تؤيدهُ لكن التعليل العلمي مجهول

وارجو ايضاً الافادة عما تعتقدهُ العامّة من ان المولود الذي يُحمَل بهِ في ايام الحسومات يولد اعجوبة من حيث الخَلق كزيادة او نقص اعضاء فيهِ وان كان لهذا الاعتقاد نصيب من الصحة فما التعليل خضر ابراهيم بالداخلية

الجواب — اما مسئلة العين فلم تثبت عند اهل العلم وان سلَّم بها الشرع وما يُدَّعى من المشاهدة لايخرج في رأينا عن المزاعم العامية على حدّ

كثيرٍ من الترَّهات التي نسمعها كل يوم . ومثل ذلك يقال في مسئلة المولود الذي يولد مشوَّه الخلق بزيادة او نقصان فانهُ لا يظهر لذلك علاقةٌ بايام الحسومات او غيرها وانما هو من خرافات العامّة وما يُرى احياناً من الشذوذ في خلقة المولود لا يختصّ بما كان الحمل بهِ في الايام التي ذكرتموها ولكن مثل ذلك يُعدّ من فلتات الطبيعة وهي لا تقيَّد بوقتٍ ولا ترجع الى قياس

القاهرة — رأيت في الكشكول نقلاً عن كتاب تقويم اللسان لابن الجوزي ما نصهُ . « جواب لا يُجمع وقول العامة اجوبة كتبي وجوابات كتبي غلط والصحيح جواب كتبي » اه . والمشهور في كتب اللغة الجمع فما قولكم

مصطفى توفيق

الجواب — سبق لنا في هذه المسألة كلامٌ شافٍ في مجلد السنة الماضية (ص ٣١٠) فراجعوهُ ان احببتم

القاهرة — قرأت في احدى جرائدنا اسم نوع من الحيوان سمتهُ بنات وردان فما هو هذا الحيوان

يوسف جرشون

الجواب — هو دويبةٌ نحو الخنفساء كريهة الريح تتولد في الاماكن الرطبة كالحمامات ونحوها وتألف الاماكن القذرة في البيوت وهي ذات الوانٍ مختلفة منها الاسود والاحمر والابيض والاصهب وتُعرف عند العامة بالصرصور

آثار ادبيّة

مشاهد اوربا واميركا — اهديت لنا نسخةٌ من كتاب بهذا العنوان تأليف حضرة السريّ الفاضل ادوار بك الياس من مفتشي نظارة الداخلية المصرية ضمنّهُ وصف سياحاتهِ في الارجآء الاوربية والاميركية وما تشتمل عليهِ تلك الاقطار من المشاهد الطبيعية والصناعية والآثار التاريخية واحوال من فيها من الامم واخلاقها وعاداتها ودُوَلها واحكامها وزينهُ برسوم الملوك والكبرآء وبعض المشاهد المعدودة. وقد صدّر الكلام على كل مملكةٍ بخلاصةٍ تاريخية ذكر فيها اهم ما يتعلق بتلك المملكة من حوادث ماضيها وحاضرها واخبار ملوكها وما تقلب عليها من الحدثان ثم ساق الكلام على حواضرها ومدنها وما يتعلق بها من تجارةٍ وصناعة ومغارس ومزارع وابنية ومشاهد وآثار الى غير ذلك مما يتفكه بهِ المطالع ويستفيد منهُ المتأمل بصيرةً وعلماً . فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل لما اطرف بهِ القرآء من هذه التحفة الثمينة ونحضّ عامة المتأدبين على مطالعة هذا المؤلف الجليل واغتنام ما فيهِ من الفوائد

الدنيا في باريز — هو عنوان رسائل يكتبها حضرة الفاضل الالمعيّ احمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار في وصف معرض باريز العام لسنة ١٩٠٠ الحاليّة وهي تصدر مرةً في الاسبوع وتوزع بهيئة ملحق

لمجلة طبيب العائلة لحضرة النطاسيّ الفاضل الدكتور عيد . وقد انتهت الينا الرسالتان الأُولَيان منها وهما تتضمنان وصف سفر المؤلف من القاهرة الى باريز وما مرّ بهِ من المشاهد تفنن فيه على طريقةٍ لطيفة جمع فيها بين اسلوب الشعر وقالب النثر في عبارةٍ سهلة نحا فيها ايداع الفائدة تحت ثوب الفكاهة فكانت ولا جرم حريةً بالمطالعة والاستقرآء جديرةً بان يُستوعَب ما فيها على غير مللٍ ولا سأم . وقد جآء ما في الرسالتين المذكورتين كالمقدمة لما سيكتبهُ في الكلام عن المعرض مما سيكون ولا شك كثير الفوائد على ما نعهد بالكاتب من دقة النظر والاجادة في الوصف

الهدية السنية لتعليم اللغة الانكليزية — اطلعنا على نسخةٍ من هذا الكتاب المفيد تأليف حضرة الاديب الياس افندي انطون اودعهُ فصولاً مختلفة في مفردات اللغتين الانكليزية والعربية واردفها بجملٍ خطابية في اكثر الاحوال اليومية مع ذكر كثيرٍ من الجمل الاصطلاحية والامثال السائرة وذيلهُ بصور بعض المراسلات والكتابات الرسمية التجارية وغيرها مما لا يستغني عنهُ الكاتب . والكتاب يشتمل على ما يقرب من ٣٠٠ صفحة وهو يباع عند مؤلفهِ في مكتبة الاميركان بالقاهرة وفي سائر المكاتب المشهورة فنحث الطلاب على مقتناهُ ونرجو لهُ مزيد الرواج

فكاهات

رواية

الفوز بعد الفوت

بقلم حضرة الكاتبة السيدة لبيبة هاشم

وكنتَ اذا ارسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً اتعبتك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلهُ انت قادرٌ عليهِ ولا عن بعضهِ انت صابرُ

حدث في مدينة بيروت ان شاباً يدعى جبرائيل قدم اليها من مدينة حلب الشهباء واكترى لنفسهِ غرفةً مفروشة في جهة يقال لها ميناء الحصن وهو مكان تكتنفهُ السهول والغياض الزاهرة والمناظر الطبيعية الانيقة ويزيدهُ تكسر امواج البحر المتوسط على شواطئهِ رونقاً وجمالاً فتجلو زرقتهُ عن الصدر الهموم وينفي صوت عجيجهِ عن القلب الشجون . وكان الفتى ربعة القوام عريض الجبهة حادّ البصر اسود العينين والشعر تدل ملامحهُ على الذكاء وتوقد الذهن . اما سبب قدومهِ فانهُ كان قد اصدر جريدة سياسية يخدم بها وطنهُ فلم يشعر يوماً الا وقد صدر اليهِ الامر بتوقيفها الى أجَلٍ غير مسمىً لانهُ تطرّف في بعض مباحثها السياسية الى ما لا يوافق مصلحة الحكومة وبذلك أُقفل امامهُ باب الرزق واصبح من جرّاء ذلك في ضيق شديد فترك وطنهُ وذهب هائماً على وجههِ يبحث عن

وسيلة يجدد بها بنآء ما هدم من مستقبلهِ حتى وصل الى بيروت فاستوقفهُ ما عاين فيها من حسن الموقع وجودة الاقليم اللذين لا يجهلهما كل من ساقهُ الحظ لمشاهدتها فضلاً عن انهُ وجد ان سوق الآداب والعلوم رائجة فيها لتقدم اهلها في المعارف والحضارة فصمم على الاقامة بها ومزاولة صناعة الانشآء والتدريس واعلن قصدهُ على صفحات بعض الجرائد

ولما كان اليوم الاول من دخولهِ الغرفة الجديدة جلس على متكإٍ قرب النافذة واخذ يجيل نظرهُ في الاماكن المجاورة فرأى امامهُ سهلاً فسيح الجوانب قد كستهُ يد الربيع حُللاً مختلفة الاشكال متمددة الالوان يمرّ عليها النسيم فتماوج تيهاً ودلالاً ويُسمع لها حفيفٌ اشبه بمناغاة الطفل او تغريد الاطيار يمازجهُ صوت امواج البحر المتلاطمة بالقرب منهُ وهي متابعة الهجوم يخالها الرآئي قريبة الوصول اليهِ ولكنها لا تلبث ان تعود القهقرى وقد تمزق شملها كبنات نعش وبالجملة فانهُ منظر بهيج ينعش القلب ويذهب بالمرء الى عالم التصور والخيال

وبينما كان جبريل يرسل نظرهُ في تلك الجهات اذ رأى على مسافةٍ قريبة قصراً يفوق كافة المنازل المجاورة في حسن البنآء وزخرفة النقش تكتنفهُ حديقةٌ حافلة بالاشجار مزدانة بالازهار يتخللها طرق وارصفة منقوشة بالحصى الملونة والصخور الصناعية تقذف منها المياه فتجري منسابةً حولها تروي النبات وفي احدى نوافذهِ كانت فتاة جالسةً تتعاطى بعض الاعمال اليدوية وقد ظهر قسمٌ من وجهها الورديّ البديع تتدلى حولهُ ضفائر شعرها كاسلاكٍ من الذهب

فلبث الشاب محدقاً اليها ببصرهِ متلذذاً بهذا المشهد اللطيف الى ان كانت منها التفاتة فصادفت عيناها عيني جارها الحديث اذ كان لم يزل متفرساً فيها وقد ادهشهُ ما رأى من جمال طلعتها ولطف ذاتها فاضطربت الفتاة لدى مشاهدتهِ على تلك الحال واسرعت فقرّت من امامهِ كالظبي النافر وقد صبغتها حمرة الخجل

ومن تلك الساعة بدأ جبرائيل يشعر بجاذب يجذبهُ الى الجلوس بقرب النافذة ليتمتع بمرأى جارتهِ التي لم تكن اقل منهُ شغفاً بذلك

ولم يمضِ اسبوع على وجود الشاب في المدينة حتى توفرت لديهِ الاشغال بما يكفل لهُ حسن حاضرهِ فعُين منشئاً لبعض الجرائد وكثر لديهِ طالبو العلم فكان يعطي دروساً متفرقة في ساعات معينة فحسنت حالهُ وتوفرت موارد ربحهِ

***

ولما كان بعض الايام وردت على جبرائيل رقعةٌ من احد الموسرين واسمهُ نعمان بك يدعوهُ لاعطآء دروس في منزلهِ فسار اليهِ يتقدمهُ خادم صاحب الرقعة الى ان انتهى بهِ الى باب منزل جارتهِ ولما صار امام الباب وقف الخادم وقال تفضل ادخل يا سيدي . فلبث جبرائيل واقفاً كالتمثال يفكر فيما عساهُ ان يكون من هذه الدعوة فتارةً يخيَّل لهُ انها حيلةٌ عمدت اليها حبيبتهُ لاستقدامهِ ثم يغالط نفسهُ لان الدعوة كانت من ابيها وطوراً يظن انها ربما باحت الى ابيها بحالها وكاشفتهُ بعواطفها فرام استدعآءهُ ليختبر حالهُ وهكذا كانت تتقاذفهُ الافكار وتذهب بهِ

الآمال الى ذروة المجد فيخيَّل لهُ ان السعادة تدنو منهُ وانهُ سيحصل على تلك الدرة الثمينة فيهنئ نفسهُ بهذا الفوز السريع

واخيراً دخل بصحبة الخادم الى غرفة الاستقبال وكانت مزينة باحسن الرياش وفي صدرها رجلٌ يبلغ الخمسين من العمر هو نعمان بك فاستقبل الاستاذ بابتسام وبعد ان استقرَّ بهما الجلوس ذكر لهُ انهُ يروم تعليم ابنتهِ مبادئ اللغة الفرنسوية فاجابهُ الى ذلك مسروراً

ومضت تلك الليلة وجبرائيل يحلم الاحلام الجميلة منتظراً بقلبٍ متلهب دنو الساعة الاولى التي يمكنهُ فيها التمتع بقرب فاتنتهِ التي اصبحت تلميذتهُ كما زعم فكان يرى الدقائق تمر بهِ كالايام والساعات كالاعوام ولم يصدق ان حان الوقت حتى هرول مسرعاً الى منزل نعمان بك حيث أُدخل غرفة التدريس في الطبقة السفلى فوجد التلميذة تنتظرهُ هناك والى جانبها حاضنتها فتأملها جبرائيل واذا هي ليست تلك التي ينتظرها بل كانت فتاةً تبلغ الثالثة عشرة من العمر جميلة المنظر فعلم انها لا بد ان تكون شقيقتها لما وجد بينهما من المشابهة فشرع في تعليمها وفكرهُ شارد في عالمٍ آخر ونظرهُ متجهٌ ابداً نحو الباب منتظراً من وقتٍ الى آخر دخول مالكة فؤادهِ اذ لم يكن عندهُ ريب في انها ستحضر متى علمت بوجودهِ . ولكن مضى الوقت وحان لهُ الانصراف وهي لم تحضر فنهض كاسف البال وخرج وقد كادت تفنى منهُ الآمال لو لم يلتمس لها فؤادهُ بعض الاعذار فعلل نفسهُ برؤيتها في اليوم التالي ولكنهُ كان كالقابض على الريح اذ مضى عليهِ اليوم الثاني والثالث والاسبوع الرابع والخامس والشهر السادس والسابع دون ان تمن

عليهِ بزورة او ترحم فؤادهُ بنظرة . واخيراً عيل صبرهُ وعلم انهُ في وادٍ وهي في واد وان لا دخل لها في دعوتهِ بل ان الاتفاق اوقع اختيار الاب عليهِ لتعليم ابنتهِ الصغرى ومن ذلك الحين تراكمت عليهِ الاحزان واشتدَّ بهِ اليأس ولا سيما لانهُ لم يكن يرى على محياها الجميل اشارة تفيد مشاركتهُ في ذلك الوجد والقلق او حركةً تشير الى اسباب الجفآء والصد بل كانت تظهر كل يوم في نافذتها باسمة الثغر مشرقة الجبين كأن لا علم لها بشيء مما يجري حولها ولا ما يقاسيهِ ذلك المسكين . فحمل ذلك منها على عدم الاكتراث بحالهِ ووجد لها عذراً في ذلك وهو تباين منزلتيهما من حيث الرفعة والغنى فرأى ان الابتعاد عن ذلك المكان خير وسيلة للسلوّ واعظم مساعد على النسيان وكتب الى نعمان بك يخبرهُ بعدم استطاعتهِ الاستمرار على تعليم ابنتهِ ويسألهُ الاعفآء فاجابهُ ذاك الى طلبهِ بعد ان ضرب لهُ موعداً يوافيهِ فيهِ الى منزلهِ لاجرآء الحساب بينهما

وهكذا حضر جبرائيل في الوقت المعين لاستيفآء الاجرة ووداع ذلك المنزل المحبوب الى الابد ولكنهُ لم تطأ قدماهُ الباب الخارجي حتى وقف مبهوتاً اذ رأى شخص حبيبتهِ يتمايل بين الاشجار وهي تحجبها تارةً وتظهرها اخرى فتبدو من خلالها تقاطيع جسمها البديع وهي مرتدية ثوباً حريرياً تحاكي الوانهُ ازهار الربيع التي كانت منتشرة حولها تغطي قدميها الصغيرتين . فلم يشعر جبرائيل الا وقد صار امامها كأن يداً قويةً دفعتهُ الى ذلك المكان ثم وقف بغتةً ولم يدرِ كيف يفاتحها الحديث

اما هي فحين ابصرتهُ توقفت فجأةً كمن مسهُ سلك كهربآئي ثم ما

لبثت ان اسرعت نحوهُ باسمة توشك شدة الفرح ان تنمّ بخفايا ضمائرها فبادرها بالسلام بينما كانت ترحب بهِ ثم دعتهُ الى الجلوس على مقعدٍ هناك وبعد سكوت دام بضع دقائق قالت لهُ وقد توردت وجنتاها اني اهنئ نفسي بقدومك يا سيدي ولا ريب في ان ابي سيسر كثيراً بزيارتك هذه التي اؤمل انها تكون فاتحة الزيارات بيننا . فاجابها اني اشكر كرم اخلاقكِ يا سيدتي واخبركِ مع الاسف ان زيارتي هي خاتمة الزيارات بيننا . فاجابتهُ مكتئبةً وكيف ذلك . قال لقد سبقت فطلبت الى والدكِ ان يعفيني من تعليم ابنتهِ وهاءنذا اتيت للمرّة الاخيرة تلبيةً لدعوتهِ و ... فقاطعتهُ قائلةً وهل كنت انت الاستاذ الذي وكل اليهِ ابي تعليم شقيقتي كل هذه المدة . قال نعم يا سيدتي ولم يسعدني الطالع بمشاهدتكِ يوماً مع طول تعللي بهذا الامل . قالت يا للاسف فاني قد علمت ان استاذاً يحضر في كل يوم لتدريس شقيقتي غير انهُ لم يخطر لي ان اتينهُ مرةً ولا عرفت من امرهِ سوى ان اسمهُ جبرائيل كما كانت تقول شقيقتي . فاجابها وقد اغرورقت عيناهُ اجل هو اسم هذا الشقيّ البخت الذي ترينهُ امامكِ وقد حضر ساعياً الى حتفهِ بظلفهِ اذ اصاب فؤادهُ من سهام اليأس ما قطع معهُ الامل من الحصول على مبتغاهُ فسعى للابتعاد عن هذا المنزل المقدس الذي رأى فيهِ علة شقائهِ

فحققت لهُ ان لا علم لها بشيءٍ مما يذكرهُ ثم دارت بينهما الاحاديث وفي آخر الامر تعاهدا على الحب واقسم كلٌّ منهما أن يجعل حياتهُ وقفاً على الآخر ولا يميل الى سواهُ ... وهنا قطع حديثهما وصول الاب وهو

ينادي ماري ماري واذ أبصر جبرائيل الى جانبها هش لهُ ودعاهُ الى غرفة الاستقبال حيث خلا كلٌّ منهما بصاحبهِ حيناً وبعد ذلك خرج جبرائيل كاسف البال حزيناً لان نعمان بك رفض قبولهُ صهراً لسبب ضيق ذات يدهِ

***

واعيا جبرائيل وجود وسيلةٍ تتوفر بها لديهِ الثروة في مدينة بيروت لقلة موارد الكسب فيها فاضطر ان يسافر الى الاسكندرية فالقاهرة فودع حبيبتهُ سرًّا وتبادلا التذكار بعد ان كررا الاقسام على حفظ العهود ولم يمضِ القليل على وصولهِ حتى وُفق الى خدمةٍ في بعض دوائر الحكومة فكان يمني النفس بالترقي القريب. وكانت حينئذٍ قد جُهّزت حملة لفتح السودان تحت قيادة غردون باشا وعيِّن جبرائيل من جملة الذين يرافقون الحملة فوجم اولاً واستآء غير انهُ ما لبث ان افترَّ ثغرهُ ابتساماً لما تجلى لهُ من الآمال فسافر في جملة الجيش وكان يحضر معهُ مواقع القتال وهو غير مبالٍ بما لعلهُ يصيبهُ من غوائل الحرب طمعاً في الاقتراب من حبيبتهِ وارضآء ابيها واظهر من الجرأة والاقدام ما حببهُ الى وليّ امرهِ وفتح لهُ باب الرجآء في الترقي . غير ان الدهر لم يلبث ان قلب لهُ ظهر المجنّ وبدَّد جيش آمالهِ بوقوع الفرقة الذي كان فيها في اسر قومٍ لا يعرفون للشفقة معنىً فاستباحوا دمآء البعض منهم واسروا البعض الآخر وكان جبرائيل من جملة من أُسر فتمنى لو اتبعوهُ باخوانهِ القتلى تخلصاً من تلك الحياة الثقيلة والعذاب المستمرّ . فلبث في الاسر مدة ثلاث عشرة سنة ذاق فيها من نكال الاسر ومرارة العيش ما لا يحيط بهِ وصف وحدثتهُ نفسهُ

مراراً بالانتحار ثم كان يعاوده الامل في التخلص والوصول الى لقآء حبيبتهِ التي لم يكن لهُ تعزيةٌ سوى ذكرها والنظر الى نوطٍ لطيف كانت قد اهدتهُ لهُ قبل رحيلهِ فعلقهُ بين صدرهِ وقيصهِ وجعل ينظر اليهِ من وقتٍ الى آخر ويغص بالحسرات . وفي ذلك الحين بلغهُ خبر قدوم الجيوش المصرية والانكليزية لفتح السودان فلمع امام عينيهِ بارق الامل وجعل يحاول الهرب من ايدي الاعدآء فتمّ لهُ ذلك بعد عنآء شديد وذهب فانضمّ الى الجيوش الفاتحة بعد ان اطلع القائد العام على حقيقة امرهِ وبينا كان ذات يومٍ مع صفوف المحاربين اصابتهُ رصاصةٌ من يد العدوّ فخرّ صريعاً فاحتملهُ رجال فرقتهِ الى المستشفى حيث وضعوهُ على فراشٍ في احدى الغرف وحضر الطبيب لضمد جراحهِ وبعد الفحص اعلن ان لا امل في حياتهِ

***

ولما دنا مني السياق تعطفت علّيَ وعندي عن تعطفها شغلُ
اتت وحياضُ الموت بيني وبينها وجادت بوصلٍ حين لا ينفع الوصلُ

مرّت على جبرائيل اربع وعشرون ساعةً وهو يتقلب بين الاوجاع والآلام ورشدهُ غائبٌ لا يعي مما حولهُ شيئاً . ثم عرضت لهُ انتباهةٌ وهي الانتباهة الاخيرة ففتح عينيهِ فلم يرَ عندهُ احداً سوى راهبةٍ من جمعية الصليب الاحمر اللواتي خصصنَ انفسهنَّ لخدمة المرضى وكانت جاثيةً قرب سريرهِ تنظر في النوط الذي على صدرهِ وتبكي بدموعٍ حارة وتسأل لهُ الشفآء ممن عينهُ لا تنام . وكان الجريح في حال غيبوبتهِ يتلفظ من وقتٍ

الى آخر بكلماتٍ متقطعة يتخللها اسم ماري احياناً فلما فتح عينيهِ وقع نظرهُ على الراهبة فتبسم شاكراً عنايتها ثم اطبق جفنيهِ وظهر على وجههِ بعض التأثر وجمجم بكلماتٍ فهمت منها قولهُ آه ما اشبهها بماري ثم تنهد وقال ماري حبيبتي هاءنذا اموت فدى عينيكِ . وعند ذلك صاحت الراهبة آه يا جبرائيل رفقاً بي . فتنبه الجريح لدى استماع ذلك الصوت وحدَّق بها ملياً واذ تحققت لهُ معرفتها ورأى خاتمهُ في يدها ارتعش ارتعاشاً شديداً واشتدّ بهِ التأثر بحيث منعهُ خفقان قلبهِ عن الكلام فاخذ يديها المبلالتين بالدموع وضمها الى صدرهِ وصاح بصوتهِ الضعيف المتقطع ماري ماري. فقالت جبرائيل انا هي تلك الشقية فارحم قلبي . فكرّر قولهُ ماري ماري ثم قبل يديها ثانيةً وساد السكوت حيناً كانت في اثنائهِ تتساقط دموعها بغزارة فتمتزج فوق ايديهما المشتبكة بعرى الدقائق الاخيرة الباقية لهُ من الحياة

واخيراً اشار اليها ان تخبرهُ شيئاً من امرها فقالت اني بعد ان مضت عليَّ عدة سنواتٍ ولم يأتني خبرٌ منك يئست من لقائك فانقلبت صورة الدنيا في عينيَّ ولم اعد اجد فيها ما يحبّبها اليَّ ففضلت عليها الحياة في هذا الثوب واشارت الى ثوبها الاسود الرهباني . فقال شكراً لكِ ايها الملَك الكريم وما كاد يتمّ هذه الالفاظ حتى تلاشت قوتهُ وعلت جبينهُ صفرة الموت ورأت ماري ان ساعتهُ قد دنت فاكبّت عليهِ ترش وجههُ بدموعها الحارّة ففتح عينيهِ مرة اخرى وقال استودعكِ الله . . اذكريني يا ماري . . ثم فاضت روحهُ

العلوم عند العرب

(تابع لما في الجزء السادس عشر)

واما الجراحة فلم يكادوا يزيدون فيها على ما تناولوهُ عن كتب اليونان بل ربما قصروا فيها عن مبلغهم لانها متوقفة على التشريح وهو محرَّمٌ عندهم فكانوا لا يعرفون صفات الاعضآء التشريحية الا بالوصف الذي يطالعونهُ في تلك الكتب . على ان اكابر الاطبآء منهم كانوا يترفعون عن تولي الاعمال الجراحية بايديهم فاذا دُعوا لامرٍ جراحيّ وصفوا طريقة العمل ووكلوا اجراءهُ الى الجرّاح . وبهذا انفردت الجراحة عن الطبّ وترتب على ذلك تراجعها واقتصارها على غير المهمّ من الاعمال كالقدح في العين واستخراجِ حصى المثانة وما اشبه ذلك الا ما ندر كما حكاهُ الرازيّ من انهُ شهد مرةً خرق عظم الفك الاسفل . واول من جمع بين الطب والجراحة مروان بن عبد الملك بن زُهر وكان لهُ باعٌ في معالجة الكسر والخلع وفتح القصبة وغير ذلك . واقتدى بهِ بعض اطبآء وقتهِ من اهل الاندلس واشهر من يُذكَر منهم ابو القاسم الزهراوي وكان بارعاً في بتر الاعضآء واستخراج ما يعترض في الحلق من الاجسام المبتلعة الا انهُ على كل حال كانت الجراحة في منتهى القصور حتى ذكر مروان بن عبد الملك المشار اليهِ انهُ لم يكن في ايامهِ من يحسن ان يثقب عظماً

واما الكيميآء فمعلومٌ ان الغرض منها كان تحويل بعض المعادن الى بعض بنآء على ما اقتضتهُ فلسفة تلك العصور مما لا نطيل بهِ في هذا

الموضع . وقد تناول العرب هذا العلم عن اليونان في جملة ما اقتبسوهُ عنهم من العلوم واشهر من اشتغل بهِ منهم جابر بن حيّان الكوفي حتى انهم كانوا يخصونهُ بهِ فيسمونهُ علم جابر ولهُ فيهِ تآليف كثيرة ذكر بعضهم انها تبلغ سبعين رسالةً . وممن عني بهِ ابو نصر الفارابي وابو بكر الرازي وذو النون المصري والحسن بن قدامة ومؤيد الدين الطغرائي وابن رشد وغيرهم من اكابر اهل العلم فضلاً عن المقلدين وهم خلقٌ لا يحصى وما فيهم الا من امتحن الامتحانات الغريبة وقلَّب الموادّ كل مقلَّب للوصول الى ما يسمونهُ بالاكسير او الحجر الفلسفي وهو الذي يتمّ بهِ تحويل المعادن كما زعموا فاكثروا من تحليل الاجسام وتركيبها وتحويلها من هيئةٍ الى هيئة بالتكليس والتقطير والتصعيد والتخمير وسلَّطوا بعضها على بعض فكانت لها مفاعيل مختلفة تحوّلت بها الموادّ الى صورٍ شتى بين املاح وارواح وزيوت ومركَّبات متباينة الهيئات والطبائع فكان اشتغالهم بهذه الصناعة اصلاً للكيمياء المحدثة التي استولى بها المتأخرون على ازمّة العناصر كما كانت مباحثهم في صناعة التنجيم اصلاً لعلم الهيئة الذي توصلوا بهِ الى الاحاطة باسرار العوالم

واما علم النبات فكان المشتغلون بهِ منهم نفراً قليلا ولم يكادوا ينظرون فيهِ الا الى جهة الخواص الطبية وقد اكتشفوا عدة انواع من العقاقير التي لم تكن معروفةً من قبل وهم اول من استعمل خيار شنبر والسنى والتمر الهندي في المسهلات واول من عالج بالعُنّاب والاهليلج والحلتيت وهذا الاخير من مكتشفات الرئيس ابن سيناء . واشهر من تتبع انواع النبات

ووصفها ابو حنيفة الدينوري من اهل القرن الثالث وابو بكر الرازي ولهُ تأليف مطوَّل أتى فيهِ على وصف عقاقير الهند وفارس والديار الشأمية وابن سيناء وقد استقرى عقاقير بلخ والصُغد وعبد اللطيف البغدادي ولهُ كتابٌ دقق فيهِ في وصف النبات بما لم يتقدمهُ فيهِ سواهُ ٠ وممن ألَّف في النبات الشريف الادريسي والغافقي والزهراوي وابن البيطار وقد تقدم ذكرهم قريباً واشهر ما كُتب فيهِ مصنَّف ابن البيطار جمع فيهِ مفردات الادوية والاغذية من النبات وغيرهِ مرتبةً على حروف المعجم وفيها كثيرٌ مما اكتشفهُ بنفسهِ كما نبه على ذلك في مقدمة الكتاب

واشتغالهم بالحيوان كان دون اشتغالهم بالنبات واول ما اخذوهُ عن كتابٍ لذيمقراطيس وآخر لارسطاطاليس عرّبهُ ابن البطريق وهو تسع عشرة رسالة٠ وقد كتب في هذا الفن جماعةٌ منهم واوسع ما وصل الينا من تصانيفهم الكتاب المعنون بحياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري ذكر فيهِ ما يزيد على الف نوع قيل انهُ جمعهُ عن خمس مئة وستين كتاباً ومئة وتسعة وتسعين ديواناً من دواوين شعراء العرب ٠ وممن كتب فيهِ ابو عثمان الجاحظ وابن ابي الاشعث وابن الكتبي وغيرهم الا ان كل تآليفهم قاصرة لم يتعدّوا فيها الوصف النوعيّ

واما علم المعادن فاول من تكلم فيهِ كلاماً صحيحاً ابن سيناء فانهُ قسم المعادن الى اربع مراتب وهي الحجارة والفلزّات والاجسام الدهنية (١) والاملاح وبقي هذا التقسيم معتبراً في كثيرٍ من المدارس العليا باوربا الى

(١) المراد بالاجسام الدهنية كل ما يقبل الالتهاب كالكبريت والنفط والحمر واشباهها

القرن الثامن عشر . واكثر ما ذكروا انواع المعادن في كتب المفردات الطبية لبيان خواصّها كما فعلوا في انواع النبات وقلّ من افردها في مؤلف مخصوص واشهر من كتب فيها ابو الريحان البيروني وقد جاء في بعض المصنفات انهُ سافر مدة اربعين سنة في تفقد انواع الحجارة الكريمة التي اودعها كتابهُ قالوا ولهُ في ذلك اكتشافات سنيّة

واما علم طبقات الارض فلم نرَ فيهِ كلاماً لاحدٍ من المتقدمين مع أن ارسطاطاليس ذكر شيئاً من اصول هذا العلم فتكلم على تولد الاراضي الطفالية على فُوَّهات الانهار الكبرى وشخوص الجبال بفعل البراكين وكذلك استرابون تكلم على ركوب البحار لليبس وانحسار المآء عن دَرَك البحار بدليل الاصداف وبقايا الاسماك التي تُرَى على رؤوس الجبال وفي جوف الارض الى غير ذلك . وقد جآء للقزويني في بعض هذه المعاني كلامٌ في كتابهِ عجائب المخلوقات لا يخرج غالبهُ عن حدّ الخرافة كما فعل فيما ذكرهُ عن انواع الحيوان والمعادن وغيرها على ان عنوان كتابهِ يدلّ على انهُ كتاب عجائب لا كتاب علم ولذلك حرص فيهِ على جمع الخوارق . لكن جاء في بعض مصنفات الافرنج ان العرب تكلموا على طبقات الارض في القرن العاشر وما يليهِ وهو الاخلق بهم الا انهُ لم يبلغنا شيءٌ من كتبهم

واما الجغرافية فاشتغل بها كثيرون منهم ولهم فيها التصانيف المفيدة واكثر ما تكلموا على جغرافية افريقيا وآسيا وممن اشتهر من جغرافييهم ابن خرداذبه ابو القاسم عُبَيد الله بن عبد الله الجغرافي المؤرخ من اهل القرن الثالث ولهُ كتاب المسالك والممالك . ومنهم ابو اسحق الاصطخري

من اهل القرن الرابع ساح في بلاد العرب وما يليها الى الهند وصنف كتاباً جليلاً سماهُ كتاب الاقاليم . ومنهم ابن حوقل وهو من معاصريهِ ساح في الديار الاسلامية وبلاد البربر وجال في الاندلس ودخل العراق واراضي فارس وغيرها وقضى في رحلتهِ نحواً من ثمانٍ وعشرين سنة وألَّف كتاباً سماهُ المسالك والممالك والمفاوز والمهالك . ومن اقدم جغرافيي العرب ابن فضلان المتوفى سنة ٣٠٩ وصف بلاد الروس على ما كانت عليهِ لوقتهِ . وممن جآء بعدهُ ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمذاني المعروف بابن الحائك ولهُ كتابٌ في وصف جزيرة العرب . ومنهم ابو الحسن عليّ المسعودي ساح في بلاد فارس والهند وتيبت وجزيرة سيلان وبعض جهات افريقيا والسودان وجنوبي جزيرة العرب والديار الشامية ومملكة الروم ولهُ عدة تآليف في الجغرافية والتاريخ اشهرها كتاب مروج الذهب . ومنهم البيروني الرياضي الفيلسوف المشهور ابو الريحان محمد بن محمد الخوارزمي ولهُ كتابٌ نفيس في وصف بلاد الهند . ومنهم ابو عبد الله محمد الشريف الادريسي من اهل القرن السادس ساح في بلاد الاندلس وشمالي افريقيا وآسيا الصغرى ولهُ مؤلف جليل في وصف افريقيا واسبانيا وايطاليا سماهُ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ولهُ ايضاً وصف فلسطين وبر الشام . ومن معاصريهِ ياقوت الحموي وهو روميّ الجنس ساح في بلادٍ كثيرة دهراً طويلاً ولهُ كتابٌ في الجغرافية رتبهُ على حروف المعجم سماهُ معجم البلدان وهو أشهر ما أُلّف في هذا الباب وأجمعهُ . ومن اصحاب الرِحَل محمد بن جبَير البلنسي من اهل القرن السادس رحل الى الشام والعراق والجزيرة

وتجول في القطر المصري ولهُ كتاب رحلةٍ مشهور . ومن رحالاتهم ابن بطوطة ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجيّ من أهل القرن الثامن ساح في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند والصين والتتار واتى بلاد السودان وألَّف في ذلك رحلتهُ المشهورة . ومنهم غير اولئك ممن لا نطيل بذكرهم (ستأتي البقية)

كلامٌ صحّي في الشعر

لحضرة النطاسي البارع الدكتور اديب افندي الزيات

انهُ مع ما بلغ اليهِ علم حفظ الصحة في ايامنا من التدقيق والاتساع وتعدد التآليف والمقالات في كل فرعٍ من فروعهِ قلما ترى من تعرض للكلام عن صحة الشعر ووسائل الاعتناء بهِ والنفر اليسير الذين كتبوا في هذا الموضوع كانوا مختلفين في الرأي متباينين في المبدأ فضلاً عن ان كتاباتهم محصورة في بعض المؤلفات التي لا يتيسر الوصول اليها الاَّ لبعض الخاصة

ولما كان الشعر من أجمل ما حلت بهِ الطبيعة الانسان وكان كثير التعرض للآفات المرضية من تغير اللون تارةً والسقوط أو التكسر اخرى فضلاً عما يطرأ عليهِ من الامراض التي هي أتمّ من ذلك احياناً كان البحث في صحة الشعر من أهمّ المواضيع التي تشمل فائدتها الخاص والعام وقد سئلنا كتابة شيءٍ في هذا المعنى يستبصر بهِ المطالع فلخصنا في هذه الصفحات أهمّ ما عثرنا عليهِ في التآليف الحديثة المخصوصة وما اقتبسناهُ عن كبار

اساتذة هذا الفن مع ما ساقتنا اليهِ الخبرة الشخصية فنقول

اعلم اولاً انهُ قد ثبت بعد الاختبار الطويل ان الشعر اذا كان جافاً قليل المادة الدهنية ضَعُفَ وكان عرضةً للتكسر والتناثر واذا كان كثير المادة الدهنية كان كذلك عرضةً للانحلال والسقوط فكلتا الحالتين اذن مضرّتان بحياة الشعر ونموّهِ وانما الحالة الطبيعية للشعر هي المتوسطة بينهما اعني ان لا يكون كثير الجفاف ولا غزير المواد الدهنية وبذلك يكون طويل البقآء غزير النمآء . وحينئذٍ فمن الواجب المحافظة ما امكن على بقآء الشعر في الحالة المذكورة فاذا كان من طبيعتهِ جافاً حَسُنَ ان يلين بالموادّ الدهنية منعاً لتكسرهِ وبالعكس اذا كان الشعر كثير الدهنية فينبغي ان يُمتنَع ما امكن من استعمال الزيوت والادهان واذا كثرت فيهِ المادّة الدهنية حَسُنَ ان يُفرَك بالكحل (السبيرتو) المخفف او الكولونيا المخففة

ثم ان شعر الرأس يبقى قوياً نامياً عند من اعتادوا كشف رؤوسهم وبعكسهم الذين يغطون رؤوسهم دائماً سوآء كان بالقبعات الثقيلة أو بالطرابيش أو العمائم وكذلك الذين ينامون وعلى رؤوسهم « الطواقي » فان عاقبة ذلك كلهِ سقوط الشعر والصلع القريب

أما الوسائل التي يجب اتخاذها لحفظ الشعر في حالتهِ الطبيعية اي في غير الاحوال المرضية فاهمّها النظافة لتخليص الشعر من كل ما يعلق بهِ من الغبار الذي يحملهُ اليه الهوآء السائر ومما يفرزهُ عليهِ الجلد من العرق والمواد الدهنية والقشرة وغير ذلك مما لا يخلو من الجراثيم المرضية بحيث انها اذا أُهملت تولد عنها كثير من امراض الشعر والجلد الشعري كالهبرية

والصلع والاكزيمات المختلفة والقَرَع وغيرها. غير ان التنظيف انما يجب ان يكون عند الحاجة اليهِ وعلى قدرها فلا يجوز المبالغة فيهِ الى ما فوق اللزوم خوفاً من الوقوع في الشطط لانهُ اذا كان اهمال الشعر مضرًّا فالاكثار من التنظيف والفرك العنيف قد يفضي الى ما لا تحمد عاقبتهُ والحكمة في الاعتدال

ولما كانت وسائل التنظيف تختلف بتفاوت السن فنشير اولاً الى الطرق الواجب اتباعها في الاطفال ثم نذكر ما يجب عملهُ فيمن هم فوق ذلك سناً

اما الاطفال فكل الامهات يعلمنَ انهُ كثيراً ما يظهر في المولود في سنتهِ الاولى قشرة في قمة الرأس رخوة صعبة الاستئصال ذات لون اسمر ضارب الى الصفرة وهذه القشرة مكونة من مادة دهنية يفرزها جلد الرأس فتمتزج مع القشر وما يلحقهُ من الغبار ويسميها بعض العامة خبز الرأس وكثيرٌ منهم يتركونها وشأنها لظنهم ان ازالتها قد تؤذي الطفل والحقيقة على عكس ذلك أعني ان هذه القشرة اذا بقيت على الرأس فقد تكون سبباً للاكزيما الشعرية وموطناً للمكروبات ومرعى للهوام. وعليهِ فمن الضروري نزع هذه القشرة والطريقة في ذلك ان تليَّن بزيت اللوز او بزيت الخروع المعطر مدة اثنتي عشرة ساعة ثم يُغسَل الرأس بالماء الفاتر والصابون او بغُلاية خشب البناما ويُعاد ذلك كل ثمانية أو كل خمسة عشر يوماً مرةً. وعلى كلٍّ فلا يجوز استعمال الصابون المهيج مثل صابون البوتاس والقطران وغيرهما ولا يُفرَك الشعر فركاً عنيفاً

واما فيمن هم فوق سن الطفولية فلا بد من تنظيف الشعر بغسلهِ مرةً في الاسبوعين او الثلاثة لكنهُ يحسن غسلهُ مرةً في الاسبوع في البلاد الحارّة نظير القطر المصري لكثرة التراب والغبار فيهِ ومن فاحش الغلط ان يُغسَل الرأس كل يوم بالمآء الكثير اذ ان تنشيفهُ صعب وفي الغالب لا تعود الى الشعر مادّتهُ الدهنية التي يفقدها بالغسل وهي ضرورية لحفظهِ من الآفات المرضية فيصير جافاً سريع التكسر

ولا بأس من غسل الرأس بصابون القطران او الزورسين او البوتاس وهذا خصوصاً اذا كان الشعر من طبعهِ كثير المادة الدهنية . واذا كان جلد الرأس سريع التأثر فيغسل بغلاية خشب البناما او محلول البورق على نسبة ٤ ٪ والغسل يكون بالاصابع او بشرية (فرشاة) نظيفة جدًّا او بقطعة من القطن الهيدروفيل وهو الافضل ويُفرَك الجلد بقوةٍ حتى تُزال عنهُ الاوساخ المتلبدة عليهِ . ولا ينبغي ان يُفتَل الشعر في اثناء الغسل ولا ان يُجذَب جذباً عنيفاً بالمشط لتخليصهِ او لازالة ما يتخللهُ من الاوساخ . ويستحسَن استعمال المآء السخن او مآء البورق المسخن ومتى ملأ الزَبَد الشعر يُغسَل بمآء دافق ثم ينشَّف تنشيفاً تاماً بان يُفرَك فركاً خفيفاً بفوطة ثم يلفّ الرأس بفوطةٍ اخرى ناشفة دافئة . ومتى تمّ جفافهُ يُدهَن الشعر بقليلٍ من زيت اللوز الحلو او زيت الخروع المعطَّر بعطر البرغموت ليعوّض على الشعر المادة الدهنية التي زالت عنهُ بالغسل لكن يكتفى منهُ بالقدر القليل بحيث يكون الشعر لا جافاً ولا كثير المادة الدهنية كما قدمنا

هذا أهمّ ما ينبغي معرفتهُ لاجل نظافة الشعر وغسلهِ وسنأتي في احد الاجزآء القادمة على تمة ما يتعلق بهذا الباب من كيفية استعمال ادوات التمشيط والصبغات الشعرية وكيفية قص الشعر لمنع المدوى وغير ذلك

النفس

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا

وقفت على الاقتراح المدرج في الجزء الاخير من مجلتكم الضيآء (ص ٥٦٤) فيما يتعلق بتعريف النفس ومقرّها ولما كان هذا البحث مما يهمّ كل احد احببت ان اورد فيهِ ما انتهت اليهِ اقوال الحكمآء بما امكن من الاختصار فاقول

لا ريب ان الانسان مركب من جوهرين يختلف كلٌّ منهما عن الآخر بالافعال والصفات والذات وهما النفس والجسد الا ان النفس اخفى سرًّا وادقّ بحثاً ومن ثم اختلف العلمآء في بيان حقيقتها فانقسموا الى مذهبين يتفرّع كلٌّ منهما الى عدة فروع . الاول مذهب الروحيين الذين قالوا انها روح وهو مذهب اكابر الفلاسفة والعلمآء في كل عصر واعتقاد اهل الاديان اجمع من موحدين ومشركين . والثاني مذهب المادّيين الذين قالوا انها جسم لا تختلف عن المادة او نتيجةٌ حاصلة عن الجسم وصفة لازمة لهُ كالجاذبية والكهربآئية وهو اكثر تشعباً وتقلباً من الاول . وقبل ان نخوض في هذا البحث لا بد لنا من التنبيه الى بعض امور لازمة نجعلها توطئةً وتمهيداً لهُ فنقول

اولاً ان المراد بالماهية الصفة الذاتية التي تقوم بها ذات الموجود الجوهرية وحقيقتهُ وعنها ينشأ باقي صفاتهِ الثانوية الملازمة لهُ او العارضة

ثانياً ان ما نوردهُ من الادلة ثابت على مبدإٍ مقرر لا اختلاف فيهِ وهو اننا لا نعرف ماهية الاشيآء بذاتها رأساً اي لا ندركها الا من طريق النظر والاستدلال

ثالثاً اذا غابت عنا ماهية الاشيآء او خفيت حقيقتها فلنا من افعالها ما يدل عليها اذ لا بد لكل فعلٍ من فاعلٍ مناسب لهُ يصدر عنهُ مباشرةً بحيث يكون اقرب دليلٍ عليهِ لشدة الملابسة بين المعلول والعلة والفعل والفاعل . وعليهِ فلو فرضنا حصول فعلين مختلفين نحكم بلا تردد انهما من سببين مختلفين طبعاً وان كانا متشابهين شكلاً ولا نشك في صحة ذلك ما لم نرفض حكم العقل او نفقد قوة الاستدلال

رابعاً ان كل ما يأتيهِ الانسان من الافعال مما لا تصح نسبتهُ الى الاجسام يجب ان ينسب فيهِ الى النفس اذ ليس لهُ علةٌ مناسبة فيهِ سواها سوآء كانت هذه العلة السبب الاول العامل في تلك الافعال كالفكر مثلاً او السبب الثانوي الذي يتصرف فيها كفعل الجاذبية فانها عامة في كل الاجسام الا ان تصرّف الانسان فيها حتى يدك الجبال ويرفع الاثقال لا يصح ان ينسب الى جسمهِ وانما يجب ان ينسب الى قوةٍ متصرفة فيهِ غير الجسم وكذلك قوة السمع فانها مشتركةٌ بين كل انواع الحيوان الا ان كمالها في الانسان وتصرّفهُ فيها حتى تؤثر فيهِ الكلمة وتدفعهُ الى اقصى البلاد ومقاساة الاهوال لا يصح ان ينسب فيهِ الى المبدأ الحي المشترك

بينهُ وبين الحيوان وانما يجب ان ينسب الى مبدإٍ عاقل يدرك ما لا تصل اليهِ الحواس من المعاني والصور العقلية المجردة

خامساً　اذا تقرر ذلك يسوغ لنا ان نتخذ كل فعلٍ من افعال الانسان دليلاً على ماهية نفسهِ سوآء كانت هذه الافعال عقلية صرفةً او حيوية يشترك معهُ فيها انواع البهيمة او جسمانية عامةً في المادة . الا انهُ لما كانت هذه الافعال كثيرة لا تقع تحت الحصر ولا سبيل الى بيان ما ينفرد بهِ الانسان منها نقتصر على الافعال النفسانية المحضة او العقلية ونذكر كل فعلٍ مع ما يشاكلهُ ونتخذهُ دليلاً على المطلوب وهو ماهية نفس الانسان

***

فالدليل الاول الوجدان وهو ادراك الانسان وجودهُ الذاتي وما يتمّ بهِ من فعلٍ وانفعال ولا بد لذلك من انعكاس المبدأ العاقل على ذاتهِ بحيث يكون موضوع الادراك ومحمولهُ واحداً اعني ان يكون الفاهم عين المفهوم وهذا الاتحاد التامّ لا يمكن ان يكون في الاجسام مهما كانت لطيفة التركيب فضلاً عن انها ليس في وسعها ان تدرك شيئاً أثر فيها أو صدر عنها فلا بد ان يكون هذا الوجدان ناشئاً في الانسان عن مبدإٍ بسيط خالٍ من التركيب والتعدُّد على الاطلاق وليس فيهِ شيء من خواص المادة التي يمنعها تداخل الاجزآء تمنع هذا الاتحاد التام

الثاني الشعور وهو ادراك المحسوسات ومعلوم انهُ لا يتم هذا الادراك الا بعد تأثير الجسم على آلة الحس في الجسم الحي ونقل هذا التأثير بطريق

العصب الى الدماغ مركز الحس العام حيث تدرك فلا يتم اذاً ادراك المحسوسات الا اذا كان الانسان منتبهاً لها وموجهاً قواهُ اليها والا فقد تمرّ الاشباح ولا ندرك لها صورةً ولا معنىً اذا شُغلت النفس بغيرها ومن ثم لا تكون الحواس والاعصاب والدماغ الا آلة تستخدمها النفس لادراك هذا التأثير بصورتهِ الجزئية ادراكاً بسيطاً لا تركيب فيهِ مختلفاً عن المادة وخواصها فلا بد ان تكون علتهُ التي صدر عنها بسيطة لا تركيب فيها مختلفة عن المادة

الثالث الذكر وهو رجوع النفس الى مدركاتها السابقة اي اعادة النظر فيما حُفظ منها ويتم ذلك بثلاثة افعال وهي ادراكٌ سابق وحفظهُ واعادة النظر فيهِ مع اتحاد الفاعل فيها كلها ويلزم من ذلك ان يكون الفاعل فيها واحداً بالذات وحدةً جوهرية تامة لا يتغير ولا يتبدل مطلقاً . ومعلوم ان الجسم عرضة للتحول والتغير فلا يصلح لحفظ ما ندرك وذكر ما نحفظ وينتج انهُ ليس في الانسان قوة مناسبة لذلك لا تتغير ولا تحول الا نفسهُ وهي مجردة عن خواص المادة بالاطلاق

الرابع الفكر او تصور الكليات وهو ادراك بسيط للشيء من غير ان نحكم عليهِ بامرٍ لا نفياً ولا اثباتاً او هو حصول صورة في العقل مجردة عن الزمان والمكان وعن كل ما فيهِ رائحة التركيب والمادة وهو أبسط افعال الانسان العقلية الذي يدل على ماهية نفسهِ وتجردها عن المادة والتركيب وكونها روحاً بسيطاً يستغني عن الاجسام بافعالهِ وقيامهِ للاختلاف الجوهري بين التصورات الكلية والاجسام أو المادة الجزئية كما تقدم لنا

بيان ذلك في مجلد هذه السنة من الضياء (راجع صفحة ١٤٧ و ١٧٦)

الخامس الحكم أو التصديق وهو نسبة امرٍ الى آخر لعلاقةٍ مشتركةٍ بينهما وهو لا يتم الا بادراك حقيقة المحكوم والمحكوم عليه والنسبة الواقعة بين الطرفين ايجابيةً أو سلبية كالحكم على الانسان بالحركة فان ذلك يقتضي المعرفة بحقيقة الانسان والحركة وما لهُ من الاشتراك فيها فيلزم من ذلك ان يكون مبدأ الحكم فينا مفرداً بسيطاً جامعاً لطرفي الحكم والنسبة معاً لا تركيب فيهِ ولا تعدُّد مطلقاً

السادس الاستدلال وهو انتقال الذهن من حكمٍ الى آخر ملازم لهُ بطريق الاستنتاج لانهُ داخلٌ فيهِ أو بطريق التمثيل والاستقراء لانهُ مساوٍ لهُ ولا بد لهُ من اجتماع معانٍ كثيرة في الذهن من صور كلية وأحكام عقلية حاصلة فيهِ بلا تشويش لكي تتمَّ المقابلة وتعرف نتيجة القياس فيجب من ثم ان تكون قوة الاستدلال صادرة عن مبدإٍ روحاني بسيط مجرد من كل تركيب جامع لمعانٍ كثيرة وصور شتى بلا تشويش لانهُ لو كان مركباً من المادة لامتنع علينا الاستدلال كما يمتنع الحكم لعدم امكان اجتماع المعاني الكثيرة أو الصور المختلفة في الاجسام بلا تشويش ولا اختلاط

السابع الارادة أو الرغبة وهي ميل الانسان الى ما يرى فيهِ نفعهُ فالجسم لا يتحرك الى جهةٍ مخصوصة ما لم يدفعهُ اليها مبدأ عاقل يدرك ما هناك من الخير فيسعى في طلبهِ أو يرى خلاف ذلك فيسعى بالفرار منهُ الا انهُ كثيراً ما تحمل النفس الجسم على ملاقاة الاهوال وتجشم المشاق والاخطار بل الموت قياماً بالواجب أو سعياً وراء خيرٍ باقٍ أو ذكرٍ دائم

لا يكون منهُ للجسم نصيب بل عذاب وبلآء كقول ابي الطيب

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

والحاصل انك لا ترى شيئاً من الحيوان يسعى الى ملاقاة الحتوف بنفسهِ غير الانسان فهو اذاً سيدٌ مطلق بنفسهِ وما الجسم الا خادم يستعملهُ في مقاصدهِ ويتصرف فيهِ لمرادهِ وينتج من ذلك ان نفسهُ جوهرٌ عاقل تدرك ولا تخاف ان تموت بموت الجسم

الثامن الانفعالات العقلية كالفرح والحزن فان الانسان تؤثر فيهِ الاسباب الخارجة تأثيراً معنوياً لا يكون في غيرهِ كتأثير معنى الحرب مثلاً فانهُ اذا نظر الانسان الى سوء عاقبتها في جسمهِ أثر فيهِ ذلك كراهيةً لها وخوفاً منها واذا نظر الى ما يحصل لهُ ولوطنهِ من الشرف ان فاز أو مات فيها أثر فيهِ ذلك إقداماً ورغبةً . ومعلوم ان الحصول على هذه العواطف الشريفة وتأثير معانيها الكلية لا يناسب الاجسام الا اذا كانت ذات نفس عاقلة تدرك المعاني المجردة الكلية فضلاً عن كونها حساسة تدرك الصور الجزئية المحسوسة والنتيجة انهُ يجب أن تكون نفس الانسان روحية مجردة عن كل مادّة (ستأتي البقية)

﴿ ارباح المعارض وخسائرها ﴾

نشرت احدى المجلات الفرنسوية تحت هذا العنوان ما تعريبهُ

لا شك ان كثيراً من الناس يتشوفون الى معرفة ما سيكون من ثمرة المعرض الحالي في باريز وما يترتب عليهِ من ربح أو خسران وهذا

ولا جرم من الامور المنوطة بالاستقبال فلا يكون الحكم فيهِ منذ الآن الا مُبتسَراً لكن لا بأس في هذا المقام ان ننظر الى ما كان من حال المعارض السالفة في فرنسا وغيرها من البلاد منذ اواسط هذا القرن وللمطالع ان يتخذ مما سنذكرهُ الدليل الذي يرجحهُ

فان اول معرضٍ عام كان كما هو معلوم معرض انكلترا الذي تولى انشاءهُ البرنس ألبرت زوج الملكة فكتوريا وقد بلغ رسم الدخول الى قصر البلور الذي كان نكتة المعرض عشرة ملايين ونصف مليون من الفرنكات وبلغ الربح بعد اسقاط النفقات كلها ٢ ٦٠٠ ٠٠٠ فرنك

وأُنشئ بعدهُ معرض سنة ١٨٥٥ في باريز فبلغت نفقاتهُ ٢٤ ٨٥٠ ٠٠٠ فرنك وكان دخلهُ نحواً من ١٥ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنك فقصّر الدخل عن النفقة في تلك السنة بين تسعة وعشرة ملايين من الفرنكات

وفي سنة ١٨٦٢ انشئ معرض آخر في لندرا باهتمام البرنس ألبرت ايضاً لكن اتفق في تلك السنة موت البرنس فقصّر الدخل عن النفقات مليوني فرنك على الاقل ثم ان مجلس نواب الامة ابى مشترى القصور المبتناة لهُ في المدينة فتجاوزت الخسارة الى اربعة ملايين

وبعد ذلك اقامت فرنسا معرض سنة ١٨٦٧ فكان الربح من دخلهِ مبلغ ثلاثة ملايين من الفرنكات وبذلك مُحي شيء من ذكر الخسران الذي كان سنة ١٨٥٥

وكأن هذا النجاح جرّأ النمسا فأقامت معرضاً في ڤينا سنة ١٨٧٣ الا انهُ كان على اثر خسائر باهظة في البلاد واضطراباتٍ سياسية فكانت

خسارة المعرض ٤٩ مليوناً من الفرنكات وهي خسارةٌ فاحشة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المعارض

ثم انهُ بعد ثلاث سنوات اي سنة ١٨٧٦ أُقيم معرض في فيلادلفيا فكانت خسارتهُ على ما يقرب من نسبة خسائر فينا ومع ان زوار المعرض لم يكونوا أقل من احد عشر مليوناً فان الخسارة بلغت اربعة ملايين و ٥٠٠ الف فرنك

وعلى مثل ذلك كانت عاقبة المعرض الفرنسوي الذي انشئ سنة ١٨٧٨ فان زوّارهُ كانوا ١٦ مليوناً لكن دخلهُ لم يتجاوز ٢٤ مليون فرنك وكانت نفقات المعرض ما يقرب من ضعفي هذا الدخل

واخيراً لما اقيم معرض سنة ١٨٨٦ في لندرا كان ربحهُ ٨٨٧٠٠٠ فرنك ثم تلاهُ معرض منشستر سنة ١٨٨٧ وكان ربحهُ ١١٠٠٠٠٠ فرنك ومعرض غلسكو سنة ١٨٨٨ وكان ربحهُ نحواً من مليون و ٥٠٠٠٠٠ فرنك

واربح المعارض السالفة كان معرض سنة ١٨٨٩ فان نفقاتهِ كانت ٤١٥٠٠٠٠٠ فرنك وبلغت قيمة رسم الدخول ٤٩٥٥٠٠٠٠ فكان ربحهُ زيادةً على ثمانية ملايين . واذا اضفنا الى ذلك سائر الارباح التي نجمت بسببهِ كان منها ١٠ ملايين فرنك قيمة مكوس و ١٢ مليوناً ونصف مليون دخل ملاعب التمثيل و ٧٥ مليوناً قيمة تذاكر في سكك الحديد علاوةً على التذاكر المعتادة و ٨ ملايين اجرة مراسلات للبريد

وآخر معرض عمومي بعد سنة ١٨٨٩ كان معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ وكان زوّارهُ نحواً من ٣٠ مليوناً وبلغ ربحهُ ٦ ملايين و ٦٠٠ الف فرنك .

وعليهِ ففي الامل ان المعرض الحالي سيكون لهُ من الفوائد الحسية والمعنوية ما يزيد على جميع المعارض التي سبقتهُ . انتهى

اللحَى والسبال

من أغرب ما جآء في تاريخ الرجل اهتمامهُ بهذه الشعرات النابتة في وجههِ لا يعرف لها معنىً سوى التمييز بينهُ وبين المرأة على حدّ ما يُرَى من الفروق في المنظر بين الذكران والاناث في اكثر انواع الحيوان فترى اكثر النـاس يتفننون في تشكيل لحاهم وشواربهم على اشكالٍ شتى يُقصَد ببعضها الجمال وببعضها الدلالة على الرجولية الى غير ذلك حتى ان كثيرين ينفقون جانباً من ساعاتهم في تهيئة لحاهم أو شواربهم . وقد كانت العادة القديمة في المشرق اطلاق اللحى والشوارب وكان متقدمو الاشوريين والفرس يحبكون لحاهم حبكاً محكماً كما تراهُ في التماثيل الباقية الى يومنا هذا . وبعكس ذلك متقدمو المصريين فانهم كانوا يحلقون ما على وجوههم من لحى وشوارب الا انهم كثيراً ما كانوا يتركون العثنون وهو ما فضل بعد شعر العارضين ويأخذون مما حولهُ حتى يصير مربع الشكل ويقطعون طرفهُ كذلك وكانت عثانين الملوك طويلة وبخلافها عثانين الرعية فانهم كانوا يقصرونها . وذلك كلهُ في غير اوقات الحداد فان الاشوريين والفرس كانوا يحلقون لحاهم والمصريين يطلقونها وكذلك كانوا يفعلون عند قصد التنكيل والعقوبة فان المصريين كانوا يحظرون على المجرمين حلق وجوههم وغيرهم كانوا يحلقون لحاهم وما زال حلق اللحى الى هذا اليوم معتبراً في عامة بلاد المشرق

من اعظم الاهانات لمن اعتاد اطلاقها

اما متقدمو اليونان فكانوا يطلقون لحاهم الى زمن الاسكندر فانهُ أوجب على قومهِ المكدونيين ان يحلقوهـا ثم اقتدى بهم غيرهم بعد موت الاسكندر فصاروا جميعهم يحلقونها . ولم تجرِ عادة الحلق عند الرومان الا منذ سنة ٢٩٥ قبل الميـلاد فلما ملك ادريانوس امر باعادة اللحى ثم امر قسطنطين بحلقها . وقيل انهم كانوا اولاً يطلقون لحاهم في زمن الشباب فاذا شاخوا حلقوها ما خلا العلمآء منهم والفلاسفة فانهم كانوا يستمرّون على اطلاقها الى آخر حياتهم

اما عند الفرنك فكان اطلاق اللحى واجباً وكانت هي المميزة بينهم وبين الرومان لكنهم لم يكونوا يطيلونها كثيراً وكانوا يعقدونها بضفائر من ذهب ويقيمون لها حرمةً عظيمة حتى انهُ في سنة ٦٣٠ صدر امرٌ بالعقاب الشديد على كل من يقصّ لحية رجلٍ بدون رضاهُ . ويُروَى عن شرلمان انهُ كان اذا حلف يقول اقسم بالقديس دانيس وبهذه اللحية المتصلة بعارضيّ . وكان ملوك فرنسا الى عهد فرنسيس الاول يحلقون لحاهم ثم مالوا الى تقليد القديم فاطلقوها وكذلك فعل البابوات ولاسيما يوليوس الثاني اقتدآء باليونان وبقدمآء الرومان . ثم انهُ في عهد هنريكس الرابع عادوا الى حلقها ما خلا بعض المحافظين على القديم ومنهم من كان يترك الشاربين والمنفقة وهي الشعرات تحت الشفة السفلى وتعرف عندهم بالملكية . وفي عهد لويس الرابع عشر ابطلوا الشوارب والعنافق ولما كان زمن الثورة أُعيدت اللحى والشوارب ثم عادوا في زمن الملكية الى حلق اللحى وفي ايام نابليون كانت

العوارض والشوارب والمنافق من خصائص الجهادية

اما الشوارب على الخصوص فكانت عامةً في الشرق ولا سيما عند الصينيين بل الظاهر ان عادة حلق الشوارب لم تُعرَف في الشرق قطّ واما في الغرب فان اليونان والرومان كانوا يطلقونها تارةً ويحلقونها اخرى والفرنك لبثوا يحلقونها الى ان دخلوا غاليا في القرن الخامس فعدلوا الى اطلاقها ثم حلقوها في القرن التاسع وعادوا اليها في القرن الحادي عشر زمن الحروب الصليبية ثم اهملوها في القرن الرابع عشر وردّوها في السادس عشر على عهد فرنسيس الاول وعمّت بين خدام الدين الى عهد لويس الرابع عشر وفي اوائل هذا القرن صدر امرٌ يوجبها على كل جهاديٍّ من الفرسان ما خلا الدراغون ثم عمّ اطلاقها عند الجميع

مُتَفَرِّقَاتٌ

خصائص التقويم — ذكر بعضهم خصائص للتقويم السنوي منها انهُ منذ الاصلاح الذي تمّ على يدي البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٢ لا يبتدئ قرنٌ من القرون يوم اربعاء ولا يوم جمعة ولا احد وان التقويم الواحد يمكن ان يستخدم بنفسهِ بعد عشرين سنة

ومنها ان يناير واكتوبر من السنة الواحدة يبتدئان دائماً في يومٍ واحد من الاسبوع وكذلك كلٌّ من ابريل ويوليو ومن ستمبر ودسمبر

ومن فبراير ومارس ونوفمبر وذلك كلهُ فيما خلا السنين الكبيسة

ثم انا اذا تفقدنا ايام الراحة عند الامم قديمها وحديثها وجدنا ان كل واحدةٍ قد اختصت لنفسها يوماً من الاسبوع فالاحد للمسيحيين والاثنان للاغارقة والثلاثآء للفُرس والاربعآء للاشوريين والخميس للمصريين والجمعة للمسلمين والسبت لليهود

اما مطابقة السنة الغريغورية لحركة الشمس فان ما يقع فيها من الخطآء لا يتجاوز ٢٤ ثانية في السنة فيجتمع عن ذلك في كل ثلاثة آلاف سنة يوم واحد

عدد السفن التجارية في العالم — جآء في احدى المجلات الانكليزية ان جملة السفن التجارية في العالم تبلغ ٢٨ الف سفينة منها للانكليز ١٠٩٩٨ فتكون التجارة البحرية الانكليزية نحواً من ٤٠ ٪ من تجارة العالم كلهِ . وبعدها سفن الولايات المتحدة وعددها ٣٠٠٠ ثم سفن نروج وهي ٢٥٠٠ ثم سفن المانيا وهي ١٦٦٦ الا ان محمول السفن الالمانية اعظم من محمول النروجية . وتأتي بعد ذلك سفن فرنسا وايطاليا وهي متقاربة العدد فان سفن فرنسا تبلغ ١١٨٠ وسفن ايطاليا ١١٧٥ . واذا جمعنا سفن انكلترا والولايات المتحدة كانت نصف سفن العالم بالاجمال

اسئلة واجوبتها

المنيا — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) نرى اكثر الجرائد تستعمل لفظ الانخذال للجيش بمعنى الانكسار والفشل ولكني لم اجد ذلك في كتب اللغة فما قولكم فيه

(٢) قرأت في احدى الجرائد لفظ « نابوشودونوزور » وكأنهُ اسم احد الملوك الاقدمين فمن كان هذا الملك وهل لهُ ذكر في كتب العرب

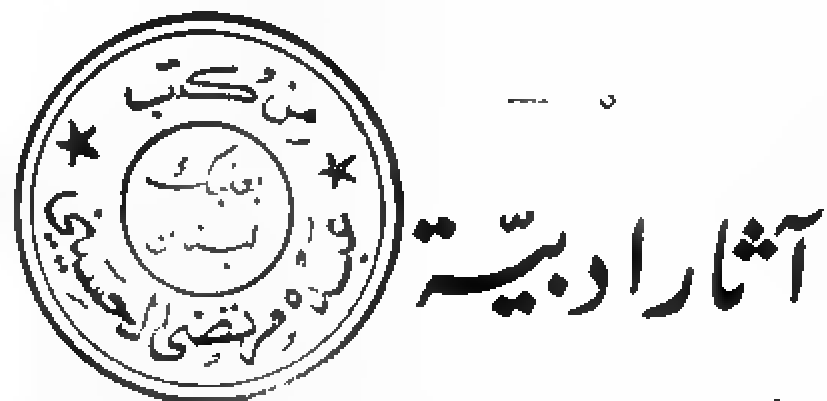
مستفيد

الجواب — اما لفظ الانخذال فلم يرد في شيء من كلامهم لا بالمعنى الذي ذكرتموهُ ولا بغيرهِ لكن الذي في كتب اللغة خذلهُ وخذل عنهُ اذا تخلف عنهُ وقعد عن نصرتهِ وهذا فضلاً عن كونهِ ليس بالمعنى الذي يريدونهُ لا يصح ان تُبنى منهُ صيغة انفعل لانها للمطاوعة وهي انما تكون فيما يقبل اثر الفعل ولا اثر للخذلان في المخذول كما لا يخفى

واما الاسم الذي ذكرتموهُ فالمراد بهِ بختنصَّر ملك بابل المشهور نقلهُ الافرنج عن لفظهِ الاصلي وهو نبوخذنصَّر فعبَّروا عن الخاء بالشين كما هو اصطلاحهم وابدلوا من صادهِ زاياً ثم كأنهُ لم يكفهم طول هذا الاسم فزادوا عليهِ بين كل حرفين مدًّا حتى صار بالصورة التي نقلتها الجريدة . لكن بقي ان الافرنج يلفظون هذا الاسم بالكاف لا بالشين فكان ينبغي على الاقل ان تصوّرهُ بلفظهِ الصحيح حتى لا تضيف غلطاً على غلط

بور سعيد — هل وردت كلمة « تأكسد » في العربية أوَلا يمكن استعمال لفظةٍ غيرها للمعنى المراد بها سليم الخوري

الجواب — اما ورود هذه اللفظة في العربية فانها ليست من كلام العرب ولا كان العرب يعرفون هذا المعنى وان عرفوا بعض الجزئيات الداخلة تحتهُ . واما استبدالها بلفظةٍ عربية فهذه ليست من الالفاظ التي لنا ان نضع بازآئها كما سنبينهُ في تتمة الكلام على التعريب



آثار ادبيّة

المجلة المصرية — مجلةٌ ادبية تاريخية قضآئية اقتصادية علمية زراعية لصاحبها ومنشئها حضرة الكاتب الاريب والشاعر المجيد خليل افندي المطران تشترك في تحريرها لجنةٌ من اعاظم الكتاب ويديرها حضرة الاديب الكاتب محمد افندي مسعود احد منشئي جريدة المؤيد الغرآء . وقد تصفحنا الجزء الاول منها فوجدناهُ حافلاً بكثيرٍ من المقالات والفصول المفيدة في فنونٍ شتى من العلم والادب وسائر المطالب المشار اليها . والمجلة تصدر مرتين في الشهر في ٤٠ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ثمانون غرشاً مصرياً في السنة فنحث جمهور الادبآء وارباب المطالعات على الاشتراك فيها ونتمنى لها الثبات والرواج

فكاهات

رواية

بلايا الحروب[1]

كان في انكلترا في ما مضى من الزمان رجل من الاشراف قد قضى معظم حياته في رغد العيش وسعة اليد ورزقهُ الله ولدين ذكراً وانثى فدعا الغلام اوبري وسمى اختهُ مادلين . ولما ثارت في انكلترا الحرب الاهلية المعروفة بحرب الوردتين سنة ١٣٤٢ قضي على هذا الرجل بزوال السعادة فدهمت جيوش الاسكتلنديين قصرهُ وتركتهُ خراباً فتشتت شمل اهل بيتهِ وفرّ الغلام في ناحية والفتاة في ناحية اخرى فلم يقف لهما على اثر . ولما يئس منهما هرب بزوجتهِ فراراً من القتل ولم يبعد عن القصر الا قليلاً حتى تبعتهُ الجنود وطلبوا منهُ التسليم فأبى وتملقوهُ فلم يرضَ فقتلوهُ وقادوا زوجتهُ اسيرةً لكنها لم تلبث ان برَّح بها الحزن على مصاب زوجها وفقد ولديها فماتت بعد زوجها بثلاثة ايام

اما اوبري فبقي سائراً من بلدةٍ الى اخرى حتى بلغ المسكر الانكليزي فطلب التطوع في الخدمة وكان لم يزل يافعاً فأبوا قبولهُ غير انهُ لما قصَّ عليهم ما اصاب اسرتهُ قبلهُ القائد العام واوصى رئيس فرقتهِ ان يعتني بهِ فانتظم

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

في الجيش وابلى في الاعدآء بلآء حسناً . واما مادلين فلم تزل سائرةً واثر فيها الخوف والتعب فوصلت الى شارعٍ منقطع وسقطت على الارض . ومرَّ من هناك خادمٌ لبعض بيوت السادات فحملها في عربتهِ الى بيتهِ ولما رجع الى بيت سيدهِ اصحبها معهُ فوجدت مادلين نفسها في قصرٍ اجمل من قصر ابيها بين أُسرةٍ ذات سؤددٍ وغنى عظيم وعلمت انها في بيت اللرد وارِك إرل سالسبوري . وكانت زوجتهُ الكنتة جوان بلانتاجنت ابنة عم الملك ادورد ملك بريطانيا فلما علمت الكنتة بخبر مادلين اخذتها اليها واتخذتها عشيرةً لها فلم تسمح بفراقها ساعةً . وكانت الكنتة تسعى جهدها في تسلية مادلين فلم يمضِ عليها الوقت الطويل حتى أَنِست باهل الدار وخف حزنها على فقد اسرتها غيرَ انها كانت كلما تذكرت والدتها تنزوي الى غرفتها وتمطر خديها الورديين بدمعٍ غزير

وكان اخو اللرد وارِك واسمهُ السير وليم مونتاغ فتىً غض الشباب ومن الفرسان الاشدآء فاحبتهُ مادلين لكنها اخفت ما بها مخافة ان تستآء الكنتة فضلاً عن انها كانت تشعر من نفسها بانها ليست من مقام السير وليم ولذلك حرصت على ايداع حبها طي ضميرها فلم تبدِ اقل ما يدل على ذلك غير انها كانت كلما وقع بصرها على السير وليم تشعر بخفقان قلبها واضطراب جوارحها وانعقاد لسانها . وكان السير وليم قد اصابهُ ضعف ما اصاب مادلين ولكنهُ شغلتهُ الحرب القائمة عن التصابي فأجّل الاهتمام بعواطف الحب الى ان ينقضي اجل الحرب . وكانت نيران الثورة تخمد مدةً ثم تهيج براكينها باشدّ مما كانت عليهِ فتنسف وتدمّر وتخرّب ولا

تخريب بركان يزوف ورأى اللرد وارك ان الاصوب نقل زوجتهِ الى قلعتهِ الشهيرة حيث تكون بمعزلٍ عن مشاهدة اهوال الحرب فنقلها وماد لين ووكل بحراستهما اخاهُ وليم في شرذمةٍ من الجنود وعاد اللرد الى معسكر مليكهِ للمحافظة عليهِ والذود عن الوطن

وفازت الجنود الاسكتلندية في بعض المواقع وقصدت فرقةٌ منهم قلعة اللرد وارك وصعدت الكنتة جوان الى اعالي القلعة فرأت الاعداء يقتربون بسرعةٍ فأمرت بعض اتباعها ان يدعو لها السير وليم ولما حضر اشارت بيدها الى الجيش الزاحف وقالت انني افضل ملاقاة هذه العساكر ومقاتلتها على البقاء هنا كالحمام في اقفاصها . فتبسم السير وليم وقال سكّني روعكِ ايتها العزيزة انهُ ليس عندنا الا اربعون فارساً فلا قِبَل لنا بمثل هذا الجيش الكثيف ولكن اذا وصلت الاعداء وعسكرت في السهل امامنا خرجنا اليهم ليلاً واذقناهم الموت الزؤام . ولما خيم الظلام نصبت الجنود الاسكتلندية سرادقاتها واوقدت نيران الحراسة على نيّة مفاجأة القلعة في الصباح . ولما انتصف الليل كانت الكنتة لا تزال تراقب حركات العساكر فرأت فرسانها ينسحبون من باب القلعة بسكونٍ وهم ممتطون خيولهم فجثت على الارض ورفعت بصرها الى السماء وطلبت من الله حفظهم وردّهم مكللين بالانتصار . وبينما كانت جيوش الاعداء لاهية بالطرب والسرور لم تشعر الا وقد دهمها رجال السير وليم بخيولهم وسلاحهم وتناولوهم بالسيوف والحراب فذُعر الاسكتلنديون وهبّ كلٌّ الى سيفهِ فأعملهُ في رأس رفيقهِ وهم تحت ذلك الليل الحالك وبعد معركة دموية استمرّت نحو ثلاث ساعات انهزمت

جيوشهم تاركةً كل ما كان معها من زادٍ وذخيرة وعاد السير وليم الى القلعة منتصراً. فقابلت الكنتة جوان رجالها البواسل بوجهٍ ضاحك ودعتهم الى تناول كاسٍ من الخمر من يدها فشرب الجميع نخب انكلترا وملكها والكنتة

اما السير وليم فكان ينتظر اول كل شيء ان يحظى بمشاهدة حبيبتهِ مادلين ويسمع من فمها كلمة الترحيب واذا بها داخلة وعلى وجهها آثار الكآبة فاخذ يدها وقال ما بالكِ يا عزيزتي مادلين هل غمَّكِ رجوعي سالماً. قالت معاذ الله لكني أخشى سوء العاقبة فلا بد للاسكتلنديين من الرجوع بعددٍ اكثر وتدبيرٍ احكم للاخذ بالثأر . فتبسم وليم وقال انني اعترف لكِ الآن باني قد وقفت قلبي على سبيل هواكِ فاذا اجبتِني الى محبتي رأيتِ من هذه اليد ترساً يحميكِ من اعظم المخاطر وكفاني ان اتحقق انكِ لي فلا ابالي ولو هاجمني الثقلان . فتساقطت الدموع من مقلتي مادلين وحنت رأسها على صدرهِ قائلةً أحبك وانت حياتي فالطف بحياتك اكراماً لي وعدني انك تكون أشدّ تحرزاً في المواقع المستقبلة فقد رأيت عنك في هذه الليلة احلاماً مزعجة . قال خففي عنكِ يا عزيزتي ولاتهتمي بهذه الخيالات الليلية فانما هي أضغاث أحلام وانا أعدكِ بأني لا أفعل الا ما ترومين واختم وعدي لكِ بهذه القبلة

ولما بلغ امير اسكتلندا انهزام رجالهِ امام قلعة وارك قامت قيامتهُ فجند جيشاً وآلى على نفسهِ ان لا يعود عن القلعة الا بعد ان يجعلها جثوةً على قبر الذين فيها . وفي ظهر اليوم الثاني كانت جيوش الاسكتلنديين

محيطة بالقلعة احاطة السوار بالمعصم وللحال أمر الامير الاسكتلندي بعض رجالهِ بردم الخنادق والبعض الآخر بنقب الجدران فهبوا الى العمل غير مبالين بالاسهم النازلة عليهم نزول المطر وكان اذا سقط الواحد اخذ الثاني مكانهُ الى ان ثغروا السور الخارجي ودخلتهُ بعض الجنود . فلما رأى السير وليم ذلك صاح « لحارسنا القديس جاورجيوس ولوطننا العزيز » ثم اخترط سيفهُ وهجم واقتدت بهِ فرسانهُ لسدّ الممرّ الذي فتحهُ الاسكتلنديون وكان عدد الاعداء يتزايد وفرسان القلعة يقل عددها وكانت الكنتة ومادلين في أعلى القلعة تراقبان حركات المقاتلين فابصرتا من فعال السير وليم ما تعجز عنهُ الابطال ولكن رأتا من كثرة عدد العدوّ ما ايقنتا معهُ بضياع الامل فاخذتا تجيلان الرأي فيما ينبغي صنعهُ . فقالت مادلين عندي امرٌ واحد اظن فيهِ الخلاص ولكن فيهِ خطراً شديداً قد لا يمكن اجتيازهُ . . وبينا هي تتكلم اذ وصل اليهما السير وليم وكان قد جاءَ ليتفقد حالتهما فسمع كلام مادلين فقال قولي يا عزيزتي ما الرأي الذي سنح لكِ . قالت ان الملك ادورد الآن في بركشاير على مسافة قريبة من هنا فلو أمكن وجود من يخاطر بنفسهِ فيخترق صفوف الاعداء ويبلغ الملك أمرنا لأتتنا النجدة في الحال تخلصنا وهلك الاسكتلنديون . قال وليم لا جرم ان هذا هو الرأي ولكن من اين نعلم ان ادورد في بركشاير وآخر خبرٍ بلغنا انهُ في داخلية البلاد . قالت قد علمت ذلك من احد الاسرى اذ كنت اعالجهُ امس . قالت الكنتة ولكن هل يوجد بين ابطالنا من يجترئ على اقتحام هذا الخطر . قال وليم انهم جميعاً قد اضناهم الجوع والتعب فلا اظن ان عندنا من يقدم

على هذا الامر الكبير غير واحد وسأرسلهُ عند منتصف الليل . ثم اسرع الى رجالهِ يصدر الاوامر ويشدد القتال وكان بين رجالهِ بطلٌ يدعى أنسلم فسلَّم اليهِ القيادة وجهزَّهُ بالاوامر اللازمة ولما انتصف الليل اسرج وليم جوادهُ وتدجج بسلاحهِ واطلق لجوادهِ العنان . ورأتهُ الكنتة فصاحت يالك من شجاع يا وليم فلا عدمتك بريطانيا اما مادلين فسترت بيديها عينيها الداميتين وقالت ويلاهُ انا السبب في هلاكهِ . وكانت الليلة حالكة والبرد قارساً والرعود تقصف والجيش الاسكتلندي نائمٌ وحرسهُ غافلون اذ لم يخطر لهم امكان حدوث مثل هذا الامر تخلص السير وليم وبلغ يركشاير وما وقع الخبر على سماع الملك ادورد واللرد وارك حتى نهضا برجالهما متوجهين لتخليص القلمة . وفي صباح اليوم الثاني نهض الاسكتلنديون لمعاودة القتال ولكن بلغ اميرهم ان الملك ادورد قادمٌ بجيشٍ كعدد الرمال فتراجع عن القلمة ولما كان الليل التالي سار تحت ظلمتهِ فاوغل برجالهِ في البيداء وكان فرارهُ قبل وصول الملك ادورد بساعاتٍ قلائل

ولما وصل الملك فُتحت ابواب القلمة للقآئهِ وقابلتهُ ابنة عمهِ جوان بالترحيب وصافح السير وليم مادلين وقد قرأ في عينيها آيات السرور والاعجاب بشجاعتهِ وصرف الجميع ليلتهم بمسرةٍ وابتهاج . وفي الصباح التالي امر الملك ادورد بعض الفرسان بالمبارزة فتلثمت الابطال واصطفت في ميدان القلمة ونزع الملك من اصبعهِ خاتماً ثميناً فدفعهُ الى الكنتة لتمنحهُ جائزةً للفائز ثم هجم الرجال بعضهم على بعض ودارت رحى تلك الحرب الجدية الهزلية فمنهم من جُرح ومنهم من أُسر وانجلت المكافحة عن اثنين لم يكلاَّ

ولم تضعف عزائمهما وكانا بقوة واحدة فشخصت اليهما ابصار الجميع واذ ذاك سقط احدهما الى الارض فوثب الثاني اليهِ ووضع سيفهُ على عنقهِ لحظةً ثم رمى بالسيف الى الارض واخذ بيد غريمهِ فاقامهُ وقال انا اعلم ان الجواد كان سبب سقوطك والا لما تمكن احدٌ منا من صاحبهِ . ودعا الملك الفائز ليأخذ الخاتم من يد الكنتة فاقترب ولما اعطتهُ الخاتم قبل يدها ثم توجه توًّا الى حيث كانت مادلين فالبسها الخاتم وجثا امامها باحترام فعرفتهُ مادلين وصبغ وجنتيها الاحمرار . ثم امر الملك المتبارزَين ان يرفعا نقابيهما ففعل الفائز واذا بهِ السير وليم فاثنى عليهِ الملك ادورد وقبَّلهُ اخوهُ وارلك ثم قال لهُ ادورد استعدّ يا وليم لمرافقتي الى فرنسا فانني بحاجةٍ الى ساعدك فيها . ثم نظر الى الكنتة وقال من هي هذه الفتاة اللطيفة التي خصّها السير وليم بمحبتهِ . قالت انها يتيمة يا عزيزي ادورد اتخذها وليم معبودةً لهُ . واذ ذاك اقترب المبارز الثاني ورفع نقابهُ فصاح الملك ماذا ارى اهذا انت يا اوبري . ووقعت الكلمة في سماع مادلين فنظرت الى الفتى فاذا هو اخوها فصاحت اخي وألقت بنفسها عليهِ فضمها اوبري الى صدرهِ وتعانقا طويلاً . فتعجب ادورد من ذلك الاتفاق وقال احمد الله على انتهاء مبارزة هذين الاثنين بسلام فانهُ لم يكن يخطر ببالي قطّ ان يكون احدهما اخاها والآخر خطيبها . ثم التفت الى اوبري وقال متى اتيت يا اوبري . قال اني اتممت اوامر جلالتكم وبعد ان عدت بلغني حضوركم الى هنا فوصلت حين كانت الفرسان تستعد للبراز فدخلت معها وقد اتيت لاخبر جلالتكم ان الجنود على اتمّ الاستعداد للسفر الى فرنسا

وبعد ان قضوا بضعة ايام صفـآء سار ادورد بجيوشهِ مصحباً معهُ السير وليم واوبري فانضم الى بقية عساكرهِ وسافر الى فرنسا تاركاً مادلين المسكينة حزينةً لفراق حبيبها واخيها . ومضى عليها سبع سنوات كان ادورد يتنقل في اثنآئها الى حيث تدعوهُ الحرب فلم يتمكن المحب من زيارة حبيبتهِ ولا الاخ من مشاهدة اختهِ

وبعد ما انقضت الحرب وعاد ادورد الى لندن احيا في نفس الليلة التي وصل فيها ليلة انس دعا اليها عظمآءهُ وفي مقدمتهم ابنة عمهِ الكنتة جوان . وحضر ايضاً اوبري ووليم رغبةً في مشاهدة مادلين ولكن سآء فألهما فان الكنتة كانت بعد ان سمعت الملك يطنب في صفات مادلين لعبت في رأسها نيران الغيرة فطردتها فانطلقت المسكينة الى بيت تاجرٍ كان خادماً عند والدها فاقامت عندهُ

وكان الملك ادورد يتخطر في غرفتهِ بين المدعوّين وقد طوّق بذراعهِ خصر الكنتة وبينا هما كذلك سقطت عصابة ساق الكنتة الى الارض وكانت محبوكةً بالجواهر والحجارة الكريمة فانحنى الملك امامها والتقطها . ورأى الحاضرون ذلك فضحك بعضهم فاخذ الملك العصابة ووضعها على فخذهِ اليسرى وقال « ليخزَ كل من ظنّ سوءًا » ثم نظر الى ابنة عمهِ وقال سوف يفتخر اعظم الرجال في العصور المقبلة بشرف الحصول على هذا الوسام . وكان كذلك

اما وليم واوبري فلما لم يريا مادلين خرجا من قصر الملك وجملا يبحثان عنها حتى بلغهما ما ذكرناهُ . وكان في ذلك الحين قد انتشر الوبآء الشهير في

انكلترا فسارا وهما يمرّان بالجثث الملقاة في الشوارع ويسمعان النداء بالويل فكانا صامتين يفكر كلٌّ منهما في مادلين ويود ان يطير للقياها وهما يحسبان حسابات شتى . ولم يزالا يبحثان حتى بلغا بيت التاجر الذي كانت عندهُ فسألا عنها وهل هي باقية في قيد الحياة فقال الرجل نعم انها قد نجت مع اهل بيتي من آفات الوبآء باذن الله واذا كنتما تودّان مشاهدتها فما عليكما الا ان تنتظراها ساعةً ريثما ترجع . فقال السير وليم والى اين ذهبت في مثل هذا الوقت . قال لا اعلم يا سيديَّ غير اني اقول انها مَلَكٌ في صورة انسان وقد كانت كل هذه المدة تذهب لمساعدة المصابين وتعزيتهم غير مباليةٍ بالاخطار . فجلس وليم واوبري وافكارهما تائهة في مهامه الخوف وهما يحسبان الدقائق اعواماً واذا بالباب قد فتح ودخلت مادلين وقد اكتسب وجهها جمالاً جديداً فاضاء بنورٍ سماويٍّ فهجم الاثنان عليها يقبلانها ويضمانها الى افئدتهما. ثم قال السير وليم هلمّ بنا نهرب عاجلاً الى فرنسا فان من يسكن هنا لا يأمن خطر هذا الوبآء . فقالت مادلين لم اعهدك جباناً يا وليم أتهرب. . واذا نجوت من الموت هنا أفلعل البلاد التي تهرب اليها لا موت فيها . فجعل وليم يتذلل لها ويبرهن لها انهُ يريد الهرب خوفاً عليها ليس الا . وبينما هم جالسون تنهدت مادلين فنظرا اليها واذا بحمرة خديها قد انقلبت الى اصفرار ثم اظلمت عيناها فالقت رأسها على صدر حبيبها ويدها على كتف اخيها ولاح على وجهها ظل الموت فان الوبآء كان قد اصابها. فذُعرا لهذا المنظر وصاحا باهل البيت ليدركوهم بالطبيب فما كادوا يلبونهما حتى شهقت وفاضت روحها بين صدري حبيبها واخيها

التعريب

(تابع لما في الجزء السابع عشر)

هذا كلهُ في الاعلام واشباهها مما يُقصد فيهِ حكاية اللفظ الاعجمي بصورتهِ وليس من التعريب في شيء كما قدّمناهُ . واما الالفاظ التي يراد تعريبها حتى تلحق بالاوضاع العربية وتُستعمل استعمالها فلا بدّ من تبديل مخارجها طبقاً لما نقلناهُ عن سيبويه وغيرهِ من ائمة اللغة . وقد مرّ ذكر الحروف التي يطّرد ابدالها والتي لا يطّرد ولا بأس ان نزيدها هنا تفصيلاً فنقول ان الجيم والكاف والقاف من التي يطرد ابدالها تُبدَل من الحرف الذي بين الجيم والكاف وبعبارةٍ اخرى من الجيم التي تشبه الجيم المصرية وهذا مما يُثبت ان جمهور العرب في صدر الاسلام وما اتصل بهِ من اواخر الجاهلية لم يكونوا يعرفون لفظ الجيم الا شجريًّا على ما اوضحناهُ في غير هذا الموضع[1] . وزاد المتأخرون ابدالاً آخر لهذا الحرف يبدلون منهُ الغين المعجمة كما في الجغرافية والغاز والغرافيت والستغراد وغير ذلك وعليهِ اكثر الكتّاب المعاصرين ما خلا المصريين منهم فانهم اكثر ما يعبرون عنهُ بالجيم لموافقتهِ لفظها عندهم . والبآء والفآء تُبدَلان من الحرف الذي بينهما وهو البآء الفارسية كما في بطريق وفالوذ والمعرّبون اليوم يقتصرون فيهِ على البآء دون الفآء لانها اقرب اليهِ في المسموع وذلك كما في بلاتين وكوبال وغيرها . وقد علمت ان الابدال المطرد يقع في كل حرفٍ ليس من حروفهم

(١) البيان ص ١٨٧ والضيآء ١ ص ٤٣٣ وما بعد

كما مرّ عن المزهر وليس ثمة الا حرفان كما رأيت . واما ما سوى ذلك
كابدال السين من الشين وعكسهِ وابدال العين من الهمزة كما في عيسى
وعربون واللام من بعض الحروف كما في قفشليل معرَّب كفجليز والذال
من الدال كما في ساذَج فلا يظهر لهُ غرضٌ الا الدلالة على التعريب وليس
تحتهُ كبير امرٍ ولذلك لم يطّرد هذا الابدال بل كثيراً ما نقلوا بعض الكلمات
على اصل لفظها كما في اسرائيل ويوسف وشيت وشمشون وغيرها وهو اليوم
مهملٌ من اصلهِ . وبقي من الابدال المطّرد موضعان احدهما الجيم الفارسية
وهي المركبة من التآء والشين فانهم يبدلون منها شيناً كشنبر في چنبر والثاني
وهو ما لم يُضطرّوا اليهِ في وقتهم الحرف الذي بين الفآء والواو او بين البآء
والواو فانهم يبدلون منهُ احد هذه الاحرف الثلاثة كما يقال فابور ووابور
وبابور وربما اقتُصر على بعضها دون بعض كما يقال واتيكان وفاتيكان ولم
يُسمع باتيكان وكما يقال بُركان وابريل بالبآء وحدها ولم يُسمَع بغيرها .
والابدال بين هذه الاحرف الثلاثة شائعٌ في كثيرٍ من اللغات كالعبرية
واللاتينية والالمانية والتركية وغيرها ومرجعهُ في الاختيار الى الذوق وسهولة
الجري على اللسان

ويلحق بذلك تبديل الحركات الممالة مما مرّ بيانهُ فلا بد من ردها الى
الحركات العربية الثلاث فتُجعَل التي بين الفتح والكسر فتحاً صريحاً او
كسراً صريحاً وكذلك التي بين الفتح والضم وهلمَّ جرًّا وذلك كما فعلوا في
سام وشيت وموسى واصلهنَّ بمدَّاتٍ ممالة . على ان هذه المدّات اذا وقعت
في اواخر الكلم فقد يختلف حكمها كما سيجيء وقد مرّ شيءٌ من ذلك في

اوائل هذه المقالة

ثم ان الالفاظ العربية مقيدة بصيغٍ وهيئاتٍ لا متَّسَع عنها لمكان التصريف والاعراب فلا يمكن الحام اللفظة الاجنبية بينها واجرآء احكامها عليها ما لم توافقها في اوزانها واواخرها . وانظر في ذلك الى لفظ الامبراطور مثلاً الذي حار الكتاب في جمعهِ فنهم من جمعهُ على امبراطورين وهو ليس مما يُجمَع جمع السلامة لانهُ ليس بصفةٍ ولا علم ومنهم من جمعهُ على امبراطرة وهو اقبح لخروجهِ عن اوزان الجموع فضلاً عما في الجمعين من الثقل . ومثلهُ لفظ الكردينال والاميرال فيمن استعملهُ كذلك[1] فانهم يجمعونهما تارةً على كردينالات واميرالات وتارةً على كردينالية واميرالية بزيادة يآء النسبة وكلاهما لا وجه لهُ . على ان منهم من يجمع الاول على كرادلة بحذف اليآء والنون فصار كانهُ جمع كردال وهو امرٌ اتفاقيٌّ لان اليآء والنون من احرف الزيادة فسَهُل حذفهما من غير اشكال . وسبيل العرب في ذلك ان يحذفوا من اللفظة ما زاد على القدر ثم يسبكونها في احد القوالب العربية ويجرون عليها حكم امثالها . ومن امثلة ذلك في معرَّباتهم الشُبارق بضم الشين وهو ما اقتُطِع من اللحم صغاراً وطُبِخ قال ابن دُرَيد وهو معرَّب پيشباره فحذفوا البآء المعقودة وما اتصل بها من اولهِ وابدلوا من آخرهِ قافاً على ما مرّ ذكرهُ من مصطلحهم ثم سبكوهُ على مثال عُذافِر

(١) الاميرال لفظ عربي واصلهُ امير البحر او امير الاسطول فاقتصر الافرنج على لفظة امير وزادوا عليها الالف واللام مما يليهما وجعلوا الكل كلة واحدة وهذا كما فعلوا في التعبير عن ذنب الاسد وهو اسم نجم فقالوا فيه دنبلا بفتح الدال والنون وضم البآء . والانكليز يقولون في الاميرال ادميرال بزيادة دال بعد اولهِ وهو غريب

كما صرّح بهِ في الصحاح . ومن ذلك قولهم درهمٌ بهرج وهو الزيف المردود او الذي ضُرب على غير سكة الامير واصلهُ نبهره فحذفوا النون من اوله وتصرفوا في باقيهِ على ما علمت . على ان منهم من يقول فيهِ نَبَهرَج على الاصل فيكون بوزن سفرجل ولكنهم آثروا حذف النون لئلا يضطرّوا ان يقولوا في الجمع نباهر او نباهج فيبعد عن صورة المفرد على ان النون من احرف الزيادة فهي اطوع للسقوط . وهذا كثيراً ما يراعونهُ في الحذف كما في قولهم القِرقِس بكسرتين وهو معرَّب جِرْجِشت فحذفوا التآء من آخرهِ ومثلهُ الفِهرِس في فِهرِسْت وغير ذلك . وقد ورد لنا من هذا النوع الشَّبَنزَى والطَبَرْخَى الاول تعريب شِمپانزي وهو صنفٌ من القرود مشهور والثاني تعريب غوتاپرخا للمادّة الصمغية المعروفة فجآء كلاهما على وزن سفرجل وبذلك جانسا الاوضاع العربية حتى لقد ذكر لنا بعض المنقبين عن الفاظ العرب انهُ لما رأى لفظ الشبنزى في الضيآء لم يشكّ في بادي الرأي انهُ وضعٌ عربيٌّ حتى خُيّل لهُ ان العرب كانت تعرف هذا الحيوان

وهناك امرٌ آخر وهو مجيء كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية مختوماً بواوٍ بعد ضمة وهو ما لا تجدهُ في اسمٍ عربيٍّ من الاسمآء المتصرفة وذلك من مثل كنتراتو وقنصلاتو مما كانت الواو فيهِ مزيدةً وهي الالفاظ المنقولة عن الطليانية او مثل پالطو وپاردسو مما كانت الواو فيهِ من اصل الوضع . واغرب ما ترى مثل هذه الالفاظ اذا اردت تثنيتها او جمعها فانها اذا ثُنّيت او جُمعت على لفظها جآءت ثقيلةً مستهجنة ولذلك ترى الذين يجمعون الضرب الاول منها يحذفون هذه الواو من آخرهِ فيقولون كنتراتات وقنصلاتات

واذا ثنّوهُ قالوا كنتراتتان وقنصلاتتان جرياً على مثال الجمع كأن مفردهُ كنتراتة وقنصلاتة . واما الضرب الثاني فكيفما ثنيتهُ او جمعتهُ جآء نافراً في الذوق قبيحاً في السمع ولذلك لا تكاد تسمعهُ مثنىً ولا مجموعاً . وكذلك اذا استعملت هذه الاسماء منكَّرةً فانهُ لا سبيل الى ترك تنوينها لان العجمة وحدها لا تكفي لمنع الصرف ولا سبيل الى تنوينها ايضاً الا بحذف اواخرها وابقآء ما قبلها مضموماً في حالتي الرفع والجرّ وكل ذلك لا ترى لهُ نظيراً في العربية . وحينئذٍ فلا بدّ من التغيير في كل ما كان آخرهُ كذلك اما بحذف آخرهِ او بقلبهِ الفاً مثلاً او بزيادة شيء عليهِ حتى يصير حشواً وبكلٍّ من هذه الاوجه عمل المعرّبون الاولون . فمثال الحذف قولهم في عيسو العِيص وهو قليل ومثال القلب قولهم في خُسْرُو كِسْرَى وفي إيسو عيسى على ما سبق الكلام فيهِ ومثال الزيادة قولهم في پَرْعُو فِرعَوْن . وربما جمعوا بين الزيادة والقلب كما في سليمان وهو معرَّب شلومو وندر تركهم الواو بدون تغيير كما في سَمَنْدُو اسم قلعةٍ ببلاد الروم ومقْدِشو اسم بلدٍ بين الزنج والحبشة ولا يكون هذا الا في الاعلام

على ان الصيغة قد يُتسامح فيها اذا لم يكن الاسم معرَّضاً للتكسير وذلك كما اذا كان اسم جنس جمعياً كالاهليلج والنيلوفر والآجرّ وغير ذلك فان مفرد هذه الاسمآء يكون بالهآء فتجمع للقلة جمع الاناث السالم وللكثرة بترك الهآء فلا يجب فيها ما يجب في غيرها من مراعاة الصيغة الإفرادية . على ان مثل هذه الالفاظ منهم من لا يعدّها معرَّبةً بل يعتبرها باقيةً على عجمتها كما يستفاد من عبارة المزهر عن ابي حيّان على ما تقدم نقلهُ في محلهِ

ولكن على كل حال لا بدّ فيها من مراعاة المقاطع وغيرها مما سبق بيانهُ ولا يجوز فيها ما يجوز في الاعلام من بقاء صورة اللفظ الاعجميّ بمقاطعهِ فتكون على الصحيح بينَ بين (ستأتي البقية)

الصين

لما كان اكثر حديث الجرائد والاندية في هذه الايام دائراً على الحوادث الصينية بسبب الفتنة التي فغرت فاها في تلك الناحية سألنا بعض القرّاء كتابة شيء في جغرافية تلك البلاد وتأريخها وسائر احوالها ولا يخفى انّ الكلام على مملكةٍ مثل الصين يستغرق مجلداً برأسهِ ولكنا سنجمل الكلام فيها بقدر الاستطاعة فنقول

الصين ويسميها الصينيون المملكة السماوية من اكثر ممالك الارض سكاناً تشتمل على نحو ٤٠٠ مليون من البشر وارضها تقرب من اثني عشر مليون كيلو متر مربع . وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام احدها الصين الاصلية ومساحتها اربعة ملايين كيلومتر وسكانها ٣٨٠ مليوناً . والثاني بلاد منشوريا ومساحتها نحو مليون كيلومتر وفيها من السكان نحو ١٢ مليون نفس . والثالث البلاد التابعة لها وهي بلاد التُبَّت والمغول وقسم من تركستان ومساحتها نحو ستة ملايين وخمس مئة الف كيلومتر وسكانها نحو عشرة ملايين . فارضها تزيد على ربع مسطَّح آسيا بجملتها واهلها يزيدون على نصف سكانها

وموقع هذه البلاد في طرف آسيا الشرقية بين ٧٩° و ١٤٠° من الطول

الشرقي من باريز و ٢٠° و ٥١° من العرض الشمالي ويحدها شمالاً بلاد تركستان وآسيا الروسية وشرقاً بحر اليابان وبحر الصين وجنوباً مملكة انام وسيام وبرمانيا ونيبال وغرباً بنجاب وتركستان ٠ والصين الاصلية منها واقعة بين ١١٥° و ١٤٠° من الطول الشرقي و ٢٠° و ٤١° من العرض الشمالي ويحدها من الشمال بلاد المغول ويفصلها عنها السور العظيم المشهور ومن الغرب بلاد كوكونور والتُبَّت ومن الجنوب الغربي مملكتا سيام وأنام ومن الجنوب الشرقي والشرق المحيط الاعظم

وارض الصين كثيرة الجبال ولا سيما من جهتي الغرب والجنوب وفي جبالها ما لا ينقطع عنهُ الثلج شتآء ولا صيفاً وفيها انهارٌ كثيرة اعظمها اثنان احدهما هوَنغ هو أي النهر الاصفر والآخر يَنْغ تسي كينْغ اي النهر الازرق وكلاهما يخرجان من جبال التُبَّت الشرقية ويجريان من الغرب الى الشرق ويدفعان في المحيط والاول يجري على مسافة ٣٥٠٠ كيلومتر والآخر على مسافة ٤٥٠٠ كيلومتر

ولما كان جانبٌ من هذه البلاد في المنطقة الحارّة والآخر في المنطقة المعتدلة كان هوآؤها كثير الاختلاف فهي شديدة البرد في الشمال والحرّ في الجنوب ولذلك كان فيها من الحيوان والنبات كل ما في هاتين المنطقتين ٠ وفي جبالها اكثر انواع المعادن ففيها الذهب والفضة والحديد والرصاص والنِكل والنحاس والفِلِزّ وهو النحاس الابيض وتكثر مناجم الفحم الحجري في الجهات الشمالية منها ٠ وفي جبالها من الحجارة المحبَّب اي الغرانيت والبلور المعدني واليشب والحجر اليماني والرخام وغير ذلك وفيها

كثيرٌ من الزئبق

وارض الصين خصيبة في الغاية ولاهلها عنايةٌ عظيمة بالزراعة حتى يقال ان عامةً بلاد الصين اشبه ببستان . وفي الصين كثيرٌ من انواع النبات التي لا توجد في غيرها وجبالها مكسوّةٌ بالغابات والادغال وتكثر فيها الحيوانات البرية ومن حيواناتهم الفيل والقرد والذئب والثعلب وظبي المسك والاروى وحمار الوحش وغير ذلك مما يطول استقرآؤهُ . وفي بحرهم كثيرٌ من انواع السمك وعندهم صنفٌ من الغاق وهو من طير المآء يُضرّونهُ على صيد السمك فاذا أُرسِل عليهِ اصطادهُ وعاد بهِ الى مرسلهِ . والطير عندهم كثير وفيهِ من الاصناف الغريبة البديعة الاشكال ما لا يوجد عند غيرهم

والصينيون من السلالة الصفرآء وهم غير كبيري القامات ورؤوسهم صنوبرية الشكل ووجوههم عريضة مثلَّثة مع شخوص العظم الوجنيّ وعيونهم مستطيلة منحرفة وحواجبهم مرتفعة قليلة التقوُّس وانوفهم صغيرة عريضة العرانين وشفاههم العليا نائتة فوق السفلى وآذانهم كبيرة وهم خفاف العوارض ولا سيما اهل الجنوب منهم وشعورهم سودآء كثيفة

ومن غريب اطوارهم انهم يجلّون السِمَن ويتخذون ضخامة الجسم دليلاً على سعة العقل وفخامة القدر . ومما يرتفع بهِ شأن المرء في عيونهم ان يربّي اظفار يدهِ اليسرى ولا سيما ظفر الخنصر لان ذلك يدلّ على انهُ لا يحترف عملاً وبعضهم يبلغ طول اظفارهِ ستة قراريط فما فوقها الى قدم

اما نسآؤهم فخُزر العيون مستطيلات الجفون ضئال القامات وفي بعضهنَّ جمالٌ مستحسن ومن عاداتهنَّ انهنَّ يتطلينَ من سن الصغر وهنَّ

يصبغنَ حواجبهنَّ بالسواد ويضعنَ تحت الشفة السفلى وعلى رأس الذقن لطخةً من الزُنجُفر بقدر الظفر ويضفرنَ شعرهنَّ فيجعلنهُ جميرةً واحدة على قمة الرأس ويزيننهُ بضمةٍ كبيرة من الازهار الصناعية . وبسبب ادمان التطلي تؤثر الموادّ الصبغيـة في جلد وجوههنَّ فتذهب بلونهِ حتى انهُ لا شيء اقبح منظراً من العجوز الصينية

وهناك امرٌ آخر يزيد منظر نسآئهم غرابةً وهو مشيتهنَّ المتخلجة بسبب تصغير اقدامهنَّ على ما هو مشهور من هذه العادة في تلك البلاد فانهم من يوم تولد البنت تُجعَل قدماها في قالبٍ يضغط عليهما فيقف نموّ القدم حتى لا يكون طولها زيادة على اربعة قراريط في قيراطٍ واحدٍ عرضاً وبمنع النموّ عن القدمين يتراكب اللحم عند اسفل الساقين فيغلظ الرسغ والكعبان غلظاً فاحشاً . قيل وهذه العادة عندهم سببها الغيرة والقصد منها حبس النسآء عن الخروج والجولان لان هذا الصغر في اقدامهنَّ يجعل المشي عليهنَّ أليماً شاقاً وكثيراً ما يكنَّ بهِ عرضةً للسقوط ولذلك اذا خرجنَ لبسنَ احذيةً ذات نعالٍ من خشب يعتمدنَ عليها في الوطء وقلما تبلغ اطراف اقدامهنَّ الارض حذر أن يهوينَ الى الامام فتراهنَّ يتكفأنَ في المشي ولا يكدنَ يضبطنَ قاماتهنَّ الا بجهدٍ وعنآء

اما المنشوريون وهم قوم العشيرة المالكة اليوم في الصين فيشبهون الصينيين كثيراً الا ان شعور عوارضهم طويلة كثيفة ونسآؤهم لا يمسخنَ اقدامهنَّ كالصينيات . ومما يتميز بهِ الصينيون عن المنشوريين هذه الضفيرة الطويلة التي يربيها الصينيون في قمم رؤوسهم ويرسلونها كالذيل

وتسمى بلغتهم بان ساي وهي مما اصطلحوا عليهِ بعد دخول المنشوريين بلادهم

وألبستهم يتخذونها من نسيج القطن او الحرير الازرق واحذيتهم من الحرير الاسود او الجلد وهم يوسّعونها جدًّا والنسآء يلبسنَ بحسب مكانة رجالهنَّ ولهنَّ ان يلبسنَ كل لونٍ ما خلا الاصفر الأُترُجي (الكبادي) فانهُ محظورٌ على كل احد لانهُ اللون الخاصّ بالامبراطور وعترتهِ . ولما كنَّ يرفعنَ شعرهنَّ دائمًا كان ذلك سببًا في اسراع الصلَع اليهنَّ ولذلك فالنسآء المسنّات منهنَّ يسترنَ صلَعتهنَّ بقطعةٍ من النسيج الاسود يسمينها پاوتيو فاذا كنَّ في مأتمٍ جعلنَ الپاوتيو ابيض

اما طعام اهل الصين فهو على الغالب من الارزّ المطبوخ وهو قوام اطعمتهم كسائر سكان تلك الاصقاع ولذلك تكثر زراعتهُ عندهم وهم يخلطونهُ بالبقول والقطانيّ ولحم الخنزير والطير والسمك وغير ذلك . والفقرآء منهم يأكلون الجرذان والديدان ولحوم الدواب الميتة بالمرض او الغرق . واما الاغنيآء فيستجيدون انواع الاطعمة ويكثرون الاكل للسِمَن ويختارون من المطاعم كل ما اعقب قوةً كعصب الأيّل واطراف اجنحة كلب البحر وجرآء الكلاب ومناسم الدِببة وغير ذلك

واهل الصين يبكرون في الزواج والامر فيهِ الى اقارب الزوجين دونهما والزوجان لا يرى احدهما الآخر فاذا حان اليوم المعين للاهدآء تُجعَل العروس في محفّةٍ مزينة يقفلونها بمفتاح وتُحمَل في موكبٍ حافل ويكون مفتاح المحفّة في يد اقرب الناس اليها نسبًا فاذا انتُهِي بها الى بيت

الزوج دفع المفتاح اليهِ . قيل وبعد ان يعاين العروس فان لم تعجبهُ ردها الى اهلها وان اعجبتهُ ادخلها على اهلهِ فسجدكلاهما بين ايديهم ثم اكلا معاً وتناولا الخمر من كأسٍ واحدة

والطلاق عندهم جائزٌ الا انهُ نادر واذا كانت المرأة عاقراً اتخذ الرجل عليها ضرّةً والمرأة اذا مات بعلها فلها ان تتزوج الا ان اكثرهنَّ يلبثنَ أيامى . والمرأة الصينية لا تؤاكل زوجها على مائدةٍ واحدة ولا تجلس في الغرفة التي يجلس فيها ولا يباح لها ان تظهر الا لبعلها والمحارم من ذوي قرباها . واما نسآء الامبراطور فلا يظهرنَ البتة

وللصينيين عدا ذلك عاداتٌ واطوارٌ يطول الكلام عليها فنقتصر منها على هذا القدر واما تاريخ بلادهم وما تقلب عليها من الدول والكلام على علومهم وصنائعهم ومنازعهم الدينية فسنذكر ما يتيسر منهُ في فصلٍ آخر ان شآء الله

النفس

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا

(تتمة ما في الجزء السابق)

ويلزم من ذلك اولاً ان النفس مبدأ فعّال بالذات طبعاً وعلة كاملة مطلقة ولذلك عرّفها ارسطو بانها فعل اول للجسم الحي من جهة ما يدرك الامور الكلية ويفعل الافعال الفكرية . وفعلها يكون اولاً باعمال القوى العقلية لاكتساب العلوم وتحصيل المعارف لان المعرفة لا تحصل في الذهن

بمجرد اجتماع الصور فيهِ وانما هي نتيجة اعمال كثيرة قامت بها النفس للحصول عليها اخصها التصور والحكم والاستدلال مع التروّي

ثانياً باعمال الحياة او المظاهر الحيوية في جميع اعضآء الجسم الحية المشتركة فيها جميع مراتب الاحيآء بالحركة الذاتية حيث تكون الحركة المذكورة دليلاً على الحياة ومتى فُقِدت من الجسم وانقطعت صار جماداً لا نسمة فيهِ ولا حياة

ثالثاً بالاعمال الادبية او الخارجية سوآء كانت مفيدة ام مضرة صالحة ام قبيحة فان صلاحها وقبحها ينسبان لنفس فاعلها وهو المسؤول عنها ديناً وشرعاً وعقلاً اذ لا يُنسَب فعلٌ الا لفاعلهِ المباشر لهُ قصداً وتكون من ثمَّ سبباً للانفعالات النفسانية والحركات الغريزية التي تنشأ عنها الاهوآء والاميال والعواطف النفسانية من عقلية وحسية

ولا يشترط لها في افعالها المذكورة ما يشترط لفعل الاجسام من وحدة الزمان والمكان والموضوع فان كلام الكاتب والخطيب يؤثر في نفوس كثيرين اثراً يختلف فيهِ الافراد مع ان العلة واحدة لدى الجميع ومن منا يسمع بانتصار الانكليز في هذه الايام ولا ينتقل ذهنهُ الى ما نالهم قبل ذلك من البوير بالرجوع الى الماضي او الى ما تصير اليهِ هذه الحرب في مستقبل الزمان على خلاف حكم الانتقال في الاجسام فسيان عند النفس الانتقال الى الزمن الماضي او الآتي كما انهُ لا فرق عندها في قرب المكان وبعدهِ

والنفس هي المحرّك للجسم حركة ذاتية اولية اذ تحرك فيهِ الدم

والتنفس والقلب واليد والرجل وكل الجوارح وهي تدفع الجسم الى السعي في طلب الرزق الى اقصى البلاد وتحريك غيرهِ من الاجسام في كل جهة وبها تدفع السفن في البحار وقُطُر البخار في البرّ ونرفع الصروح العالية ونقل الاخبار بسرعة البرق وغير ذلك من الافعال المادية التي استقل بها الانسان وحدهُ دون سائر الاجسام

ويلزم ثانياً انها علة حرة كاملة اذ لا سلطان عليها في افعالها ولا تقدم على واحد منها الا باختيارها لهُ وان كان فيهِ مشقة عليها . والحرية امرٌ وجداني لايحتاج الى بيان في الانسان يثبتهُ في كل فعل من افعالهِ التي يتصرف فيها ويلوم نفسهُ عليها اذا كانت قبيحة ويسرّ بها اذا كانت حسنة فلو لم تكن النفس حرّة فيما تفعل من صلاح او شرّ لما كان اثمٌ ولا عقاب ولا كان مدحٌ ولا جزآء اي لولا الحرّية واختيار الافعال لكانت افعال الناس معلولاتٍ مختلفة حرّةٍ لعلةٍ واحدة مضطرّة وهو اشبه بقول من يقول بوجود معلولاتٍ بلا علة . هذا وان العقلآء مجمعون على ان صاحب الفضل من يفعلهُ عن قصدٍ واختيار لا بالطبع والاضطرار والمذنب من اتى الذنب عن سوء قصد مختاراً لهُ لا مكرهاً عليهِ فان المكره لا يلام على شرّ ولا يحمد على خير

وثالثاً ان ليس في الانسان سوى نفسٍ واحدة بالذات وحدة تامة جوهرية لا يقع عليها تجزُّؤ ولا انقسام بالاطلاق ولا تقبل التحوُّل او التغير ولا الزيادة او النقصان ولا الانحطاط او الارتقآء كالاجسام الجامدة او الحية لانها لو كانت تتحول او تتغير او تتبدل في الزمان لما بقي في

الانسان شيء ثابت يستعين بهِ على حفظ ما يدرك وذكر ما يحفظ في الزمان السابق اي ان تحوُّل النفس وتغيرها مناقض لكونها واحدة في كل افعالها ومانع لحفظ مدركاتها وذكرها وقياسها التابع بالسابق وغير ذلك لاني احكم على ما عرفت بنفسي كما اني اذكر ما عرفت بنفسي لا بغيري فان هذه الافعال العقلية البسيطة تقتضي اتحاد الفاعل في كلٍّ منها والا فُقد الجامع بينها

ثم لو كان الانسان يتحوَّل ويتغير كلهُ نفساً وجسماً لما كان لهُ حقوق ولا عليهِ واجبات شخصية ولا كان يُسأل عما فعل من شرّ او خير في زمانٍ سابق واما ما يقال من انهُ ذو نفسٍ حية وحساسة وناطقة وعاقلة وامارة ولوامة فهو للدلالة على قواها وافعالها لا على اختلاف الذات والتعدد فيها

ورابعاً انها خالدة تبقى بعد موت الجسد ولا تموت اذ لا يؤثر فيها ما يؤثر فيهِ من اسباب الموت والفناء ولا يقع عليها تغير ولا زوال ولا ملاشاة فان العدم لا يرجع اليهِ شيء وانما يتحول الجسم من شكلٍ الى شكل الا ان النفس لبساطتها وتجردها عن المادة والتركيب تسلم من ذلك ولا تخضع لناموس المادة المذكور ومن ادلة ذلك في الخارج عزة نفس الانسان وسعة آمالهِ المستقبلة وحبهُ البقاء ودوام الحياة الى الابد ولا علة لهُ في ذلك الا كون نفسهِ خالدة لا تزول بزوال العمر ولا تموت بموت الجسد

وخامساً انها متحدة بالجسد اتحاداً جوهرياً طبيعياً اذ لا يستقيم لها حال الا بهِ لانهُ يساعدها على ادراك المحسوسات والافعال الخارجة ولا يستقيم حال الجسد الا بها لانها تحييهِ ويُسنَد اليها ويقوم بها وتقيم فيهِ وبها يرقى الى رتبة الكائنات العاقلة فوق الجماد والحيوان وبها يعمل اعمال

العاقل الحكيم ويبلغ الفضل والكمال فهو ملازم لها وهي ملازمة لهُ لا يمكن ان ينفصل احدهما عن الثاني مدى الحياة وهما متحدان كمال الاتحاد بالافعال بحيث يصح نسبة فعل كلٍّ منهما للانسان بطريق الاجمال فيقول ضربت او ضربت بيدي وفهمت او فهمت بعقلي

وسادساً انها روحية بسيطة فلا حيز لها لانها لا تشغل مكاناً مخصوصاً من الفراغ وانما هي في الجسد المتحدة بهِ تحييهِ وتبدو قواها وافعالها فيهِ دون ان تشغل مكاناً فارغاً فيه ولما كانت قواها العقلية والحيوية تبدو افعالها في مراكز معينة من الجسم يقال مجازاً ان مقرّها في القلب مثلاً لانهُ مركز الحركة الدموية التي تتوقف عليها اعمال الحياة او في الدماغ لانهُ مركز الحس العام وباقي الحواس الباطنة فاذا تأثرت العين من شبحٍ قد اثر في اليد باللمس وسُمع صوتهُ بالاذن واثرت رائحتهُ بالشمّ نشعر بكلٍّ من ذلك حالاً بلا انتقال من مكانٍ الى مكان لان النفس في كل الجسم وكلها في كل جزء منهُ تفعل فيهِ او تحييه

والنتيجة ان نفس الانسان روح متحد بالجسد وان شئت قلت جوهر روحاني مجرد عن المادة والتركيب يختلف كل الاختلاف عن الاجسام وهي مبدأ عاقل حساس حيّ فعال عامل بالذات حرٌّ بذاتهِ متصرف في افعالهِ الادبية لا يقبل الزيادة والنقصان ولا الانقسام والتعدُّد ولا التحوُّل بالانحطاط الى ما هو ادنى او الارتقاء الى ما هو أعلى وانما هي واحدة ابداً لا تتغير بالذات تحل في الجسد وتحييهِ ولا تشغل جزءاً من الفراغ الذي يشغلهُ هو ولا تظهر للعيان الا بافعالها وما هي الا ذات الانسان

المرّاش ومينار

(تابع لما قبل)

(ص ٧٣) فمضى أُميّة الى رذمير (ملك الجلالقة) فاصطفاهُ رذمير واستوزرهُ وصيّرهُ في جملته ِ » . فقرأ الاستاذ « في حملته ِ » وطبع وترجم هكذا

le choisit pour vizir et lui fit *porter le poids des affaires*.

(ص ٩٢) « فيمّمت العماليق نحو تهامة يطلبون المآء والمرعى والدار المضيئة » . وفي (ص٩٣) « فنزلوا الوادي مطمئنين مستبشرين بالمآء وبما اضآءِ الوادي من نور النبوّة » . ففهم الاستاذ قولهُ « المضيئة » بمعنى الماضية ولم يتنبه الى انهُ من الاضآءة كما يُستدلّ عليهِ صريحاً من الموضع الثاني فقال في الترجمة

Les amalécites se dirigèrent vers le Téhama pour y chercher de l'eau, des pâturages et leurs *anciennes* habitations.

(ص ٩٧) ذكر المسعودي هنا زيارة ابرهيم لابنه اسمعيل في مكة ثانيةً وانهُ لم يجدهُ لكن كنّتهُ الجرهمية رحّبت بهِ وقدّمت لهُ حجراً حتى يجعلهُ تحت قدمهِ فأثّرت قدماهُ في الحجر فلما رأت ذلك الجرهمية اكبرتهُ فقال لها ابرهيم « ارفعيهِ فسيكون لهُ شأنٌ ونبأٌ بعد حين ثم قال لها اذا جآء اسمعيل فقولي لهُ ان ابرهيم يقرأ عليك السلام » الخ . الا ان استاذنا لم يفهم العبارة من قولهِ « فسيكون لهُ شأنٌ ونبأٌ بعد حين » اي لم يفهم معنى النبأ فقطع الجملة عند قولهِ « شأن » وجعل « نبا » ابتدآء جملةٍ ثانية

وجعل اللفظ فعلاً ماضياً من نبا ينبو بمعنى فصل وابتعد وترجم هكذا

... Mets-la à part, dit il à sa belle fille, car plus tard on la vénérera. Au bout d'un certain temps *il se retira* et dit: Lorsque Ismaïl etc.

(ص ١٠١) « فبعث الله على جرهم الرُعاف والنمل وغير ذلك فهلك كثيرٌ منهم » فتوهم الاستاذ ان الرعاف هو الرعيف اي السحاب يكون في مقدم السحابة فترجم des nuages rapides.

(ص ١٠٢) « وكنا ولاة البيت من بعد نابتٍ
نطوف بذاك البيت والخير ظاهرُ »

فقرأ استاذنا الخيّر وترجم

et nous accomplissons *ostensiblement* les tournées autour du temple et de son *enceinte*.

(ص ١٣٥) اطال المسعودي كلامهُ هنا في مدح علم التاريخ وقال فيما قالهُ « لولا تقييد العلماء خواطرهم لبطل اول العلم وضاع آخرهُ » فقال المترجم

Si le sage ne triomphait, par l'*application de ses facultés* des caprices de la fortune, *la science s'écroulerait de fond en comble.*

وكان الوجه ان يقول

Si le sage n'enregistrait, contre les ravages des siècles, les faits dont il a connaissance, la science etc.

(ص ١٦٠) روى المسعودي لدرّاك العبدي

« تراني ان قطعتُ جبال قيسٍ وخالفتُ المرور على تميمِ
لأعظم فجرةً من ابي رغالٍ وأجورَ في الحكومة من سدومِ »

هكذا روى الاستاذ البيت الاول والصواب « واني ان قُطعت » بدليل قولهِ في صدر البيت الثاني « لأَعظم فجرةً » وهو خبر انَّ ولذلك دخلت عليهِ اللام . وسدوم المذكور في البيت الثاني هو اسم قاضٍ اشتهر بالظلم ولكن هذا غاب عن علم الاستاذ فترجم هكذا

Tu me regarderas comme un traitre plus criminel que Abou-Rigal, et plus injuste que Sadoum (*Sodome*) dans l'exercice de mon *pouvoir*.

ولا دخل لقوم لوط هنا ولا يراد بالحكومة سوى ما يريدهُ الافرنج بقولهم rendre justice .

(ص ١٨٧) روى المسعودي هنا قول ابن كلثوم

« عدلتِ الكأْس عنا امَّ عمرٍو وكان الكأْس مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عمرٍو بصاحبكِ الذي لا تصحبينا »

فلم يفهم الاستاذ معنى البيت الثاني فترجمهُ هكذا

Mère d'Amr, *est-ce un mal d'avoir* trois convives ?

ولينُظَر اين هذا المعنى من مراد الشاعر

(ص ٢٠٥) قال المسعودي « وقد كان النعمان قتل عديّ بن زيد العباديّ وكان يكتب لكسرى ابرويز بالعربية ويترجم لهُ اذا وفدت اليهِ زعماءِ العرب » . وهذا يفيد ان عديّاً كان كاتب كسرى ومترجمهُ الا ان الاستاذ لم يفهم هذا المعنى فترجم هكذا

Nòmân avait tué Adi .... qui traduisait en persan à la cour de Kesra les depèches rédigées en arabe que les envo. és de Nòmân portaient au roi de Perse.

وليس هذا مراد المسعودي كما لا يخفى وانما اراد المسعودي ان يقول ان عدياً كان يكتب بالعربية ما يمليهِ عليهِ كسرى بالفارسية كلما دعتهُ الضرورة الى مخاطبة عاملهِ النعمان او غيرهِ من العرب وانهُ كان ايضاً يترجم لكسرى بالفارسية ما تقولهُ لهُ زعمآء العرب بالعربية كلما وفدوا اليهِ

(ص٢١١) ذكر المسعودي هنا حديث حرقة بنت النعمان (او اختهِ) مع نسآء المدينة وقد لقينها خارجةً من عند سعد (وهو الامير) « فقلنَ لها ما فعل بكِ الامير قالت حاطَ لي ذمتي واكرم وجهي انما يكرم الكريمَ الكريمُ » . وهذا الكلام بيت شعر لكنهُ ورد في النسخ التي نقل عنها الاستاذ هكذا مدرجاً بين السطور من غير فصل يدل على انهُ شعر الا ان الاستاذ تنبه هذه المرة الى انهُ شعر فوضع بعد لفظة « قالت » علامةً ردّ القارئ بها الى الحاشية ثم قال في تلك الحاشية « انهُ من المحتمل ان يكون ذلك الكلام شعراً لا نثراً وانهُ من المحتمل ايضاً ان يكون كلاماً موزوناً قد أُخرج مخرج الامثال » فافسد في آخر الجملة ما اصلحهُ في اولها ثم قال « لم تختلف النسخ في الرواية الا في لفظٍ واحد وهو « انما » فقد جاء في واحدةٍ من تلك النسخ « وانما » (بزيادة الواو) لكن ذلك لا يكسر الوزن اذا كان البحر مما يقال لهُ الخفيف » فكيف لا ينكسر الوزن بزيادة الواو . وهذه ايضاً مرةٌ اخرى تصدى فيها الاستاذ لتصحيح المتن فاخطأ

(ستأتي البقية)

فوائد

وَقود المسافر — اخترع بعضهم تركيباً للوقود يستعمل في السفر لاغلآء القهوة وتسخين الطعام ونحو ذلك ويتَّخذ بأن يُصَبَّ نحو ١٠ سنتيلترات من الكحل (السبيرتو) في قارورة تسع ضعفي هذا المقدار ثم يسخَّن الكحل في حمَّام ماريا حتى تقرب حرارتهُ من ٦٠° ثم يضاف اليهِ ٢٨ الى ٣٠ غراماً من بُشارة صابون مرسيليا الابيض التامّ الجفاف ونحو غرامين من صمغ اللك وتحرَّك القارورة بما فيها بضع دقائق حتى يتمّ الذوبان . وبعد ذلك يُرفَع المزيج ويُصَبّ في حُقَق من الصفيح فاذا مُلئت غُطّيت وتُركت حتى تبرد فتكون كل حقةٍ منها مستوقداً صغيراً يُحمَل في الجيب . وعند ارادة الاستعمال يُكشَف غطآؤها ويُشعَل المزيج بعودٍ من الثِقاب ثم يوضَع عليها ما يراد تسخينهُ او اغلآؤهُ . وقد شاع استعمال هذا النوع من الوقود في فرنسا والمانيا وسويسرا

وصمغ اللك يمكن ان يُستغنَى عنهُ هنا وانما الغرض منهُ منع الكحل من التبخر مدةً اطول . واخيراً فان الصابون الذي يبقى في الحقة بعد احتراق الكحل يمكن ان يُنتفَع بهِ في غسل ايدي الطبَّاخ وغيره

اتخاذ الخمر البيضآء من العنب الاحمر — ذكرت احدى المجلات الفرنسوية عن بعض ذوي التجارب في هذا الشأن ان اكسيجين الهوآء يزيل لون العصير المتخَذ من اكثر اصناف العنب الاحمر لكن بشرط ان

يكون ذلك قبل الاختمار . والطريقة فيه ان يستوقف اولاً اختمار المصير بالتبريد ويُترَك والحالة هذه في الهوآء الى ان يذهب لونهُ وبعد ذلك يصفَّى عن لبابه وسائر ما فيه من الفضلات الجامدة ويترَك حتى يختمر . ولا بد ان تكون تصفيتهُ قبل التخمير لانهُ اذا تُركت فضلاتهُ فيه لم يلبث ان يتأكسد فيتلوَّن كما لو خُمّر ابتدآء

آثار ادبيّة

كتاب البصائر النَصيرية — هو الكتاب المشهور في علم المنطق تصنيف الشيخ الامام القاضي الزاهد زين الدين عمر بن سهلان الساويّ ولا حاجة الى وصف هذا المؤلَّف الجليل مع استفاضة ذكره بين ارباب هذا الفن واجماع الواقفين عليه انهُ افضل ما أُلّف فيه من الكتب التدريسية واحسنها نسقاً وترتيباً الا ان نسخهُ كانت عزيزة نادرة ومن كان في حوزته نسخةٌ منها جمع عليها يد الضنانة حتى برز في هذه الايام في حُلَّةٍ من الطبع انيقة مطرَّزة الحواشي بقلم حضرة الامام العلامة صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقد اختارهُ بسديد رأيه لتدريس هذا العلم في حلقات الجامع الازهر الشريف وادنى منالهُ بما علّق عليه من الشروح الوافية والايضاحات الشافية . فجزاهُ الله خير الجزآء على ابراز هذا الكنز النفيس من حجابه وأجزل النفع به على يده ليُجزل به جميل ثوابه

فكاهات

رواية

تحت ظل الراية (١)

كان لاحد اشراف الانكليز ولدٌ وحيد رزقهُ الله اياهُ واعطاهُ معهُ غنىً وافراً وثروةً واسعة فكان ينظر الاب الى ابنهِ نظرة انسانٍ الى سبب سعادتهِ وعنوان افتخارهِ . ولما ترعرع الفتى وكان اسمهُ سسل ارسلهُ والدهُ الى المدرسة ليتلقى فيها العلوم فنبغ بين اقرانهِ وكان ميالاً الى قرآءة الروايات فكان يطالعها كلما سمح لهُ الوقت مطالعة المنتقد البصير ويشبع افكارهُ من وقائعها وتواريخها ولغتها . وكان يرى في اكثر الروايات التي طالعها من الاخبار عن اعمال ربات الخدور وما يلبسهنَّ الراوون من ضروب الخيانة والغدر ما جعلهُ ينفر من ذكر الزواج ويتحذر من الوقوع في اشراك النسآء . غير انهُ ما عتَّم ان تلطف معهُ هذا النفور لانهُ رأى ان لا بد للانسان من شريكةٍ تشاطرهُ الحياة ولكنهُ يجب عليهِ ان ينعم النظر في انتقآئها ويجتهد في تربيتها على ما يريدهُ من حسن السيرة وطهارة السريرة . ولما انتهت ايام سسل المدرسية عاد الى بيت ابيهِ مكللاً بغار النجاح فتلقاهُ والدهُ بمنتهى الحفاوة والسرور وأدب مأدبةً حافلة دعا اليها كثيرين من

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اصدقائهِ اكراماً لرجوع ولدهِ فائزاً وكان سسل يسير بين الضيوف بوجهٍ باش ولسان طاق فيكرم الشيوخ ويلاطف السيدات ويحادث الفتيات وهو يرشقهنَّ من تحت كلماتهِ بسهام النظر ليرى ما انطوينَ عليهِ وفي صدرهِ آمال . فأَخذ الجميع بحذقهِ وجمالهِ وعذوبة حديثهِ ولم يبقَ بين الحضور من لم يمل بكليتهِ الى سسل ويفتتن بحسن آدابهِ

وعلم والد سسل ان ابنهُ ميال الى اختيار زوجةٍ وكان هذا ما يتمناهُ فجعل يكثر من المآدب والاجتماعات في بيتهِ الى ان وقع اختيار سسل على فتاةٍ تدعى جوليا دي منتاغ من اسرةٍ عريقةٍ في النسب والغنى وكانت هذه الفتاة في التاسعة عشرة من عمرها جميلة المنظر حسنة الاخلاق كاملة الصفات . فلما اظهر سسل ميلهُ اليها كان ذلك من اكبر دواعي السرور عند والدهِ ولم يكن ما يعوق سسل عن اتمام رغائبهِ فلم يمضِ الوقت الكثير حتى اقترن بجوليا وعقب اقترانهُ بها شهران او اكثر من الاعياد المتواصلة واقامة حفلات السرور والابتهاج

وبعد ان مضى على ذلك مدةٌ اخرى دعا سسلَ والدهُ وقال لهُ يا ولدي قد ازف الوقت الذي فيهِ يجب عليك ان تريح والدك الشيخ وتكفيهُ عناء الاهتمام باشغالهِ واملاكهِ فاريد ان تصحبني من الغد الى محل الشغل لتطلع على كلياتهِ وجزئياتهِ حتى متى شاء الله ان ينقلني من هذه الحياة تكون على تمام الأهبة للقيام بما يترك على عاتقك من الاعمال . ورأى سسل كلام والدهِ صواباً فاجابهُ الى ما اراد وفي اليوم التالي تبع والدهُ الى محل شغلهِ فقضى معهُ ساعتين ثم رجع الى بيتهِ عند الظهر وكانت جوليا

تنتظرهُ في الحديقة فضمها الى صدرهِ ثم دخل بها المنزل ودامت الحال على ذلك نحو سنتين من الزمان . وفي ذات يومٍ عاد سسل من محل شغلهِ وبلغ باب الحديقة فلم يرَ زوجتهُ كالعادة فقلق ودخل حيران ولما بلغ القصر توجه توًّا الى غرفتها ولما بلغ الباب رأى زوجتهُ جالسة على مقعدٍ في غرفتها والى جانبها فتىً قد طوَّق خصرها بذراعهِ والقت رأسها على صدرهِ وهو يقبّلها قبلات الوله والهيام . ولو نزلت صاعقةٌ على رأس سسل لما اثرت فيهِ كذلك المنظر فعاد الى غرفتهِ من غير ان يشعرا بهِ وقد اسودت الدنيا في عينيهِ واعترتهُ نوبةٌ عصبية فاصبح كالمجنون وجعل يلطم رأسهُ بجدران الغرفة وينتف شعرهُ الى ان سقط على الارض متلاشي القوى . ولما افاق جلس هنيهةً يفكر فيما عساهُ ان يفعل ورأى ان شرفهُ قد اهين وان لا سبيل الى محو ما لحقهُ من العار الا بالانتحار وللحال ظهر على وجههِ تبسمٌ ابليسيّ فاسرع الى غدارتهِ وبعد ان صوبها الى رأسهِ رمى بها الى الارض وقال كلاّ ما انا بجبانٍ ولا ينتحر الا الجبان والدنيا واسعة فالوداع يا وطني الوداع يا انكلترا قد مات عنكِ سسل ودُرست آثارهُ اما انا فسأحيا ما بقي لي من الحياة تحت غير هذه السمآء لارى ما خبأهُ لي الدهر بعد هذا من المصائب المرّة . ولما قال ذلك قرع جرس غرفتهِ فاتى الخادم فقال لهُ انني ذاهب في بعض اشغال عظيمة الاهمية جدًّا وربما لا ارجع هذا المسآء واذ كان لا يمكنني التأخر دقيقةً واحدة لم اتمكن من مقابلة مولاتك فأبلغها ذلك بعد ذهابي حين تأتي الى غرفة الطعام . ثم انهُ دسّ في جيبهِ بعض النقود والقراطيس المالية وخرج. ورأى الخادم في وجه مولاهُ ما لم يرهُ

قبلاً فدهش وجعل يفكر فيما عساهُ ان يكون هذا الامر الشديد الاهمية

وانتبهت جوليا بعد حين انهُ قد مضى موعد رجوع زوجها فخرجت الى الحديقة وانتظرت حيناً فلم ترَ احداً ثم عادت الى القصر وسألت الخدم هل رجع سسل فاخبرها الخادم بما اوصاهُ مولاهُ فاغتمت جدًّا وقالت وهل من الممكن ان اشغالهُ مهما كانت مهمة تمنعهُ من التكرم عليَّ بنظرةٍ واحدة قبل خروجهِ فلا بد ان يكون في الامر سرٌّ لم ادركهُ ثم تساقطت عبراتها فعادت الى غرفتها وجلست تبكي ولم تذق القوت الى المسآء . وكانت كلما هب النسيم فحرّك الاغصان تثب الى باب الغرفة ظانةً ان سسل قد عاد وحين لا تجدهُ تعود الى البكآء وقضت ليلتها على مثل تلك الحالة الى مسآء اليوم الثاني . ولما لم يرجع سسل تحققت ان في الامر داهيةً ومصيبة عظيمة فذهبت الى حميها واخبرتهُ بالواقع فتحير الآخر وقضيا اياماً في البحث عن سسل فلم يوقف لهُ على اثر . ولما اعيتهما الحيلة سلما الامر الى الله ولبثا ينتظران من يومٍ الى آخر سماع شيء عنهُ

اما سسل فخرج من قصرهِ وهو لا يدري اين يذهب ورأى امامهُ قطاراً فركبهُ واوصلهُ الى الميناء وصادف هناك سفينةً مسافرة الى كاله فركبها وما لبثت الا قليلاً حتى اخذت تمخر عباب البحر فوقف سسل على ظهرها وهي تبتعد بهِ عن شواطئ انكلترا واخذ ينظر الى مسقط رأسهِ وفي صدرهِ غليان المرجل . ولما بلغ كاله خرج الى البرّ وركب القطار فنقلهُ الى باريس ومنها الى مرسيليا . وقطع سسل كل هذه المسافات وهو غير عالم بوجهتهِ ولا يدري ماذا يفعل ولم يذق قوتاً ولا اخذهُ كرًى . فلما بلغ

مرسيليا نزل من القطار ورأى امامهُ مطعماً فدخل وطلب بعض القوت فاكل ثم ادركهُ النعاس فالقى رأسهُ على المائدة ونام نوماً ثقيلاً . وكان الزائرون يدخلون ويخرجون وهو لا يشعر بهم ورأى صاحب المطعم ذلك فعلم ان الرجل مجهودٌ من التعب فلم يقلق راحتهُ وبقي سسل نائماً الى نصف الليل واذ ذاك افاق بغتةً على صوت زمرةٍ بالقرب منهُ يشربون ويطربون فاعار اذناً صاغية فعلم انهم من الجنود الذين صدرت لهم الاوامر بالسفر الى بلاد الجزائر حيث دارت رحى الحرب. وكأن قوةً جديدة شعر بها في صدرهِ فانتصب واقترب اليهم فحياهم باللغة الفرنسوية فاجابوهُ وجلس اليهم يسألهم عن الحرب وعلم انهم سيسافرون في الغد الى الجزائر فاظهر ميلهُ الى التطوع معهم ثم امر لهم بشراب ورأوا من كرمهِ ما حببهُ اليهم فوعدوهُ ان يسهلوا لهُ الامر لدى قائدهم . ولما كان الغد توجه سسل الى قائد الفرقة وعرض عليهِ التطوع تحت رايتهِ فتعجب ذلك من انكليزي يود الانتظام في سلك الجنود الفرنسوية ولكن الحاح سسل ورفقائهِ اقنع القائد فقبل طلبهُ وعينهُ من جملتهم . وفي منتصف النهار اقلعت الباخرة من مرسيليا باولئك الجنود وكلهم يتشوق الى الوصول الى ساحة الوغى واكثرهم شوقاً سسل . وكان يجتهد في نسيان ماضي حياتهِ ما امكن ولكن لم تبرح من وجههِ امائر الغمّ والاكتئاب . وكان لا يحب ان يطلع احداً على اسمهِ فكانوا يلقبونهُ بالانكليزي ويقولون لا لذة لنا الا بوجود الانكليزي فهو آية السرور ولكنهُ يجتهد في اخفاء سرّ عميق نظنهُ الباعث على طردهِ من وطنهِ ومجيئهِ الى هنا

ولما بلغت هذه الفرقة بلاد الجزائر انضمت الى الجيش الاكبر واُخبر القائد العام ان بصحبتهم فتىً انكايزياً قد تطوع في الجيش فاستدعاهُ القائد وكلمهُ فرأى فيهِ نخوةً وعظمةً ونفساً ابية فاضمر لهُ الاهانة والاحتقار

اما سسل فاحسن القيام بما عُهد اليهِ وحافظ على واجبات الجندية فلم يدع عليهِ لاحدٍ سبيلاً وزاد في حسن صفاتهِ سكوتهُ المستمرّ فكان رؤساؤهُ ورصفاؤهُ يحبونهُ جدًّا ما عدا القائد كما ذكرنا . اما في الوقائع فاظهر سسل شجاعةً نادرة وكان يرمي بنفسهِ في اشد مواقع القتال خطراً وهو يتمنى التخلص من هذه الحياة وبقيت الحالة على ذلك مدة ثماني سنوات . وكان في جيش الفرنسويين فتاةٌ يقال لها سيجرت ادَّعت انهُ أُوحي اليها مساعدة الجيش فرافقتهُ الى الجزائر وكانت لا تكل من الخدمة فتارةً تراها في المستشفى تعالج الجرحى وتسير بين المرضى كملكٍ طاهر وطوراً تراها ممتطيةً صهوة الجواد تحرض الفرسان على الهجوم وهي في مقدمتهم لا يخيفها العدوّ ولا ترهب الموت . وكانت سيجرت قد احبت سسل لما رأت فيهِ من كرم الاخلاق والاقدام في ساحة الوغى غير انها كانت تنفر منهُ لانهُ انكايزي فلم تكن تكلمهُ البتة . وفي ذات ليلةٍ كان سسل يسير بجوادهِ للحراسة خارج المعسكر وكان متشتت الافكار فما شعر الا وقد ابتعد عن الخيام واوغل في القفر وما انتبه لنفسهِ وهمَّ بالرجوع حتى سمع صوت جلبة وصياح فهمز جوادهُ وفي اقل من لحظةٍ بلغ المكان فرأى سيجرت والى جانبها فارس ليس من الجنود وقد اطبق عليهما ستة من فرسان العدو فحمل سسل عليهم حملة الاسد ففرّق شملهم وقتل اثنين منهم ثم اتبعهما

بثالث فهرب الباقون

ولما انتهت المعركة تقدمت سيجرت تشكر سسل على انقاذها ثم تقدم رفيقها ايضاً فلما تفرس فيهِ سسل اذا هو نفس الفتى الذي كان عند زوجتهِ في ذلك اليوم المشؤوم وكأن قوةً كهربائية حركتهُ فهمز جوادهُ وسار كالبرق الخاطف راجعاً الى المعسكر تاركاً سيجرت ورفيقها في حيرة من هذا الفعل . ولما بلغ محل حراستهِ ترجل عن جوادهِ وجلس على صخرةٍ وكلهُ افكار وتخيلات وبعد ذلك قدمت سيجرت وحدها وكان حبها لسسل يتزايد ولا سيما بعد هذه الحادثة الاخيرة فلما رأتهُ ترجلت وتقدمت اليهِ قائلةً اني اكرر شكري لهمتك ايها الانكليزي لانقاذك اياي من الموت وعسى ان اتمكن يوماً من وفاء هذا الجميل . قال سسل وكأنهُ لم يسمع شيئاً من حديثها بالله ايتها الفتاة من هو الرجل الذي كان برفقتكِ الآن . قالت هو رجلٌ انكليزي نظيرك ومن الأُسَر الغنية جدًّا قدم مع شقيقةٍ لهُ للسياحة ورآني في هذا المساء خارجة كعادتي لمشارفة العدوّ فكلمني وجعل يسألني عن الجنود وسألني هل تطوع احدٌ من الانكليز في هذه الحرب فاخبرتهُ انهُ لم يأتنا من هذه الامة الا واحد . ثم افضنا في الحديث فلم نشعر الا وقد ابتعدنا عن طريقنا واصبحنا بين اولئك الاعداء فالشكر لهمتك على انقاذنا منهم . وكان سسل يعجب من قدوم رجل انكليزي وشقيقتهِ بقصد السياحة في تلك النواحي وفي مثل تلك الايام ثم من سؤالهما عمن عساهُ ان يكون قد تطوع من الانكليز واراد ان يبعد هذه الافكار عنهُ غير انهُ رأى فيها غرابةً وموضعاً للتفكر . واستفهم من سيجرت عن

محل وجود هذا الرجل فاخبرتهُ عن المحل كما علمتـهُ من الرجل نفسهِ

فلما كان الغد انتهز سسل فرصة راحتهِ من نوبة الحراسة فركب وتوجه الى المحل حسبما افادتهُ سيجرت فرأى سرادقاً فخيماً وحولهُ الخدم والحشم فتقدم الى احدهم وبعد ان سلم عليهِ ولاطفهُ سأَلهُ عن اولئك السياح فقال الخادم انا في حاشية الكنت فيليب دي منتاغ وشقيقتهِ الكنتة جوليا . فلما سمع سسل اسم منتاغ وجوليا شعر ان الارض تموج بهِ ولكنهُ ثبَّت جنانهُ وقال للخادم واين هما الآن . قال قد خرجا للنزهة ولا يعودان قبل منتصف الليل . فقال سسل للخادم انني اعرف اناساً بهذا الاسم ولكنني لست متحققاً هل الكنت وشقيقتهُ هما اللذان اعرفهما فهل لك ان تساعدني على طريقة اتمكن بها من رؤيتهما بدون ان يراني احد ولك مني ما تحبّ . ولما قال هذا اخرج من جيبهِ بعض النقود ودفعها الى الخادم فتبسم الخادم وقال ان ذلك من اسهل الامور فان غرفتي بلصق غرفة الكنتة وانا خادم غرفتها فتعالَ معي . فربط سسل جوادهُ الى ناحيةٍ ودخل مع الخادم وكان في اثنآء انتظارهِ على احرّ من الجمر . واذ قارب انتصاف الليل اخبرهُ الخادم ان مولاتهُ قد جآءت وكان في جدار الغرفة خرق صغير فوضع سسل عينهُ ونظر فرأى زوجتهُ بعينها وهي مرتديةٌ ثياباً سودآء وعلى وجهها اثر الحزن وقد استندت على ذراع الفتى الذي ذكرناهُ سابقاً . اما سسل فقطع تنفسهُ وشخص ببصرهِ واصغى بكل قوى نفسهِ فسمع الشاب يقول والى متى هذا الحزن يا شقيقتي فانهُ ان كان زوجكِ لا يزال حياً فلا بد من ان نصادفهُ وان كان ميتاً فالحزن لا يرجعهُ

فسكّني روعكِ . فقالت جوليا بصوت الحزين الاسيف هذه هي السنة الثامنة وانا انشدهُ في جميع انحآء الارض فلم اقف لهُ على اثر افلا يحق لي ان احزن وانوح . قال الفتى ولكنني اخبرتكِ بما حدث ليل امس وما ادرانا ان لا يكون هذا الفتى الذي خلصني من الموت هو نفس زوجكِ سسل وسأجتهد غداً في البحث عنهُ وفي ظني اننا هذه المرة قد ظفرنا بضالتنا . وعلم سسل ان الفتى الذي كان قد رآهُ مع امرأته حين هجرها هو اخوها فندم على ما فعل وايقن انهُ كان مخطئاً في حقها فهمّ ان يدخل عليهما ويستغفرها عما جنى عليها ثم قال في نفسهِ ولكن بايّ وجهٍ اقابلها وبماذا اعتذر اليها عن تهوُّري وتسرعي في ظني وتركي لها كل هذه المدة في العذاب . لا لا ان سسل قد مات وما انا الآن الا جنديٌّ يحارب تحت الراية الفرنسوية في شمالي غربي افريقيا ليس الا . وللحال نهض فركب جوادهُ وعاد من حيث اتى وكان يسير على غير هدى حتى بلغ المعسكر واذا بالقائد العام قادم ومعهُ اركان حربهِ فلما رأى سسل عائداً قبيل الفجر اتخذ تلك الفرصة لصب جام انتقامهِ على رأس المسكين فامرهُ بالوقوف فوقف وحيَّا . فقال القائد اين كنت ايها الانكليزي في مثل هذه الساعة . قال لم يكن عليَّ واجبات اليوم فذهبت لزيارة بعض الاصدقآء على مقربةٍ من هنا . قال ومن هم اولئك الاصدقآء . قال ليس لك ان تعرفهم . قال بل اعرفهم اذا صفعتك بقفا هذا الغمد . قال ليس لك ان تفعل ذلك ولا اقل منهُ بدون عقد مجلس حربي لمحاكمتي اذا كنت مخطئاً . فبلغ الغيظ من القائد وامتشق حسامهُ وهجم على سسل ولكنهُ قبل ان يرفع يدهُ بهِ وثب سسل اليهِ

ولطمهُ لطمةً اطارت السيف من يدهِ واوقعتهُ على الارض ثم سار سسل بجوادهِ كأنهُ لم يحدث شيء . وفي ذلك النهار تألف مجلس عسكري برئاسة القائد العام فحكم على سسل بالاعدام ثم ارسل المجلس الحكم مع رسولٍ خاصٍ الى باريز للتوقيع بانفاذهِ والقي سسل في السجن

وعلمت سيجرت بما حدث فصممت على السعي في خلاص سسل فتوجهت اليهِ واخبرتهُ بقصدها وسألتهُ ان يعطيها اسم أسرتهِ لتستعين بها على انقاذهِ فابى وقال انهُ يفضل الموت على ذلك وان هذا ما يسعى اليهِ منذ قدومهِ الى الجزائر . ولما يئست سيجرت منهُ استأذنت قائدها في التغيب فاذن لها وتوجهت الى حيث يقيم فيليب دي منتاغ وشقيقتهُ جوليا لعلمها انهما من جنس سسل وربما ساعداها على تخليصهِ . ولما اطلعتهما على خبرهِ فهمت جوليا من كلامها ووصف اخيها ان الجندي المذكور هو سسل بعينهِ فقامت قيامتها واجمع الرأي على ان ترسل سيجرت عرضاً في واقعة الحال الى وزير المملكة وتطلب تأجيل الحكم على سسل وان تكتب جوليا واخوها الى سفير انكلترا يسألانه السعي في توقيف انفاذ الحكم ثم بعثوا بكلٍّ من الرسالتين رسولاً مخصوصاً واقاموا ينتظرون ما يكون . وعاد رسول القائد وبيدهِ الامر موقعاً عليهِ فامر باعدام سسل في الصباح التالي وعاد في نفس الليلة رسول سيجرت وبيدهِ امر آخر يلغي الامر الصادر للقائد ويوقف الحكم فما تناولتهُ سيجرت حتى وثبت الى ظهر جوادها وجعلت تنهب الارض نهباً قاصدة المعسكر الفرنسوي فبلغتهُ عند الصباح . ولما اقتربت رأت في الساحة جنوداً مصطفة وفي وسطهم اثنا عشر جندياً

ببنادقهم وامامهم سسل موثقاً وهم ينتظرون الامر لاطلاق الرصاص. فلما رأت ذلك اخرجت الامر من ثوبها ورفعتهُ بيدها وجعلت تحث جوادها على المسير وكان قد نهكهُ الكلال ولما بلغت حدود المعسكر وثبت عن ظهرهِ وجعلت تعدو وهي تصيح قفوا قفوا ثم رأت البنادق ترتفع الى صدور الجنود فاشارت لهم بيدها غير ان القائد لم يكترث بها . وكانت قد اخذت من الكنتة جوليا راية انكليزية فرفعتها وبلغت سسل فرمت بنفسها عليهِ وطوقتهُ بذراعها وهي قابضة باليد الواحدة على الامر وبالاخرى على الراية وفي نفس الدقيقة كان قد أعطي الامر فقذفت البنادق رصاصها وسقط سسل وسيجرت الى الارض ...

ولم يصب الرصاص منهما مقتلاً بل اصيبا بجراحٍ كثيرة ونال سيجرت منها الحظ الاوفر وتقدم القائد فاخذ الامر من سيجرت وهو يحرق الأرَّم ثم امر بنقلها الى المستشفى . وجآء بعد ذلك فيليب دي منتاغ برسائل اخرى فطلب سسل وسُمح لهُ بهِ وكرهت سيجرت البقآء في خدمة جيشٍ يحكمهُ رجلٌ ظلوم كالقائد فتركت الخدمة وسارت معهم . ولا يمكن القلم ان يصف مقابلة سسل لزوجتهِ جوليا ومختصر الكلام انهُ عاد بزوجتهِ الى انكلترا وكان والدهُ لا يزال حياً فتجددت ايام هنآئهم ولما رأت سيجرت ان سسل متزوّج احالت كاس حبها الى فيليب فقبلهُ شاكراً واقترن بها وعاش الجميع بعد ذلك بغبطةٍ وسرور يذكرون مرارة الماضي ويتلذذون بحلاوة الحاضر

الصين

(تعودٌ على ما سبق)

اما تاريخ هذه البلاد فاوائلهُ غامضة على حد تواريخ سائر الامم القديمة والمؤرخون مختلفون في اصل الصينيين فمنهم من ذهب الى ان اصلهم من مصر وان ملوكهم الاولين لم يكونوا الا من ملوك ثيبة وممفيس واستدلوا على ذلك بما يُرَى من الشبه بين الهيرُغليف المصري والحروف الصينية ومنهم من ذهب الى انهم من ابنآء سام بن نوح ارتحلوا من صحارى شنعار بعد تبلبل الالسنة فنزلوا بارض هونان وهي ناحيةٌ باواسط الصين وهو قول بعض المرسلين وهناك اقوال اخر لا فائدة من استقصآئها على انهُ مهما يكن من اصلهم فلا شك انهم من اقدم الامم في بلادهم كما تدل على ذلك تواريخهم وشرائعهم وآدابهم مما انفردوا فيهِ عن سائر الامم بالاجمال

وللصينيين تقاليد يتناقلونها بينهم تتسلسل وقائعها منذ ثمانين الف سنة او فوقها وتنتهي الى الانسان الاول واسمهُ عندهم پان كو ولهم في هذه التقاليد احاديث وخرافات غريبة ليس هنا محل ايرادها ولعلنا نأتي على بعضها عند الكلام على مذاهبهم الدينية . واما تاريخهم فاقدم من ذُكر فيهِ الملك فوهي وكان عهدهُ في القرن الثلاثين وقيل التاسع والعشرين قبل الميلاد وهو الذي فرق بين زيّ الرجل وزيّ المرأة واوجب على رعيتهِ سنّة الزواج واستنبط فن الموسيقى وعلّم قومهُ صناعة الحديد واخترع الحروف الرمزية التي هي اصل الكتابة عند الصينيين

وخلفهُ على الملك شين نُنغ ومعناهُ الحارث السماوي وهو الذي علّم الصينيين فن الزراعة واخترع لهم بعض آلات الحرث وهو اول من نبه على بعض العقاقير الدوائية . وملك بعدهُ سوان يوان وهو الذي اخترع جميع الصنائع والفنون وميز الرعية طبقات عيَّن لكل طبقةٍ منها لوناً تلبسهُ وخصّ اللون الاصفر بعشيرة المُلك ولذلك لُقّب بهوَنغ تي اي الملك الاصفر . وهو الذي قسم الزمن الى ادوار جعل الدور منها ستين سنةً على ما هو اصطلاح الصينيين الى هذا اليوم وهو في مقابلة القرن عند غيرهم وجعل ابتداء الدور الاول السنة التي ملك فيها وهي سنة ٢٦٣٧ قبل الميلاد وبها يؤرّخ الصينيون وقائعهم

وتولى الملك بعدهُ شاو هاو ولم يكن لهُ عملٌ يُذكر ثم شوان هيو ومن آثارهِ انشاء الندوة العلمية ثم تي كو وهو اول من ضارّ على امرأتهِ فصار ذلك سنةً في قومهِ ثم تي تشي وكان سيّئ الاحكام فثار عليهِ رجالهُ وخلعوهُ وملّكوا مكانهُ اخاهُ ياو وبهِ بدأت اشهر حوادث التاريخ عندهم . ولما توفي ياو خلفهُ صهرهُ شون وكان في جملة بطانتهِ رجلٌ حكيم يقال لهُ يو فشاطرهُ الملك في حياتهِ ولما توفي شون استقلّ يو بالملك الا انهُ وجد من ثقل اعباء السياسة ما دعاهُ الى الاقتداء بسالفهِ ففوّض جانباً من المملكة الى رجلٍ من ثقاتهِ يقال لهُ پاي فكان الامر مشتركاً بينهما الى ان توفي يو فلم يستبدّ پاي بالملك من بعدهِ ولكنهُ نزل عنهُ لابن يو وكان يسمى تي كي ومذ ذاك صار الملك ينتقل في الاعقاب ولم يزل سنةً في ملوك الصين الى هذا اليوم . وسميت تلك السلالة بالهياوية وهي السلالة الاولى من

ملوكهم واولها يو المذكور وكان ابتدآء ملكهِ سنة ٢٢٠٥ قبل الميلاد واستمرّت سلالتهُ الى سنة ١٧٨٣ . وقامت بعدها السلالة الثانية المعروفة بالشنغيين ورأسها تشنغ تهنغ ولبثت الى سنة ١١٢٢ ثم خلفتها السلالة الثالثة وهي سلالة التشاويين ومن ملوكها تشنغ وَنغ وهو اول من امر برسم خرائط للصين وفي ايامهِ ضُربت السكة وبدأ الناس يتعاملون بها ودامت هذه السلالة الى سنة ٢٥٥ قبل الميلاد . وفي مدتها كان مولد لوشيوس وكنفوشيوس وهما من اشهر فلاسفة آسيا الشرقية وُلد الاول سنة ٦٠٤ والثاني سنة ٥٥٠ وكلاهما صاحب مذهبٍ من مذاهب الدين عندهم على ما سنذكرهُ

وقامت بعدها السلالة الرابعة وهي سلالة التسينيين فاستمرّت الى سنة ٢٠٢ ورأس هذه السلالة شي هوَنغ تي وهو الذي بنى السور العظيم المشهور سنة ٢١٤ فصل بهِ بين ارض الصين وارض المغول او بلاد ياجوج وماجوج وهو يحيط بشمالي الصين وغربيها مبتدئاً من شرقيّ باكين على شاطئ البحر حتى ينتهي الى كان سو غرباً وطولهُ ٢٥٠٠ كيلو متر . وهو يقطع انهراً واودية عميقة ويمرّ على جبالٍ شامخة وارتفاعهُ نحو ٣٠ قدماً وعرضهُ ٢٥ قدماً عند اصلهِ و ١٥ قدماً و ٦ قراريط عند اعلاهُ وهو مبنيٌّ من جدارين ضخمين من الآجُرّ بينهما تراب وعليهِ ابراج يختلف سمكها بين ٤٠ و ٥٠ قدماً وبين كل برجٍ وآخر نحو ٢٥٠ قدماً . قيل وكان الذين استُخدموا في بنآئهِ عدة ملايين من الناس بنوهُ في مدة عشر سنين وكان المسيطرون عليهم مئة الف من الجند

وتتابعت الدول بعد ذلك على الصين الى السلالة الحالية وهي الثانية

والعشرون وتعرف بسلالة التسنغيين ورأسها شون تسي واصل هذه السلالة من منشوريا وكان السبب في استيلائها على الصين ان اثنين من قواد هواي تسنغ آخر ملوك السلالة الحادية والعشرين توثبا على الملك في خبرٍ طويل الى ان انتزعهُ احدهما واستقرَّ لهُ الامر فاستظهر الصينيون عليهِ بالمنشوريين فانجدوهم تحت قيادة ملكهم تسنغ تي وخلعوهُ ثم استبدّ المنشوريون بالملك واستخلف عليهِ تسنغ تي ابنهُ شون تسي المذكور فكان اول ملوك السلالة المنشورية وذلك سنة ١٦٤٤ . والذين ملكوا من هذه السلالة الى اليوم تسعة ملوك آخرهم كونغ سو سُمّي امبراطوراً سنة ١٨٧٥ ثم لم يلبث طويلاً حتى حُجر عليهِ وهو الى اليوم تحت الحجر على ما هو مشهورٌ من امرهِ (١)

---

(١) لا بأس ان نفيض هنا بعض الشيء في الاسباب التي ادّت الى سجن الامبراطور وما يتصل بذلك من مقدمات الحوادث الحالية في الصين التي هي سبب كتابة هذا الفصل . وذلك انهُ في سنة ١٨٤٨ امر الامبراطور هيان فنغ وهو السابع من السلالة الحالية ان تجمع لهُ عشر فتيات من المنشوريات بين سن ١٥ و ١٨ سنة ليختار منهنّ حظيةً لنفسهِ . واتفق قبل ذلك ان كان لاحد اشراف منشوريا ابنةٌ يقال لها تسي آن فاحوجهُ ضيق ذات اليد ان باعها وبيع الولد جائزٌ عندهم فابتاعها احد اغنياء التجار ولبثت تخدم في منزله عدة سنين . وكانت الفتاة قوية البنية صحيحة الجسم مستجمعة للمعاني المستحبة عند الصينيين فلما شاع امر الامبراطور سألت مولاها ان يجعلها في اللواتي يعرَضنَ عليهِ ففعل ولما مثلت الفتيات العشر بين يدي الامبراطور وقع اختيارهُ عليها فارسلت الى قصرهِ . ولما استقرَّ بها المقام اخذت تحبب الى الامبراطورة وتتقرب اليها بدهائها حتى اذنت لها في ملازمتها فكان ذلك سبباً في اجتماعها بالامبراطور مراراً فشغف بها وفي اثناء ذلك رُزق منها غلاماً ولم يكن لهُ ولدٌ من الامبراطورة فزادها ذلك حظوةً في عينيهِ وقرباً من قلبه حتى اطلق عليها لقب امبراطورة الغرب

وهو في مقابلة امبراطورة الشرق الذي هو لقب الامبراطورة الشرعية وهذا اللقب يعطى عادةً للحظايا الا ان مقام الامبراطورتين واحد

ولما كانت سنة ١٨٦٠ توفي الامبراطور وقيل انهُ مات مسموماً فخلفهُ في الملك ابن تسي آن وسمي تنغ تشي وكانت الاحكام في يد الامبراطورتين والامير كنغ عم الولد . وفي سنة ١٨٧٤ كان الامبراطور قد بلغ التاسعة عشرة من سنيهِ فحاول ان يستبدّ بالامر وابرز صفحة المقاومة لوالدته والامبراطورة وعمهِ فاضطربت بسبب ذلك احوال البلاط وفي آخر السنة اعتلّ الامبراطور وتوفي في اوائل سنة ١٨٧٥ وانقطعت من بعدهِ سلالة الملك فرجع حق الارث الى اشراف منشوريا ووقع اختيار تسي آن على ولد من امرآئهم في الرابعة من سنيهِ فعين امبراطوراً وسمي كنغسو وهو الامبراطور الحالي ولبثت ازمة الاحكام في ايدي الثلاثة الذين ذكروا

وفي سنة ١٨٨١ توفيت الامبراطورة فخلا الجوّ لتسي آن واستبدت بالاحكام بلا معارض وكان الامبراطور لين العريكة سهل القياد فاستولت على رأيهِ وجعلتهُ آلةً في يدها الى ان احست منذ بضع سنوات انهُ ينوي الاستقلال بالملك فسجنتهُ في قصرهِ وفرقت احزابهُ ومناصريهِ من اهل البلاط فقتلت بعضاً ونفت بعضاً وهو في اسرها الى هذا اليوم لا يخرج من محبسهِ ولا يصل اليهِ احد

بقي الكلام في الفتنة الحالية وثورة الصينيين على الاجانب وسببها ان الامبراطورة لما رأت امتداد ظل الاجانب في الصين عمدت الى موالاتهم للاستظهار بهم على تأييد سيادتها فقرّبت سفرآء الدول وعززت موضعهم وكانت تأمر الامبراطور ان يستقبلهم بنفسهِ في بلاط باكين ولم يكن ذلك مألوفاً في الصين من قبل فاهتزّت اركان مملكة ابن السمآء لما في ذلك من الخرق لحرمة التقليد القديم ثم اذنت لنسآء السفرآء ان يزرنها في البلاط واستقبلتهنّ استقبالاً حافلاً فزاد ذلك في نفورهم منها وحنقهم عليها حتى خافت على موضعها ولم يبقَ لها ثقةٌ باحدٍ من اهل المملكة لان المنشوريين ناقمون عليها يودّون نزع الامر من يدها وردّهُ الى الامبراطور والصينيين الا افراداً منهم يمقتون السلالة المنشورية ويودّون التخلص منها ليعود الامر اليهم ثم رأت جماعة المسمين بالبكسر وهم اصحاب الجمعية السرية التي اشتهر ذكرها في هذه الايام ناقمين على الاجانب فشدّت سواعدهم على الفتك بهم ليكونوا من جانبها وكان منهم ما كان من الفظائع التي تحملها الينا برُد الاخبار والله اعلم ما تكون عاقبة هذه الامور

والبكسر كلة انكليزية معناها اصحاب الجمع (بالضمّ) وهو الكف المقبوضة وهي ترجمة «آي هو تشوان» بالصينية ومعناها ذوو الجمع المتحدون وفي الصين مئاتٌ من الجمعيات السرية هذه احدثها عهداً الا انها اكثرها انتشاراً حتى ان اعضاءها فيما يقال يعدون بالملايين

الحُبسة وعلاجها

الحُبسة احتباس المنطق وهي والحُكلة والعُقلة والرُتّة والتأتأة والفأفأة والتمتمة والتعتعة الفاظٌ مترادفة لكن تُخَصّ التأتأة بمن يتردد في التاء والفأفأة بمن يتردد في الفاء وقيل هي ان يعسر خروج الكلام والتمتمة ردّ الكلام الى التاء والميم وقيل هي ان تسبق الكلمة الى الحنك الاعلى والبواقي تستعمل في مطلق التوقف واعتقال اللسان

وقد سألنا غير واحد من القرّاء كتابة ما يسعنا في هذا المقام والاشارة بافضل ما عُونيَ بهِ علاج هذه العاهة وقد عثرنا في ذلك على فصلٍ لاحد اطباء الفرنسيس فآثرنا تحصيلهُ لعلّ فيهِ تبصرةً او نفعاً قال

الحُبسة كما يعلم عيبٌ في المنطق لا يطّرد على وجهٍ واحد وهي تكون اما بتكرار الحرف الواحد او بتوقف اللسان عند احد الحروف ولا سيما في اول النطق ويصحبها في الحالين حركاتٌ تشنجية في اعضاء النطق وفي عضل الوجه او غيرهِ من الاعضاء وقد يصحبها فيضٌ في اللعاب . وسببها على الغالب ضعف البدن لسوء التغذية او النزع الفجائي في زمن الطفولة او الارث

وقد اكثروا من الكلام على تقسيم هذه العاهة وانواعها بما يطول

سردهُ فقسموا انواعها على مقاطع الحروف وقسموا الحروف بهذا الاعتبار الى طوائف كل طائفةٍ منها تختصّ بنوعٍ من الحُبسة . وسببها على الجملة ان لا يكون اللسان عند ارادة النطق باحد الحروف على الوضع الذي يقتضيهِ ذلك الحرف كأن يكون منخفضاً حيث يقتضي الارتفاع او بالعكس او يكون منبسطاً حيث يقتضي الانقباض فاذا اراد المتكلم النطق بهِ لم يجرِ على لسانهِ فيحاول ذلك منهُ مرةً بعد اخرى فربما جرى بعد الجهد وربما بقي ممتنعاً عليهِ فبقي اللسان مُعتقَلاً

وجعل دلُو الحُبسة ثلاثة انواع وهي اللسانية وسببها عدم موافقة عضل اللسان للحركة الصوتية والثاني الشفَوية وسببها تشنج عضل الوجه والفم والثالث الحُبسة بحدها ويسميها البكم وهي التي يحتبس فيها النفَس حتى يمتنع الكلام بتاتاً

والحُبسة قلما تتبين في الصغار لانهم من طبيعتهم لا يُبينون فلا تظهر العاهة فيهم بما يميز المألوف من غيرهِ فاذا بلغوا حد المراهقة او الحلم ازداد ظهورها الى ان تتكامل وهي تكون شديدة او خفيفة تبعاً لحالة اعضآء النطق وتبعاً لاتساع المدارك العقلية وازدياد الحاجات وغلبة الاهوآء ثم تضعف مع السن تبعاً لفتور حدة النفس وتطأمن ثورة الوجدان الى ان تبطل في سن الشيخوخة

والاطبآء غير متفقين على سبب الحبسة ولهم في ذلك مذاهب متباعدة نذكر اشهرها واكثرها دوراناً بينهم . فمن مذهب صوفاج وايتار وماجنْدي انها تنشأ عن ضعفٍ في عضل النطق وذهب سرّ وكولمبات الى ان مجلسها

في العصب الذي يحرّك تلك العضل وقسماها الى نوعين احدهما يحدث عن تشنج في العضل المكيف للصوت فلا يكون للارادة سلطة على حركات اللسان والشفتين وبهِ تتوقف المقاطع اللسانية والشفوية والثاني يحدث عن توتُّر تشنجي في عضل الصوت والتنفس فيبقى النفس محتبساً وبهِ تتوقف المقاطع الحلقية . وذهب غيرهما الى ان سببها في الدماغ واشهر من قال بهِ روليباي بدليل انها قد تبرأ بعلاجٍ عقليٍ صرف . وقال آخرون انها تنشأ عن تشنجات عضلية يحدث عنها تارةً شلل في العضل التنفسي وتارةً مجرَّد ارتخاء وضعف في العضل المذكور بحيث يمنع مطاوعة هذا العضل للارادة ولذلك متى توقف التشنج وجرى النفس على حقهِ بطلت الحبسة وجرى النطق من غير توقف

وردّ ملبوش جلّ اسباب الحبسة الى اللسان قال ان الصوت ينشأ في الحنجرة واللسان يكيّنه فوضع اللسان من الحنجرة كوضع الاصابع من آلات النفخ وحركتهُ في الفم تحدث شبه ما تحدثهُ الاصابع في الآلة فاذا لم تسدّ الاصابع ثقوب المزمار مثلاً سدًّا محكمًا جاءت الاصوات ملتبسة . واجراء النغم في المزمار يقتضي حركتين احداهما لسدّ ما ينبغي سدّهُ من الثقوب والثانية لتوجيه الصوت الى الموضع الذي ينبغي اجراؤهُ فيهِ وحينئذٍ فلا بد ان يكون اللسان مرتفع الوضع حرّ الحركة ليقوم بالعملين جميعاً . قال وهذا اوضح ما تصوّر بهِ حالة الحُبسة ومرجعها الى العضو الذي يستخدَم لتكييف الجرس الصوتي

وهناك اقوالٌ وتفاصيل أُخر نضرب عنها لطولها وفيما ذُكر منها

كفاية للدلالة على صعوبة تشخيص هذه العاهة . واما علاجها فاقدم ما ذُكر فيهِ ما رواهُ بلوطرخس عن ديمستان الخطيب الشهير من رجال القرن الثالث قبل الميلاد فانهُ مع قوة عارضتهِ وانفساح خطوهِ في صناعة الكلام كان ارتّ اللسان ولا سيما في مواقف الخطابة فلما ضاق ذرعاً من هذه الحال اعتزل الى بعض الاماكن الخالية بجانب شاطئ البحر وكان يملأ فاهُ بالحصى ويخطب على الامواج وبعد ان اقام على ذلك مدةً من الدهر استقام نطقهُ وعاد الى قومهِ خطيباً مصقعاً

واما اصحاب الطب فلم يتعرضوا لعلاج هذه العاهة ولم يتنبهوا لهُ الا من اوائل القرن الثامن عشر فذهبوا في علاجها مذاهب شتى كمذاهبهم في سببها فنهم من وصف لها حصى ديمستان وفي استعمالها من الصعوبة ما لا يخفى . ومنهم من ارتأى انهُ يكفي فيها تنبُّه المتكلم الى اخراج الكلام برفقٍ مع وجود مرشدٍ يلازمهُ وينبههُ الى ذلك . ووصف لها ايثار القرآءة بالتأني ان كان الارتّ غلاماً وبالتأنق في اللفظ مع الاشارات كما يفعل الخطيب ان كان فوق ذلك وان يراوض نفسهُ بالغنآء حتى يعتاد تفخيم الصوت وترقيقهُ بالتدريج . وقال سرّ اذا كانت الحُبسة خفيفة يكفي ان يُلفظ كل مقطع من الكلمة بنبرٍ وسرعة دفعاً للعائق المعترض امام الصوت من توتُّر العضل على ما ذُكر من مذهبهِ واذا كانت شديدة زيد على ذلك تحريك الذراعين او اقتُصر على ان يُضرَب باحدى اليدين ضربةٌ شديدة عند اول كل جملة . وارتأى ارنلد انهُ يجب ان تبقى الحنجرة مفتوحة كل مدة التكلم وذلك بأن تُخرَج الكلمة في اثر الكلمة بدون ان تُطبق

الحنجرة فيكون حال المتكلم اذ ذاك كحال بعض الناس الذين يتكلمون فيمدّون آخر حرفٍ من الكلمة حتى ينطقوا بالتي تليها • ووصف بعضهم ان يهجر صاحب هذه العاهة لغتهُ بمرةٍ واحدة ويتكلم بلغةٍ اجنبية يجهد نفسهُ في تعلمها او ان يحاكي لفظ احد الناس او لفظ العجميّ يتعلم لغتهُ فيقلد عجمتهُ فيها الى ما اشبه ذلك مما يخرج فيهِ عن الطور المألوف الى التكلف حتى يكون كلامهُ صناعياً ويُضطرّ فيهِ الى التنبه عند كل مقطع

وهناك ضروبٌ أُخر من العلاج لم يخرجوا فيها عن مثل ما ذُكر حتى قام ديفنباخ في اواسط هذا القرن وهو من مشاهير الجراحين في برلين فارتأى ان يعالج الحُبسة بالعمل الجراحي على اللسان وذلك انهُ جاءَهُ يوماً رجلٌ احوَل يسألهُ ان يعالج حوَلتهُ وكان يكلمهُ بلسانٍ ارتّ فتنبه الى الاشتراك بين هاتين الحالتين ومذ ذاك اخذ يراقب اصحاب الحُبسة فوجد اكثرهم حُولاً وكان غالب حوَلهم عن تشنج • فبدا لهُ ان هذا الخلل في اعضاء النطق لا بدّ ان يكون حادثاً عن حالةٍ تشنجية في الآلات الصوتية وان منشأها على الغالب في الحلق ومنهُ تمتدّ الى اللسان وعضل الوجه وقد تمتد الى عضل العنق ايضاً • ولمنع هذا التأثير العصبي عن الاعضاء المشاركة في هذا الخلل وجد انهُ لا بدّ من التذرع الى ازالتهِ رأساً وحينئذٍ خطر لهُ ان يشرط عضل اللسان شرطاً افقياً قياساً على بعض التأثيرات العصبية التي تعالج عادةً بشرط العضل على الوجه المذكور • ولما وُفق الى بعض النجاح في هذه الطريقة اقتدى بهِ غيرهُ من اطباء فرنسا وانكلترا وزادوا عليهِ استئصال اللوزتين واللهاة الا ان الذي تحقق اخيراً ان هذه الطريقة

ايضاً لا يطرّد الشفآء فيها بل قد تؤدي الى عواقب رديئة

وجملة الامر ان استئصال هذه العاهة من اصعب الامور مزاولةً وغاية ما يمكن فيها اصلاح شيء من حال المصاب بها وآخر ما ذكروا ان افضل ما تعالج بهِ الرياضة المقوية لكن ينبغي ان لا يُغفَل انها اذا توقفت مرةً فلا يؤمن عودها عند اهمال الذريعة التي كانت سبب توقفها والله الشافي

الآبار الارتوازية

هي الآبار ذات المآء المَعين اي الجاري على وجه الارض والارتوازية كلمة افرنجية اطلقوها على هذه الآبار نسبةً الى ايالة ارتواز من الاعمال الفرنساوية لانها اول ما عُرفت هناك . على انها كانت معروفةً قبل ذلك بعهدٍ عهيد واول من تكلم عليها ديودورس اسقف طرسوس المتوفى سنة ٣٩٠ عند ذكرهِ الواحات المصرية وورد ذكرها بعد ذلك في كلام اولمپادور الاسكندري من اهل القرن الخامس وهو ممن وُلد ونشأ في الواحة الكبرى وذكر ان عمقها ١٨٠ وقيل ٢٣٠ متراً قال وكانت تقذف قطعاً من السمك او اسماكاً كاملة . على ان هذه الواحة مشهورةٌ بالخصب منذ زمن مديد ولها ذكرٌ في تصانيف اقدم المؤرخين وعليهِ فيكون عهد هذه الآبار فيها على الاقلّ منذ القرن الرابع قبل الميلاد . وممن استعمل الآبار الارتوازية قديماً اهل الصين وفارس وقيل كانت مستعملةً في البلاد الشامية واما في اوربا فالظاهر ان اول ما عُرف منها في ايطاليا وكان منها في سائر

اوربا آبارٌ معدودة الا انهم لم يتنبهوا لها في الازمنة الاخيرة الا منذ اوائل هذا القرن

وماء هذه الآبار ينبط من طبقات الارض السفلى يُفضَى اليها بتَنورٍ يبلغ عمقهُ مئاتٍ من الامتار فيصعد المآء فيهِ عموداً حتى يبلغ وجه الارض وهو يكون على الغالب فوّاراً غزيراً يسقي اراضي واسعة . وقد اطال العلماء من البحث عن اصل هذا المآء وافترقوا على مذاهب اصحها ما تقرّر آخراً من انهُ لا يعدو مآء سائر الآبار والينابيع التي يتجمع مآؤها عن الامطار والسيول والثلوج الذائبة بما يترشح منها في خلال الطبقات الصخرية . وذلك ان الاراضي الرسوبية تتألف من طبقاتٍ متراصفة يتخللها رمالٌ واتربة وهذه الطبقات قد تكون افقية وقد تكون مائلة وهي اذا انتهت الى سفوح الجبال فكثيراً ما تنفصل اطرافها وتتشقق فيكون هناك منفذٌ للمياه السطحية الى باطن الارض فتملأُ ما بين الطبقات الصلبة وتكون فيها اشبه بالمآء في داخل قناةٍ مملوءة بحيث ان اعلاها يضغط على اسفلها فاذا افضى الى موضعٍ منها خرقٌ يتصل بسطح الارض طبيعياً كان او صناعياً ارتفعت المياه فيهِ حتى توازي اعلى موضعٍ من مجتمعها على ما هو معلوم من طبيعة السائلات ولذلك فمن الآبار الارتوازية ما ينشب مآؤهُ صعُداً ويرتفع عدة امتار عن سطح الارض . على ان منها ما يتدفق مآؤهُ في وسط صحارى متسعة الاطراف لا يُرَى حولها شيء من الجبال وسببهُ ان منابع مآئها تكون على بعدٍ شاسع لا تنكشف منهُ للنظر وقد تكون على مئة كيلومتر او فوقها . والطبقات المذكورة قد تكون متعددة فربما خرقت البئر طبقتين منها فاكثر

فيصمد مآؤها بغزارة شديدة ويجتمع بعضهُ الى بعض فيكون سيحاً عظيماً يجري على وجه الصحرآء

وكانوا قديماً يحفرون هذه الآبار بالمعاول ويرفعون ترابها بالدلآء على حد سائر الآبار المألوفة وكذلك كانوا يفعلون الى عهدٍ قريب في نواحي الجزائر وتونس من اراضي افريقيا وفي ذلك من العنآء والمشقة ما لا يخفى فضلاً عما فيهِ من الخطر وتلف كثيرٍ من العاملين . وذلك ان مساحة قعر البئر لا تتجاوز متراً مربعاً فكان يقضى على العامل ان ينحني في هذه الفسحة الصغيرة مكباً على حفر التراب ونقر الصخر وهو بين نضح المياه وخطر الانهيال ولذلك لم يكن يبقى اكثر من ساعة ثم يُرفع . وكان اعظم الخطر على العامل اذا بلغ الصخر الذي يجري تحتهُ معظم المآء فكثيراً ما يكون المآء شديد الاحتباس لما يكون عليهِ من الضغط فاذا ضرب الصخر بمعولهِ فقد ينفجر المآء بشدّة فينقلب العامل ويختنق قبل ان يتمكن اصحابهُ من رفعهِ

وقد اصبح الامر اليوم اسهل من ذلك كثيراً بما اخترع لهُ من الآلات فانهم يثقبون الارض بشبه لولبٍ من الحديد فيبلغون اعظم عمقٍ يريدونهُ في بضعة عشر الى عشرين يوماً . وهذا اللولب مؤلفٌ من قطعٍ كثيرة في طرفي كلّ منها شُعَبٌ تتداخل مع اطراف القِطَع الاخرى وتتصل بها ويدار بآلاتٍ قائمة على وجه الارض بحيث انهُ كلما غاص في الارض زادوهُ قطعةً اخرى من اعلاهُ حتى يبلغ العمق المطلوب ولهُ فراشٌ مختلف لاخراج الموادّ المحفورة وحفر الموادّ الصلبة في تفصيلٍ لا محل لهُ هنا . وعمق البئر يبلغ تارةً الى ما يزيد على ٣٠٠ متر الى ٦٠٠ وقطرها ما بين

١٨ الى ٢٠ سنتيمتراً ويقال انهم حفروا في مدينة پست بالمجر بئراً عمقها ١٢٠٠ متر وهي اعمق بئرٍ في الارض

ومقدار المآء الذي يخرج من هذه الآبار يتفاوت تبعاً لقطر الثقب وعمق البئر وسهولة جري المآء في جوف الارض ومن الآبار ما يجري منها الفان الى اربعة آلاف لتر في الدقيقة . وحرارة المياه الارتوازية تكون دائماً اعلى من معدَّل الحرارة السطحية وهي تزداد مع ازدياد العمق وقد قدَّر أراغو أنها تزداد درجةً في كل ٢٠ الى ٣٠ متراً من العمق وعند خروجها تكون على نفس الدرجة التي لها في باطن الارض . وهي فضلاً عن سقي الاراضي كثيراً ما تُستخدَم في المعامل الصناعية لتحريك الآلات ولا سيما في البلاد الباردة لانها مع غزارتها تلزم درجةً من الحرارة لا تتغيَّر صيفاً وشتآء فيستحبُّ استخدامها في المعامل التي تدور دواليبها بالمآء كالطواحين او التي لا تستغني عن المآء الجاري كمعامل الورق ونحوها لان غيرها من المياه يتجمد بشدة البرد فيُستوقَف العمل

وبنآء على سهولة حفر هذه الآبار فقد اخذوا يكثرون منها في النواحي القاحلة ذات الصحارے الهامدة والرمال المحرقة بجنوبي الجزائر وبعض الاراضي التونسية فكان عنها خصبٌ عجيب وتغيرت بسببها طبيعة الارض والهوآء فانتشر فيها النخيل وسائر انواع الشجر كغابات الصنوبر والطرفآء والسنط واليوكالبتس والحور وغير ذلك . وذكر بعضهم ان الاهالي ايضاً ازدادت بهذا السبب فصاروا في بعض المواضع في مدة ثلاثين سنة ضعفي ما كانوا عليهِ او اكثر

وبقيت لهذه الآبار فائدةٌ اخرى وهي انهم قد يستخدمونها لتجفيف الاراضي المستنقعة اذا كان ظاهرها من التربة الدلغانية التي لا يخرقها المآء فيثقبون فيها الى ان يبلغوا طبقة من التراب تتشرّب المآء فتجفّ شيئاً فشيئاً الى ان تعود صالحةً للزراعة وهي الطريقة المستعملة في ارباض باريز حيث توجد هذه المستنقعات ويُذكَر عن مستنقعٍ في بوندي انهُ ينصرف عنهُ بهذه الطريقة كل يوم مئة متر مكعب من المآء

النور الاسود

ما كاد الاستاذ رنتجن يذيع خبر اكتشافهِ للاشعة المنسوبة اليهِ حتى اعلن احد علمآء الفرنسيس المسمى غستاف لبون انهُ قد وُفّق الى اكتشاف ضربٍ من الاشعة يُظهر بهِ الاشباح الخفية ولو كانت مستترة ورآء اكثف الحجب واشدّها امتناعاً من نفوذ اشعة النور وذلك بدون انبوبة كروك وبدون مجرًى كهربآئي ولكن بواسطة مصباحٍ من البترول يستعملهُ مجرَّداً وذلك انهُ قد ظهر لهُ ان في كل مصدرٍ ضوئيّ خلا ما نراهُ من الاشعة اللامعة اشعةً مظلمة لا تدركها العين في الحال المعتادة وفي هذه الاشعة من القوّة على نفوذ الاجسام ما تماثل بهِ اشعة رنتجن بحيث انها من ورآء اي حاجزٍ كان تؤثّر في الصفيحة الفوتغرافية وترسم عليها الاشباح المحجوبة فتظهر للعين على تمام الجلآء

وقد اجرى في ذلك عدة امتحاناتٍ منها انهُ اتخذ علبةً من صفائح الحديد مقفلة من جميع جوانبها ووضع فيها مصباحاً من البترول والصق على

احد جوانبها قطعة من الورق الاسود لا يمكن ان ينفذها شيءٌ من الاشعة المنظورة وجعل هذه العلبة في مكانٍ حالك الظلمة ثم وضع على مسافةٍ منها الى جهة الجانب الذي عليهِ الورقة السوداء علبةً اخرى من المقوّي قد وُضع فيها شيءٌ من القطع المعدنية كمفتاح او شيء من الحلى ثم جعل وراء هذه العلبة الاخرى في الجهة المقابلة للجانب الذي يلي العلبة الاولى دريئةً اي صفيحة معترضة من كبريتور الزنك المحسَّس فلم تلبث ان ظهرت على هذه الدريئة صورة القطع الموضوعة في العلبة مرسومةً رسماً نيّراً

وبيّنٌ ان هذا الرسم حدث عن اشعةٍ هي غير الاشعة الضوئيّة المحجوبة في داخل العلبة وانما هي اشعةٌ غير محسوسة قد نفذت علبتي الحديد والمقوّي والورق الاسود الذي بينهما واثرت في المادّة الكيموية الحساسة التي على كبريتور الزنك تأثير الاشعة الضوئيّة فهي من هذا القبيل اشبه باشعة رنتجن الا انها بدون ريب اشعةٌ اخرى

وبتكرار الامتحان تبين لهُ ان هذه الاشعّة تنفذ جميع الاجسام مهما كانت ثخانتها ما خلا مادةً واحدة وهي سواد المداخن المعروف بالسناج ولو كانت ثخانتهُ على اقلّ ما يتصور كان يكون ١/١٠٠٠ من المليمتر . قال وعليهِ فاذا وُضعت ورقة مطبوعة في علبةٍ على نحو ما مرّ فان حبر الطبع بما فيهِ من السناج لا تخرقهُ الاشعة السوداء وحينئذٍ فيمكن ان تُقرأ الجريدة في الظلام الدامس بان توضع وراء دريئةٍ من كبريتور الزنك وتجعل في خزانةٍ مظلمة وتعرَّض لفعل مصباحٍ مقفلٍ عليهِ في علبةٍ من صفائح الحديد والله اعلم

﴿ قوة النبت في الحبوب العاديّة ﴾

وقفنا في احدى المجلاّت العلمية على تقريرٍ في هذا المعنى تلاهُ المسيو غستون بونياي في ندوة العلوم الفرنسوية في جلسة ١١ من هذا الشهر فاحببنا تحصيلهُ لما فيهِ من الفائدة قال

من المشهور ان بزور النبات اذا لبثت محفوظةً من تأثير العوامل الطبيعية الخارجية فان قوّتها على النبت تبقى الى ما شآء الله وزعم بعض الناس انهم قد استنبتوا حبوباً من الحنطة وُجدت في مدافن مصر العاديّة بعد ان لبثت هناك آلافاً من السنين وأيّد هذا القول جماعةٌ من مشاهير النباتيين حتى عمّت شهرتهُ وأُثبت في بعض المؤلفات العلمية الموثوق بصحتها وفيما قررهُ كلود برنار انهُ يعتبر الحبوب بمنزلة جواهر كيماوية قابلة لأن تحفظ قوتها الحيوية مدة قرون

لكن الذي ظهر بالامتحان ان هذا القول لا صحة لهُ وقد امتحن ذلك المسيو غين في حبوب من الحنطة والشعير مما وُجد في المدافن المصرية تاريخها منذ واحد واربعين قرناً وهي مما بعث بهِ اليهِ المسيو مسپرو قيّم دار العاديّات في مصر وبعد تكرار الامتحان لم يحصل منها على نتيجة ولا ظهر لهُ شبه صحة لما يقال ولكن غاية ما هنالك ان هذه الحبوب قد حُفظت فيها المادّة الغذآئية والنشآئية واما الجنين الذي هو العضو الجوهري للحياة فقد صار من جملة المومياء ومن المحال ان يعود حيّاً

ثم ذكر بعد ذلك انهُ بالاشتراك مع المسيو فان تيغم بحث في هذه

المسئلة على عدة اوجه ثبت لهما فيها ما حققهُ المسيو غين وذكر من جملة تجاربهما انهما عمدا الى حبة حنطة قديمة مأخوذة من العاديّات المصرية فاستخرجا الجنين الذي فيها وجعلا مكانهُ جنيناً آخر من حبة حنطةٍ جديدة فلم تلبث الحبة ان نبتت واخذت في النموّ . قال على ان المسيو غين قد اختبر حبةً عهدها من خمسين سنة فظهر لهُ ان الجنين فيها قد بدأ يضعف وعليهِ فكل ما يقال من نبت الحبوب القديمة ينبغي ان يُنظَم في جملة الخرافات . انتهى

فوائد

التصوير بالزيت على الزنك — تؤخذ ثلاثة اجزاء متساوية من كلورور النحاس وازوتات النحاس وملح النشادر وتحل في ٦٤ جزءًا من الماء مع اضافة جزء من الحامض الكلوردريك ويُمدّ هذا المحلول على الزنك بشرية عريضة فتكتسي بهِ الصفيحة اولاً لوناً اسود حالكاً وبعد ان تجف اي بعد ١٢ الى ٢٤ ساعة في الكثير تحول الى لونٍ رماديٍّ كَمِد فاذا صُوِّر على هذه الطبقة بالالوان الزيتية ثبتت الى ما شاء الله

تلوين النحاس بلون الشبَه (البرُنز) — يتخذ مزيجٌ من المواد الآتية وهي ٢٠ جزءًا من زيت الخروع و ٨٠ من الكحل و ٤٠ من الصابون الاسود و ٤٠ من الماء وبعد ان تنظَّف القطع النحاسية المراد تلوينها تُمدّ

عليها طبقةٌ من هذا المزيج وتُترَك الى الغد ومتى بلغت اللون المطلوب تُمسَح بالنشارة المسخَنَة ثم يُمَدّ عليها طبقةٌ من الطلاء (القرنيش) . واللون يتغير تبعاً للمدة التي تبقى فيها الطبقة المذكورة على القِطَع فيتدرج من لون الشبَه الصافي الى الاخضر القديم

ازالة الصدأ عن الادوات الحديدية — اذا كان الصدأ لا يزول بالفرك تُنقَع القِطَع الصدئة في محلول مُشبَع من كلورور القصدير ومدة الانقاع تكون بين ١٢ و ٢٤ ساعة تبعاً لثخانة طبقة الصدأ وبعد اخراجها من المغطس تُغسَل بالماء ثم بسائل النشادر وتنشف في الحال . ولمنع عود الصدأ يكفي ان تُمسَح مسحةً خفيفة بالفازلين

اسئلة واجوبتها

نياغرا فولز — ارجو الاجابة على الاسئلة الآتية

(١) يذهب جماعةٌ من المحققين الى ان اللغة الحبشية فرعٌ من العربية فما قولكم في ذلك . واذا صح هذا الزعم ففي اي زمانٍ اخذ الحبشان في هجر لغتهم الاصلية أقبل الهجرة ام بعدها فاننا لا نعلم لهم امتزاجاً بالعرب قبل ان وطئوا اليمن وكان ما كان من امر أبرهة الاشرم

(٢) الا يوجد كتب في فن السماع العربي سواءٌ كانت قديمة ام

حديثة وما هو المقصود بقول ابن خلدون من ان المغنّين في ايام الرشيد العباسي اختاروا لهُ مئة صوت في الغناء

(٣) ما هي درجة لغتنا العربية في سلّم اللغات وما هي نسبتها الى اليونانية واللاتينية وغيرهما من جهة السعة والفصاحة ووجوه التعبير

خليل عساف

المتني

الجواب — اما اللغة الحبشية فلا شك انها من اخوات العربية بل هي اقربهنَّ شبهاً بها وقد وُجد فيها من الخصائص ما لا يوجد الا في العربية كالجمع المكسر والحركات الاعرابية وبعض صيغ الافعال وتصاريفها مما انفردت بهِ العربية عن سائر اخواتها ثم وُجد بعد اكتشاف الخطوط الحِمَيرية باليمن ان الخط الحميري القديم المعروف بالمسند والخط الحبشي شيء واحد ولا فرق بينهما الا ان الحبشي تكتب حروفهُ من اليسار الى اليمين وان الحبشة يزيدون عليهِ رسم الحركات مما لم يكن عند الحميريين وكل ذلك يثبت ان اصل اللغتين واحد وبالتالي ان اصل الامتين واحد . والذي عليهِ اكثر المحققين اليوم ان الحبشة لم يكونوا الا فريقاً من العرب وردوا من جهة اليمن كما يدلّ عليهِ ما بين الفريقين من تشابه الملامح وما يُرى من تماثل الآثار في البلادين . على ان المتقدمين من جغرافيي اليونان كانوا يسمون الحبشة بالعرب او السبئيين اي المنسوبين الى سبأ وهي مدينة مأرب وهو مما يدل على انهم خرجوا من هنالك . واما الزمن الذي خرجوا فيهِ فمما لا يسهل تعيينهُ وقد اختلف المؤرخون فيهِ فمنهم من جعلهُ في عهد يشوع بن نون

ومنهم من زعم انهُ بعد عهد سليمان ومنهم من جعلهُ لاوائل عهد التاريخ الميلادي وقيل غير ذلك مما يطول استقرآؤهُ ولا يوقف منهُ على حقيقة

واما فن السماع العربي فلا شك ان المتقدمين كتبوا فيهِ ولكن لم يبلغ الينا من تآليفهم ما يستحق ان يذكر واما المتأخرون فاشهر من ألف منهم فيهِ الدكتور ميخائيل مشاقة صاحب الرسالة المشهورة المعروفة بالرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية والشيخ شهاب الدين المصري صاحب سفينة الملك وقد طُبعت رسالة الدكتور مشاقة في السنة الماضية في مطبعة المرسلين اليسوعيين في بيروت وسفينة الشيخ شهاب مطبوعة في مصر منذ سنة ١٢٩٤ للهجرة

واما المئة الصوت التي اختارها المغنون للرشيد فالمقصود بها الالحان التي امر الرشيد باختيارها لهُ من الغنآء المشهور لوقتهِ اختارها لهُ ابرهيم الموصلي واسمعيل بن جامع وفليح بن العورآء وهذه الاصوات هي التي جمعها ابو الفرج الاصفهاني في كتابهِ المشهور بالاغاني وتكلم على كلٍّ منها واضاف اليها ما جانسها من سائر الغنآء

واما منزلة العربية من اليونانية واللاتينية وغيرهما من الامهات القديمة فاذا اعتبرنا كلاًّ من هذه اللغات في عصرها فلا شك ان العربية من اوسعها احاطةً بالمعاني الا ان اتساعها ليس على قدر ما يُتوهم من اتساع معجماتها لان جانباً كبيراً من الفاظها من المترادف وهذا انما يفيد اتساعاً في قوالب اللفظ دون التعبير عن المعاني المختلفة التي تعرض للكاتب وجانباً آخر لا يجوز استعمالهُ للبلغآء لخروجهِ عن سَنَن الفصاحة اما بثقلهِ على

اللسان واما لكراهته في الاذن وكلاهما اشهر من ان ينبَّه عليه واما لاهماله من استعمال جمهور العرب وكل ذلك لا يقلّ عن ثلث اللغة . هذا باعتبار اللغة في نفسها وبالقياس الى زمن واضعيها وعهد اربابها الاولين واما بالقياس الى ايامنا فلا ريب ان العربية تُعَدّ من اضيق اللغات وانكدها واشقّها استعمالاً على الكاتب ومن عانى الكلام في المعاني العصرية تبينت لهُ حقيقة ما نقول . واما فصاحة العربية فاذا اعتبرنا مخارج حروفها بالقياس الى اللغات المشار اليها لم يسعنا ان ننكر ان تلك اسلس لفظاً واكثر قبولاً في السمع لخلوّها من بعض ما في العربية من المقاطع الضخمة والمخارج الشاقة واذا اعتبرنا ابنية الالفاظ واوزانها فلا شك ان العربية افصح لان كلماتها اخف اوزاناً واقصر لفظاً فان اطول كلمةٍ فيها لا تجاوز ستة احرف اذا كانت فعلاً مثل استغفر ولا سبعةً اذا كانت اسماً مثل استغفار . واما وجوه التعبير فيها فلا يُنكَر انها في غاية الاتساع بما فيها من فنون المجاز والكناية وغيرهما مما لا نظن ان لغةً في الارض تلحقها فيهِ ولكنها على الجملة تُعَدّ لغةً شعرية لا خطابية بمعنى ان فيها قوّةً على التأثير في نفس المخاطب ولكنها قد تقصر عن تصوير كل ما في نفس المتكلم والله اعلم

آثار ادبيّة

المحاماة — كتابٌ دلّ عنوانهُ على موضوعهِ ألّفهُ حضرة الهمام الفاضل الكاتب الشهير احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الموقرة

ضمنهُ تاريخ فن المحاماة منذ اول وجودها في المجتمع الانساني وما كان من تنقلها بين الامم القديمة وتدرجها في مراقي الكمال الى ان بلغت الى هذا العهد ثم شرح ما هي عليهِ عند امةٍ امةٍ من امم العصر الحالي وما لها عند كلٍ منها من المنزلة والاحكام والآداب وافرد للكلام على المحاماة في البلاد المصرية قسماً كبيراً من الكتاب استوفى فيهِ كل ما يتعلق بها من عهد المغفور لهُ محمد علي باشا فذكر مختصر تاريخ القضآء وتأسيس الحكومة المصرية وترتيب الدواوين والمجالس والنظارات الى افتتاح المحاكم الجديدة وهو الزمن الذي استتبَّ فيهِ نظام المحاماة فذكر احكامها في هذه الديار وشروط المحامين واحكام التوكيل الى ما يتصل بجميع ذلك ويضاف اليهِ واخيراً ذيّل الكتاب بملحقاتٍ اثبت فيها النصوص التي تمّ بموجبها ترتيب المجالس والدواوين وقوانين الاحكام في عامة القطر فجآء سفراً جليلاً جامعاً لمهمات هذه الصناعة علماً وعملاً مع فوائد تأريخية يعزّ الظفر بها ولا سيما منقولات السجلاّت المصرية القديمة التي تمثل حالة الحكومة في ذلك العهد مما لم يوضع بين ايدي المطالعين الى هذا اليوم

فنثني على حضرة المؤلف الفاضل اطيب الثنآء لما اطرف بهِ البلاد من هذه الذخيرة النفيسة ونرجو لمؤلّفهِ جزيل النفع كما نرجو لهُ بهِ جزيل الاجر وجميل الذكر . والكتاب حسن الطبع جيد الورق وهو يشتمل على نحو ٦٥٠ صفحة ويطلب من مطبعة المعارف باول شارع الفجالة بمصر وثمنهُ اربعون غرشاً مصرياً

فكاهات

صريعا غرام

— ١ —

صديقتي العزيزة

عتبتِ عليَّ لانقطاع رسائلي عنكِ ولو علمتِ السبب لعذرتِ ورحمت . ولقد شقّ عليَّ اتهامكِ اياي بالتحوُّل عن عهد ولآئكِ وانتِ ادرى الناس بصدق مودتي ولذلك لم ارَ بدًّا من تسطير هذه الرسالة الطويلة لاطلاعكِ على ما المَّ بي من حوادث الزمان لعل قلبكِ الشفيق متى وقف على سرّ المسألة يجد لي عذراً ويكون لي عندكِ شفيعاً

يا رعى الله ايام الطفولية وزمن الحداثة الاولى فقد كنتُ فيها خلية القلب ناعمة البال ولم تكن العصافير اكثر مني تغريداً ولا الفراش اكثر تنقلاً بين الازهار ولم يكن مرور النسيم على وجنات الورد اخفّ وطأةً من خطرات اقدامي في حديقة ربيع هذه الحياة الدنيا . وكنت اخال ان العالم خُلق لاجلي وان الحياة أُعطيت لنا لنتمتَّع بمسرّات هذا الوجود ولم احسب الهمّ والحزن والاشجان الا الفاظاً اوجدتها الضرورة في معجمات اللغة لتكمل بها مفرداتها . ولكن الايام علمتني ما لم تعلّمنيهِ المدرسة والزمان استاذٌ قاسٍ لا يلين ولا يرحم فهو يزيد المتعلّم حكمةً واختباراً يبتاعهما بدم قلبهِ ومسرّة فؤادهِ ...

اذا ذكرتِ الحالة التي كنتُ فيها ايام المدرسة ونظرتِ اليَّ الآن وانا اكتب اليكِ هذه الرسالة ودموعي تكاد تمحو سطورها عجبتِ من التغيير العظيم الذي طرأ عليَّ ولو رأيتني اتهادى في مشيتي وانا اتخطر في ارض غرفتي بقدمٍ متثاقلة ورأسٍ مطرق وصدرٍ مضطرب لعلمتِ ان القلب الذي هو مصدر الحياة مصابٌ بعلةٍ لا دوآء لها وان هذه العلة التي تستحثني الى القبر هي سبب سعادتي واشجاني معاً . ولا اظن انهُ يوجد في هذا الكون الا علة واحدة تجمع بين السعادة والشقآء واللذة والالم والمسرّة والاحزان وهي التي اشكرها واشكوها . فهل عرفتِ ما هي . . يترآءى لي كأنكِ تسخرين مني او تحزنين عليَّ بعد اطلاعكِ على ما تقدم وربما خطر لكِ ان تبعثي اليَّ ببعض النصائح والانذارات كأنكِ تحاولين تبديد همومي او تحويلي عن عزمي فاقول لكِ لا تُتعبي نفسكِ بامورٍ كهذه لاني ولا ازيدكِ بياناً في امري عاشقة متيّمة قد استرقني الحبّ واستعبدني الهوى فلا تفيد النصيحة شيئاً ولا يدفع العذل مقدوراً . . .

جرت عادة الفتيات ان يحاولنَ اخفآء الغرام بزعمهنَّ ان اباحة ما في الفؤاد من اسرار الهيام يحط من كرامتهنَّ اما انا فاحسب ان عملهنَّ ريآء ولستُ اجاريهنَّ فيهِ فاقول ولا اخشى اللوم اني احبّ واني افتخر بحبي . وازيد على ذلك ان الفتى الذي اختارهُ قلبي حبيباً يحبني فوق ما كنت اتوقع وهذا ما يجعلني سعيدةً مغتبطة ويزيدني جلَداً على احتمال البلايا التي لا يخلو سبيل الحبّ منها . . .

ويلاهُ . كنت اظن ان طريق الحب مفروشة باوراق الازهار

فكأن السائر عليها يتخطر على اسرّة الحرير ولم اعلم ان في تلك الطريق من الوعورة ما يُعيي اعظم الروّاد إقداماً ويستنزف قوى الجبابرة . نعم . ان الحب يزيد المرء تعقلاً ويكسبهُ دربةً لا يعهدها فيهِ وهو خليٌّ فقد علمت الآن ان لا مسرّة الا مصحوبةٌ بألم ولا راحة الا مقرونةٌ بمشقة ولا زهرة ورد الا محاطةٌ باشواكٍ حادّة تدمى منها يد حاملها قبل ان يتنعّم باستنشاق ريّاها ...

لا اظنكِ تعرفين حبيبي ولست بذاكرةٍ لكِ اسمهُ فاني لا اطيق ان ارى غير عيني تقرأ حروفهُ ولا غير اذني تسمع لفظهُ . فلستُ ازيدكِ في تعريفهِ على قولي اني احبهُ وانهُ يحبني . وهذا الحب الشديد المتبادل قد وحّد قلبينا وآمالنا ومقاصدنا وجعلنا نتوقع ضمّ جسمين تجول فيهما حياةٌ واحدة . فنحن نحبّ لاننا نحبّ وليس لحبنا من سببٍ آخر ولا تأثير للجمال والمال والشهرة والصيت وسائر خزعبلات العالم علينا فالحبّ وحّد افكارنا ولذتنا وسعادتنا وهو كل ما نرجوهُ من زماننا ...

قلت لكِ اني سعيدة بهذا الحبّ ولكن هل عرفتِ ان السعادة لا تأتي مجرّدةً وان الدهر المولع بجمع الاضداد لم يدعنا نجني الزهرة الاولى من ازهار هذه السعادة حتى اصابنا بالمقيم المقعد ورشقنا بنبال المصائب فدسّ في كأس المسرّة سمّ الويل وادار علينا من دموعنا كؤوساً مترعة كانت تزيدنا ظمأً الى الحب كلما شربناها ...

فما سبب حزني واكداري وما الباعث على سكب دموعي .. ان قومي ناقمون عليَّ لاني احبّ ... حبيبي ... وهم لا يرضونهُ لي قريناً بل

يودُّون تزويجي من احد الفتيان الاغنيآء الذي لا احبهُ ولا اقدر البتة ان اميل اليهِ . فما عشقتُ باحشآئهم حتى احبّ الذي يحبونهُ ولا اعلم كيف يجوز لهم في شرع العدل والحب ان يجعلوا قلبي سلعةً للمعاملة . فانا واقفة في اشد الضيق لاني لا اريد ان أعصي اوليآء امري ويأبى الله ان اخون حبيب قلبي . ولقد ضاع رشادي ولا اعلم كيف اتخلّص من هذه البليّة فاني لا اخرج عن رضى قومي ولو فاتني حبيبي ولكنني لا اتركهُ ولو اضعت حياتي ...

دخلت عليَّ يوماً عمتي فوجدتني مستخرطة في البكآء فقالت لي كفكفي دموعكِ واصغي لما اقولهُ لكِ . انك تبكينَ وتنوحينَ على بعد ذلك الفتى الذي تودّين الاقتران بهِ ولكنكِ لن تصيري لهُ زوجةً ولو افضى بكِ حبهُ الى التلف وانهُ لأيسر علينا ان نراكِ مدرجةً في الاكفان من ان تكوني لهُ زوجةً . فقلت لها وما السبب في هذا الحنق كلهِ هل اتى زلةً لا تُغتفَر . قالت لا ولكنهُ ليس من ارباب الثروة وفي هذه الايام لا يتزوّج الناس من اجل الحب بل من اجل المال . فقلت لها انا راضية ان اعيش معهُ فقيرة فدعوني وشأني . قالت اخرسي ايتها الغبيّة فانكِ تجهلين اهمية الثروة . ان الحب وهمٌ لا يلبث ان يزول واما المال فهو اساس السعادة والكرامة والصفآء فلو كان حبيبكِ مثرياً لما وقفنا في سبيل حبكما . قلت لها اني اصبر اذاً الى ان يبتسم لهُ الزمان . فعبست وقالت ان الفتاة لا يليق بها ان تطيل عهد العزوبة فلا بدّ من زواجكِ بمن اخترناهُ لكِ سوآء رضيتِ بهِ ام لم ترضي ...

فهذه قصتي يا عزيزتي ارويها لكِ وانا عالمة انكِ لا تستطيعين ان تفرجي كربتي وتدفعي همّي ولكني اعلّل النفس بالآمال وأحيا على الرجآء فان لم يسعدني الحظ بالحصول على من احبتهُ نفسي فسابقى كما انا محافظةً على عهد حبهِ الى ان ينقضي اجلي ويكفيني من ذلك ان يعلم اني بقيتُ مخلصةً لهُ واني لم انكث عهدي ولا حنثت بيميني ...

والآن استودعكِ الله ايتها الحبيبة وان كان الله قد كتب لي حظاً بالسعادة في هذه الحياة فسأبشركِ بعد حين بزوال كربي وفوز قلبي بحبيبهِ والا فابكي عليّ وقولي عني « عاشت للحبّ وماتت بهِ »

اليا نورا

— ٢ —

ايها الصديق الصدوق

خلّ نصحك لغيري فلا يفيد النصح في من اصمّ اذنيهِ عن سماعهِ واعلم ان فؤادي قد خُلق للحبّ فالحب أَلزم لحياتي من الدم لعروقي والهوآء لرئتيّ فاذا زال من مسكنهِ زالت حياتي . ولقد لقيت من الحب ما لم يلقهُ احد فلم اتمتع بلذةٍ الا كان الحب مصدرها ولم تنلني بليّة الا رجعت في استقرآء سببها الى الحب فهو نعيم حياتي وجحيمها

لقد عذلتني على استسلامي للحب وحاولت ان تثير في صدري عاصفة النخوة وتبغّض اليّ آل الحبيب بما كتبت اليّ عن شدة تحاملهم عليّ وتصميمهم على مناوأتي وابعادي ولكنك لم تعلم ان آل الحبيب هم احبآئي

وان الحب قد خالط كل قطرةٍ من دمي وكل نسمةٍ من انفاسي فلم يُبقِ فيَّ موضعاً للبغض حتى لقد يهون عليَّ ان ابذل وجودي في سبيل الحب لاني اعتمد ان الحب الصحيح الخالص هو ما ملأ الجوارح وغلب على الحواسّ وكان غاية ما ترجوهُ النفس ومنتهى ما تطلبهُ الاماني . وانا لشدة حبي اتيه في مجاهل الفكر فلا يتمثل على صفحة خيالي الا الفتاة التي هي عندي كل ما في العالم من سعادة ومسرّة وغنى وكل ما سواها من اشباح الخلائق يمرّ امام ناظري كما يمرّ الظلّ على الارض فلا يؤثر فيها ولا تشعر بفراقهِ اذا اوحشها

لقد حرّموا عليَّ زيارتها وحالوا بين رسائلي وبينها وقطعوا كل سببٍ يصل بين شخصينا وفي زعمهم ان القطيعة تصرم حبال الحب وان الهجر يعلّم الوفيَّ الخيانة وقد جهلوا ان ليس في هذا الكون اسوارٌ تعترض في سبيل الحب لانهُ يملأُ المسكونة فلا يقدر احدٌ ان يحجر عليهِ ولانهُ ليس بمادّةٍ فيُقيَّد فهو حيٌّ في الهجر واللقآء متوفرٌ في البعد والقرب فلا بُعد المزار يفنيهِ ولا انقطاع المواصلة يلاشيهِ والحب الذي تميتهُ امثال هذه العوائق لا يكون حباً حقيقياً بل يكون حَدَثاً من احداث الشهوة مماثلاً البرق في شدة وميضهِ وسرعة اختفآئهِ

ولقد وددتُ لو استطعتُ ان اذعن لمشورتك واترك هذا الحب الذي اذاب جسمي وألبسني الضنى والنحول ولكن ليس ذلك في طاقة يدي . فانا باقٍ على عهد ولآئي صابرٌ على النوائب الى ان يشرق كوكب سعدي فيبدّد غياهب النحوس او الى ان تنضب آخر قطرةٍ من دمآئي فاموت على

الحبّ الذي نشأتُ عليهِ وحييت لهُ . والمرء يفني العمر املاً ولا يزال يملّل النفس بالمنى لان الامل اعظم تعزيةٍ واكبر سلوةٍ فلا تجرّدني من هذه النعمة الاخيرة لان الحياة بلا امل اصعب من الموت

لقد حاولتَ في كتابك ان تريني في صدق مودّة مالكتي ولولا يقيني بصدق ودادك واخلاصك لاثرت من سخطي عليك جيشاً يهدم كل ما بنيناهُ من صروح الولاء السابق . فحذارِ من العود الى مثل هذا الكلام فانك لو عرفت حبيبتي لعلمت انها تختار الموت على الحنث بيمينها . فانا واثقٌ بوفائها عالمٌ بشدة حبها لي موقنٌ انهُ لا توجد قوة بشرية تستطيع ان تنزع من قلبينا الحب الذي يشعر بهِ الواحد منا للآخر . فنحن سعيدان بهذا الحب ناعما البال من هذا القبيل ولكن الذي يسوءنا مناوأة قومها لنا ورغبتهم في كسر قيود الحب التي ارتبطت بها قلوبنا غير عالمين ان بكسرها اهلاك قلبين صيّرهما الحب واحداً

ولست استطيع ان اكتب اليك زيادة على ما كتبت لاني لا اجسر ان اطلق لقلمي العنان لئلا يجمح بي ويدفعني الى كتابة ما لا اودّ ان ابوح بهِ الآن ولكني ازيدك على ما تقدم ان اليأس قد بلغ مني وان الغمّ قد انحل بدني والوجد احرق فؤادي فان لم يأتنا فرجٌ قريب لم ألبث ان اقول على الدنيا السلام

أُؤمل وصلاً من حبيبٍ وانني	على ثقةٍ عما قليلٍ افارقهْ
تَجارَى بنا خيل الحِمام كانما	يسابقني نحو الردى واسابقهْ
فياليتنا متنا صغاراً فلم يذق	مرارةَ فقدي لا ولا انا ذائقهْ

وفي الختام انصح لك ان تصون فؤادك من الحبّ الا اذا اردت ان تذوق الموت كل يوم كما يذوقهُ المحبون الاشقيآء والسلام عليك من محبك

ارنست

— ٣ —

قال الراوي

دفعتني الرغبة بعد اطلاعي على الرسالتين المار ذكرهما الى البحث عما جرى لهذين العاشقين وبعد ايام ناولني محدّثي رسالتين اخريين فنشرت الاولى وقرأت فيها ما يأتي

حبيبي ارنست

انقطعت رسائلي عنك هذه المدة من الزمان اضطراراً للامر الذي تعلمهُ وكان في ظني ان انقطاعي عن مكاتبتك يؤول الى نزع حبي من قلبك وقلت في نفسي لعلهُ يسلوني ويستريح من عذاب الهجر . على اني في الوقت نفسهِ لم افتر عن السعي في استعطاف الخواطر النافرة وتليين القلوب القاسية ولكن على غير جدوى الى ان بلغ مني اليأس واستولى عليّ الارق والنحول ثم علمت ان هذا الانقطاع لم يزدك الا شغفاً وسقماً فكان ذلك مما زاد شجني وبلبالي حتى مرضت ولزمت الفراش اسبوعين لا انهض من مكاني ولا اكاد اعي ما حولي ولم يكن ذكرك يفارق فمي ولا خيالك يغيب عن ناظري . ولما رأت عمتي ما آل اليهِ امري رقت لحالي وكلّمت والدي في شأني وقد جآءتني اليوم فبشرتني باعلان رضاهُ عن حبنا ورحمتهِ

لفؤادينا ولذلك بادرت الى كتابة هذه الكلمات ابشرك بها ان نجم سعدنا قد آذن بالطلوع وان حبيبتك التي لم تنسَ حبك لحظةً لا تزال امينةً في حبها لك وهي تنتظر زيارتك بكل اشتياق لتضع يدها في يدك وتنسى كل ما قاست من الآلام الماضية اليانورا

وهذا ما جآء في الرسالة الثانية

حبيبتي اليانورا

ان رسالتكِ اللطيفة قد انتشلتني من القبر الذي كنت على شرف الوصول اليهِ واني لم تخامرني ادنى شبهةٍ قط في صدق ولآئكِ ولم يكن عندي شك في ان الحبّ الطاهر يسود ويفوز على جميع العوائق . وهآءنذا آتٍ اليكِ بقلبٍ قد تجددت حياتهُ وصدرٍ يطفح مسرّةً وحبوراً لأمحو بقبلةٍ واحدة كل ما تركهُ البعاد من الشقآء والآلام فلتباركِكِ السمآء يا مالكة قلب محبكِ واسيركِ

ارنست

وكانت خاتمة هذه الرواية ان مرارة الصبر عقبتها حلاوة الفوز وغزت طلائع الحب جيوش الشقاق ودُفنت التذكارات المؤلمة في قبر النسيان وضفرت السعادة على رأس الحبيبين اكليل الغبطة والهنآء

اذا لم تذق في هذه الدار صبوةً فموتك فيها والحياة سوآء

م * ن ...

العلوم عند العرب

(تتمة ما سبق)

واما التاريخ فاول من كتب فيهِ من العرب ابو جعفر محمد بن جرير الطَبَريّ من اهل القرن الثالث وتاريخهُ يبتدئ من الخلق وينتهي الى سنة ٣٠٢ للهجرة وهو كتابٌ كبير من اصحّ التواريخ واثبتها . وكانت نُسَخ هذا الكتاب قد فُقِدت ثم وُجد الجانب الاكبر منهُ وشُرع في طبعهِ في مدينة لَيدِن سنة ١٨٧٩ ولهُ نسخةٌ فارسية تُرجمت الى الفرنسوية سنة ١٨٣٦ . ومن معاصريهِ اليعقوبي المعروف بابن واضح ولهُ تاريخٌ عامٌّ ينتهي الى خلافة المعتمد . ثم ابن خرداذبه المذكور قبل وتاريخهُ من اجمع الكتب واحسنها ترتيباً . ومن اشهر مؤرخيهم بعد ذلك ابن الاثير الجَزَري من رجال القرن السادس ولهُ كتاب الكامل وهو تاريخ عامّ انتهى فيهِ الى سنة ٦٢٨ . ومنهم ابو الفداء صاحب حماة ولهُ التاريخ المختصر المشهور انتهى فيهِ الى سنة ٧٤٩ . ومنهم ابن خلدون فيلسوف المؤرّخين وهو وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرميّ من اهل القرن الثامن ولهُ التاريخ المشهور الموسوم بكتاب العِبَر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر وهو كتابٌ كبير صدّرهُ بمقدّمةٍ طويلة تنيف على خمس مئة صفحة هي من اجلّ ما كُتب في فلسفة التاريخ تكلم فيها على طبيعة العمران وما يعرض فيهِ من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم واحوال السياسة والدول الى غير ذلك مما دلّ على غزارة

مادتهِ وبُعد غورهِ وحنكتهِ في السياسة ورسوخ قدمهِ في اكثر العلوم التي كانت لعهدهِ . وتاريخهُ هذا من افضل ما كُتب في تاريخ البربر وانسابهم واخبار دولهم وعاداتهم وفيهِ من بسط الكلام على ملوك النصارى بالاندلس ما لا يوجد في سواهُ وقد تُرجم كثيرٌ منهُ الى لغات الافرنج . ومن مشاهير مؤرخيهم صاحب نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وهو احمد بن محمد المَقَّريّ المغربي التلمساني من اهل القرن الحادي عشر للهجرة وتاريخهُ مشهور جمع فيهِ اقوال من سلفهُ من مؤرخي الاندلس واضاف اليها ما لم يذكروهُ وبسط الكلام فيهِ على وصف مدن الاندلس واهلها ومشاهير ملوكها وامرآئها وعلمآئها وادبآئها وما تقلب عليها من الدول وتعاورها من الحِدثان منذ افتتحها العرب الى ان خرجت من ايديهم وهو اكمل تاريخ لمدة العرب في الاندلس

والمؤرخون من العرب كثيرون منهم من كتب في التاريخ العام ومنهم من كتب في تاريخ مملكةٍ او دولة ومنهم من اقتصر على تراجم مشاهير الاعلام فوفَّوا كل ذلك حقهُ ولم يكن ما يؤخذ عليهم سوى انهم قلما كانوا يحفلون بتحقيق الحوادث وانتقاد ما يقع اليهم من الاخبار ولذلك كثرت في تواريخهم الخرافات والمستحيلات وقد نبه على ذلك ابن خلدون فيما اخذهُ على المؤرخين في مقدمة كتابهِ على انهُ لما انتهى الى تدوين وقائع التاريخ لم يسلم من مثل ما اخذهُ عليهم والكمال لله

ومن العلوم التي تكلموا فيها العلم الطبيعي اخذوهُ عن مصنفات ارسطو وغيرهِ من متقدمي اليونان ولم يصل الينا في هذا العلم كتابٌ مخصوص

ولكنهم ادمجوا بعض مسائلهِ في كتب الفلسفة وعلم الكلام فتكلموا على الاجسام والجواهر في البحث عن اقسام الموجودات وذكروا الاعراض الذاتية القائمة بالجسم في الكلام على اقسام الكيف فبحثوا عن الحرارة مثلاً في الكلام على الملموسات وعن النور والالوان في الكلام على المبصرات وعن الاصوات والنغم في الكلام على المسموعات وشرحوا الحيز والحركة والسكون في الكلام على الاين الى غير ذلك . على انهم في اكثر هذه المباحث لم يتعدّوا حدود النظر والقياس ولذلك ربما وقع لهم في بعضها الخطأ الفاحش كزعمهم ان المآء اذا انجمد صغر حجمهُ واذا ذاب عاد الى حجمهِ الاول وهو خلاف الواقع كما تدلّ عليهِ التجربة ولكنهم قاسوهُ على المتعارَف في سائر الموادّ

هذا اشهر ما يُذكَر من حال العلوم عند العرب اوردناهُ بغاية ما يمكن من الايجاز مع الاقتصار على كليات العلوم دون جزئياتها وفروعها اذ لا يخفى ان الكلام على علوم امةٍ من الامم مما لا يحيط بهِ الا المجلدات الكثيرة فضلاً عن ان يُستوفى في مقالة . وانما قصدنا في هذه اللمحة الالماع الى ما احدثتهُ العرب في العلوم التي تلقّوها عن اليونان وبيان ما كان لهم فيها من الاثر الناطق بمزيتهم ولذلك كان اكثر حرصنا على تتبع ما امكن الوصول اليهِ من مبتكراتهم في هذه العلوم او ما استدركوا فيها على المتقدمين من تصحيح او تكميل مما ثبتت صحتهُ وتناولهُ الخَلَف من بعدهم . على ان ما ذكرناهُ من ذلك قد لا يكون الا شيئاً من اشيآء ولكن هذا ما امكن الظفر بهِ بعد طول التنقير والتنقيب وما نكتم المطالع ان اكثر ما

اثبتناهُ في هذا الفصل مقتبسٌ عن كتب الافرنج لانا لم نجد في الكتب العربية التي بين ايدينا ما فيهِ غناء

ولما كان غرضنا من هذه المقالة ما ذُكر لم نتعرض للكلام على العلوم الدينية واللسانية لانها من العلوم الخاصة ولا ما بُني على الاوهام مما نفاهُ العلم الصحيح من بعدهم كالسحر والطِلَّسمات وعلم اسرار الحروف والرمل والجفر والزايرجة والسيمياء وعلم الاكتاف وتعبير الاحلام وما اشبه ذلك لان هذه كلها لا تُعَدّ في شيء من العلم ولا تدل على فضل المشتغلين بها بل هي ولا جرم نقصٌ فيهم وتضليلٌ لغيرهم . وربما اهملنا الكلام على غير ذلك من العلوم كالحِيَل وهي الميكانيك والفلاحة وهندسة البناء والرسم والموسيقى وعلم تدبير المنزل والسياسة المدنية وغيرها لان من هذه العلوم ما لم تصل الينا كتبهُ ومنها ما ليس بين ايدينا من كلامهم فيهِ ما يكفي للوقوف على مكانهم منهُ . على ان فيما ذكرناهُ غنىً عما لم نذكرهُ اذ المقصود بيان منزلة القوم من تاريخ العمران البشري وما كان لهم من اليد في خدمة العلم ورفع منارهِ وتوفير مادّتهِ واحياء آثارهِ

وقد رأيت من كل ما تقدم ان دولة العلم عند العرب كانت دولةً رفيعة العماد فسيحة الظلال حافلةً بالالوف من الدارسين والباحثين والمصنفين والعاكفين على الاكتشاف والاستنباط والضاربين في مناكب الارض بحثاً عمّا اودعتها الطبيعة من الآثار والنافضين لآفاق السماء تطلعاً الى ما هنالك من الاسرار لم يدعوا علماً الا ولهم فيهِ يدٌ ولا بحثاً الا ولهم اليهِ قدمٌ فضلاً عما كان فيهم من الخطباء والشعراء والادباء والكتاب وما كان عندهم من

بديع الصنائع وغريب الفنون واتساع التجارة ونموّ الزراعة وكان العلم مصاحباً لجنودهم في كل بلادٍ وطئتها حوافر خيلهم وافتتحوها بسيوفهم حتى امتدّت حضارتهم من اطراف آسيا الى اقاصي افريقيا وقلب اوربا . أجَلْ ان من تتبع العلوم التي كانت العرب يتداولونها بينهم وجدها باسرها مقتبسةً عن كتب اليونان الا قليلاً اقتبسوهُ عن كتب الهند والفرس لم يثبت انهم وضعوا علماً ولا احدثوا في احد العلوم فرعاً مهماً. ولكنهم اوضحوا مبهماتها ووسّعوا مباحثها وصحّحوا كثيراً من مسائلها ولو لبث الدهر مسالماً لهم الى هذا اليوم لم يبعد أن كانوا بلغوا ما بلغ غيرهم ممن تناولوا علومهم وصنائعهم ونزلوا منها منزلتهم . ولسنا نزيد المطالع علماً ان مدة اشتغال العرب بالعلم لم تكن الا بضع مئاتٍ من السنين كانوا قبلها بقليل اهل نجعةٍ وخيام وألّاف باديةٍ وأنعام فما كادوا يألفون تلك العلوم ويتصرفون فيها تصرف اهلها بعد ان قضوا السنين الطوال لا يزيدون على تفهم مغازيها وحل مشكلاتها حتى اضطرب حبل دولتهم وانتقضت احوال جامعتهم فوقفوا وهم في اوائل شوطهم ولاشك ان مثل هذه المدة القصيرة مع الحال التي وصفناها لاتبلغ امةٌ فيها زيادةً على ما بلغتهُ العرب واذا تتبعت علوم اليونان وجدت انهم لم يصلوا منها الى المبلغ الذي اخذتهُ العرب عنهم الا بعد ان اتت عليهم آلافٌ من السنين والذين خلفوا العرب من الافرنج انما بلغوا هذا الشوط البعيد في هذا الزمن القصير لانهم تلقوا العلم في مدارسهم وتلقنوهُ عن افواههم ونقلوا كتبهُ الى ألسنتهم مشروحةً مبسوطة المسائل فلم يقف في سبيلهم ما يستوقف خطواتهم عن بلوغ الغاية التي ترمي اليها

هممهم وفضلاً عن ذلك فقد اخذوا عنهم كثيراً من المصنوعات كالورق والبارود والسكر والخزف والزجاج وتصفية المعادن وتركيب الادوية وفنونٍ من النساجة والدباغة وغير ذلك وعلى الجملة فقد تناولوا تمدنهم تاماً بحيث انهُ لم يتقوض بنآؤهُ عند العرب الا وقد قامت حجارتهُ بعينها عند مجاوريهم

اما كتب العرب فهلك اكثرها في الحروب والغارات فمنها ما اتلفهُ العرب انفسهم كمكاتب الاندلس التي يقال ان المنصور احرق اكثرها وسائرها احرقهُ الافرنج عند استيلآئهم على مدن الاندلس وكمكتبة بغداد التي اغرقها هولاكو في دجلة ومكتبة الفاطميين في مصر التي نهبتها جنود الاتراك ثم اختطفتها منهم عرب البادية فمزقتها واستعملت جلودها نعالاً وتركت الباقي في الصحرآء حتى دفنتهُ الرمال وما بقي بعد هذه الجوائح وامثالها استولت عليهِ ايدي الافرنج شيئاً بعد شيء كما لا يزال الحال الى يومنا هذا وعمرت بهذه البقية مكاتب اوربا

وقد فُقد ولا شك في تلك الكتب شيء كثير من العلم ولكن لا نخال ان هناك علماً ذهب من اصلهِ كما يتوهم بعض المغالين في امر هذه الحوادث فانا لا نظن انها كانت تشتمل على غير ما يشبه العلوم الباقية ولا ذهب بها شيء يُفتقر اليهِ في جنب العلم الحاضر وان كان ثمة شيء لا يعوَّض فلا يكون الا من قبيل التواريخ والتراجم واوصاف البلاد والابنية وغيرها مما درستهُ الايام ومن نحو دواوين الشعر والخطب واشباهها من مبتكرات القرائح وهي ولا ريب مما فُقد منهُ شيء كثير . على اننا مهما قدّرنا الخطب فيها صغيراً تسليةً وتهويناً فلا اقل من ذهاب اسمآء كثيرٍ من مصنفي تلك

الكتب واندراس ذكرهم وكانوا ولا شك الوفا كثيرة من العلماء والمصنفين ممن كانوا فخراً لهذه الامة وعنواناً على عظيم مجدها وارتقائها في سلّم المدنية والعلم . على ان ذهاب تلك الكتب لم يكن مما يؤسف عليهِ لو بقيت الامة جاريةً في سبيل سلفها ولا ذهابها هو الذي حطّ الامة من منزلتها وذهب بعلومها ولكن الرزء كل الرزء ما ابتُليت بهِ الامة من الخمول والقعود وما توالى عليها من التدابر والشقاق وتعاورها من تسلط يد الاجنبيّ دهراً بعد دهر حتى اضمحلّ العلم منها على التوالي ولم يبقَ منذ مئاتٍ من السنين ما يُذكر الا علوم الدين قُصِرت عليها الهمم ووقفت عندها المدارك وتحيزت بها حلقات الدروس ثم اندرس الدين كغيرهِ الا عند الخاصة وقليلٌ ما هم فلم يبقَ الا التعصب يزداد عصراً بعد عصر وسنةً بعد سنة فكأن تلك العلوم كلها تقمصت الدين لباساً ثم استحال الدين الى تعصبٍ يقوى كلما ضعفت مدارك اهلهِ ويتأصل في القلوب كلما خلت من العلم فهو اليوم مجموع علوم الدنيا والآخرة والخلف من تلك العلوم باسرها والله يداول الايام بين الناس سبحانهُ لا معقّب لحكمهِ وهو الفاعل المختار

كسوف الشمس

اطّلعنا في المجلاّت الاوربية على عدة فصول في الكلام على الكسوف التامّ الذي حدث في ٢٨ من شهر مايو ووصف ما كان من احتشاد الراصدين في بلاد اسبانيا التي هي محلّ رؤية هذا الحادث النادر لان منطقة الكسوف التام تمرّ فيها فتجتازها من الطرف الى الطرف . وقد

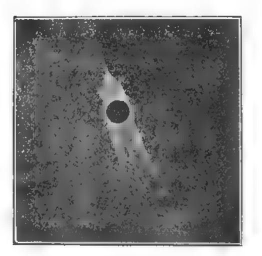
تواردت اليها وفود العلماء من المانيا وايطاليا وانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها واختاروا لهذا الرصد ناحية أليكنت كما تقدم لنا في موضعهِ فكان لهم استقبالٌ حافل خُصَّ بهِ من بينهم المسيو كاميل فلاماريون الفلكي الفرنسوي الشهير واشترك فيهِ الملكة وابنها وليّ العهد وسائر حاشيتها من الوزراء وكبراء الدولة فضلاً عن جماهير الاهالي الذين كانوا يستقبلونهُ في كل محطة حتى بلغ الى ألْش وهي المكان المُعَدّ للرصد

وكان الجوّ في ذلك اليوم صافياً والسماء نقيّة الاديم فلم يعترض الراصدين ما يقطع عليهم عملهم او يقف في طريق بحثهم وكان ابتداء الكسوف التام لسبع وخمسين دقيقة وخمسين ثانية بعد الساعة الثالثة وانتهى لتسع وخمسين دقيقة وثانية واحدة فتكون مدتهُ كلها دقيقة واحدى عشرة ثانية كما ذكرناهُ في محلهِ . ومنذ ابتداء التماسّ بين الجرمين الى نهاية الكسوف أُخذت آلافٌ من الرسوم منها باليد ومنها بالفوتغرافية فضلاً عن الرسوم التي أُخذت لعرض المنظر على طريقة الصور المتحركة منها ١٨ زجاجة اخذها قيّم مرصد اكسفرد وكان في جملة الذين اخذوا تلك الرسوم الملكة وابنها الملك ألفنس الثالث عشر وابنتها الاميرة ايزابلا وغيرهم من الأسرة الملكية

ولما بلغ الكسوف نحو النصف من قرص الشمس ابتدأ بعض الكواكب بالظهور ومن الناس من رأى الزهرة بالعين المجردة بعد ان أُرشد الى مكانها من السماء . وقد ظهرت في اثناء الكسوف التام ستة انجم أُخر كلها من القدر الاول وهي عطارد والشعرى اليمانية والشعرى الشامية

والعيّوق ورجل الجبار وابط الجبار

وبحث بعضهم في هذا الاوان بحثاً مستقصىً لتحقيق ما ذهب اليهِ لڤرّياي من وجود سيّار بين عطارد والشمس سمّاهُ ڤلكان فلم يعثروا على شيء وسيعيدون هذا البحث عند حدوث الكسوف المقبل في سومطرا الا ان الاظهر ان ما ادّعاهُ لڤرّياي من وجود هذا السيار لا صحة لهُ



ولما ابتدأ الكسوف الكلي احتجب قرص الشمس بتمامهِ وراء جرم القمر ولكن بقي من حولهِ اكليلٌ بهيّ من النور الساطع حتى كان المنظر اشبه بمنظر الكسوف الحلقي الا انهُ يمكن النظر اليهِ بالعين المجرَّدة بخلاف ذاك ويمكن رسمهُ من غير ان تشعر العين بادنى كلال . وهذا الاكليل فضّيّ اللون يحيط بالشمس من جميع جوانبها الى مسافةٍ متساوية بالتقريب تعدل نحو سدس قطر الشمس ويتصل بهِ طرّةٌ منتشرة الى ابعد مسافةً منهُ الا انها اضعف نوراً واقلّ كثافةً ولونها يضرب الى الرُمدة وينتشر

منها فروعٌ تذهب الى مدًى بعيد ولا سيما في جهة خطّ الاستواء الشمسي وفي المنطقة التي تجري فيها السُفَع وهذه الفروع هي المعبر عنها بالمشاعيل وكان اعظمها ثلاثة احدها في اعلى الشمس وهو هرميّ الشكل والاثنان الآخران في اسفلها وأحدهما وهو الايمن ينتهي برأسٍ دقيق لا يبعد كثيراً عن موضع عطارد وطولهُ يبلغ نحو ثلاث مرات ونصف من قطر الشمس اي ما يقرب من ثلاثين الف ميل كما ترى كل ذلك في الرسم

وهذه الرؤية كلها مما اثبتهُ الفلكيون قديماً في الكسوف الكلي الا انهم لم يكونوا على يقين من ثبوت هذه المرئيات في الخارج حتى حققها دولارو والاب سكّي كما تقدم ذكرهُ في محله . وكان من رأي الاب سكّي ان الاكليل متصلٌ بجرم الشمس يحيط بها بمنزلة جوٍّ لها وهو الذي عليهِ علماء الهيئة الى اليوم واما الطرّة والمشاعيل فذهبوا الى انها مؤلفةٌ من اجسام خارجية هي مجموع حلقاتٍ نيزكية تدور حول الشمس وانها سبب تولد الحرارة في الشمس بما تُساقِط عليها من الشهب الغزيرة المتواصلة وهو ما فرضهُ اللرد كلوين من اصل حرارة الشمس على ما سنعود الى الكلام عليهِ في غير هذا الموضع . وفصَّل الاب مورو وهو احد الذين رصدوا الكسوف الذي نحن فيهِ بان هذه الحلقات مؤلفة من بقايا كونية منتشرة حول الشمس الى مسافةٍ بعيدة تبلغ الى ما وراء حدود فلك الزُهَرة وهي تجري في دوائر مختلفة الميل والاقطار تتقاطع حول المركز المشترَك الذي هو جرم الشمس فتجذب الشمس منها مقادير هائلة تشبه امطار الشهب التي تتساقط على الارض . ولما كانت زنة الاجرام على سطح الشمس تعدل

٢٧ ضعفاً من زنتها على الارض كانت هذه الاجسام تنقضّ عليها بسرعةٍ تعادل ٢٧ ضعفاً من سرعة الشهب المتساقطة على الارض فينشأ عنها من الحرارة والنور ما يعدل هذه الزيادة بالقياس الى الشهب المذكورة

اما حرارة الشمس في وقت الكسوف فقد امتُحنت بميزانين احدهما اسود والآخر ابيض عرضا للشمس وعلّقا في مكانٍ لا ينعكس عليهِ شيءٌ من حرارة الارض فهبط الاسود عند تمام الكسوف من ٣٣°١ الى ٢٠°٧ اي ١٢°٤ والابيض هبط من ٢٩° الى ٢٠°٢ اي ٨°٨ . اما في الظل فلم تهبط الحرارة زيادةً على ٣°

واما النور الباقي فكان جانبٌ منهُ عن الاكليل وما حولهُ والجانب الآخر منعكساً عن جوّ الارض مما على ناحيتي منطقة الكسوف التام وكان يظهر في بادي الرأي اضعف من نور البدر وذلك لسبب سرعة الانتقال من الضوء الشديد اليهِ ولكنهُ في الحقيقة كان اقوى من نور البدر لانهُ لم يظهر معهُ الا ذوات القدر الاول من الكواكب حالة كونهِ في ليلة البدر تُرَى النجوم الى القدر الثاني والثالث

وهناك اشيآء أُخر اطالوا بها من نحو سكوت الاطيار المغرّدة وتسرُّب النمل الى قراهُ وانطباق بعض الازهار والاوراق الى غير ذلك مما هو مشهور في هذه الحال فلا نسهب بهِ واما نتائج مباحثهم العلمية المستفادة من هذا الحادث ولا سيما طبيعة بنآء الشمس فسنعود اليها متى وقفنا على كلامهم فيها ان شآء الله

المرّاش وميناړ

(تابع لما قبل)

(ص ٢٢٦) قال الشاعر

« وكسونا البيت الذي حرّم اللهُ م مُلاءَة منضداً وبرودا »

وورد هذا البيت قبل ذلك (ص ١٣٣ من المجلد الاول) فترجم الاستاذ « البرود » بقولهِ Franges وترجمها هنا بقولهِ tapis couverts de broderies et de peintures . وترجمها في موضع ثالث (ص ٢٢٧ من هذا المجلد) بقوله étoffes précieuses فعلى ايّ اقوالهِ نعتمد

(ص ٢٢٩) « اختلف اولاد نزار الاربعة في قسمة ميراث ابيهم فقصدوا الافعى الجرهمي ليحكم بينهم حتى اذا كانوا منهُ على يومٍ وليلة .... رُفع لهم راكبٌ تُوضع بهِ راحلتهُ » الخ فترجم الاستاذ « الراكب » بالفارس *cavalier* وترجم « توضع بهِ راحلتهُ » اي تسرع بقولهِ qui avait *perdu* sa monture

... « فلما انتهوا الى الافعى الجرهمي انزلهم في دار الضيافة واطعمهم فيما اطعمهم عسلاً فقال واحدٌ منهم هذا العسل القاهُ النحل في هامة جبار » فترجم الاستاذ « هامة الجبّار » بقولهِ le *corps* d'un *animal de grande taille* . وكان الصواب ان يقول le *crâne* d'un *géant* والكلام هنا على حدّ قولهِ اي قول المسعودي في صفحة ٢٣٤ « فاذا النحل قد عسّلت في جمجمة »

...« ثم قالوا جميعاً ما رأينا منزِلاً اكرم قرًى ولا اخصب رحلاً من هذا الملك فقال واحدٌ منهم وهو مُضَر صدقتم لولا انهُ لغير ابيهِ ». فترجم الاستاذ هذه الجملة الاخيرة هكذا

Enfin, ils déclarèrent n'avoir pas connu jusqu'alors une hospitalité aussi généreuse, ni une *contrée* aussi prospère que celle de ce roi. En effet, ajouta Modar; mais *elle n'appartenait pas au père d'el Afâ*.

فافسد المعنى بهذه الترجمة لان مراد مضر ان الافعى لم يكن ابن ابيهِ لا ان رحلهُ الذي ترجمهُ بقولهِ *contrée* لم يكن لابيهِ كما تدل على ذلك تتمة القصة وهي مشهورة

... « ثم ان الافعى قسم بينهم فقال لاحدهم لك ما ترك ابوك من الرقة والحرث والارض » . فلم يفهم الاستاذ معنى الرِقَة وانها من الورق اي الدراهم المضروبة فترجم الجملة هكذا

A toi, dit le roi, les *meubles* de ton père, les instruments de labour et les terres.

على ان هذه القصة كلها مأخوذة عن مجمع الامثال للميداني كما ذكرهُ الاستاذ نفسهُ في الحاشية ومجمع الامثال مطبوع طبعةً حسنة في بولاق وقد تُرجم الى الفرنسوية منذ سنة ١٨٣٨ كما ذكر ذلك الاستاذ ايضاً فلمَ لم يراجع تلك الترجمة ليقف على حقيقة الترجمة ويستغني عن ايراد هذا الهذيان

(ص ٢٤٦) « ففضلت العرب على سائر ما عداها من بوادي الامم لما ذكرنا من تخيُّرها الاماكن وارتياد المواطن قال المسعودي ولذلك جانبوا

قصاصة (الصواب فظاظة) الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية الذين مساكنهم حرون (صوابهُ حزون) الارض ودهاسها وذلك ان هذه الامة (الصواب الامم) الساكنة هذه الجبال والاودية تناسب اخلاقُها مساكنَها » الخ . فلم يفهم الاستاذ مقصود المصنف الذي اراد ان يثبت رقة الطباع للعرب لسكناها السهول وغلظ الطباع للاكراد لانهم يسكنون الحزون فترجم هكذا

Parmi toas les peuples qui vivent à l'état nomade, les Arabes occupent le premier rang, grâce aux avantages que leur offrent les contrées de leur choix. .C'est pour le même motif que les *fragments* de la race Kurde et les trubus montagnardes se sont eloignés des peuples sauvages et autres qui ont établi leur demeure dans les pays *plats* et *unis* etc .

فافسد بهذه الترجمة المعنى من اصلهِ وجاء بهِ على عكس المقصود لانهُ عوض ان يقول ان العرب جانبوا فظاظة الاكراد وامثالهم من الاجيال الجافية جعل الاكراد هم الذين جانبوا الاجيال الجافية ثم ما كفاهُ حتى جعل تلك الاجيال الجافية من سكان السهول ولا يخفى ان مراد المسعودي بسكان السهول العرب انفسهم فصار الكلام ضرباً من التخليط . وانما اوقعهُ في هذا انهُ قرأ « قصاصة » مكان « فظاظة » وفسرها بقولهِ *fragments* اي فرَق او شراذم فلم يبقَ للكلام معنى

(ص ٢٥٨) « ومنهم (اي من عرب الجاهلية) المارُّ على عنجهيّتهِ الراكب لهمجيّتهِ » . فقرأ الاستاذ « لهجمتهِ » من الهجوم وترجم هكذا

...se laissaient aller à toute la *fougue* de leurs passions

(ص ٢٦٧) « وغيرهم ممن أمَّ نهجهم » . فقرأ الاستاذ من أئمّة نهجهم وترجم ...et d'autres encore parmi *les chefs de leur secte*

(ص ٣١٠) « وقال تأبط شرًّا لخاله الشنفرى الأكبر وقد سأله عن قتيلٍ قتلهُ كيف كانت قصتهُ فقال ألجمتهُ عضباً فسالت نفسهُ سكباً » . فقرأ استاذنا « غضباً » مكان « عضباً » وترجم هكذا J'ai mis un *frein* à sa *fureur* ...

(٣١٢) قال توبة في ليلى الأخيلية

« ولو ان ليلى الاخيلية سلَّمت علي وفوقي تربةٌ وصفائحُ
لسلَّمت تسليم البشاشة او زقى اليها صدًى من جانب القبر صائحُ »

فقرأ الاستاذ « رقي » مكان « زقى » وترجمهُ بمعنى الطيران وترجم « التربة » في البيت الاول بقوله monument funèbre

(ص ٣١٣) « وهذا كثيرٌ في اشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطابهم وغير ذلك من محاورتهم » . فقرأ الاستاذ « مجاوزتهم » وبادر منها الى ذهنه معنى المجاز والاستعارة فترجمها leurs allégories

(ص ٣٣٩) « في القدمآء من كان يزعم ان العالم جوهرهُ الظلمة وان النور فيه غريبٌ مجتاز » . فقرأ الاستاذ « مختار » مكان « مجتاز » وترجم ...la lumière y joue le rôle d'un étranger *d'élite*.

(ستأتي البقية)

آية الله الكبرى

معرَّبة عن قصيدة للشاعر الفرنسوي جان رامو

بقلم حضرة الفاضل الشاعر الناثر قسطاكي افندي الحمصي بحلب

بعد خلق الاكوان خلقاً بديعا   وانكشاف الرقيع يزهو رفيعا
وبروز الجبال ما بينها الانـ   ـهار تنساب جعفراً وربيعا
وظهور الازهار قد احكمت تطـ   ـريزها إصبعٌ تجيد الصنيعا
رفس الله ارضنا فغدت دا   ئرةً في الفضاء دوراً سريعا
ثم صاغ الانسان خلقاً سويّاً   عاقلاً ناطقاً بصيراً سميعا

***

واراد الاله ان يُريَ الانـ   ـسان ما صاغهُ تعالى جميعا
فتدنّى وقادهُ شبهَ جبّا   رٍ عظيمٍ يقود طفلاً رضيعا
واراهُ البحار تحكي مروجاً   والندى في الرياض يحكي دموعا
والوفاً من الازاهر ان حا   ولتُ وصفاً لها فلن استطيعا
عندها طار لبُّهُ وغدا من   حسنها والهاً سليباً صريعا
وتمنى لو ظل بالقرب منها   راتعاً كلما احبَّ الرتوعا
وانحنى والفؤاد يخفق منهُ   وجنى وردةً وسار هلوعا ...

***

ورأى الله بعد ذا ان يُري مخـ   ـلوقهُ منظراً ينسّي الربيعا
فمضى سائراً بهِ في جبالٍ   ترهب الطير من علاها الوقوعا

ثم قال اجتلِ الخلائق هل تبـ صرُ شيئاً منها فهبَّ مطيعا

وجرى منهُ رائدُ الطرف لكن حاسراً رُدَّ واستحبَّ الرجوعا

ورأى حولهُ جبالاً من الثلـ ج اكتست بالبياض لوناً نصيعا

فمشى نحوها وقد نال منها كتلةً ظنَّ اخذها ممنوعا

وغدا معجباً بملمسها الغضّ وزادته بالبياض ولوعا ...

***

ثم قال الرحمن قد حان ان تنز لَ فالليل جآء يجري سريعا

ونجوم السمآء قد ظهرت انـ وارُها في الظلام تحكي شموعا

ورآها المخلوق فاهتزَّ لا بل ودَّ لو يرتقي اليها طلوعا

فمدا قافزاً ومدَّ يديهِ نحوها آملاً شجيعاً جزُوعا

وانثنى ممسكاً بنجمين مسرو راً بما نالهُ شكوراً قنوعا

ومضى نازلاً وقد مضّهُ السيرُ طويلاً وفتَّ منهُ الضلوعا

ثم حطّ النجمين والثلج والور دة وامتدَّ واستطاب الهجوعا ...

***

وابتغى الله وهو ذو الفضل ان ينـ ظرَ مخلوقهُ المطيع الوديعا

بالغاً منتهى السعادة كي يذ سيهِ فردوسهُ وتلك الربوعا

فرأى ان يصوغ هيئة لطفٍ تجمع الظارف والجمال الرفيعا

فاذا ما استفاق مخلوقهُ ابـ صر فيها الذي جناهُ جميعا

فقضى باجتماع ذلك طرًّا فمن الثلج صاغ جسماً بديعا

ومن الكوكبين عينين قد أو دِعتا السحرَ والهوى والوَلوعا

ومن الوردة الانيقة خدًّا قد أتمَّ الخلاق فيهِ الصنيعا
فبدت آيةً بجوهر حسنٍ رصَّعتها يمينهُ ترصيعا
تلك حوَّاء فتنة الكون اضحى قلب هذا الفتى اليها نزوعا

التدرن الرئوي والثوم

وردتنا الرسالة الآتية من حضرة النطاسي الفاضل الدكتور حبيب افندي كرم بالقاهرة فنشرناها فائدةً للقرآء قال حفظهُ الله

اطلعت في احدى المجلات الطبية الانكليزية على خلاصة مقالةٍ للدكتور كافازاني نشرها في بعض المجلات الطبية الايطاليانية شرح فيها تجاربهُ في معالجة التدرُّن الرئوي بالثوم وما صادف فيها من النجاح الباهر فرأيت ان انقل هذه الخلاصة الى القرآء واستدعي اليها انتباه اخواني الاطبآء على الخصوص لعلهم يجدون فيها فائدةً صحيحة يثبتها الامتحان فيكون ذلك اعظم خدمةٍ للانسانية وان كانت تؤدَّى باحقر الموادّ في عيون افرادها

وقد ذكر الطبيب المشار اليهِ انهُ ابتدأ بتجربة هذا العلاج منذ سنتين فامتحنهُ في مئة عليل من اعلاّ المستشفى الاهلي بالبندقية ومن مرضاهُ الخصوصيين واشار على بعض رصفآئهِ الاطبآء بتجربتهِ فجُرّب في مئةٍ اخرى من المصابين بهذا الدآء فصُودِف في معظم تلك التجارب من النجاح ما حملهُ على الامل ان الثوم سيكون هو الدوآء الشافي من هذه العلة ولا سيما اذا استُعمل في بدآءتها لانهُ يقول ان كل من كان في الدرجة الاولى منها

شُفِي تمام الشفآء بحيث زالت لا الأعراض الظاهرة فقط ولكن زالت معها الاعراض التي تظهر عادةً بالقرع والتسمُّع · وجميع الذين عالجهم كانوا ممن ثبت لهُ وجود المرض فيهم بالفحص المجهرسي (المكرسكوبي) وكانت الفائدة تظهر بعد بدآءة العلاج بثلاثة او اربعة ايام حتى في الدرجة الثانية فضلاً عن الاولى فكان السعال يتناقص كثيراً والنفث يقلّ ويتغير فيصير مخاطيًّا صِرفًا بعد ان يكون مخاطيًّا صديديًّا وهو ينسب ذلك الى ما في الثوم من الزيوت الطيارة المقاومة للفساد ومع استمرار العلاج كانت الحمى تزول والعرق الليلي ينقطع وشهوة الطعام تتقوى ووزن الجسم يزداد وفي بعض الاصابات التي كان يصحبها نزف رئوي انقطع النزف في وقتٍ قصير

اما كيفية استعمال الثوم فيعطَى منهُ كل يوم من ٤ الى ٦ غرامات تكون من الثوم القريب من الجفاف وهذه الكمية تُقسَم على دفعاتٍ متعددة وتُعطَى مغلفةً ببرشان او بطريقةٍ اخرى بحيث يخفى طعمها ومدة اعطآئها تختلف بحسب درجة العلة فتستمرّ احيانًا على مدة اشهر وهو يؤكد انهُ لا يحدث عن استعمال الثوم بهذا المقدار ادنى تهيجٍ في المعدة ولا اضطرابٍ في الهضم · انتهى بمعناهُ

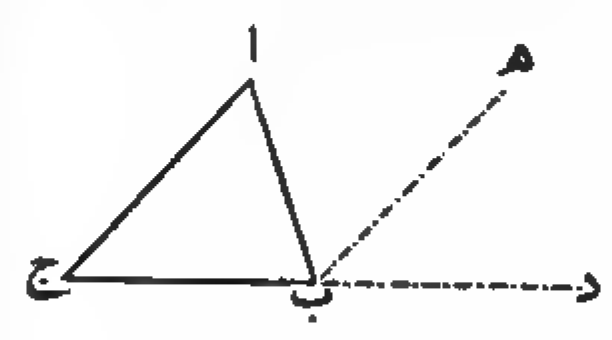
قلت ومن المشهور عند العامة في مصر وسوريا ان للثوم وابن عمهِ البصل منافع جمة للمعدة والصدر فجآءت تجارب هذا الطبيب مثبتةً لهذا المعتقد فبقي ان تثبتهُ تجارب الاطبآء عندنا فان صح ما زعمهُ فهو افضل علاج لهذا الدآء الخبيث ولا سيما مع بساطتهِ ورخص ثمنـهِ والخبيث لا يزيلهُ الا الخبيث

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ما معنى قول الرياضيين ان زوايا المثلث تعدل قائمتين

مستفيد

الجواب — معنى ذلك أنا اذا جمعنا زوايا المثلث وقسنا مجموعها كان معادلاً لمجموع قائمتين اي ١٨٠° . وبياناً لذلك خذ المثلث ا ب ج وأخرج ج ب الى د ثم ارسم من نقطة ب الخط ب ه حتى يوازي ا ج فيحدث هناك زاويتان وهما ا ب ه وهي تعادل ج ا ب



و ه ب د وهي تعادل ا ج ب وحينئذٍ نكون كانا نقلنا ج ا ب الى مكان ا ب ه و ا ج ب الى مكان ه ب د . وبضمّ هاتين الزاويتين الى زاوية ا ب ج وهي الباقية من اصل المثلث تجتمع الزوايا الثلاث في نقطة ب وكلها على خط ج د . ومن المقرر ان الزوايا الحادثة على احد جانبي خطٍ مستقيم كثرت او قلّت تعدل قائمتين ابداً

القاهرة — قرأت في بعض المصنفات ان الله خلق الانسان من إسطَقسّات ... فما معنى هذه اللفظة عبده داود

احد المتخرجين في مدرسة اليسوعيين بالقاهرة

الجواب — المراد بالاسطَقِسّات العناصر واحدها اسطَقِسّ وضبطهُ بعضهم بضمّات . وهي رومية معرَّبة

آثار ادبيّة

الخزانة — تلقينا الجزء الاول من هذه المجلة الانيقة لحضرة منشئها الكاتب المجيد الشيخ يوسف الخازن وهي مجلةٌ سياسية ادبية جديدة النزعة لطيفة المباحث جرى فيها على اسلوبٍ لم يُسبَق اليهِ في الصحف العربية . وقد تصفحنا هذا الجزء منها فالفينا فيهِ عدة مقالاتٍ ونُبَذ نفيسة في شؤونٍ مختلفة جمع فيها بين الفائدة وطلاوة الجديد مما دلّ على سعة باع وكثرة تنقيب ولطافة ذوق . فنحن نرحّب بهذه الرصيفة الحسنآء ونؤمل لها الاقبال من عامة المتأدبين والقرّآء وهي تصدر مرةً في الشهر فيما يقرب من مئة صفحة وقيمة اشتراكها السنوي مئة غرش مصري

الشمس — مجلة علمية ادبية تاريخية صناعية فكاهية تصدر في دمشق لحضرة منشئيها الاديبين جورج افندي متى وجورج افندي سمان وقد اطلعنا على الجزئين الاولين منها فوجدناهما يشتملان على عدة مباحث حرية بالمطالعة والاستفادة . والمجلة تظهر مرتين في الشهر في ٢٤ صفحة وقيمة اشتراكها السنوي ريالان مجيديان في دمشق وعشرة فرنكات في الخارج فنتمنى لها الثبات والرواج

فكاهات

رواية

الحياة السعيدة

هو الحبُّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهلُ
فما اختارهُ مضنىً بهِ ولهُ عقلُ
فان شئتَ ان «تحيا سعيداً» فمت بهِ
شهيداً والاّ فالغرام لهُ اهلُ

. . . .

قبلةٌ وغمغمة ودمعةٌ وأنّةٌ وغمزٌ بالكفّ وتلويحٌ بالمنديل تلاها صوت دواليب عربة ووقع حوافر خيل . هكذا كانت وقفة الوداع المرّة التي لم يُسمَع فيها من الكلام غير هاتين الكلمتين « الى الملتقى »

—١—

كان في العربة فتاةٌ في زهرة الصبآء قد تخذت من زرقة السمآء لون عينيها ومن الثلج بياض البشرة ومن الظبي جمال العنق ومن الملائكة طهارة القلب والعفة والرقة ولم يفُق جمالَ ظاهرها الاّ جمال نفسها وحسن آدابها وجودة عقلها ووفرة تهذيبها وكان اسمها لينا . وكانت عائدةً في العربة الى

مدينتها من زيارة صديقةٍ لها في الضواحي مكثت عندها يومين قضتهما على افضل ما يتمنى المرء من المسرّة والصفآء

وكان بين جماعة المودّعين فتىً في إبّان الشباب يقال لهُ غونو فلما سارت العربة انفرد عن رفاقه الى عطفةٍ في الطريق وجلس على صخرةٍ كبيرة ولبث يراقب المركبة ويرافقها بالنظر حتى توارت عن بصره بعد نحو نصف ساعةٍ من الزمان فتأوّه وتنهد وطفق يخاطب نفسهُ فقال

من كان يظن ان هذا القلب يستيقظ للحبّ بعد ان كنت اخالهُ قد مات ودُفن في ظلمة اليأس ودُفنت معهُ كل آماله ومشتهياته . فهل قُضي عليه ان يُبعَث من قبره ليحيا ثانيةً للحب ثم يعود فيموت شرّ الميتات . كلاً ما هذا بحبّ ولكني عرفت الفتاة واعجبني لطفها ورقة عواطفها وشرف نفسها فظننت اني همتُ بها والحال ان هذا الميل لم يخرج عن دائرة استحساني لذكآئها وآدابها . فعد الى قبرك ايها القلب الشقي ولا تطمح الى الحب فقد قُضي عليك ان تحيا شقياً وتموت منسياً ...

وجلس الفتى على الصخرة نحو ساعتين وهو يناجي نفسهُ بمثل ما تقدّم من الكلام ثم شعر بحدّة سهام اشعة الشمس المتساقطة عليه فنهض من مجثمه وعاد الى منزله وكان يمشي بقدم متثاقلة ورأس مطرق الى الارض وصدرٍ خافق وافكارٍ مشرّدة وقلبٍ يضطرب اضطراب الارشية في الطَويّ البعيدة . ولبث سحابة نهاره متجنباً خلانهُ ملتزماً العزلة متخذاً لهُ من صخور الاكمة ومن ظلال الوادي ومن ازهار البرّية ندماناً حاولوا ان يصرفوا افكارهُ عن الموضوع الذي ملأ خاطرهُ وشغل فؤادهُ فلم

يستطيعوا . ولما خيَّم الليل عاد الى منزلهِ فدخل غرفتهُ واستلقى على فراشهِ وحاول ان يطرد بالنوم شواغل لبّهِ فلم تقوَ الطبيعة على تسرية همومهِ ولم تخلُ افكارهُ دقيقةً من حادثة الصباح حين ودَّع الفتاة التي سلبت لبهُ وملكت قلبهُ فعلم اخيراً العلم اليقين انهُ مغرم بها ولا صبر لهُ عنها

اما لينا فكانت قد شعرت بجاذب شديد يدفعها الى حب غونو ولم تكن قد عرفت الحب قبلاً الا ما وقفت عليهِ منهُ في كتب الفكاهة واغاني المنشدين فما عرفت غير اسمهِ ولكنها شرعت منذ انقضت ساعة الوداع تذوق شيئاً فشيئاً من كاس الحب مما جعلها تفرق بين حلوهِ ومرّهِ

وبعد اسبوعين من وقوع هذه الحادثة وجد غونو نفسهُ ذاهباً لزيارة لينا وهو لا يشعر الى اين يذهب فاجتمع بها وثبت لهُ انها مغرمة بهِ فثبَّت جنانهُ واطلعها على سرّ فؤادهِ وعرض عليها قلبهُ ويدهُ فاجابتهُ وعاهدتهُ على الحب واقسما يمين الاخلاص والوفآء وافترقا وهما اسعد الناس

—٢—

قيل في الامثال دوام الحال من المحال ولم يرد في تاريخ البشر ان هنآء لم يمازجهُ شقآء او لقآء لم يعقبهُ فراق او أُلفةً لم يصدعها البعاد او سعادةً لم تمزقها اسهم النكبات . لم يمرّ على حبّ غونو ولينا شهران حتى حلَّت بهما مصيبة الفراق اذقضت عليهِ دواعي الرزق بمهاجرة وطنهِ فودَّع المكان والسكان وكانت لهُ عند وداع لينا ساعةٌ رقّ لهُ فيها قلب الجماد فجددا عهودهما وأقسم كلٌّ منهما يمين الثبات على الحبّ ثم افترقا وهما يشرقان

بدموعهما ولا عزآء لهما الا امل اللقآء القريب

وفيما كان غونو مجدًا ورآء الرزق وقد حرَّم على نفسهِ مسرَّات الحياة وقصر همهُ على جمع قدرٍ كافٍ من المال يكفل لهُ الاقتران بمالكة فؤادهِ والاكتفآء بحبها عن كل ما في العالم من مشتهيات ومطامع وردهُ منها الكتاب الآتي

يا حبيبي

قُضي عليَّ ولا مردَّ لحكم القضآء ان تكون هذه آخر رسائلي اليك فلا تظن اني خنتك في ودادك او ان حبك زال من فؤادي فانت لا تزال الى هذه الساعة حبيبي اكثر مما كنت في اول ساعة عرفتك . فكن حليماً ولا تعجل بالحكم عليَّ قبل ان تقف على دقائق الحديث ولك بعد ذلك رأيك في ان تعذرني او تعذلني . انت تعلم ان حبي لك لم يكن غفلة ساهٍ او حلم نائمٍ ولكني احببتك بكل ما في جوارحي وقلبي وحياتي من قوة الحبّ وكنت احيا على امل الاقتران بك واصوّر لنفسي مستقبلاً سعيداً اقضيهِ بقربك الى ان تفرغ كأس الحياة فاموت بين ذراعيك مستوفيةً حظي من العمر . ولكن كل هذه الآمال المذهبة قد تلاشت كما تتلاشى ضبابة الفجر عند بزوغ شمس الصباح وقد فقدتُ كل رجآء في الحصول على ما كنت اتمنى وثبت لي الآن انهُ لم يبقَ لنا من املٍ في انضمام جسمين بعهد الزواج اتحدت ارواحهما قبلاً بعهد الحب الصادق . فان الوصيَّ عليَّ ابى ان يرضى عن قراننا وقال لي انهُ اقسم لابي عند ما كان يجود بنفسهِ ان يربيني كاحدى بناتهِ وان يزوجني عند بلوغي سن الرشاد بابنهِ وان ابي

وافق على هذا الرأي وبارك خطبتي لابن الوصيّ وانا بعد طفلةٌ لا علم لي بشيء . وانت تعلم يا حبيبي ان وصية الميت مقدسة فيشق عليَّ ان انقض وصية ابي ولو كان في انفاذها كسر فؤادي وتمزيق كبدي . ان القلب الواحد يا غونو لا يحتمل اكثر من حبّ واحد وانا لا اطيق البتة ان احب سواك فستبقى انت حبيبي الى ان أُوارى في لحدي . ولكنك وان ملكت قلبي فجسدي سيملكهُ سواك رغماً عني فاجتهد ان تنساني وامحُ ذكري عن صفحات قلبك واحسب اني قُطِعتُ من ارض الاحياء وابكِ اذا شئت على حظي بل على شبابي الذي يُدفَن في قبر اليأس قبل ان اتمتع بلذة الحياة او اعرف معنى هذا الوجود

ان قلبي ليتقطع لوعةً وجزعاً اذا تخيلت ما ستكون عليهِ عند تلاوتك كتابي هذا ولكني اثق برباطة جأشك وقوّة ارادتك واظن انك تقوى على احتمال هذا الجرح الاليم الذي يصيب فؤادك فتصبر لحكم القضاء وتعوّد قلبك نسياني وحبذا اليوم الذي اسمع فيهِ انك وجدت لك فتاةً أليق مني لحبك واحقّ مني بقلبك فتنعم بحبها وتنسى لينا التي كانت سبب شقائك وبلاياك

اني اجثو على قدميك وألتمس منك الصفح عما اسأت بهِ اليك واستحلفك بحبنا الصادق ان لا تشك في صدق كلامي ثم اتوسل اليك ان تعيد اليَّ كل ما عندك من رسائلي وآثاري وانا معيدةٌ اليك الآن كتبك وفي قلبي من نار الوجد ما يحرق جسدي وفي عيوني من دموع

الحزن ما يقرّح اجفاني فسامح وارحم وانسَ محبتك

لينا

فما اتمّ غونو قرآءة الكتاب حتي اعترتهُ رعشةٌ عصبية فاظلمت الدنيا في عينيهِ وشعر ان دمهُ جمد في عروقهِ وان قلبهُ تحوّل الى حجر فلبث بضع دقائق شاخص النظر جاحظ العينين اصفر اللون كمن انتشرت على محياهُ ضبابةَ الموت ثم اضطرب وتململ وتدفقّت الدموع من عينيهِ واستسلم للوجد وبلغ منهُ اليأس لحاول ان ينتحر ثم خطر لهُ ان الانتحار دليل على ضعف القلب وخَوَر العزيمة وان الصبر على البلوى من افضل مزايا الرجولية فمسح دموعهُ وتجلد واعاد تلاوة الرسالة مرتين وثلاثاً وهو يقبّل سطورها . ثم اخذ ورقاً وقلماً وشرع في الكتابة الى مالكة فؤادهِ فوجد ان القلم عاجز عن الافصاح عما في ضميرهِ فقرر عزمهُ على السفر لزيارتها آملاً ان يتوفق بعد مقابلتها الى ازالة الحاجز الذي حال بينهما

وبعد ثلاثة اسابيع بينا كانت لينا جالسةً في غرفتها تتأمل فيما صارت اليهِ حالها اذا بغونو داخلٌ اليها فلما وقع نظرها عليه نهضت لاستقبالهِ ومدّت ذراعها اليهِ ثم تقهقرت راجعةً وقالت لا . لا يجب ان نلتقي بعد فان هذا اللقآء يزيد آلامنا ويضعف عزائمنا فلا نقوى على احتمال مصابنا . فارجع يا غونو من حيث اتيت واعلم اني اودعت رسالتي اليك كل ما تجب معرفتهُ فلا حاجة الى اعادة البحث في هذا المعنى واشفق على قلبي وانسَ انك عرفتني فاذا فعلتَ فانك تمنحني قوّةً على تحمّل مصيبتي

قال اتذكرين يمينك المغلظة لي انكِ لا تحبين سواي ولا تقترنين

بآخر فهل تخلفين وعدكِ من اجل تأييد وصيةٍ مشكوكٍ في صحتها وهل يحلّ في شرع الهوى ان نقتل الحبّ الذي غذوناهُ دمآء قلوبنا ونضحي قلبين وفيّين في سبيل تأييد دعوى وصيٍ يستشهد الميت على صحتها • فأزيلي هذا الوهم من خاطركِ يا لينا وتعالي اضمّكِ الى صدري الملتهب بنار حبكِ وادعوكِ زوجتي الامينة او قولي انك زهدتِ في حبي وملتِ الى سواي

قالت لا تسلني مستحيلاً ولا تطلب مني الرجوع عن عزمي أفلستَ ترى ان كلامك ينفذ كالسهام الى قلبي ويمزّقهُ تمزيقاً • فاذهب لئلا يجرّ حبي اليك نصيباً من الشقآء الذي اكابدهُ ودعني اقاسي العذاب وحدي وعش انت سعيداً اذا استطعت بعيداً عمن كانت سبب بلآئك ولكن عدني انك تعيد اليّ جميع رسائلي التي كتبتها اليك قبلاً وانك لا تحاول ان تراني فيما بعد • ان الفراق مرٌّ يا غونو والحياة صعبة ولكن موت الرجآء اصعب من كليهما فلقد طالما رجوت ان اقضي سحابة العمر معك اما الآن فقد رأيت الممكن مستحيلاً والحلال محرّماً فلا بدّ من الفراق ولو كان فيهِ تلف روحي فتصبّر وكن رجلاً وعلّمني بتعقلك وثباتك مقارعة الخطوب وكن عوني على البلآء بابتعادك عني ونسيانك اياي ...

ولما قالت هذا دنت منهُ فطوّقت عنقهُ بذراعيها ورسمت على شفتيهِ قبلةً اشتركت في رسمها كل قوى حياتها وتمتمت كلمة الوداع وخرجت من الغرفة مسرعةً فبقي غونو وحدهُ كمن بهِ مسٌّ او كمن فقد الحسّ والقوّة والارادة ثم انتبه وخاف ان يدخل احدٌ ويراهُ على تلك الحال فخرج كاسفاً حزيناً وعاد وهو لا يكاد يبصر طريقهُ

ولما بلغ غونو منزلهُ اخذ الرسائل التي كانت لينا قد كتبتها اليهِ في بدآءة عهد الحب وقرأها واحدةً واحدةً حتى اتى عليها جميعاً ثم تناول زهرةً كانت لينا قد اعطتهُ اياها يوم ودَّعها مسافراً في طلب الرزق فقبّلها ثلاثاً وضمّها الى الرسائل فوضع الجميع في علبةٍ صغيرة وعنونها باسم لينا وبعث بها اليها مصحوبةً بهذه الرقعة

« لم تمرّ بعدُ سنةٌ على حبنا وكنت احسب انهُ يدوم مدة العمر ولا يموت في مهد الطفولية لولا انكِ اردتِ لهُ الهلاك العاجل . ظننتِ اني اسلوكِ وانساكِ وفرضتِ عليَّ ارجاع كل تذكارٍ منكِ لزعمكِ انني انجو بذلك من حمّى التذكار المحرقة ولكنني لا استطيع نسيانكِ ما دمت حياً ولا ازال احبكِ حباً لا يدرك كنههُ غير الله والحب عندي غير الشهوة لان هذه تزول بامتلاك المشتهى اما الحب فيدوم دوام الحياة لانهُ عنصر من عناصرها . وامتثالاً لكِ اعيد اليكِ الآن كل ما لديَّ من تذكارٍ عزيز ولا يبقى عندي غير ذاكرتي التي تمثلكِ امامي في كل دقيقة من دقائق حياتي فاراكِ بقربي رغماً عما بيننا من المسافة . ولو كان حبكِ لي كحبي لكِ لقاومتِ الخلائق كافةً والمصائب والحياة وبقيتِ لي ولكنني لا اطالبكِ بما ليس في امكانكِ . وربما كان وجودي يثقل عليكِ او ينغص عليكِ السعادة التي تتوقعينها باقترانكِ بابن وصيك فلكي اظهر لكِ مقدار حبي لكِ ورغبتي في راحتكِ ومن اجل القبلة التي قطعتِ بها حياة املي فانني سأخلي بينكِ وبين ما اخترتِ واتمنى لكِ السعادة في حياتي وفي مماتي

الحزين غونو »

— ٣ —

في ذات يوم من ايام الخريف دخل الوصيُّ على لينا فوجدها حزينةً باكيةً فسألها عن سبب بكائها فقالت لست اعلم لذلك سبباً ولكني اشعر كأن قلبي بين مخالب نسرٍ فكلما قبضها يزيدني ألماً واراني حائرةً قلقة حتى كأن جلدي يضيق عليَّ . قال انكِ ولعتِ في هذه الايام بالعزلة والانقطاع عن الناس وهذا الذي يثير اشجانكِ ويزيد غمومكِ وقد جئت الآن لابشّركِ بقدوم ولدي غستاف وهو كما علمتِ الرجل الذي اختارهُ ابوكِ لكِ بعلاً فسأبعثهُ اليكِ الآن لكي يسرّي همومكِ ويزيل اشجانكِ

وبعد هنيهةٍ دخل غستاف وانوار البشر تتدفق على وجههِ فنهضت لينا لاستقبالهِ فسلَّم عليها ودنا لكي يقبلها فتباعدت عنهُ حييةً فقال لها لماذا تتراجعين عني ألم يسبق لنا ان كان يلثم بعضنا بعضاً ونحن طفلان . قالت كان ذلك ونحن في سنّ الصغر اما الآن فلا يهون عليَّ ان اقبّل رجلاً . قال لكنّ هذا الرجل هو ذلك الطفل ونحن نحن فما الذي يمنع تبادل القُبَل بيننا ولا سيما انكِ ستكونين زوجتي عن قريب . فاضطربت اضطراباً ظاهراً وقالت ان قُبَل الاطفال تدلّ على بساطة القلب وطهارة النفس وليس لها عندهم من معنى غير حركة الشفاه اما الرجل فللقبلة عندهُ معنىً خفيّ وهي سرّ من اسرار الحب واما قبلة المرأة فاذا كانت عن اضطرار فهي سمٌ يقتل نافثهُ واذا كانت عن حب فهي جزءٌ من حياتها . قال اني اقبلكِ لاني احبكِ وكنت اظن الحب بيننا مشتركاً . قالت اظنك تدّعي الحب وانت لستَ في شيء منهُ . قال جرّبيني تعرفي صدق قولي . قالت

لعلي اطلب منك قضاء امرٍ تظنهُ مستحيلاً . قال ما على الحب مستحيل .
قالت اقسم لي انك تجيب طلبتي . قال اقسمت لكِ . قالت اذا كنت
تشعر بشيء من الحب نحوي فانزعهُ من فؤادك قبل ان يتمكن فيهِ . قال
ولمَ . قالت لاني لا استطيع ان اقابل حبك بمثلهِ لاني احب سواك وقد
ظننت اني اقدر ان امحو حبهُ من قلبي وان احمل فؤادي على محبتك
والاقتران بك فوجدت ان ذلك فوق استطاعتي ولولا الوصيّة . . . قال اية
وصية . قالت ان اباك اخبرني ان ابي اوصاهُ وهو يجود بنفسهِ ان
يتخذني زوجةً لك . قال ولكن اباكِ اوصى على شرط ان يكون الحب بيننا
متبادَلاً والاّ فكلٌّ منا مخير في الاقتران بمن اراد . ولست اكتمكِ اني
انما جئت اليكِ الآن لأقف على ما في ضميركِ فان وجدتكِ تحبينني
وتميلين الى الاقتران بي فلا يسعني الا ان اكون عند ميلكِ ولو كان قلبي
يتمزق لوعةً بحب فتاةٍ اجنبية لم يمنعني من مطارحتها الغرام الا ظني انكِ
تنتظرين عودتي لاكون لكِ بعلاً . اما الآن وقد خلت الوصية من الشرط
الاساسي فما علينا الا ان يساعد احدنا الآخر على الوصول الى الشخص
الذي يهواهُ . فقولي لي ما اسم حبيبكِ واين مسكنهُ . قالت اسمهُ غونو
ولا اعلم اين مسكنهُ لانهُ اختفى عني منذ اربعة اشهر

فاضطرب غستاف اضطراباً شديداً وحاول ان يخفي ارتعاشهُ فشعرت
لينا بحركاته وقالت لهُ ما سبب اضطرابك ولماذا تأوّهت لما ذكرت لك اسم
غونو . قال لانهُ صديقي وعشير صباني وقد كنت عندهُ منذ ساعتين وهو
ملقىً على فراش الآلام يصارع المنية . فشهقت لينا شهقةً عظيمة وقالت وما

حدث لهُ . قال قد خفي مرضهُ على الاطباء ولهم الآن اربعة اشهر يعالجونهُ وهو لا يزداد الا نحولاً وسقاماً حتى عجزوا عن شفائهِ وقد سمعتهم اليوم يقولون انهُ لا يعيش الى المساء . . .

وقبل ان يتمّ غستاف العبارة سقطت لينا الى الارض مغشياً عليها فبادر اليها وانهضها واجلسها على مقعدٍ ورش ماءً على وجهها حتى استفاقت وعاد اليها رشادها فانتصبت واقفةً وقالت هلمَّ بنا نذهب اليهِ فانا دواؤهُ الشافي . قال لكن ماذا يقول الناس . قالت لا يهمني في الناس غير حبيبي فهيا بنا اليهِ ثم قادتهُ بيدهِ وخرجت من المنزل فركبا عربةً وسارا حتى وقفت بهما امام منزلٍ حقير منفرد فدخلاهُ واذا بالطبيب خارج وهو مقطب الوجه منزعج الخاطر فسألهُ غستاف عن عليلهِ فقال انهُ على وشك مفارقة الحياة . فصاحت لينا متوجعةً واسرعت الى غرفة العليل فوجدتهُ ملقىً على فراشهِ وهو كالخيال لشدة نحولهِ وكان يتمتم في ذهوله بالفاظٍ لم تفهم حبيبتهُ منها الا لفظة لينا . فدنت منهُ وقالت أفق يا غونو فان لينا حبيبتك قد اتت لتمرّضك . ففتح عينيهِ وحدّق بها وطفح على وجههِ نورٌ سماويٌّ ثم رفع اصبعهُ الى العلاء وقال « نلتقي هناك » واسلم الروح . فعظم الخطب على لينا وانحلّت ركبتاها وبلغ الحزن واليأس منها فسقطت على عنقه تقبلهُ وانطرحت على صدرهِ باكيةً متوجعة فجاء غستاف لكي ينهضها واذا هي جثةٌ لا روح فيها

م * ن . . .

التعريب

(تتمة ما سبق)

وقد قدَّمنا ان التعريب اكثر ما يقع في اسمآء الاجناس لانها موضع التفاوت بين اللغات على الغالب واليها ترجع تسمية كل مُحدَثٍ من المخترعات والمكتشفات على اختلاف ضروبها وهناك سلسلةٌ من المعاني لا تنتهي ولا يقف فيها الوضع عند حدّ وبخلافها الصفات فانها لا يقع فيها هذا التفاوت لشيوعها بين الموصوفات وصلاحيتها للنقل من موصوفٍ الى آخر ولو من طريق المجاز . وهذه الاسمآء على ضربين احدهما اسماء الجواهر المخلوقة بسيطةً كانت كالاكسيجين والفصفور والكربون او مركبةً كالزمرُّد والزاج والبترول ويتصل بها اسمآء انواع النبات والحيوان كالنارنج والنيلوفر والباشق والسقنقور مما لا مرادف لهُ عندنا . ويلحق بالقسمين الاخيرين ما اشبههما من اجناس المصنوعات مما يتميز بتركيبهِ كالسَمَنْت والسكنجبين او بهيئتهِ كالديباج والتفتة وهي اشهر ما في هذا الباب . وجميع هذه الاسمآء لا يتأتى نقلها على الغالب الا محكيةً بلفظها لانها اما ان تكون مرتجلةً اي لم يسبق استعمالها في معنىً آخر فلا سبيل الى تعريبها بالمرادف واما ان تكون شبيهةً بالمرتجلة وهي ما كانت مجهولة الاصل كالشمپانزي للحيوان المعروف او كانت منقولةً عن معنىً سابق الا ان لفظها لا يدلّ بنفسهِ على المعنى الذي نُقلت اليهِ وانما تعينت لهُ بالعُرف والاستعمال فاذا عُرّبت بمرادفها لم يُفهم منهُ المعنى المقصود بها الا بعد النصّ عليه . وبيان ذلك انك اذا

اخذت لفظ الفصفور مثلاً وجدتهُ مركباً من كلمتين معنى مجموعهما حامل النور ولا يخفى ان هذا اللفظ يصدق على كل مادةٍ مضيئة من المعادن وغيرها فتقييدهُ بالمادة المسماة بهِ ليس من مفاد اللفظ في شيء وانما هو مجرَّد تواطؤٍ واصطلاح . وكذا لفظ اليود فان معناهُ في الاصل البنفسجي سمي بذلك لان بخارهُ يضرب الى اللون البنفسجي وفي هذه التسمية من بُعد الدلالة ما لا يخفى لانها ليست من ماهية المسمى ولا من اعراضهِ . وربما جاء ما هو ابعد من ذلك كالبلاتين للمعدن المعروف فانهُ في الاصل مصغَّر بلاتا وهي الفضة بالاسبانيولية سموهُ بذلك لانهم ظنوهُ في اول الامر صنفاً من الفضة الدنيئة كما ظنهُ غيرهم صنفاً من الذهب فسماهُ بالذهب الابيض فلو عربناهُ بالفضة الصغرى او باللُجَين مثلاً لم يتأتَّ صرفهُ الى المقصود الا بعد اخراج هذين اللفظين عن معناهما الوضعي لان البلاتين ليس في شيء من الفضة وانما هو معدنٌ بحالهِ وقس على ذلك في اكثر هذه الاسماء

والضرب الثاني من اسماء الاجناس اسماء المصنوعات المختلفة من الادوات والاثاث والماعون وغير ذلك من اشياء الحضارة ومرافق العمران والآلات العلمية والصناعية وهذه واشباهها لا يتعيَّن ان يعرَّب اللفظ الموضوع لها بمرادفهِ ولكن يكفي ان يعبَّر عنها بما يدلّ عليها ولو من طريق العُرف لان هذه المذكورات انما تُصنَع لضروبٍ من الاغراض ويُتوخى بها وجوهٌ من الاستخدام فيُشتقّ لها لفظٌ يدلّ على معنىً من المعاني التي تُعتبر فيها او يستعار لها لفظٌ يجمع بينها وبينهُ علاقةٌ من علائق المجاز على

ما سنفصلهُ في موضعهِ ان شآء الله . وحينئذٍ فهذه المسميات كلها تُعتبر تسميتها من قبيل الوضع الابتدآئي سوآءٌ وافقت اللفظ الموضوع لها ام لم توافقهُ لان هذه الموافقة ليست شرطاً في صحة الاستعمال . ومن امثلة ذلك في المعرَّبات المصرية نحو المنطاد للبالون فانهُ أُخذ من معنى الارتفاع لصدقهِ عليهِ وان لم يطابق معنى اللفظ الاصلي . ومثلهُ الرقّاص للپندول والمأساة للتراجيدية والمِجهر للمكرسكوب والمِرقَب للتلسكوب والمسدَّس للرڤلڤير وغير ذلك . ونحو اللهاة لضربٍ من الصمام يُفتَح من احدى جهتيهِ ويُطبَق من الاخرى على التشبيه بلهاة الحيوان وهو معرَّب valve والضِلَع لما بين الخطين من خطوط الطول على الكرة تشبيهاً لهُ بضلع البطيخ ونحوهِ وهي الحُزّة منهُ لموافقتهِ لها في الشكل وهو معرَّب fuseau ومعناهُ المغزل ومأخذهُ عندهم على التشبيه ايضاً . وربما عُرّب الشيء بما يقاربهُ او بما يدخل تحتهُ لا بما هو نفسهُ نحو الجناح للبلكون وهو في الاصل نحو الرفّ يتصل بحائط البنآء وكالحُوذيّ بالضمّ لسائق خيل العربة معرَّب cocher وهو في الاصل الطارد المستحثّ على السير وكالمجلّة لهذه الكراريس التي تُصدَر في مواقيت مقدَّرة معرَّب revue وهي في الاصل الصحيفة فيها الحكمة وقيل كل كتابٍ عند العرب مجلّة وقس على كل ذلك

هذا في الاسمآء. واما الافعال فلا يجوز ان يعرَّب شيءٌ منها بلفظهِ لانهُ فضلاً عن ان للافعال عندنا ابنيةً مخصوصة لا توافقها الاوضاع الاعجمية فانها معرَّضة للتصريف والاشتقاق وانواع الزيادات ولكلها اوزانٌ وقوالب لا تخرج عنها بحال . وحينئذٍ فلا بدّ في الفعل المعرَّب من

تغييرٍ كثيرٍ حتى ينطبق على هذه الاحكام فضلاً عما يلزم احياناً من تبديل بعض مقاطعهِ على ما تقدم بحيث يتنكر لفظهُ جملةً ويعود كانهُ ضربٌ من الارتجال وفي ذلك من التداخل والفساد ما لا يخفى . وزيادةً على ذلك فان الافعال في العربية هي اصل اكثر الفاظها لانها لغةٌ اشتقاقية كما نبهنا عليهِ غير مرة فمنها اكثر اسماء الذوات والصفات بحيث انك لو اسقطت كل مشتقٍ في العربية لم يبقَ من اللغة الا اقلّ من العشر وحينئذٍ فكل فعلٍ أُدخل من اللغات الاعجمية دخل معهُ بالضرورة المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسما المكان والزمان واسم الآلة ان كان مما يُبنَى منهُ فضلاً عن المزيدات وتصاريفها فلزم ان يخالط اللغة بكل فعلٍ اجنبيّ سلسلة طويلة من الالفاظ بين افعالٍ واسماء فتنكرت اللغة وفسدت اوضاعها بكثرة الدخيل . ولذلك لا يمكن ان يُتسامح في الافعال بما يُتسامح بهِ في الاسماء لان جل ما يقع فيها من التصريف التثنية والجمع ولا يلزمها زيادةً على ذلك الا ان تكون اواخرها صالحةً للاعراب . ولهذا فانك اذا تفقدت الكلم المعرَّبة من عهد الجاهلية لم تكد تجد فيها فعلاً معرَّباً الا ما كان عن الحبشية او العبرية مثلاً وقد ذكروا من ذلك افعالاً وردت في القرآن منها قولهُ يا ارض ابلعي ماءَكِ قالوا بلع كلمة حبشية ومثلها غِيضَ من قولهِ غِيض الماء . ومنها قولهُ اخلد الى الارض قال السيوطي قال الواسطي اخلد الى الارض ركن بالعبرية وكذا الرمز من قولهِ لا تكلم الناس الا رمزاً قال الرمز تحريك الشفتين بالعبرية ايضاً مع ان اخلد لم يرد في العبرية اصلاً لكن ورد في السريانية حلد في

الارض (بالحآء المهملة وهي ترادف المعجمة عندنا) اسيے حفر وبحث كما يفعل الخلد ولا معنى هناك للركون وكذلك الرمز ليس في شيء من العبرية لكن جآء في السريانية بمعنى الاشارة باليد او بالعين . على ان توارد العربية واحدى اخواتها على لفظةٍ لا يتعين منهُ ان تكون اللفظة دخيلة في احداهنَّ لجواز ان تكون من الوضع المشترَك اللهمَّ الا ان يثبت ان العرب لم ينطقوا بهذه الالفاظ قبل ورودها في القرآن وهو مستبعد .

بلى لا يُنكَر وجود افعالٍ في كلامهم ليست من اوضاع العرب الا انها مشتقةٌ من اسمآء معرَّبة لا معرَّبةٌ عن افعال اعجمية والامثلة من هذا النوع كثيرة كقولهم زوَّق الشيء اذا حسَّنهُ وزينهُ مأخوذ من الزاووق وهو الزئبق قال في القاموس لانهُ يُجعَل مع الذهب فيُطلَى بهِ فيدخل النار فيطير الزاووق ويبقى الذهب ثم قيل لكل منقَّش ومزيَّن مزوَّق . وقولهم طعامٌ مقنود ومقنَّد اذا عُمِل بالقنْد والقنديد وهو عسل قصب السكَّر اذا جُمّد قال في القاموس وهو معرَّب كند . وقولهم سمسر سمسرةً من السمسار وهو المتوسط بين البائع والشاري . وقولهم جزَف وجازَف اذا اخذ الشيء بلا كيل ولا وزن وقد اجترف الشيء اذا اخذهُ كذلك كلهُ من الجُزاف معرَّب كزاف . وكذا قولهم تزندق الرجل وتمجَّس وتهوَّد وتلمذ لفلان وجوربهُ وتجورب وتطلس وسجَّل الحكم وطرَّز الثوب الى غير ذلك . ولكن كل هذه الافعال لم تُشتقّ من الاعجميّ الا بعد تعريبهِ وجريهِ على ألسنة العرب حتى صار كانهُ من اوضاعها وحينئذٍ صار تمجَّس مثلاً اي انتحل المجوسية بمنزلة تعرَّب وتمدد وطعامٌ مقنود

بمنزلة ممسول ومملوح وتجورب وتطلس بمنزلة تجلبب وتمنطق وهلمَّ جرًّا ٠ وبهذا تعلم ما في استعمال بعضهم لفظ المناورة في تعريب manœuvre وهو نوعٌ من المثاقفة ولم ترد المناورة في اللغة الا بمعنى المشاتمة وكأنها مشتقةٌ من النوَر ٠٠٠ واستعمال الآخر لفظ بتَن في تعريب to patent وهو ما اصطلح اهل العصر على تسميتهِ بالامتياز فقال بتَنَ فلانٌ اختراعهُ اي امتاز بهِ ثم ساق بقية تصاريف هذه الكلمة فقال بتنهُ يبتنهُ بتناً وهو باتن والاختراع مبتون وهلمَّ جرًّا وهي نهاية الفهاهة والجهل باحكام اللغة

ونقف عند هذا القدر في التعريب وهو كافٍ في مقام التبصرة وبقي من هذا البحث الكلام على المجاز والنحت وسنفرد لهما موضعاً في الاجزاء التالية ان شآء الله

وهذا جدولٌ اثبتنا فيهِ اشهر الالفاظ التي عرَّبها كتَّاب العصر مما حسن وقعهُ او اقرَّهُ الاستعمال نسوقها على ترتيب حروف المعجم[1]

* الأربة	Cravate	الباخرة	Bateau à vapeur
* الاستمهاد	Assurance	* الباثنة	Dot
الاستقطاب	Polarisation	البطّارية	Batterie
الاستمرار	Inertie	البطاقة	Carte
* الأُسرُب	Plombagine	البهو	Salon
الاشتراك	Abonnement	البؤرة	Foyer
* الأنبوبيات	Bacilles	* البيئة[2]	Milieu

(١) كل لفظة كان الى جانبها كوكب فهي من معرَّباتنا الخاصة (٢) راجع الطبيب ص٥

* التألق	Phosphorescence	السديم	Nébuleuse
* التبليد	Acclimatation	* السُفَع	Taches (du soleil)
الثِقاب	Allumette	* الشاري	Paratonnerre
الجريدة	Gazette	* الشبنزى	Chimpanzé
* الجناح	Balcon	* الشِحنة	Police
* الحاكي	Phonographe	* الشِمار	Armoiries
* الحساء	Soupe	* الشمرية	Brosse
* الحسَر [1]	Myopie	* الضلع [2]	Fuseau
* الحُوذيّ	Cocher	* الطارئة	Colonie
* الدُرّاجة	Bicyclette	* الطبرخي	Gutta-percha
* الدريئة	Écran	* الطلاء	Vernis
* الذُريرات	Microcoques	الطيف	Spectre
* الراجبيات	Bactéries	العدسية	Lentille
* الرَثية	Rhumatisme	الكبو	Nutation
الرَدهة	Salle	* الكِفاف	Cadre
الرصيف الكهربائي	Pile	* اللهاة	Valve
* الرعّاد [3]	Torpille	* اللولب	Vis
الرقاص	Pendule	* المأساة	Tragédie

(١) راجع الطبيب ص ٥٦ (٢) راجع البيان ص ١٩٨ (٣) راجع البيان ص ٣٨٧

* المتمعجات	Vibrions	* المصلَّد[1]	Imperméable
* المجلَّـة	Revue	المضخّة	Pompe
المِجهَر	Micrcscope	* المقصف	Buffet
* المحبب	Granit	* المِقصلة	Guillotine
المحترَق	Foyer	* المِنضحة	Douche
المِدفع	Canon	المنطاد	Ballon
المِرقب	Télescope	* النابض	Ressort
المسدَّس	Revolver	النسّاف	Dinamite
المِشجب	.Portemanteau	النُقاعيات	Infusoires

هذا ما حضرنا من هذه الالفاظ جمعناهُ على غير استقصآء وكان بودنا ان نعزو كل لفظةٍ الى معرّبها ولكنا لم نوفَّق الى معرفة ذلك الا في الفاظٍ قليلة منها ومأمولنا في ارباب المطالعات ان يتحفونا بما يقفون عليهِ مما فاتنا ذكرهُ لنثبتهُ فيما يجيء ان شآء الله وبالله التوفيق

جزيرة القديسة هيلانة

ليس في سكان المعمور من لم يقرع سمعهُ ذكر هذه الجزيرة الحقيرة بل الصخرة الموحشة المنفردة في اطراف الاتلنتيك بما اتصل بها من الحادث الشهير وهو نفي نابوليون الاول اليهـا في اوائل هذا القرن بعد وقوعهِ في قبضة الدولة الانكليزية على ما لا يجهلهُ احدٌ من تاريخهِ وقد تجدد ذكرها

(١) راجع الضيآء السنة الاولى ص ٥٢٣

في هذه الايام بحادثٍ آخر من مثلهِ وهو نفي القائد كرُنجي احد ابطال البوير اليها على يد الانكليز ايضاً فهي سجنهم الذي يتَّقون بهِ كرَّة عدوّهم فيحولون دونهُ ببعد المزار وامواج البحار ويتركونهُ عرضةً للمذلّة والصغار الى ان يقضي نحبهُ وحيداً كمَداً منقطعاً عن النصير والانيس

ولما كان كثيرٌ من القرآء لا يعلمون من امر هذه الجزيرة الا القليل رأينا ان نذكر شيئاً من صفتها وتاريخها وبيان موقعها من الارض فلخصنا عنها هذا الفصل المختصر على قدر ما يحتملهُ المقام



اما موقع هذه الجزيرة فهي مما يلي الشاطئ الغربيّ من افريقيا على ٦° و٩َ من طول باريز غرباً وبين ١٥° و١٦° من العرض الجنوبي وطولها نحو ١٧ كيلومتراً في عرض ١٠ . وهي جزيرةٌ صخريةٌ تبلغ حزونها البحرية في بعض الاماكن ٦٠٠ متر ارتفاعاً واعلى قممها قمة ديانا وهي ترتفع ٨٥٥ متراً عن مستوى البحر ويُرَى من هناك الجزيرة باسرها وما حولها من البحر

وفي هذه الجزيرة مدينة واحدة تسمى جمستون قائمة على الشاطئ الغربي منها على قارةٍ من الصخر مثلثة الشكل والى غربيّ المدينة الجبل المسمى بجبل السلَّم لان فيهِ سلماً مؤلفة من ٧٠٠ درجة يُرتقى فيها الى المصانع الحربية المشرفة في قمة هذا الصخر والى شرقيها تلٌّ يقال لهُ تل روبرت وعليهِ الطريق المؤدية الى المنزل الذي اعتُقل فيهِ نابوليون مدة وجودهِ في الجزيرة وهو الذي ترى صورتهُ وقد ابتاع هذا المنزل الامبراطور نابوليون الثالث سنة ١٨٥٨

اما تاريخ هذه الجزيرة فكان اكتشافها سنة ١٥٠٢ على يد ربانٍ من من البرتوغال يقال لهُ جوان دنوفا كان قد اضلّ سفينةً لهُ في تلك الناحية وكان اكتشافهُ لها في ١٨ اوغسطس من تلك السنة وهو يوم عيد القديسة هيلانة فسماها باسمها . ولما كانت سنة ١٥١٣ نفى اليها ألبوكركُ فاتح الهند الشرقية نفراً من عساكر البرتوغال كانوا قد فرّوا من الجند وفيهم جماعةٌ من العبيد فكانوا اول من استوطن تلك الجزيرة فاقاموا بالوادي الذي فيهِ اليوم مدينة جمستون وشرعوا في الحرث . وفي سنة ١٦١٠ دخلت الجزيرة في حوزة الهولنديين فلبثت في ايديهم الى سنة ١٦٥٠ ومذ ذاك دخلت في حوزة انكلترا . وبعد ذلك توارد اليها اناسٌ من الهولنديين والعبيد وفلاحي الصين وملقا فنشأت هناك سلالةٌ ممتزجة من عناصر شتى فيها جمالٌ وبأس اما جلودهم فسمراء الى السواد

وكانت هذه الجزيرة فيما سلف مرسىً للسفن الواردة من جهات الاتلنتيك والبحر الهندي فلما فُتح خليج السويس تحولت السفن اليهِ

فأُهملت ومذ ذاك اخذ اهلها يهاجرون الى نواحي الرأس فقلّ عديد سكانها وكانوا سنة ١٨٦١ نحو سبعة آلاف نفس فاصبحوا بعد عشرين سنة خمسة آلاف

واصل هذه الجزيرة جبلٌ ناريٌّ شخص في ذلك الموضع ولا تزال فوَّهتهُ ظاهرةً الى اليوم الا ان مواضع منها قد تفتتت وانهارت . وحولها جبالٌ مختلفة الارتفاع وصخورٌ ماثلة في الهوآء يبلغ ارتفاع بعضها من ٧٠ الى ٩٠ متراً وبعضها قد تشكل باشكالٍ غريبة ومنها اثنان يشبهان منظر انسانين قائمين سموا احدهما لوطاً والآخر امرأة لوط

واما هوآء الجزيرة ففي غاية الاعتدال وحرّ الصيف فيها لا يتجاوز حرّ انكلترا لكن يكثر فيها انتشار الضباب الرطب وهو الذي اضرّ كثيراً بصحة نابوليون . وكانت عند اكتشافها مكسوّةً بغابات عظيمة ولكن هذه الغابات انقرضت شيئاً فشيئاً بتسليط المواشي عليها حتى اصبحت اليوم خمسة اسداس الجزيرة ارضاً جردآء

وقد كان نفي نابوليون اليها سنة ١٨١٥ فلبث فيها الى ان توفي سنة ١٨٢١ وبقيت رمتهُ هناك الى سنة ١٨٤٠ حين نُقلت الى باريز ودُفنت في مدفنها المشهور تحت قبة الانفاليد حيث هي اليوم مزار الملوك والعظمآء والسيّاح من اقاصي الارض ولعلّ كرُنجي لا يخرج من هناك الا كما خرج نابوليون فقد كُتب لكليهما حظٌّ واحد

ومما يحسن ايرادهُ هنا قصيدةٌ ظفرنا بها من نظم حضرة الشاعر المجيد نقولا افندي الحدّاد وصف فيها اسر كرُنجي ونفيهُ وما كان منهُ

حين استقبلَ الجزيرة وتذكر أسر نابوليون فيها فتمثل لهُ طيفهُ مطلاً من اعلاها وكل ذلك من اختراع المخيلة ٠ والقصيدة طويلة تنيف على ثمانين بيتاً فاقتصرنا منها على الابيات الآتية قال في مطلعها

لا تسل اذ تلظّت الهيجآء ... حينما غصَّ بالجيوش الفضآء

حينما زلزل العجيج الروابي ... حين مادت باهلها الغبرآء

وتوالى من البنادق برقٌ ... أُشعلت من وميضهِ البطحآء

ودوى في الفضآء قصف رعودٍ ... زُلزلت من هزيمها الارجآء

وتعالى من الدخان غمامٌ ... فاكفهرّت خوفاً لذاك السمآء

وهمى منهُ للقنابل سيلٌ ... هو نارٌ فوق الثرى لا مآء

فيلقٌ إثرَ فيلقٍ يترامى ... يا لجيشٍ ضاقت بهِ البيدآء

انكليزٌ مثل البحار اندفاقاً ... وبُوَيرٌ هم صخرةٌ صمّآء

فرقةٌ بالعرمرمِ الجمّ تُرمى ... لم تُفِدْها شجاعةٌ ودهآء

صدّت الكثرة الشجاعةُ حيناً ... انما كان للثبات انقضآء

واخيراً غدا البوير محاطين ... بسورٍ جدرانهُ الاعدآء

حين امسى تهوُّراً كل إقدا ... مٍ ولم يبقَ في النجاة رجآء

فانقضت نوبة الجهاد وصارت ... باطّراحِ السلاح توقى الدمآء

ومنها يصف اشراف كرُنجي على الجزيرة وطيف نابوليون

اقبل الليل غاشياً مثل بحرٍ ... فوق بحرٍ لسترهِ ارخآء

بحرِ همٍّ على الاسير خلا فيـ ... ـهِ باوهامهِ فطال الخلآء

فرأى في الفضآء طيف خيالٍ ... قد كساهُ الجلال والخُيَلآء

طيف جبارٍ أُمتلا الافق منهُ ويمناهُ مُسَّت الجرباءُ
وكَرَملينُ قيصرٍ تحت رجليهِ واهرام الجيزة القسآءُ[1]
كلما ماد موطئا قدميهِ عضدتهُ بكفها الجوزآءُ
حولهُ للملوك تيجان عزٍّ ألبستها غبارها الهيجآءُ
وسيوفٌ هام المدى ثلّمتها وكستها لونَ العقيق الدماءُ
واكاليل الغار تزهو عليهِ لم ينلها مع التمادي العفآءُ
مشهدٌ هائلٌ لطَيفٍ جليلٍ زُلزلت منهُ الصخرة الصمّآءُ[2]
ينجلي كلما دنا الفلك منهُ وتزيد الجلالة الشمّآءُ

***

عِم مسآءً يا ذا الخيال المفدّى ليت كل الملوك عنك فدآءُ
لم تسع اوربّا علاك فأنّى تحتويها جزيرةٌ جرداءُ
كم عروشٍ تزعزعت تحت رجليـ ـك فلمِ لا يغوص هذا العرآءُ
أتهاب البحارُ منك انتهاراً ووقاراً يرتدُّ عنهُ المآءُ
ليت شعري هل حيث امسيت تاجٌ وسريرٌ وصولةٌ وبهآءُ
ومباني التويلري[3] باذخاتٍ جلست في صروحها العليآءُ
وقضآءٌ ودولةٌ وجنودٌ لك منها الاطاعة العميآءُ

---

(١) كرملين اسم قصر اسكندر الاول في موسكو وفي البيت تلميحٌ الى وصول نابوليون الى هذا القصر واهرام مصر مع ما بين الجهتين من بعد المسافة (٢) اشارة الى تزلزل الجزيرة يوم وفاة نابوليون (٣) اسم البلاط الامبراطوري في باريز

***

ايهاذا النزيل اهلاً وسهلاً لا يَرُعْكَ السكون والإدجاء
لك في الحيّ سلوةٌ وعزاء لك فيهِ تجلةٌ وسناء
لك معنا مقامُ مجدٍ سنيٍّ لك منا مودةٌ واحتفاء
ليس ذنباً جهادك الحق لكن اصبح الحق ما لهُ نصراء
سقطت دولة الضمير وولّت وتولّت مكانها الاهواء
لم تعد قوةٌ تؤيد حقّا فقضى الحقُّ للصحاب البقاء
طَمَعُ الناس في المنى قد تناهى ومآل الاطماع طبعاً عداء
فطغى الموسرون والاقوياءُ ومُني بالمظالم الضعفاء
لا يسؤك الهوان غدراً وظلماً لك من راحة الضمير جزاء
ولك القيد حليةٌ بك تزهو وبك السجن قد كساهُ البهاء
ترسف الاسد في القيود ولكن يُطلَق الكلبُ والظبا والشاءُ
لك في الكتب مِدحةٌ وثناءٌ ولذي الغدر سُبّةٌ وهجاء

***

قد كفاني نفيي لمنفاك اجراً فمقامي فيما اقمتَ علاءُ
ليَ من طيفك الجليل انيسٌ وبنجواك بهجةٌ وعزاءُ
ان سجناً فيهِ سُجنتَ زماناً ليَ صرحٌ ملاهُ منك السناءُ
والنسيم الذي تنفستَ منهُ لي حياةٌ بها يطيب البقاءُ
وضريحاً فيهِ ثويتَ نعيمٌ فيهِ أثوي حين الالهُ يشاءُ

تعريف الحسن

هو عنوان فصلٍ من مؤلفٍ جديد يعرّف بكتاب التجوى تأليف حضرة الاب العلامة الفاضل الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي موضوعهُ « الصناعة والعلم والدين » اودعهُ من المعاني الفلسفية في هذه الاغراض الثلاثة ما تستنير بمشكاته الاذهان وتحلى بدرر الفاظهِ الآذان وقد رأينا ان نطرف القرآء ببعض ما انتهى الينا من شذراتهِ الرائقة تعريفاً بما تضمنهُ هذا السفر الجليل قبل بروزهِ وتشويقاً لنفوس المطالعين الى الظفر بمخبآت كنوزهِ • والفصل المذكور من « باب الصناعة » اوردهُ في صدر مباحثها وافتتحهُ بابياتٍ من نظم صاحب هذه المجلة كانت قد نشرت في مجلة الاجيال المشهورة • وهذا نص الفصل قال اعزهُ الله

وقائلٍ صِفْ لنا ما الحسنُ قلتُ لهُ ... هذا الذي ليس للتعريف فيهِ يدُ

لا يجهل الحسنَ ما بين الورى احدٌ ... وليس يعلم منهم كنههُ احدُ

سرٌّ يلوح وراءَ الحِسّ مرتسماً ... في النفس وَهوَ عن الادراك منفردُ

لكن ترى العينُ منهُ شكلَ حاملهِ ... وانما حظها مما ترى الجسدُ

يا نفسِ ان الحسن لموضوعٌ عامّ تلهج بهِ ألسنة الخلق في كل أينٍ وآن • فكثيراً ما تسمعين في الهيئة الاجتماعية اصواتاً مرتفعة طوراً تسلب الحسن عن اشيآء وتارةً توجبهُ لاشيآء كأنها محيطة باصولهِ وفروعهِ ومبادئهِ ونتائجهِ • وترَين بين القوم واحداً متولهاً مشغوفاً لدى انعامهِ النظر في عجائب الطبيعة ومحاسنها • وآخر مرتاحاً مسروراً بخصال زيد المحبوبة ومشمئزًا نافراً من خلال عمرو المكروهة • وآخر حائراً مدهوشاً عند اذ يسرّح سوام الطرف في صرحٍ شاهق البنيان ويجيل قداح النظر في دميةٍ او صورةٍ شائقةٍ للعيان • وآخر مقشعرًا مستنكراً حين اذ

تطرق أُذنيه الحانٌ متدافعة ليست من الايقاع في شيء او اشعارٌ متوعرة اللفظ قلقة التركيب مستهجَنة الاساليب . وآخرَ مستبشراً اثناء استماعهِ خطبةً انيقة العبارة رقيقة المعنى رشيقة الاشارة دقيقة المبنى . وفي الجملة فلا ترَين احداً ايًّا كان من افراد الأُلفة البشرية الا يشعر بالحسن والقبح مميزاً بينهما في الخَلق والخُلق والصناعة قاطعاً بهما سلباً او ايجاباً كأنَّ الحسن حقيقةٌ صريحة لا خفاء فيها

بيد انكِ اذا سألتِ أُولي الذوق والذكاء من اولئك اللاهجين بالحسن عن اصلهِ وماهيتهِ ورسمهِ وحدّهِ يعودون أُحير من ضبّ بعضهم يتلعثم وبعضهم لا يحير جواباً كانهم بلسان الحال يقولون مقال القيصريّ[1] « الحسن شيءٌ يُدرَك بالذوق ولا يُوصَف » او يتمثَّلون بقول الشاعر[2]

شيءٌ بهِ فُتِنَ الورى وهو الذي　　يُدعى الجمالَ ولستُ ادري ما هوَا

واذا اتجهتِ الى الحكماء منذ عهد افلاطون الى هذا العصر وتصفحتِ مقالاتهم في الحسن الكثيرة العدد تُلفينهم في مباحثهم العويصة

---

(١) في شرحهِ تائية ابن الفارض . وورد في المثل السائر لابن الاثير ما نصهُ « شيئان لا نهاية لهما البيان والجمال »　(٢) روى شهاب الدين الحلبيّ في صناعة الترسل قول الشاعر على هذه الصورة

شيءٌ بهِ فتن الورى غيرُ الذي　　يدعى الجمال ولست ادري ما هوا

بناء على ان الجمال في البيان لا يدعى جمالاً وانما الجمال في الانسان والبنيان اما انا فعلى مذهب الفلاسفة القائلين بان الحسن اسم مشترك مشاع بين الفصاحة والصباحة يصدق على كل ما اعجب الناظر وخفّ على السمع وابهج الخاطر وامتزج بالطبع في الخَلق والخُلق والصناعة . ولذلك أوردتُ البيت في المتن كما أوردتُ وتطاولتُ على صاحبهِ وأوجبتُ ما نفى وعكستُ ما عكست ومن ذاق عرَف ومن طالع هذا الفصل أنصف

متضاربي الآرآء متبايني المذاهب معظمهم ولا سيما فلاسفة المانيا يخوضون نحو الغموض في مناحيهم المتناقضة المتفقة على القآء اصحابها والمتحلين لها في خضمّ الابهام وهوّة الارتياب

اذا تبينتِ ذلك فاعلمي ان الحسن لا يُحَدّ على الحقيقة حدًّا وافياً . وقد علّم القديس أوغسطينوس السبب في ذلك فقال ما مفادهُ « يمكن أن يُحَسّ بالحسن ويُميَّز ويُتصوَّر ولا يمكن ان تُوضَح ذاتهُ من حيث ان الجمال كالحق والخير انما هو الله عينهُ . ولما كان تعالى لا يمكن ان تُعرَف ماهيتهُ نتج ان الحسن لا يمكن ان تُعرَف حقيقتهُ » . وعليهِ فكل الحدود التي اتت بها الفلاسفة من قدمآء ومتأخرين هي ناقصة يدلّ أسدُّها على معناهُ النظريّ او على بعض خواصهِ او شروطهِ لا على حقيقتهِ وماهيتهِ . وهآءنذا اورد لكِ هنا حدود اشهر العلمآء الباحثين في الحسن وأخصّ اقوالهم الشارحة لهُ فاقول

قال افلاطون « الحسن ضيآء الحق[1] » . ووافقهُ على ذلك القديس اوغسطينوس ورأى بسامي نظرهِ ان الحسن قائمٌ « بالوحدة المقترنة بالتنوُّع » قال « ان الوحدة هي صورة الحسن وذاتهُ في كل جنس » وأخذ إخذها لامِناي فقال « الحسن في ذاتهِ انما هو مظهر الحق » وقال هاجل « الحسن اظهار التصوُّر حسياً » . وكأن هذا التعريف وتعريف جفْروَى

(١) بعض المحققين يعزون هذا التعريف الى افلاطون و بعضهم الى بلوتينوس و بعضهم الى القدّيس اوغسطينوس . وفي حكمي أن نسبتهُ الى افلاطون أصحّ من حيث ان لهُ عليهما فضل التقدم في البحث عن الحسن وهما نسجا على منواله في ذلك والله اعلم

واحد وهو « الحسن مجلى الغير المنظور في المنظور » . وقال شالِنج « هو غير المحدود في المحدود » وقال كَنْط « الحسن ما يُعجب الخيال دون ان يضادّ شرائع العقل »

وقال ابن سينا « جمال كل شيء وبهآؤهُ هو ان يكون على ما يجب لهُ » . وحذا حذوهُ الغزّالي حيث قال « كل شيء فجمالهُ وحسنهُ في أن يحضر كمالهُ اللائق بهِ الممكن لهُ . فاذا كان جميع كمالاتهِ الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فلهُ من الحسن والجمال بقدر ما حضر » . وقال وُلفْ ما مفادهُ « ما يُعجبنا يسمى حَسَناً وحسنهُ قائم بالكمال وهو يروقنا بقوّة ذلك الكمال المتّسم هو بهِ »

وعلّم الفيلسوف تبعاً لسقراط هذا المبدأ الجليل وهو « لا حَسَن الا ما كان خيّراً (١) » . ووافقهما عليه آبآء الكنيسة فقال القديس امبروسيوس « الجميل ما كان صالحاً » وكذا قال القديس ديونوسيوس واقليميس الاسكندريّ . وسأل نفسهُ القديس غريغوريوس النيصيّ قائلاً « ما الحسن » وعقّب مجيباً « ما كان من كل وجهٍ جيداً شهياً »

ولقد احسن شمس المدارس اذ قال « ان الجميل والخير متحدان بالذات لابتنآئهما على شيء واحد اسيء على الصورة ولهذا يوصف الخير بكونهِ جميلاً . ويقال جميل لِما يُعجب الناظر اليهِ فهو قائم بالتناسب المقتضَى » . وقال في محل آخر وما اجلّ قولهُ « يكون الشيء حَسَناً حين

---

(١) جآء في كتاب المقابسات لابي حيان التوحيدي ما نصهُ « كل خيرٍ حسن وليس كل حسن خيراً » . ولكن الحسَن حق الحُسن ينبغي لهُ أن يكون خيراً

اذ تتألق صورتهُ في خلال مادّةٍ كل اجزآئها متناسبة » . وقال السيّد بوسوِت « الحسن إنْ هو الا تناسبٌ او مساواةٌ او بالاحرى نوعٌ من الوحدة » وقال ايضاً « هو النظام المرئيّ » . وقال هتشازون وتباعهُ ما ملخصهُ « الحسن تصوُّرٌ تنشئهُ في انفسنا اشيآء والشيء اذا كان على الحقيقة حسَناً يكون ذا خيريّةٍ وصلاحٍ وحسنهُ قائمٌ بالمساواة والتنوّع . والاشيآء المتساوية كلما كانت اكثر تنوّعاً ازدادت جمالاً وسنوعاً . والاشيآء المتنوّعة كلما كانت اكثر مساواة ترقّت في مدارج الحسن والبهآء » . وقال مَرْمُنْتال قولاً شارحاً عامّاً سديداً وهو « الحَسَن كل ما يحوي في ذاتهِ ما يُولِدُ في العقل تصوُّرَ التناسب » .

وعلى الجملة فان الحسن انما هو الوحدة والحق والخير والكمال والنظام ساطعةً انوارُها ومشرقةً اضوآؤها بين مظاهر الوجود منوّرةً للعقل مخاطبةً القلب مسترقّةً الارادة مؤثّرةً في المصوّرة وسائر القوى الباطنة مدهشةً الانسان كلَّهُ وخاطفةً بَصَرَهُ وبصيرتهُ . يسمع وينظر فيُدرِك ويفهم فيحبّ ويعجب طائراً على اجنحة النجوى ناسياً نفسهُ في بحبوحة التأمل والانجذاب والتنعُّم . وهنا يجدر بي أن أورد لكِ ما اتى بهِ في هذا الصدد الخطيب الخطير الاب لاكُرْدار جاعلاً مقالهُ مقامَ ختامٍ لهذا الفصل وذريعةَ تخطٍّ الى الفصل التالي . قال « الجمال ظهورُ الوجود في النور والنظام والعظمة والجودة وهي صُوَرُ نورٍ ونظامٍ وعظمةٍ وجودةِ الله »

التلغراف الشمسي

ويسمى بالتلغراف البَصَري والاشعة المنعكسة وهو نوعٌ من التلغراف الهوآئي لا يُحتاج فيهِ الى سلك ولا بطاريات ولا غير ذلك من جهاز التلغراف الكهربآئي ولكن تستخدم فيهِ اشعة الشمس على طريقٍ مخصوص كما سنذكرهُ . وهذا التلغراف يؤثر استخدامهُ في المواقع الحربية لبعدهِ عن الخطر الذي يكون على التلغراف السلكي لأن الانبآء ترسل بهِ محمولةً على اشعة الشمس فتمرّ من فوق رؤوس العدوّ ولا يمكن ان يُعترَض مسيرها مهما بعدت المسافة بين فريقي المتخاطبين ومهما كان حال الطريق التي تجتازها

قيل واول ما استُعمل هذا النوع من التلغراف في حرب القريم استخدمهُ الروس في حصار سبستپول واقتبسهُ الانكليز عنهم الا انهم لم يعتمدوهُ في خدمة الجيش الا بعد ذلك بما ينيف على ثلاثين سنة اي سنة ١٨٨٥ في وقائع الهند ومذ ذاك اصبح من لوازم الجيش حتى كانت كل فرقةٍ في اوان الحرب تجهز بآلةٍ منهُ . وقد كان اول استخدامهم لهُ سنة ١٨٨٠ في حربهم الاولى في الترنسفال وذلك ان فرقةً صغيرة من الحرس الانكليزي كانت محصورةً في احدى القلاع وانقطعت السبل بينها وبين سائر الجيش فلما تضايقت عمد احد قوادها الى مرآةٍ ووجَّه الاشعة عنها الى ناحية المعسكر حتى اذا تنبهوا لهُ ورأى وميض مرآةٍ من ناحيتهم تناول قبعتهُ وجعل يقطع الاشعة على مثال الخطوط المستعملة في التلغراف السلكي

فقهموا اشارتهُ واجابوهُ بالاشارات نفسها ان النجدة ستكون عندهم عما قريب

اما صفة المرآة التي تستخدم لهذه الغاية فتكون عادةً مستديرة ويترك في وسطها دائرة صغيرة شفافة تعرَّى من المعدن ويجعل امامها ابرةٌ تشير الى الموضع الذي ترسل اليهِ الاشعة ينُظَر اليها من تلك الدائرة فتحكَم على الجهة المقصودة . ويكون تركيب المرآة بحيث يمكن ان تدار الى كل ناحية تبعاً لموضع الشمس واذا كانت الشمس الى ظهر المراسل استعان بمرآةٍ اخرى مركبةٍ معها تعكس الاشعة على المرآة الاولى ثم تنعكس عنها الى الجهة التي يريدها

ثم ان الاشعة المنعكسة تذهب في مسافاتٍ في غاية البعد وكلما كانت المرآة اوسع كان مرمى الاشعة ابعد حتى يروى ان الربان غلاسفرد الاميركاني ارسل الاشعة الى مسافة ١٨٣ ميلاً بمرآةٍ قطرها ٨ قراريط . على ان هذا انما هو في البلاد التي شمسها حارّة وسماؤها صافية فهي في مثل فرنسا وانكلترا لا تذهب اكثر من عشرين ميلاً لقلة صفاء الجوّ وضعف الاشعة الا في احوالٍ مستثناة

وقد استعان الانكليز بهذه الاشعة في حربهم الحالية مع البوير فاستمرّت الانباء متواصلةً بين الجيش والمحصورين في المدن اشهراً متوالية لايغيب عن احد الفريقين شيء من احوال الآخر . وفي الجملة فان التلغراف الشمسي الى اليوم افضل تلغراف يستعمل في المواقع الحربية ولايفضلهُ الا تلغراف مركوني اذا تم اختراعهُ وأُخرج من طور التجربة الى مقام الاستعمال

فوائد

ترصيع المعادن بالكهربائية — تؤخذ القطعة المراد ترصيعها ويُرسَم عليها ما يراد من نقش او كتابة بمذُوف ملح الرصاص والصمغ وبعد ان يُحكم الرسم ويحرَّر يُطلى ما حولهُ بالشمع او نحوهِ من المواد المانعة وتوضع القطعة في مغطس من مخفف الحامض الكبريتيك فينحلّ الصمغ ويعمل الحامض في المعدن فيحفرهُ ومتى صار الحفر في العمق الكافي تناط القطعة بطرف سلك آلة تلبيس وتغمس في المحلول المراد ترصيعها بهِ فضةً كان او ذهباً وتترَك هناك حتى يمتلئ المكان الغائر بالحفر وحينئذٍ يزال الشمع ويُصقَل ظاهر القطعة لازالة كل نتوء

ويمكن ان يجري العمل ايضاً على العكس اي ان يكون النقش نفسهُ بالشمع ونحوهِ ويُحفَر ما حولهُ ثم يُملأ على الطريقة نفسها

حفظ الزيت من الفساد — اذا كان الزيت طيباً وخيف ان يدخلهُ الفساد يكفي ان يُصبّ في كل زجاجةٍ منهُ مقدارٌ من الكحل (السبيرتو) على ٨٠ْ او ٩٠ْ بحيث يبلغ الكحل ٥ سنتيمترات فوق وجه الزيت ثم تُسدّ الآنية وتوضع قائمةً

اما اذا كان الزيت فاسداً واريد ازالة الفساد منهُ فوصف لهُ بعض اهل التجربة الطرائق الآتية·

(١) تؤخذ ١٠٠ جزء من الزيت ويضاف اليها ١٥٠ جزءًا من المآء على ٣٠ْ مذاباً فيهِ مقدارٌ من الملح على نسبة ١٢ او ١٣ ٪ ويحرَّك المزيج حتى يتخلل المآء جميع اجزآء الزيت ويعاد العمل الى ست مرات فيعود الزيت نقياً خالصاً

(٢) يضاف الى الزيت ١٠ ٪ من الكحل ويحرَّك تحريكاً متواصلاً مدة ساعات يترَك بينها فترات قليلة ثم يصفى ويعاد العمل ثلاث مرات . اما الكحل الذي يبقى بعد ذلك فيمكن ابقآؤهُ صالحًا للاستعمال بان يصفى كل مرةٍ على البوتاس

(٣) يستعمل في ذلك مكلس المغنيسيا بان يؤخذ منهُ ٥ اجزآء تُجعَل في ٨٠ جزءًا من الزيت ويحرَّك خمس او ست مرات في اليوم مدة ١٥ دقيقة وبعد خمسة او ستة ايام يصفى

صفة ملْغم لتغشية الجبس — يؤخذ ثلاثة مقادير متعادلة من القصدير والبزموت والزئبق ويذاب البزموت والقصدير معاً ومتى تم ذوبانهما يضاف اليهما الزئبق مع التحريك . وعند ارادة الاستعمال يسحق الملغم بشيء من آح البيض (الزلال) ثم يُمَدّ كما تُمَدّ الالوان

صفة حبر ختم — يوزن ٧٥ جزءًا من المآء و ٧ من الغليسرين و ٣ من شراب السكر و ١٥ من الانيلين ثم يجعل المآء والشراب والغليسرين على النار ومتى بدأ الغليان يضاف الانيلين ويحرَّك الى ان يذوب بتمامهِ

اسئلة واجوبتها

شفا عمرو — ما معنى الإيفة الواردة في كتب العهد القديم وكم تقديرها في عهدنا الحاضر ومن اي لغةٍ هي سعد حنا سعد

الجواب — الإيفة مكيالٌ للحبوب ونحوها اختلفوا في موسوعها والمحققون من المتأخرين على انها تسع نحو ٣٨،٨٨ لتراً واصل الكلمة اشورية وقيل مصرية وهو الاكثر . ويستفاد مما جآء في نبوءة حزقيال (٤٥ : ١١) ان الايفة والبثّ واحد وكلاهما يسع عُشر الحُمَر الا ان الايفة في الجوامد والبثّ في السوائل

الدقهلية — وقفت في شرح اطواق الذهب للعلامة الزمخشري على خطبة بليغة لسحبان وائل الذي يضرب بفصاحتهِ المثل فهل رُوي لهُ غير هذه الخطبة وهل لهُ مؤلفات يمكن الوصول اليها حنا يوسف منصور

بمركز الدقهلية

الجواب — لم نقف لهُ على شيء غير الخطبة التي اشرتم اليها واما هل لهُ مؤلفات فان الرجل كان بدوياً امياً وكانت اقوالهُ تُتناقل على الالسنة كسائر كلام البدو نثراً كان او نظماً

القاهرة — ارجو الجواب على هذين السؤالين

(١) اصطلح النصارى في كتبهم ان يقولوا « الروح القدس » بجعل القدس نعتاً للروح مع ان الذي نراهُ في كتب العرب « روح القدس » بالاضافة لان القدس مصدر فكيف ذلك

(٢) جاء في ضيائكم المنير في الكلام على علوم العرب (ص ٦٧٦) ذكر علم يسمَّى « علم الاكتاف » فما المراد بهذا العلم وما موضوعهُ

عبده داود

الجواب — اما الروح القدس فالظاهر انهم عدلوا فيهِ الى النعت للتمييز بينهُ وبين روح القدس المراد بهِ جبريل عند المسلمين فاخرجوهُ مخرج الرجل العدل والشاهد المَقنَع ونحو ذلك مما نُعت فيهِ بالمصدر

واما علم الاكتاف فقال في كشف الظنون « هو علمٌ باحث عن الخطوط والاشكال التي تُرى في اكتاف الضأن اذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على احوال العالم الاكبر من الحروب والخصب والجدب وقلما يُستدَلّ بها على الاحوال الجزئية لانسانٍ معين . يؤخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمهِ ويُلقى على الارض اولاً ثم يُنظَر بهِ فيستدَلّ باحوالهِ من الصفاء والكدر والحمرة والخضرة على الاحوال الجارية في العالم وتُنسب اطرافهُ الاربعة الى جهات العالم ويُحكَم بذلك على كل صقعٍ منها باحوالٍ متعلقة بها » . اه

— ه —

رومية — ارجو من فضلكم الاجابة على ما يأتي

(١) كثيراً ما نرى المثابة تستعمل بمعنى مكان غير اننا لم نعثر على

هذا المعنى في كتب اللغة فما الوجه في هذا الاستعمال

(٢) ما معنى هذين البيتين الواردين في الضياء (السنة الاولى صفحة ٥٢٨) خطاباً للشمس

انتِ الحبيبة للسارين ضلّ بهم　　وخد المهارى وقد مالوا بأكوارِ
يرون منكِ سبيل الامن واضحةً　　وقد حماها زئير الضيغم الضاري

الشماس برزدوس غصن
تلميذ مدرسة اليونان برومية

الجواب — المثابة في الاصل الموضع الذي يُثاب اليهِ اي يُرجع اليهِ مرةً بعد اخرى ثم أُطلقت على المنزل والمجتمع واستعملها المولدون بمعنى المنزلة توسعاً على حد استعمال المنزلة نفسها يقولون هذا بمثابة ذاك كما يقال هو بمنزلتهِ

واما معنى البيتين فهو ان الشاعر يصف الشمس بانها محبوبة يشتاقها السارون اي المسافرون ليلاً اذا ضلَّت بهم المهارى اي الابل المهريّة وهي المنسوبة الى مَهْرة بن حيدان قومٍ من العرب كانوا يحسنون القيام على الابل . والوخد السير السريع . والأكوار الرحال . ومعنى ميلهم بالأكوار نَوَدانهم بالنعاس اذا طال عليهم السرى . ثم يقول ان هؤلاء السارين يرون سبيل الامن واضحةً امامهم لا خوف على السالك فيها لو كانت الشمس طالعةً ولكنهم لا يستطيعون سلوكها خوفاً على انفسهم من السباع لانها تنتشر عادةً في الليل فتحميها عليهم

فكاهات

وقفنا على الموشح الآتي من نظم حضرة الاديب المتفنن ميشيل افندي مرشاق وهو موشحٌ مبتكر جمع فيهِ بين الحماسة والنسيب وجعل غرضهُ التنويه بما اشتهر عن نسآء البوير من الحمية والشجاعة والاستبسال في سبيل الدفاع عن الوطن فأحببنا نشرهُ لما فيهِ من الفكاهة والحثّ على الاقدام والوفآء مع ما حُلّي بهِ رشاقة النظم وجودة السبك وهو هذا

في جنوبي افريقيا

هجم الليلُ بجيشٍ ظافرِ يقتفي إثرَ النهار الدابرِ
غاشياً اربُعَ حيٍّ داثرِ ليس فيهِ من صفآء الغابرِ
غيرُ روعٍ وانين الحزَنِ

عسكرَ الليل بهاتيك البطاح فكسا انحآءها داجي الوشاح
واستتبَّ الصمت في تلك النواح واستراح القوم لكن للصباح
وغدا الكل غريقَ الوَسَنِ

بعضهم في راحةٍ من ذا الرقاد وفريقٌ في فراشٍ من قتاد
يحلم الكلُّ بانَّ النصر ساد وبنيهم ظفروا بعد الجهاد
فتردَّوا حلَّة الفوز السَني

تلك احلامٌ يلاشيها النهار كدخانٍ او بخارٍ او غبار
كم تمنّي النفسَ آمالٌ كبار في منامٍ فاذا ما النجمُ غار
سَحَراً ولَّت كأَن لم تكنِ

***

خرجت ذاتُ خباً من خدرها دُميةٌ قد بلغت من عمرها
عمرَ بدرٍ من خفايا امرها سرُّ حبٍّ كامنٍ في صدرها
راح يبديهِ نحولُ البدنِ

غادةٌ طالت ليالي شعرها فبدا زاهي الضحى من نحرها
اعدتِ الصبَّ ضنىً من خصرها لو حبتهُ رشفةً من ثغرها
نال بُرْءَ السقم بالشهد الجني

وتلالا البدرُ من بين الغمام فتوارى الليل وانجاب الظلام
وبدت للعين آثارُ السقام في فتىً صيرهُ فرطُ الغرام
هائماً ما بين تلك الدمنِ

مغرمٌ صبٌّ شديدُ الولَعِ قد قضى ليلَ السليم الموجعِ
واقفاً يسألُ ربعاً لا يعي هاتفاً يا ربعِ هل من مرجعِ
لصفا عيشٍ بمغناك هنِي

فبدت غادتهُ عن كثبِ مثل شمسٍ برزت من حجبِ
فاعترى العاشقَ فرطُ الطربِ وتراءى الحقّ مثل الكذبِ
فمشى يسرعُ حيناً ويَني

***

والتقى الِخلّانِ وامتدَّ العتاب بعد هجرٍ لجَّ في طول غياب
وخلا الجوُّ وصفو الحبّ طاب حيث لا عذلٌ ولا ثمَّ حجاب
لهما غير حجاب الأغصُنِ

ورنت تنظرُ في ذاك القوام وهي قد مال بها سكرُ الغرام
فاستبانت تحت استار الظلام رمح قدٍّ وعلى الرمح حسام
قد تدلّى فوق درعٍ خَشِنِ

اجفلت فوراً وقالت عجبي ذا جديدٌ قال ذا الأجدَرُ بي
انتِ في قلبي وذا في منكبي ولقد اعددتهُ للنوَبِ
قالت البين الذي يحزنني

فاستكان الصبُّ حتى استعبرا جزعاً خوف النوى ثم انبرى
فدنا مستعطفاً معتذرا قائلاً صبراً على ما قُدِّرا
انني عن مقصدي لا انثني

فاجابت كيف للحرب تسير أوَلا تحنو على قلبي الكسير
انت في روض الصبا غضٌّ نضير انت كالغصن وكالظبي الغرير
فدعِ السيف ولبس الجوشنِ

فتلظى عند ذا الصبُّ وقال ان هذا الغصن رمحٌ في القتال
ومتى امتدَّ الوغى والطعن طال تعلمي ان نسا الإِترنسفال
ارضعتني مجدها في اللبنِ

عشتُ فيها ولذا عنها اذود في مثار النقع ما بين البنود
دافعاً عن حوضها كل وَرُود مُقسِماً في حربها ان لا اعود
دون ردّ الطامع الممتهنِ

غرَّ اعدانا غرورُ الذهبِ وغرورُ المال اصل العطبِ
فأتونا من وراء الحجبِ طمعاً فيهِ فيا للعجبِ
من تمادي الطامع المفتتنِ

فسعت اقدامهم نحو الردى والتقت منا العدى تبغي المدى
وتبدى الحقد والموت بدا خاطفاً من كل جيشٍ عددا
ضاحكاً منا ومن ذي السننِ

بفعالٍ روّعت قلب العباد وحروبٍ تسلب المرء الرشاد
نشتري المجد وتحرير البلاد حيث تبقى مثلاً في كلّ ناد
وهي تربو فوق هذا الثمنِ

فدعي قلبي بكفيكِ اسير ودعيني لوغى الحرب اسير
فرأت غادتنا أن لا نصير غير فكرٍ جاء من اقصى الضمير
فتلت ذا وحدهُ ينصفني

وانقضى الليل وقد حمَّ الفراق وانتهى ضمٌّ ولثمٌ واعتناق
فمضى والقلب منهُ باحتراق وهي من ذا بعذابٍ لا يُطاق
هتفت يا مهجتي لا تنسني

وقفت ترمقهُ رمق الظبا وهو يمشي سائراً بين الربى
وانثنت مسرعةً نحو الخبا ثم قالت سار والقلبَ سبي
لو تشبهتُ بهِ ما ضرّني

***

يومَ وبلٍ فيهِ هطل الغيث طال وعلى صُمّ الصفا فوق الجبال
هجم الجيشان واشتدّ القتال وهناك التحمت اسد الرجال
والردى رفرف فوق القُنَنِ
كان ذياك الفتى في المممةْ والى جانبهِ في الموقعهْ
فارسٌ يكتم وجهاً قنّعَهْ وهو يحمي تِربهُ ان تصرعَهْ
غِيلةً ايدي صروف الزمنِ
والحّ الحرب واشتدّ الوغى وبدا من هولهِ ما روّعا
فأقاما ثم بعدُ اندفعا وانتهى الإقدام حتى صُرعا
ثم راحا بين ايدي الحُصُنِ

***

عسعس الليل وخفّ الاضطراب من صليل السيف مع وقع الحراب
وتوارى السيف في طيّ القراب بعد ان قد كان مثواهُ الرقاب
واستراح الكلُّ بعد الوهَنِ
إثرَ طعنٍ قد جرت منهُ الدماء بين هاتيك الروابي جريَ ماء
وغبارٍ جاز آفاق السماء كنفوسٍ قد تسامت للعلاء
تشتكي لله مما قد جُني

* * * * * * * *

حشرجت روح الفتى في صدرهِ وعلى صوتٍ صحا من سكرهِ
فأجال الصوتَ ذا في فكرهِ غير أن قد عاقهُ عن خُبرهِ
غشيةٌ من دونها الحِسُّ فني

كان ذا الصوت انين الفارسِ اذ دنا زحفاً بقلبٍ يائسِ
واتى يبسط كفَّ اللامسِ آملاً توديع جسمٍ دارسِ
من حبيبٍ بالردى مرتهَنِ

ثاب رشد الشاب اذ ذاك اليه واذا جسمٌ ثوى بين يديه
ولدى إلقآء عينيهِ عليه صاح والموت بدا من شفتيه
صدقت فيما وَعَتْهُ أُذُني

كانت الغادةُ ذياك الشجاع برزت للحرب يخفيها القناع
بحياةٍ وقفتها للدفاع عن فتىً في حبهِ الروح تباع
ما لها غير الوفا من ثمنِ

ثم قالا قبل ان حُمَّ الفراق فلنمت لكن لذياك التلاق
اسلما الروحَ بُعيد الاعتناق واستراحا من عنآء ومَشاق
في وجودٍ مفعَمٍ بالِمحَنِ

وقف المجدُ على تلك العظام هاتفاً من فوق هاتيك الإكام
كل من يحيون ما بين الانام فليعيشوا هكذا عيش الكرام
وليموتوا في سبيل الوطنِ

الصين

(تتمة ما سبق)

وللامبراطور في الصين السلطان المطلق حتى في شرائع المملكة يلغي منها ما يشاء ويسنّ ما يشاء . والصينيون يعظمونهُ الى حدٍّ لا ينحطّ عن مقام العبادة ومن خالفهُ منهم فهو الذنب الذي لا تسعهُ مغفرة ولا تُقبَل فيهِ شفاعة . وهو لا يخرج من بلاطهِ الا في النادر واذا خرج كان محفوفاً باعظم مظاهر الجلالة والأُبَّهة وحيثما مرّ خرّ الناس لهُ سُجَّداً . ولهُ مجلس شُورَى ينعقد من الوزراء ويتولى الاحكام القضائية في المملكة سبع محاكم منها محكمةٌ مخصوصة بأُسرة الامبراطور وسائر امراء السلالة ونصف رجال المحاكم من الصينيين والنصف الآخر من المنشوريين

واهل الصين ينقسمون الى سبع رُتَب وهي الولاة والجند والعلماء والكهنة والفلاحون والصناع والتجار وللولاة عندهم مهابة عظيمة حتى انهُ لا يكلمهم احدٌ الا وهو ساجد ولا يخرجون الا في المواكب الحافلة ومتى خرجوا تنحَّى لهم الناس ووقفوا وهم باسطون ايديهم حتى يجوزوا . والولاة رتبٌ يتميز بعضها من بعض بالملابس وليس لاحدٍ ان يزين ملابسهُ بالذهب سواهم واكابرهم يمتازون بقلائد يجعلونها في اعناقهم . ومن علامات الشرف عندهم ريشة طاووس يجعلونها في كُمهم ولا يهبها الا الامبراطور تُعطى من يدهِ

والمنتخَبون لمقام الولاية لا يكونون الا من العلماء . واما سائر الوظائف

فيمكن ان ينالها كل دارس بشرط ان يكون من اصحاب الاجازات ولذلك لا تكاد مدينةٌ عندهم ولا قريةٌ تخلو من المدارس وكلها تقام على نفقة الرعية لان الحكومة لا تمدّ الا مدارس العاصمة التي يدرس فيها ابناء كبرآء الدولة واما اغنيآء البلد فيستحضرون مؤدّبين لاولادهم الى منازلهم · وهم يشرعون في تلقين الاولاد معرفة الحروف منذ السنة الخامسة ولهم عنايةٌ بالغة بتجويد الخط لان التقارير التي ترفع الى المقامات العالية ينبغي ان تكون محكمة الرسم نقية الرقمة وكتابتهم باقلام يتخذونها من وَبَر الارانب على مقبضٍ من الخيزران ويُمسك القلم عمودياً فوق الصحيفة بحيث تتحرك الاصابع وحدها وفي هذا من الصعوبة ما لا يسهل الا بالمادة · ومتى ختم الطلبة دروسهم يرسلون للامتحان في احدى المدن من الرتبة الثالثة فان افلحوا اعيد امتحانهم في مدينةٍ اخرى من الرتبة الثانية اي في عاصمة احدى الولايات ثم في باكين عاصمة المملكة وهناك تُعطَى لهم رتبة تسين-سي وهي بمنزلة دكتور

اما العلوم في الصين فمعظمها يدور على العلوم الادبية ولهم دواوين شعرية وروايات قَصَصية وتمثيلية ومن مشاهير شعرآئهم الامبراطور كَنْغ هي والامبراطور كيان لُنغ وكان هذا الثاني شديد الكلف بالشعر حتى انهُ جمع نُخَباً منهُ شرع في طبعها سنة ١٧٧٢ بلغ المطبوع منها سنة ١٨١٨ ما ينيف على سبعة وثمانين الف مجلد · وعندهم كثيرٌ من الكتب الادبية والفلسفية اشهرها مصنفات كنفوشيوس ومنشيوس وفلاسفةٍ آخرين وقد ترجمت هذه الى اللاتينية وبعض لغات اوربا الحديثة · ولهم مؤلفات واسعة في الجغرافية

ولا سيما جغرافية البلاد الآسوية من الصين واليابان وتُبَّت وتركستان وسائر بلاد آسيا العليا ولكلها خرائط محكمة عنها اخذ اهل اوربا في الاعصر المتوسطة ما نقص في خرائطهم من رسوم بعض البلاد الآسوية وجزائر المحيط . وهذه المؤلفات تشتمل على كل ما يتعلق بالمملكة من وصف الامكنة والمياه والابنية والآثار والغرائب الطبيعية والصناعات المختلفة والمتاجر والمزروعات والاحكام والتواريخ والتراجم وغيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠ مجلداً ضخماً

ومن العلوم التي صنفوا فيها المواليد الثلاثة والطب والبيطرة والفلاحة والفنون الحربية والموسيقى ولهم موسوعات علوم مؤلفة من مئتي مجلد . وعندهم ميلٌ شديد الى علم الهيئة الا انهم قلما ادركوا منهُ ولهم ندوةٌ فلكية قديمة يجتمعون فيها لكن اعمالهم لا تتعدى وضع تقويم سنوي يتولى عملهُ قومٌ من الاجانب ولابدّ فيهِ من الاشارة الى ايام السعد والنحس وهذا القسم منهُ موكولٌ الى اناسٍ من الصينيين . وهم يجهلون حساب الكسوف والخسوف ولذلك فانهُ عند وقوع حادثٍ منهما يكون لهُ في بلادهم روعٌ عظيم فيلبسون السواد وينقطعون عن الاعمال

اما علم الكيميآء فمع انهُ غير منزَّلٍ عندهم منزلة احد العلوم فقد اصطلحوا على اشيآء توصلوا اليها بالتجربة منها انهم يُصفّون المآء الكدِر الذي يأخذونهُ من النهر بحيث يمكن ان يُشرَب على الفور وذلك بأن يخوضوهُ بانبوبٍ اجوف من الخيزران يجعلون فيهِ قطعةً من الشب . ومنها انهم يستخرجون دهن كل نوعٍ من المواد ويجهّزون الاصباغ الانيقة

ويدوفونها ويلوّنون بها الحرير والقطن والورق وغيرها . ولهم خبرةٌ وافية بسبك الحديد يصنعون منهُ آنية رقيقة خفيفة ويغشونها بالطلآء وقايةً لها من الكسر ويصنعون ايضاً الشَبَه ويفرغون منهُ تماثيل . ومعلومٌ ان صناعة البارود عندهم قديمة من قبل التاريخ الميلادي الا ان بارودهم رديء وصنعتهُ شائعةٌ يعرفها كل احد بل من فروض الجند عندهم ان كل جنديٍّ يتولى صنع البارود الذي يلزمهُ بيدهِ

واما صناعة الزجاج فهي عندهم منذ القرن السادس للميلاد وقد توصلوا الى ان يلبّسوا صفائح الزجاج طبقةً من الفضة ويستعملونها احياناً مرآئي لانهم عادةً يستعملون الوذائل وهي المرآئي المعدنية يتخذونها على الغالب من مزيج النحاس والزنك . وقد انتهت اليهم مرةً ساعةٌ من صنع اوربا فصنعوا مثلها فجآءت محكمة الصنعة فهم على الجملة اذكيآء العقول سريعو الادراك مليُّون بالصنائع الدقيقة

اما الصنائع الحِيَلية اي الميكانيكية التي اشتهر بها اهل الصين وبلغوا منتهى البراعة فيها فهي صناعة خرط العاج وصدف الدرّ ولهم من هذه الصناعة المراوح المشهورة والشكائك الكبيرة والحِقاق المزخرفة وتماثيل الهياكل واشباهها وغير ذلك من الطُرَف اللطيفة البديعة النقش مع رخص اثمانها

ولهم في الخيزران صناعةٌ واسعة فانهم يتخذون منهُ كراسيَّهم وموائدهم واسرّتهم واشرعة مراكبهم وصواريها وقلوسها ويصنعون منهُ العربات وآلات رفع المآء وغيرها ويتخذون منهُ عجينةً يصنعونها ورقاً للكتابة وفي الجملة فهو

عندهم انفع من تقاريق العصا

وهم يصنعون الورق من عصافة الرزّ وغيرهِ من الحبوب ومن قشر التوت والقطن والقنّب والقُرّاص وانواع أُخر من النبات وقد يكون الطبق منهُ كبيراً حتى يكفي لأن يغشّى بهِ جدار غرفةٍ متوسطة وورق الكتابة الذي يصنعونهُ يكون مصقولاً كالرقّ

وقد عُرفت صناعة الطبع عندهم منذ القرن العاشر للميلاد وهم يتخذون لهُ صفائح من الخشب يحفرونها ولا يستخدمون الحروف المتقطعة الا للجرائد او للكتب التي لا قيمة لها ولهم حبرٌ خاصٌ للطبع . ومن عادتهم ان من طبع كتاباً يضع عليهِ خاتمهُ وهو يكون عادةً مربع الشكل عليهِ كتابةٌ بالقلم القديم والحبر الذي يختم بهِ يكون على الغالب احمر ويحفر عليهِ اسم صاحب الكتاب او فقرةٌ حكمية

اما الموسيقى فقديمةٌ في الصين يستعملونها في جميع الاحتفالات وليس عندهم ارقامٌ موسيقية ولكنهم يدلون على اسماء النغم والدواوين بحروف هجائية على ان هذه الطريقة انما ارشدهم اليها احد المرسلين

ولهم المامٌ بالتصوير فانهم يصورون الازهار والشجر والمنازل والسفن وغير ذلك من المناظر تصويراً حسناً ولكنهم لا يدركون تمثيل القرب والبعد ولا يحسنون رسم الوجوه ولا اظهار المجسمات وهو خلاف ما قرّرهُ عنهم ابن بطوطة . ولهم يدٌ في صنع التماثيل من الخشب والحجر ولكنهم يسيئون نِصبة الانسان والحيوان وصناعتهم الهندسية في منتهى البساطة

اما الطب فلا مدرسة لهُ عندهم يُتلقى فيها ولكن من اراد تعلُّم هذه

الصناعة لزم احد الاطباء فيعلمهُ اصولها واسرارها وكل علم الطبيب عندهم ان يدرس حركة النبض . واما التشريح فلا اثر لهُ عندهم لانهُ محرَّم عليهم ديناً واكثر علاجهم بغلايات العقاقير والمنعشات والحِمْية وعوض الفصد يستخرجون الدم من ظاهر الجلد بان يفركوهُ بقطعةٍ من النحاس فركاً شديداً وقد يغرزون ابراً في مواضع من البدن فيكون الشأن في معرفة المواضع التي تغرز فيها وكيفية اخراجها

اما ديانة الصينيين فانهم يقولون بمبدأين احدهما للخير والآخر للشرّ وان هذين المبدأين اتحدا فتولدت عنهما الكائنات وكان اول حيٍّ خرج من العدم پان كو وهو ابو البشر وكان نصفهُ على شكل الانسان والنصف الآخر على خلقة البهيمة ولبثت سلائلهُ كذلك ادهاراً متطاولة وكانت تتطور شيئاً فشيئاً بتدريج الطبيعة حتى بلغت ما هي عليهِ اليوم من كمال الخلقة والعقل

واقام الصينيون دهراً مديداً يعبدون الهاً واحداً وهو الناشئ عن اتحاد المبدأين ويسمونهُ شُنغ تي ثم حدثت عندهم عبادة الارواح وتطرقوا منها الى عبادة الاوثان فاكثروا من المعبودات من كل نوع وألَّهوا المشاهير من اسلافهم . وفي اوائل القرن الخامس قبل الميلاد ظهر لوشيوس فنقح شيئاً من عقائدهم ووضع لهم شرائع وعبادات لكنهُ اقرّ عبادة الارواح والعظماء . وهو من جملة من ألَّهوهُ بعد موتهِ ويقولون انهُ وُجد قبل خلق السماء والارض وانهُ تقمص شكل البشر واستحال عدة مرات وهو عندهم مثال العقل الاعلى . اما مولدهُ فكان سنة ٦٠٤ قبل الميلاد وفي كتبهم ان

امهُ حبلت بهِ احدى وثمانين سنةً ووُلد وقد ابيضّ شعرهُ ولذلك سمي لوشيوس (لاو تسو) اي الطفل الاشيب . ولهُ كتابٌ يسمى توتكين هو مستودَع جميع حكمتهِ وهو يبحث عن اصل الكائنات ومصيرها ويردّها باسرها الى علةٍ اولى وفي كلامهِ مواضع تدلّ على انهُ كان يذهب الى التثليث

وجآء بعدهُ كنفوشيوس وكان مولدهُ سنة ٥٥١ قبل الميلاد ونسبهُ ينتهي الى الامبراطور هُنغ تي ولم يكن من مذهبهِ البحث عما وراء الطبيعة ولا الفلسفة على علل الاشيآء وطبائعها ولم يكد يجيء في كتبهِ شيءٌ عن صفة الله ولا النفس ولكن كل كلامهِ كان مقصوراً على وصف السيرة التي يجب ان يكون الانسان عليها في الحياة الدنيا وما يتعين عليهِ اكتسابهُ من العلم والفضائل اقتدآء بالسلف واستناناً بسنة من تقدم من حكمآئهم وملوكهم وهو الامر الذي تقرب بهِ من قلوب الصينيين فمالوا اليهِ بكليتهم وما برح ملوكهم ينزّلون انفسهم منزلة تلاميذ لهُ وبمذهبهِ تمذهب العلمآء وتبعهم السواد الاكبر من العامة حتى غلب على مذهب لوشيوس فكانت بين اتباع المذهبين مناصباتٌ طويلة تمكن في اثنآئها اصحاب لوشيوس من اغراء الامبراطور شي هُنغ تي فنكّل باصحاب كنفوشيوس واحرق كتبهم ولم يسلم منها الا كتابٌ واحد هو مرجع اتباعهِ الى اليوم

ثم انهُ في اواسط القرن الاول للميلاد طرأ على البلاد الدين البوذي من ناحية الهند فدخل الناس فيهِ افواجاً وتكاثر دعاتهُ واتباعهُ بحيث انهُ لم يدخل القرن الثالث حتى عمّ اكثر بلاد الصين . وكان سببهُ فيما ذكروا انهُ جآء في بعض كلام كنفوشيوس حديثاً عن نفسهِ انهُ انما أُرسل ليكون

ممهداً لزعيمٍ كبير سيأتي من ناحية المغرب فلما كان التاريخ المذكور جهز الامبراطور منغ تي سفناً وامرها ان تتوجه غرباً تبحث عن هذا الزعيم فذهبت مسافةً طويلة في البحر حتى انتهت الى احدى جزائر الهند فارست عندها ووجدت فيها تمثالاً لبوذا فحملتهُ الى الصين وكان ذلك سنة ٦٥ للميلاد ومذ ذاك انتشرت عبادة بوذا وعُرف عندهم باسم فُوا والمذهب مشهور فلا حاجة الى الاطالة بهِ . ومع انتشار هذا المذهب اليوم وعمومهِ فان عبادة السماء وكنفوشيوس لم تبرح شائعةً في المملكة لانها مذهب الامبراطور وخاصتهِ غير ان هؤلاء كلهم انما يتمذهبون بهِ بحسب الظاهر لمكانهم من البلاط واما في دخلتهم فاكثرهم على مذهب فوا وبيوتهم مملوءة من اصنامهِ

ونمسك القلم على هذا القدر من الكلام على هذه المملكة العظيمة وفي كل ما ذكرناهُ في هذا الفصل ولا سيما في فلسفة كلٍ من هذه المذاهب كلامٌ طويل لا يسعنا الخوض فيهِ في هذا المقام فاقتصرنا منهُ على ما ذُكر طلباً للاختصار

كلام صحيّ في الشعر

لحضرة النطاسي البارع الدكتور اديب افندي الزيات

(تابع لما قبل)

تقدم لنا في عددٍ ماضٍ من هذه المجلة ذكر الطرائق الواجب اتباعها في غسل الشعر وتنظيفهِ والآن نأتي على تتمة ما في هذا الفصل كما وعدنا استيفاءً للفائدة فنقول

لا يتم تنظيف الشعر الا بادوات مخصوصة كما هو معلوم واكثر هذه الادوات استعمالاً المشط والشمرية (الفرشة) وقد يستغنى عن المشط في الاطفال فيكتفى في تمشيطهم بعد غسل الرأس بان تُمَرّ فرشاةٌ ناعمة على الشعر مرًّا خفيفاً ثم يُتدرج في الفرشاة من الجنس الناعم الى الخشن بحسب تقدم الطفل في السن وعلى كل حال فلا يجوز الفرك بها الى حدٍّ يتهيج معهُ جلد الرأس

الا انهُ متى طال شعر الولد فحينئذٍ لا يُستغنى عن المشط لتخليص الشعر وتهويتهِ وتسريحهِ في جهتهِ الطبيعية · وافضل الامشاط ما كان متفرق الاسنان غير حادّها مصنوعاً من موادّ غير معدنية كسن الفيل وعظم السمك والباغة والصدف وما شاكلها وينبغي ان تكون اسنان المشط متساوية في الطول والغلظ ناعمة الملمس بغاية النظافة بحيث انها عند التسريح لا تكسّر الشعر ولا تقتلعهُ ولا تحمّلهُ ادراناً مما فيها اذا كانت غير نظيفة · واما الامشاط الدقيقة الاسنان فالأولى عدم استعمالها في الطبقة الوسطى والعالية من الناس لان غايتها تنظيف الرأس من القشور وافضل منها الدهونات والغسل والفرشاة على ما قدمنا من كيفية استعمالها ومع ذلك فاذا استعملت فلا تُمَرّ في الشعر الا بعد ان يخلص بالمشط ذي الاسنان المتفرقة

اما شروط الفرشاة فيجب مع النظافة ان تكون قاسية وخُصَل الشعر فيها مرتَّبة بحيث ان الوسطى منها تعلو على المتطرفة بشكل محدَّب غير ملززة الشعر حتى اذا مرّت في الرأس لا تعلق بالشعر ولا توجب جذبهُ وتُستعمل بعد ان يسرَّح الشعر بالمشط بحسب جهة منبتهِ الطبيعي مع التحامل

المعتدل بحيث يشعر الانسان بحرارة خفيفة عذبة في الجلد وفي النهاية يُمَرّ على الشعر فرشاةٌ ناعمة دقيقة فتكسوهُ لمعاناً

هذا فيما يتعلق بادوات التمشيط وكيفية استعمالها وبقي ان نبين كيف يجب ان يُقَصّ الشعر عند الرجال وكيف يُرتَّب ويُضفر عند النسآء على الطرق الصحية بقطع النظر عن الازيآء (المودات) المختلفة باختلاف الامم والعوائد

قد درج اكثر الرجال في هذه الايام على الاستقصآء في قصّ الشعر اي على ان يقصروهُ كثيراً وهو امرٌ ينهى عنهُ اكثر علمآء هذا الفن لان الشعر انما هو غطآءٌ خُلق لوقاية المخ والدماغ فاذا كان قصيراً كان اقرب الى السقوط منهُ اذا كان طويلاً ولهم على ذلك ادلة اهمها كثرة الصلع في الرجال وندورهُ في النسآء • ومنهم من يرتئي العكس ذهاباً الى ان في تكرار القصّ تنبيهاً لحياة الشعر وانهُ اذا كان قصيراً كان اسهل تنظيفاً فيكون بذلك ابعد عن الامراض المعدية • ولعل الاصوب ما ذهب اليهِ الاستاذ الشهير بروك وملخصهُ انهُ ينبغي ان يكون الشعر قصيراً عند الاولاد الى الثامنة من سنيهم لكي يكون الرأس نظيفاً وهكذا تُجتنَب الامراض الشعرية الكثيرة الحدوث في هذه السن واما فيما فوق ذلك فلا موجب لتقصيرهِ الا اذا اختلّ شرط النظافة كما انهُ لا موجب لقصّ شعر البنات فوق السن المذكورة الا اذا كان يتعذر تنظيفهُ • ويجب ايضاً تقصير الشعر عند اولاد المدارس لعدم توفر الوقت اللازم للعناية بتنظيفهم فضلاً عن تعرضهم للعدوى المرضية مما قد لا تتسنى ملاحظتهُ لاوليآء امورهم ولا يؤمن

شرَّهُ الا اذا كان الشعر قصيراً

واما الشبان فلا حرج عليهم ما دام شعرهم نظيفاً خالياً من المرض لكن اذا حدث داآء في الشعر فلا بدَّ من قصهِ ليتمكنوا من مداواتهِ . وعلى كل حال يجب ان يُمشَط الشعر الى جهة منبتهِ الطبيعي فيبقى سلساً ليّناً ولذلك فان قصَّ الشعر على الشكل المسمى « بروس » اي شكل الفرشاة مضرٌّ لانهُ يحوّلهُ عن ميلهِ الطبيعي ويكون سبباً لسرعة الصلَع كما ان كيّ الشعر بالحديد مؤذٍ من هذا القبيل فضلاً عن انهُ يميت اطراف الشعر فتتشعّب ثم تتكسر كما لا يخفى

اما كيفية ترتيب الشعر وتمشيطهِ عند النسآء فهو بحث من الاهمية بمكان لانهُ كثيراً ما ينشأ عن عدم معرفة ترتيب الشعر على الطرق الصحية بُقَعٌ من الصلع في قمة الرأس وسببها في الغالب شدة جذب الشعر واطالة الضغط عليهِ بالدبابيس والامشاط

فالطريقة الحسنى ان يُضفَر الشعر ضفراً ليناً ثم يُرسَل على الظهر عند البنات او يطوى على الرأس ويُركز بدبابيس من المطّاط (الكاوتشوك) او الباغة . ولا بدّ في كل حال من اتباع المبدأ المذكور قبلاً وهو انهُ كيفما كانت طريقة التمشيط فلا ينبغي ان تكون الا بحسب ميل الشعر الطبيعي . وكلما تمكن النسآء وخصوصاً في المنزل من حلّ شعورهنّ وارسالها على الكتفين فلا يتأخرنَ لان في ذلك راحةً للشعر وتجديداً لقوّتهِ

وفي الختام لنا كلمة في الصبغات الشعرية نقولها تذكيراً لمن يهمهم ذلك وهي ان اكثر علمآء هذا الفن يحظرون استعمالها الا في بعض الاحوال

المرضية كالعلة المسماة بالسبورة الشعرية والسبورة الدهنية فان صبغة الحنآء تمنع فيها سقوط الشعر وتزيد في نموهِ والحنآء كثير الاستعمال في الشرق وقد ابتدأ الغربيون يستعملونهُ لانهُ اقل ضرراً من غيرهِ من سائر انواع الخضاب . واما ما بقي من الدهونات والصبغات الشعرية فالبعض القليل منها حسن واكثرها مضرّ وعلى كل حال فالجيد منها لا يلائم كل الامزجة فلا بدّ من الاحتراس في استعمالها وفي هذا المعنى كلامٌ طويل سنعود اليهِ في وقتٍ آخر مع البحث في اسباب الشيب

واخيراً فان الدهونات التي يجوز استعمالها في حالة الصحة عند ما يكون الشعر جافاً قليل المادة الدهنية هي زيت اللوز الحلو وزيت الخروع صرفاً او مضافاً اليهِ مخّ العظم البقري المحضَّر ويعطر بعطر البرغموت او عطر اللاوندة او بلسم بيرو وابسط من كل هذا زيت الزيتون القديم . وعلى كل حال فمن الضروري تجديد هذه الزيوت مرةً بعد اخرى لئلا تختمر فتفسد وتحدث عوض الفائدة ضرراً والله الواقي

السخرة في الديار المصرية

نقتضب هذا الفصل اجابةً لاقتراح احد مشتركينا الاعزآء نورد فيهِ ما تيسر لنا الوقوف عليهِ من تاريخ السخرة في هذه البلاد من لدن عهد المرحوم محمد علي باشا الى الزمن الحاضر وقد اقتبسنا جلّ ما فيهِ عن المراجع الاصلية مع الاستناد الى بعض التواريخ الموثوق بها من مؤلفات الاوربيين

وقبل ان نخوض في هذا البحث لا بدّ لنا ان ننبه الى ان السخرة على

ضربين احدهما ما كان لمنفعةٍ شخصية يُقسَر فيها الضعيف على خدمة القويّ كبناء دار او غرس بستان وهي بابٌ من ابواب الظلم لا مسوّغ لها بالاجماع والضرب الثاني ما كان لمصلحةٍ عامّة كاهلاك الجراد وسدّ الثغور وتكون عدلاً بمقدار ما يكون فيها من المساواة والبعد عن الاجحاف بمصالح الافراد . فأما الضرب الاول فقد مضى عهدهُ مع الاولين ممن بنوا الاهرام ورفعوا المسالّ وخُتم بعهد المماليك الذين كانت لهم آحاد الرعية عبيداً واموالهم نهباً مباحاً وليس في شيء من غرضنا في هذا الموضع . واما الثاني فاشهر ما فيهِ في هذا القطر الاعمال المتعلقة بالريّ من نحو حفر التُرَع واقامة الجسور وتعهُّدها في اوقات الفيضان لما في ذلك كلهِ من التكاليف الجسيمة ورجوع المنفعة منهُ الى عامّة اهل البلاد وفيها انحصرت السخرة في ايام المغفور لهُ محمد علي باشا الا انهُ تجاوز فيها حدود الاعتدال الى ما اضرّ بمصلحة الزراعة لانهُ لم يكن يعفي احداً من الخروج للعمل ولا سيما في ايام النيل مما كان يترتب عليهِ خلوّ الاراضي من العمّال وتعطيل الاعمال الزراعية الى ان ينقضي زمن السخرة

ثم لما كانت ايام سعيد باشا احدث فيها بعض التعديل بان حصرها في عددٍ معلوم من الافراد يؤخذ على نسبةٍ مفروضة بحيث لا تعدم الاعمال الزراعية قسطها من العمّال الا ان الخلل المتفشي في احوال الحكومة لذلك العهد حال دون البلوغ الى تمام هذا المقصد. ولبث الامر على ذلك الى عهد اسمعيل باشا وكان على ما هو معلوم من الظهور بالمظهر الاوربي والميل الى جعل البلاد المصرية كقطعةٍ من اوربا فقام بالغاء

السخرة من اصلها الا ان ذلك وافق ايام اشتغال شركة دليسبس بحفر خليج السويس فاضطرَّتهُ شركة الخليج الى ردّ السخرة عملاً بالاتفاق الذي كان بينها وبين سعيد باشا فعادت . قلنا ومن الناس من يذهب الى ان من اهمّ الدواعي التي عادت بالفشل على فتح برزخ بناما انهم قاسوهُ على فتح برزخ السويس فقدَّروا نفقات ذاك على نفقات هذا من غير ان يفطنوا للسُخَر التي اعانت على اتمامهِ . ثم انهُ بعد ان تمّ حفر الخليج عاد اسمعيل باشا فقرّر السخرة بموجب امرٍ اصدرهُ في ١٨ شوّال سنة ١٢٨٨ وعليها قامت جميع الاعمال التي تمت في ايامهِ واهمها بعد فتح الخليج الترعة الابراهيمية التي انشأها بالمنيا لريّ اراضي الدائرة السنية التي كانت من املاكهِ الخصوصية ثم ترعة الاسمعيلية التي تعهد دليسبس بحفرها لجرّ المآء العذب الى المدينة المذكورة. وكان لما الغى السخرة قد ضرب في مقابلة الغائها ضريبةً على البلاد فكان يجبي الضريبة والسخرة مستمرّة

ولما كانت نوبة توفيق باشا اصدر امراً في سنة ١٨٨٠ بتعديل احكام السخرة فجعلها عامّةً لجميع سكان القطر ممن تعود عليهم منفعةٌ من الاعمال السنوية مع التساهل بقبول بدلٍ مالي عند تعذر مباشرتها بالفعل . وكان ناظر الاشغال يومئذٍ علي باشا مبارك فلما كانت السنة التالية رفع تقريراً الى مقام الخديوية يشكو فيهِ من تجويز امر البدل لانهُ وجد ان ذلك يفضي الى بوار المصلحة اذ يتوفر المال وتُعوِز الرجال ولا سيما وان الاعمال في زمن الفيضان اعمالٌ معجلّة لا تحتمل الارجآء ويطلب تعميم السخرة على كل من ينتفع باعمال الريّ من سن ١٥ الى ٥٠ ما خلا العلمآء

والفقهآء وطلبة العلم وسائر من يدخل تحت هذا التعريف ثم خدام المساجد والقسوس ورؤسآء الاديان وخفرآء البلاد وسائر الذين لا اراضي لهم في القطر وان يُحصَر حق اداء البدل في فئات معلومة منها اهالي العزب والجفالك والاعراب العاملون في الاراضي الاميرية

ثم انهُ في ١٩ دسمبر سنة ١٨٨٩ صدر امرٌ عالٍ بالغآء السخرة وحصرها في خفارة الجسور ايام الفيضان واستبدالها في غير ذلك بضريبةٍ مالية على الاملاك لا تتجاوز اربعة غروش ونصفاً على كل فدان ولا يتعدى مجموعها ١٥٠ الف جناي وان تخصص الحكومة من ميزانيتها ٢٥٠ الف جناي تُرصَد مع مال الضريبة للانفاق على سائر اعمال الريّ

وفي ٢٨ يناير سنة ١٨٩٢ صدر امرٌ آخر بالغآء الضريبة وضمّ الاموال اللازمة على الميزانية العمومية واقترضت الحكومة يومئذٍ مليون جناي للقيام بهذه النفقة ومذ ذاك تقررت جميع نفقات الري على ميزانية الحكومة وهو الجاري العمل بهِ الى هذا اليوم

وجملة القول ان السخرة كانت قديماً عامةً لكل عملٍ من اعمال الريّ كحفر التُرَع وتطهيرها وانشآء المصارف والبرابخ وتوثيق جسور النيل والحياض وخفارة الجسور والقناطر ونقل الادوات اللازمة لها وقد انحصرت اليوم في خفارة الجسور والقناطر ايام الفيضان بمعنى ان على الاهالي ان يعيّنوا اناساً منهم يخرجون الى جسور النيل لمراقبة مياه الفيضان واذا خيف حدوث خطرٍ ان ينبهوا حكومة الناحية الى تداركهِ وهذا كل ما بقي من السخرة لعهدنا الحاضر

اصل البترول

لا شك ان اكتشاف البترول ليس بالامر المحدث وان لم يشتهر الا من عهدٍ قريب وكذلك استخدامهُ كان مألوفاً من عهدٍ بعيد فان نيران المجوس في باكو ما برحت توقد منهُ منذ آلافٍ من السنين . ثم انهُ في القرن الثامن عشر كانت بعض مدائن ايطاليا توقدهُ للاستصباح وكان قد اكتُشف بعض ينابيعهِ في انشيانو بالقرب من پارما الا انهُ ما زال الى اواسط القرن التاسع عشر مرغوباً عنهُ ولم يتنبه الناس لهُ حتى اكتشف الاميركان ينبوع وادي كناوها ومذ ذاك اخذ ينتشر استعمالهُ وفي سنة ١٨٥٠ فُتحت اول بئرٍ لهُ في تيتوسفيل من بنسلفانيا فخرج منها مجرى بغلظ زند الرجل فهبّت الرغبة في حفر منابعهِ بمثل ما كان عند اكتشاف ذهب كاليفرنيا

اما اصل البترول فلم يقع الكيماويون والطبيعيون منهُ على حقيقةٍ ثابتة لتعارُض الادلة فيهِ وانتقاض بعضها ببعض على ما سنذكرهُ . وقد وُجد بالتحليل انهُ مركبٌ من ثلاثين صنفاً من المواد الهدروكربونية وتركيبها يختلف تبعاً للآبار المستخرج منها . فذهب قومٌ منهم الى انهُ مادةٌ تشبه القطران المستخرج من الصنوبر ونحوهِ وانهُ نشأ عن تحلل بعض الموادّ النباتية في جوف الارض او في اعماق البحار في العصور الاولى ودليلهم في ذلك وجود منابع كثيرة من البترول في الاراضي التي تكثر فيها معادن الفحم الحجري . غير ان علماء طبقات الارض لم يوافقوا على هذا القول لانهم وجدوا البترول اكثر ما يوجد في الاراضي التي سبقت تكوُّن الفحم

الحجري وبالتالي التي ليس فيها بقايا نباتية

وذهب غيرهم الى ان اصل البترول من موادّ غير آلية فقرضوا ان المعادن القلوية المنتشرة في باطن القشرة الارضية كالصوديوم والبوتاسيوم والليثيوم بمخالطة الحامض الكربونيك لها تنشأ عنها موادّ اذا اتحدت مع الماء كان عنها الاساتيلين وهو باتحادهِ مع الهدروجين الخالص ينشأ عنهُ مركبات هدروكربونية هي التي تتكوَّن منها اكثر مادة البترول . وهذا ايضاً لم يسلم من النقض بادلةٍ اخرى من استقرآء طبقات الارض

وذهب آخرون الى ان البترول من اصل حيواني وانهُ ناشئٌ عن انحلال الحيوانات التي كانت تسكن البحار الاولى ولبث هذا القول امراً نظريًا الى ان اكتُشف شيءٌ من البترول عند شواطئ البحر الاحمر وهي مؤلفة مما يلي السويس الى عدن من ارصفة مرجانية يتكون منها صخورٌ كلسية متخلخلة البنآء مكلسة بحرارة الشمس فاذا ثُقِب ثقبٌ في هذه الصخور ولو قليل العمق اجتمع فيهِ سيالٌ بطيءٌ هو البترول

ثم بنى البروفسور انجلر على ذلك فعمد الى بعض البذور الحيوانية وعرّضها للتقطير في انآء مسدود وتحت ضغطٍ عنيف فكان لهُ مادةٌ تقرب من النِفط الخام . ثم عرّض زيت السمك للعمل نفسهِ فكان عنهُ مادةٌ لا يكاد يُفرَق بينها وبين البترول الاميركاني فكان في هذا الامتحان مقنعٌ للكيماويين وعلماء طبقات الارض جميعاً

ولا يخفى ان البحار من اكثر البيئات ازدحاماً بذوات الحياة من الحيوان فلا يُستغرَب ان يجتمع في دَرَكها مقادير من زيت السمك يتكوَّن

عنها مثل هذه الينابيع الغزيرة من البترول فان هناك الوفاً لا تحصى من الجثث التي اكثرها مرجانية متخلخلة البنآء تغطيها طبقةٌ عظيمة من الطفال فينشأ عنها مع توالي الزمن نفس ما نشأ بالتقطير . واظهر ما يكون ذلك في البحار المنقطعة التي تتبخر شيئاً فشيئاً كبحر قزوين الذي في جوارهِ اغزر ينابيع باكو فان هذا التبخر المتواصل يكون سبباً في تجمع الجثث الحيوانية الى الدَرَك الاقصى وبعد ان تذهب الحياة الحيوانية منها بتمامها يرسب الملح على تلك الجثث بهيئة طبقاتٍ بلورية واخيراً يتحوَّل قعر البحر الى ارضٍ يابسة

على انهُ لا ينبغي ان يُجزَم بان اصل البترول حيواني صِرف ولا يمتنع ان يكون نباتيًا او جماديًا فان الطبيعة تتوصل الى انشآء الشيء الواحد من طرقٍ شتى وقد يكون اصل البترول مشتركاً من الموادّ الثلاث

البارود والحوادث الجوّية

لا يخفى ان من اسباب المطر ان تلتقي ريحان متناوحتان اي متقابلتا المهبّ فترتفعا في موضع التقآئهما الى طبقةٍ من الجوّ شديدة البرد فتنعقد الرطوبة المنتشرة فيهما وتسقط مطراً وهذا هو السبب في سقوط المطر عَقِب الرعد لانهُ عند انطلاقهِ يُحدِث فراغاً في الهوآء ثم تندفع الريح من كل جهةٍ لتسدَّ ذلك الفراغ فتلتطم ويحدث عند التطامها ما ذُكر

وقد رُوقِب بعد المواقع الشديدة في الحروب التي يكثر فيها اطلاق البارود انهُ يعقبها على الغالب مطر وذلك بالسبب عينهِ لان البارود عند

انطلاقهِ يفرّق اتصال الهوآء ثم يرتدّ الهوآء بعنفٍ شديد فاذا تعددت الطلقات واتجهت في وقتٍ واحد الى نقطةٍ واحدة او نقطٍ متقاربة فعلت فعل الرعد فعقبها المطر وقد يكون سيولاً . وقد بنى بعضهم على هذا امكان استخدام هذه الذريعة في استنزال المطر عند احتباسهِ وامتحن ذلك بعض اهالي الولايات المتحدة بان اطلقوا المدافع على بعض السحب المنتشرة فلم تلبث ان تساقط عنها مطرٌ غزير . وتكرر هذا الامتحان بعد ذلك في عدة مواضع من الولايات المذكورة كالتكساس وأوهايو تارةً باطلاق المدافع وتارةً باطلاق الديناميت من المناطيد المقيدة لكن وُجد انهُ كثير النفقة الى ما يفوت قدر المنفعة المترتبة عليهِ لان الدفعة الواحدة من المطر لا تكون نفقتها اقلّ من عشرين الف دولار .

ثم انهم كما استخدموا اطلاق المدافع في استنزال المطر استخدموهُ ايضاً في صرف البرَد عن المغارس والاراضي الزراعية . واول ما امتُحن ذلك في بلاد النمسا في بلدةٍ يقال لها وِنداش على يد رجلٍ من العظمآء كانت لهُ كرومٌ واسعة في البلدة المذكورة وكان كثيرٌ منها يتلف بالبرَد فنصب على قمم التلال المحاذية لارضهِ ست بطاريات كل واحدة منها مؤلفة من عشرة مدافع ضخمة ولما لاحت لهُ اول سحابة تخيل فيها وجود البرَد امر باطلاق المدافع عليها فلم تلبث ان انحلّت وتبددت . وقد وُجد بالامتحان ان اطلاق ثلاثين دفعة كافٍ لان يقي مساحة ٥٠ الى ٦٠ هكتاراً من الارض (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) بنفقةٍ لا تتجاوز ٢٠٠ فرنك وهذه الطريقة شائعة اليوم في ايطاليا في استنزال المطر وصرف البرَد

جميعاً وقد تألفت لها شركاتٌ كثيرة في البلاد لما آنسوا من نفعها • وربما استعملوها عند اشتداد الحرّ لترطيب الجوّ وتحريك الرياح عند ركودها وكثيراً ما تُستخدَم في تقويض الاعاصير اللولبية ولا سيما التي تثور منها في البحر بان يطلقوا عليها مدفعاً قوياً فتنحلّ وتتبدَّد قوّتها في انحاء الجوّ •

الفونغراف

وقفنا على الوصف الآتي لهذه الآلة العجيبة من انشاء حضرة الكاتب الشاعر البليغ مصطفى بك نجيب وكيل ادارة الداخلية في الحكومة المصرية وهو ضربٌ من الشعر المنثور الذي يزري بالدرّ المنظوم في نحور الحور بل هو من انموذجات بلاغاتهِ الحقيقة بان يتحداها كتّاب العصر وينسج على منوالها المولعون باساليب النظم والنثر قال حفظهُ الله

هو مثال القوّة الناطقة من غير ارادةٍ سابقة يقتطف الالفاظ اقتطافا ويختطف الصوت اختطافا مطبعة الاصوات ومرآة الكلمات ينقل الاقوال من ناحيةٍ الى ناحيه نقل كلام عُمَر رضي الله عنهُ الى ساريه اصدق من الصدى في نقلهِ واعادةِ الصوت على اصلهِ كانهُ الحرف عن يد الطابع والوتر عن يد القارع لو تقدم في مرتبة الزمن لما احتجنا في الأخبار الى عنعنه ولا في الدعاوي الى بينّه بل كان يُسمِعنا كلام السيد المسيح في المهد وصوت عازر من اللحد وكانت استودعتهُ الفلاسفة حكمتهم وانشدهُ الشعراء كلمتهم فسمعنا منهُ غرائب اليونان وبدائع الرومان وربما اسمعنا خُطَب سحبان وشعر سيّدنا حسان

بذلك اللسان واصبح وجود اثر الانسان غير محدود بزمن من الازمان فلله درُّهُ من تلميذ يستوعب ما عند المعلم في لحظه ويعيد قولهُ ناقلاً صوتهُ ولفظه

وقد وجدتَ مكان القول ذا سعةٍ فان وجدتَ لساناً قائلاً فقلِ

نديم ليس فيهِ هفوة النديم سمير لا يُنسَب الى تقصير تُسكِته وتستعيدُه وتذمهُ وتستجيدُه وتنقصهُ وتستزيدُه وهو في كل هذه الاحوال راضٍ بما يقال لا يكلّ من تحديث ولا يملّ من اعادة حديث نمام كما ينمّ لك ينمّ عليك وينقل الى غيرك كما ينقل اليك فهو المصوّر لكل فنّ المتكلم بكل لغة المحدّث عن كل انسان المؤرخ لكل زمان الشاعر الناثر المغنّي العازف لا تعجزهُ العباره ولا يجهدهُ الاداء ولا يضيرهُ اختلاف شكل ولا تبايُن اصل بل تعدّت شدة حفظهِ البشرية من اللغات الى حفظ اصوات العجماوات الى حركة اصطكاك الجمادات فلله مخترعهُ الذي انشأهُ على غير مثال والله يخلق ما لا تعلمون وهو العزيز المتعال

﴿ المرّاش ومينار ﴾

كنا نودّ ان نسوق بقية هذا النقد الى آخرهِ حتى يكون انموذجاً لكل مطّلعٍ عليهِ يعلم منهُ مبلغ اولئك « المستمرين » من العلم بهذه اللغة التي يدّعون انهم قد استولوا على ازمّتها وصاروا اولى بها من اربابها وائمّتها ولكنا رأينا ان الامر قد طال الى ما خشينا ان يؤدّي الى ملل القرّاء وفي

القدر الذي اوردناهُ كفايةٌ للمستدلّ . بيد أننا حرصاً على بقآء هذا الاثر ورغبةً في وقوف اولئك القوم على ما في رواية الكتاب وترجمتهِ من التحريف والشطط رأينا ان نطبع هذا النقد في كتابٍ مخصوص بحيث يكون الحصول عليهِ اقرب منالاً والاحاطة بما فيهِ من المآخذ ايسر مطلباً والله وليّ التوفيق

اسئلة واجوبتها

الفيوم — ما المراد بالحجر الفلسفي عند الكيماويين الاولين ومن اي شيء يتركب

احد المشتركين

الجواب — هو ما يسميهِ كيماويو العرب بالاكسير والمراد بهِ مادةٌ تحيل النحاس الى فضة والفضة الى ذهب . واما تركيبهُ فزعم بعضهم انهُ يتكوَّن من الندى بعد تعريضهِ زمناً طويلاً للشمس وقال آخرون انهُ يتركب من المعادن وخصوصاً الزئبق بعد تطهيرها من الكبريت وقيل من الكبريت نفسهِ بعد تخليصهِ من المعادن . ولكنهُ على الصحيح اسمٌ بلا مسمًّى لا يُعرَف ما هو ولم يتوصل اليهِ احد وقد اشتغل بهِ عالمٌ لا يحصى من المتقدمين من عهد المصريين الاولين ومن تلاهم من اليونان والعرب وغيرهم الى اواخر العصور الوسطى والى اليوم لا يزال اناسٌ يبحثون عنهُ فيضيعون اعمارهم في التماسهِ ولا يحصلون منهُ الا على الخراب

القاهرة — قرأت في بعض الكتب ان المرحوم الخديوي اسمعيل باشا كان قد الغى السخرة عند جلوسهِ على الاريكة الخديوية الا انني اعلم ان السخرة لم تزل باقية الى عهد غير بعيد وان شركة خليج السويس استعملتها مدةً بعد قرار الخديوي الاسبق وان ابطالها في اشغال هذه الشركة أدى الى منازعات واخيراً الى تعويض أُلزمت الحكومة المصرية ان تدفعهُ اليها بنآء على حكم نابوليون الثالث الذي اختارهُ الطرفان حكماً. فرجآئي ان تتكرموا علينا بازالة هذا الالتباس وبشرح تأريخ السخرة بالتفصيل الممكن فان هذه المسئلة تهم الكثيرين ولم نجدها موضحةً كما يجب

يوسف النحاس

الجواب — ترون تفصيل هذه المسئلة في مقالةٍ مخصوصة في هذا الجزء

آثار ادبيّة

الدائرة — مجلةٌ ادبية تاريخية فكاهية تطبع في مدينة نيويرك لمنشئها الاديب عيسى افندي ميخائيل الخوري وقد وردتنا الاجزآء الاولى منها فوجدناها تشتمل على عدة مقالات ونُبَذ رائقة في الاغراض المشار اليها. وهي تصدر مرتين في الشهر في ست عشرة صفحة وقيمة اشتراكها في الولايات المتحدة ريالان اميركيان وفي غيرها ثلاث ريالات فنتمنى لها الانتشار والثبات

فكاهات

رواية

السرّ المرصود

في كل مملكةٍ من الممالك الاوربية طائفةٌ من الشُرَط قد اشتهرت بما تبديهِ من المهارة والحذق في تأدية وظائفها واكتشاف خفيات الامور وفيها ايضاً طائفة اخرى من الشِحنة السرية توكل اليها المهمات التي تعجز الشُرَط عن ادراكها وهذه الطائفة الاخيرة قد لا تكون على نفقة الحكومة بل هي شركاتٌ قائمة بنفسها تكلفها الناس اغراضها وتدفع لها الاجور التي يقع الاتفاق عليها

وكان في مدينة لندن رجلٌ من دهاة الشُرَط يدعى جيمس قد اشتهر بقوّة ذكائهِ ونوادرهِ العجيبة في كشف الخفايا وكان لهذا الرجل ابنةٌ وحيدة تدعى هنريت لها من العمر عشر سنوات وهي مع صغر سنها آيةٌ في الذكاء وتوقد الخاطر وقد زينها المولى باجمل صورةٍ واحسن قدّ . وكان لاحد سراة الانكليز من أُسرة مابروك فتىً في الثالثة عشرة من العمر يدعى هنري ولا يقلّ عن هنريت كثيراً في الجمال وحسن الشمائل فبصر بها يوماً وكانت مع والدتها في احدى حدائق النزهة فأُعجب بجمالها وكأن جاذباً

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

جذبهُ فدنا وحيا بلطفٍ ثم سار مع الفتاة ووالدتها في الحديقة وهم يتحادثون ولم يطل الوقت كثيراً حتى اخذت منهُ عوامل الحب وافتتن بحسن الفتاة ورقة اخلاقها . ولما افترقا وذهب كلٌّ الى منزلهِ شعر هنري بشيء في فؤادهِ لم يشعر بهِ من قبل فلم يذق طعاماً ولم يزر جفنهُ كرًى وما صدّق ان جاء ميعاد الامس فتوجه الى الحديقة وكلهُ عيون فرأى فاتنة لبهِ على مقعدٍ فجلس بجانبها وجعل كلٌّ منهما ينظر الى الآخر باعينٍ تغطيها الجفون المتكسرة وانفاسهما تتصعد ووجناتهما تتقد . ولم يتمكن هنري من كتمان ما في صدرهِ فانطقهُ الوجد وباح للفتاة بحبهِ ورأى منها موافقةً على ذلك فتكلما كلاماً مقدساً وافترقا بعد ان تواعدا واشهدا السماء على الاقسام التي نطقا بها

واخذ الحب يتمكن من فؤاد هنري وينمو مع الايام ولما اشتدَّ بهِ الهيام ولم يعد في طاقتهِ الصبر على الكتمان كاشف والدهُ بما خامرهُ من حب الفتاة فوبخهُ الوالد اولاً لانهماكهِ بالحب على صغر سنهِ وثانياً لتعلقهِ بابنةٍ هي دونهُ مقاماً وبين درجات الأُسرتين بونٌ شاسع . فقال هنري اما صغر السن فليس مما يمنع الحب اذ لا فرق فيهِ بين الكبير والصغير واما امر النسب فانني لا ادرك هذه الاوهام المتسلطة على عقول كبرائنا واذا كان الرجل فقيراً فهل يخرج عن كونهِ من النوع الانساني وهل يعتبر الرجل خيواناً برياً ان لم يكن معهُ تاج الكنت او لقب اللرد . اما انا فانني ارى في مالكة فؤادي ملَكاً سماوياً ولا ابيع قلامةً من ظفرها بكل ما تملكهُ لردات انكلترا وشرفاؤها . فزجر الوالد ابنهُ بشراسةٍ واوسعهُ شتماً

ثم قال لهُ انني امهلك يا هنري الى مسآء الغد فاما ان تأتي اليَّ وقد نزعت هذه الترّهات من مخيلتك او تستعد لان تُطرَد من بيتي هذا كالولد العقوق مصحوباً بلعنتي الابدية

فخرج هنري من حضرة والدهِ حزين النفس دامع الطرف فخلا بنفسهِ في غرفتهِ وجعل يفكر في ما عساهُ ان يفعل وهل في امكانهِ طرد هذه الاوهام العجائزية من رؤوس الاشراف ٠ ومرَّت بهِ الساعات مرَّ الدقائق فلم يشعر الا وقد اقترب موعد مواجهتهِ لابيهِ في اليوم الثاني فدخل عليهِ فاذا هو مقطب الحاجبين فترامى على قدميهِ وبكى واسترحم وذكر لهُ انهُ ليس في طاقتهِ ترك حبيبتهِ فان الحب يمنعهُ من سلوّها والشرف يطالبهُ بوعدهِ لها والدين يفرض عليهِ ان يفي باقسامهِ امامها. وبعد جدالٍ عنيف لم يلِن قلب الوالد ولم يحوّل عزم الولد نهض اللورد مغضباً وقال لابنهِ لا ازيدك على الوهدة التي ستسقط عليك فيها نار لعنتي وتحرق جسدك فاذهب واتبع طرقك واياك ان تنتسب اليَّ فيما بعد فان اللرد هربرت ملبروك لم يُرزَق بنين ٠ ورأى هنري تصميم والدهِ فخرج من البيت فاقد الهدى وسار وهو لا يعلم الى اين يتوجه

ولما كان اليوم الثاني شاع في المدينة خبر فقد ابن اللرد ملبروك وتناقلت الجرائد الخبر واهتمت الشرط في البحث عنهُ فلم تقف لهُ على اثر وكان جلّ ما عرفهُ رجال الشحنة ان الفتى بعد خروجهِ من بيت ابيهِ لم يسر طويلاً حتى هجم عليهِ ثلاثة رجال ملثمين فاوثقوهُ وسدوا فمهُ ثم حملوهُ الى عربةٍ وساروا بهِ الى حيث لا يعلم احد ٠ ولما مضت بضعة ايام ولم يفلح

رجال الشرط في بحثهم ورد على اللرد ملبروك كتابٌ من احدى شركات الشحنة السرية يضمنون لهُ فيهِ ردّ الولد المفقود اذا تعهد اللرد بمكافأة الشركة على بحثها مع اداء النفقات التي تبذلها في هذا السبيل . فاجاب اللرد اني قبل ان يفقد الولد طردتهُ من بيتي لاسباب داخلية وحذفت اسمهُ من بين اسماء أسرتي فلا يهمني بعد ذلك وُجد او فُقد

ولما علمت الشركة والشُرَط ان ليس من يهتمّ بامر الفتى المفقود اهملوا البحث عنهُ ثم سكتت الجرائد عن ذكرهِ وهكذا اصبح الامر نسياً منسياً ولم يكن في كل انكلترا من يجيل فكرهُ في هنري او يسأل عنهُ . غير انهُ كان في احدى زوايا لندن بيتٌ صغير فيهِ فتاةٌ هي هنريت ما بلغها فقد حبيبها حتى طارت نفسها شعاعاً فلم تذق طعاماً ولا رقاداً بل كانت تترقب الجرائد كل يوم لتعلم ما انتهى اليهِ امرهُ . ولما انقطعت الاخبار وقعت في يأسٍ شديد فهزُل جسمها وفارقتها نضارتها وعلم والدها بامرها فتفتت قلبهُ جزعاً عليها ولم يدرِ كيف او بماذا يؤسيّها ويسليها

وفي ذات يومٍ نهضت هنريت من رقادها ولما خرج والدها من البيت خرجت في اثرهِ وقصدت شركة الشحنة السرية فطلبت مواجهة المدير ولما مثلت امامهُ قالت أأنت يا سيدي الذي كتبت الى اللرد ملبروك تخبرهُ انك قادرٌ على وجدان ولدهِ المفقود . قال نعم . قالت وهل سعيت في ذلك . قال كلا فان اللرد قد تبرأ من ولدهِ وارسل يعلمنا انهُ قد حذف اسمهُ من بين اسماء اسرتهِ واذا كان ذلك فمن يعوّض علينا النفقات والاتعاب التي نبذلها في البحث عنهُ . فوقفت هنريت حيناً ثم قالت وكم

المبلغ الذي تطلبونهُ لهذا البحث . قال لا اعلم بالتحقيق لانني اجهل النفقات التي تلزمنا ولكن على كل حال لا يقل ذلك عن الفي جنايٍ . قالت وهل يجب دفع المبلغ معجلاً . قال اذا وثقنا بمقدرة الدافع امهلناهُ ريثما نجد الضالة . فنظرت هنريت اليهِ وقد كسي وجهها احمراراً فنفذت سهام عينيها الى قلبهِ وقالت هل تثق بي فانا اؤدّي لك المبلغ في وقتهِ . ورأى المدير في عينيها دلائل الصدق فقال قد قبلت ثم احضر ورقاً فكتب عليها تعهداً بالدفع بعد ان تعهد من نفسهِ انهُ سيشرع من ليلتهِ في السعي وانصرفت وفي صدرها عاملان من الرجآء واليأس وفي نفسها عزائم شتى . ولما كان اليوم الثاني نهضت من رقادها فطلبت الى والدها ان يأذن لها في السياحة في نواحي ارلندا تبديلاً للهوآء ورأى والدها ان صحتها كانت منحطة كثيراً في تلك الايام فاذن لها في السفر وزودها بما تحتاج اليهِ من المال فودعتهُ وسارت . وكان جيمس غير غافل عن حركات ابنتهِ فاطلق لها ان تفعل ما تشآء وهو متتبعٌ لها بعينٍ لا تنام

اما هنريت فودعت اباها على نية السياحة وما غابت عن بصرهِ حتى غيرت خطتها فتوجهت الى احد ملاعب التمثيل وسألت قيّمهُ ان يسمح لها بالانضمام الى جوقهِ فاستقبلها القيّم بالبشاشة وعيّن لها ادواراً تغنيها وقت التمثيل . ولما قامت هنريت اول ليلةٍ واستقبلت الجمهور تمثلت لها صعوبة الموقف ثم خطر لها حبيبها مفقوداً متروكاً فاستسهلت كل صعب في سبيل ردهِ ثم اندفعت تغني وكان نشيدها محزناً وكأن نوراً سماوياً اضآء في وجهها فزاد جمالها اضعافاً وما ابتدأت في الغنآء حتى سحرت الحضور فاستمادوها

مراراً ورأوا في جمالها وبديع حركاتها ما زادهم فتنةً على فتنة فانهالت عليها كتب الفتيان وهداياهم ومبالغ الاموال فكانت تذخر ما يصل الى يدها وتصونهُ صون عرضها ودامت على تلك الحالة مدة سنتين . وكان لها صديقة في ارلندا فكانت من حين الى آخر ترسل اليها رسائل باسم والدها وتكلفها ان ترسلها اليهِ على يد البريد لتوهمهُ انها لا تزال في سياحتها في ارلندا وتخبرهُ انها هناك في اتم السعادة والصفاء . اما الوالد فكما ذكرنا قبلاً كان عالمًا بمقرّ ابنتهِ مطلعاً على دقائق اعمالها بل كان يحضر من حين الى آخر محل التشخيص حيث هي ويعرفها من وراء تسترها المظيم ويذرف دموع الشفقة والمحبة . ولم يكن جيمس مراقباً لاعمال ابنتهِ فقط بل كان يتتبع حركات مدير شركة الشحنة السرية ايضاً لانهُ شعر منهُ باشياء تدعو الى الريب في امرهِ . ولما اتمت هنريت السنتين رأت ان ما توفر لديها من المال والجواهر يفوق القيمة المطلوبة فبعثت برسالة الى مدير شركة الشحنة تسألهُ عما كان من امر المفقود وعلم ذلك انها قد تمكنت من جمع المال المطلوب فاجابها انهُ يؤمل ارجاعهُ في مدة خمسة ايام فطارت نفس هنريت سروراً واستعفت من الجوق ورجعت الى بيت والدها

وفي غد ذلك اليوم خرج والد هنريت فتنكر بزيّ الفعلة وجعل يجول من موضع الى آخر كانهُ يبحث عن شغلٍ يرتزق منهُ حتى بلغ منزلاً منفرداً عن المدينة فجلس بجانبهِ على الطريق . وبينما هو جالسٌ اذ مرَّ بهِ رجلٌ عرفهُ لاول وهلة انهُ من رجال الشحنة السرية ولما وصل اليهِ قال لهُ ماذا تفعل هنا ايها الرجل . قال لم يتيسر لي شغلٌ اليوم وقد انتهى بي السعي

الى هنا فجلست استريح . قال هل لك ان تدخل في خدمتي فان في هذا البيت فتىً قد فقد عقلهُ واصبح في اشد حالات الجنون ولم يشأ اهلهُ ان يرسلوهُ الى مستشفى المجانين فعهدوا بهِ اليَّ وهو في هذه الايام في حالة الهياج الشديد وانا في احتياج الى رجلٍ قادر يتخذ وظيفة بواب ويحافظ على هذا الفتى فهل لك في ذلك . فما صدّق جيمس ان سمع هذا الكلام غير انهُ تردد هنيهةً ليخفي سرورهُ ثم قبل وتم الاتفاق بينهما فاستلم جيمس وظيفتهُ واوصاهُ صاحب البيت ان يحتفظ بالباب ويمنع كل من يطلب الدخول اليهِ وحذَّرهُ جدًّا من فتح باب غرفة المسجون . غير انهُ ما انصرف الرجل حتى بادر جيمس الى باب الغرفة ففتحهُ ورأى هنري المسكين وقد ذبل لونهُ وهزِل جسمهُ وطال شعرهُ فلم يتمالك ان تساقطت عبراتهُ ورأى ان هنري لا يزال بتمام عقلهِ وادراكهِ

وظهر بعد ذلك من ابحاث جيمس ان الذين اختطفوا هنري هم نفس رجال الشحنة المذكورة وكانوا قد رأوا ان اشغالهم في وقوف وصادفوا ابن اللرد ملبروك في موضع منفرد وذلك في اليوم الذي طردهُ فيهِ والدهُ فاختطفوهُ واخفوهُ في البيت المذكور بغاية التحفظ وجعلوا في خدمتهِ عجوزاً خرساء . فكانت تقدم لهُ المأكل والمشرب ولا يستطيع ان يستفيد منها شيئاً عن حالته . وكان في ظن رجال الشحنة ان والد هنري لا بد ان يرجع اليهم بعد نفاد حيلة الشرطة فيتقاضونهُ مبلغاً كبيراً من المال ويردّون اليهِ ولدهُ فساء فألهم حين اخبرهم اللرد انهُ قد نبذ ابنهُ ولم يبقَ من يسأل عنهُ وبينما هم يفكرون في كيف يردّون الفتى اذ ظهرت هنريت فتجددت

آمالهم وكان من امرهم وامرها ما ذكرناهُ

وبعد ما وردت رسالة هنريت على مدير الشركة ووعدها انهُ سيجد هنري في مدة خمسة ايام ارسل احد رجالهِ لاحضار هنري كانهُ قد اهتدى الى محل وجودهِ . ولما وصل الرجل الى المحلّ كلَّم البواب وهو جيمس ففتح لهُ ودخل الى غرفة هنري وما كاد يطأ الباب حتى وثب اليهِ رجلان من الشرطة كانا قد حضرا بطلب جيمس فاوثقاهُ واخفياهُ . ولما استبطأ المدير رجوع رجلهِ قام بنفسهِ الى المحل المذكور وسأل جيمس هل اتى احدٌ من قبلهِ فقال لا . فدخل المدير فاصابهُ ما اصاب رفيقهُ ولما القي القبض على الاثنين ذهب جيمس بهما وبهنري فسلَّم الرجلين الى الحكومة وعاد بهنري الى بيتهِ . واستقصت الحكومة اخبار هذه الشركة فقبضت على افرادها وعاقبتهم بما اقتضت جريمتهم

وبعد ما اقام هنري في بيت حميهِ اياماً نفض فيها عن نفسهِ غبار ذلك السجن عقد لهُ على هنريت وكان فيما جمعتهُ هنريت من المال ما يكفيهما لسد حاجات المعاش فاكترى لهُ منزلاً بظاهر البلد وعاش معها بتمام السعادة والسرور ولم يكن ما ينغصهُ الا مجرَّد تفكرهِ في فقدانهِ حقوقهُ من بيت ابيهِ

وبعد ان اتت عليهما مدةٌ من الزمان رزقهما الله ولداً وكان آيةً في الجمال فاتخذا لهُ حاضنةً ترضعهُ وتربيهِ . وان الحاضنة خرجت يوماً بالطفل تنزههُ في احدى الحدائق العمومية فبينا هي تمشي بهِ اذ مرّ بها شيخٌ كبير من اشراف البلدة فلما رأى الطفل على يدها أُعجب بجمالهِ فوقف

يتأمل فيهِ فلم يلبث الطفل ان ابتسم اليهِ ابتسامةً لطيفةً ... به وانعطافهُ اليهِ وسأل الحاضنة ابن من هذا الولد . فقالت يسمى هنري هو فيما علمت من ابناء الاشراف ولكني لم اعلم اسم أسرته قال وهل تعرفين اسم امرأتهِ . قالت نعم اسمها هنريت وهي ابنة رجل من كبار الشرطة يقال لهُ جيمس . وكان الشيخ هو اللرد مابروك نفسهُ فلم يشك ان ابا الولد هو ابنهُ فقال لها واين يقيم سيدكِ . فقالت بموضع كذا من شارع كذا . فأكبَّ على الطفل وقبلهُ ثم مضى في سبيلهِ

ولم يمضِ على ذلك شهران من الزمن حتى مرض اللرد وثقلت علتهُ ولما احسّ بقرب الاجل بعث الى ولدهِ هنري في المكان الذي اشارت لهُ اليهِ الحاضنة فاستدعاهُ اليهِ ولما حضر ورأى والدهُ في تلك الحال وقع على عنقهِ وبكى كلاهما وبعد ان جلس حيناً واستخبرهُ اللرد عن زوجتهِ وولدهِ قال لهُ اني ارى اجلي قد صار قريباً وليس لي الآن من وارث ولكن الله لم يشأ ان يحرمني وارثاً من صلبي فان اكن قد حرمتك مالي ونسبي ولا مرجع لي في ذلك فاني احيل هذا الارث الى ولدك فهو يتقلد اسمي ويستولي على ما سأتركهُ من المال والعقار وتكون انت وصياً عليهِ الى ان يدرك سن الرشد ثم كتب وصيتهُ بما ذكر وسلمها الى هنري

وبعد ذلك بايامٍ قلائل توفي اللرد وبعد وفاتهِ انتقل هنري بزوجتهِ وولدهِ الى قصر مابروك فعاشوا جميعاً في الرخاء والنعيم الى ما شاء الله

